فتح المجيد

لشرح كتاب التوحيد

تأليف الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

(١١٩٣-١٢٨٥هـ)

[مقابل على نسختين خطيتين]

وفي حاشيته

التوضيح المفيد على كتاب فتح المجيد

[تحقيقًا وتخريجًا وتعليقًا]

كتبه

أبو عبدالله محمد بن علي بن حِزام الفضلي البعداني

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الرابعة

منقحة ومصححة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الناشر

دار العاصمة للنشر والتوزيع/ شارع تعز جوار جامع الخير

ت(٠١٦٣٣٨٠٦) سيار(٧٧٧٧١١٤٢٥)



الحمد لله الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه بالدعوة إلى التوحيد، وتحقيق العبودية لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال عزوجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، ولا ظهير لـه، ولا ندَّ لـه، شهادةً أشهد بها مع الشاهدين، وأجاهد من أجلها الكافرين والمنافقين، وأدخرها عند الله عُدَّةً إلى يوم الدين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي دعا إلى التوحيد وجاهد في ذلك بجهاد جهيد حتى أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة للمسلمين، وأقام به الحجة على الكافرين، قال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

ولا يزال الحق منصورًا، وممتحنًا إلى قيام الساعة، كما قال ابن القيم رحمه الله:

والحــق منصــور وممــتحن فــلا تعجــب فهــذي ســنة الــرحمن

فلا يأتي زمان إلا وهناك من يعاند الحق والتوحيد، ويدعو إلى الشرك والتنديد، ولكن الله جل وعلا بفضله وحكمته قد أقام في كل فترة بقايا من أهل العلم وأنصار التوحيد يقومون بجهاد المبطلين، والكافرين، والمنافقين، كاشفين شبهاتهم وضلالاتهم، كما قال

ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله**».

فهم ببيان الحق والتوحيد كفلاء، وبمجاهدة الكافرين والمنافقين أولياء، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، ويحيون بكتابه الموتى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال جاهلٍ قد هدوه، وكم من مبتدع في دين الله بشُهُبِ الحق قد رموه؛ جهادًا في الله، وابتغاء مرضاته، وبيانًا لحججه على العالمين وبيناته، وطلبًا للزلفى لديه ونيل رضوانه وجناته، فحاربوا في الله من خرج عن دينه القويم، وصراطه المستقيم.

ومن هؤلاء المجاهدين الأعلام: شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي، المولود سنة (١١١٥) من الهجرة النبوية، والمتوفى في آواخر سنة (١٢٠٦) عن إحدى وتسعين سنة.

وكان هذا الإمام قد نشأ في زمنٍ انتشر فيه الشرك، وعبادة الأوثان في الجزيرة العربية، وفي نجد والحجاز، فجاهد هذا الإمام الشرك، والمشركين بسنانه ولسانه، فأحيا الله به الدين، وجدَّد على يديه التوحيد والحق المبين.

وله رحمه الله مصنفات كثيرة في الدفاع عن التوحيد، وبيان شبه المبطلين، ومن أفضل هذه المصنفات كتابه المفيد "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، وهو كتاب نفيس جدًّا ذكر فيه أبواب التوحيد، مستدلًا لكل باب من أبوابه بأدلة من القرآن والسنة، فجعل الله لكتابه القبول، فلا يُحصى كم من إنسان قد حفظ هذا الكتاب، وكم من إنسان قد قرأه، وآخر قد درسه، وآخر قد شرحه، فرحم الله مؤلفه، ورفعه في عليين.

وكان من خير الشروح على "كتاب التوحيد" هو كتاب "تيسير العزيز الحميد في شرح

كتاب التوحيد» لحفيد المصنف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب المتوفى سنة (١٢٣٣) من الهجرة النبوية، ومات رَحِمَهُ اللهُ قبل إتمام الكتاب، إنما وصل إلى [باب ما جاء في المصورين].

ثم جاء حفيد المصنف الآخر، وهو ابن عم سليمان، وهو الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن محمد بن عبدالوهاب المتوفى (١٢٨٥) من الهجرة النبوية[(١)]، فأكمل شرح الكتاب، واختصر شرح ابن عمه، وهذَّبه في كتابه الذي بين أيدينا «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»، وقد قال رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة كتابه: وقد تصدى لشرحه حفيد المصنف، وهو الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ اللهُ، فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد، وسمَّاه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد».

قال: ولما قرأت شرحه رأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار يُستغنى بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة؛ تتميمًا للفائدة، وسميته «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد».اهـ

وأقول: قد نفع اللهُ بهذا الكتاب نفعًا عظيمًا كما نفع بأصله، فعلى المصنف والشارح والمهذِّب رحمة الله ورضوانه.

وقد انتشر كتاب «فتح المجيد» أكثر من كتاب «تيسير العزيز الحميد»، واستفاد منه المسلمون عامَّة، وطلبة العلم خاصَّة.

هذا ومن توفيق الله لي -وله الحمد والمِنَّة- أني قمت بتدريس هذا الكتاب إخواني طلبة العلم في دار الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ دار الحديث بدماج عام (١٤٢٩) من الهجرة

---

(١) انظر ترجمته في «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢/ ٢٠-٢٤)، «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ١٩١) (٢/ ٤١، ٤٦).

النبوية، وكان الحامل لي على ذلك بفضل الله عزوجل هو الاستفادة أولًا من هذا الكتاب، وثانيًا إفادة إخواني طلبة العلم بفوائد هذا الكتاب، وتوضيح ما أشكل من معانيه، وبيان صحة وضعف ما فيه من الأحاديث والآثار.

وقد قمت بفضل الله عزوجل بتخريج أحاديث وآثار الكتاب، ولم يفتني منها إلا النزر اليسير الذي لم أقف عليه في المصادر المطبوعة.

وفي خلال أربعة أشهر، أو خمسة أشهر انتهيت بفضل الله من تدريس هذا الكتاب، وطلب مني عدد من إخواني طلبة العلم أن أخرج لهم التعليقات على هذا الكتاب، وقد تعاون معي أخي الفاضل أبو سفيان أمين الحضرمي حفظه الله وعافاه، فقام وفقه الله بتفريغ الفوائد والتعليقات من الأشرطة، ثم قمت بمراجعتها، وتهذيبها، والزيادة عليها، وسميتها "التوضيح المفيد على كتاب فتح المجيد".

وكتاب "فتح المجيد" قدِ اعتُنِيَ به شيئًا ما، ومن أحسن من قام بتخريج أحاديثه وآثاره، وتحقيق نصِّه هو الأخ الوليد بن عبدالرحمن آل فريان وفقه الله، وقد خدم الكتاب خدمة جيدة من حيث تحقيق النص، وأما تخريج الأحاديث والآثار فقد فاته من ذلك شيء كثير، وحصلت له أخطاء متعددة، إضافة إلى أنه لم يعتن بالحكم على الأحاديث والآثار حكمًا نهائيًّا، وإنما اكتفى بالإحالة إلى مصادرها في كثير من ذلك، وأما إحالة نصوص الأئمة إلى مصادرها فقد حصل له في ذلك أخطاء كثيرة حيث يعزو النص إلى مكان آخر إنما فيه مشابهة للنص، وترك نصوصًا كثيرة لم يعزُها لمصادرها، فلما رأيت الكتاب بحاجة إلى عناية أكثر من ذلك أخرجت تعليقاتي عليه؛ لينتفع بها كاتبها، وسائر المسلمين.

وقد تيسر لي بفضل الله عزوجل مخطوطتان جيدتان لهذا الكتاب المبارك:

المخطوطة الأولى: مكتوبٌ في آخرها: تمَّ الكتاب المسمَّى "فتح المجيد" بعون الملك الحميد، بقلم أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه المنان عبدالرحمن بن داود بن سليمان بن

تركي آل ضحيان غفر الله له ولوالديه، ولمشايخه، ولإخوانه المسلمين الأحياء منهم والميتين، فرغت منه يوم الأربعاء لثلاثة وعشرين يومًا خلت من شهر رجب سنة (١٣٠٨هـ).

وهذه النسخة جيدة مكتوبة بخط واضح جدًّا، وتحتوي على (١٨٥) ورقة، وهي نسخة مصححة ومقابلة، وقد رمزت لها في التحقيق بـ[أ]، وقد وصلتني هذه المخطوطة عن طريق أخينا الفاضل تركي بن مسفر العبديني، وفقه الله وعافاه، وشكر سعيه.

المخطوطة الثانية: وصلتني عن طريق أخينا الفاضل أبي بكر بن شحرة وفقه الله وعافاه، وهو مقيم في مدينة الرياض، فاستخرجها لي من مكتبة الملك فهد الوطنية، فشكر الله سعيه.

وهذه المخطوطة جيدة، مكتوبة بخط واضح، وفيها زيادات ليست موجودة في النسخة الأولى، وقد كتب في أعلى ورقة عنوان الكتاب: وقفية للأميرة سارة بنت الأمام تركي بن عبدالله آل سعود على طلبة العلم في بلد الرياض بتاريخ (١٢٨٤هـ).

وتحتوي هذه المخطوطة على (١٨٨) ورقة، وهي نسخة مصححة ومقابلة على أصل المصنف، ومكتوبة في حياته، وقُرِئت على الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد رمزت لهذه النسخة بـ[ب].

هذا وقد اتفقت المخطوطتان على أن عنوان الكتاب "فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد"، وهاتان المخطوطتان كلٌّ منهما لم تسلم من السقط؛ ولذلك فإني لم أعتمد على واحدة بعينها، وإنما اعتمدت في تحقيق النص على كِلا المخطوطتين، مضيفًا بعض ما يُحْتَاج إليه لبيان الكلام من المصادر التي نقل عنها الشارح، أو من "التيسير"، أو من المطبوع من كتاب "فتح المجيد".

طريقة عملي في التحقيق:

- ما اتفقت عليه المخطوطتان أثبتناه، وإذا سقط الكلام من إحدى المخطوطتين أثبتناه من الأخرى، وبينَّا في الحاشية أنه ساقط من إحدى المخطوطتين.
- إذا اختلفت المخطوطتان في كلمة، أو جملة أثبتنا في الأصل ما كان أقرب إلى سياق الكلام ومعناه، وبينا الفرق في الحاشية.
- إذا حصل تحريف وتصحيف في إحدى المخطوطتين أثبتنا الصواب من المخطوطة الأخرى، ولم ننبه على التصحيفات غالبًا.
- إذا حصل تقصير في النقط في المخطوطتين أثبتناه على الصواب بدون تنبيه على ذلك.
- إذا حصل خلاف بين النسختين في الحروف كحروف العطف، وما أشبهها أثبتنا ما كان أقرب إلى الصحة بدون تنبيه على الفرق غالبًا.
- أَثْبَتُّ الصلاة والتسليم على النبي ﷺ، أو غيره من الأنبياء حيث ذكرت، ولو في إحدى المخطوطتين بدون تنبيه على سقوطها من النسخة الأخرى، ومثل ذلك في الترضي على الصحابة والترحم على الأئمة، ومثله أيضًا في قوله (تعالى) بعد لفظ الجلالة (الله)، وأما الترضي عن الصحابة فقد أثبت كل موضع فيه الترضي من المخطوطتين، أو المطبوع.
- أكملت بعض الآيات التي يذكر المؤلف بعضها، ثم يقول: (الآية)؛ حيث يُحتَاج إلى ذلك.
- إذا اختلفت المخطوطتان في تقديم معطوف على معطوف عليه؛ فإني أُثبِت ما رأيته أقرب إلى سياق الكلام بدون تنبيه، كقوله: (وعلى أنبيائه ورسله، وعلى رسله

وأنبيائه)، وما أشبه ذلك، وذلك حيث لا يختلف المعنى.

- أضفنا بعض الكلمات اليسيرة، أو الجمل من المصادر المنقول منها، أو من المطبوع، حيث لا يفهم النص بدونها أو يختل الكلام، أو المعنى.

- أَثْبَتُّ متنَ "كتاب التوحيد" بتمامه؛ للفائدة، وإن كان المؤلف في بعض المواضع إنما يذكر بعضه، وصدرت المتن بقولي (قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ)، وأثبت أيضًا مسائل "كتاب التوحيد"، وإن لم يذكرها الشارح؛ للفائدة الكبيرة الموجودة فيها مع التنبيه ههنا على ذلك، واعتمدت في "كتاب التوحيد" على النسخة المطبوعة ضمن مؤلفات ورسائل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

- صدرت الشرح برمز (**ش**) كما فعل الشارح ذلك في مواضع كثيرة كما في المخطوطتين.

طريقة عملي في التخريج:

- أما إذا كان الحديث في "الصحيحين" أو أحدهما؛ فإني أعزوه إلى موضعه، وإن كان الحديث مكررًا؛ عزوته إلى الموضع الذي يكون مماثلًا للفظ الكتاب، أو مقاربًا له، وإلا عزوت إلى الرقم الأول، وأقتصر على العزو إلى "الصحيحين" حيث يكون الحديث فيهما ولم يعزه المصنف إلى غيرهما.

- إذا كان الحديث خارج "الصحيحين" عزوته إلى مصادره، وأصدر قبل التخريج الحكم النهائي على هذا التخريج، وأذكر شواهد الحديث وطرقه حيث يحتاج إلى ذلك.

- استفدت في تخريجي لهذا الكتاب من بعض الكتب التي خُدِمت تخريجًا وتحقيقًا، كتخريج أحاديث "مسند أحمد"، و"المسند الجامع"، و"الصحيحة"، و"الإرواء"،

وبعض التخريجات على "كتاب التوحيد" و"فتح المجيد"، ولكن بحمد الله أرجع إلى مصادر الحديث وأحكم عليه بما يستحق غيرَ مقلِّد لهم.

- ترجمت لبعض الأئمة غير المشاهير ممن تكرر ذكرهم في الكتاب بتراجم مختصرة.
- عزوت ما أمكنني عزوه من كلام الأئمة إلى مصادره من كتبهم إلا إن كان الكلام المذكور منقولًا من تفسير الآية، أو من كتب القواميس، أو غريب الحديث لاسيما لابن الأثير أبي السعادات رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإني لا أعزوا إليها؛ لسهولة الوقوف على ذلك الكلام بالرجوع إلى تفسير الآية المذكورة، أو الكلمة المذكورة من غريب الحديث.
- تراجم الرواة وتواريخ الوفيات لها كتب كثيرة مخصوصة بها؛ ولهذا لم نعز الكلام على الرجال وعلى تواريخ الوفاة إلى المصادر المذكورة؛ لكثرتها، وسهولة الوقوف عليها.
- تكرر معي في الكتاب آثار كثيرة عن مجاهد، وقتادة بإسنادين صحيحين عنهما، فاختصرت تخريجهما بقولي: (وإسناده صحيح)؛ اقتصارًا على ذكري للإسنادين ههنا.

أثر مجاهد: يرويه ابن جرير من طريق عيسى بن ميمون الجرشي، أو ورقاء بن عمر اليشكري -وكلاهما ثقة- عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد إنما نظر في كتاب القاسم بن أبي بزة عن مجاهد، قاله ابن عيينة، ويحيى القطان، وابن حبان؛ وعليه فالإسناد صحيح لأن الواسطة ثقة.

أثر قتادة: يرويه ابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به. قال يحيى القطان: سعيد بن أبي عروبة لم يسمع التفسير من قتادة. "الجرح والتعديل" (١/ ٢٤٠).

وقال أبو حاتم: سمعت أحمد يقول: لم يكن لسعيد بن أبي عروبة كتب، إنما كان حفظ ذلك كله، وزعموا أن سعيدًا قال: لم أكتب إلا تفسير قتادة، وذلك أنَّ أبا معشر كتب إلي أن

اكتبه. «الجرح والتعديل» (٤/ ٦٥).

قلتُ: سعيد بن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة، وقد جزم أحمد بأنه حفظ تفسير قتادة؛ وعليه فالإسناد صحيح، والله أعلم.

هذا وإذا كان الأثر عن مجاهد، وقتادة من غير هذين الإسنادين؛ فإني أذكر الأسانيد وأبين حالها.

- تكرر معي ذكر سلسلة العوفيين، وهي سلسلة ضعيفة جدًّا، أذكرها ههنا اكتفاءً عن التكرار في كل موضع: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا محمد بن سعد، عن أبيه، عن عمه، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس.

وإليك تراجمهم:

- **محمد بن سعد:** هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، قال الخطيب: لين الحديث. وقال الدارقطني: لا بأس به.
- **أبوه:** وهو سعد بن محمد، قال أحمد: جهمي لا يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعًا لذلك.
- **وعمه:** أي: عم سعد، هو الحسين بن الحسن بن عطية، وهو ضعيف.
- **وأبوه:** أي أبو الحسين، هو الحسن بن عطية، وهو ضعيف.
- **وجده:** وهو عطية العوفي، وهو ضعيفٌ أيضًا، ومدلس.

هذا والتقصير والزلل حاصل من ابن آدم مهما اجتهد، فمن وقف على خطإٍ فليفدنا به، وجزاه الله عنَّا خيرًا، وكذلك من وقف على فائدة وتنبيه يستحق أن يذكر فليتحفنا به، وشكر الله له.

وأقول أخيرًا: جزى الله خيرًا كل من أعانني في التخريج، والتعليق على هذا الكتاب، سواء كان ذلك بالمقابلة، أو بالعثور على فائدة، أو بالتنبيه على ما يستحق التنبيه عليه، شكر الله سعيهم، وعافاهم في الدنيا والآخرة.

هذا وأشكر أخانا الفاضل أبا أنس عصام بن عثمان القباطي على اعتنائه بهذا الكتاب، وتنسيقه، فأسأل الله أن يوفقه ويسدده، وأن يعصمه من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأشكر أخي المبارك المفضال الناصح الكريم، أبا خالد سرور بن أحمد بن معيض الوادعي على جهوده المتكررة معي في طلب العلم، وعلى نصائحه الغالية، وتوجيهاته الرشيدة، فأسأل الله جل وعلا أن يجزل له المثوبة، وأن يغفر له ولوالديه وأهليه، وأسأله جل وعلا أن يبارك له فيما رزقه وأعطاه، وأن يسدده، وأن يقيه فتنة المحيا والممات.

وكذلك أسأل الله جل وعلا أن يغفر لجميع مشايخي، وأن يحفظهم، ويسددهم، ويعافيهم في الدنيا والآخرة، ولا سيما شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله الذي كان سببًا في هدايتنا، وعلَّمَنا، وصبر علينا، فغفر الله له، وأسكنه في الفردوس الأعلى، ثم شيخنا الناصح الأمين يحيى بن علي الحجوري الذي قام على دار الحديث بدماج قيامًا يشكر عليه، فشكر الله له، وغفر له.

وأسأل الله عزوجل أن يغفر لي، ولوالدي، ولسائر المسلمين، وأسأله جل وعلا أن يجعل ما كتبته خالصًا لوجهه، وأن ينفعني به في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

سبحانك اللهم وبحمدك

لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كتبه/ أبو عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي

يوم الاثنين الموافق (٢٩/ جمادى الآخر/ ١٤٣٠هـ) في دار الحديث بدماج حرسها الله

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا
على الظالمين كالمبتدعة والمشركين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه أجمعين اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما
أما بعد فإن كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب أعظم الله له الأجر والثواب وغفر له ولمن
أجاب دعوته يوم يقوم الحساب قد جاء بديعا في معناه من بيان
التوحيد ببراهينه وجمع جملا من أدلته لتبيينه فصار علما للموحدين
وحجة على الملحدين فانتفع به الخلق الكثير والجم الغفير
فإن هذا الإمام رحمه الله تعالى في مبدأ نشأته قد شرح الله صدره
للحق المبين الذي بعث الله به المرسلين من إخلاص العبادة بجميع
أنواعها لله رب العالمين وإنكار ما كان عليه الكثير من شرك
المشركين فأعلى الله همته وقوى عزيمته فتصدى لدعوة أهل
نجد إلى التوحيد الذي هو أساس الإسلام والإيمان ونهاهم عن
عبادة الأشجار والأحجار والقبور والطواغيت من الأوثان
وعن الإيمان بالسحرة والمنجمين والكهان فأبطل الله بدعوته كل
بدعة وضلالة يدعو إليها كل شيطان وأقام الله به علم الجهاد
وأدحض به شبه المعارضين من أهل الشرك والعناد و
دان بالإسلام أكثر أهل تلك البلاد الحاضر منهم والباد وانتشرت
دعوته ومؤلفاته في الآفاق حتى أقر له بالفضل من كان من أهل
الشقاق إلا من استحوذ عليه الشيطان وكره إليه الإيمان
فأصر على العناد والطغيان وقد أصبح أكثر أهل جزيرة العرب
بدعوته كما قال قتادة رحمه الله عن حال أول هذه الأمة إن
المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت
عليهم فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويظهرها على من ناوأها

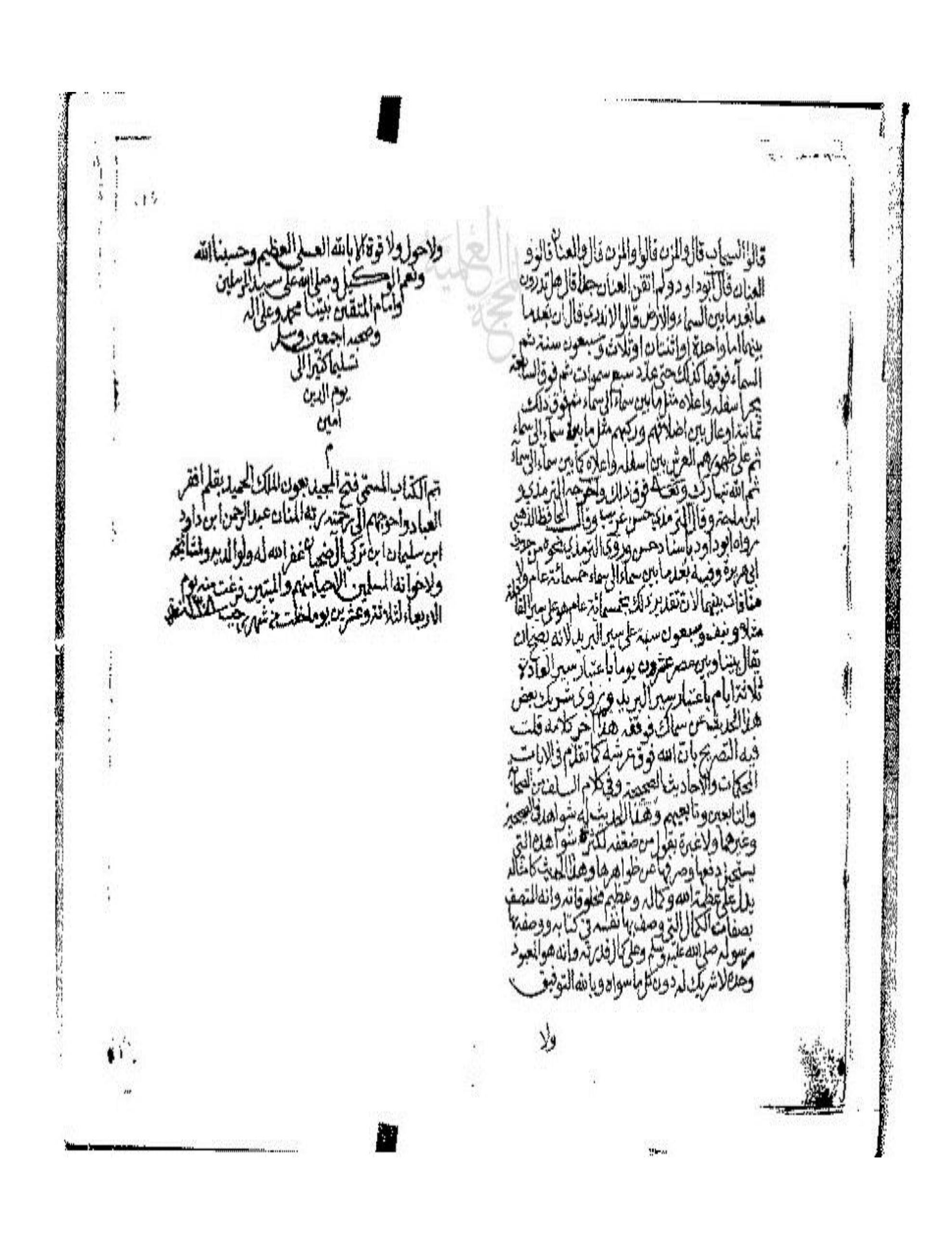
إنها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر إنما يعرفها
أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل
ويسير الراكب في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها فقد
انشرحت صدور كثير من العلماء لدعوته وسروا واستبشروا بها
وأثنوا عليه نثرا ونظما فمن ذلك ما قاله عالم صنعاء محمد بن إسماعيل
الأمير عن هذا الشيخ رحمه الله تعالى شعرا

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ود
وكم هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ... ومستلم الأركان منهن باليد

لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلى الضلال ويرفع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى ... وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه ... وأوهى به من مطلع الشرك مهيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها ... سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمر في منهاج سنة أحمد ... يشيد ويحيي ما تعفى ويرفع
يناظر بالآيات والسنة التي ... أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها ... وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا ... وقد كان مسلوكا به الناس ترتع
وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضيء وتلمع

وأما كتابه المذكور فموضوعه في بيان ما بعث الله به رسله من
توحيد العبادة وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة وذكر ما ينافيه
من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحوه

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة الأولى



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة الثانية



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة الثانية



مُقَدِّمَةُ الْـمُؤَلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين [وعليه التكلان].[١]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، كالمبتدعة والمشركين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيُّوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه أجمعين، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فإن كتاب التوحيد -الذي ألفه الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب [أجزل][٢] الله له الأجر والثواب، وغفر له ولمن أجاب دعوته يوم يقوم الحساب- قد جاء بديعًا في معناه، من بيان التوحيد ببراهينه، وَجَمْعِ جُمَلٍ من أدلته [لإيضاحه وتبيينه][٣]؛ فصار عَلَمًا للموحدين، وحجة على الملحدين، فانتفع به الخلق الكثير، والجم الغفير؛ فإن هذا الإمام رَحِمَهُ اللهُ [في][٤] [مبتدإ][٥] نشأته قد شرح الله صدره للحق المبين، الذي بعث [الله][٦] به المرسلين، من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما [كان][٧] عليه الكثير من شرك المشركين، فأعلى الله همته، وقوى عزيمته، فتصدَّى لدعوة أهل نجد إلى

(١) ساقط من النسخة [أ].

(٢) في [أ]: أعظم.

(٣) في [أ]: لتبيينه.

(٤) ساقط من النسخة [أ].

(٥) في [أ]: مبدأ.

(٦) ساقط من النسخة [ب].

(٧) ساقط من النسخة [ب].

التوحيد، الذي هو أساس الإسلام والإيمان، ونهاهم عن عبادة الأشجار، والأحجار، والقبور، والطواغيت، [والأوثان][(١)]، وعن الإيمان بالسحرة، والمنجمين، والكهان، فأبطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة يدعو إليها كل شيطان، وأقام الله به عَلَمَ الجهاد، وأدحض به شبه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودان بالإسلام أكثر أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد، وانتشرت دعوته ومؤلفاته في الآفاق، حتى أقرَّ له بالفضل من كان من أهل الشقاق، إلا من استحوذ عليه الشيطان، وكَرَّهَ إليه الإيمان، فأصر على العناد والطغيان.

وقد أصبح أكثر أهل جزيرة العرب بدعوته، كما قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ عن حال أول هذه الأمة: إن المسلمين لما قالوا: (لا إله إلا الله) أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، [وضاق بها إبليس وجنوده][(٢)]، فأبى الله إلا أن يمضيها ويظهرها، وينصرها على من ناوأها[(٣)]، إنها كلمة من خاصم بها فَلَج، ومن قاتل بها نُصِر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة [من المسلمين][(٤)] التي يقطعها الراكب في ليالٍ قلائل، ويسير الراكب في فئام من الناس، لا يعرفونها ولا يقرون بها.

[وقد شرح الله][(٥)] صدور كثير من العلماء لدعوته، وسُرُّوا واستبشروا بطلعته، وأثنوا

(١) في [أ]: من الأوثان.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٣) **صحيح**. أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الشورى عند قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣]، وهو من طريق: سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، وسعيد لم يسمع التفسير من قتادة. قاله يحيى القطان كما في "مقدمة الجرح والتعديل" (ص٢٤٠)، لكن سعيد بن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة؛ فالذي يظهر أنه أخذ التفسير من كتب قتادة، أو من بعض الثقات؛ لذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: حفظ تفسير قتادة. انظر: "موسوعة أقوال أحمد" (٢/ ٤٢-٤٣)، فالذي يظهر أنَّ الأثر صحيح، ولا عبرة بنفي السَّماع؛ لأنه قد حفظ التفسير، سواء من كتبه، أو من كتب بعض التلاميذ.

(٤) ساقط من النسخة [ب].

(٥) في [أ]: فقد انشرحت.

عليه نثرًا ونظمًا، فمن ذلك ما قاله عالم صنعاء: محمد بن إسماعيل الأمير [في][1] هذا الشيخ رحمه الله تعالى [شعرًا][2]:

وقــد جــاءت الأخبــار عنــه بأنــه — يعيد لنـا الشـرع الشـريف بـما يُبـدي

وينشر جهـرًا مـا طَـوىٰ كـل جاهـلٍ — ومبتــدع منــه، فوافــق مــا عنــدي

ويعمــر أركــان الشــريعة هادمــا — مشاهد، ضل الناس فيها عـن الرشـد

أعــادوا بهــا معنــىٰ ســواع ومثلــه — يغــوثُ ووَدٍّ، بــئس ذلــك مــن وَدِّ

[وقد][3] هتفوا عند الشدائد باسـمها — كما يهتف المضطر بالصـمد الفـرد[4]

وكم عقـروا في سـوحها مـن عقيـرةٍ — أهلـت لغيـر الله جهـرا علـىٰ عمـد

وكــم طــائف حــول القبــور مُقَبِّــلٍ — ومستلم [الأركان][5] مـنهن بالأيـدي[6]

وقال شيخنا [عالم الإحساء][7] أبو بكر حسين بن غنام[8] رحمه الله تعالى فيه:

لقـد رفـع المـولىٰ بـه رُتبـةَ الهـدىٰ — بوقــت بــه يُعلَــىٰ الضــلالُ ويُرفــع

سقاه نميـر[9] الفهـم مـولاه فـارتوىٰ — وعــام بتيَّــار المعــارفِ يقطــع

---

(١) في [أ]: عن.

(٢) ساقط من النسخة [ب].

(٣) في [أ]: وكم، والمثبت من [ب]، ومن الديوان.

(٤) الفرد جاء ذكره من أسماء الله في ذاك الحديث الطويل الذي فيه سرد الأسماء، وهو مدرج من بعض الرواة، وهو حديث ضعيفٌ سيأتي إن شاء الله تخريجه في الكتاب حيث ذكره الشارح في باب (٥٠)، فعلىٰ هذا يتوقف في تسمية الله تعالىٰ بالفرد؛ فلا يُقال هو من أسمائه، ولا يُقال هو ليس من أسمائه، بل يُقال: لم يثبت فيه دليل أنه من أسمائه. وأما من حيث الإخبار؛ فهو فردٌ: بمعنىٰ أنه واحد؛ فلا بأس أن يُذكر من باب الإخبار، فلا انتقاد إذن علىٰ الصنعاني رحمه الله.

(٥) ساقط من [ب].

(٦) هذه الأبيات قطعة من قصيدة طويلة أثنىٰ بها الصنعاني رحمه الله علىٰ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ومطلعها:

سـلامٌ عـلىٰ نجـدٍ ومن حـلَّ في نجـدِ — وإن كـان تسليمـي عـلىٰ البعد لا يُجـدي

راجع «الديوان» (ص١٢٨-١٢٩).

(٧) ساقط من النسخة [ب].

(٨) له ترجمة في كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد»، قال عنه: كانت له اليد الطُّولَىٰ في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر، والنثر، وصنف مصنفات، توفي سنة (١٢٥٥هـ).

(٩) النمير: هو الماء الزاكي الناجع في الري. «لسان العرب».

فأحيا به التوحيد بعد اندراسه وأوهَىٰ به من مطلع الشرك مهيع[١]
سما ذِرْوة المجد التي ما ارتقىٰ لها سواه ولا حاذىٰ فناها سَمَيْدع[٢]
وشمَّر في منهاج سنة أحمد يُشيد ويُحيي ما تَعفَّىٰ، ويَرفع
يُناظر بالآيات والسنة التي أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاءُ يَبْسُمُ ثَغْرُها وأمسىٰ مُحَيَّاها يُضيء ويلمع
وعاد به نهجُ الغواية طامسا وقد كان مسلوكًا به الناس تربع[٣]
وَجرَّت به نجد ذيول افتخارها وَحُقَّ لها بالألمعي[٤] ترفع
فآثارُه فيها سَوامٍ[٥] سوافر[٦] وأنواره فيها تضيء وتلمع

وأما كتابه المذكور فموضوعه في بيان ما بعث الله به رسله، من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب، من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه.

وقد تصدَّى لشرحه حفيد المصنف، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما [يجب][٧] أن يطلب منه ويراد، وسماه "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد"، وحيث أطلق: (شيخ الإسلام) فالمراد به: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، و (الحافظ) فالمراد به أحمد بن حجر العسقلاني.

---

(١) طريقٌ مهْيعٌ: واسع، واضحٌ، بَيِّن. "لسان العرب".
(٢) السَّمَيْدعُ: بفتح السين، وبالدال المهملة هو الكريم، السيد، الجميل، الجسيم، الشجاع. "لسان العرب".
(٣) التربع: مأخوذٌ من الرَّبْعة، يُطلق علىٰ الوقوف، والاحتباس علىٰ الشيء، ويطلق علىٰ السير الشديد. "لسان العرب".
(٤) الألمعي: هو الدَّاهي الذي يتظنن الأمور فلا يخطئ. "لسان العرب".
(٥) جمع سائمة، أي: أنَّ آثاره ترتع، بمعنىٰ يستفيد الناس من آثاره. "لسان العرب".
(٦) جمع سافرة، بمعنىٰ: آثاره ظاهرة.
(٧) في النسخة [ب]: يحب.

ولما قرأت شرحه رأيته [قد][(١)] أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار يستغني بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله، فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتميما للفائدة وسميته "فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد".

واللهَ أسأل أن ينفع به كل طالب للعلم ومستفيد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ومُوصِلًا من سعى فيه إلى جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) ساقط من [ب].

قال المصنف رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم.

ش/ ابتدأ كتابه بالبسملة؛ اقتداءً بالكتاب العزيز، وعملًا بحديث: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم؛ فهو أقطع**» أخرجه ابن حبان من طريقين.[(١)]

قال ابن الصلاح: والحديث حسن.

ولأبي داود، وابن ماجه: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله، أو بالحمد؛ فهو أقطع**»، ولأحمد: «**كل أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله؛ فهو أبتر أو أقطع**»، وللدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله؛ فهو أقطع**».[(٢)]

والمصنف رحمه الله قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر؛ وللحديث المتقدم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقتصر عليها في مراسلاته، كما في كتابه لهرقل عظيم الروم، ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها بالبسملة، وَثَنَّى بالحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله، وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة نسبي إضافي، أي: بالنسبة إلى ما

---

(١) **ضعيفٌ جدًّا**. الحديث بهذا اللفظ شديد الضعف، في سنده: أحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجَنَدي، اتهمه ابن الجوزي بالوضع كما في "لسان الميزان"، وهذا الحديث لم يخرجه ابن حبان بهذا اللفظ، وإنما أخرجه برقم (١ ، ٢) بلفظ: «**كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله...**» الحديث، وإنما أخرجه باللفظ السابق الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي والسامع" برقم (١٢١٠)، والسُّبُكي في "طبقات الشافعية" (١/ ١٢)، وغيرهما.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أبو داود برقم (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد (٢/ ٣٥٩)، والدارقطني (١/ ٢٢٩)، وابن حبان (١، ٢)، وكل هذه الألفاظ من طريق قرَّة بن عبدالرحمن عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقرَّةُ ضعيف، وخالفه الحُفَّاظُ فرووه عن الزهري مرسلًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالموصول منكر؛ لأنَّ الضعيف خالف الثقات، منهم: يونس، وشعيب بن أبي حمزة، وعقيل، وغيرهم، ورجَّح المرسل أبو داود، والدارقطني، وغيرهما، ولعل الاختلاف في ألفاظه من قرَّة بن عبدالرحمن؛ لأنه ضعيفٌ.

تنبيه: رواية أبي داود: «**فهو أجذم**».

بعد الحمد يكون مبدوءًا به.

والباء في (بسم الله) متعلقة بمحذوف، اختار كثير من المتأخرين كونه فعلا خاصًّا [متأخرًا، أما كونه فعلًا؛ فلأن الأصل في العمل للأفعال، وأما كونه خاصًّا][(١)]؛ فلأن كل مبتدئٍ بالبسملة في أمر يُضْمِرُ ما جعل البسملة مَبْدأً له.

وأما كونه متأخرًا؛ فلدلالته على الاختصاص، [ولأنه][(٢)] أدخل في التعظيم، وأوفق للوجود[(٣)]، ولأن أهم ما يُبدأ به ذكرُ الله تعالى.

وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى لحذف العامل فوائد:

منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله. **ومنها:** أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالبسملة في كل عملٍ وقولٍ، وحركةٍ؛ فكان الحذفُ أعمَّ. انتهى ملخصًا.[(٤)]

وباء (بسم الله) للمصاحبة. وقيل: للاستعانة. فيكون التقدير: (بسم الله أُؤَلِّفُ حال[(٥)] كوني مستعينًا بذكره، متبركًا به)، وأما ظهوره في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] وفي ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:٤١]؛ فلأن المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى.

والاسم مشتقٌّ من السُّمُو، وهو العلو. وقيل: من الوسم، [وهو][(٦)] العلامة؛ لأن كل ما سُمِّيَ فقد نوه باسمه ووُسِم.[(٧)]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة [أ].

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الذي يظهر –والله أعلم– أنه يريد: أن تقديم الاسم أعظم بركة؛ فيكون ذلك أعظم تحقيقًا لوجود المطلوب.

(٤) انظر: "بدائع الفوائد" (١/ ٢٥).

(٥) في [أ]: حالة.

(٦) في [أ]: وهي.

(٧) القول بأنه مشتق من السمو أظهر، وهو قول البصريين، والثاني قول الكوفيين، والذي يدل على أنه=

قولهُ: (الله).

قال الكسائي، والفَرَّاء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدةً مشدَّدةً مُفَخَّمَةً.

قال [العلامة][(١)] ابن القيم رحمه الله: الصحيح أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ، وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى[(٢)]، والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على [صفة][(٣)] له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك؛ فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة[(٤)]، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقيةٌ لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متوَلِّدَةٌ منه تَوَلُّدَ الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: (أصلًا وفرعًا)، ليس معناه أن أحدهما مُتَوَلِّدٌ من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.[(٥)]

= مشتق من السمو قولك: (سميته)، ولا تقول: (وسمته)، وكذلك تقول في ا لجمع (أسماء)، ولا تقول: (أوسام)، وتقول في التصغير: (سمي)، ولا تقول: (وسيم)، ويقال لصاحبه: (مُسمًّىٰ)، ولا يقال: (موسوم)، وهذا هو ترجيح شيخ الإسلام كما في "الفتاوىٰ" (٦/ ٢٠٧).

(١) ساقط من [ب].

(٢) لفظ (الله) جمعَ معاني الأسماء الحسنىٰ، والصفات العُلىٰ؛ لأن لفظ الجلالة اشتمل علىٰ صفة الألوهية، وهي العبودية، وهو يتضمن جميع الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ؛ لأنه لا يستحق العبودية إلا من كان كامل الأوصاف المتعلقة به، سواء بذاته، أو المتعدية إلىٰ الغير فـ(الله) يستلزم جميع صفات الكمال، فلا يستحق العبودية وهو ميت ليس بحي، أو جاهل ليس بعالم...

(٣) في [أ]: أنه صفة.

(٤) ليس المراد بأن (الله) مشتق من الألوهية: أنَّ اسم الله اشتق من المصدر، ولم يكن سمي به؛ فهذا غير صحيح، بل الله لم يزل يسمىٰ به أزلًا، فهو أول، وأسماؤه أولية؛ فإنه لم يسم باسم لم يكن يسمىٰ به، ولكن المقصود بأنه مشتق أنه يلاقي مصادر وأفعالًا من جنس حروفه كما سيذكر ابن القيم رحمه الله.

(٥) انظر: "بدائع الفوائد" (١/ ٢٢-٢٣).

قال أبو جعفر بن جرير: (الله) أصله (الإله) أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة، وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة[(١)]، وأما تأويل (الله)؛ فإنه على معنى ما روي لنا عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق. وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.[(٢)]

فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة؟ وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فَعَلَ وَيَفْعَلُ؟ وذكر بيت رؤبة بن العَجَّاج:

لله دَرُّ الْغَـانِيَـاتِ الْـمُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّـهِي[(٣)]

يعني: من تعبدي وطلبي الله بعملي.

ولا شك أن التأله التفعل، من أَلَهَ يَأْلَهُ، وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد [نطقت منه][(٤)] بفعِلَ يفعَلُ بغير زيادة، وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، وساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ ﴿ويذرك وإلاهتَكَ﴾ قال: عبادتك. ويقول: [(إنه كان يُعبد ولا يَعْبُد).[(٥)]

وساق بسند آخر عن ابن عباس (ويذرك وإلاهتك)، قال:][(٦)] إنما كان فرعون يُعبد

---

(١) في [أ]، و[ب]: انتهىٰ. ولم نثبتها؛ لأن الكلام ما زال لابن جرير لم ينته بَعْدُ.

(٢) ضعيفٌ. ذكره ابن جرير عند تفسير البسملة من سورة الفاتحة، وفيه: بشر بن عمارة، وهو ضعيفٌ، وكذلك الضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) المدَّه: جمع مادِه، وهو المادح، والتَّمَدُّه التمدح كما في "الصحاح" و"لسان العرب".

(٤) في [أ]: نطقته.

(٥) صحيح. هذا الأثر أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف عند الآية: [١٢٧]، وله خمس طرق، اثنان منها صحيحان.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

ولا يَعبد. وذكر مثله عن مجاهد[1]، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد أن (أله) عبد، وأن (الإلاهة) مصدره، وساق حديثًا عن أبي سعيد مرفوعًا «**إن عيسىٰ** عليه السلام **أسلمته أمه إلىٰ الكُتَّاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب [بسم الله]**[2]**، فقال عيسىٰ: أتدري ما الله؟ الله إله الآلهة**».[3] اهـ[4]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية... .

ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق به ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**»[5]، وكيف تُحصَى خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل [مدح و][6] حمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل إجلال، وكل [كمال][7]، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود، وفضل، وبر، فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هَمٍّ وغَمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا

---

(١) صحيح. أثر مجاهد أخرجه ابن جرير في تفسير آية [١٢٧] من سورة الأعراف، بإسناد صحيح.

(٢) في [أ]: الله.

(٣) موضوع. أخرجه ابن جرير في تفسير البسملة من سورة الفاتحة، وأخرجه كذلك ابنُ عدي في "الكامل" (١/ ٢٩٩)، وابن حبان في "المجروحين" (١/ ١٢٦-١٢٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (٧/ ٢٥٢)، وفيه: إسماعيل بن يحيىٰ بن عبيدالله التيمي، كذاب، وضَّاع، وفي إسناده أيضًا: عطية العوفي، وهو ضعيفٌ، ومدلس، والحديث ذكره ابن الجوزي في "الموضوعات" (٤١٤)، والشوكاني في "الفوائد المجموعة" (ص٤٩٧).

(٤) راجع "تفسير الطبري" (١/ ٥٤).

(٥) قطعة من حديث أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) ساقط من [أ].

(٧) في [أ]: إكرام.

كشف ضره، ولا شريد إلا آواه. فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، [وتستنزل][(١)] به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به السماوات والأرض ، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار.

وبه عبد رب العالمين وحمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر، ويوم البعث والنشور، وبه الخصام، [وإليه][(٢)] المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه؛ فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق، ولا أمر، ولا ثواب، ولا عقاب إلا مبتدئًا منه منتهيًا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.[(٣)]

قوله: (الرحمن الرحيم).

قال ابن جرير: حدثني السري بن يحيى، حدثنا عثمان بن [زفر][(٤)]، سمعت [العرزمي][(٥)] يقول: [﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾][(٦)] قال: الرحمن بجميع الخلق،

(١) في [أ]: وتتنزل.

(٢) في [أ]: وبه.

(٣) لم أقف على مصدر هذا النص من كلام ابن القيم رحمه الله.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) في [أ]: العزرمي، وفي [ب]: الغزرمي، والذي أثبته هو الصواب كما في كتب التراجم.

(٦) ساقط من [ب].

والـرحيم بالـمؤمنين.[(١)]

وساق بسنده عن أبي سعيد -يعني الخدري- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عيسىٰ ابن مريم قال: الرحمن: رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم: رحيم الآخرة**».[(٢)]

قال ابن القيم رحمه الله: [واسم][(٣)] الله تعالى دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا، يألهه الخلائق؛ محبةً وتعظيمًا وخضوعًا، ومفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته [المتضمنين][(٤)] لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا [فعال][(٥)] لما يريد، ولا حكيم في [أقواله][(٦)] وأفعاله.

فصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله)، وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة وكمال [القوة][(٧)] وتدبير أمر الخليقة أخص باسم (الرب)، وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والرأفة واللطف أخص باسم (الرحمن).

فالرحمن دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه و(الرحيم) دالٌّ على تعلقها بالمرحوم.

---

(١) **الأثر حسن**. أخرجه ابن جرير (١/ ٥٥)، وإن كان العرزمي وهو محمد بن عبيدالله شديد الضعف، لكن هذا من قوله، ولم يسنده.

(٢) هذا الحديث هو قطعة من حديث عيسىٰ عليه السلام المتقدم قريبًا، وفيه: إسماعيل بن يحيىٰ بن عبيدالله التيمي، وهو كذاب، وانظر "تفسير الطبري" (١/ ٥٦).

(٣) في [ب]: واسمه.

(٤) في [ب]: المتضمنتين.

(٥) في [أ]: فاعل.

(٦) ساقط من [أ].

(٧) في [أ]: القدرة.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْـمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ١١٧]، ولم يجيء قط (رحمن بهم).[1]

وقال: إن أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت؛ فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا لاسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]. انتهى ملخصًا.[2]

---

(١) **الفرق بين الرحمن والرحيم:**

اختلفوا فيه علىٰ عدة معانٍ، وأصح ما قيل في هذه الفروق ما ذكره ابن القيم هنا.

ومنهم من قال: (الرحمن) ذو الرحمة العامة لجميع الخلائق بما يكفله لهم في الحياة وما يحتاجونه، و(الرحيم) ذو الرحمة الخاصة.

ومنهم من قال: (الرحمن)، أي: رحمن الدنيا والآخرة، و(الرحيم)، أي: في الآخرة.

والـراجح: هو القول الأول، وهو قول ابن القيم: أنَّ (الرحمن) دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه. و(الرحيم) دالٌّ علىٰ تعديها للمخلوقين.

وقول العرزمي يُشكل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣/ الحج:٦٥]، فقد عدَّاها إلىٰ الناس عامة.

(٢) من "مدارج السالكين" (١/ ٣٢-٣٣)، و"بدائع الفوائد" (١/ ٢٤).

قال المصنف رحمه الله: الحمد لله.

ش/ معناه: الثناء بالكلام[١] على [الجميل][٢] على وجه التعظيم[٣]، فمورده: اللسان والقلب، والشكر يكون باللسان، والجنان، والأركان[٤]، فهو أعم من الحمد متعلقًا،

(١) قال ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٢/ ٩٥): فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر أو لا؛ فإن تكرر فهو الثناء وإن لم يتكرر فهو الحمد؛ فإنَّ الثناء مأخوذٌ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه علىٰ بعض، ومنه: ثنيت الثوب، ومنه: التثنية في الاسم، فالمثني مكرر لمحاسن من يثني عليه مرة بعد مرة، ثم تأمل تنزيل قوله تعالىٰ فيما رواه عنه رسول الله ﷺ حين يقول العبد: «**الحمد لله رب العالمين، فيقول الله: حمدني عبدي. فإذا قال: الرحمن الرحيم. قال: أثنىٰ عليَّ عبدي**»؛ لأنه كرر حمده.انتهىٰ بتلخيص يسير.

وقال رحمه الله في (٢/ ٩٣): فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه، وإجلاله، وتعظيمه.اهـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ٣٧٨): الحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها.اهـ

(٢) وقع في المطبوعات (الجميل الاختياري)، وقوله (الاختياري) ليس موجودًا في المخطوطتين.

(٣) **قوله: (علىٰ الجميل)**، أي: الأشياء الممدوحة والجميلة. **الاختياري:** أخرج غير الاختياري، كالطول والقصر، والبياض والسواد، والفقر والغِنَىٰ، فلا يقل (أحمده علىٰ قصره، أو علىٰ طوله)؛ لأنها ليست من فعله. **قوله: (علىٰ وجه التعظيم):** أخرج ذكر المحاسن علىٰ غير وجه التعظيم، وهو المدح، وبهذا قال ابن القيم رحمه الله كما في "بدائع الفوائد" (٢/ ٩٣).

(٤) شكر اللسان يكون بالثناء، وشكر القلب يكون بالاعتراف بالنعمة، والمحبة، والتعظيم، وشكر الأركان بطاعة الله عزوجل فيها، قال الشاعر:

أفادتكم النَّعْمـاء مني ثلاثــة ... يدي ولساني والضمير الـمحجَّبـا

والأدلة على أنّ الأعمال تُعتبر شكرًا:

١) قوله تعالىٰ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾[سبأ:١٣].

٢) قوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة:١٥٢].

٣) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [النحل:١٢٠-١٢١].

٤) حديث: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»، قال ذلك عليه الصلاة والسلام حين كان يقوم الليل حتىٰ تفطر قدماه، فقيل له: قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال ذلك. متفق عليه عن عائشة، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.

وأخص سببًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة، والحمد أعم سببًا وأخص موردًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها، فبينهما عموم وخصوص وجهي، يجتمعان في مادة وينفرد كل واحد عن الآخر في مادة.[(١)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ، وصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّم.

ش/ أصح ما قيل في معنى صلاة الله على عبده: ما ذكره البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عن أبي العالية قال: «صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة»،[(٢)] وقرره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، ونصره في [كتابيه][(٣)] "جلاء الأفهام" و "بدائع الفوائد".

(١) يجتمع الحمد مع الشكر إذا ذكر المحاسن مع التعظيم بلسانه مقابل نعمة، وينفرد الحمد عن الشكر إذا ذكر المحاسن مع التعظيم بلسانه بدون مقابل لنعمة. وينفرد الشكر عن الحمد إذا شكر الله تعالىٰ بجوارحه بطاعة ربه بها.

(٢) أولًا: الصلاة في اللغة هي الدعاء، وقيل: التعظيم. والله يقول: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦]، فصلاة الملائكة عليه معناها: الدعاء، كما في حديث: «**فإن الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»، وأما صلاة الله علىٰ نبيه فقد ذكروا أثر أبي العالية الذي علقه البخاري في "صحيحه" في [باب (١٠)] من تفسير سورة الأحزاب، ووصله إسماعيل القاضي في "فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ" برقم (٩٥)، وفيه: أبو جعفر الرازي عيسىٰ بن ماهان، الراجح ضعفه، والبخاري كأنه تسامح فيه من حيث أنه أثر، والعلماء قد يتسامحون في بعض الآثار نوعًا ما.

وعلىٰ كُلٍّ فصلاة الله علىٰ نبيه فُسِّرت بالمغفرة والرحمة، وفسرت بثناء الله عليه عند الملائكة، وقد رد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ علىٰ من فسرها بالرحمة والمغفرة، أولًا: لأنه ليس هناك ارتباط في اللغة بين الصلاة، والرحمة، والمغفرة؛ فإنه لا يقال لمن رحم مسلمًا، أو عفا عنه (إنه صلىٰ عليه)، فقال: هذا ليس له أصل من اللغة. وثانيًا: رد عليهم بأن الله قد فرَّق بين الرحمة وصلاته كما قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٧]، وأيضًا: صلاة الله تكون علىٰ الأنبياء والمؤمنين، وأما الرحمة فإنها تسع كل شيء كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وله ردود أخرىٰ، فيراجع "جلاء الأفهام" (ص١٥٩-).

والصحيح أن معناها ثناء الله عليه في الملإِ الأعلىٰ؛ لأنَّ الصلاة تأتي بمعنىٰ الثناء كما قرره ابن القيم، ولا يمكن أن نقول: إن معناها الدعاء.

(٣) في المخطوطتين: (كتابه) والمثبت أقرب.

قلت: وقد يراد بها الدعاء،[(١)] كما في "المسند" [عن][(٢)] عليٍّ مرفوعًا: «**الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه: اللهم اغفر له اللهم ارحمه**».[(٣)]

قولهُ: (وعلى آله).

أي: أتباعه على دينه، نَصَّ عليه الإمام أحمد هُنَا،[(٤)] وعليه أكثر الأصحاب، وعلى هذا فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين.

---

(١) يُراد بها الدعاء في غير إضافتها إلىٰ الله تعالىٰ، وأما عند إضافتها إلىٰ الله فلا يصح أن يُقال يُراد بها الدعاء.

(٢) في [أ]: من حديث.

(٣) **صحيح لغيره**. أخرجه أحمد (١/ ١٤٤)، وفيه: عطاء بن السائب مختلطٌ، ولكن له شاهد في "الصحيحين"، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلىٰ فيه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»، أخرجه البخاري برقم (٦٥٩)، ومسلم برقم (٢٧٢) من [كتاب المساجد]، وكان الأولىٰ أن يذكره المؤلف بدل حديث علي رضي الله عنه.

(٤) اختلفوا في الآل علىٰ أقوال:

- فمنهم من فسره بالأتباع لدينه إلىٰ يوم القيامة، واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر:٣٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].
- ومنهم من فسره بأنهم الذين تحرم عليهم ا لصدقة، وهم: بنو هاشم، وبنو عبد المطلب علىٰ قول بعض العلماء.
- ومنهم من قال: هم أزواجه، وذريته؛ لحديث: «**اللهم صلِّ علىٰ محمد، وأزواجه، وذريته**» الحديث، انظر "جلاء الأفهام" (ص٢٣٦-).

والراجح أنَّ الآل قد يُراد به من تحرم عليهم الصدقة كما في حديث: «**فإنها لا تحل لآل محمد**»، وقد يراد به أتباعه. ومادام أنه يحتمل لها عدة احتمالات؛ فيحمل قول المصنف هنا علىٰ الأعم، وهم أتباعه علىٰ دينه، فيشمل أزواجه، وقرابته المؤمنين منهم، ويشمل من اتبعه علىٰ دينه من المؤمنين كافة، وهذا هو ترجيح ابن عثيمين رحمه الله.

وإذا ذكر مع الآل الأتباع فهنا يخص الآل بقرابته، وأهل بيته المؤمنين منهم فقط، حتىٰ قال الشاعر:

آل النبي هـم أتبـاع ملتـه ... مـن الأعاجـم والسودان والعـرب
لو لـم يكـن آله إلا قـرابتـه ... صـلىٰ الـمصلي علىٰ الطَّاغي أبي لـهبِ

والبيت الثاني للشاعر فيه نظر؛ فإنَّ القائلين بأنَّ آله هم قرابته يقولون: الصلاة تكون للصالحين منهم دون الكافرين، ومنهم من يقول: هم المؤمنون من قرابته.

كِتَـابُ التَّوْحِيدِ

قال المصنف رحمه الله: كِتَـابُ التَّوْحِيدِ.

ش/ كتاب: مصدر كتب يَكْتُب كِتابًا، وكِتابة، وكَتْبًا، ومدار المادة على الجمع.

ومنه: تَكَتَّبَ بنو فلان، إذا اجتمعوا، والكتيبة لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم؛ لاجتماع الكلمات والحروف، وَسُمِّي الكتاب كتابًا؛ لجمعه ما وضع له.

والتوحيد نوعان:[1] توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء

(١) **التوحيد في اللغة:** مصدر وحَّد يوحِّدُ توحيدًا.

وفي الشرع: إفراد الله عزوجل بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته.

فتوحيد الألوهية: إفراد الله تعالىٰ بالعبادة. وتوحيد الربوبية: إفراد الله تعالىٰ بأفعاله. وتوحيد الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو نبيه في سنته، ونفي ما نفاه عنه من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف.

فائدة: أول من قسم التوحيد إلىٰ هذه الثلاثة الأقسام:

وجد في كلام المتقدمين من العلماء ذكر الأقسام الثلاثة، وأما التنصيص علىٰ تقسيمه إلىٰ ثلاثة أقسام فهو باستقراء أدلة الكتاب والسنة، ولم يوجد عند المتقدمين من عصر الصحابة ومن بعدهم هذا التقسيم الثلاثي صريحًا، لكن جاء متأخرًا من باب تقريب فهم الآيات؛ فهو ليس تقسيمًا مبتدعًا غيرَ شرعي، وإنما هو بيان لأدلة الكتاب والسنة، ومن أشهر من ذكر هذه الأقسام شيخ الإسلام، وابن القيم رحمهما الله.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله كما في كتاب "التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير" (ص٣٠): هذا التقسيم الاستقرائي لدىٰ متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وقرره الزبيدي في "تاج العروس"، وشيخنا الشنقيطي في "أضواء البيان" في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدىٰ أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلىٰ اسم، وفعل، وحرف، والعرب لم تَفُه بهذا، ولم يعتب علىٰ النحاة في ذلك عاتب، وهكذا غيره من أنواع الاستقراء.اهـ

قلت: وأشار إلىٰ ذلك أيضًا الطحاوي في أول "عقيدته" حيث قال: نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ -مُعْتَقِدِينَ =

= بِتَوْفِيقِ اللَّهِ- إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَه ُوَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ، لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ.اهـ

و أشار إلىٰ ذلك أيضًا ابن حبان في "مقدمة كتابه "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء"، حيث قال: الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم علىٰ نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المان عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير؛ فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته.اهـ

بل صرَّح بالتقسيم إلىٰ الثلاثة الأنواع ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإبانة" (ص٦٩٣-٦٩٤) من المخطوطة، حيث قال: وذلك أنَّ أصل الإيمان بالله الذي يجب علىٰ الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أنَّ كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده.

ولأنَّا نجد الله تعالىٰ قد خاطب عباده بدعائهم إلىٰ اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.اهـ

وممن صرَّح بالتقسيم الثلاثي الشيخ الزاهد المُرْتَعِشُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُوْرِيّ كما في حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦) حيث قال: أصول التوحيد ثلاثة أشياء معرفة الله تعالىٰ بالربوبية والإقرار له بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة.اهـ

وهو أول من وقف عليه ممن صرَّح بالتقسيم الثلاثي. انظر "القول السديد في الرد علىٰ من أنكر تقسيم التوحيد " وانظر "مجموعة التوحيد" لشيخ الإسلام (ص ٧، ٨)، "مدارج السالكين" (١/ ٢٤-٢٥).

فائدة: توحيد المتابعة.

إذا قيل: (أقسام توحيد الله)؛ فإنه لا يذكر فيها توحيد المتابعة؛ فإنَّ توحيد المتابعة ليس من توحيد الله، وإنما يلزم من توحيد الألوهية أن يتبع النبي ﷺ؛ لأنه لا يعبد الله إلا بما شرعه. لكن إذا قسم التوحيد من أصله؛ فهو قسمان: توحيد الله. وتوحيد الرسول. فتوحيد الله توحيده في الربوبية، =

والصفات. وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما التوحيد الذي دعت إليه [الرسل][1] ونزلت به [الكتب][2] فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول هو: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه [وقدره][3] [وحكمته][4]، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح، كما في أول [سورة][5] الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران:٦٤]، وأول سورة تنزيل الكتاب، وآخرها، وأول سورة المؤمن، ووسطها، وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

= والألوهية، والأسماء والصفات. وتوحيد النبي ﷺ بالاتِّباع. وقد قسَّم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مدارج السالكين" (٢/ ٣٨٧) التوحيد إلىٰ قسمين: توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول، وتبعه علىٰ ذلك ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح الطحاوية" (ص٢٠٠) تحقيق الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) في [أ]: رسل الله.

(٢) في [أ]: كتبه.

(٣) في [ب]: وقدرته.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) ساقط من [أ].

وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه؛ فهو حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا [وما يكرمهم][(١)] به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب؛ فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. انتهى.[(٢)]

قال شيخ الإسلام: التوحيد الذي [جاءت][(٣)] به [الرسل][(٤)] إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو، لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات. قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥].

وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا

---

(١) في المخطوطتين: (ويكرمهم)، والمثبت من "المدارج".
(٢) من "مدارج السالكين" (٣/ ٤٤٩-٤٥٠).
(٣) في [أ]: جاء.
(٤) في [أ]: الرسول ﷺ.

بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[الصافات: ٣٥-٣٦]، وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد بالتوحيد: مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل[(١)] فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد؛[(٢)] فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما [تنزه][(٣)] عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء؛ لم يكن موحدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، و (الإله) هو المألوه

---

(١) ومرادهم بالدليل الذي هو أول واجب عندهم: هو الاستدلال بالنظر علىٰ وجود الله، وربوبيته، وذلك ببعض المقدمات العقلية التي اصطلحوا عليها. انظر كتاب "منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة" (١/ ٣١٤، ٣٥٤).

(٢) الفناء من عبارات الصوفية، ومقصودهم بأنه يغيب ذهنه عن مشاهدة ما سوى الله، يعني: أنه يصل إلى درجة لا يشعر فيها بشيء، وقلبه مع معبوده، فلا يشعر ولا يحس بما سوى الله، وهذا نقصٌ في الحقيقة؛ لأنَّ النبي ﷺ خير العابدين، وأخشاهم لله، وأتقاهم له، وكذلك الصحابة، والتابعون لم يصل بهم الحد إلى أن تغيب أذهانهم، ولا يشعرون بشيء، ويسمونه الصوفية سكرًا، واصطلامًا، وغيرهما من العبارات. ولهم فناء أشد من هذا، فالأول فناء عن مشاهدة ما سوىٰ الله، وأما الثاني -وهو الأشد- وهو فناء عن وجود ما سوىٰ الله، أي: أنه يعتقد أنه ما هناك موجودات غير الله، كل الموجودات هي الله، سواء كان في العبادة، أو في غيرها، وهذه هي وحدة الوجود، وهذا هو قول الغلاة منهم، وهم الاتحاديون والحلوليون. وهناك فناء ثالث، وهو الفناء عن إرادة ما سوىٰ الله -هكذا قالوا-، والمقصود به أنه في عبادته لا يريد غير الله، وهذا قد جاء الكتاب والسنة بكلمة غيره، وهي: الإخلاص لله وحده في العبادات؛ فلا نحتاج إلىٰ كلمة فناء عن إرادة ما سوىٰ الله، وهذا قول المتكلمين.

راجع "مجموع الفتاوىٰ" لشيخ الإسلام (١/ ٢١٨) (١٠/ ٣٣٧) "مدارج السالكين" (١/ ١٥٤).

(٣) في [ب]: يتنزه.

المعبود الذي يستحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسر المفسر (الإله) بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا [هو][1] أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك [من يفعله][2] من متكلمة الصفاتية.[3] وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن[4] وأتباعه؛ لم [يعرف][5] حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ؛ فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف:١٠٦]. قال طائفة من السلف: تسألهم (من خلق السماوات والأرض؟) فيقولون: الله. وهم مع هذا يعبدون غيره، قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤ - ٨٩].

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) قصد بذلك شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ الأشاعرة، والكلابية الذين يثبتون بعض الصفات، ويزعمون أن العقل دلَّ عليها دون سائر الصفات، وهذه الصفات مجموعة في قول الشاعر:

حَيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلامُ له ... إرادةٌ وكذاك السمعُ والبصرُ

(٤) هو أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسىٰ بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسىٰ الأشعري. والأشعري نسبة إلىٰ (أشعر) قبيلة مشهورة في اليمن من ولد سبأ، وُلِدَ في عام (٢٦٠هـ)، وتوفي في عام (٣٢٤هـ) علىٰ الأصح. "تاريخ بغداد" (١١/ ٣٤٦-). كان رَحِمَهُ اللهُ أولًا علىٰ مذهب المعتزلة بسبب تأثره بزوج أمه أبي علي الجُبَّائي، ثم انتقل بعد سن الأربعين إلىٰ طريقة ابن كلاب عبدالله بن سعيد، وفي هذه المرحلة تنسب إليه الأشعرية، ثم انتقل إلىٰ عقيدة الإمام أحمد كما صرح في كتابه "الإبانة في أصول الديانة"، وقرر هذه العقيدة في كتابه "مقالات الإسلاميين"، ورسالته إلىٰ أهل الثغر. انظر كتاب "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري".

(٥) في [أ]: (يعرفوا)، والمثبت من [ب] أصح.

فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيًا له دون ما سواه، راجيًا له، خائفًا منه دون ما سواه، يوالي فيه ويعادي فيه، ويطيع رسله ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهى عنه، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا له أندادًا، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس، والقمر، والكواكب، ويدعوها، ويصوم وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.[١]

---

(١) انظر "درء تعارض العقل والنقل" (١/ ٢٢٤-٢٢٨).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].(١)

ش/ بالجر عطفٌ على التوحيد، ويجوز الرفع على الابتداء.

قال شيخ الإسلام: العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل.(٢)

وقال أيضًا: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة.(٣)

قال ابن القيم: ومدارها على خمس عشرة قاعدة، من كَمَّلها كَمَّل مراتب العبودية.

وبيان ذلك: أن العبادة منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهُنَّ لكل واحد من القلب، واللسان، والجوارح.(٤)

---

(١) فائدة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. الجن عالم غيبي، وسُمِّيَ جِنًّا؛ لاستتاره، ومادة (الجيم، والنون) فيها الاستتار؛ ولذلك سميت (جُنَّةُ القتال) للاستتار بها، والصيام جُنَّة؛ لأنه يستر صاحبه من النار. والجَنَّة سميت بذلك؛ لأنَّ فيها نعيمًا مستترًا. والإنس سُمُّوا بذلك من الأُنْسِ، وهو ضد الوحشة، وقيل: من النسيان.

(٢) انظر نحوه في "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ٤٧).

(٣) من كتابه "العبودية" (ص٥)، وانظر "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ١٤٩).

(٤) من "مدارج السالكين" (١/ ١٠٩-).

من العبادات الواجبة بالقلب: الإخلاص، والتوكل، والمحبة، والخوف، والتصديق. والمستحبات كبعض هذه المذكورات، فبعضها لها حدٌّ واجب، وحد مستحب، فالتوكل أصله واجب، والكمال فيه مستحب، وهكذا كثير من العبادات القلبية أصلها واجبٌ، وبلوغ كمالها مستحب؛ لأنه ليس كل إنسان يكون كاملًا فيها؛ فيكون كامل المحبة، واليقين، والخوف، والرجاء، فبلوغ خوف المتقين، ورجائهم، وتوكلهم من المستحبات، وكذلك الرضىٰ بمقادير الله بعضهم =

وقال القرطبي: أصل العبادة التذلل، والخضوع.[(١)]

وسُمِّيت وظائف الشرع على المكلفين عبادات؛ لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى. ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم.

قلت: وهي الحكمة الشرعية الدينية.[(٢)]

قال العماد ابن كثير: وعبادته هي طاعته بفعل المأمور، وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام؛ لأنَّ معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى، المتضمن غاية الانقياد، والذل، والخضوع. انتهى.[(٣)]

وقال أيضًا في تفسير هذه الآية: ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده

= أوجبه، وبعضهم استحبه، وقالوا: الواجب الصبر علىٰ المقدور. وأما أن يرضىٰ به؛ فمستحب، وهذا هو الراجح أن الرضىٰ من المستحبات، وليس من الواجبات، وهناك أعمال قلبية أخرىٰ مستحبة. وأعمال القلب المحرمة كالكبر، والحسد، والبغض، وغيرها. والمكروهات ما لم يصل فيه إلىٰ حد المحرَّم، ويعني أنه مذموم، لكن ليس إلىٰ حد المحرم. والمباحات هو ما لم يكن مأمورًا به، ولا منهيًّا عنه لذاته. وهكذا التقسيم في اللسان، والجوارح، فتكمل الخمس عشرة قاعدة.

(١) انظر: "تفسير القرطبي" [آية:٢١] من البقرة، و[آية:٥٦] من الذرايات.

لا يكفي في العبادة التذلل، والخضوع بدون المحبة؛ إذ لابد من المحبة، قال ابن القيم رحمه الله في "النونية":

وعبادة الــــرحمن غـايةُ حبِّه ... مــع ذل عـــابده هما قطبـــان
ومداره بالأمر أمــرُ رسولـــه ... لا بالهوىٰ والنفس والشيطـــان

(٢) يعني أنَّ من الناس من يعبد الله، ومنهم من لا يعبده؛ فهي حكمة شرعية مأمورٌ بها، وليست حكمة قدرية لابد من وقوعها من الجن والإنس أجمعين، فلا نفهم من الآية أنَّ الإنس والجن كلهم عباد لله يعبدونه، لكن نفهم منها أنهم كلهم مأمورون بعبادة الله، ومن حيث الواقع: منهم من يعبده، ومنهم من لا يعبده.

(٣) هكذا عزاه المؤلف لابن كثير، وإنما هو من كلام الشارح كما في "التيسير" (ص٤٧).

لا شريك له، فمن أطاعه؛ جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه؛ عذَّبَه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو خالقهم ورازقهم.[(١)] قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في الآية: إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم الى عبادتي. وقال مجاهد: إلا لآمرهم وأنهاهم.[(٢)] اختاره الزجاج، وشيخ الاسلام.

قال:[(٣)] ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦]، قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهى[(٤)]، وقد قال في القرآن في غير موضع: ﴿اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] ﴿اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل بذلك، وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعًا، وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين، ويحتجون بالآية عليه.

قال: وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء:٦٤]، ثم قد يطاع وقد يعصى، وكذلك ماخلقهم إلا [للعبادة][(٥)]، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون، وهو سبحانه لم يقل: إنه فعل الأول، وهو خَلْقُهم ليفعل بهم كلهم الثاني: وهو عبادته، ولكن ذكر الأول ليفعلوا هم الثاني، فيكونوا هم الفاعلين له، فيحصل لهم بفعله

(١) انتهىٰ من "تفسيره" سورة الذاريات [آية:٥٦].

(٢) أثر علي رضي الله عنه لم نجد من أسنده، وذكره البغوي عند تفسير هذه الآية، وابن تيمية في "درء التعارض" (٨/ ٤٧٧)، وهو مذكور في "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ٥٢) بدون إسناد. أثر مجاهد هو في "درء التعارض" لشيخ الإسلام (٨/ ٤٧٨)، وذكر شيخ الإسلام إسناده كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ٥٢)، فقال: وهذا هو المعروف عن مجاهد بالإسناد الثابت، قال ابن أبي حاتم: ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد...، فذكره.اهـ

قلتُ: وهو إسناد صحيح. والمؤلف جاء بالأثرين تفسيرًا للغاية بأنها ليست قدرية، وإنما هي شرعية دينية.

(٣) يعني: شيخ الإسلام رحمه الله.

(٤) انظر كلام الشافعي في "الرسالة" (ص٢٥).

(٥) في [ب]: لعبادته.

سعادتهم ويحصل ما يحبه ويرضاه منهم ولهم. انتهى.[(١)]

ويشهد لهذا المعنى ما تواترت به الأحاديث:

فمنها: ما أخرجه مسلم في "صحيحه" عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالىٰ لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها، ومثلها أكنت مفتديًا بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك ما هو أهون من هذا، وأنت في صلب آدم، أَلَّا تشرك [بي]**[(٢)] أحسبه قال: **ولا أدخلك النار، فأبيت إلا [الشرك]**[(٣)]».[(٤)]

فهذا المشرك قد خالف [ما أراده الله تعالىٰ][(٥)] من توحيده، [وأن لا][(٦)] يشرك به شيئًا، فخالف ما أرده الله منه، فأشرك به غيره، وهذه هي الإرادة الشرعية الدينية كما تقدم.

فبين الإرادة الشرعية الدينية، والإرادة الكونية القدرية عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي،[(٧)] فافهم

---

(١) كلامه في "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ٥١-٥٣، ٥٥، ٥٦)، ولم أجد فيه قول الشافعي؛ فلعلَّ صاحب "التيسير" أدمجه في الكلام، والله أعلم.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) في [أ]: الإشراك.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٥)، وهو أيضًا في "البخاري" برقم (٣٣٣٤).

(٥) في [أ]: ما أراده به ربه.

(٦) في [أ]: ولا.

(٧) الصواب أن هذه العلاقة علاقة عموم وخصوص وجهي؛ لأنَّ كُلًّا من الإرادتين تنفرد عن الأخرىٰ ويجتمعان في وجه. **فالإرادة الكونية القدرية:** هي ما قدره الله عزوجل، وأراد وقوعه، كأن يقدر علىٰ إنسان أن يموت كافرًا، أو يموت مسلمًا، أو يكون عاصيًا، فهذه كلها إرادة كونية قدرية، وهذه الإرادة تكون فيما يحبه الله وما لا يحبه. **والإرادة الشرعية الدينية:** هي ما أمر الله به في الشرع، وحث علىٰ فعله، مثل الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والتوحيد، وهذه الإرادة قد تقع وقد لا تقع، بخلاف الإرادة القدرية؛ فإنها لابد أن تقع، فالله تعالىٰ أمر بالصلاة، فمنهم من يصلي، ومنهم من لا يصلي، وكذا أمر بتوحيده، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، وهكذا أمره بسائر الطاعات، ونهيه عن المعاصي. =

ذلك تنج [به][(١)] من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:٣٦] الآية.

ش/ الطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الطاغوت : الشيطان.

وقال جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الطواغيت: كُهَّان كانت تنزل عليهم الشياطين. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال مالك: الطاغوت: كل ما عُبد من دون الله.[(٢)]

= الأمثلة على العلاقة:

- رجلٌ مات علىٰ الإيمان؛ فهذه إرادة شرعية وقدرية، فاجتمعتا، وأيضًا رجلٌ صام رمضان هذا العام؛ فهي كونية وشرعية. إذن طاعة المطيع بعد الطاعة تعتبر مرادة شرعًا، وكونًا.
- رجل شرب الخمر؛ فهذه إرادة قدرية كونية فقط، وليست شرعية، فهنا انفردت الإرادة الكونية عن الشرعية، كذلك الإنسان يموت كافرًا؛ هذه كونية فقط.
- رجلٌ مات كافرًا؛ فالإيمان منه مراد شرعًا، وليس مرادًا كونًا؛ لأنه مات كافرًا. فمثلًا أبو جهل مات كافرًا، فالله أراد منه الإيمان فإرادة الإيمان من أبي جهل إرادة شرعية لا كونية. والشارح هنا لم يذكر انفراد الإرادة الشرعية عن القدرية؛ مما جعله يقول: (عموم وخصوص مطلق)، والصحيح أن الإرادة الشرعية تنفرد كما قدمنا؛ فتكون علاقة عموم وخصوص وجهي.

(١) ساقط من [أ].

(٢) أثر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه ابن جرير (٥/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٥) (٣/ ٩٧٥)، من طريق: أبي إسحاق السبيعي، عن حسان بن فائد العبسي، عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسان تفرد بالرواية عنه: أبو إسحاق، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: شيخ. وكلمة شيخ فيها تليين من أمره، يعني: يُكتب حديثه، ولا يُحتجُّ به؛ فالظاهر أنَّ الأثر لا يصح بسبب هذا الرجل، وقد ضعفه شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ "تفسير ابن كثير" عند هذه الآية.

❁ أما أثر جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير [آية:٥١] من سورة النساء، وابن جرير في تفسير سورة البقرة [آية:٢٥٦]، من طريق: ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، وكلاهما صرَّح بالتحديث؛ فالأثر صحيح، وقد صححه شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ "تفسير ابن كثير".

❁ وأما أثر مالك: فقد أسنده ابن أبي حاتم بسند صحيح (٣/ ٩٧٦).

قال العماد ابن كثير: الطاغوت: الشيطان، وما زينه من عبادة غير الله.

قلت: وذلك المذكور بعض أفراده، وقد حدَّه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حدًّا جامعًا: الطاغوت ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها؛ رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعة الله [ومتابعة][1] رسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته.[2]

وأما معنى الآية: فأخبر تعالى أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولًا بهذه الكلمة ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾، أي: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا**﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذا معنى (لا إله إلا الله)؛ فإنها هي العروة الوثقى.

قال العماد ابن كثير في هذه الآية: وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه، فلم يزل سبحانه يرسل [إلى الناس][3] الرسل بذلك منذ حَدَث الشرك في قوم نوح الذين أرسل إليهم، وكان أول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض[4] إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال [الله][5] تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) انتهىٰ من "أعلام الموقعين" (١/ ٥٠).

(٣) ساقط من [ب].

(٤) الدليل علىٰ أنَّ نوحًا عليه الصلاة والسلام أول رسول إلىٰ أهل الأرض قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[الحديد:٢٦]، وحديث الشفاعة: «**فيأتون نوحًا فيقولون أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا**» الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ساقط من [أ].

[الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل:٣٦]، فكيف يسوغ لأحدٍ من المشركين بعد هذا أن يقول: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل:٣٥]،[١] [فمشيئة الله تعالى][٢] الشرعية عنهم منفية[٣]؛ لأنه نهاهم عن ذلك على [ألسن][٤] رسله، وأما مشيئته

(١) احتج المشركون علىٰ عبادتهم الأوثان بقولهم كما أخبر الله عنهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل:٣٥]، فاحتجوا بالمشيئة علىٰ أنَّ الله يرضىٰ منهم هذا العمل، فقالوا: (لو لم يشأ الله لنا ذلك؛ لعجَّل لنا العقوبة)، فقالوا: (الله يحب ذلك ويرضاه)، ولا تلازم في الحقيقة بين المشيئة والرضىٰ والمحبة؛ لأنَّ المشيئة قد تكون فيما يحبه الله، وقد تكون فيما لا يحبه، فقد يُقَدِّر الشيء وهو لا يحبه، وقد لا يقدِّر الشيء وهو يحبه؛ فاستدلالهم بتقدير الله عليهم علىٰ أن هذا يرضاه الله ويحبه هذا باطل ردَّه الله عزوجل في هذه الآية، وهذا الذي استدل القدرية به بعدهم الذين نفوا مشيئة الله عن العبد، فقالوا: (الله عزوجل لا يشاء المعاصي؛ لأنه إذا شاءها فقد أحبها) فأداهم ذلك إلىٰ أنْ ينفوا المشيئة. والجبرية بخلافهم، فقالوا: (المشيئة تقتضي المحبة)، أي: أنهم ساووا بين المشيئة، والمحبة، والرضىٰ، فقالوا: كل أعمال الإنسان تعتبر طاعة لله تعالىٰ، سواء كانت طاعات، أو معاصي؛ لأنَّ الله يشاؤها حتىٰ قال قائلهم:

أصبحت منفعلًا لما يختاره ... مني ففعلي كله طاعاتُ

وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: المشيئة قد تكون محبوبة، وقد لا تكون محبوبة؛ فلا إشكال عندهم. هذا هو أصل ضلال القدرية والجبرية، ومشابهتهم للمشركين، إذن القدرية نفوا المشيئة بحجة أنَّ الله لا يحب المعاصي، ولا يشاؤها، وأنَّ العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، ويفعل الأشياء بغير مشيئة الله، والجبرية نفوا عن العبد المشيئة والاختيار، وقالوا: هو مجبور علىٰ ما أراده الله وشاءه، فكل ما يقع منه فهو محبوب لله؛ لأنه شاءه، ولو لم يكن محبوبًا له لما شاءه. وكلا القولين باطل.

(٢) في [أ]: فمشيئته.

(٣) تقسيم المشيئة إلىٰ شرعية، وقدرية ليس بصحيح، والأدلة التي جاءت فيها، معناها: القدر والإرادة الكونية، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ﴾[الكهف:٣٩]، أي: ما شاء الله كان. ومما يدل علىٰ أنَّ المشيئة لا تنقسم أنَّ من علق الحلف بها؛ فإنه لا يحنث؛ لأنه علقها بقدر الله، ولم يأت نصٌّ من الكتاب، ولا من السنة علىٰ أنَّ المشيئة يُراد بها ا لإرادة الشرعية.

فائدة: قوله تعالىٰ: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] تدل علىٰ رُكنَي لا إله إلا الله، وهما النفي والإثبات، فالإثبات: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾، والنفي: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

(٤) في [أ]: ألسنة.

الكونية -وهي تمكينهم من ذلك قدرًا- فلا حجة لهم فيه؛ لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر، وله في ذلك حجة بالغة، وحكمة قاطعة؛ ولهذا قال ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل:٣٦] انتهى.

قلت: وهذه الآية تفسِّر الآيةَ قبلها[١]، وذلك قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾، فتدبر.

ودلت هذه الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل دعوتهم [أممهم][٢] إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين، وإنِ اختلفت شريعتهم، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨]، وأنه لابد في الإيمان من العمل [بالقلب][٣] والجوارح.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا * إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

ش/ قال مجاهد: ﴿قَضَىٰ﴾ يعني: وصى. [وكذا][٤] قرأ أُبي بن كعب، وابن مسعود، وغيرهم، ولابن جرير عن ابن عباس: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يعني أمر.[٥]

---

(١) يعني قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، حيث تبين أن العبادة مرادة شرعًا ودينًا، لاقدرًا وكونًا.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) في [ب]: من القلب.

(٤) في [أ]: وكذلك.

(٥) **أثر مجاهد ضعيف**. أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الإسراء [آية:٢٣]، وإسناده ضعيف؛ لأن في=

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ المعنى: أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: والنفي المحض ليس توحيدًا، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد.(١)

وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، أي: وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا كما قضى بعبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْـمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾، أي: ألا تسمعهما قولًا سَيِّئًا حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء، ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾، أي: لا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يديك على والديك.(٢)

= إسناده: الحسين بن داود الملقب بـ(سنيد)، وهو ضعيف، وفيه عنعنة ابن جريج، والثابت عن مجاهد أنه فسَّرها بـ(أمر ربك) كما في "تفسير مجاهد" (١/ ٣٦٠)، و"تفسير الثوري" (ص١٧٠).

❁ وأثر ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه عبدالرزاق (١/ ٣٧٦)، وابن جرير [آية:٢٣] من الإسراء، وفيه انقطاع بين قتادة، وابن مسعود؛ فلا يصح.

❁ وأثر أبي بن كعب رضي الله عنه أخرجه ابن جرير في تفسير الإسراء [آية:٢٣]، وفيه: ولد حبيب بن أبي ثابت، وهو مبهم لا يُدرىٰ من هو، وفي الإسناد أيضًا: يحيىٰ بن عيسىٰ النهشلي ضعيفٌ.

❁ وأثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن جرير كذلك في الموضع السابق، من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، ولم يسمع منه، وفيه: عبدالله بن صالح ضعيف.

فائدة: القضاء نوعان: **أحدهما:** قضاء شرعي، وهو ما أمر الله به من التوحيد، والطاعات، وهذه الآية من ذلك. **الثاني:** قضاء كوني، وهو ما أراده الله كونًا، وقدَّره علىٰ ذلك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤].

(١) انظر "بدائع الفوائد" (١/ ١٣٤).

(٢) **ضعيفٌ جدًّا**. أثر عطاء هذا رواه ابن جرير في "تفسيره" عند هذه الآية رقم (٢٣) من سورة الإسراء، وفي إسناده: واصل بن السائب الرَّقاشي شديد الضعف، وتركه بعضهم.

ولما نهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح أمره بالفعل الحسن، والقول الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، أي: لينا طيبا بأدب وتوقير.

وقوله: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، أي: تواضع لهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾، أي: في كبرهما وعند وفاتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وقد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة:

منها: الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره أن رسول الله ﷺ لما صعد المنبر قال: «آمين، آمين، آمين»، فقالوا: يا رسول الله، عَلَامَ أَمَّنْتَ؟ قال: «**أتاني جبريل، فقال: يا محمد، رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك قل: آمين. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف امرئ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج، ولم يغفر له، قل آمين. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قل: آمين. فقلت آمين**»[(١)].

وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف رجل أدرك والديه [أحدهما]**[(٢)]**، أو كلاهما لم يدخل الجنة**»[(٣)].

---

(١) **صحيح بشواهده**. هذا الحديث أخرجه البزار كما في "كشف الأستار" (٣١٦٨)، وإسماعيل القاضي في كتابه "فضل الصلاة على النبي ﷺ" رقم (١٥)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده: سلمة ابن وردان، وهو ضعيف.

❁ وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٦٤٦)، وابن خزيمة (١٨٨٨)، والقاضي (١٨)، وفي إسناده: كثير بن زيد الأسلمي، مختلف فيه، وفيه لين.

❁ وله طريق أخرىٰ عند ابن حبان رقم (٩٠٧)، وإسناده حسن، وهو في "الصحيح المسند" للعلامة الوادعي رحمه الله برقم (١٢٨٢).

وجاء الحديث عن جمع من الصحابة، والذي ذكرناه هو أقوىٰ تلك الطرق، والله أعلم.

انظر: "نظم المتناثر" للكتاني (ص٨٨-٨٩)، "النهج السديد" للدوسري (ص٣٢٠-)، "القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع" للسخاوي (ص١٤١-).

(٢) في [ب]: «**أو أحدهما**»، ولم يذكر فيها: «**أو كلاهما**».

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٦) بإسناد حسن، وهو في "صحيح مسلم" برقم (٢٥٥١).

قال العماد ابن كثير: صحيح من هذا الوجه.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»، وكان مُتَّكِئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. رواه البخاري، ومسلم.[(١)]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رِضَىٰ الرب في رضىٰ الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين**». رواه الترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم.[(٢)]

وعن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، قال: بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ؛ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**» رواه أبو داود، وابن ماجه[(٣)]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)، ومسلم برقم (٨٧).

(٢) **ضعيف**. أخرجه الترمذي برقم (١٨٩٩)، وابن حبان (٤٢٩)، والحاكم (٤/ ١٥١-١٥٢)، وفي إسناده: عطاء العامري، وهو مجهول، واختلف في رفع الحديث ووقفه، ورجح الترمذي وقفه.

❁ وجاء عند الطبراني في "الأوسط" (٢٢٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وفيه رجلان ضعيفان، وهما: أحمد بن إبراهيم بن كيسان الثقفي، وإسماعيل بن عمرو، وكلاهما مترجم في "لسان الميزان".

(٣) **ضعيف**. هذا الحديث أخرجه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، وفيه: علي بن عبيد الأنصاري، مجهول، ويُغني عنه حديث ابن عمر عند مسلم (٢٥٥٢) أنَّ النبي ﷺ قال: «**أبرُّ البر أن يصل الرجل أهل ودِّ أبيه**».

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦] الآية.

ش/ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذه الآية يأمر الله تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه الخالق، الرازق، المتفضل على خلقه في جميع الحالات، وهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته. انتهى.[١]

وهذه الآية هي التي تُسَمَّى: آية الحقوق العشرة. وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب تقديم هذه الآية على آية الأنعام؛ ولهذا قدمتها لمناسبة كلام ابن مسعود الآتي [لآية الأنعام][٢]؛ ليكون ذكره بعدها أنسب.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ[٣] وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥١-١٥٣].

ش/ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول [الله][٤] تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾

(١) من تفسير سورة النساء [آية:٣٦].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ﴿مَا ظَهَرَ﴾: يشمل المعاصي الظاهرة من الجوارح واللسان. ﴿مَا بَطَنَ﴾: يشمل المعاصي الباطنة، كالحسد، والكبر، والعجب. وقيل: ﴿مَا ظَهَرَ﴾، أي: ما ظهر فُحْشُه عند الناس، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: ما قلَّ فحشه عند الناس. وقيل: ﴿مَا ظَهَرَ﴾: المعاصي المنتشرة بين الناس. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: المعاصي التي يفعلها الناس خفية. ﴿وَالفَوَاحِش﴾: جمع فاحشة، وهي ما قبح من المعاصي.

(٤) ساقط من [ب].

لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرَّمُوا ما رزقهم الله ﴿تَعَالَوا﴾، أي: هَلُمُّوا، وأقبلوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُم﴾، أي: أقص عليكم ماحرم ربكم عليكم حقًّا لا تَخرُّصًا، ولا ظَنًّا، بل وحيًا منه، وأمرًا من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وكأن في الكلام محذوفًا دلَّ عليه السياق تقديره: (وصاكم ألا تشركوا به شيئا)؛ ولهذا قال في آخر الآية ﴿ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ﴾.اهـ

قلت: فيكون المعنى: حرم عليكم ما وصاكم بتركه من الإشراك به.

وفي "المغني" لابن هشام في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ سبعة أقوال أحسنها: هذا الذي ذكره ابن كثير، ويليه: [أُبَيِّن][(١)] لكم ذلك لئلا تشركوا[(٢)]، فحذفت الجملة من أحدهما وهي: ﴿وَصَّاكُم﴾، وحرف الجر وما قبله من الأخرى[(٣)]؛ ولهذا إذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله ﷺ، قالوا: يقول: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم**»[(٤)]، كما قال [ذلك][(٥)] أبو سفيان لهرقل، وهذا هو الذي فهمه أبو سفيان وغيره من قول رسول الله ﷺ لهم: «**قولوا لا اله إلا الله تفلحوا**».[(٦)]

---

(١) في المخطوطتين [بيَّن]، والمثبت من "المغني" لابن هشام رحمه الله (ص٣٣٠).

(٢) عبارة ابن هشام رحمه الله في "المغني" (ص٣٣٠): أن يكون الأصل (أُبين لكم ذلك) لئلا تشركوا؛ وذلك لأنهم إذا حرمَّ عليهم رؤساؤهم ما أحلَّه الله سبحانه وتعالىٰ فأطاعوهم أشركوا؛ لأنهم جعلوا غير الله بمنزلته.

(٣) عبارة ابن هشام رحمه الله في "المغني" (ص٣٣٠) بعد أن ذكر الوجهين: وعلىٰ هذين الوجهين فحذفت الجملة وحرف الجر.اهـ، وتقدير الوجهين المذكورين، **أحدهما:** أوصيكم بألَّا تشركوا. **والثاني:** أُبين لكم ذلك لئلا تشركوا. فالجملة في الوجه الأول هي: (أوصيكم)، وحرف الجر هو الباء، والجملة في الوجه الثاني هي: (أبين لكم ذلك)، وحرف الجر هو اللام.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣)، من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.

(٥) ساقط من [ب].

(٦) **صحيح**. أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٠٠)، وابن خزيمة (١/ ٨٢)، والبخاري في "خلق أفعال العباد" (٢٠٣)، وابن المبارك في "الزهد" (ص٤١٠)، وابن حبان (٦٥٦٢)، والدارقطني (٣/ ٤٤)، =

وقولهُ تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

قال القرطبي: الإحسان إلى الوالدين برهما، وحفظهما، وصيانتهما، وامتثال أمرهما، وإزالة الرِّق عنهما، وترك السلطنة عليهما، و ﴿إِحْسَانًا﴾ نصب على المصدرية، وناصبه فعل من لفظه تقديره: (وأحسنوا بالوالدين إحسانا).

وقولهُ: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام:١٥١] [(١)]، إلاملاق: الفقر، أي: لا تَئِدُوا بناتكم خشية العيلة والفقر؛ فإني رازقكم وإياهم. وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور؛ خشية الفقر، ذكره القرطبي.

وفي "الصحيحين" عن ابن مسعود رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم [عند الله] [(٢)]؟ قال: «**أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني [بحليلة]** [(٣)] **جارك**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: «﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾

= والحاكم (٢/ ٦١١-٦١٢)، من طرق عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد، عن جامع بن شداد، عن طارق المحاربي به، مطولًا. وإسناده صحيح.

❁ وأخرجه عبدالله بن أحمد في "الزوائد" (١٦٠٢٣)، من حديث ربيعة بن عباد الديلي، وفي إسناده: عبدالرحمن بن أبي الزناد، وفيه ضعف، والحديثان في "الصحيح المسند" لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (٣٣٣) (٥٢٠).

(١) هذه الآية وهي آية الأنعام ظاهرها أنه نهاهم أن يفعلوا ذلك من فقرٍ عندهم، وآية الإسراء: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[الإسراء:٣١] ظاهرها أنه يفعل ذلك ليس لكونه فقيرًا، ولكن يخشىٰ من الفقر، وكلاهما نهاهم عنه؛ ومن هنا ناسب تقديم ضمير الخطاب للآباء علىٰ ضمير الغيبة للأبناء في آية الأنعام؛ لأنَّ الفقر حاصل، وأما في آية الإسراء فقدَّم ضمير الغائب للأبناء علىٰ ضمير الخطاب للآباء؛ لأنَّ الفقر ليس بموجود وإنما يُخشَىٰ منه، وهذه الفائدة ذكرها ابن كثير رحمه الله عند تفسير آية الأنعام، ثم ابن عثيمين رحمه الله عند شرحه لهذه الآية من "شرح كتاب التوحيد".

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [أ]: حليلة.

[الفرقان:٦٨]» الآية.[١]

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

قال ابن عطية: نَهْيٌ عام عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي، و﴿ظَهَرَ﴾ و﴿بَطَنَ﴾ حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء. انتهى.[٢]

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

في "الصحيحين" عن [ابن مسعود][٣] مرفوعًا: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله [وأن محمدًا][٤] رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».[٥]

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قال ابن عطية: ﴿ذَلِكُم﴾ إشارة إلى هذه المحرمات، والوصية، الأمر المؤكد المقرر.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (لعل) للتعليل، أي: إنَّ الله تعالى وَصَّانا بهذه الوصايا؛ لنعقلها عنه، ونعمل بها، وفي "تفسير" الطبري الحنفي ذكر أولًا [﴿تَعْقِلُونَ﴾][٦] ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكروا خافوا واتقوا.[٧]

قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٦١)، ومسلم برقم (٨٦).

(٢) من تفسيره "المحرر الوجيز" (٦/ ١٧٩).

(٣) في المخطوطتين (ابن عباس)، والمثبت هوالصواب كما في "التيسير"، وكما في "الصحيحين".

(٤) في [أ]: «وأني».

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦)، وهو من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) في [ب]: ﴿لَعَلَّكُم تَعْقِلُون﴾.

(٧) هذا الحنفي هو أبو علي الحنفي، ولم أجد له ترجمة، وتفسيره ليس بمطبوع.

قال ابن عطية: هذا نَهْيٌ [عام][1] عن القرب الذي يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة، ثم استثنى ما يحسن، وهو السعي في نمائه.

قال مجاهد: ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ التجارة فيه.[2]

قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

قال مالك وغيره: هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ. رُوي نحو هذا عن زيد بن أسلم، والشعبي، وربيعة، وغيرهم.[3]

قوله: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾.

قال ابن كثير: يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: من اجتهد بأداء الحق، وأخذه؛ فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه، وبذل جهده؛ فلا حرج عليه.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ضعيف جدًا. أخرجه الطبري في تفسير سورة الأنعام [آية:١٥٢]، وفي إسناده: شريك القاضي، وليث بن أبي سليم، وكلاهما ضعيف، وفيه يحيىٰ بن عبد الحميد الحماني، وهو يسرق الحديث. والأثر عند الطبري في تفسير الأنعام [آية:١٥٢]، والتصرف في مال اليتيم في نمائه، لا يتصرف فيه إلا إذا كان يغلب علىٰ ظنه أنه سيربح، أما إذا كان مخاطرة ربما يربح، وربما لا يربح؛ فلا يجوز له التصرف؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

(٣) هذه الآثار كلها عند ابن جرير في تفسير سورة الأنعام [آية:١٥٢]، فأثر مالك إسناده صحيح، وأثر زيد بن أسلم فيه: عبدالرحمن ولده، وهو ضعيف، وأثر الشعبي فيه: مجالد بن سعيد الهمداني، وهو ضعيف، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٨٨) من نفس الوجه، وأثر ربيعة سنده حسن. والدليل علىٰ أنَّ بلوغ الأشد هو زوال السفه مع البلوغ قوله تعالىٰ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء:٦]، فقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، أي: البلوغ، والاحتلام. وقوله: ﴿آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾، أي: حسن التصرف في مالهم.

هذا أمر بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد.

قال الحنفي: العدل في القول في حق الولي والعدو، ولا يتغير في الرضى والغضب، بل يكون على الحق، وإن كان ذا قربى؛ فلا يميل إلى الحبيب والقريب: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

قوله: ﴿وَبِعَهْدِ الله أَوْفُواْ﴾.

قال ابن جرير: وبوصية الله تعالى التي وَصَّاكم بها فأوفوا، وانقادوا لذلك بأن تطيعوه فيما أمركم به ونهاكم، وتعملوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاء بعهد الله.(١) وكذا قال غيره.

قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. أي: تتعظون، وتنتهون عما كنتم فيه.

قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

قال القرطبي: هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم؛ فإنه [لما](٢) نهى، وأمر، حذَّر عن اتباع غير سبيله على ما بينته الأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف، و ﴿أن﴾ في موضع نصب، أي: وأتلُ أنَّ هذا صراطي. عن الفراء، والكسائي، [قال الفراء](٣): ويجوز أن

---

(١) انظر: "تفسير الطبري" [آية:١٥٢] من سورة الأنعام.

والعهد الذي بيننا وبين الله هو أن نعمل بطاعته، ونبتعد عن معاصيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[المائدة:١٢] الآية، ثم قال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ﴾[المائدة:١٣] الآية، والميثاق هنا هو العهد، بمعنىٰ أنهم عصوا الله ولم يعملوا بطاعته.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) إضافة من "التيسير"، و"تفسير القرطبي".

يكون خفضًا، أي: وصاكم به، وبأن هذا صراطي.

قال: والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام ﴿مستقيما﴾ نصب على الحال، ومعناه: مستويًا، قويمًا لا اعوجاج فيه، فأمر باتباع طريقه الذي طرَّقه على لسان محمد ﷺ، وشرعه، ونهايته الجنة، وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة؛ نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق؛ أفضت به إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، أي: تميل. انتهى.[1]

وروى أحمد، والنسائي، والدارمي، وابن أبي حاتم، والحاكم -وصححه-، [ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب "الاعتصام" بسند صحيح][2] عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: خَطَّ رسولُ الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيمًا**»، ثم خَطَّ خُطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: «**وهذه سبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: «﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾» الآية.[3]

وعن مجاهد: ولا تتبعوا السبل، قال: البدع والشبهات.[4]

قال [العلامة][5] ابن القيم رحمه الله: ولنذكر في الصراط [المستقيم][6] قولًا وجيزًا؛ فإنَّ

---

(١) من "تفسير القرطبي" (٧/ ١٣٧).

(٢) ما بين المعقوفين ليس موجودًا في [أ]، وكتاب المروزي الأشهر في تسميته "السنة" كما بين ذلك المحقق في مقدمة الكتاب.

(٣) **حسن**. أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في "الكبرى" (١١١٧٤)، والدارمي (١/ ٦٧)، وابن نصر المروزي في "السنة" (ص٥)، والحاكم (٢/ ٣١٨)، وغيرهم من طرق عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به، وهذا إسنادٌ حسن.

(٤) **صحيح**. أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم عند تفسير هذه الآية من سورة الأنعام [١٥٣]، وإسناده صحيح.

(٥) ساقط من [أ].

(٦) ساقط من [أ].

الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقتُه شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلًا لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا [طريقه][(١)] الذي نصبه على ألسن رسله، وجعله مُوصلًا لعباده إليه، وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسوله بالطاعة؛ فلا يشرك به أحدًا في عبوديته، ولا يشرك برسوله ﷺ أحدًا في طاعته، فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول ﷺ، وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فأي شيء فُسِّرَ به الصراط المستقيم؛ فهو داخل في هذين الأصلين.

ونكتة ذلك: أنْ تُحِبَّه بقلبك، وتُرضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضع إلا معمورًا بِحُبِّه، ولا يكون لك إرادة إلَّا متعلقة [بمرضاته][(٢)]، فالأول يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، والثاني يحصل بتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به، وهو معرفة ما بعث الله به رسولَه، والقيام به، فَقُلْ ما شئت من العبارات التي هذا [آخِيَّتُها][(٣)] وَقُطب رحاها.[(٤)]

قال[(٥)]: وقال سهل بن عبد الله: عليكم بالأثر والسنة؛ فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذَكَر إنسانٌ النبيَّ ﷺ، والاقتداء به في جميع أحواله ذَمُّوه، ونفروا عنه، وتبرأوا منه، وأذلوه، وأهانوه.[(٦)]

---

(١) في [أ]: من طريقه.

(٢) في [أ]: في مرضاته.

(٣) في "بدائع الفوائد": أحسنها. والآخيَّة بالمد والتشديد واحدة الأواخي: عودٌ يُعَرَّض في الحائط، أو الأرض، ويدفن طرفاه فيهما فيصير وسطه مثل العروة تشد إليه الدابة. انتهىٰ من "لسان العرب" مادة: (أخا).

(٤) انتهىٰ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٤٠).

(٥) يعني: صاحب "تيسير العزيز الحميد" كما في (ص٦١).

(٦) هذا الأثر ذكره القرطبي في "تفسيره" عند هذه الآية بدون إسناد.

فائدة: أوسع مصدر ذكر فيه آثار سهل بن عبدالله التستري هو كتاب "حلية الأولياء" لأبي نعيم =

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّة مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خاتَمهُ؛ فَليقرَأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣] الآية.(١)

ش/ قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل -بمعجمة وفاء- بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ جليل، من السابقين الأولين، [وأهل](٢) بدر، [وأُحُد، والخندق](٣)، وبيعة الرضوان، ومن كبار علماء الصحابة، أَمَّرَه عمرُ على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الأثر رواه الترمذي وحسنه، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الطبراني بنحوه.

[وسبب هذا القول -والله أعلم-: ما رواه البخاري في "صحيحه" عن ابن عباس

= الأصبهاني، ولم يُذْكر هذا الأثر فيه.

(١) **صحيح**. هذا الأثر أخرجه الترمذي (٣٠٧٠)، والطبراني (١٠٠٦٠)، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٥/ ١٤١٤)، من طريق: محمد بن فضيل بن غزوان، عن داود الأودي، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود به، وأشكل علىٰ بعض المحققين داود الأودي: هل هو داود بن عبدالله الأودي الثقة؟ أم داود بن يزيد الأودي الضعيف؟ لأن كليهما روىٰ عن الشعبي، وكلاهما روىٰ عنهما محمد ابن فضيل، وجاءت تسميته ابن يزيد الضعيف في "الأوسط" للطبراني (١٢٠٨)، ولكن من طريق رجل ضعيف، وهو خالد بن يوسف السمتي، فروايته لا يعتمد عليها؛ لكونه ضعيفًا، ورواه بعض الثقات بدون تسميةٍ لأبيه، فخالفوا خالد بن يوسف، وممن خالفه أبو كريب وهو ثقة ثبت. والحافظ المزِّي في "تهذيب الكمال" (٨/ ٤١١) رقم (١٧٦٩) يرجح أنه ابن عبدالله الثقة، فرمز له -أي: في روايته عن الشعبي- بـ(ت)، أي: روىٰ له الترمذي، ورمز لابن يزيد الضعيف في روايته عن الشعبي بـ(ق)، أي: روىٰ له ابن ماجه. وراجع ترجمته من "تهذيب الكمال" (٨/ ٤٦٧) رقم (١٧٩١)، فرجح الحافظ المزي أن رواية داود بن يزيد الأودي عن الشعبي ليست في "سنن الترمذي" من أصله، فنحن نأخذ بترجيح هذا الإمام؛ لأنه من أكابر الحفاظ، فالذي يظهر أن الأثر صحيح، والله أعلم.

(٢) في [ب]: من أهل.

(٣) ساقط من [أ].

ﷺ قال: لَـمَّا اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «**ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لا تختلفوا بعده**» قال عمر: إنَّ النبي ﷺ غَلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط. قال: «**قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع**»، فخرج ابن عباس يقول: إنَّ الرَّزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه[1]، فقال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ

(١) إلىٰ ههنا أخرجه البخاري برقم (١١٤)، وهو عند مسلم أيضًا برقم (١٦٣٧)، وليس عندهما قول ابن مسعود، ولم يذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث قول ابن مسعود؛ فلعل المؤلف ذكر ذلك احتمالًا واستنباطًا، ويشير إلىٰ ذلك قوله: (وسبب هذا القول -والله أعلم-).

فائدة: قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (١٦٣٧): وَأَمَّا كَلَام عُمَر رضي الله عنه، فَقَدْ اِتَّفَقَ الْعُلَمَاء الْمُتَكَلِّمُونَ فِي شَرْح الْحَدِيث عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ دَلَائِل فِقْه عُمَر وَفَضَائِله، وَدَقِيق نَظَره؛ لِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكْتُب ﷺ أُمُورًا رُبَّمَا عَجَزُوا عَنْهَا، وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَة عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا مَنْصُوصَة لَا مَجَال لِلِاجْتِهَادِ فِيهَا، فَقَالَ عُمَر: حَسْبنَا كِتَاب الله؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَاب مِنْ شَيْء﴾، وَقَوْله: ﴿الْيَوْم أَكْمَلْت لَكُمْ دِينكُمْ﴾، فَعُلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَكْمَلَ دِينه فَأَمِنَ الضَّلَال عَلَىٰ الْأُمَّة، وَأَرَادَ التَّرْفِيه عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ، فَكَانَ عُمَر أَفْقَه مِنْ اِبْن عَبَّاس وَمُوَافِقِيهِ. قَالَ الْإِمَام الْحَافِظ أَبُو بَكْر الْبَيْهَقِيُّ فِي أَوَاخِر كِتَابه "دَلَائِل النُّبُوَّة": إِنَّمَا قَصَدَ عُمَر التَّخْفِيف عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ حِين غَلَبَهُ الْوَجَع، وَلَوْ كَانَ مُرَاده ﷺ أَنْ يَكْتُب مَا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ لَمْ يَتْرُكهُ لِاخْتِلَافِهِمْ وَلَا لِغَيْرِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْك﴾، كَمَا لَمْ يَتْرُك تَبْلِيغ غَيْر ذَلِكَ لِمُخَالَفَةِ مَنْ خَالَفَهُ، وَمُعَادَاة مَنْ عَادَاهُ، وَكَمَا أَمَرَ فِي ذَلِكَ الْحَال بِإِخْرَاجِ الْيَهُود مِنْ جَزِيرَة الْعَرَب، وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْحَدِيث. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَقَدْ حَكَىٰ سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ عَنْ أَهْل الْعِلْم قَبْله أَنَّهُ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَكْتُب اِسْتِخْلَاف أَبِي بَكْر رضي الله عنه، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ اِعْتِمَادًا عَلَىٰ مَا عَلِمَهُ مِنْ تَقْدِير الله تَعَالَىٰ ذَلِكَ، كَمَا هَمَّ بِالْكِتَابِ فِي أَوَّل مَرَضه حِين قَالَ: «**وَارَأْسَاه**»، ثُمَّ تَرَكَ الْكِتَاب، وَقَالَ: «**يَأْبَىٰ اللهُ وَالْـمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْر**»، ثُمَّ نَبَّهَ أُمَّته عَلَىٰ اِسْتِخْلَاف أَبِي بَكْر بِتَقْدِيمِهِ إِيَّاهُ فِي الصَّلَاة، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَإِنْ كَانَ الْـمُرَاد بَيَان أَحْكَام الدِّين، وَرَفْع الْخِلَاف فِيهَا، فَقَدْ عَلِمَ عُمَر حُصُول ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْم أَكْمَلْت لَكُمْ دِينكُمْ﴾، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا تَقَع وَاقِعَة إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَة إِلَّا وَفِي الْكِتَاب أَوْ السُّنَّة بَيَانهَا نَصًّا أَوْ دَلَالَة، وَفِي تَكَلُّف النَّبِيّ ﷺ فِي مَرَضه مَعَ شِدَّة وَجَعه كِتَابه ذَلِكَ مَشَقَّة، وَرَأَىٰ عُمَر الِاقْتِصَار عَلَىٰ مَا سَبَقَ بَيَانه إِيَّاهُ نَصًّا، أَوْ دَلَالَة تَخْفِيفًا عَلَيْهِ؛ وَلِئَلَّا يَنْسَدّ بَاب الِاجْتِهَاد عَلَىٰ أَهْل الْعِلْم، وَالِاسْتِنْبَاط، وَإِلْحَاق الْفُرُوع بِالْأُصُولِ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ قَوْله ﷺ: «**إِذَا اِجْتَهَدَ الْحَاكِم فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اِجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر**»، وَهَذَا دَلِيل عَلَىٰ أَنَّهُ وَكَّلَ بَعْض الْأَحْكَام إِلَىٰ اِجْتِهَاد الْعُلَمَاء، وَجَعَلَ لَهُمْ الْأَجْر عَلَىٰ الِاجْتِهَاد، فَرَأَىٰ عُمَر الصَّوَاب =

التي عليها خاتمه... الحديث.].[1]

قال بعضهم: معناه: من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كُتِبت، وخُتم عليها فلم تغير ولم تبدل؛ فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا [أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُم][2]﴾ إلى آخر الآيات.

شبهها بالكتاب الذي كُتِب، ثم خُتِم، فلم يُزَدْ فيه ولم يُنْقَص؛ فإن النبي ﷺ لم يوصِ إلا بكتاب الله تعالى، كما قال فيما رواه مسلم: «**وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**».[3]

وقد روى عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيكم يبايعني علىٰ هؤلاء الآيات الثلاث؟**»، ثم تلا [قوله][4]: «﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾» حتى فرغ من ثلاث الآيات، ثم قال: «**من وَفَّىٰ بهن فأجره عَلَى الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه اللهُ في الدنيا؛ كانت عقوبته، ومن أَخَّرَه إلىٰ الآخرة؛ كان أمره إلىٰ الله إن شاء آخذه وإن**

= تَرْكهمْ عَلَىٰ هَذِهِ الْجُمْلَة؛ لِمَا فِيهِ مِنْ فَضِيلَة الْعُلَمَاء بِالِاجْتِهَادِ، مَعَ التَّخْفِيف عَنْ النَّبِيّ ﷺ، وَفِي تَرْكه ﷺ الْإِنْكَار عَلَىٰ عُمَر دَلِيل عَلَىٰ اِسْتِصْوَابه.اهـ وانظر "الفتح" (٤٤٣٢).

قال شيخ الإسلام في "منهاج السنة" (٦/ ٢٥): ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي؛ فهو ضالٌّ باتفاق الناس من علماء السنة، والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون علىٰ تفضيل أبي بكر، وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأنَّ عليًّا كان هو المستحق للإمامة، فيقولون: إنه قد نصَّ علىٰ إمامته قبل ذلك نصًّا جليًّا ظاهرًا معروفًا، وحينئذٍ فلم يكن يحتاج إلىٰ كتاب.

ثم قال رحمه الله: ولو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته؛ لكان النبي ﷺ يبينه ويكتبه، ولا يلتفت إلىٰ قول أحدٍ؛ فإنه أطوع الخلق له، فعلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجبًا، ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذٍ؛ إذ لو وجب لفعله.اهـ

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) ساقط من [أ].

شاء عفا عنه» رواه ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، و محمد بن نصر في "الاعتصام"[(١)] [(٢)].

قلت: ولأن النبي ﷺ لم يوص أمته إلا بما وصاهم به الله تعالى على لسانه، وفي كتابه الذي نزَّله: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩]، وهذه الآيات وصية الله تعالى ووصية رسوله ﷺ[(٣)].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «**يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ؟ وما حقُّ العبادِ عَلَىٰ اللهِ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُبَشِّرُ النّاسَ؟ قَالَ: «**لاَ تُبَشّرْهُمْ. فَيَتّكِلُوا**» أخرجاه في "الصحيحين"[(٤)].

ش/ هذا الحديث في "الصحيحين" من طُرُقٍ، وفي بعض رواياته نحو مما ذكره المصنف.

ومعاذ هو ابن جبل بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ مشهور

---

(١) الأشهر في تسمية كتاب المروزي هو: كتاب "السنة"، كما بيَّن ذلك المحقق علىٰ كتاب "السنة" (ص٣١).

(٢) **ضعيف**. رواه الحاكم (٢/ ٣١٨) من طريق: سفيان بن حسين، عن الزهري، وروايته عن الزهري ضعيفة، وأصل الحديث في "الصحيحين" بغير هذا اللفظ، أخرجه البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩) بلفظ: «**بايعوني علىٰ أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف...**» الحديث، وليس فيه قراءة الآيات الثلاث، وقد رواه عن الزهري بهذا اللفظ جماعةٌ منهم: ابن عيينة، وشعيب، ويونس، وصالح بن كيسان، ومعمر، وابن أخي الزهري، كما في "المسند الجامع" رقم (٥٦٠٠).

(٣) يعني أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه سمَّاها وصيةَ النبي ﷺ؛ لأنه مبلِّغ عن الله، ومبين لما وصَّىٰ الله به في كتابه؛ ولأنَّ النبي ﷺ وصَّىٰ بكتاب الله بقوله: «**وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله**» الحديث، وهذا من كتاب الله.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠) (٤٩).

من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم، والأحكام، والقرآن.[(١)]

وقال النبي ﷺ: «**معاذ يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة**»، أي: بخطوة.[(٢)]

قال في "القاموس": والرتوة: الخطوة، وشرف من الأرض، وسويعة من الزمان، والدعوة، [والقطرة][(٣)] ورمية بسهم، أو نحو ميل، أو مدى البصر، والراتي: العالم الرباني. انتهى.

وقال في "النهاية": إنه يتقدم العلماء برتوة، أي: برمية سهم. وقيل: بميل. وقيل: [مد البصر][(٤)]، وهذه الثلاثة أشبه بمعنى الحديث.

---

(١) مقصوده: أنَّ إليه المنتهىٰ في حاجة الناس، فيرجعون إليه، لكن الذي يظهر أن إليه الرجوع في مسائل العلم في بعض البقاع؛ لأنه عاش في الشام كما سيذكره الشارح الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله، وإلا فإن من الصحابة من هو أعلم منه، كأبي بكر، وعمر، وابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم، وغيرهم من الصحابة.

(٢) المقصود: أنه يسبق العلماء برمية سهم، أو رمية حجر، أو نحو ذلك كما جاء مفسرًا في بعض الروايات أنه يتقدمهم برمية حجر.

❁ وهذا الحديث له طرقٌ لا بأس بتحسينه بها، وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" رقم (١٠٩١)؛ فإن له طريقًا مرفوعة من حديث عمر رضي الله عنه، أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٣/ ٥٩٠)، وأبو نُعيم في "الحلية" (١/ ٢٢٨)، والمحاملي في "الأمالي" (٣/ ٣٥/ ١)، كما في "الصحيحة" (١٠٩١)، لكن في إسناده: شهر بن حوشب ضعيف، ويرويه شهر عن عمر، ولم يدركه؛ فهو منقطع.

❁ وله طريق أخرىٰ في "الحلية" (١/ ٢٢٩)، وفي إسناده: ثابت بن عبدالله الناقد. قال العلامة الألباني رحمه الله: لم أجد له ترجمة.

وله ثلاثة مراسيل يتقوى بها:

١) مرسل محمد بن كعب القرظي، أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٤٧) بسند صحيح.

٢) مرسل أبي عون محمد بن عبيدالله الثقفي، أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٤٧) أيضًا بسند صحيح.

٣) مرسل الحسن البصري، أخرجه كذلك ابن سعد (٢/ ٣٤٧)، من طريقين، فالحديث بهذه الطرق يرتقي إلىٰ الصحة، والله أعلم.

(٣) في [أ]، و[ب]: الفطرة، والمثبت من "القاموس".

(٤) في [ب]: مدىٰ البصر.

مات معاذ سنة ثماني عشرة بالشام في طاعون عَمَوَاس[(١)] [واستخلفه النبي ﷺ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم][(٢)][(٣)].

قولهُ: (كنت رديف النبي ﷺ).

فيه جواز الإرداف على الدابة، وفضيلة معاذ رضي الله عنه.

قولهُ: (على حمار).

في رواية: اسمُه عُفَيْر.[(٤)]

[قلت][(٥)]: أهداه إليه الْـمُقَوقِسُ[(٦)] صاحب مصر.[(٧)]

وفيه: تواضعه ﷺ لركوب الحمار، والإرداف عليه، خلافًا لما عليه أهل الكبر.[(٨)]

قولهُ: «**أتدري ما حق الله علىٰ العباد**».

أخرج السؤال بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في فهم المتعلم، وحق الله على العباد: هو ما يستحقه عليهم، وحق العباد على الله، معناه:

---

(١) اسم لبلدة في فلسطين بالقرب من بيت المقدس، كان ابتداء الطاعون منها، ثم فشا في أرض الشام، فمات فيه خلقٌ كثيرٌ من الصحابة والتابعين، ونسب الطاعون إلىٰ عَمَواس؛ لابتدائه منها.

(٢) ما بين المعقوفين تقدم في [أ] إلىٰ بعد قوله (والأحكام والقرآن).

(٣) ذكره ابن سعد كما في "السير" (١/ ٤٤٧)، عن مجاهد مرسلًا، وفي سنده: الواقدي. وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٧٠) عن عروة بن الزبير مرسلًا، وفيه: ابن لهيعة. ولا يتقوىٰ؛ لأنَّ الواقدي كذاب، وهذا الاستخلاف اشتهر في السيرة، وكثير من العلماء يتسامحون فيما اشتهر في السيرة والتاريخ.

(٤) هذه الرواية في "الصحيحين" كما في التخريج المتقدم، وأخطأ من عزاها إلىٰ البخاري فقط.

(٥) ساقط من [أ].

(٦) المقوقس لقبٌ لكل من حكم مصر.

(٧) هذا يحتاج إلىٰ دليل، ولم يرد نصٌّ صحيح في هذا، وإنما ذكر ذلك ابن سعد في "الطبقات" (٨/ ٢١٢) بإسناد تالف، فيه: محمد بن عمر الواقدي، وهو كذاب، يرويه عن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة، ولم توجد له ترجمة، وهذا يرويه عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة مرسلًا.

(٨) ذكر هذه الفائدة المصنف رحمه الله كما في المسائل من "كتاب التوحيد" رقم (٢١).

أنه متحقق لا محالة؛ لأنه وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده: ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم:٦].(١)

قال شيخ الإسلام: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فَمِنَ الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعده صدق. ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقًا زائدًا على هذا كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، لكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحق، ولم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يَدَّعُون أنه واجب عليه بالقياس على [المخلوق](٢)، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له،(٣) وأنهم

(١) هذا الواجبُ إكرامٌ منه، وأوجبه علىٰ نفسه فضلًا منه ورحمة ليس بمعاوضة؛ فإنَّ الذين يقولون معاوضة، (أي: عوض عن العمل) هم المعتزلة القدرية النُّفاة، يقولون: (الإنسان الطائع يجب علىٰ الله أن يكرمه بالجنة، والإنسان العاصي يجب علىٰ الله أن يعذبه). وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزخرف:٧٢] ليس فيها دليل علىٰ قولهم، وأنها معاوضة؛ لأن الباء سببية، والذي يدل علىٰ ذلك حديث أبي هريرة ﵁ في "الصحيحين": «**ولن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل**»، فإذا كان النبي ﷺ يدخل الجنة بفضله ورحمته؛ فدلَّ علىٰ أنه ليس معاوضة، وإنما سبب من ا لأسباب، وأعظم سبب هو رحمة الله، ومغفرته، ورضوانه.

(٢) في [أ]: الخلق.

(٣) يريدون بهذا الكلام نفي مشيئة الله وخلقه، وأنَّ الله لم يشأ أفعال العباد، فلم يخلقها، فنفوا مشيئة الله عن الأعمال، فما فعل الإنسان من طاعة ومعصية؛ فإنه هو الذي يشاؤها بدون مشيئة الله، فهو الذي يخلقها بنفسه.

ونردُّ عليهم بأنَّ الله شاء أفعال العباد وخلقها كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٩]، وقوله: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، وقوله: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦/ الزمر:٦٢]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[البقرة:٢٥٣]، وقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ=

يستحقون الجزاء[(١)] بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك، وهذا الباب غلطت فيه الجبرية القدرية أتباع جهم، والقدرية النَّافية.[(٢)]

قوله: قلت: الله ورسوله أعلم.[(٣)]

= وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل:٩٣/ فاطر:٨]، وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦]، والنصوص كثيرة.

(١) قد تقدم خطأ هذا القول، وأنَّ الصحيح أن الله هو الذي أوجبه علىٰ نفسه فضلًا، وإنعامًا، ورحمةً منه، وقد جاء في الحديث: «**لو أنَّ الله عذَّب أهل سماواته، وأهل أرضه؛ لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم؛ لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم**» رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وأحمد (٥/ ١٨٢-١٨٣) بإسناد حسن، عن زيد بن ثابت ﵁، وهو في "الصحيح المسند" رقم (٣٥٠).

(٢) لم أقف علىٰ مصدر هذا النص من كلام شيخ الإسلام ﵀، وانظر معناه في "المجموع" (١/ ٢١٣-).

والجبرية القدرية أتباع جهم هم الذين قالوا: أعمال العباد ليس لهم فيها مشيئة، والعبد مجبور لكل ما أمر الله وأراده، وهو كالريشة في مهب الريح، ومعنىٰ ذلك: أنه لا يعاقب علىٰ ما يفعل من المعاصي، وهذا كلام باطل فيه إبطال النبوة والرسالة، وإبطال الجنة والنار، وعلىٰ قولهم هذا يكون فرعون مطيعًا؛ لأنه علىٰ ما قدَّر الله كما تقدم قول قائلهم:

أصبحت منفعلًا لما يختاره ... مني ففعلي كله طاعات

وأما القدرية النفاة فهم الذين نفوا مشيئة الله عن أفعال العباد، فقالوا: الإنسان هو الذي يخلق فعل نفسه، وقد تقدم الرد عليهم.

(٣) أولًا يعتبر من العلم أن يقول من لم يعلم: (الله أعلم) كما قال ابن مسعود ﵁: إن من العلم أن يقول أحدكم لما لا يعلم: الله أعلم؛ فإن الله تعالىٰ يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]. متفق عليه.

وهل يقال: (الله أعلم)، أم يُقال: (الله ورسوله أعلم)؟

جاء عن بعض العلماء أنهم يقولون: إن كانت المسألة شرعية؛ فيجوز قوله: (الله ورسوله أعلم)، وإن كان في أمر غيبي فلا يجوز. وهذا اختيار العلامة العثيمين ﵀. والناظر في كلام الصحابة يجد أنهم لم يكونوا يقولونها بعد موته، لا في مسألة شرعية، ولا في مسألة غيبية، فالذي يظهر أنها لا تُقال بعد موته ﷺ، وإنما يُقال: (الله أعلم)، وهذا رجَّحه العلامة ابن باز، والعلامة الألباني، والعلامة الفوزان، والشيخ بكر أبو زيد رحمهم الله؛ ومع ذلك لو قالها في مسألة شرعية لا يقال: إنه ارتكب محرمًا. وقد جاء عن عمر ﵁ أنه سأل الصحابة يومًا: ماذا عندكم في قوله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ﴾[البقرة:٢٦٦] الآية؟ فقالوا: الله أعلم. ولم يزيدوا (ورسوله). =

فيه حسن الأدب من المتعلم، وأنه ينبغي لمن سُئِل عما لا يعلم أن يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلفين.

قولهُ: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، أي: يوحدوه بالعبادة، ولقد أحسن العلامة ابن القيم حيث عَرَّف العبادة بتعريف جامع، فقال رحمه الله تعالى:

وعبـــادة الـــرحمن غايـــة حبـــه — مـــع ذل عابـــده همـــا قطبـــان
وعلـــيهما فلـــك العبـــادة دائـــرٌ — مـــا دار حتـــىٰ قامـــت القطبـــان
ومـــداره بـــالأمر أمـــر رســـوله — لا بـالهوىٰ والـنفس والشـيطان[(١)]

قولهُ: «**ولا يشركوا به شيئًا**».

أي: يوحدوه بالعبادة، فلابد من التجرد من الشرك في العبادة، ومن لم يتجرد من الشرك؛ لم يكن آتيًا بعبادة الله [وحده][(٢)]، بل هو مشرك قد جعل لله نِدًّا، وهذا معنى قول المصنف رحمه الله تعالى: [وفيه أنَّ العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه].[(٣)]

وفي بعض الآثار الإلهية: «**إني، والجن، والإنس في نبإٍ عظيم أخلقُ وَيُعْبَدُ غيري، وأرزق وَيُشْكَر سواي، خيري إلىٰ [العباد][(٤)] نازل وشرهم إليَّ صاعد، أتحبب إليهم بالنعم ويتبغضون إليَّ بالمعاصي**».[(٥)]

= وهو في "صحيح البخاري" (٤٥٣٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: "التوسل أنواعه وأحكامه"، "شرح كتاب التوحيد" للباز والعثيمين، "معجم المناهي اللفظية" لبكر أبو زيد، "فتاوىٰ اللجنة" (٢/ ١٦٣) (٢٤/ ١٥٦)

(١) انظر: "الكافية الشافية" (ص٧٠) ط/ دار ابن الجوزي.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انظر مسائل "كتاب التوحيد" رقم (٢).

(٤) في [أ]: عبادي.

(٥) ضعيف. أخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (٩٧٤)، والبيهقي في "الشُّعَب" (٤٥٦٣)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٧/ ٧٧) من طريق: عبدالرحمن بن جبير بن نفير، وشريح بن عبيد=

قوله: «**وحق العباد علىٰ اللهِ ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**».

قال الحافظ: اقتصر على نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كَذَّب رسولَ الله ﷺ؛ فقد كَذَّب الله، ومن كَذَّب اللهَ؛ فهو مشرك، [أو هو][1] مثل قول القائل: من توضأ؛ صَحَّتْ صلاته، أي: مع سائر الشروط. انتهى.[2]

قوله: (أفلا أبشر الناس).

فيه: استحباب بشارة المسلم بما يسره، وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا. قاله المصنف رحمه الله تعالى.[3]

قوله: «**لا تبشرهم فيتكلوا**».

أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال، وفي رواية: (فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا)[4]، أي: تَحَرُّجًا من الإثم.

قال الوزير أبو المظفر[5]: لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب

= الحَضْرَمِيَّين عن أبي الدرداء به إلىٰ قوله: «ويشكر غيري» دون بقيته، وهو منقطع؛ لأنَّ عبدالرحمن، وشُريحًا لم يُدرِكا أبا الدرداء. انظر: "الضعيفة" (٢٣٧١).

(١) في النسختين (وهو)، والمثبت من "الفتح".

(٢) من "الفتح" رقم (١٢٩).

(٣) انظر المسائل رقم (١٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) هو يحيىٰ بن محمد بن هبيرة، يُلَقَّب بـ(عون الدين)، ويُنعَت بـ(الوزير العالم العادل)، ولد في ربيع الثاني سنة (٤٩٩هـ) في بغداد، وتوفي سنة (٥٦٠هـ) وكان سلفي العقيدة، حنبلي المذهب، له كتاب "الإفصاح عن معاني الصحاح"، ومنه نقولات الشارح عنه في هذا الكتاب، وقد طُبع جملة من كتابه "الإفصاح"، والباقي منه لم يطبع بعد، فرحمه الله وعفا عنه. انظر "مشيخة ابن الجوزي" (٢٠٢)، =

بترك الخدمة في الطاعة، فأما الأكياس الذين إذا سمعوا بمثل هذا [زادوا في الطاعة][(١)]، ورأوا أن زيادة النعم تستدعي زيادة الطاعة، فلا وجه لكتمانها عنهم.[(٢)]

وفي الباب من الفوائد غير ما تقدم:

الحث على إخلاص العبادة لله تعالى، وأنها لا تنفع مع الشرك، بل لا تُسَمَّى عبادة.

والتنبيه على عظمة حق الوالدين، وتحريم عقوقهما.

والتنبيه على عظمة الآيات [المحكمات][(٣)] في سورة الأنعام، وجواز كتمان العلم للمصلحة.

قوله: (أخرجاه).

أي: البخاري، ومسلم، والبخاري هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي، مولاهم، الحافظ الكبير صاحب "الصحيح" و"التاريخ" و"الأدب المفرد"، وغير ذلك من مصنفاته.

روى عن الإمام أحمد بن حنبل، و الحميدي، و ابن المديني، وطبقتهم.

وروى عنه مسلم، و النسائي، و الترمذي، و الفِرَبْرِي راوي "الصحيح"، وُلِدَ سنة أربع وتسعين ومائة، ومات سنة ست وخمسين ومائتين.

ومسلم رحمه الله هو ابن حجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب

= "المنتظم" (١٠/ ٢١٤-٢١٧)، "وفيات الأعيان" (٦/ ٢٣٠-٢٤٤).

(١) في [أ]: ازدادوا طاعةً.

(٢) نقله عنه ابن مفلح رحمه الله في "الآداب الشرعية" (١/ ١٤٧).

(٣) ساقط من [أ].

"الصحيح" و"العلل" و"الوحدان"، وغير ذلك.

روى عن أحمد بن حنبل، و يحيى بن معين، و أبي خيثمة، و ابن أبي شيبة، وطبقتهم.[١]

وروى عنه الترمذي، و إبراهيم بن محمد بن سفيان راوي "الصحيح" وغيرهما، وُلِدَ سنة أربع ومائتين، ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور رحمهما الله تعالى.

---

(١) في [ب] زيادة: وروىٰ عن البخاري "صحِيحَه".

فيه مسائل:

الأولىٰ: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أنَّ العبادة هي التوحيد؛ لأنَّ الخصومة فيه.

الثالثة: أنَّ من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنىٰ قوله: ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أنَّ الرسالة عمَّت كلَّ أمة.

السادسة: أنَّ دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أنَّ عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنىٰ قوله: ﴿فمن يكفر بالطغوت فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

الثامنة: أنَّ الطاغوت عامٌّ في كل ما عُبد من دون الله.

التاسعة: عِظَم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل: أولاها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢]، وختمها بقوله: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩].

ونبهنا اللهُ سبحانه علىٰ عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تُسَمَّىٰ آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه علىٰ وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أنَّ هذه المسألة لا يعرفها أكثر ا لصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال علىٰ سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف علىٰ الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عِظَم شأن هذه المسألة.

١- بَاب فَضْلُ التَّوْحِيدِ وما يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

قال المصنف رحمه الله: بَاب فَضْلُ التَّوْحِيدِ وما يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

ش/ باب: خبرُ مبتدإٍ محذوف، تقديره: هذا.

قلت: ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره: [هذا][١] و(ما) يجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي: وبيان الذي يكفره من الذنوب.

ويجوز أن تكون مصدرية، أي: وتكفيره الذنوب. وهذا الثاني أظهر.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[الأنعام:٨٢].

ش/ قال ابن جرير: حدثني المثنى -وساق بسنده- عن الربيع بن أنس، قال: الإيمان الإخلاص لله وحده.[٢]

وقال ابن كثير في الآية: أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والاخرة، وقال ابن زيد، وابن إسحاق:

(١) في [أ]: باب هذا.

(٢) سياق الشارح له هنا يوهم أنه عند تفسير هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾[الأنعام:٨٢] الآية، وهو عند قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[النحل:٩٧]، وإسناده ضعيفٌ؛ لضعف أبي جعفر الرَّازي عيسىٰ بن ماهان، والمثنىٰ شيخ ابن جرير لم توجد له ترجمة؛ فهو مجهول حال.
فائدة: المثنىٰ شيخ ابن جرير قلنا فيه مجهول حال مع أنه لم يَرْوِ عنه إلا ابن جرير، ولم يوثقه معتبر، وعلىٰ قواعد المصطلح أنَّ من كان هذا حاله يكون مجهول عين، فَلِمَ لم نقل عن المثنىٰ مجهول عين؟ الجواب: لأنَّ ابن جرير أكثر من الرواية عنه، وهذا من القرائن التي ترفع جهالة العين؛ فإنه أكثر عنه في "تفسيره".

هذا من الله على فصل القضاء بين إبراهيم وقومه.[(١)] وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية قالوا: فأينا لم يظلم نفسه؟ فقال عليه السلام: «﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

[وساقه البخاري بسنده، فقال][(٢)]: حدثنا عمر بن حفص [بن غياث][(٣)]، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك، أولم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه:** ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وهذا الحديث[(٤)] في "الصحيح"، و"المستدرك" وغيرهما.[(٥)]

[ولأحمد بنحوه][(٦)] عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: «**إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح:** ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، **إنما هو الشرك**».[(٧)]

---

(١) هذا تصرف من حيث اللفظ؛ فإنهما ذكرا معنىٰ هذا الكلام: أنَّ هذه الآية فصل الله فيها الحجة لإبراهيم، أي: أن الأمن والاهتداء لمن لم يلبس إيمانه بظلم؛ فالإيمان، والاهتداء لإبراهيم ومن استجاب له، وأما الذين كفروا فكيف يكون لهم الأمن والاهتداء، فقال: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾[الأنعام:٨١-٨٢]الآية، والأثران صحيحان كما في "تفسير ابن جرير" و"ابن أبي حاتم" عند الآية المذكورة.

(٢) في [أ]: وسياق البخاري.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) في [أ] زيادة: أي المتقدم.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٠)، ومسلم برقم (١٢٤)، والحاكم (٢/ ٣٠٦).

(٦) في [أ]: وفي لفظ لأحمد.

(٧) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٨) بسند صحيح علىٰ شرط الشيخين.

[وعن عمر رضي الله عنه، أنه فسره بالذنب، فيكون [المعنى][(١)]: الأمن من كل عذاب.[(٢)]

وقال الحسن، والكلبي: أولئك لهم الأمن في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا[(٣)]][(٤)].

قال شيخ الإسلام: والذين شق عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد [نفسه][(٥)]، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فَبَيَّن لهم النبي ﷺ ما دَلَّهم [على][(٦)] أن الشرك ظلم في كتاب الله، فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن [لم][(٧)] يلبس إيمانه [بهذا الظلم][(٨)]؛ [فإن من][(٩)] لم يلبس إيمانه [بهذا الظلم][(١٠)] كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾[فاطر:٣٣] الآية.

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقد سأل

(١) ساقط من [أ].

(٢) أثر عمر رضي الله عنه في تفسيره بالذنب ليس نصًا، وإنما بمعناه؛ فإنه عندما قرأ الآية حمله علىٰ العموم، أي: ظلم الإنسان بالشرك بالله، وظلمه لنفسه بالمعاصي والذنوب، ففي سياق كلامه أنه حمل الظلم في الآية علىٰ العموم، ولم يذكر (الذنب) صريحًا. وأثر عمر أخرجه الحاكم (٣/ ٣٠٥)، وفيه: علي بن زيد بن جدعان فيه ضعفٌ، وأخرجه ابن جرير عند الآية [٨٢] من الأنعام، وهو منقطعٌ، من طريق: أبي عثمان عمرو بن سالم، عن عمر، ولم يدركه. والأثر بالطريقين يصلح للتحسين، والله أعلم.

(٣) أثر الحسن، والكلبي لم أجدهما مسندَين، وذكرهما أبو علي الطبري الحنفي في "تفسيره" كما في "التيسير" (ص٦٩)، وانظر (ص٥٥) من "التيسير".

(٤) ما بين المعقوفين تقدم في النسخة [أ] قبل قوله: (وهذا الحديث، أي: المتقدم في "الصحيح").

(٥) في [أ]: لنفسه.

(٦) ساقط من [أ].

(٧) في [أ]: لا.

(٨) في [ب]: بظلم.

(٩) في [أ]: فمن.

(١٠) في [أ]: به.

أبوبكر [الصديق][(١)] رضي الله عنه النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أينا لم يعمل سوءًا؟ فقال: «**يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ أليس يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به**»،[(٢)] فبين أن المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب.

قال: فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك؛ كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه [لنفسه][(٣)]؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقًا، بمعنى: أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى، وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه، ليس مراد النبي ﷺ بقوله: «**إنما هو الشرك**» أنَّ مَنْ لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام؛ فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر مُعرَّضون للخوف، لم يحصل لهم

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) أي: إن أبا بكر سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ من سورة النساء آية:[١٢٣].

❁ والحديث أخرجه أحمد (٦٨)، والحاكم (٣/ ٧٤) وغيرهما من طريق: أبي بكر بن أبي زهير قال: أُخبِرتُ أنَّ أبا بكر قال: يا رسول الله، فذكره، وهذا إسناده ضعيفٌ؛ لجهالة حال أبي بكر، وانقطاعه بينه وبين الصِّديق.

❁ وله إسنادٌ آخر عند ابن جرير الطبري في تفسير سورة النساء آية: [١٢٣] من طريق: الأعمش عن مسلم، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمعناه مختصرًا، ومسلم هو ابن صبيح، لم يسمع من أبي بكر، وإنما أخذه عن مسروق، عن أبي بكر رضي الله عنه.

❁ فقد أخرجه ابن مردويه كما في "تفسير ابن كثير" في سورة النساء آية: [١٢٣] من وجهٍ آخر عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن أبي بكر به، وما زال منقطعًا؛ لأنَّ مسروقًا لم يسمع من أبي بكر رضي الله عنه.

❁ وأخرجه ابن جرير أيضًا من وجهين عن عطاء بن أبي رباح مرسلًا؛ فالحديث حسنٌ بمجموع طُرُقِه، والله أعلم.

(٣) في [أ]: ظلم نفسه.

الأمن التام والاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم، ولابد لهم من دخول الجنة. وقوله: «**إنما هو الشرك**»، إنْ أراد الأكبر؛ فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وُعِدَ به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة، وإن كان مراده جنس [الشرك][(١)]؛ فيقال: ظلم العبد [نفسه][(٢)] كبخله لحب المال [ببعض][(٣)] الواجب هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله تعالى حتى يقدم هواه على محبة الله؛ شركٌ أصغر، ونحو ذلك، فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه؛ ولهذا كان السلف يدخلون الذنب في هذا [الشرك][(٤)] بهذا الاعتبار.[(٥)] انتهى ملخصًا.[(٦)]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قال الصحابة: وأينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال: «**ذلك الشرك ألم تسمعوا قول العبد الصالح**: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» فلَـمَّا أشكل عليهم المراد

(١) وقع في [ب]: الظلم، والمثبت أقرب.

(٢) في [ب]: لنفسه.

(٣) في [ب]: لبعض.

(٤) في [أ]: الظلم.

(٥) قال ابن رجب رحمه الله كما في "كتاب التوحيد" (ص٥٠-): وردَ إطلاق الكفر، والشرك علىٰ كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله، أو خوفه، أو رجائه، أو التوكل عليه، والعمل لأجله، كما ورد في إطلاق الشرك علىٰ الرياء، وعلىٰ الحلف بغير الله، وعلىٰ التوكل علىٰ غير الله، والاعتماد عليه، وعلىٰ من سوَّىٰ بين الله، وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان. وكذا قوله: ما لي إلا الله وأنت. وكذلك ما يقدح في التوكل، وتفرد الله بالنفع، كالطيرة، والرُّقَىٰ المكروهة، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتباع هوىٰ النفس فيما نهىٰ الله عنه قادح في تمام التوحيد، وكماله؛ ولهذا أطلق الشرع علىٰ كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوىٰ النفس بما هو كفر، وشرك، كقتال المسلم، ومن أتىٰ حائضًا، أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملة بالكلية؛ ولهذا قال السلف: كفرٌ دون كفر، وشركٌ دون شرك.اهـ

(٦) من كتاب الإيمان ضمن "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٧٩-٨٢).

بالظلم، فظنوا أن ظلم النفس داخل فيه، وأن من ظلم نفسه أيَّ ظلم كان؛ لم يكن آمنًا، ولا مُهتديًا، أجابهم صلوات الله وسلامه عليه بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك، وهذا والله [هو](١) الجواب الذي يشفي العليل، ويروي الغليل؛ فإنَّ الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق هو الأمن في الدنيا والآخرة، والهدى إلى الصراط المستقيم، فالظلم المطلق التام رافع للأمن والهدى المطلق التام، ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعًا من مطلق الأمن ومطلق الهدى، فتأمله، فالمطلق للمطلق والحصة للحصة(٢) .انتهى ملخصًا.(٣)

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: عن عبادة بن الصـــامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شهِدَ أَنّ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرسولُه، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأن الجَنّةَ حَقٌّ، وَالنّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنّةَ عَلىٰ ما كان من العمل**». أخرجاه.(٤)

ش/ عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، أَحَدُ النُّقَباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) المعنىٰ: أنَّ الظلم المطلق التام –وهو الشرك– يمنع مطلق الأمن؛ فيخلده في نار جهنم، والظلم الأصغر وهو الذي يعبر عنه بمطلق الظلم يمنع الأمن التام الكامل، ويبقىٰ معه أمنٌ؛ فيكون معه ظلم، ومعه أمن من التخليد في نار جهنم.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرح الحديث رقم (٣٢): فإنْ قيل: فالعاصي قد يُعَذَّب، فما هو الأمن والاهتداء الذي حصل له؟ الجواب: أنه آمنٌ من التخليد في النار.اهـ وهذا موافق لكلام شيخ الإسلام.

(٣) من "الصواعق المرسلة" (٣/ ١٠٥٧–١٠٥٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤٣٥)، ومسلم برقم (٢٨).

قوله: «**من شهد أن لا إله إلا الله**».

أي: من تكلم بها عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها باطنًا وظاهرًا، [فلابد في الشهادة من العلم، واليقين بمدلولها][1]، كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد:١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، أما النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك، وإخلاص القول والعمل: قول القلب،[2] واللسان،[3] وعمل القلب،[4] والجوارح،[5] فغير نافع بالإجماع.

قال في "الْمُفْهِم على صحيح مسلم"[6]: (باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لابد من استيقان القلب) هذه الترجمة [تنبيه][7] على فساد مذهب [غلاة][8] المرجئة القائلين [بأن][9] التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان.[10]

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٢) أي: اعتقاده لكلمة التوحيد.

(٣) هو النطق والتلفظ بها.

(٤) الأعمال القلبية كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل.... .

(٥) كالصلاة، والزكاة، والحج.... .

(٦) صاحب "الْـمُفْهِم" اسمه: أحمد بن عمر بن إبراهيم الأندلسي القرطبي، أبو العباس المالكي، إمام، فقيه، محدث، أشعري المعتقد، وُلِدَ سنة (٥٧٨هـ)، وتوفي سنة (٦٥٦هـ)، وهو غير القرطبي صاحب "التفسير" أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي، المولود سنة (٦٣٣هـ)، وتوفي سنة (٦٧١ه)، والقرطبي: نسبة إلى بلدة (قرطبة) من الأندلس، والأول شيخ الثاني.

(٧) في [أ]: تنبه.

(٨) ساقط من [ب].

(٩) في [أ]: أنَّ.

(١٠) المرجئة أقسامٌ، فمنهم هؤلاء الذين يقولون: يكفي التلفظ بالشهادتين. وهم الكرامية، وهناك من هو أعظم ضلالًا منهم، فيقولون: يكفي مجرد الاعتراف. وهم الجهمية، ومنهم من يقول: تصديق القلب. وهم الأشاعرة، وهناك من يقول: تصديق القلب، وقول اللسان دون عمل الجوارح. وهم الحنفية.

وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها؛ ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعًا. انتهى.

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا، وهو قوله: «**من شهد**»؛ فإن الشهادة لا [تصح][(١)] إلا إذا كانت عن علم، ويقين، [وإخلاص، وصدق].[(٢)]

قال النووي: هذا حديثٌ عظيمٌ جليلُ الموقع، وهو أجمع، أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها،[(٣)] فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين [به][(٤)] جميعهم. اهـ

ومعنى لا إله إلا الله، أي: لا معبودَ حقٌّ إلا الله [وحده][(٥)]، وهو في مواضع من القرآن، ويأتيك في قول البقاعي صريحًا.

قولهُ: «**وحده**» تأكيد للإثبات، «**لا شريك له**» تأكيد للنفي. قاله الحافظ.

---

(١) في [ب]: تصلح.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) هذا الحديث جمعَ فيه البراءة من ملل الكفر.

فقوله: «**من قال أشهد...**» فيه الرد علىٰ عُبَّاد الأوثان.

وقوله: «**وأن عيسىٰ عبدالله**» فيه ردٌّ علىٰ النصارىٰ الذين غَلَو فيه، فنفىٰ عنه الألوهية.

وقوله: «**ورسوله**» فيه الرد علىٰ اليهود الطاعنين فيه.

وقوله: «**وأنَّ الجنة حقٌّ، والنار حق**» فيه الرد علىٰ المكذبين بالبعث والنشور.

سؤال: هل اليهود والنصارىٰ يؤمنون بالجنة والنار؟

الجواب: نعم، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾[البقرة:٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾[البقرة:١١١].

(٤) ساقط من [ب].

(٥) ساقط من [ب].

كما قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٦٥]، فأجابوا رَدًّا عليه بقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[الأعراف:٧٠]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[الحج:٦٢]؛ فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة وإثباتها لله وحده لا شريك له، والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا، ويقرره، ويرشد إليه.

فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب، والخضوع، والتذلل، رغبًا ورهبًا، وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى كما تقدم في أدلة هذا الباب، وما قبله، فمن صرف من ذلك شيئًا لغير الله؛ فقد جعله نِدًّا لله، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل.

ذكر كلام العلماء في معنى الإله:

قد تقدم كلام ابن عباس.(١)

وقال الوزير أبو المظفر في "الإفصاح": قوله: شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالما بأن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾.

قال: واسم (الله) مرتفعٌ بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه.

قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله؛ فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله [سبحانه](٢) كنت ممن كفر

---

(١) تقدم في بداية الكتاب في شرح البسملة.

(٢) في [ب]: تعالى.

بالطاغوت وآمن بالله.

وقال[(١)] في "البدائع" رَدًّا لقول من قال: (إن المستثنَى مخرج من المنفي).

قال [يعني ابن القيم][(٢)]: بل هو مُخَرَّجٌ من المنفي وحكمه؛ فلا يكون داخلًا في المنفي؛[(٣)] إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقول: لا إله إلا الله؛ لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى، وهذه أعظم كلمة تضمنت نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها له بوصف الاختصاص، فدلالتها على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قولنا: (الله إله)، ولا يستريب أحدٌ في هذا البتة. انتهى بمعناه.[(٤)]

[**قلت:** ولا ريب أنه لم يدخل في المنفي أصلًا؛ لأنَّ المراد من هذه الكلمة إفراده تعالى بالإلهية في قلب الموحد، وقوله، وعمله، كما دلت عليه الآيات المحكمات كما أخبر عن دعوة رسله ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[المؤمنون:٣٢]، فنفوا الإلهية عمَّا سوى الله تعالى، وأثبتوها لله وحده؛ فإنه تعالى هو المتصف بتفرده بالإلهية أزلًا وأبدًا، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[الحج:٦٢].

وأخبر تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف:٧٠]، أرادوا

---

(١) في حاشية [أ]: يعني ابن القيم.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) يعني أن ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ردَّ علىٰ قول بعض النحويين أنَّ المستثنىٰ مخرج من المستثنىٰ منه، بمعنىٰ: أنه لا تعرض له في الحكم بإثباتٍ ولا نفي، فتقول: (جاء القوم إلا زيدًا)، أي: زيد ليس فيه تعرض له، هل جاء أم لم يأت؟ ويحتمل أنه أتىٰ بعد ذلك، **والراجح** قول جمهور النحويين أنَّ المستثنىٰ يخالف المستثنىٰ منه حتىٰ في الحكم؛ فيكون معنىٰ المثال السابق أننا نجزم أنَّ زيدًا لم يأت، فأخرجنا أيضًا الحكم، وهو المجيء، هذا هو معنىٰ كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

نرجع الآن إلىٰ (لا إله إلا الله)، فلفظ الجلالة الواقع بعد (إلا) مخالف لما قبله في الحكم، فتلك المعبودات المنفية لا تُعبد بحق إلا الله؛ فإنه يُعبد بحق.

(٤) من "بدائع الفوائد" (٣/ ٥٨) بتصرف واختصار.

أن يدخلوه في جملة آلهتهم في العبادة، وأنكروا أن تكون العبادة له وحده، مع معرفتهم أنَّ (لا إله إلا الله) تبطل ذلك.

وتسوية آلهتهم بالله في العبادة هو الشرك الأكبر الذي يوجب الخلود في النار، فالموحد مخالف للمشرك في قوله، وفعله، ونيته، وهذا ظاهرٌ لا خفاء به بحمد الله][(١)].

وقال أبو عبد الله القرطبي في ["تفسيره"][(٢)]: (لا إله إلا الله)، أي: لا معبود إلا هو.[(٣)]

وقال الزمخشري: الإله من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس، يقع على كل معبود بحق أو بباطل، ثم غلب على المعبود بحق.[(٤)]

قال شيخ الإسلام: الإله هو المعبود المطاع؛ فإنَّ الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق [أن يعبد][(٥)] هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.[(٦)]

[وقال رحمه الله تعالى: فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تأله القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتُنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده؛ ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه، وأهلَ غضبه ونقمته، فإذا صَحَّت؛ صَحَّ بها كل مسألة، وحال، وذوق، وإذا لم يصححها العبد؛ فالفساد لازم له في علومه وأعماله].[(٧)]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٢) في [ب]: تفسير.

(٣) في "تفسيره" لسورة التغابن [آية: ١٣]، قال: لا معبود سواه.

(٤) انظر "الكشاف" (١/ ٤٩)، والزمخشري معتزلي ضال.

(٥) ساقط من [أ].

(٦) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٠/ ٢٤٩)، (٢/ ١٤).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

وقال ابن القيم: (الإله) هو الذي تألهه القلوب؛ محبةً، وإجلالًا، وإنابةً، وإكرامًا، وتعظيمًا، وَذُلًّا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلًا.(١)

وقال ابن رجب: (الإله) هو الذي يُطاع فلا يُعصى؛ هيبةً له، وإجلالًا، ومحبةً، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية؛ كان ذلك قدحًا في إخلاصه [في قول](٢) (لا إله إلا الله)، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك.

وقال البقاعي(٣): لا إله إلا الله، أي: [انتفى](٤) انتفاء عظيمًا أن يكون معبود بحقٍّ غير الملك الأعظم؛ فإن هذا العِلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف.(٥)

وقال الطِّيبي: (الإله) فعال، [بمعنى: مفعول، كالكتاب](٦) بمعنى المكتوب، من أله إلهة، أي: عبد عبادة.(٧)

قال الشارح: وهذا كثيرٌ [جدًّا](٨) في كلام العلماء، وإجماعٌ منهم أنَّ الإله هو المعبود

---

(١) انتهىٰ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٤٣-٤٤)ط/ المكتب الإسلامي.

(٢) في [أ]: من قوله.

(٣) البقاعي منسوب إلىٰ بِقاع: اسم لمنطقة في الشام بين بعلبك، وحمص، ودمشق، واسمه: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط، عالمٌ، أديب، مفسِّر ومحدِّث، وُلِد عام (٨٠٩هـ)، وتوفي عام (٨٨٥هـ)، انظر كتاب "معجم المؤلفين في اللغة العربية" (١/ ٧١).

(٤) ساقط من [ب].

(٥) انظر "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" [آية:١٩] من سورة محمد.

(٦) ساقط من [أ].

(٧) انظر شرح الطيبي علىٰ المشكاة (٢/ ٤٢٥) في شرح حديث جبريل.

(٨) ساقط من [ب].

خلافًا لما يعتقده عُبَّاد القبور، وجهلة المتكلمين من أنَّ معناه [أنه][١] هو الخالق والقادر على الاختراع، ونحو ذلك.

ويظنون أنهم إذا قالوها فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى، ولو فعلوا [ما فعلوا][٢] من عبادة غير الله، كدعوة الأموات، والاستغاثة بهم في القربات، والنذر لهم في الْـمُلِمَّات، إلى غير ذلك من أنواع العبادات.

وما شعروا أنَّ مشركي العرب وغيرهم يشاركونهم في الإقرار بهذا المعنى، ويعتقدون أنَّ الله هو الخالق القادر على الاختراع، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩].

فأخبر تعالى عنهم أنهم اتخذوا الأولياء من دونه، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].[﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ﴾].[٣]

فتبًّا لمن كان أبو جهل ورؤوس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، فعرفوا أنها تدل على ترك عبادة معبوداتهم.[٤]

قلت: ودلالتها على هذا دلالة تضمن، وأنَّ ذلك يقتضي إخلاص العبادة لله وحده، فدلالتها على نفي الآلهة وعبادتها، وإفراد الله تعالى بالعبادة دلالة مطابقة؛[٥] فَدَلَّت (لا إله

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ساقط من [ب].

(٤) انظر: "تيسير العزيز الحميد" (٧٦-٧٧).

(٥) أي: دلالتها علىٰ أنه لابد من إفراد الله بالعبادة دلالة تضمن، فكلمة التوحيد تشتمل علىٰ أمرين:=

إلا الله) على نفي [الإلهية][(١)] عن كل ما سوى الله تعالى كائنًا من كان، وإثبات الإلهية لله وحده دون [كل][(٢)] ما سواه.

وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ودلَّ عليه القرآن من أوله إلى آخره كما قال تعالى عن الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢]، فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيًا وإثباتًا، واعتقد ذلك، وقبله وعمل به، وأما من قالها عن غير علم واعتقاد وعمل؛ [فقد][(٣)] تقدم [في][(٤)] كلام العلماء أن هذا جهل صرف؛ [فهي][(٥)] حجة عليه بلا ريب.

فقوله في الحديث: «**وحده لا شريك له**» تأكيد وبيان لمضمون معناها، وقد أوضح اللهُ ذلك وبينه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين، فما أجهل عباد القبور بحالهم! وما أعظم ما وقعوا فيه؛ فَإِنَّ مشركي العرب ونحوهم جحدوا (لا إله إلا الله) لفظًا ومعنى.

وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظًا [وجحدوها][(٦)] معنى، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بأنواع العبادة: كالحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتوكل، والدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة، بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب؛ فإن أكثرهم إذا وقع في

= **الأول:** نفي المعبودات من دون الله. **الثاني:** إثبات العبادة لله وحده. فدلالتها علىٰ الأمرين دلالة مطابقة، ودلالتها علىٰ أحد الأمرين تُسَمَّىٰ دلالة تضمن.

(١) في [ب]: العبادة.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) ساقط من [ب].

(٥) في [ب]: فهو.

(٦) في [أ]: وجحدوا بها.

شدةٍ أخلص الدعاء لغير الله تعالى، ويعتقدون أنه أسرع فَرَجًا لهم [من الله](١)، بخلاف حال المشركين الأولين؛ فإنهم يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنما يخلصون لله وحده كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥] الآية، فبهذا [يتبين](٢) أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم.

وقوله: «وأن محمدًا عبده ورسوله».

أي: وشهد بذلك، وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل، ومعنى العبد هنا: المملوك العابد،(٣) أي: أنه مملوك لله تعالى، والعبودية الخاصة وصفه كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦].

فأعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة، فالنبي محمد ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين [الشريفتين].(٤)

وأما الربوبية والإلهية فهما حق الله تعالى لا [يشركه](٥) في شيء [منهما](٦) ملك مقرب ولا نبي مرسل.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) في [ب]: تبيَّن.

(٣) العبودية نوعان: عامة، وهي لجميع المخلوقات، فمعناها: أنها داخلة تحت الذل، والقهر؛ فهي مسيرة لله علىٰ ما يريده، وداخلة تحت أمر الله الكوني القدري، فجميعها خاضعة له ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]. والعبودية الخاصة هي امتثال شرع الله، فيتقرب إلىٰ الله بشرعه، فيفعل المأمورات، ويتجنب المنهيات.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) في [ب]: يشاركه.

(٦) في [ب]: منهما.

وقولهُ: «عبده ورسوله».

أتى بهاتين الصفتين وجمعهما؛ دفعًا للإفراط والتفريط؛ فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولًا وفعلًا، وفرط بترك متابعته، واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به، وتعسف في تأويل أخباره وأحكامه بصرفها عن مدلولها، والصدف عن الانقياد لها مع اطِّرَاحها؛ فإنَّ شهادة أن محمدًا [عبدالله](١) ورسوله تقتضي الإيمان به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدم عليه قول أحد كائنًا من كان.

والواقع اليوم وقبله خلاف ذلك، فالله المستعان.

وروى الدارمي في "مسنده" عن عبد الله بن سلام ﵁ أنه كان يقول: إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ: (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويتجاوز، لن أقبضه حتى يقيم الملة المتعوجة بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، يُفْتَحُ بها أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا وقلوبا غُلفًا)، قال عطاء بن يسار: وأخبرني أبو واقد الليثي أنه سمع كعبًا يقول مثل ما قال ابن سلام.(٢)

---

(١) في [ب]: عبده.

(٢) **صحيح**. رواه الدارمي (٦)، من طريق: عبدالله بن صالح، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد ابن أبي هلال، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن سلام به.

❁ وأخرجه أيضًا الفسوي في "المعرفة" (٣/ ٢٧٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (١/ ٣٧٦)، من طريقه، وكذلك أبو القاسم الأصبهاني في "الدلائل" (٤/ ١٣٣٧)، كلهم من طريق: عبدالله بن صالح به، وهذا إسناد ضعيف؛ لأن عبدالله بن صالح كاتب الليث، فيه ضعف، ولكن قد تابعه شعيب بن الليث بن سعد كما في "الشريعة" للآجري برقم (٩٨٠)، وهو ثقة؛ فالأثر صحيح.

❁ وهو عند البخاري (٢١٥١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄.

قولهُ: «وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله».

أي: خلافًا لما يعتقده النصارى أنه الله، أو ابن الله، أو [أنَّ الله][(١)] ثالث ثلاثة[(٢)] -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[المؤمنون:٩١]، فلابد أن يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله على علم ويقين بأنه مملوك لله، خلقه من أنثى بلا ذكر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]، فليس رَبًّا، ولا إلهًا، سبحان الله عما يشركون، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْـمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٢٩-٣٠] الآية، وقال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٧٢]، ويشهد المؤمن أيضًا ببطلان قول أعدائه اليهود: إنه ولد بغي. لعنهم الله تعالى، فلا يصح إسلام أحد[(٣)] حتى يتبرأ من قول الطائفتين [جميعًا][(٤)] في عيسى عليه السلام، ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه أنه عبد الله ورسوله.

قولهُ: (وكلمته) إنما سُمِّيَ عيسى عليه السلام كلمته؛ لوجوده بقوله تعالى: ﴿كُنْ﴾[(٥)] كما

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) أي: إنه مع أمه ثالث لله عزوجل، والدليل علىٰ هذا التفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[المائدة:١١٦]، هذا هو التفسير الصحيح لها.
وقيل: المقصود: أنه واحد بالذات، ثلاثة بالخواص والصفات، ويقولون: فيه صفات الإلهية، وصفات البشرية، وصفات الازدواجية. تعالىٰ الله عمَّا يقول النصارىٰ علوًّا كبيرًا.

(٣) في المطبوع زيادة: (علم ما كانوا يقولونه).

(٤) ساقط من [أ].

(٥) أي: أن الله خلقه بكلمة (كن)، فأطلقت عليه الكلمة؛ لأنَّ الله أوجده بها، وأما بقية البشر؛ فإن الله خلقهم بسببٍ من الأسباب، وهو الماء.

قاله السلف من المفسرين.

قال الإمام أحمد في "الرد على الجهمية": الكلمة التي ألقاها إلى مريم قال له ﴿كُنْ﴾؛ فكان عيسى بـ(كن)، وليس عيسى هو (كن)، [1] ولكن كان بـ(كن)، فـ(كن) من الله تعالى قولًا، وليس (كن) مخلوقًا، وَكَذَبَ النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى. [2] انتهى. [3]

قوله: «ألقاها إلىٰ مريم».

قال ابن كثير: خلقه [اللهُ] [4] بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عزوجل، فكان عيسى بإذن الله عز و جل؛ فهو ناشئٌ عن الكلمةِ التي قال له كن فكان، والروحِ التي أرسل بها هو جبريل عليه السلام. [5]

وقوله: «وروح منه».

قال أُبي بن كعب: عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله تعالى واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾[الأعراف:١٧٢]، بعثه الله إلى مريم، فدخل فيها. رواه عبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في "زوائد المسند"، وابن جرير، وابن أبي حاتم وغيرهم. [6]

---

(١) يعني ليس عيسىٰ هو كلمة الله نفسها، وإنما عيسىٰ مخلوق بكلمة الله (كن).

(٢) كذب النصارىٰ؛ لأنهم جعلوه إلهًا، وكذب الجهمية؛ لأنهم جعلوا هذه الآية دليلًا علىٰ أنَّ كلام الله مخلوق، فقالوا: قوله ﴿كُن﴾ هذا أمر الله، وكون عيسىٰ كلمته، وعيسىٰ مخلوق؛ فكلمته مخلوقة؛ فالقرآن مخلوق. وهذا باطلٌ، وكذبٌ؛ لأنه ليس المقصود أنَّ عيسىٰ هو نفس الكلمة، وإنما المقصود أنَّ عيسىٰ خلق بهذه الكلمة ﴿كُن﴾.

(٣) من كتاب "الرد علىٰ الجهمية والزنادقة" ضمن كتاب "عقائد السلف" (ص٨٣).

(٤) ساقط من [ب].

(٥) انظر: "تفسير ابن كثير" [آية: ١٧١] من سورة النساء.

(٦) الأثر له إسنادان: **الأول**: أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٩/ ١١٥)، والحاكم (٢/ ٣٢٣-)، من طريق أبي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب فذكره، وفيه:=

قال الحافظ: وَوَصْفُهُ بأنه منه؛ المعنى: أنه كائنٌ منه كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية:١٣]؛ فالمعنى: أنه كائن منه كما أن معنى الأية

= أبو جعفر الرَّازي، فيه ضعفٌ. الثاني: أخرجه عبدالله بن أحمد في "زوائده على المسند" (٥/ ١٣٥) عن محمد بن يعقوب الربالي ثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبي بن كعب، وفيه: محمد بن يعقوب الرَّبالي، مجهول الحال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير سورة مريم [آية: ١٧]: وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي.اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في الروح (ص١٦٢): وغايته لو صح ولم يصح أن يكون من كلام أبي، وهذا الإسناد يروىٰ به أشياء منكرة جدا مرفوعة وموقوفة، وأبو جعفر الرازي وثق وضعف، وقال علي بن المديني: كان ثقة. وقال أيضا: كان يخلط. وقال ابن معين: هو ثقة. وقال أيضا: يكتب حديثه إلا أنه يخطئ. وقال الإمام أحمد: ليس بقوي في الحديث. وقال أيضا: صالح الحديث. وقال الفلاس: سيء الحفظ. وقال أبو زرعة: يهم كثيرًا. وقال ابن حبان: ينفرد بالمناكير عن المشاهير.

ومما ينكر من هذا الحديث: قوله: (فكان روح عيسىٰ من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق، فأرسل ذلك الروح إلىٰ مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فدخل في فيها)، ومعلوم أن الروح الذي أرسل إلىٰ مريم ليس هو روح المسيح، بل ذلك الروح نفخ فيها؛ فحملت بالمسيح. قال تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ فروح المسيح لا يخاطبها عن نفسه بهذه المخاطبة قطعا، وفي بعض طرق حديث أبي جعفر هذا أن روح المسيح هو الذي خاطبها، وهو الذي أرسل إليها.

ومعنىٰ قوله: «**روح من الأرواح التي خلقها الله تعالىٰ واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾**»، هو كما جاء في أحاديث متكاثرة أن الله عند أن خلق آدم مسح علىٰ ظهره، فاستخرج من ظهره ذرية آدم إلىٰ قيام الساعة أخرجهم كأمثال الذَّر، فاستنطقهم الله، فقال: **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾**، هذا هو الميثاق الذي أخذه الله عزوجل علىٰ بني آدم، قال تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ الآية.

ومعنىٰ قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، أي: أن عيسىٰ من أرواح بني آدم؛ فهو روح من أرواح الله، ولما أضافه إلىٰ نفسه هل هو جزء من الله؟ هذا هو الذي ضَلَّت به النصارىٰ، فظنُّوا أنه جزء من الله، فقالوا: ابن الله. فألهوه، والصحيح في تفسير هذه الفقرة أنه روح من أرواح الله التي خلقها الله، وإنما أضافها إلىٰ نفسه إضافة تشريف.

الأخرى: أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه، أي: أنه مُكَوِّن ذلك وموجده [بقدرته][(١)] وحكمته.

قال شيخ الإسلام: المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنًى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات؛ وجب أن يكون صفةً لله تعالى قائمةً به،[(٢)] وامتنع أن تكون إضافتها إضافة مخلوق مربوب؛ فإذا كان المضاف عينًا قائمةً بنفسها كـعيسى، وجبريل عليهما السلام، وأرواح بني آدم؛[(٣)] امتنع أن تكون صفةً لله تعالى؛ [لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره][(٤)]، لكن [الأعيان المضافة][(٥)] إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تضاف إليه؛ لكونه خلقها وأبدعها، فهذا شاملٌ لجميع المخلوقات، كقولهم: (سماء الله، وأرض الله)؛ فجميع المخلوقين عبيد الله، وجميع المال مال الله.

الوجه الثاني: أن يُضاف إليه لما خَصَّه به من معنى يحبه، ويأمر به ويرضاه، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره، وكما يقال عن مال الخُمُس والفيء: (هو مال الله ورسوله).

ومن هذا الوجه: فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافة تتضمن

(١) في [ب]: بقدره.

(٢) (لا يقوم بنفسه) كصفة العلم، والقدرة، والحكمة... . (ولا بغيره) كالروح؛ فإنها تقوم بغيرها؛ فلا تقوم بالله، بل يركِّبها الله في المخلوقات.

(٣) أرواح بني آدم هي قائمة بنفسها من حيث أنها محسوسة، وليست مجرد معنىً؛ فإنها كانت منفردة قبل أن يخلق بنو آدم، وكذلك لأنها تُرَىٰ عند أن يصعد بها بعد الموت؛ فهي قائمة بنفسها. وأيضًا هي قائمة بغيرها؛ فإنَّ الله يركبها في المخلوقات، فالأرواح من حيث ذاتها قائمة بنفسها، ومن حيث أنَّ الله يركبها في مخلوقاته فهي قائمة بغيرها.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٥) في [ب]: المضاف.

ألوهيته، وشرعه، ودينه، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه. انتهى ملخصًا.(١)

قوله: «**والجنة حق والنار حق**».

أي: وشهد أن الجنة التي أخبر بها تعالى في كتابه أنه أعدها للمتقين حقٌّ، [أي](٢): ثابتة لا شك فيها، وشهد أنَّ النار التي أخبر بها تعالى في كتابه أنه أعدها للكافرين حق كذلك، ثابتةٌ كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢١]، وفي الآيتين ونظائرهما دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن خلافًا للمبتدعة،(٣) وفيهما الإيمان بالمعاد.

قوله: «**أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**».

هذه الجملة جواب الشرط.

وفي رواية: «**أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**».(٤)

قال الحافظ: ومعنى قوله: «**علىٰ ما كان من العمل**»، أي: من صلاحٍ أو فسادٍ؛ [لأن](٥) أهلَ التوحيد لابد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله: «**علىٰ ما**

---

(١) انظر: "درء تعارض العقل والنقل" (٧/ ٢٦٥).

(٢) ساقط من [ب].

(٣) المبتدعة كالمعتزلة وغيرهم الذين يقولون: لا توجد الآن، إنما يوجدها الله يوم القيامة. والذي يدل علىٰ أنهما مخلوقتان الآن -وهو أصرح ما يدل علىٰ ذلك- حديث المعراج؛ إذ أنه ﷺ رأىٰ الجنة والنار، وحديث صلاة الكسوف؛ فإنها عُرضت عليه، وهو في الصلاة.

(٤) أخرجها الشيخان كما في التخريج السابق.

(٥) في [أ]: ولأنَّ. وفي "الفتح": لكنَّ.

كان من [**العمل**][1] »: أي: يدخل [أهل][2] الجنة [الجنة][3] على حسب [أعمالِ][4] كُلٍّ [منهم][5] في الدرجات. انتهى.[6]

قال القاضي عياض: ما ورد في حديث عبادة يكون خصوصًا لمن قال ما ذكره [النبي][7] ﷺ، وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه؛ فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة، ودخول الجنة لأول وهلة.

قال العلامة ابن القيم [رحمه الله تعالى]: والمقصود أنَّ كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا [بمعناها وحقيقتها][8] نفيًا وإثباتًا، متَّصِفًا بموجبها، قائمًا قلبه، ولسانه، وجوارحه بشهادته؛ فهذه الكلمة [في][9] هذا الشاهد، أصلها ثابتٌ راسخٌ في قلبه، وفروعها متصلة في السماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت[10]. انتهى.[11]

---

(١) في [أ]، و[ب]: «**عمل**»، والمثبت من «الفتح».

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من «الفتح».

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من «الفتح».

(٥) في [أ]، و[ب]: منهما، والمثبت من «الفتح».

(٦) من «فتح الباري» رقم (٣٤٣٥).

(٧) ساقط من [أ].

(٨) في [ب]: لمعناها وحقيقته.

(٩) في [ب]: من. وفي «الأعلام»: فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد.

(١٠) في [أ] كلام ابن القيم مذكور في موضع آخر قبيل كلام شيخ الإسلام الآتي قريبًا.

(١١) من «أعلام الموقعين» (١/ ١٧٣).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهما في حديث عِتبان: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».(١)

ش/ قوله: (ولهما).

أي: [البخاري](٢) ومسلم في "صحيحيهما" بكماله، وهذا طرفٌ من حديثٍ طويل أخرجه الشيخان.

وعِتبان بكسر المهملة بعدها مثناة فوقية ثم موحدة: ابن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري، من بني سالمِ بنِ عوف، صحابيٌّ مشهور مات في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري في "صحيحه" بسنده عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله، وسعديك. قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله، وسعديك. قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله، وسعديك. -ثلاثًا- قال: «**ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله تعالىٰ علىٰ النار**»، قال: يا رسول الله، أفلا [أخبر به](٣) الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذًا يَتَّكِلُوا**»، فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثمًا.(٤)

وساق بسند آخر: حدثنا معتمر، قال: [سمعت أبي، قال](٥): سمعت أنسًا، قال: ذُكِرَ لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «**من لقيَ اللهَ لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**»، قال: ألا أبشر الناس؟ قال: «**لا، إني أخاف أن يتكلوا**».(٦)

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥)، ومسلم برقم (٢٦٣) من [كتاب المساجد].

(٢) في [ب]: للبخاري.

(٣) في [أ]: أبشر.

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، وأخرجه أيضًا مسلم برقم (٣٢)، وليس عنده: «**صدقًا من قلبه**».

(٥) ساقط من [أ].

(٦) أخرجه البخاري برقم (١٢٩).

قلت: فتبين بهذا السياق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدقٍ، ويقينٍ، وإخلاصٍ.

قال شيخ الإسلام وغيره [في][(١)] هذا الحديث ونحوه: إنها فيمن قالها [ومات عليها، كما جاءت مُقَيَّدَةً بقوله: «**خالصًا من قلبه غير شاك فيها**»][(٢)]، بصدق ويقين؛ فإنَّ حقيقةَ التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى [جملةً، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا [من][(٣)] قلبه؛ دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب الروح إلى الله][(٤)] بأن يتوب من الذنوب توبةً نصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل [النار][(٥)]، ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حَرَّم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون [لله][(٦)]، وتواترت [بأنه][(٧)] يُحَرِّم على النار من قال: لا إله إلا الله، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثِّقَال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا، أو عادة، ولم يخالط الإيمانُ بشاشةَ قلبه، وغالب من يُفتن عند الموت، وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث «**سمعت الناس يقولون شيئا فقلته**»[(٨)]، وغالب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ما بين المعقوفين تقدم في [أ] قبل قوله (قال شيخ الإسلام).

(٣) في [أ]: في. والمثبت من "التيسير".

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٥) ساقط من [ب].

(٦) وقع ههنا في [أ] زيادة خطأً؛ لعله بسبب انتقال نظر الناسخ.

(٧) في [ب]: بأنَّ الله.

(٨) أخرجه البخاري برقم (٨٦)، ومسلم برقم (٩٠٥)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث؛ فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تامٍّ لم يكن في هذه الحال مُصِرًّا على ذنب أصلًا؛ فإنَّ كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك؛ فإن هذا الإيمان، وهذا الإخلاص، وهذه التوبة، وهذه المحبة، وهذا اليقين لا يتركون له ذنبًا إلا مُحِيَ عنه كما يمحو الليل النهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر؛ فهذا غير مُصِرٍّ على ذنب أصلًا، فيغفر له، ويحرم على النار؛ وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر،[1] ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة[2]، فيحرم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته ومات مُصِرًّا على ذلك؛ فإنه يستوجب النار، وإن قال لا إله إلا الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده؛ فإنه في حال قولها كان مُخلصًا، لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص، فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المخلص المستيقن؛ فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مُصِرًّا على سيئاته؛ فإنْ مات على ذلك؛ دخل الجنة.

وإنما يُخَاف على المخلص أن يأتي بسيئة راجحة، فيضعف إيمانه، فلا يقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السيئات، وَيُخْشَى عليه من الشرك الأكبر والأصغر؛ فإن سلم من

---

(١) يعني عنده ذنوب ومعاصي، فإخلاصه ليس بكامل، ولا تام؛ فالإخلاص التام، واليقين التام، والمحبة التامة تجعل الإنسان لا يصر علىٰ الذنوب؛ فإنه يجتهد في ترك المعصية، وإذا ألقاه الشيطان فيها سارع إلىٰ التوبة، والاستغفار.

(٢) سيأتي ذكره وتخريجه (ص١٠٥).

الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجح جانب السيئات؛ فإنَّ السيئات تُضْعِفُ الإيمانَ واليقينَ، فيضعف قول لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم، أو من يحسن صوته بالآية من القرآن من غير ذوق [طعم](١) وحلاوة، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويحيون على ذلك ويموتون على ذلك، ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة، وإذا كثرت الذنوب؛ ثقل على اللسان قولها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأن إلى الباطل، واستحلى الرفث، ومخالطة أهل الباطل، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدقه عمله.(٢)

قال الحسن: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وَقَرَ في القلوب، وصدقته الأعمال، فمن قال خيرًا، وعمل خيرًا قُبِلَ منه، ومن قال خيرًا، وعمل شَرًّا لم يقبل منه.(٣)

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) كثيرٌ من الناس إذا كثرت عليه الذنوب ربما جرَّته إلىٰ النفاق، والكفر، وكما قال جماعة من أهل العلم: (المعاصي بريد الكفر)، فتجده يخذل كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧] ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف:٥]، وضرب الله مثلًا للمنافقين، فجعلهم قسمين: قسمٌ معرض من أول الأمر، وآمن رياءً. وقسم آمن، ثم ارتد كما في سورة البقرة: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾[البقرة:١٨] الآية، فهذا مثلٌ للذين دخلوا الإسلام، ثم كفروا فطبع علىٰ قلوبهم. والقسم الثاني في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة:١٩] الآية، يعني أنهم يعرضون عن سماع الآيات الشرعية والمواعظ كما أنَّ الذي يخاف من الرعد والبرق يجعل أصابعه في آذانه حتىٰ لا يسمع.

(٣) أثر الحسن ثابت، فإلىٰ قوله: (وصدقته الأعمال) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٤) بإسناد حسن، وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٥٦٥)، وفي سنده رجلٌ مبهم. وأما بقية الأثر فهو بمعنىٰ ما ذكره =

وقال [بكر][(١)] بن عبد الله المزني: ما سبقهم أبو بكر ﵁ بكثرة صيام، ولا صلاة، ولكن بشيء وَقَرَ في [قلبه][(٢)][(٣)].

فمن قال: (لا إله إلا الله)، ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا، وكان صادقًا في قولها، مُوقِنًا بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي، [رجحت][(٤)] هذه السيئات على هذه الحسنة، ومات مُصِرًّا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق؛ فإنه إما أن لا يكون مُصِرًّا على سيئة أصلًا، [أو يكون][(٥)] توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها: [إما أنهم][(٦)] لم يقولوها بالصدق واليقين [التامين][(٧)] الْـمُنَافِيَيْنِ للسيئات أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين [تامٍّ][(٨)]؛ لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات، فترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصًا.

= الشارح، وليس بالنص، أخرجه ابنُ بطة في "الإبانة" (١٠٩٣)، وفي سنده ضعفٌ، وأخرجه ابن المبارك (٩١) بمعناه بسند صحيح.

(١) في [ب]: أبو بكر، وهو خطأ.

(٢) في [أ]: صدره.

(٣) صحيح. أخرجه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" رقم (١١٨)، وابن بطة في "الإبانة" رقم (٢٤٥)، ولفظه: (ما فضلهم) بدلًا من (ما سبقهم)، من طريق: إسماعيل ابن عُلَيَّة، عن غالب القطان، عن بكر به، وهذا إسناد صحيح، رجاله رجال الشيخين.

(٤) في النسختين (فرجحت)، والمثبت من "التيسير" (ص٩٠).

(٥) في النسختين: (ويكون)، والمثبت من "التيسير" (ص٩٠).

(٦) ساقط من [ب].

(٧) في [أ]: التام.

(٨) ساقط من [أ].

وقد ذكر هذا كثير من العلماء كابن القيم و ابن رجب وغيرهم.[(١)]

قلت: وبما قرره شيخ الاسلام رحمه الله تعالى تجتمع الأحاديث.[(٢)]

قال: وفي الحديث دليلٌ على أنه لا يكفي في الإيمان النطقُ من غير اعتقاد وبالعكس، وفيه: تحريم النار على أهل التوحيد الكامل، وفيه أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لله تعالى.

تنبيه: قال القرطبي في "تذكرته": قوله في الحديث «**من إيمان**»، أي: من أعمال الإيمان[(٣)] التي هي من أعمال الجوارح؛ فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من الإيمان، والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلناه، ولم يُرِدْ مجرد الإيمان الذي هو التوحيد، ونفي الشركاء، والإخلاص بقوله لا إله إلا الله: [ما][(٤)] في الحديث نفسه من قوله «**أخرجوا**»، ثم بعد ذلك يقبض سبحانه قبضة فيخرج قومًا لم يعملوا خيرًا قط، يريد بذلك: إلَّا التوحيد المجرد من الأعمال. اهـ ملخصًا من "شرح سنن ابن ماجه".[(٥)]

---

(١) انظر: "مدارج السالكين" (١/ ٣٢٨-)، وكلمة الإخلاص (ص٢٠-).

(٢) لأنه قد يقال: إنَّ في ظاهرها التعارض، ففي بعض الأحاديث: «من قال: لا إله إلا الله؛ حرَّمه الله علىٰ النار» أو: «دخل الجنة»، وفي بعض الأحاديث أنه «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة، أو...»، وفي بعض الأحاديث أن «**بعضهم يُصلُّون، ويُعرفون بأثر السجود**»، فالجمع بينها أنَّ لهم سيئات رجحت علىٰ حسناتهم، وضعف يقينهم، وإخلاصهم؛ فيكون معنىٰ الحديث (خالصًا من قلبه)، أي: كامل الإخلاص الذي يمنعه من الإصرار علىٰ السيئات؛ فالإخلاص يتفاوت، واليقين والصدق يتفاوت؛ فالإخلاص التام، واليقين التام، والصدق التام لا يجعل الإنسان يصر علىٰ ذنب أصلًا، وإن وقع فيها؛ فإنه يكفر عنه بإخلاصه التام، والصدق التام، ومن دخلها من أهل التوحيد فيُحمل علىٰ أنه كثرت عنده السيئات حتىٰ رجحت علىٰ حسناته، وضعف يقينه وإخلاصه وصدقه. هذا معنىٰ كلام شيخ الإسلام رحمه الله، وخلاصته.

(٣) في [أ] زيادة: علىٰ لسان ما شرعه رسول الله ﷺ. وهي زيادة مقحمة.

(٤) في النسختين (لما)، والمثبت من "التذكرة".

(٥) انظر: "التذكرة في أحوال الموتىٰ والآخرة" (ص٣٠١).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي سعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ مُوسَىٰ: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَىٰ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا! قَالَ: يَا مُوسَىٰ، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» رواه ابن حبان والحاكم وصححه.(١)

ش/ أبو سعيد: اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، صحابيٌّ جليل، وأبوه كذلك، اسْتُصْغِرَ أبو سعيد بِأُحُد، وشهد ما بعدها، مات بالمدينة سنة ثلاث، أو أربع، أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين.

[قوله](٢): «**أذكرك**».

أي: أُثني عليك، «**وأدعوك**»، أي: أسألك به.

قوله: «**قل يا موسىٰ: لا إله إلا الله**».

فيه: أنَّ الذاكرَ يقولها كلها، ولا يقتصر على لفظ الجلالة، ولا على (هو) كما يفعله غلاة جهال المتصوفة؛ فإن ذلك بدعة وضلال.

قوله: «**كل عبادك يقولون هذا**».

ثبت بخط المصنف بالجمع، والذي في الأصول «**يقول**» بالإفراد؛ مراعاةً للفظة

---

(١) **ضعيف**. أخرجه ابن حبان (٦٢١٨)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، وأخرجه أيضًا النسائي في "الكبرىٰ" (١٠٦٧٠)، وأبو يعلىٰ (١٣٩٣)، والطبراني في "الدعاء" (١٤٨٠)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (١٨٥)، وفي إسناده: أبو السمح درَّاج بن سمعان، الراجح ضعفه. وجملة: «**لو أنَّ السماوات السبع وعامرهن**» إلىٰ قوله: «**مالت بهن لا إله إلا الله**» لها شاهد من حديث عبدالله بن عمرو: أنَّ نوحًا قال لابنه عند موته... .الحديث، وسيذكره الشارح قريبًا، ونذكر تخريجه هنالك.

(٢) ساقط من [أ].

«**كل**»، و[هو][1] في "المسند" من حديث عبد الله بن عَمْرو بلفظ الجمع[2] كما ذكره المصنف على معنى (كل).

ومعنى: «**كل عبادك يقولون هذا**».

إنما أريد شيئًا تَخُصُّنِي به من بين عموم عبادك.

وفي رواية -بعد قوله: «**كل عبادك يقولون هذا**»-: «**قل: لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا أنت، يا رب، إنما أريد شيئًا تَخُصُّنِي به**»[3].

ولما كان بالناس -بل بالعالم كله- من الضرورة إلى لا إله إلا الله ما لا نهاية له؛ كانت من أكثر الأذكار وجودًا، وأيسرها حصولًا، وأعظمها معنى، والعوام والجهال يَعْدِلُون عنها إلى الدعوات المبتدعة التي ليست في الكتاب ولا في السنة.

قوله: «**وعامرهن غيري**» هو بالنصب عطفٌ على السموات، أي: لو أن السموات السبع ومن فيهن من العُمَّار غير الله تعالى، والأرضين السبع ومن فيهن وضعوا في كفة الميزان، ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى؛ مالت بهن لا إله إلا الله.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «**أنَّ نوحًا** عليه السلام **قال لابنه عند**

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) أي: بلفظ «يقولون»، وهذا وهم؛ فالحديث ليس في "مسند أحمد" من أصله، لا من حديث أبي سعيد، ولا من حديث عبدالله بن عمرو، ولعل الوهم نشأ من الشارح، ومن صاحب "التيسير" من نقلهم لكلام ابن رجب، فابن رجب في كتابه "التوحيد" (ص٨٥) نقل هذا الحديث حديث أبي سعيد ونسبه إلىٰ "مسند أحمد"، وجعله عن عبدالله بن عمرو، ولم يذكره من حديث أبي سعيد، ولعل ابن رجب وهم؛ لأنه يكتب من حفظه، وهؤلاء يظهر أنهم تابعوا ابن رجب في ذلك؛ فإنهم كانوا يقرءون كثيرًا في كتب ابن رجب، وابن تيمية، وابن القيم، وقد نبه المحقق لكتاب "التوحيد" أنه ليس في "مسند أحمد" لا من حديث أبي سعيد، ولا من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم.

(٣) هذه الزيادة موجودة في جميع المصادر التي ذكرناها في تخريج الحديث؛ إلا ابن حبان دون زيادة: «**يا رب**»، فهي عند الحاكم، والبيهقي فحسب.

موته: آمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كِفَّة، ولا إله إلا الله في كفة؛ رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة؛ قصمتهن لا إله إلا الله».[(١)]

قولهُ: «في كِفَّة».

هو بكسر الكاف وتشديد الفاء، أي: كفة الميزان.

قولهُ: «مالت بهن».

أي: رجحت؛ وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله الذي هو [أفضل][(٢)] الأعمال، وأساس الملة والدين، فمن قالها بإخلاص ويقين، وَعَمِلَ بمقتضاها ولوازمها وحقوقها، واستقام على ذلك؛ فهذه الحسنة لا يوازنها شيء، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣].

وَدَلَّ الحديث على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر، كحديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**خير الدعاء [دعاء][(٣)] يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير**»، رواه أحمد، والترمذي.[(٤)]

---

(١) **صحيح**. أخرجه أحمد (٦٥٨٣) (٧١٠١)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٥٤٨)، من طريقين عن الصقعب بن زهير، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن عمرو به مطولًا، وإسناده صحيح، رجاله ثقات معروفون، والصقعب بن زهير وثقه أبو زرعة، وروىٰ عنه جماعة، وقد صحح الحديث العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" رقم (٨٠١).

(٢) في [أ]: من أفضل.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) **حسن لغيره**. أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠)، والترمذي (٣٥٨٥)، ولفظ أحمد: كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له**» الحديث، وليس فيه: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي**»، والحديث فيه: حماد بن أبي حميد، ويقال: محمد بن أبي حميد، وحماد لقب له، وهو ضعيف. =

وعنه أيضًا مرفوعًا: «**يُصاح برجل من أمتي علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيُنْشَر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل [منها مد البصر]**[1]**، ثم يقال [له]**[2]**: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يارب. فيقال: ألك عذرٌ أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا. فيقال: بلىٰ إنَّ لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة**»، رواه الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.[3]

وقال الذهبي في "تلخيصه": صحيح.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما

= ❁ وله شاهد مرسل عند مالك (١/ ٢١٤-٢١٥) دون قوله: «**له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير**».

❁ وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الطبراني في "الدعاء" (٨٧٤)، وفيه: قيس بن الربيع ضعيف، وقد حسنه الألباني في "الصحيحة" رقم (١٥٠٣)، والذي يظهر أنه لا بأس بتحسينه، والله أعلم.

(١) في [أ]: «**مدى البصر**»، و«**منها**» ساقطة.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) **صحيح**. أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (١/ ٦، ٥٢٩)، وأخرجه أيضًا أحمد (٦٩٩٤)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن المبارك في "الزهد" (٣٧١)، والبيهقي في "الشُّعب" (٢٨٣)، من طرقٍ عن الليث بن سعد، عن عامر بن يحيىٰ، عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي، عن عبدالله ابن عمرو به. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات معروفون، وقد صحح الحديث شيخُنا العلامة الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" برقم (٧٨٧).

تنبيه: الحديث لم يخرجه النسائي كما في "تحفة الأشراف" (٨٨٥٥).

في القلوب؛ فتكون صورة [العملين][(١)] واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض.

قال: تأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلًا كل سجل منها مدى البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يُعَذَّب، ومعلومٌ أنَّ كلَّ موحدٍ له هذه البطاقة، وكثير منهم [يدخل][(٢)] النار بذنوبه.[(٣)]

قولُهُ: رواه ابن حبان والحاكم.

ابنُ حِبَّان اسمُه: محمد بن حبان -بكسر المهملة وتشديد الموحدة- بن أحمد بن حبان ابن معاذ، أبو حاتم التميمي البستي، الحافظ، صاحب التصانيف: كـ"الصحيح" و"التاريخ" و"الضعفاء" و"الثقات"، وغير ذلك.

قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عُقَلاء الرجال، مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة بُسْت بالمهملة.

وأما الحاكم فاسمُه: محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، أبوعبد الله الحافظ، ويُعرف بابن البَيِّع، ولد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وصنف التصانيف كـ"المستدرك" و"تاريخ نيسابور"، وغيرهما، ومات سنة خمس وأربعمائة.

---

(١) في [أ]: العمل.

(٢) في [ب]: من يدخل.

(٣) انظر: "مدارج السالكين" (١/ ٣٣١-٣٣٢).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وللترمذي وحسنه عن أنسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**قال اللهُ تعالىٰ: يا ابنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

ش/ ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الجملةَ الأخيرة من الحديث، وقد رواه الترمذي بتمامه فقال: عن أنسٍ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك علىٰ ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني؛ غفرت لك [علىٰ ما كان منك]**[١] **ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني...**» الحديث.[٢]

التِّرْمِذِيُّ اسمُه: محمد بن عيسى بن سَورة -بفتح المهملة- بن موسى بن الضحاك السُّلمي، أبو عيسى، صاحب "الجامع"، وأحد الحُفَّاظ، كان ضريرَ البصر، روى عن قتيبة، وهناد، والبخاري، وخلقٍ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) **حسن بشواهده**. أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وفي سنده: كثير بن فائد مجهول الحال، وقد خالفه سلْم بن قتيبة، وهو ثقة، فرواه بإسناده موقوفًا كما في "جامع العلوم والحكم" (٤٢)، وهذا الموقوف لا بأس بالاستشهاد به؛ لأنَّ له حكم الرفع، وله شاهد عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي سنده: شهر بن حوشب، وهو عند أحمد (٥/ ١٥٤، ١٦٧)، وشهر ضعيف، واضطرب في شيخه، فتارة يجعله عبدالرحمن بن غَنْم، وهو ثقة، وتارة يجعله معدي كرب، وهو مجهول.

❁ وله شاهد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الطبراني (١٢٣٤٦)، وفيه: إبراهيم بن إسحاق الصيني، متروك، وفيه: قيس بن الربيع ضعيف؛ فحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يصلح في الشواهد، ولكن عندنا حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يصلح للتقوية، وكذلك الفقرة الأخيرة ثابتة في "مسلم" (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهي: «**لو أتيتني بقراب الأرض**» إلىٰ قوله: «**مغفرة**»، فلو ذكرها من "صحيح مسلم" لاستغنىٰ عن الحديث من أصله.

❁ ومن الشواهد لهذا الحديث ما جاء عند مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب**» الحديث؛ فهو حديث حسن.

وأنس: هو ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، وقال: «**اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة**».[(١)]

مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة.

وقد رواه الإمام أحمد من حديث أبي ذَرٍّ بمعناه، وهذا لفظه: «**ومن عمل قراب الأرض خطيئة، ثم لقيني لا يشرك بي؛ جعلت له مثلها مغفرة**»، ورواه مسلم[(٢)]، وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ.[(٣)]

قوله: «لو أتيتني بقراب الأرض».

بضم القاف، وقيل: بكسرها. والضم أشهر، وهو ملؤها، أو ما يقارب ملئها.

قوله: «ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا».

شرطٌ ثقيلٌ في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله، صغيره وكبيره، ولا يسلم من ذلك إلا من سلم الله تعالى، وذلك هو القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩].

قال ابن رجب: من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا؛ لقيه الله تعالى بقرابها مغفرة.

---

(١) صحيح دون قوله: «**وأدخله الجنة**». أخرجه عبد بن حُميد (١٢٥٥)، ومن طريقه ابن عساكر (٩/ ٣٤٦) عن عبدالرزاق، عن جعفر بن سليمان الضُّبَعي، عن ثابت، عن أنس به. وهذا إسنادٌ ظاهره الحسن؛ إلا أنَّ جعفرًا قد خالفه سليمان بن المغيرة، وهو من أثبت الناس في ثابت، فرواه عن ثابت كما في "صحيح مسلم" (٢٤٨١)، ولم يذكر قوله: «**وأدخله الجنة**»، وقد رواه عن أنس قتادة، وحميد، وهشام بن زيد بدون هذه الزيادة، ورواية هؤلاء عند البخاري (١٩٨٢) (٦٣٧٨) (٦٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٤٨٠)؛ فالحديث صحيح بدون الزيادة، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٤، ١٦٧)، ومسلم برقم (٢٦٨٧)، وتقدم الكلام علىٰ الحديث قريبًا.

(٣) تقدم تخريجه أثناء تخريج حديث أنس رضي الله عنه.

إلا أن قال: فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه، ولسانه، وجوارحه، أو بقلبه [ولسانه][1] عند الموت؛ أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه؛ أخرجت منه كل ما سوى الله تعالى: محبةً، وتعظيمًا، وإجلالًا، ومهابةً، وخشيةً، وتوكلًا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، وإن كانت مثل زبد البحر. انتهى ملخصًا.[2]

قال [العلامة][3] ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الحديث: ويُعْفَى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبه بالشرك ما لا يُعْفَى لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئًا ألبته ربَّه بقراب الأرض خطايا؛ أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن [نقص][4] توحيده؛ فإنَّ التوحيدَ الخالصَ الذي لا يشوبه شركٌ لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن من محبة الله، وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه [وحده][5] ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض؛ فالنجاسة عارضة، والدافع لها قوي. انتهى.[6]

وفي هذا الحديث: كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله وجوده، ورحمته والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون: ليس بمؤمن ولا كافر، ويخلد في النار.

والصواب قول أهل السنه: إنه لا يسلب عنه اسم الإيمان، و لا يُعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمنٌ عاصٍ، أو مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة،

---

(١) في [ب]: وبلسانه.
(٢) من "جامع العلوم والحكم" رقم (٤٢).
(٣) ساقط من [أ].
(٤) في [أ]: ينقص.
(٥) ساقط من [ب].
(٦) انظر هذا الكلام في "إغاثة اللهفان" (١/ ٤ ١٠-).

وإجماع سلف الأمة.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁، قال: لما أُسْرِي برسول الله ﷺ انْتُهِيَ به إلى سدرة المنتهى، فَأُعْطِي ثلاثًا: «أُعْطِي الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئًا: المُقْحِمَات» رواه مسلم.[(١)]

قال ابن كثير في "تفسيره"[(٢)]: وأخرج الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي عن أنس بن مالك، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]، وقال: «**قال ربكم: أنا أهلٌ أن أُتَّقَىٰ فلا يجعل معي إله، فمنِ اتَّقَىٰ أن يجعل معي إلهًا؛ كان أهلًا أن أغفر له**».[(٣)]

قال المصنف ﵀: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة؛ فإنك إذا جمعت بينه وبين حديث عِتبان تبين لك معنى قوله: لا إله إلا الله، وتبين لك خطأ المغرورين.

وفيه: أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يَخِفُّ ميزانُه.

وفيه: إثبات الصفات، خلافًا للمعطلة.

وفيه: أنك إذا عرفت حديث أنس، [عرفت أنَّ][(٤)] قوله في حديث عتبان: «**إن الله**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٣).

(٢) تفسير سورة المدثر [آية: ٥٦].

(٣) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٣/ ١٤٢)، والترمذي (٣٣٢٨)، وابن ماجه (٤٢٩٩)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٦٣٠)، وفي إسناده: سهيل بن أبي حزم القطعي، وهو ضعيفٌ. قال أحمد: روىٰ أحاديث مناكير. وقال البخاري: لا يُتابع في حديثه. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.
❁ وله طريقٌ أخرىٰ عن أنس ﵁ عند الخطيب (٥/ ٥٢)، وفي إسناده: أحمد بن محمد التمار، وكان غير ثقة كما في "الميزان".

(٤) ساقط من النسختين، وأضفناه من "كتاب التوحيد".

حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»؛ أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان. انتهى.

فيه مسائل:

الأولىٰ: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير [الآية: ٨٢] التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده؛ تبين لك معنىٰ قول (لا إله إلا الله)، وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه علىٰ فضل لا إله إلا الله.

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أنَّ كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص علىٰ أنَّ الأرضين سبع كالسموات.

الحادية عشرة: أنَّ لهن عُمَّارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات، خلافًا للأشعرية.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس؛ عرفت أن قوله في حديث عتبان: «**فإنَّ اللهَ حرَّم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسىٰ ومحمد عَبْدَي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسىٰ بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «**علىٰ ما كان من العمل**».

التاسعة عشرة: معرفة أنَّ الميزان له كفتان.[١]

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

(١) ثبت ذلك في أدلة أخرىٰ، وأما حديث أبي سعيد الذي في الباب فليس فيه تعرض للميزان الذي يوم القيامة، وإنما فيه تمثيل وتبيين لفضل لا إله إلا الله، وقد أشار إلىٰ ذلك العلامة العثيمين رَحِمَهُ الله في "القول المفيد".

٢- بَاب مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ.

ش/ أي: ولا عذاب.

قلت: تحقيقُه: تخليصه، وتصفيته من شوائب الشرك، والبدع، والمعاصي.[(١)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٠].

ش/ وصف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد:

الأولى: أنه كان أمةً،[(٢)] أي: قدوة، وإمامًا مُعَلِّمًا للخير، وما ذاك إلا لتكميله مقام

(١) تحقيق التوحيد هو ما ذكره الشارح: تصفيته من شوائب الشرك الأكبر، والأصغر، ومن البدع، والمعاصي. والمعاصي المقصود بها أن يبتعد عن كبائر الذنوب، وعدم الإصرار علىٰ الصغائر، وأما الوقوع في الصغائر مع عدم الإصرار؛ فهذا لا ينافي تحقيق التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٣٥] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢]، فتحقيق التوحيد لا ينافي الوقوع في الصغائر مع عدم الإصرار، فيقينه، وإخلاصه، ومحبته تجعلها تغفر بإذن الله، أو يوفقه الله بحسنات، أو توبة واستغفار تمحو ذلك.

(٢) كلمة ﴿أُمَّة﴾ تأتي في القرآن علىٰ أربعة معانٍ:

١) القدوة، والإمامة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل:١٢٠].
٢) الطائفة من الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾[النحل:٣٦].
٣) الفترة من الزمن، قال تعالىٰ: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[يوسف:٤٥].
٤) الْـمِلَّة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾[الزخرف:٢٢-٢٣].

ذكرها ابن كثير في تفسير آية: [٨] من سورة هود.

الصبر واليقين، [اللَّذين](١) تُنال بهما الإمامة في الدين.

الثانية: قوله: ﴿قَانِتًا﴾.

قال شيخ الإسلام: القنوت [في اللغة](٢) دوام الطاعة،(٣) والمصلي إذا أطال قيامه، أو ركوعه، أو سجوده؛ فهو قانتٌ، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[الزمر:٩].انتهى ملخصًا.(٤)

الثالثة: أنه كان حنيفًا.

قلت: قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: الحنيف المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه.انتهى.(٥)

الرابعة: أنه ما كان من المشركين، **أي:** لصحة إخلاصه، وكمال صدقه، وبعده عن الشرك.

قلت: يوضح هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الممتحنة:٤]، أي: على دينه من إخوانه [المرسلين](٦)، قاله ابن جرير رحمه الله تعالى، ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِالله وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

---

(١) في [أ]: الذي.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) القنوت له عدة معانٍ في الشرع، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أبياتًا لشيخه العراقي جمع فيها معاني القنوت في "الفتح" عند حديث رقم (١٠٠٤)، قال رحمه الله:

ولفظ القنوت اعدد معانيه تجد ... مزيدًا على عشرٍ معانيَ مرضيَّه

دعاءٌ خشوعٌ والعبادة طـاعةٌ ... إقامتها إقـراره بالعبوديَـــه

سكوتٌ صلاةٌ والقيام وطوله ... كذاك دوام الطاعة الرابح القُنْيَه

(٤) من رسالة له في "قنوت الأشياء كلها لله تعالى" ضمن "جامع الرسائل" (١/ ٥).

(٥) من كتابه "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٧٤).

(٦) ساقط من [أ].

مِنَ الله مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْـمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤].[1] وذكر تعالى عن خليله عليه السلام أنه قال لأبيه آزر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨-٤٩]، فهذا هو تحقيق التوحيد، وهو البراءة من الشرك وأهله، واعتزالهم، والكفر بهم، وعداوتهم، وبغضهم، فالله المستعان.

قال المصنف رحمه الله تعالى -في هذه الآية: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾-: لئلا يستوحش سالكُ الطريق من قِلَّةِ السالكين.

﴿قَانِتًا لله﴾: لا للملوك، ولا للتجار المترفين.

﴿حَنِيْفًا﴾: لا يميل يمينًا ولا شمالًا كفعل العلماء المفتونين.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْـمُشْرِكِينَ﴾: خلافًا لمن كَثَّر سوادَهم، وزعم أنه من المسلمين.انتهى.[2]

وقد روى ابن أبي حاتمٍ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: على الإسلام، ولم [يك][3] في زمانه أحدٌ على الإسلام غيره.[4]

قلت: ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم: من أنه كان إمامًا يُقتدى به في الخير.[5]

---

(١) طلب الاستغفار كان قبل أن يعلم أنه من أصحاب النار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة:١١٤]، والوعد في هذه الآية هو الذي جاء في سورة مريم ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧]، والنبي صلى الله عليه وسلم كان قد سأل ربه أن يستغفر لأمه، فنهاه الله عزوجل، وأراد أن يستغفر لِعَمِّهِ أبي طالب فنهاه الله عزوجل، وأنزل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣] الآية.

(٢) انظر: "مجموع مؤلفات الشيخ" (٢/ ١٨١).

(٣) في [أ]: يكن.

(٤) ذكره ابن الجوزي رحمه الله في "زاد المسير" في تفسير الآية المذكورة بدون إسناد، من طريق: الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا منقطع؛ لأنَّ الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٥) يعني أنه كان في أول الأمر وحده، ثم اتبعه الناس.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقال: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ**﴾ [المؤمنون:٥٩].

ش/ وصف المؤمنين السابقين إلى الجنة، فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها: أنهم بربهم لا يشركون، ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في إسلامه: من شرك جَلِيٍّ، أو خَفِيٍّ؛ نَفَى ذلك عنهم، [وهذا هو تحقيق التوحيد الذي حسنت به أعمالهم وَكَمُلت، ونفعتهم][(١)] .

قلت: قوله: (حسنت وكملت)، هذا باعتبار سلامتهم من الشرك الأصغر، وأما الشرك الأكبر فلا يقال في تركه ذلك، فتدبر، ولو قال الشارح: (صَحَّت)؛ لكان أقوم.

قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، أي: لا يعبدون مع الله غيره، بل يوحدونه، ويعلمون أنه لا إله إلا الله، أحدٌ صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له.

(١) الذي في المطبوع من "التيسير" (ص١٠١): ومن كان كذلك فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية، وفاز بأعظم التجارة، ودخل الجنة بلا حساب، ولا عذاب. واللفظ المذكور ليس بموجود.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: عن حُصَيْنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَىٰ الكَوْكَبَ[1] الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمّ قُلْتُ: أَمَا إِنّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاَةٍ. وَلَكِنّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدّثَنَاهُ الشّعْبِيّ. قَالَ: وَمَا حَدّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ، أَنّهُ قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلاّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدّثَنَا ابْنُ عَبّاسٍ عَنِ النّبِيّ ﷺ أنه قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النّبِيَّ وَمَعَهُ الرّهَطُ، وَالنّبِيَّ وَمَعَهُ الرّجُلُ وَالرّجُلاَنِ، وَالنّبِيّ ولَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنّهُمْ أُمّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلفًا يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ**»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلّهُمُ الّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلّهُمُ الّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بالله شيئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «**هُمُ الّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُون، وَلاَ يَتَطَيّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ**»، فَقَامَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ. فَقَالَ: [يَا رَسُولَ اللهِ][2] ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» ثُمّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ يا رسول الله: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

ش/ هكذا أورده المصنف غير مَعْزُوٍّ، وقد رواه البخاري مُختصرًا ومُطَوَّلًا، ومسلم واللفظ له، والترمذي، [والنسائي][3] [4].

---

(١) المقصود: الشُّهب التي تُرمَىٰ بها الشياطين. هذا هو الذي يظهر، وليس المراد أنه سقط علىٰ الأرض، وجاء في "مسند أحمد" (٥/ ٢٩٩) عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنَّا قد نُهينا أن نتبعه أبصارنا. وصححه الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند" (٢٨٢).

(٢) زيادة من المخطوطة.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤١٠) (٥٧٠٥) (٥٧٥٢)، ومسلم برقم (٢٢٠)، والترمذي برقم=

قوله: عن حصين بن عبد الرحمن.

هو السلمي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، وله ثلاث وتسعون سنة.

و سعيد بن جبير: هو الإمام الفقيه، من [جِلَّةِ][١] أصحاب ابن عباس، روايته عن عائشة، وأبي موسى مرسلة، وهو كوفي مولى لبني أسد، قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين.

قوله: (انقض).

هو بالقاف والضاد المعجمة، أي: سقط. والبارحة: هي أقرب ليله مضت.

قال أبو [العباس][٢] ثعلب: يقال قبل الزوال: رأيت الليلة. وبعد الزوال: رأيت البارحة. وكذا قال غيره، وهي مشتقة من (برح) إذا زال.

قوله: (أما إني لم أكن في صلاة).

قال في "مغني اللبيب": (أما) بالفتح والتخفيف على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف استفتاح بمنزلة (ألا)، وإذا وقعت (أن) بعدها؛ كسرت.

الثاني: أن تكون بمعنى (حقًّا)، أو [أحقًّا][٣]. وقال آخرون: هي كلمتان: الهمزة للاستفهام و(ما): اسم بمعنى (شيء)، ذلك الشيء حقٌّ، فالمعنى: [أحقًّا][٤]، وهذا هو

= (٢٤٤٦)، والنسائي في "الكبرىٰ" برقم (٧٦٠٤).

(١) في [أ]، و[ب]: جملة. المثبت من "التيسير" (ص١٠٢).

(٢) وقع في [أ]: السعادات. وهو خطأ.

(٣) في النسختين (أحق)، والمثبت من "المغني" (ص٧٨).

(٤) في النسختين (أحق)، والمثبت من "المغني" (ص٧٨).

الصواب، و(ما) نصب على الظرفية، وهذه تفتح (أن) بعدها. انتهى.(١)

والأنسب هنا [هو](٢) الوجه الأول.

القائل هو حصين، خاف أن يظن الحاضرون أنه رآه وهو يصلي، فنفى عن نفسه إيهام العبادة، وهذا يدل على فضل السلف، وحرصهم على الإخلاص، وإبعادهم عن الرياء، والتزين بما ليس فيهم.(٣)

وقوله: (ولكني لدغت).

بضم أوله وكسر ثانيه، قال أهل اللغة: يُقال: لدغته العقرب، وذوات السموم؛ إذا أصابته بِسُمِّها، وذلك بأن تأبره بشوكتها.

قوله: (قلت: ارتقيت).

لفظ مسلم: (استرقيت)، أي: طلبت من يرقاني.

قوله: (فما حملك على ذلك).

فيه طلب الحجة على صحة المذهب.

وقوله: (حديث حدثناه الشعبي).

اسمه: [عامر بن](٤) شراحيل الهمداني، وُلِد في خلافة عمر، وهو من ثقات التابعين وفقهائهم، مات سنة ثلاث ومائة.

---

(١) من "المغني" (ص٧٨-٧٩).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) قال تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨]، فهذه الصفة من صفات المنافقين وهي أنهم يحبون أن يحمدهم الناس بما ليس فيهم، وفي الحديث المتفق عليه عن أسماء بنت أبي بكر: «**المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبي زور**». أخرجه البخاري رقم (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠).

(٤) ساقط من [أ].

قولهُ: (عن بُريدة).

بضم أوله وفتح ثانيه، تصغير (بُردة)، ابن الحصيب -بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين- ابن الحارث الأسلمي، صحابي شهير، مات سنة ثلاث وستين، قاله ابن سعد.

قولهُ: (لا رقية إلا من عين أو حمة).

وقد رواه أحمد، وابن ماجه عنه مرفوعًا، ورواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن عمران بن حصين به مرفوعًا.[1]

---

(١) هو في "صحيح مسلم" (٢٢٠)، وأحمد (١/ ٢٧١)، عن بريدة موقوفًا، فرواه مسلم من طريق: هُشيم ابن بشير، عن حصين بن عبدالرحمن، عن الشعبي، عن بريدة. ويظهر من سياق الحديث هنا أنه أراد أنه مرفوع؛ لأنه قال: (حديث حدَّثناه)، فإطلاق لفظ الحديث يُراد به عن النبي ﷺ، ثم أيضًا احتج به، ولو كان موقوفًا لما احتج به، ولأنَّ سعيد بن جبير أقره، فقال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع.

فالظاهر أنه حصل اختصار من هشيم بن بشير، ويؤيد ذلك أن شعبة بن الحجاج رواه عن حصين، عن الشعبي، عن بريدة فرفعه، وذكر روايته الترمذي في "سننه" رقم (٢٠٥٧)، ورجح أبوحاتم كما في "العلل" (٢/ ٣٤٨) رواية شعبة، وأيضًا تابع شعبة علىٰ الرفع: أبو جعفر الرَّازي عند ابن ماجه برقم (٣٥١٣)، فالحديث إذن صحيح مرفوعًا عن بريدة رضي الله عنه. والحديث صحيح أيضًا عن عمران بن حصين، فقد رواه جماعة من الثقات من طريق: حصين بن عبدالرحمن أيضًا عن الشعبي، عن عمران ابن حصين، أخرجه كذلك أحمد (٤/ ٤٣٦)، وأبو داود (٣٨٨٤)، من طريق: مالك بن مغول، والترمذي (٢٠٥٧)، والحميدي (٨٣٦) من طريق: ابن عيينة، والطبراني في "الكبير" (١٨/ ٥٨٧)، من طريق: عبدالله بن إدريس، ومحمد بن فضيل، والطبراني في "الأوسط" (١٤٧٢)، من طريق: شعبة، والبيهقي (٩/ ٣٤٨)، من طريق: إسماعيل بن زكريا، وطلق بن غنام، كل هؤلاء الستة رووه عن حصين بن عبدالرحمن، عن الشعبي، عن عمران به.

قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٥٠٧٥):والتحقيق أنه عنده -يعني حصينًا- عن عمران، وعن بريدة.اهـ

وأما أبو زرعة فيميل في "العلل" إلىٰ أنَّ الصحيح حديث بريدة الذي هو من طريق شعبة؛ لأنه أوثق من روىٰ عن حصين. وذهب المزي رحمه الله إلىٰ ترجيح حديث عمران، والذي يظهر هو صحة الحديث من الوجهين، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله، والله أعلم.

فالحاصل: أنَّ الحديث صحيح من حديث بريدة، ومن حديث عمران رضي الله عنهما، وأيضًا الاختلاف في الصحابي لا يضر.

قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات.

والعين: هي إصابة العائن غيرَه بعينه.[(١)]

والْحُمة: بضم المهملة وتخفيف الميم: سُمُّ العقرب وشبهها.

قال الخطابي: ومعنى الحديث: لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة، وقد رقى النبي ﷺ وَرُقِي.[(٢)]

قوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

أي: من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به؛ فقد أحسن، بخلاف من يعمل بجهل، أو لا يعمل بما يعلم؛ فإنه مُسيءٌ آثمٌ، وفيه فضيلة علم السلف، وحسن أدبهم.

قوله: ولكن حدثنا ابن عباس.

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ دعا له، فقال: «**اللهم، فَقِّهْهُ في**

---

(١) النبي ﷺ قال: «**العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابق القدر لسبقته العين، وإن استُغْسِلتم فاغسلوا**» رواه مسلم برقم (٢١٨٨)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، والمقصود أنَّ الإنسان يحسد أخاه علىٰ نعمةٍ؛ فيكون مصحوبًا بشيء من الخبث، ويقدر الله عزوجل إصابة المعين، وقد تكون العين مصحوبة بِعَجَبٍ، واستعظام بدون حسد.

سؤال: هل يغتسل كاملًا، أم يكفي الوضوء؟

الجواب: يكفي الوضوء، والدليل حديث عائشة رضي الله عنها في "سنن أبي داود" (٣٨٨٠)، وهو في "الصحيح المسند" (١٥٧٤)، قالت: كان يؤمر العائن أن يتوضأ، ويغتسل منه المعين.

سؤال: هل يكفي غسل بعض أعضائه، أو إزاره ونحوه؟

الجواب: أيضًا هذا يحصل به الشفاء بإذن الله، وقد جُرِّب، وقد جاء هذا في حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عند أن أُصيب سهل، فذكر في الحديث أنه أمر العائن أن يتوضأ فيغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، وركبتيه، وداخلة إزاره، وفيه: أنه أمر أن يصب ذلك على المعين. أخرجه النسائي في "الكبرى" (٧٦١٧-٧٦١٩)، وأحمد (٣/ ٤٨٦)، وهو حديث صحيح.

(٢) نقله عنه القرطبي في "المفهم" (١/ ٤٦٢).

الدين، وعلمه التأويل»[(١)]، فكان كذلك، مات بالطائف سنة ثمان وستين.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (وفيه عمق علم السلف؛ لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا، فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني).[(٢)]

قوله ﷺ: «عرضت عَليَّ الأمم».

وفي الترمذي، والنسائي من رواية عبثر بن القاسم عن حصين بن عبدالرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء.[(٣)]

قال الحافظ: فإن كان ذلك محفوظًا؛ كان فيه قوة لمن ذهب إلى تعدد الإسراء، وأنه وقع

---

(١) **صحيح**. أخرجه أحمد (٢٣٩٧) (٢٨٧٩) (٣٠٣٢)، وابن سعد (٢/ ٣٦٥)، وابن حبان (٧٠٥٥)، والفَسَوي في "المعرفة والتاريخ" (١/ ٤٩٤)، والحاكم (٣/ ٥٣٤)، من طرق عن حماد بن سلمة، عن عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وهذا إسناد حسن علىٰ شرط مسلم.

❁ وأخرجه الطبراني (١٠٥٨٧)، من وجه صحيح عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير به، والحديث عند البخاري برقم (١٤٣) دون قوله: «**وعلمه التأويل**»، وهو عند مسلم (٢٤٧٧) بلفظ: «**اللهم فقهه**» فحسب.

(٢) انظر مسائل "كتاب التوحيد" رقم (١٧).

(٣) **ضعيف شاذ**. أخرجه الترمذي برقم (٢٤٤٦)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٧٦٠٤)، من طريق: عبثر بن القاسم، عن حصين بن عبدالرحمن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهذه الرواية غير محفوظة، فعبثر بن القاسم تفرد بها، وجميع الرواة عن حصين بن عبدالرحمن، منهم: شعبة، ومحمد ابن فضيل، وحصين بن نمير، وهشيم، كلهم لم يذكروا زيادة (ليلة الإسراء)، انظر رواياتهم في "البخاري" برقم (٣٤١٠) (٥٧٠٥) (٥٧٥٢) (٦٥٤١)، و"مسلم" برقم (٢٢٠).

ومما يدل علىٰ هذا أيضًا أنه كان بالمدينة، والإسراء إنما كان بمكة، وقد ذكر ابن كثير، وابن القيم أنَّ من قال بتعدد الإسراء؛ فهو قول ضعيف، وإنما هو قول بعض الضعفاء من المحدثين، أو بعض الفقهاء الذين إذا رأوا خلافًا في الأحاديث قالوا: يُحمَل علىٰ التعدد، وقد ثبت في "مسند أحمد" (٣٨١٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو في "الصحيح المسند" (٨٤٥) أنه قال: رأىٰ النبي ﷺ الأمم في الموسم. وإسناده حسن، فلفظ (الموسم) يدل علىٰ أنه ليس ليلة الإسراء؛ لأنَّ الموسم يُطلق علىٰ مواسم الحج، واجتماعات الناس.

بالمدينة أيضًا.[١]

قلت: وفي هذا نظر.

قوله: «**فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهط**».

والذي في "صحيح مسلم": «**الرُّهَيْط**» بالتصغير لا غير، وهم الجماعة دون العشرة، قاله النووي.

قوله: «**والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد**».

فيه الرد على من احتج بالكثرة.

قوله: «**إذ رفع لي سواد عظيم**».

المراد [به][٢] هنا: الشخص الذي يرى من بعيد.

قوله: «**فظننت أنهم أمتي**».

لأن الأشخاص التي ترى في الأفق لا يُدرك منها إلا الصورة.

وفي "صحيح مسلم": «**ولكن انظر إلىٰ الأفق**»[٣]، ولم يذكره المصنف، فلعله سقط من الأصل الذي نقل الحديث منه، والله أعلم.

قوله: «**فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه**».

أي: موسى بن عمران، كليم الرحمن، وقومه: أتباعه على دينه من بني إسرائيل.

قوله: «**فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون**

---

(١) انظر: "فتح الباري" (٦٥٤١).

(٢) ساقط من [ب].

(٣) بل هي في "الصحيحين" كما في التخريج السابق.

الجنة بغير حساب ولا عذاب».

أي: لتحقيقهم التوحيد، وفي رواية ابن فضيل: «**ويدخل الجنة من هؤلاء من أمتك سبعون ألفًا**»[(١)]، وفي حديث أبي هريرة في "الصحيحين" «**بأنهم تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**».[(٢)]

وروى الإمام أحمد، والبيهقي في حديث أبي هريرة: «**فاستزدت ربي، فزادني مع كل ألفٍ سبعين ألفًا**»[(٣)]، قال الحافظ: وسنده جيد.[(٤)]

قوله: ثم نهض. **أي:** قام.

قوله: فخاض الناس في أولئك، [هذا من العام الذي أُريد به الخصوص، أي: الجملة الحاضرين][(٥)].

خاض: بالخاء والضاد المعجمتين، وفي هذا إباحة المناظرة والمباحثة في نصوص الشرع على وجهِ الاستفادة وبيان الحق.

وفيه: عمق علم السلف؛ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

وفيه: حرصهم على الخير. ذكره المصنف.[(٦)]

---

(١) هذه الرواية في "البخاري" برقم (٥٧٠٥) بدون «**من أمتك**»، وأخرج مسلم (٢٢٠) إسنادها، ولم يسق لفظه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٨١١) (٦٥٤٢)، ومسلم برقم (٢١٦).

(٣) **حسن**. أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في "البعث والنشور" (٤١٦)، من طريق: يحيىٰ بن أبي بكير، عن زهير بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا إسناد حسن، وقد حسَّنه شيخُنا العلامة الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" رقم (١٤٤٠).

(٤) انظر: "الفتح" رقم الحديث (٦٥٤١).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٦) انظر مسائل "كتاب التوحيد" رقم (٧، ٨).

قوله: فقال: «**هم الذين لا يسترقون**».

هكذا ثبت في "الصحيحين"، وهو كذلك في حديث ابن مسعود في "مسند أحمد".[(١)]

وفي رواية [لمسلم][(٢)]: «**ولا يرقون**».[(٣)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هذه الزيادة وَهَمٌ من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: «**ولا يرقون**»، وقد قال النبي ﷺ -وقد سئل عن الرُّقَى-: «**من استطاع [منكم]**[(٤)] **أن ينفع أخاه فلينفعه**»[(٥)]، وقال: «**لا بأس بالرُّقَىٰ ما لم تكن شركًا**».[(٦)]

قال: وأيضًا فقد رقى جبريلُ النبيَّ ﷺ[(٧)]، ورقى النبيُّ ﷺ أصحابَه.[(٨)]

قال: والفرق بين الراقي والمسترقي: أنَّ المسترقي سائلٌ مستعطٍ، ملتفت إلى غير الله

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨١٩)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، بإسناد حسن، وحسنها العلامة الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" رقم (٨٤٥).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) هذه الرواية عند مسلم (٢٢٠)، تفرد بها سعيد بن منصور، وخالفه سائر الرواة، فلم يذكرها أحدٌ غيره، فقد رواه جماعةٌ عن شيخه هشيم بدون هذه الزيادة، وهم: سريج بن النعمان، وشجاع بن الوليد، وأسيد بن زيد، وتابع هشيمًا جماعةٌ بدون هذه الزيادة، وهم: شعبة، وحصين بن نمير، ومحمد بن فضيل، وعبثر بن القاسم. انظر مصادر رواياتهم في "المسند الجامع" (٩/ ٧٠٦٩).
وأيضًا جاء الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقد تقدم، وليس فيه هذه الزيادة، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في "الصحيحين" وقد تقدم، وعن عمران بن حصين في "مسلم" (٢١٧) كلها ليس فيها هذه الزيادة، فهذه اللفظة تعتبر شاذة كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٨٢٧-٨٢٨).

(٤) ساقط من [أ].

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٠)، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢١٨٥) (٢١٨٦)، من حديث عائشة، وأبي سعيد رضي الله عنهما.

(٨) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٥) (٥٧٤٣) (٥٧٤٥)، ومسلم برقم (٢١٩١) (٢١٩٢) (٢١٩٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

بقلبه، والراقي محسن.

قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن [يرقيهم][(١)]، ولا يكويهم. وكذا قال ابن القيم.[(٢)]

قوله: «ولا يكتوون».

أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أن [يرقيهم][(٣)]؛ استسلامًا للقضاء، وتلذذًا بالبلاء.

قلت: والظاهر أن قوله: «**لا يكتوون**» أعم من أن يسألوا ذلك، أو يفعل بهم ذلك باختيارهم، أما الكي في نفسه فجائز كما في "الصحيح" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ بعث إلى أُبَي بن كعب طبيبًا، فقطع له عِرْقًا وكواه.[(٤)]

وفي "صحيح البخاري" عن أنس أنه كوى من ذات الجنب[(٥)]، والنبي ﷺ حيٌّ.[(٦)]

وروى الترمذي وغيره عن أنسٍ أنَّ النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة.[(٧)]

---

(١) في [أ]: يرقاهم.

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام، وابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٣٤)، وانظر بعض كلامه المذكور في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٨٢٧-)، و"مجموع الفتاوىٰ" (١/ ١٨٢، ٣٢٨).

(٣) في [أ]: يرقاهم.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٧).

(٥) قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٥٧١٨): ذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع، ويحدث بسببه خمسة أعراض: الحمىٰ، والسعال، والنخس، وضيق النفس، والنبض المنشاري.اهـ

وقال ابن الأثير رحمه الله: هي الدبيلة، والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب، وتنفجر إلىٰ داخل، وقلما يسلم صاحبها.اهـ من "النهاية".

(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٧٢٠).

(٧) الشوكة: هي حمرة تعلو الوجه والجسد. "النهاية".

❁ والحديث رواه الترمذي (٢٠٥٠) من طريق: معمر عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه، وأخطأ معمر في الحديث، فقد رواه غيره عن الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن النبي ﷺ مرسلًا، ورجح المرسل أبوحاتم في "العلل" (٢/ ٢٦١)، والحافظ ابن رجب في "شرح العلل"=

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عباس مرفوعًا: «**الشفاءُ في ثلاث: شربةُ عسل، وشرطةُ محجم، وكية نار، وأنا أنهىٰ عنِ الكي**»[(١)]، وفي لفظ: «**وما أحب أن أكتوي**».[(٢)]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع: **أحدها:** فِعْلُه. **والثاني:** عدم محبته. **والثالث:** الثناء على من تركه. **والرابع:** النهي عنه. ولا تعارض بينها -بحمد الله-؛ فإنَّ فعله [له][(٣)] يدل على جوازه، وعدم محبته لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي فعلى سبيل الاختيار والكراهة.[(٤)]

قوله: «ولا يتطيرون».

أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان الطيرة وما يتعلق بها في بابها.

قوله: «وعلىٰ ربهم يتوكلون».

ذكر الأصلَ الجامعَ الذي تفرعت عنه هذه الأفعال والخِصَال، وهو التوكل على الله تعالى، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو [نهاية][(٥)] تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف: من المحبة، والرجاء، والخوف، والرضا به رَبًّا وإلهًا، والرضى بقضائه.

= (٢/ ٦٠٣)، والحافظ ابن حجر في "الإصابة"، وتبعهم علىٰ ذلك شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في "أحاديث معلة" رقم (٣٩).

قلت: وأبو أمامة بن سهل بن حنيف له رؤية للنبي ﷺ، ولم يسمع منه، فهو صحابي صغير، فمرسله أقوىٰ من مراسيل سعيد بن المسيب، وقد قبل مراسيلهما جماعة من العلماء.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٣)، ومسلم برقم (٢٢٠٥)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) انتهىٰ من "زاد المعاد" (٤/ ٦٥-٦٦).

(٥) في [أ]: غاية.

واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلًا؛ فإنَّ مباشرة الأسباب في الجملة أمرٌ فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل: مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣]، أي: كافيه، وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها؛ توكلًا على الله تعالى، كالاكتواء، والاسترقاء، فَتَرْكُهُم له لكونه سببًا مكروهًا، لاسيما والمريض يتشبث - فيما يظنه سببًا لشفائه- بخيط العنكبوت.

وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجهٍ لا [كراهة][١] فيه؛ فغير قادحٍ في التوكل، فلا يكون تركه مشروعًا؛ لما في "الصحيحين" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله**».[٢]

وعن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ قال: «**نعم يا عباد الله، تداووا؛ فإن اللهَ عزَّ وجلَّ لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داء واحد**» قالوا: وما هو؟ قال: «**الهرم**». رواه أحمد.[٣]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات،

---

(١) في [ب]: كراهية.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) دون قوله: «**علمه من علمه...**» إلخ، ولم يخرجه مسلم، وقد أخرجه بتمامه أحمد (٣٥٧٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحيح، ووُجد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه اختلاف في رفعه ووقفه، والمرفوع صحيح كما ذكر ذلك الدارقطني في "العلل" (٥/ ٣٣٤)، وفي "صحيح مسلم" (٢٢٠٤)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله**».

(٣) **صحيح**. أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأخرجه أيضًا أبو داود (٣٨٥٥)، والنسائي في "الكبرى" (٧٥٥٣) (٧٥٥٤)، والترمذي (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٩١)، من طرق عن أسامة بن شريك به، وإسناده صحيح، وقد صححه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" رقم (٢٠).

وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكلَ، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع، والعطش، والحر، والبرد: بأضدادها، بل لا تتم حقيقةُ التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى، مقتضيةً لمسبباتها قدرًا وشرعًا،[1] وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في [نفس][2] الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أنَّ تركها [أقوى في][3] التوكل؛ فإنَّ تركَها عجزٌ ينافي التوكلَ الذي حقيقتُه اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان مُعَطِّلًا للحكمة والشرع،[4] فلا يجعل العبد عجزَه توكلًا، ولا توكله عجزًا.[5]

وقد اختلف العلماء في التداوي: هل هو مباحٌ وَتَرْكُه أفضل؟ أو مستحب، أو واجب؟.

فالمشهور عن أحمد: الأول؛ لهذا الحديث وما في معناه، والمشهور عند [الشافعية][6] الثاني، حتى ذكر النووي في "شرح مسلم" أنه مذهبهم، ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف،[7] واختاره الوزير أبو المظفر. قال: ومذهب أبي حنيفة أنه مؤكدٌ حتى يداني به

(١) السبب القدري هو الذي عُرف بالتجربة. والسبب الشرعي هو الذي دلَّ عليه الشرع.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [أ]: من.

(٤) هذا التعطيل من حيث أنه إذا ترك الأسباب التي عُلم أنها نافعة، سواء كانت أسبابًا شرعية، أو قدرية؛ فإنه يعتبر قادحًا في العقل، والشرع؛ لأنَّ الشرع ذكر أن هذا السبب ينفع؛ فهو يرىٰ أن تركه ينفع، فإذن لماذا أمر به الشرع، وكذلك هو نقصٌ في العقل، يعني ترك الأسباب المطلوبة نقصٌ في العقل؛ لأن الله ربط المسببات بأسبابها؛ فلا يمكن للإنسان أن يشبع بدون أكل، أو يرویٰ بدون شرب.

(٥) انتهىٰ من "زاد المعاد" (٤/ ١٤-١٥).

(٦) في [أ]: الشافعي.

(٧) النووي رحمه الله ذكر في "شرح مسلم" (٢٢٠٤) أنهم يقولون باستحباب التداوي، لكن ابن عبدالبر في "التمهيد" (١٥/ ٣٨٢) نقل عن جمهور أهل العلم الجواز فقط. =

الوجوب. قال: ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه؛ فإنه قال: لا بأس بالتداوي، ولا بأس بتركه.

وقال شيخ الاسلام: ليس بواجبٍ عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفةٌ قليلة من أصحاب الشافعي، وأحمد.[1]

قولهُ: فقام عكاشة بن محصن.

هو بضم العين وتشديد الكاف، ومِـحْصَن بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين، ابن حُرْثان -بضم المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة- الأسدي، من بني أسد ابن خزيمة، كان من السابقين إلى الإسلام، ومن أجمل الرجال، هاجر وشهد بدرًا، وقاتل فيها، واستشهد في قتال الردة مع خالد بيد طليحة الأسدي، سنة اثنتي عشرة، ثم أسلم طليحة بعد ذلك، وجاهد الفرس يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، واستشهد في وقعة الجسر المشهورة.

قولهُ: فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**».

وللبخاري في رواية: فقال: «**اللهم اجعله منهم**».[2]

وفيه: طلب الدعاء من الفاضل.

= **والراجح** في مسألة التداوي هو تفصيل العلامة ابن عثيمين رحمه الله في "الشرح الممتع" (٥/ ٢٣٤) أول كتاب الجنائز، حيث قال: وعلىٰ هذا فالأقرب أن يقال ما يلي:

١) أنَّ ما عُلِم، أو غلب علىٰ الظن نفعه، مع احتمال الهلاك بعدمه؛ فهو واجب.

٢) أنَّ ما غلب علىٰ الظن نفعه، ولكن ليس هناك هلاك محقق بتركه؛ فهو أفضل. يعني التداوي.

٣) أنَّ ما تساوىٰ فيه الأمران -يعني النفع وعدمه- فتركه أفضل؛ لئلا يلقي الإنسان بنفسه إلىٰ التهلكة من حيث لا يشعر. اهـ

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٢٤/ ٢٦٩).

(٢) أخرجها البخاري برقم (٦٥٤١).

قوله: ثم قام رجل آخر.

ذَكَرَه مُبْهَمًا، فلا حاجة بنا إلى البحث عن اسمه.

قوله: فقال: «**سبقك بها عكاشة**».

قال القرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة؛ فلذلك لم يجبه؛ إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضرًا، فيتسلسل الأمر، فسد الباب بقوله ذلك. انتهى.[١]

---

(١) انظر: "المفهم" (١/ ٤٦٩).

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفيه استعمال المعاريض، وحُسن خلقه ﷺ.[1]

فيه مسائل:

الأولىٰ: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنىٰ تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه علىٰ إبراهيم بكونه لم يكُ من المشركين.

الرابعة: ثناؤه علىٰ سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخِصال هو التوكل.

السابعة: عُمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم علىٰ الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسىٰ.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أنَّ كل أمة تُحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحدٌ يأتي وحده.

---

(١) انظر مسائل كتاب التوحيد رقم (٢١، ٢٢).

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف؛ لقوله: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن كذا وكذا، فَعُلِمَ أنَّ الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بُعْد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «**أنت منهم**»، عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.

٣- بَاب الخَوْفُ من الشِّرْكِ

قال المصنف رحمه الله: بَاب الخَوْفُ من الشِّرْكِ.

وقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨، ١١٦] الآية.

ش/ قال ابن كثير: أخبر تعالى أنه ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾، أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾، أي: من الذنوب لمن [يشاء][1] من عباده.انتهى.

فتبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة: إن شاء غفره لمن لقيه به، وإن شاء عذبه به، وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله؛ لأنه أقبح القبيح، وأظلم الظلم، وتنقصٌ لرب العالمين، وصرفُ خَالِصِ حَقِّه لغيره، وعدل غيره به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١]؛ ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، مُنَافٍ له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته، والذل له، والانقياد لأوامره، الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه؛ خرب وقامت القيامة، كما قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ لا يقال في الأرض: الله، الله**» رواه مسلم.[2]

ولأن الشرك تشبيهٌ للمخلوق بالخالق تعالى، وتقدس في خصائص الإلهية: من ملك

---

(١) في [أ]: شاء.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

الضر والنفع، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء، والخوف والرجاء، والتوكل، وأنواع العبادة كلها بالله تعالى وحده، فمن عَلَّقَ ذلك بمخلوقٍ؛ فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًّا، ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياةً ولا نشورًا شبيهًا بمن له الحمد كله، وله الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله.

فأزمة الأمور كلها بيده سبحانه، ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشية، والدعاء، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والتوبة، والاستعانة، وغاية الحب مع غاية الذل، كل ذلك يجب عقلًا، وشرعًا، وفطرةً أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلًا، وشرعًا، وفطرةً أن يكون لغيره، فمن فعل شيئًا من ذلك [لغيره][(١)]؛ فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له، ولا مثل له، ولا نِدَّ [له][(٢)]، وذلك أقبح التشبيه وأبطله؛ فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة، هذا معنى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى.[(٣)]

وفي الآية رَدٌّ على الخوارج الْـمُكَفِّرِين بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار.

---

(١) في [ب]: بغيره.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انظر بعض الكلام المتقدم في "الداء والدواء" (ص٢٠٣) ت/ الحلبي.

ولا يجوز أن يحمل قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨] على التائب؛[١] فإنَّ التائب من الشرك مغفورٌ له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:٥٣].

فهنا [عَمَّمَ][٢] وَأَطْلَقَ؛ لأنَّ المراد به التائب، وهناك خَصَّ وَعَلَّقَ؛ لأن المراد به من لم يتب، هذا ملخص قول شيخ الإسلام.[٣]

قال المصنف رحمه الله: وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

ش/ الصنم: ما كان منحوتًا على صورةٍ، والوثن ما كان [موضوعًا][٤] على غير ذلك. ذكره الطبري عن مجاهد.[٥]

قلت: وقد يُسَمَّى الصنم وثنًا[٦]، ويقال: (إنَّ الوثن أعم)، وهو قوي، فالأصنام أوثان

(١) لأنه لو كان المقصود منه صاحب التوبة؛ لدخل الشرك في المغفرة؛ فإن الشرك يغفره الله لمن تاب منه كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال:٣٨]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾[الفرقان:٦٨] الآية، ثم قال بعدها: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[الفرقان:٧٠]، أما بدون توبة؛ فإنَّ الشرك لا يغفره الله، وأما بقية الذنوب؛ فهي إلىٰ الله: إن شاء غفر، وإن شاء عذَّب. وأما الخوراج؛ فإنهم يحملون الآية علىٰ التائب، وهو غير صحيح.

(٢) في [ب]: عمَّ.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٤/ ٤٧٥)، "مدارج السالكين" (١/ ٣٩٤).

(٤) في [ب]: منحوتًا.

(٥) ذكره الطبري عند تفسير آية [٣٥] من سورة إبراهيم، وفيه: شيخ الطبري المثنىٰ بن إبراهيم الآملي، لم نجد له ترجمة؛ فهو مجهول حال.

(٦) في المطبوع زياة: كما قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[العنكبوت:١٧] الآية. وهذا القول هو القول **الراجح**، فالأوثان تُطلَق علىٰ كل ما يعبد من دون الله، سواء كانت علىٰ صورة، أو علىٰ غير صورة، وما كان علىٰ صورة له اسم آخر، وهو: الصنم، فكل =

كما أن القبور أوثان.

قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾.

أي: اجعلني وَبَنِيَّ في جانبٍ عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها، وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجعل بَنِيْهِ أنبياءَ، وَجَنَّبهم عبادةَ الأصنام، وقد بَيَّنَ ما يوجب الخوف من ذلك بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾[إبراهيم:٣٦]؛ فإنه هو الواقع في كل زمان، فإذا عرف الإنسانُ أنَّ كثيرًا وقعوا في الشرك الأكبر، وضلوا بعبادة الأصنام؛ أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفره الله.

قال إبراهيم التيمي: من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.(١)

فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه: من العلم بالله، وبما بعث به رسوله من توحيده، والنهي عن الشرك به.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفي الحديث: «**أَخْوَفُ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ**». فسُئل عنه فقال: «**الرياء**».

ش/ أورد المصنف هذا الحديث مختصرًا غير مَعْزُوٍّ، وقد رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي، وهذا لفظ أحمد: حدثنا يونس، [قال](٢) حدثنا ليث، عن يزيد -[يعني](٣) ابنَ الهاد- عن عمرو، عن محمود بن لبيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم**

= صنم وثن، ولا عكس؛ فيكون بينهما عموم وخصوص مطلق.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة إبراهيم آية [٣٥]، من طريق: المغيرة بن مقسم، عن إبراهيم، والمغيرة مدلس، ولم يصرح بالتحديث، وبعضهم يتجاوز في عنعنته، وفي إسناد ابن جرير: محمد بن حميد الرازي، وقد كُذِّب، لكن إسناد ابن أبي حاتم لم نقف عليه؛ لأنه مفقود في هذا الجزء.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله تعالىٰ يوم القيامة إذا جازىٰ الناس بأعمالهم: اذهبوا إلىٰ الذين كنتم تُراؤُون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟**»[(١)].

قال المنذري: ومحمود بن لبيد رأى النبي ﷺ، ولم يصح له منه سماع فيما أرى.

وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال: له صحبة. ورجحه ابن عبد البر، والحافظ، وقد رواه الطبراني بأسانيد جيدة عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج.[(٢)]

مات محمود سنة ست وتسعين. وقيل سنة سبع وتسعين، وله تسع وتسعون سنة.

قولهُ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر».

هذا من شفقته ﷺ بِأُمَّتِه، ورحمته ورأفته بهم، فلا خير إلا دلهم عليه، وأمرهم به، ولا شر إلا بينه لهم وأخبرهم به، ونهاهم عنه، كما قال ﷺ فيما صح عنه: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم**»[(٣)] الحديث، فإذا كان الشرك الأصغر

---

(١) حسن. أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩)، وعمرو هو ابن أبي عمرو حسن الحديث، ولكنه لم يسمع من أحدٍ من الصحابة، ولكن قد وصل في غير هذه الطريق عند البيهقي في «الشُّعَب» (٦٨٣١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٢٣-٣٢٤)، من وجهين مختلفين عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة الظفري، وهو ثقة، عن محمود بن لبيد به، فعلىٰ هذا فالحديث حسن، ثم وجدت له طريقًا أخرىٰ عند ابن أبي شيبة (٢/ ٤٨١)، وابن خزيمة (٩٣٧)، من طريق: أبي خالد الأحمر، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد به، بلفظ: «**إياكم وشرك السرائر**» قالوا: وما شرك السرائر؟ قال: «**أن يقوم أحدكم يزين صلاته جاهدًا؛ لينظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر**»، وإسناده حسن أيضًا، وراجع «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٥١).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٦٩). أخرجه الطبراني برقم (٤٣٠١)، وزيادة رافع بن خديج لم تصح كما نبه علىٰ ذلك العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٥١)، والذي زادها هو عبدالله بن شبيب، وهو واهي.

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم برقم (١٨٤٤)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

مَخُوْفًا على أصحاب رسول الله ﷺ مع كمال علمهم، وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب، خصوصًا إذا عرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقر به المشركون، وما عرفوا معنى الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله.

وأخرج أبو يعلى، و ابن المنذر عن حذيفة بن اليمان، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ قال: «**الشرك [فيكم]**[(١)] **أخفىٰ من دَبِيب النمل**»، قال أبو بكر: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عُبِد من دون الله، أو ما دُعِيَ مع الله؟ قال: «**ثكلتك أمك، الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل**» الحديث، وفيه: «**أن تقول: أعطاني الله وفلان، والند أن يقول الإنسان: لولا فلان قتلني فلان**». اهـ من "الدر"[(٢)].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو [لله نِدًّا]**[(٣)]**، دخل النار**». رواه البخاري[(٤)].

ش/ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الند الشبيه يقال: فلان نِدُّ فلانٍ، وَنَدِيْدَهُ، أي: مثله وشبهه.انتهى.[(٥)]

قال تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) **ضعيف**. أخرجه أبو يعلىٰ في "مسنده" برقم (٥٨)، وفي إسناده: ليث بن أبي سليم ضعيفٌ مختلط، وشيخه أبو محمد مجهول، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" في تفسير سورة الرعد عند قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ آية: [١٦].

(٣) في المطبوع: «**من دون الله ندًّا**»، والمثبَت من المخطوطة.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٤٩٧)، وأخرجه أيضًا مسلم برقم (٩٢) بلفظ: «**من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**».

(٥) انظر: "إغاثة اللهفان" (٢/ ٣٢٥) ط/ المكتب الإسلامي.

قولهُ: «من مات وهو يدعو لله نِدًّا».

[أي: يجعل لله نِدًّا][(١)] في العبادة، يدعوه ويسأله ويستغيث به؛ دخل النار.

قال [العلامة][(٢)] ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

والشـرك فاحـذره فشـرك ظـاهر	**ذا القسـم لـيس بقابـل الغفـران**
وهـو اتخـاذ النـد للـرحمن أيـا	**كـان مـن حجـر ومـن إنسـان**
يـدعوه أو يرجـوه ثـم يخافـه	**ويحبـه كمحبـة الـديان**[(٣)]

واعلم أن اتخاذ الند على قسمين:

الأول: أن يجعله لله شريكًا في أنواع العبادة أو بعضها كما تقدم، وهو شركٌ أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر، كقول الرجل: (ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت) وكيسير الرياء، فقد ثبت أن النبي ﷺ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني لله نِدًّا؟ بل ما شاء الله وحده**» رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري في "الأدب المفرد"، والنسائي، وابن ماجه[(٤)]، وقد تقدم حكمُه في [باب فضل التوحيد].

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) من "الكافية الشافية" (ص٢٢٠) ت/ الحلبي.

(٤) **صحيح بشواهده**. أخرجه أحمد (١٨٣٩) (١٩٦٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٦)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٧٨٣)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٩٨٨)، وابن ماجه (٢١١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وفي إسناده: الأجلح بن عبدالله مختلَفٌ فيه، والراجح ضعفه.

❁ وله شواهدُ يصح بها، فله شاهد من حديث الطُّفيل بن سَخْبَرة، رواه أحمد (٥/ ٧٠٢)، وغيره، وإسناده صحيح، وهو في "الصحيح المسند" (٥٢٤)، أنَّ النبي ﷺ جاءه الطفيل وذكر أنه رأىٰ رؤيا، وفيها أنَّ يهوديًّا قال: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.، فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «**ما شاء الله وحده**».

❁ وله شاهد من حديث قُتيلة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أخرجه أحمد (٦/ ٣٧١-٣٧٢)، والنسائي (٦/ ١٥)، وإسناده=

= ظاهره الصحة، وهو في "الصحيح المسند" (١٦٣٨)، وقد وجد اختلاف في صحابي الحديث، فبعضهم جعله من حديث عبدالله بن يسار عن قُتيلة، وبعضهم جعله من رواية عبدالله بن يسار، عن حذيفة، فجعل الصحابي حذيفة، وعبدالله بن يسار يقول ابن معين فيه: لا أعلم له سماعًا من حذيفة، وهذا الخلاف لا يضر؛ لأنه لا يخرج الحديث عن الاستشهاد علىٰ الأقل؛ لأنه إذا كان من حديث قتيلة؛ فيصح، وإن كان من حديث حذيفة؛ فلا يصح؛ للانقطاع بين عبدالله بن يسار، وحذيفة، لكن مع ذلك يُستشهد به.

مسألة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هل يدخل في هذه الآية الشرك الأصغر، بحيث أنه لا يغفره الله لمن مات، ولم يتب منه؟ وجد بعض العلماء يقول: إنَّ الآية عامة تشمل الشرك بنوعيه: الأكبر، والأصغر. قالوا: لأنَّ قوله: ﴿أَنْ يُشْرَكَ﴾ في تأويل مصدر، أي: لا يغفر الإشراك به؛ فهذا يعم، ويشمل الشرك الأكبر، والأصغر. وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام يشير إلىٰ هذا كما في كتابه "الاستغاثة" (١/ ٣٠١)، حيث قال: وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء، لا أكبر، ولا أصغر، علىٰ مقتضىٰ عموم القرآن، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلمًا، لكن شركه لا يغفر له، بل يعاقب عليه، وإن دخل بعد ذلك الجنة.اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "جامع الرسائل" (٢/ ٢٥٤): وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق، وخفي وجلي.اهـ

ثم وجدت لشيخ الإسلام رحمه الله كلام ظاهره أنه يرىٰ أن الذي لا يغفر هو الأكبر؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوىٰ (١/ ٩١): فَالشِّرْكُ إنْ كَانَ شِرْكًا يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ . وَهُوَ نَوْعَانِ : - شِرْكٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَشِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ . فَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِلَهِيَّةِ فَهُوَ : أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا - أَيْ : مِثْلًا فِي عِبَادَتِهِ أَوْ مَحَبَّتِهِ أَوْ خَوْفِهِ أَوْ رَجَائِهِ أَوْ إنَابَتِهِ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ...الخ.

وأما ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جزم بأن الشرك الأصغر لا يدخل في الآية، وإنما يدخل الشرك الأكبر، والأبيات المتقدمة تدل علىٰ قوله هذا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مدارج السالكين" (١/ ٣٣٩، ٣٤٤): وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين؛ ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿**تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة، والتعظيم، والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم، ويعظمونها، ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، وقول الرجل للرجل: (ما شاء الله وشئت)، =

= و(هذا من الله ومنك) و (أنا بالله وبك) و (مالي إلا الله وأنت) و (أنا متوكل علىٰ الله وعليك) و (لولا أنت لم يكن كذا وكذا)، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب قائله ومقصده، وصح عن النبي ﷺ أنه قال لرجل قال له: ما شاء الله وشئت. «**أجعلتنى لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده**»، وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ.اهـ، وانظر: "الداء والدواء" (ص٢٠١-٢٠٣).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعَلِّقًا علىٰ قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (كيسير الرياء): هذا يدل علىٰ أنَّ كثيره ليس من الأصغر، لكن إن أراد بالكمية فنعم؛ لأنه لو كان يرائي في كل عمل؛ لكان مشركًا شركًا أكبر؛ لعدم وجود الإخلاص في عملٍ يعمله، أما إذا أراد الكيفية فظاهر الحديث أنه أصغر مطلقًا.انتهىٰ من "القول المفيد" (١/ ١٥٦).

ولم أجد من العلماء المتقدمين من نصَّ علىٰ ذلك، وإنما الذي يظهر من كلامهم عند شرح الأحاديث، وتفسير الآيات أنهم يرون أنه يدخل تحت الغفران؛ لأنهم يصرحون بأن الشرك لا يُغفر، وبأنه يوجب دخول النار، ومعلوم أنه لا يوجب النار إلا الشرك الأكبر.

فالذي يظهر –والله أعلم– أنَّ أكثرهم علىٰ أنه داخلٌ تحت المشيئة، ويؤيد ذلك ما تقدم معنا من كلام ابن رجب، وكلام شيخ الإسلام أنَّ جماعةً من السلف يعدون كبائر الذنوب من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان يتبع فيها هواه (ص٧٣)؛ فعلىٰ هذا يكون الشرك الأصغر داخلًا تحت المشيئة، وتحت الغفران؛ لأنَّ الكبائر داخلة تحت المشيئة والغفران؛ لحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي ﷺ عند أن بايعهم علىٰ التوحيد، وترك السرقة، والزنىٰ، قال: «**من أصاب من ذلك شيئًا، فعوقِب به في الدنيا؛ كان كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فلم يُعاقب به في الدنيا؛ فهو إلىٰ الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**» متفق عليه.

ونستنبط من كلام ابن رجب، وشيخ الإسلام في نقلهم المشار إليه مع إقراره أنهما يريان أن الشرك الأصغر مما يغفره الله، والله أعلم، بل سيأتي في [باب تفسير التوحيد] كلامٌ لشيخ الإسلام ظاهره يدل علىٰ ذلك، وبالله التوفيق. والذي يظهر لي –والله أعلم– أنه يدخل تحت المشيئة، وتحت الغفران.

والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تردد في موضع، وفي موضع آخر جزم بأنه لا يغفره الله، والشيخ الفوزان جعله، مما لا يُغفر كالشرك الأكبر؛ لعموم الآية.

مسألة: تقسيم الشرك إلىٰ أكبر وأصغر من عقيدة أهل السنة والجماعة، يجب الإيمان به، ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع كالمعتزلة والخوارج. فالشرك الأكبر هو الذي لا يغفره الله عزوجل، وهو الذي يُجعل فيه لله ندًّا كما في الحديث، سواء كان هذا النِّد في الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات. وأما الشرك الأصغر ففي "فتاوىٰ اللجنة الدائمة" (١/ ٧٤٩): كل ما نهىٰ عنه الشرع مما هو ذريعة إلىٰ الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا.اهـ، وبنحوه قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاواه" (٢/ ٢٠٣). =

وفيه: بيان أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركٌ جَلِيٌّ، كطلب الشفاعة من الأموات؛ فإنها ملك لله تعالى، وبيده ليس بيد غيره منها شيء، وهو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن لاقى الله بالإخلاص والتوحيد من أهل الكبائر كما يأتي تقريره في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولمسلم عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».[1]

ش/ جابر: هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام -بمهملتين- الأنصاري، ثم السَّلَمي -بفتحتين- صحابيٌّ جليل، ولأبيه مناقب مشهورة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، مات بالمدينة بعد السبعين، وقد

= وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ كما في "القول السديد" (ص٣٢): هو جميع الأقوال، والأفعال التي يتوسل بها إلىٰ الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله، ويسير الرياء، ونحو ذلك.اهـ

قال أبو عبدالله غفر الله له: لم أجد من ضبطه من علمائنا المتقدمين، وما ذكره هؤلاء الأئمة هو المعتمد في ضبطه، ومن تدبر الأحاديث الواردة فيه وجدها لا تخرج عن الضابط المذكور.

فقولهم: (ما شاء الله وشئت) كانت ألفاظًا تُقال، ولم يكونوا يعتقدون أن مشيئة النبي ﷺ نافذة كمشيئة الله تعالىٰ، فهذا الاعتقاد لم يكن موجودًا، وهو التمثيل والمساواة. كذلك الحلف «**من حلف بغير الله؛ فقد أشرك**»، فهو يحلف بغير الله، ومع ذلك لا يعتقد، ولا يعظم المحلوف به كتعظيم الله، ويعتقد ذلك؛ فهو شرك أصغر، وعلىٰ هذا فقس.

فائدة: تقسيم الشرك إلىٰ أكبر وأصغر يتناول أقسام التوحيد الثلاثة؛ فالربوبية فيها شرك أصغر وأكبر، وكذلك الألوهية، وكذلك الأسماء والصفات، وقد جزم بوقوعة في الربوبية كما يقع في الألوهية شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كما في مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٨٧) حيث قال: وَمَنْ تَرَكَ بَعْضَ مَا أُمِرَ بِهِ بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِهِ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ الَّذِي يُبْتَلَىٰ بِهِ غَالِبُ الْخَلْقِ: إمَّا شِرْكًا فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَإِمَّا شِرْكًا فِي الْأُلُوهِيَّةِ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.اهـ

وقال الشيخ سليمان رَحِمَهُ اللهُ في "تيسير العزيز الحميد" (١/ ٢٧): إذا تبين هذا؛ فاعلم أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة الىٰ أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقا، وقد يكون أكبر بالنسبة الىٰ ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلىٰ ما هو أكبر منه.اهـ

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٣).

كف بصره، وله أربع وتسعون سنة.

قوله: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا».

قال القرطبي: أي لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أنَّ من مات على ذلك فلابد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة، [وأنَّ من مات](١) على الشرك لا يدخل الجنة، ولا يناله من اللهِ رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد من غير انقطاع عذاب، ولا تصرم آماد.(٢)

وقال النووي: أمَّا دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق [فيه](٣) بين [الكتابي اليهودي والنصراني](٤)، وبين عبدة الأوثان، وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام، وبين من انتسب إليها، ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة؛ فهو مقطوع له به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة [مات](٥) مُصِرًّا عليها؛ دخل الجنة أولًا، وإن كان صاحب كبيرة مات مُصِرًّا عليها؛ فهو تحت المشيئة؛ فإن عُفِي عنه دخل الجنة أولًا، وإلا عُذِّب في النار ثم أُخْرِج من النار وأُدْخِل الجنة.(٦)

وقال غيره: اقتصر على نفي الشرك؛ لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كَذَّب رسلَ الله؛ فقد كذب الله، ومن كذب الله؛ فهو مشرك، وهو

---

(١) في [أ]: وإن مات.
(٢) انتهىٰ من "الْـمُفْهِم" (١/ ٢٩٠).
(٣) ساقط من [أ].
(٤) في المخطوطتين: (بين اليهودي، والكتابي، والنصراني)، والمثبت من "شرح مسلم"، و"التيسير".
(٥) ساقط من [أ].
(٦) انتهىٰ من "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" رقم (٩٣).

كقولك: (من توضأ؛ صَحَّت صلاتُه)، أي: مع سائر الشروط، فالمراد: من مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به[١] إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلًا في التفصيلي. انتهى.[٢]

فيه مسائل:

الأولىٰ: الخوف من الشرك.

الثانية: أنَّ الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.[٣]

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه علىٰ الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قُربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦].[٤]

العاشرة: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري.[٥]

الحادية عشرة: فضيلة من سَلِمَ من الشرك.

---

(١) إلىٰ ههنا من كلام الحافظ في "الفتح" شرح حديث رقم (١٢٩).

(٢) انظر: "تيسير العزيز الحميد" (ص١٢٢).

(٣) تقدم بيان أن الرياء قد يصل إلىٰ الشرك الأكبر.

(٤) أي: إن سبب خوفه من ذلك أنَّ الأكثر قد ضل بعبادة الأصنام، فلم يسلم منها إلا القليل، وقول المؤلف (الأكثر) يستفاد من أدلة أخرىٰ، وأما الآية ففيها ﴿كثيرًا﴾، ولا يلزم منها الأكثرية كما هو واضح.

(٥) يعني رواية البخاري.

٤- بَاب الدُّعَاءُ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب الدُّعَاءُ إِلىٰ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله.

ش/ لما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى التوحيدَ وفضلَه، وما يوجب الخوف من ضده؛ نَبَّه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم، كما قال الحسن البصري لما تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: ﴿إِنَّنِي مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾، هذا خليفة الله.[1]

---

(١) **ضعيف**. أخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (٢/ ١٨٧) عن معمر، عن الحسن عند هذه الآية، ومعمر لم يسمع من الحسن، ذكر ذلك أبو حاتم كما في "جامع التحصيل"؛ فالأثر ضعيف.

مسألة: هل يقال لشخصٍ: (هذا خليفة الله)، أو يقال: لمجموعة: (هؤلاء خلفاء الله في الأرض)؟ من العلماء من منع، ومنهم من أجاز، ومنهم من فصَّل، فالذين منعوا قالوا: لا يقال لإنسان (خليفة الله في الأرض)؛ لأنَّ الخليفة هو الذي يخلف غيره عند غيابه، والله شاهد لا يغيب. هذه هي علة من منع، وقالوا: والله هو الذي يخلف البشر؛ لحديث: «**اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل**»، وممن نص علىٰ ذلك شيخ الإسلام، وتبعه علىٰ ذلك الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة"، ومنهم من أجاز؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾ [يونس:١٤]، وقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾ [النور:٥٥]، وقوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [ص٢٦]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥]، فقالوا: المقصود بأنه خليفة، أي: يخلف غيره، فيذهب جيل ويأتي جيل آخر من هذه الأمة. وفي بعض الآيات المقصود بها أنه المتولي لشرع الله بالحكم به بين الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص:٢٦]، أي: يُمَكِّنُه من الشرع حتىٰ يبلغه، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ =

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الـمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

ش/ قال أبو جعفر بن جرير: يقول -تعالى ذكره- لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته ﴿سَبِيْلِي﴾، وطريقتي، ودعوتي، ﴿أَدْعُو إِلَى الله﴾ تعالى وحده، لا شريك له، ﴿عَلَى بَصِيْرَةٍ﴾ بذلك، ويقينِ علمٍ مني به، ﴿أَنَا﴾ ويدعو إليه على بصيرة أيضًا ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾، وصدقني، وآمن بي ﴿وَسُبْحَانَ الله﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله تعالى، وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولاهم مني.انتهى.

قال [ابن القيم][1] في "شرح المنازل": يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات

= الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾ [النور:٥٥]، فمن حيث وجودهم فهم موجودون، لكن وعدهم بزيادة علىٰ ذلك، وهو استخلافهم في الأرض وتمكينهم علىٰ الكافرين، ونشر الإسلام وغيره؛ ولذلك فصَّل ابن القيم تفصيلًا جيدًا حيث قال في "مفتاح دار السعادة" (١٦٥): إن أُريد بالإضافة إلىٰ الله أنه خليفة عنه فالصواب قول الطائفة المانعة فيها، وإن أُريد بالإضافة أنَّ الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله؛ فهذا لا يمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خَلَفًا عن غيره.اهـ

فالذي يظهر أنَّ التفصيل هو الصواب، أنه إذا أريد به أنه يخلف الله؛ فهذا لا يصلح كما تقدم عن شيخ الإسلام؛ فإنَّ كلامه في هذا السياق، وأيضًا الشيخ الألباني، وأما الشيخ ابن عثيمين فيرىٰ الجواز بالاعتبار الجائز؛ لأنه ذكر الاعتبار الجائز ثم أجازه، وأما إن أُريد بالإضافة أنَّ الله استخلفه؛ فهذا جائز، ولا يمنع من ذلك حتىٰ شيخ الإسلام، والألباني رحمهما الله؛ لأن سياق كلامهما يدل علىٰ أنهما أرادا المعنىٰ الأول فقط. راجع "مجموع الفتاوىٰ" (٢/ ٤٦١) (٣٥/ ٤٢)، "الضعيفة" برقم (٨٥).

(١) ساقط من [ب].

العلم، وهي البصيرة التي تكون نسبة [المعلوم][(١)] فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، أي: أنا وأتباعي على بصيرة، وقيل: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: عطف على المرفوع في ﴿أَدْعُو﴾، أي: [أنا][(٢)] أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله تعالى على بصيرة، وعلى القولين: فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر، الداعون إلى الله تعالى، ومن ليس منهم؛ فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى.[(٣)]

قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه مسائل:

منها: التنبيه على الإخلاص؛ لأنَّ كثيرًا ولو دعا إلى الحق؛ فهو يدعو إلى نفسه.

ومنها: أنَّ البصيرة من الفرائض.

ومنها: أن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله تعالى عن المسبة.

ومنها: أن من قُبْحِ الشرك كونه مسبة لله تعالى.

ومنها: إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك. انتهى.[(٤)]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى -في معنى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْـمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [الآية][(٥)]-: ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو؛ فإنه إما أن يكون طالبًا للحق مُحِبًّا له، مُؤْثِرًا له على غيره إذا عرفه؛

---

(١) في [أ]: العلوم.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انظر: "مدارج السالكين" (٢/ ٤٨١-٤٨٢).

(٤) انظر مسائل "كتاب التوحيد" رقم (٢-٦).

(٥) ساقط من [ب].

فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال. وإما أن يكون مُشْتَغِلًا بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه؛ فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب. وإما أن يكون مُعاندًا مُعارضًا؛ فهذا يُجَادَل بالتي هي أحسن؛ فإنْ رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن. انتهى.[(١)]

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والفرق بين حُب الإمامة، والدعوة إلى الله، وحب الرياسة: هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظِّها؛ فإنَّ الناصح لله المحب له، يحب أن يُطاع ربُّه فلا يُعصَى، وأن تكون كلمته [هي][(٢)] العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل [ربه][(٣)] أن يجعله للمتقين إمامًا يقتدي به المقتدون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا [العبد][(٤)] الداعي إلى الله أن يكون في أعين الناس جليلًا، وفي قلوبهم مهيبًا، وإليهم حبيبًا، وأن يكون فيهم مُطَاعًا؛ لكي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول ﷺ على يديه؛ لم يضره ذلك، بل يُحمد عليه؛ لأنه داعٍ إلى الله، يحب أن يُطاع ويُعبد ويُوحَّد؛ فهو يُحب ما يكون عونًا على ذلك، موصلًا إليه.

ولهذا ذكر الله سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه، وأثنى عليهم في تنزيله، وأحسن جزاءهم يوم لقائه، فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤]، فسألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن ييسِّر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته،

---

(١) من "الصواعق المرسلة" (٤/ ١٢٧٦).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) ساقط من [أ].

وعبوديته؛ فإنَّ الإمام والمؤتم متعاونان على [طاعته][(١)]، وإنها سألوه ما يعاونون به المتقين على مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين؛ هو سؤال أن يهديهم، ويوفقهم، ويمن عليهم بالعلوم النافعة، والأعمال [الصالحة][(٢)] ظاهرًا وباطنًا، التي لا تتم الإمامة إلا بها.

وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسم الرحمن جل جلاله؛ ليعلم خلقه أنَّ هذا إنما نالوه بفضله ورحمته، ومحض جوده ومنته، وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه [السورة][(٣)] الغرف، وهي المنازل العالية في الجنة، [ولما][(٤)] كانت الإمامة في الدين من الرتب العالية، بل من أعلى مراتب يعطاها العبد في الدنيا؛ كان جزاؤه عليها الغرف العالية في الجنة، وهذا بخلاف طلب الرياسة؛ فإنَّ [طالبيها][(٥)] يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض، وتعبد القلوب لهم، وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم؛ مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم، فترتب على هذا الطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله: من البغي، والحسد، والطغيان، والحقد، والظلم، [والعصبية][(٦)]، والحمية للنفس دون حق الله، وتعظيم من حَقَّر الله، واحتقار من أكرمه الله، ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك، ولا تنال [إلا به][(٧)] وبأضعافه من المفاسد، والرؤساء في عمى

(١) في [أ]: الطاعة.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [أ]، و[ب]: الصورة، والمثبت من "الروح".

(٤) في [ب]: وهذا لـمَّا.

(٥) في [أ]: طلابها.

(٦) ساقط من [ب].

(٧) ساقط من [ب].

عن هذا، فإذا كُشف الغطاء؛ تبين لهم فساد ما كانوا عليه، ولاسيما إذا حُشروا في [صفة][1] الذر، يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم؛ إهانة لهم، وتحقيرًا وتصغيرًا، كما صغَّروا أمر الله، وحقَّروا عباده[2]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى[3].

قال المصنف رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعثَ معاذًا إلىٰ اليمن، قال له: «**إِنّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله** -وفي رواية: **إلىٰ أن يوحِّدوا الله**- **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوك لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ علىٰ فُقَرَائِهِمْ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوك لِذَلِكَ، فَإِيّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**». أخرجاه[4].

ش/ قال الحافظ: كان بَعْثُ مُعاذٍ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ كما ذكره المصنف -يعني البخاري- في أواخر المغازي، وقيل: كان ذلك في آخر سنة تسع عند منصرفه ﷺ من تبوك، رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك، وأخرجه ابن سعد في "الطبقات" عنه،[5] واتفقوا أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ثم

---

(١) في [أ]: صور.

(٢) أخرج أحمد (٦٦٧٧)، والترمذي (٢٤٩٢)، والحُميدي (٥٩٨)، وابن أبي شيبة (٩/ ٩٠)، وغيرهم، من طريق: محمد بن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له: بُولَسُ، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار**»، وإسناده حسن.

(٣) من كتابه "الروح" (ص٢٥٢-٢٥٣).

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٤٩٦) (٤٣٤٧) (٧٣٧٢)، ومسلم برقم (١٩)، والرواية المشار إليها انفرد بها البخاري.

(٥) الواقدي كذَّاب لا يُعتبر به، والذي يظهر أنه كان في السنة العاشرة كما ذكر الحافظ.

توجه إلى الشام فمات بها.[(١)]

قال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ رضي الله عنه، أنه ﷺ بعثه إلى اليمن مُبَلِّغًا عنه، ومُفَقِّهًا، وَمُعَلِّمًا، وَحَاكِمًا.[(٢)]

قوله: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب**».

قال القرطبي: يعني به اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب، وإنما نبه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم.[(٣)]

وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية؛ ليجمع همته عليها.[(٤)]

قوله: «**فليكن أَوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله**».

شهادةُ: رُفِع على أنه اسم (يكن) مؤخر، و (أول) خبرها مقدم، ويجوز العكس.

قوله: وفي رواية: «**إلىٰ أن يوحدوا الله**».

هذه الرواية ثابتة في كتاب التوحيد من "صحيح البخاري"[(٥)]، وأشار المصنف بذكر هذه الرواية إلى التنبية على معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنَّ معناها: توحيد الله تعالى بالعبادة، ونفي عبادة ما سواه. وفي رواية: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**»[(٦)]، وذلك هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة: ٢٥٦]، والعروة الوثقى هي (لا إله إلا الله).

---

(١) انتهىٰ من "الفتح" برقم (١٤٩٦).
(٢) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ٦٥٤).
(٣) انتهىٰ من "المفهم" (١/ ١٨١).
(٤) انتهىٰ من "الفتح" (١٤٩٦).
(٥) برقم (٧٣٧٢).
(٦) هذه الرواية عند البخاري برقم (١٤٥٨)، ومسلم برقم (١٩) (٣١).

وفي رواية للبخاري: فقال: «**ادعهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»[(١)].

قلت: لابد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط[(٢)]، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

---

(١) هي عند البخاري برقم (١٣٩٥)، وكذلك هي في "مسلم" برقم (١٩).

(٢) قال ابن رجب رحمه الله في "كتاب التوحيد" (ص٣٩) بعد أن ذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل كلمة التوحيد، قال: وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أنَّ (لا إله إلا الله) سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه؛ لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن، ووهب بن منبه، وهو الأظهر، قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نِعْمَ العِدَّة، إنَّ لـ(لا إله إلا الله) شروطًا، فإياك وقذف المحصنة. وقيل للحسن: إنَّ ناسًا يقولون: من قال: (لا إله إلا الله) دخل الجنة. فقال: من قال: (لا إله إلا الله)، فأدَّىٰ حقها، وفرضها؛ دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة؟ قال: بلىٰ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.انتهىٰ

قال أبو عبدالله: أثر الحسن الأول أخرجه ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (١٠٣)، وابن سعد (٧/ ١٤٠)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٦٦) دون قوله: (إن لـ لا إله إلا الله شروطًا...)، وهو حسن بمجموع طرقه.

❁ وأما الأثر الثاني للحسن، فأخرجه الأصبهاني في "الحجة" (٢/ ١٥٢)، وفي إسناده: الحسن بن عميرة، وهو مجهول.

❁ وأما أثر وهب، فعلقه البخاري في "صحيحه" في أول [كتاب الجنائز]، ووصله في "التاريخ" (١/ ٩٥)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢٠٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٤/ ٦٦)، وفي إسناده: محمد بن سعيد بن رمانه، يرويه عن أبيه، عن وهب، وهو وأبوه مجهولان.

قلت: ولكن يمكن أن يستأنس بهذه الآثار علىٰ المعنىٰ المذكور، والله أعلم.

وقال ابن القيم رحمه الله:

هــذا وفــتح البــاب لــيس بممكــن ... إلا بمفتـــــاح عـــــــلىٰ أســــنان

مفتاحــه بشــهادة الإخــلاص والتــ ... ــــوحيد تلــك شــهادة الإيــمان

أســنانه الأعــمال وهــي شــرائع الا ... إســلام والــمفتـــاح بالأســـنان

لا تلغــين هــذا الــمثال فكــم بــه ... مــن حــل إشــكال لــذي العرفــان

أحدها: العلم المنافي للجهل. **الثاني:** اليقين المنافي للشك. **الثالث:** القبول المنافي للرد. **الرابع:** الانقياد المنافي للترك. **الخامس:** الإخلاص المنافي للشرك. **السادس:** الصدق المنافي للكذب. **السابع:** المحبة المنافية لعدمها.(١)

وفيه دليلٌ على أن التوحيد -الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك [له](٢) وترك عبادة ما سواه- هو أول واجب؛ ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٣٢]، وقول نوح: ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلَّا اللهَ﴾ [هود:٢٦].

وفيه معنى (لا إله إلا الله) مطابقة.

[قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا خاطب الرسلُ أُمَمَهم مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنما دعوهم إلى عبادة الله وحده، لا إلى الإقرار به، فقالت لهم: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠]، فوجوده سبحانه، وربوبيته، وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر [للبصائر](٣) من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما [تعقله](٤) وتقر بوجوده.

فما ينكره إلا مكابر بلسانه، وقلبه، وعقله، وفطرته وكلها تكذبه، قال تعالى: ﴿اللهُ

---

(١) زاد المؤلف رحمه الله شرطًا ثامنًا في كتابه "قرة عيون الموحدين" (ص٥٠)، وهو: الكفر بما يعبد من دون الله. ولـه كلام يذكر فيه الأدلة علىٰ الشروط المذكورة ضمن "الدرر السنية" (٢/ ٢٤٣-٢٥٦) وهذا الإمام هو أول من جمع هذه الشروط السبعة أو الثمانية استقراء من أدلة الكتاب والسنة، فعليه رحمة الله.

فائدة: الشروط المذكورة بين بعضها والبعض تلازم، فتأمل ذلك، وقد قال المؤلف رحمه الله في كتابه "قرة عيون الموحدين" (ص٢٩): والصدق، والإخلاص متلازمان، لا يوجد أحدهما بدون الآخر؛ فإن من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) في [أ]: للإبصار. والمثبت أقرب.

(٤) في [أ]: (تعلقه)، وهو خطأ.

الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[الرعد:٢] إلى آخر الآيات.][1]

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: [وقد عُلِم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة أنَّ أصل الإسلام][2]، وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًّا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبه؛ فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه؛ فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان.

قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة؛ فهو كافر باتفاق المسلمين باطنًا وظاهرًا عند سلف الأمة وأئمتها، وجماهير العلماء. انتهى.[3]

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفيه أن الإنسان قد يكون عالمًا وهو لا يعرف معنى لا إله إلا الله، أو يعرفه ولا يعمل به.[4]

قلت: فما أكثر هؤلاء، لَا كَثَّرَهم الله تعالى.

قوله: «**فإن هم أطاعوك لذلك**».

أي: شهدوا وانقادوا لذلك، «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات**».

فيه: أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) لم أقف علىٰ مصدر هذا النص من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

(٤) انظر مسائل "كتاب التوحيد" رقم (١٠).

قال النووي -ما معناه-: إنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها،(١) ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة، **والصحيح** أنَّ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، وهذا قول الأكثرين.انتهى.(٢)

قوله: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم».

فيه: دليلٌ على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف على الفقراء، وإنما خَصَّ النبيُّ ﷺ الفقراءَ؛ لأن حَقَّهم في الزكاة آكد من حقِّ بقية الأصناف الثمانية.

وفيه: أنَّ الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها، إما بنفسه أو نائبه، فمن امتنع من آدائها [إليه](٣)؛ أُخِذت قهرًا منه.

وفي الحديث: دليلٌ على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد(٤) كما هو مذهب

---

(١) معنىٰ أنهم مخاطبون، أي: مأمورون بالإسلام، والتوحيد، وكذلك مأمورون بفروع الشريعة من الزكاة، والصيام، والصلاة، لكن لا يطالبون بها؛ إلا تبعًا للإسلام، ومعنىٰ أنهم مخاطبون بفروع الشريعة، أي: يأثمون علىٰ تركها، والدليل علىٰ أنهم يأثمون علىٰ ترك الواجبات الأخرىٰ غير التوحيد قوله تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر:٤٢-٤٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨]، وقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[فصلت:٦-٧]، هذا هو معنىٰ أنهم مخاطبون بفروع الشريعة، يعني يأثمون علىٰ تركها، وليس المعنىٰ أنهم إذا أسلموا يطالبون بالقضاء، فعامة العلماء علىٰ عدم مطالبتهم بقضائها، سواء كانت صلاة، أو صومًا، أو زكاة، أو غير ذلك.

(٢) انظر: "شرح صحيح مسلم" رقم (١٩).

(٣) ساقط من [ب].

(٤) يدل علىٰ هذا أيضًا حديث قبيصة بن مخارق الهلالي عند أن أتىٰ النبيَّ ﷺ، وكان قد تَحمَّل حمالةً، =

[الإمام][(١)] مالك، وأحمد.

وفيه: أنه لا يجوز دفعها إلى غني ولا إلى كافر غير المؤلف، وأنَّ الزكاة واجبة في مال الصبي والمجنون كما هو قول الجمهور؛ لعموم الحديث.[(٢)]

قلت: والفقير إذا أُفْرِدَ في اللفظ تناولَ المسكينَ وبالعكس،[(٣)] كنظائره، قرره شيخ الإسلام.[(٤)]

قولهُ: «**فإياك وكرائم أموالهم**».

بنصب «**كرائم**» على التحذير، جمع كريمة.

قال صاحب "المطالع"[(٥)]: هي الجامعة للكمال الممكن في حقها، من غزارة لبنٍ، وجمالِ صورةٍ، وكثرةِ لحمٍ وصوفٍ، ذكره النووي.[(٦)]

قلت: وهي خيار المال وأنفسه، وأكثره ثمنًا.

وفيه: أنه يحرم على العامل في الزكاة أخذ كرائم المال، ويحرم على صاحب المال إخراج

= فقال له النبي ﷺ: «**أقم عندنا حتىٰ تأتينا الصدقة فنأمر لك بها**» أخرجه مسلم برقم (١٠٤٤).

(١) ساقط من [أ].

(٢) الصبي، والمجنون تجب عليهما الزكاة مع أنهما غير مكلفين؛ لأنَّ الزكاة واجبة في المال؛ لقوله ﷺ: «**...صدقة في أموالهم**».

(٣) وإذا اجتمع الفقير مع المسكين في اللفظ؛ فيكون الفقير أشد حاجة من المسكين؛ فإنَّ المسكين قد يكون عنده مسكن، ومال، لكن الذي عنده لا يغنيه، والفقير أشد حاجة منه، وقيل العكس: المسكين أشد حاجة من الفقير. والراجح القول الأول؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف:٧٩] الآية.

(٤) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ١٦٧).

(٥) اسم الكتاب بتمامه "مطالع الأنوار علىٰ صحاح الآثار" تكلم فيه صاحبه علىٰ غريب "الموطإ"، و"الصحيحين"، وصاحبه هو ابن قرقول إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق المتوفَّىٰ سنة (٥٦٩هـ)، انظر: "كشف الظنون" (٢/ ١٧١٥).

(٦) في شرح الحديث رقم (١٩).

شرار المال، بل يخرج الوسط؛ فإن طابت نفسه بالكريمة [جاز][(١)] .

قوله: «**واتق دعوة المظلوم**».

أي: اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم، وهذان الأمران يقيان من رُزِقَهُما من جميع الشرور دنيا وأخرى.

وفيه: تنبيهٌ على التحذير من جميع أنواع الظلم.

قوله: «**فإنه**».

أي: الشأن، «**ليس بينها وبين الله حجاب**»، هذه الجملة مفسرة لضمير الشأن، أي: فإنها لا تحجب عن الله تعالى فيقبلها.

وفي الحديث أيضًا قبول خبر الواحد العدل، ووجوب العمل به، وبعث الإمامِ العمالَ لجباية الزكاة، وأنه يعظ عماله وولاته، ويأمرهم بتقوى الله تعالى، ويعلمهم وينهاهم عن الظلم، ويعرفهم سوء عاقبته، والتنبيه على التعليم بالتدريج. قاله المصنف.[(٢)]

قلت: ويبدأ بالأهم فالأهم.

واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصومَ والحجَ، فأشكل ذلك على كثير من العلماء.

قال شيخ الإسلام: أجاب بعض الناس: (أنَّ بعضَ الرواة اختصر الحديث)، وليس كذلك؛ فإن هذا طعنٌ في الرواة؛ لأن ذلك إنما يقع في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس، حيث ذكر بعضهم الصيامَ، وبعضهم لم يذكره، فأما الحديثان المنفصلان؛ فليس الأمر فيهما كذلك، ولكن عن هذا جوابان:

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) في المسألة رقم (١٠) من "كتاب التوحيد".

أحدهما: أنَّ ذلك بحسب نزول الفرائض، وأول ما فرض الله الشهادتين، ثم الصلاة؛ فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي؛ ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعامة الأحاديث، إنما جاء في الأحاديث المتأخرة.

[**قلت**: وهذا من الأحاديث المتأخرة، ولم يذكر فيها.](١)

الجواب الثاني: أنه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه، فيذكر تارةً الفرائضَ التي يقاتل عليها: كالصلاة، والزكاة، ويذكر، تارة الصلاة، والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم، فإما أن يكون قبل فرض الحج، وإما أن يكون المخاطب بذلك لا حج عليه.

وَأَمَّا الصلاة والزكاة؛ فلهما شأن ليس لسائر الفرائض؛ ولهذا ذكر تعالى في كتابه القتال عليهما؛ لأنهما عبادتان ظاهرتان،(٢) بخلاف الصوم فإنه أمر باطن من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد؛ فإنَّ الإنسان يمكنه أن لا ينوي الصوم، وأن يأكل سِرًّا، كما يمكنه أن يكتم حدثه وجنابته، وهو ﷺ يذكر في [الإعلام](٣) الأعمال الظاهرة التي يقاتل [الناس](٤) عليها، ويصيرون مسلمين بفعلها؛ فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم، وإن كان واجبًا كما في آيتي براءة؛ [فإن براءة](٥) نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس، وكذلك لما بعث معاذاً إلى اليمن لم يذكر في حديثه الصوم؛

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) القتال عليهما ذكره ربُّنا في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١٢]، وقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

(٣) إضافة من "التيسير" (ص١٣١).

(٤) ساقط من [أ].

(٥) إضافة من "التيسير" (ص١٣١).

لأنه تَبَعٌ، وهو باطنٌ، ولا ذكر الحج؛ لأن وجوبه خاص ليس بعام، و لا يجب في العمر إلا مرة. انتهى بمعناه.[(١)]

قولهُ: أخرجاه.

أي: البخاري ومسلم.

وأخرجه أيضًا أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.[(٢)]

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٦٠٥-٦٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٧١)، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٦٢٥) (٢٠١٤)، والنسائي (٥/ ٥٥)، وابن ماجه (١٧٨٣).

قال المصنف رحمه الله: ولهما عن سَهْل بن سَعْدٍ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يومَ خَيْبَر: **«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ»**، فباتَ الناسُ يَدُوكون ليلَتَهم: أَيُّهُمْ يُعطاها؟ فلما أصبحوا غَدَوْا علىٰ رسولِ الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: **«أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»** فقيل: هو يَشتكي عينَيهِ. فأرسلوا إليه، فأُتِيَ به، فبَصَقَ في عينَيه؛ ودَعَا لَهُ فَبَرَأ كأنْ لم يكنْ به وَجَع، فأعطاهُ الراية، فقال: **«انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»**[(١)]، يدوكون: أي: يخوضون.

ش/ قوله: عن سهل بن سعد.

أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي أبو العباس، صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضًا، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة.

قوله: قال يوم خيبر.

وفي "الصحيحين" عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان أرمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ، فخرج علي رضي الله عنه، فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله عزوجل في صباحها قال رسول الله ﷺ: **«لأعطين الراية** -أو: **ليأخذن الراية- غدًا رجلٌ يحبه الله ورسوله** -أو قال: **يحب الله ورسوله- يفتح الله علىٰ يديه»**، فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية، ففتح اللهُ عليه.[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٠١)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٠٢)، ومسلم برقم (٢٤٠٧).

قوله: «**لأعطين الراية**».

قال الحافظ: في رواية بُريدة: «**إني دافع اللواء إلىٰ رجل يحبه الله ورسوله**»،[١] وقد صرح جماعةٌ من أهل اللغة بترادفهما[٢]، لكن روى أحمد، والترمذي من حديث ابن عباس: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض.[٣] ومثله عند الطبراني عن بريدة،[٤] وعند ابن عدي، عن أبي هريرة،[٥] وزاد مكتوب فيه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

قوله: «**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**».

فيه: فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه.

---

(١) **صحيح**. أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣) بإسناد صحيح، وهو في "الصحيح المسند" (١٥٨).

(٢) **مسألة**: بعض العلماء يفرِّق بينهما، يقول: اللواء هو الذي يأخذه أمير الجيش، والراية هي التي يأخذها القواد غير الأمير، ومنهم من عكس، ومنهم من رادف بينهما، وقال: إنَّ الراية هي اللواء، واللواء هو الراية، والحديث في التفريق بينهما ضعيف؛ لأنه لم يسلم من الكلام عليه، والأقرب الترادف بينهما، وأنهما يطلقان على شيء واحد؛ لأنَّ حديث بريدة فيه: «إني دافعٌ اللواء غدًا»، وحديث سهل بن سعد فيه: «لأعطين الراية غدًا رجلًا»؛ فالحديث واحد، فالراية واللواء شيء واحد. وعلى تحسين الحديث يكون الأقرب أن الراية أكبر؛ لأنهم كانوا يقولون: نقسم الجيش إلى ألوية.

(٣) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨)، وغيرهما، وفي إسناده: يزيد بن حيان النَّبَطي، أخو مقاتل بن حيان، قال فيه ابن معين: لا بأس به. وقال فيه البخاري: عنده غلطٌ كثير. وقال ابن حبان: يخطئ، ويخالف. فهذا يدل علىٰ أنه ضعيفٌ يصلح في الشواهد؛ لأنَّ قول البخاري: عنده غلطٌ كثير. جرحٌ مفسَّر. وتابعه حيان بن عبيدالله العَدَوي عند الطبراني (١١٦١)، وحيان بن عبيدالله لم يوثقه معتبر، وإنما ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" وسكت عليه؛ فهو مجهول.

تنبيه: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لم يخرجه أحمد.

(٤) **ضعيف**. أخرجه الطبراني (١١٦١) (١٢٩٠٩)، وكذلك فيه: حيان بن عبيدالله المذكور، فحيان بن عبيدالله رواه بإسنادين، فرواه عن أبي مجلز عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عن عبدالله بن بريدة عن أبيه.

(٥) **ضعيفٌ جدًّا**. أخرجه ابن عدي (٢/ ٦٥٨)، وهو شديد الضعف، فيه: محمد بن أبي السَّري، ومحمد ابن أبي حميد، الأول ضعيف، والثاني شديد الضعف؛ قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة.

قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مُخْتَصًّا بعلي، ولا بالأئمة؛ فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب اللهَ ورسولَه، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه، أو يكفرونه، أو يفسقونه، كالخوارج، لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة [كانت][(١)] قبل رِدَّتِهم؛ فإنَّ الخوارجَ تقول في علي مثل ذلك، لكن هذا باطل؛ فإن الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم اللهُ أنه يموت كافرًا.[(٢)]

وفيه: إثبات صفة المحبة لله، خلافًا للجهمية.

قوله: «**يفتح الله علىٰ يديه**».

صريحٌ في البشارة بحصول الفتح، فهو علم من أعلام النبوة.

قوله: فبات الناس يدوكون ليلَتهم.

بنصب (ليلَتهم)، و (يدوكون) قال المصنف: يخوضون، أي: فيمن يدفعها إليه.

وفيه: حرصُ الصحابة على الخير، واهتمامهم به، وعلو [مرتبتهم][(٣)] في العلم والإيمان.

قوله: أيهم يعطاها.

هو برفع (أي) على البناء؛ لإضافتها، وحذف صدر صلتها.

قوله: فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها.

وفي رواية أبي هريرة عند مسلم[(٤)]: أنَّ عمر رضي الله عنه، قال: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ.

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) انتهىٰ من "منهاج السنة" (٥/ ٤٤).

(٣) في [ب]: مراتبهم.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٥).

قال شيخ الإسلام: إنَّ في ذلك شهادة النبي ﷺ لعلي بإيمانه باطنًا وظاهرًا، وإثباتًا لموالاته لله تعالى ورسوله، ووجوب موالاة المؤمنين له، وإذا شهد النبي ﷺ لمعين بشهادة، أو دعا له؛ أحبَّ كثيرٌ من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ومثل ذلك الدعاء، وإن كان النبي يشهد بذلك لخلق كثير، ويدعو [بذلك][(١)] لخلق كثير، [وهذا][(٢)] كالشهادة بالجنة لثابت ابن قيس[(٣)]، وعبد الله بن سلام[(٤)]، وإن كان قد شهد بالجنة لآخرين، والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضُرِبَ في الخمر[(٥)] [(٦)].

قوله: فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**».

فيه: سؤال الإمام عن رعيته، وتفقد أحوالهم.

قوله: فقيل: هو يشتكي عينيه.

أي: من الرمد، كما في "صحيح مسلم" عن سعد بن أبي وقاص، فقال: «**ادعوا لي عليًّا**»، فَأُتِي به أرمد...، الحديث.[(٧)]

وفي نسخة صحيحة بخط المصنف: «فقيل هو يشتكي عينيه، فَأَرسَلَ إليه» مبني للفاعل، وهو ضمير مستتر في الفعلِ راجعٌ إلى النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون مبينا لِما لم يسم فاعله.

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٣)، ومسلم برقم (١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٨١٢)، ومسلم برقم (٢٤٨٣)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٧٨٠)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والرجل المذكور اسمه: عبدالله، ويلقب (حمارًا).

(٦) انظر: "منهاج السنة" (٥/ ٤٦، ٤٨).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٤).

ولمسلم[(١)] من طريق إياس بن سلمة عن أبيه، قال: فأرسلني إلى علي، فجئت به أقوده أرمد.

قولهُ: فبصق.

بفتح الصاد، أي: تَفَل.

قولهُ: ودعا له، فبرأ.

هو بفتح الراء والهمزة، أي: عُوفي في الحال عافيةً كاملة، كأن لم يكن به وجعٌ من رمد ولا ضعف بصر.

وعند الطبراني من حديث علي: فما رمدتُ ولا صدعتُ منذ دفع النبي ﷺ إليَّ الراية.[(٢)]

[**وفيه**: دليل على الشهادتين.

قولهُ: فأعطاه الراية.][(٣)]

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٧).

(٢) هذا اللفظ عند الطيالسي (١٨٥)، وأبي يعلىٰ (٥٩٣)، وليس عند الطبراني، وفي إسناده: أم موسىٰ الراوية عن علي، وهي سُرِّية علي.

قال الدارقطني رحمه الله: حديثها مستقيم، يُخرَّج حديثها اعتبارًا.اهـ ووثقها العجلي؛ فهي تصلح في الشواهد.

❁ وأخرجه أحمد (١/ ٧٨) بدون قوله: «ولا صُدِّعت» من نفس الوجه.

❁ وأما الطبراني فرواه في "الأوسط" (٣/ ١٥٠-١٥١) برقم (٢٣٠٧) بمعناه مطولًا، ولكن ليس فيه ذكر الصداع، وفيه أيوب بن إبراهيم مجهول، وله شاهد في "دلائل النبوة" (٤/ ٢١١) من حديث بريدة، وفيه أحمد بن عبدالجبار العُطاردي، كذَّبه بعضهم، ودافع عنه الخطيب في "تاريخه"، وفيه المسيب بن مسلم الأزدي، لم توجد له ترجمة، فحديث بريدة لا يصلح في الشواهد، لكن تحسين الحديث بالطريقين السابقين لا بأس به، لكن بدون ذكر الصداع.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع، ومنعها عمن سعى.[1]

وفيه: أنَّ فعل الأسباب المباحة، أو الواجبة، أو المستحبة لا ينافي التوكل.

قوله: وقال: «**انفذ علىٰ رسلك**».

بضم الفاء، أي: امض، و«رسلك» بكسر الراء وسكون السين، أي: على رفقك من غير عجلة، وساحتهم: فناء أرضهم، وهو ما حولها.

وفيه: الأدب عند القتال، وترك العجلة والطيش، والأصوات التي لا حاجة إليها.

وفيه: أمر الإمام عمالَه بالرفق من غير ضعف، ولا انتقاض عزيمة، كما يشير إليه [قوله: «**حتىٰ تنزل بساحتهم**».][2]

قوله: «**ثم ادعهم إلىٰ الإسلام**».

أي: الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وإن شئت قلت: الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من [إخلاص][3] العبادة لله وحده وإخلاص الطاعة له، ولرسوله ﷺ، ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٦٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبودية له، كذا قال أهل اللغة.[4]

وقال رحمه الله تعالى: ودين الإسلام الذي ارتضاه اللهُ، وبعث به رسله: هو الاستسلام له

---

(١) انظر المسألة رقم (٢٣) من مسائل "كتاب التوحيد".
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطتين، وأضفناه من "التيسير" (ص١٣٦).
(٣) في [أ]: أنَّ إخلاص.
(٤) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٢٦٣).

وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلمًا، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب، وإقراره، ومعرفته؛ فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب. انتهى.[1]

فتبين أنَّ أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله، كما قال تعالى عن أول رسول أرسله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[نوح:٣].

وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة؛ جاز قتالهم ابتداءً؛ لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارُّون[2]، وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة؛ وجبت دعوتهم.[3]

قولهُ: «**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالىٰ فيه**».

أي: [في][4] الإسلام إذا أجابوك [إليه][5]، فأخبرهم بما يجب [عليهم][6] من حقوقه

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥٤١)، ومسلم برقم (١٧٣٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) هذا الذي ذكره الشارح هو الراجح، وهو أن الدعوة إذا كانت قد بلغتهم؛ جاز قتالهم بدون دعوة؛ لهذا الحديث المذكور، وهو في "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنهما، وإن كانت الدعوة لم تبلغهم، فلا يجوز قتالهم حتىٰ يُدْعَوا إلىٰ الإسلام؛ لحديث سهل بن سعد الذي في الباب. وجاء في "مسند أحمد" (٢١٠٥) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قاتل رسول الله ﷺ قومًا إلا دعاهم. ولا منافاة إذًا بين حديث سهل، وابن عباس، وحديث أنَّ النبي ﷺ أغار علىٰ بني المصطلق وهم غارّون، أي: غافلون، فهو يحمل علىٰ أنه دعاهم قبل ذلك.

(٤) ساقط من [ب].

(٥) ساقط من [أ].

(٦) ساقط من [ب].

التي لابد لهم من فعلها: كالصلوات، والزكاة كما في حديث أبي هريرة: «**فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا [مني]**[(١)] **دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».[(٢)]

ولما قال عمر لأبي بكر في قتاله مانعي الزكاة: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»، قال أبو بكر رضي الله عنه: فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ؛ لقاتلتهم على منعها.[(٣)]

وفيه: بعث الإمام الدعاة إلى الله تعالى كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون يفعلون كما في "المسند" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خطبته: ألا إني والله، ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم.[(٤)]

قوله: «**فو الله، لأن يهدي اللهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم**».

«**أَنْ**»: مصدرية، واللام قبلها مفتوحة؛ لأنها لام القسم، و«**أَنْ**» والفعل [بعدها][(٥)] في تأويل مصدر رفع على الابتداء، والخبر «**خير**»، و «**حُمْر**» بضم المهملة وسكون الميم، و«**النَّعَم**» بفتح النون والعين المهملة، أي: خيرٌ [لك][(٦)] من الإبل الحمر، وهي أنفس

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١)، بلفظ: «**عصموا مني**».

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٩)، ومسلم برقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **ضعيف**. أخرجه أحمد (١/ ٤١)، وفي سنده: أبو فراس النهدي، قال الذهبي في "الميزان": لا يُعرف. فهو مجهول، وهو الراوي عن عمر رضي الله عنه هذا الحديث.

(٥) ساقط من [أ].

(٦) ساقط من [أ].

أموال العرب.

قال النووي: وتشبيهُ أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فَذَرَّةٌ من الآخرة خيرٌ من الأرض بأسرها وأمثالها [معها][1] .[2]

وفيه: فضيلة من اهتدى على يديه رجلٌ واحد، وجواز الحلف على الخبر، والفتيا ولو لم يستحلف.

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) انتهىٰ من "شرح مسلم" رقم (٢٤٠٦).

فيه مسائل:

الأولىٰ: أنَّ الدعوة إلىٰ الله طريق من اتَّبع رسول الله ﷺ.

الثانية: التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأنَّ كثيرًا من الناس لو دعا إلىٰ الحق فهو يدعو إلىٰ نفسه.

الثالثة: أنَّ البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنزيه الله تعالىٰ عن المسَبَّة.[1]

الخامسة: أنَّ من قُبِح الشرك كونه مسَبَّة لله.

السادسة -وهي من أهمها-: إبعاد المسلم عن ا لمشركين؛ لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون ا لتوحيد أول واجب.

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتىٰ الصلاة.

التاسعة: أنَّ معنىٰ: «**أن يوحدوا الله**» معنىٰ شهادة: أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أنَّ الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه علىٰ التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالِم الشُّبهة عن المتعلم.[2]

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

---

(١) أي: النقص؛ لأن تمثيل الخالق بالمخلوق أو العكس نقص في حق الخالق سبحانه.

(٢) وذلك يؤخذ من قوله: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب**».

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرىٰ علىٰ سيد المرسلين، وسادات الأولياء من المشقة، والجوع، والوباء.[(١)]

التاسعة عشرة: قوله: «**لأُعطين الراية**» إلخ، عَلَم من أعلام النبوة.

العشرون: تَفْلُه في عينيه عَلَمٌ من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكِهم تلك الليلة، وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعىٰ.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «**علىٰ رِسْلِك**».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلىٰ الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعُوا قبل ذلك، وقُوتِلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة؛ لقوله: «**أخبرهم بما يجب عليهم**».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدىٰ علىٰ يديه رجلٌ واحد.

الثلاثون: الحَلِف علىٰ الفُتْيَا.

---

(١) لأنَّ هذا يدل علىٰ أنهم لا يملكون دفع الضر عن أنفسهم؛ فكيف يدفعونه عن غيرهم.

٥- بَاب تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله

قال المصنف رحمه الله: بَاب تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله.

ش/ قلت: هذا من عطف الدال على المدلول.

فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنى لا إله الا الله، وما تضمنته من التوحيد، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وسابقها ولاحقها، وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها، فما فائدة هذه الترجمة؟

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلت عليه من توحيد العبادة.

وفيها: الحجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم؛ لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الآيات كالآية الأولى: ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الإسراء:٥٦]، أكثر المفسرين على أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأُمَّهُ، والعزير، والملائكة،(١) وقد نهى اللهُ عن ذلك أشدَّ النهي كما في هذه الآية من التهديد والوعيد على ذلك، وهذا يدل على أن دعاءهم من دون الله شركٌ بالله ينافي التوحيد، وينافي شهادة أن لا إله إلا الله، ومضمون هذه الكلمة نفي الشرك في العبادة، والبراءة من عبادة كل ما عبد من دون الله؛

---

(١) سبب النزول هذا لم يأت به نصٌّ، والثابت في "الصحيحين" أنَّ أناسًا من الإنس كانوا يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، فاستمسك الإنس بعبادتهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧] الآية. أخرجه مسلم (٣٠٣٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٤٧١٤) بدون التصريح بالنزول. وأما معنىٰ الآية فهو يشمل كل من عبد غير الله، كمن عبد المسيح، أو الملائكة، أو عزيرًا، أو غيرهم؛ فإنَّ هؤلاء المعبودين أنفسهم يتقربون إلىٰ الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه.

فإنَّ التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده، وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك؛ لأن دعوةَ غير الله تأله وعبادة له، و الدعاء مُخُّ العبادة.[1]

وفي هذه الآية: أنَّ المدعو لا يملك لداعيه كشف ضرر، ولا تحويله من مكان إلى مكان، ولا من صفة إلى صفة، ولو كان المدعو نبيًّا أو ملكًا، وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله [كائنا من كان][2]؛ لأن دعوتَه تخون داعيه أحوج ما كان إليها؛ لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره، وهذه الآية تقرر التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾ [الإسراء:٥٧] الآية.

ش/ يبين أن هذا سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين.

قال قتادة: تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه.[3]

وقرأ ابن زيد: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.[4]

قال العماد ابن كثير: وهذا لا خلاف بين المفسرين فيه. وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

---

(١) جاء ذلك في حديث ضعيفٌ، رواه الترمذي (٣٣٧١) عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: ابن لهيعة فيه ضعف، والثابت عند أبي داود (١٤٧٩) وغيره بلفظ: «**الدعاء هو العبادة**»، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، بإسناد صحيح، وهو في "الصحيح المسند" للعلامة الوادعي رحمه الله برقم (١١٥٩).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) **صحيح**. أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير آية المائدة [٣٥]، وهو من طريق: سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، وقد تكلمنا فيه سابقًا أنه لم يسمع التفسير منه، لكن قلنا: إنه قد حفظ تفسير قتادة كما قال الإمام أحمد؛ فالأثر صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الإسراء [آية:٥٧]، عن يونس، عن ابن وهب، عن ابن زيد به، وتمامه: قال: الذين يدعون الملائكة تبتغي إلىٰ ربها الوسيلة. وإسناده صحيح.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاث: الحب، وهو ابتغاء القُرب إليه والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء، والخوف.(١)

وهذا هو التوحيد، وهو حقيقة دين الإسلام كما في "المسند" عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه قال: والله، يا رسول الله، ما أتيتك إلا بعد ما حلفتُ عددَ أصابعي هذه: أن لا آتيك، فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال: «**الإسلام**»، قال: وما الإسلام؟ قال: «**أن تُسْلم قلبك، وأن توجه وجهك إلىٰ الله، وأن تصلي الصلوات المكتوبة، وتؤدي الزكاةَ المفروضة**».(٢)

وأخرج محمد بن نصر المروزي من حديث خالد بن معدان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**إن للإسلام صوىٰ ومنارًا كمنار الطريق، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».(٣)

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

---

(١) انتهىٰ من "مدارج السالكين" (٣/ ٢٢).

(٢) **حسن**. بهز بن حكيم هو بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، والحديث في "مسند أحمد" (٥/ ٣)، وهو حسن، لكنه عنده ليس من طريق بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، وإنما أخرجه أحمد من طريق أبي قزعة الباهلي، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه.

(٣) **صحيح**. أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (١/ ٤١١)، والسند إلىٰ خالد بن معدان صحيح، لكن هل سمع خالد بن معدان من أبي هريرة؟ قال أبو حاتم: أدركه ولم يذكر له سماع منه. والعلماء يختلفون في مثل هذا: هل يصح أم لا؟ فالبخاري يُعلُّ مثل هذه الطرق، والإمام مسلم يحتج بمثل هذه الطرق؛ لأنه قد عاصره، وكثيرٌ من المحدثين يحتجون بمثلها؛ لأنَّ الأصل أنَّ الثقة يروي عمن سمع منه، وخالد بن معدان ليس معروفًا بالتدليس. وصححه الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" برقم (٣٣٣)؛ فالحديث صحيح، وقد ذكر له شواهد أخرىٰ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

ش/ أي: لا إله إلا الله.

فَتَدَبَّرْ كيف عَبَّرَ الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هذه الكلمة العظيمة بمعناها الذي دَلَّت عليه، وَوُضِعَتْ له، من البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، الموجودة في الخارج: كالكواكب، والهياكل، والأصنام التي صَوَّرَها قوم نوح على صور الصالحين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وغيرها من الأوثان والأنداد التي كان يعبدها المشركون بأعيانها، ولم يستثن من جميع المعبودات إلا الذي فطره وهو الله وحده لا شريك له؛ فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[الحج:٦٢]، فكل عبادة يقصد بها غير الله: من دعاءٍ وغيره؛ فهي باطلة، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾[غافر:٧٣-٧٤].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة:٣١] الآية.

ش/ وفي الحديث الصحيح أن رسول ﷺ [لما][١] تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي، قال: يارسول الله، لسنا نعبدهم. قال: «**أليس يحلون ما حرم الله؛ فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله؛ فتحرمونه؟**»، قال: بلى. فقال النبي ﷺ: «**فتلك عبادتهم**».[٢]

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤)، والطبراني (١٧/ ٩٢)، والبيهقي (١٠/ ١١٦)، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" [آية:٣٠] من سورة براءة، وإسناده ضعيف، فيه: غطيف بن أعين، وهو ضعيف، وجاء موقوفًا علىٰ حذيفة عند الطبري =

فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله، وبها اتخذوهم أربابًا كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة لا إله إلا الله.

فتبين بهذه الآية أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله؛ لمنافاته لمدلول هذه الكلمة، فأثبتوا ما نفته من الشرك، وتركوا ما أثبتته من التوحيد.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنَدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ**﴾ [البقرة:١٦٥] الآية.

ش/ فكل من اتخذ نِدًّا لله، يدعوه من دون الله، ويرغب إليه، ويرجوه لما يؤمله [منه][(١)] من قضاء حاجاته، وتفريج كرباته كحال عباد القبور والطواغيت والأصنام؛ فلابد أن يعظموهم ويحبوهم [لذلك][(٢)]؛ فإنهم أحبوهم مع الله، وإن كانوا يحبون الله تعالى، ويقولون: (لا إله إلا الله)، ويصلون، ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره، فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله يبطل كل قول يقولونه، وكل عمل يعملونه؛ لأن المشركَ لا يقبل منه عمل، ولا يصح منه، وهؤلاء وإن قالوا: (لا إله إلا الله)؛ فقد تركوا كلَّ قيد قيدت به هذه الكلمة العظيمة: من العلم بمدلولها؛ لأن المشرك جاهلٌ

= في "تفسيره" عند آية [٣١] من سورة التوبة، والبيهقي (١٠/ ١١٦) بسند منقطع؛ لأنه من رواية أبي البختري عن حذيفة، ولم يسمع منه.

وهل يقوي المنقطع هذا الحديث؟ الذي يظهر أنه فيه مجال للاجتهاد؛ لأنه في تفسير آية، والتفسير يكون له حكم الرفع إذا كان من أسباب النزول، وحذيفة لم يجعله سببًا للنزول، وإنما فسر الآية؛ فالذي يظهر أن تفسير الآية كما ذكر، لكن هل يصح مرفوعًا بأثر حذيفة؟ هذا فيه نظر، فالموقوف الذي ليس له حكم الرفع لا يقوي المرفوع، والله أعلم.

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [أ].

بمعناها، ومن جهله بمعناها [جعل][(١)] لله شريكًا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص، ولم يكن صادقًا في قولها؛ لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وترك اليقين أيضًا؛ لأنه لو عُرِّفَ بمعناها وما دلت عليه؛ لأنكره أو شك فيه، ولم يقبله، وهو الحق، ولم يكفر بما يُعبد من دون الله [كما في الحديث، بل آمن بما يُعبد من دون الله][(٢)] باتخاذه الند ومحبته له وعبادته من دون الله، [كما][(٣)] قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لله﴾[البقرة:١٦٥]؛ لأنهم اخلصوا له الحب، فلم يحبوا إلا [إياه][(٤)]، ويحبون من أحب، ويخلصون أعمالهم جميعها لله، ويكفرون بما عُبد من [دون الله][(٥)]، فبهذا يتبين لمن وفقه الله تعالى لمعرفة الحق وقبوله دلالة هذه الآيات العظيمة على معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى التوحيد الذي هو معناها الذي [دعت][(٦)] إليه جميع المرسلين، فتدبر.

---

(١) في [أ]: جَعْله.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) في المخطوطتين: (هو)، والمثبت أقرب.

(٥) في [ب]: دونه.

(٦) ساقط من [أ].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ[(١)]: وقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧] الآية.

ش/ يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾الآية [الإسراء:٥٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى ﴿قُلْ﴾ للمشركين ﴿ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ من الأنداد، وارغبوا إليهم؛ فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم، أي: بالكلية ﴿وَلاَ تَحْوِيلًا﴾، أي: ولا أن يحولوه إلى غيركم؛ فإِنَّ الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له، قال العوفي عن ابن عباس في الآية: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة، والمسيح، وعُزيرًا، وهم الذين يُدعون.[(٢)]

وروى البخاري في الآية عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا. وفي رواية: كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم.[(٣)]

---

(١) في النسخة [أ] ذكر ههنا (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)، ثم أعاد شرح الآيات، وإعادة شرح الآيات واقع في النسختين، وقد عُلِّقَ بحاشية [أ] بما نصُّه: سبب تكرار هذا الباب أنه وجد هذا التقرير متقدم في الكلام علىٰ هذا الباب من أوله إلىٰ قوله: (فتدبر) في نسخة قديمة للشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، فأحببت أن أكره؛ ليعلم الناظر في هذا الكتاب سعة علم المصنف، وحفيده الشارح، والمهذب لهذا الكتاب، وحسن تقريرهم، وتنويعهم العباير، وتفننهم فيها، مع اتحاد المعنىٰ، فرحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا، آمين.

(٢) **ضعيفٌ**. أخرجه ابن جرير عند تفسير آية [٥٦] من سورة الإسراء، وهو مسلسل بالعوفيين، وقد تقدم الكلام عليهم في المقدمة.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٤)، ومسلم برقم (٣٠٣٠)، وليس عند البخاري نزول الآية بذلك، وهو عند مسلم.

وقول ابن مسعود [هذا][(١)] يدل على أن الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك على كلا القولين.

وقال السدي عن أبي صالح، عن ابن عباس في الآية قال: عيسى، وأمه، وعزير.[(٢)]

وقال مغيرة عن إبراهيم: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في هذه الآية: هم عيسى، وعزير، والشمس والقمر.[(٣)]

وقال مجاهد: عيسى، وعزير، والملائكة.[(٤)]

وقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فكل داعٍ دعاء عبادة، أو [استغاثة][(٥)]؛ لابد له من ذلك، فإما أن يكون خائفًا، وإما أن يكون راجيًا، وإما أن يجتمع فيه الوصفان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذه الآية -لما ذكر أقوال المفسرين-: وهذه الأقوال كلها حقٌّ؛ فإنَّ الآيةَ تَعُمُّ من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر، والسلفُ في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى الخبز؟ فيريه رغيفًا. فيقول: هذا. فالإشارة إلى نوعه لا إلى

---

(١) في [أ]: في الآية هنا.

(٢) **ضعيف**. أخرجه ابن جرير في تفسير آية [٥٧] من سورة الإسراء، وفيه: أبو صالح، وهو باذام، مولى أم هانئ، ضعيفٌ، وأيضًا لم يسمع من ابن عباس.

(٣) **ضعيف**. أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الإسراء [آية:٥٧]، وإسناده ضعيف؛ لأن إبراهيم لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما، ومغيرة مدلس؛ لاسيما عن إبراهيم، وشيخ ابن جرير هو محمد بن حميد الرازي، كذاب، ولكن يظهر أنه قد توبع، فقد عزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلىٰ سعيد بن منصور، وابن المنذر أيضًا.

(٤) **صحيح**. أخرجه الطبري في تفسير سورة الإسراء آية: [٥٧]، والطحاوي في "المشكل" (٦/ ١١٧)، وإسناده صحيح، وهو في "تفسير مجاهد" (ص٤٣٧).

(٥) في [أ]: استعانة.

عينه، وليس مرادهم [بذلك][(١)] تخصيصُ نوعٍ دون نوع مع شمول الآية، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًا، وذلك المدعو يبتغي الى الله الوسيلة، ويرجو رحمتَه ويخاف عذابَه، فكل من دعا ميتًا، أو غائبًا من الأنبياء، والصالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو غيرها؛ فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن، فقد نهى الله تعالى عن دعائهم، وبَيَّنَ أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، لا يرفعونه بالكلية، ولا يحولونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيْلًا﴾، فذكر نكرة تعم أنواع التحويل، فكل من دعا ميتًا، أو غائبًا من الأنبياء، والصالحين، أو دعا الملائكة؛ فقد دعا من لا يغيثه، ولا يملك كشف الضر عنه، ولا تحويله. انتهى.[(٢)]

[وفي هذه الآية ردٌّ على من يدعو صالحًا، ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا؛ الشرك عبادة الأصنام.][(٣)]

(١) ساقط من [أ].

(٢) انظر: «التفسير الكبير» (٥/ ١٧٨).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[الزخرف:٢٦-٢٧] الآية.

ش/ قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مُخْبِرًا عن عبده ورسوله وخليله، إمامِ الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء،[(١)] الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي: إليها.

قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾: يعني: لا إله إلا لله، لا يزال في ذريته من يقولها.[(٢)]

وروى ابن جرير عن قتادة: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، قال: إنهم يقولون: الله ربنا، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، فلم يبرأ من ربه. رواه عبد بن حميد.[(٣)]

---

(١) الدليل علىٰ أن إبراهيم والد جميع الأنبياء الذين بُعِثوا بعده قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد:٢٦]، فجميع الأنبياء من بعده من سلالته.

(٢) أثر مجاهد صحيح. أخرجه ابن جرير في تفسير [الآية:٢٨] من سورة الزخرف، وفيه: ليث بن أبي سليم، لكن قد تابعه ابن أبي نجيح عند الفريابي كما في "التغليق" (٤/ ٣٠٦). أثر قتادة أخرجه ابن جرير أيضًا في الموضع المذكور من طريقين، وهو صحيح. وأثر السدي أخرجه ابن جرير في الموضع المتقدم، من طريق: أسباط بن نصر الهمداني، مختلف فيه، والراجح ضعفه.

أثر عكرمة والضحاك لم نجدهما عند ابن جرير، ولا في "الدر المنثور"، لكن ذكر السيوطي في "الدر المنثور" أثر عكرمة بلفظ: هي الإسلام أوصىٰ بها ولده. وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أثر قتادة أخرجه ابن جرير في تفسير [الآية:٢٦] من سورة الزخرف بإسناد صحيح.

وروى ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده.[(١)]

قلت: فتبين أن معنى لا إله إلا الله: توحيد العبادة بإخلاص العبادة له، والبراءة من [عبادة][(٢)] كل ما سواه.

قال المصنف رحمه الله: وذكر سبحانه أن هذه البراءة، وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله.

[وفي هذا المعنى يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في "الكافية الشافية":

وإذا تــولاه امــرؤ دون الــورىٰ ... طــرا تــولاه العظــيم الشــان][(٣)]

(١) هذا الأثر أخرجه ابن جرير في تفسير الآية المذكورة، وعبدالرزاق في "تفسيره" (٢/ ١٩٦)، من طريق: معمر عن قتادة، وروايته عن قتادة فيها ضعف.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ﴾ [التوبة:٣١] الآية.

ش/ الأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العُبَّاد.

وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مُسلِمًا دخل على رسول الله ﷺ، فقرأ عليه هذه الآية، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: «**بلىٰ، إنهم حرموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام، فاتبعوهم؛ فذلك عبادتهم إياهم**» رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني من طرق.[(١)]

قال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]؛ فإن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله تعالى.[(٢)]

فظهر بهذا أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله، [وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة][(٣)] في تحليل ما [حرم][(٤)] الله، أو تحريم ما أحله الله، [وأطاعه][(٥)] في معصية الله، [واتبعه][(٦)] فيما لم يأذن [به][(٧)] الله؛ فقد اتخذه رَبًّا ومعبودًا، وجعله لله شريكًا، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلت عليه كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)؛

---

(١) تقدم تخريجه في الباب رقم (٥)، ولم أجد الحديث عند أحمد في "مسنده".

(٢) لم أجد الأثر عن السدي مسندًا.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٤) في [أ]: حرمه.

(٥) في [أ]: أو أطاعه.

(٦) في [أ]: أو اتبعه.

(٧) ساقط من [ب].

فإن الإله هو المعبود، وقد سمَّى اللهُ تعالى طاعتهم عبادةً لهم، وسماهم أربابًا،[(١)] كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾، أي: شركاء لله تعالى في العبادة ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

فكل معبود ربٌّ، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله تعالى ورسوله؛ فقدِ اتَّخَذَه المطيع ربًّا ومعبودًا، وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة، ويشبه هذه الآية في المعنى قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ﴾[الشورى:٢١]، والله أعلم.

[(٢)]قال شيخ الإسلام -في معنى قوله: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ﴾-: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل[(٣)]، فيعتقدون تحليلَ ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دينَ الرسل؛ فهذا كفرٌ، وقد جعله اللهُ ورسولُه شِرْكًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم؛ فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف للدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله؛ مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم

(١) سيأتي تفصيلٌ لشيخ الإسلام ﷺ أنهم إذا أطاعوهم في العمل فقط؛ فهذا ليس كفرًا بالله، وأما إذا أطاعوهم في العمل والاعتقاد، فاعتقدوا تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله؛ فهذا شرك أكبر.

(٢) من هنا ساقط من [أ].

(٣) قال شيخ الإسلام ﵀ في موضع آخر كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٢٦٧-): وَالْإِنْسَانُ مَتَىٰ حَلَّلَ الْحَرَامَ - الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ - أَوْ حَرَّمَ الْحَلَالَ - الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ - أَوْ بَدَّلَ الشَّرْعَ - الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ - كَانَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ... ثم قال: الشَّرْعُ الْمُبَدَّلُ هُوَ الْكَذِبُ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَوْ عَلَىٰ النَّاسِ بِشَهَادَاتِ الزُّورِ وَنَحْوِهَا وَالظُّلْمِ الْبَيِّنِ، فَمَنْ قَالَ: إنَّ هَذَا مِنْ شَرْعِ اللهِ. فَقَدْ كَفَرَ بِلَا نِزَاعٍ.اهـ

أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»[(١)].

ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهدًا، قصدُه اتباع الرسول، لكن خَفِي عليه الحق في نفس الأمر، وقدِ اتَّقَى اللهَ ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربَّه. ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول، ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول؛ فهذا له نصيبٌ من هذا الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باليد واللسان، مع علمه بأنه مخالف للرسول؛ فهذا شركٌ يستحق صاحبه العقوبة عليه؛ ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه، وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال.[(٢)]

وإن كان عاجزًا عن إظهار الحق الذي يعلمه، فهذا يكون كمن عرف أنَّ دين الإسلام حق، وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق؛ لا يؤاخذ بما عجز عنه، وهؤلاء كالنجاشي وغيره.[(٣)]

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٠)، ومسلم برقم (١٨٤٠)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوىٰ" (١٩/ ٢٦١): فمذهب الشافعي، وأحمد، وغيرهما أنه لا يجوز، وحُكي عن محمد بن الحسن جوازه.اهـ

وقال رحمه الله في (٢٠/ ٢٠٤): والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد، إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له.اهـ

وقال في (٢٠/ ٢١٢): وهذا القول أعدل الأقوال.اهـ

(٣) هؤلاء عرفوا الحق، لكن عجزوا عن إظهاره، وأما الإنسان الذي يعرف الحق ويأخذ بغيره، وهو غير عاجز عن إظهار الحق؛ فهذا مذموم، وهذا الاتباع لهذا العالم، أو الحَبر يكون شركًا أصغر مادام أنه يعتقد شرع الله، فالآن عندنا قسمان من الذين يتبعون العلماء في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله: إما أن يعتقد قولهم فيصير عنده المحرمُ حلالًا، والحلال محرمًا عقيدةً؛ فهذا شرك أكبر. وإما أن يتبعهم ويدافع عن ذلك، ولا يعتقد ذلك؛ فهذا شرك أصغر.

وقد أنزل الله في هؤلاء الآيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾[(١)] [آل عمران: ١٩٩]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾[(٢)] [المائدة:٨٣] الآية، وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[(٣)] [الأعراف: ١٥٩].

وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما [يقدر][(٤)] عليه مثله من الاجتهاد في التقليد؛ فهذا لا يُؤاخذ إن أخطأ، كما في القبلة.

وأما إن قَلَّدَ شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علمٍ أنَّ معه الحق؛ فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مُصيبًا؛ لم يكن عمله صالحًا، وإن كان متبوعه مُخطئًا؛ كان آثمًا، كمن قال في القرآن برأيه؛ فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار[(٥)]، وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنسِ عَبْدِ

---

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» (١/ ٣٥٦) رقم (١٠٨)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٤٧)، والبزار كما في «الكشف» (٨٣٢)، من طُرقٍ عن حميد، عن أنس ﷺ، قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «**صلوا عليه**»، قالوا: يا رسول الله، نصلي علىٰ عبد حبشي! فأنزل الله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه النسائي في «التفسير» (١٦٨)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٥)، والطبري (٧/ ٥)، والطبراني رقم (٢٥٨)، من الجزء الموجود من الجزء (١٣)، بإسناد صحيح عن عبدالله بن الزبير في قوله تعالىٰ: ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة:٨٣]، قال: نزلت في النجاشي. وقد صححه شيخنا الوادعي ﷺ في «الصحيح المسند من أسباب النزول».

(٣) لم أجد لها سبب نزول، ولكن معناها يدل علىٰ ما ذكره شيخ الإسلام، والله أعلم.

(٤) في المخطوط: (قدر)، والمثبت من «مجموع الفتاوىٰ».

(٥) يشير ﷺ إلىٰ حديثين: **أولهما:** حديث جندب ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب؛ فقد أخطأ**»، أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في «فضائل القرآن» (١١١)، وفي إسناده: سهيل بن أبي حزم القطعي، وهو ضعيف. **ثانيهما:** حديث ابن عباس ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**من قال في القرآن برأيه؛ فليتبوأ مقعده من النار**»، أخرجه الترمذي (٢٩٥٠)، =

الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ فإنَّ ذلك لَـمَّا أحبَّ المالَ؛ مَنَعَهُ عن عبادة الله وطاعته، صار عبدًا له، وكذلك هؤلاء؛ فيكون فيه شرك أصغر، ولهم من الوعيد بحسب ذلك، وفي الحديث: «**إن يسير الرياء شرك**»،(١) وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشرك على كثير من الذنوب. انتهى.(٢)

(٣)قال أبو جعفر بن جرير -في معنى قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ [فصلت:٩]-، [أي](٤) وتجعلون لمن خلق ذلك [أندادًا](٥)، وهم الأكفاء من الرجال، تطيعونهم في معاصي الله. انتهى.

قلت: كما هو الواقع من كثير من عُبَّاد القبور.

= والنسائي في "فضائل القرآن" (١٠٩)، وأحمد (١/ ٢٣٣)، وغيرهم، وفي إسناده: عبدالأعلىٰ بن عامر الثعلبي، وهو ضعيف.

(١) **ضعيفٌ جدًّا**. رواه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (١/ ٤) (٤/ ٣٢٨) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفي إسناده: عيسىٰ بن عبدالرحمن متروك، وقد سقط من أحد إسنادي الحاكم عيسىٰ بن عبدالرحمن، فظنَّ بعضهم أنه صحيح، وصححه الحاكم، لكن بيَّن الشيخ رحمه الله في "أحاديث معلة" (٣٨٦) أنه سقط من الإسناد عيسىٰ بن عبدالرحمن.

(٢) من كتاب "الإيمان الكبير" كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٧٠-٧٢).

(٣) إلىٰ هنا ينتهي السقط من [أ].

(٤) ساقط من [أ].

(٥) في [ب]: الأنداد.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية.

(١)قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أندادًا، أي: أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحبه، [وهو الله](٢) لا إله إلا هو، ولا ضد له، ولا نِدَّ له، ولا شريك معه.

وفي "الصحيحين" عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول الله؟ أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك**».(٣)

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لله﴾،(٤) ولحبهم لله، وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم، وتوحيدهم، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجأون في جميع أمورهم إليه، ثم توعد تعالى المشركين الظالمين لأنفسهم بذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا﴾.

---

(١) من هنا ساقط من [أ] إلىٰ قوله: قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) ساقط من النسختين، وأثبتناه من "التفسير".

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم برقم (٨٦).

(٤) إما أن يكون المراد المؤمنين أشد حُبًّا لله من محبة المشركين لله؛ لأنَّ محبة المشركين لله ناقصة؛ لأنهم أشركوا في المحبة، وهذا مبني علىٰ أنَّ قوله ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ المراد بها أنَّ المشركين يحبون آلهتهم كما يحبون الله. وإما أن يكون المراد أنَّ حب المؤمنين لله أشد من حب المشركين لأندادهم، وهذا مبني علىٰ أنَّ قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ المراد بها أن المشركين يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله.

والقول الأول أصح، وهو ترجيح شيخ الإسلام، وابن القيم؛ لأنَّ المشركين كانوا يسوون مع الله غيره في المحبة والتعظيم، ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، انظر: "مدارج السالكين" (٣/ ٢٠-٢١).

قال بعضهم: تقديرُ الكلام (لو عاينوا العذاب؛ لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا)، أي: أن الحكم لله وحده لا شريك له؛ فإنَّ جميعَ الأشياء تحت قهره، وغلبته، وسلطانه، ﴿وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[الفجر:٢٥-٢٦]، يقول: لو علموا ما يعانون هناك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم؛ لانتهوا عما هم فيه من الضلال.

ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتَبَرُّؤ المتبوعين من التابعين، فقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ﴾[البقرة:١٦٦]، تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدونهم في الدنيا، فتقول الملائكة: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[القصص:٦٣]، ويقولون: ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبأ:٤١]، والجن أيضًا يتبرأون منهم، وَيَتَنَصَّلُون من عبادتهم لهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ الله مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[الأحقاف:٥-٦].انتهى كلامه.

وروى ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله﴾: مباهاة ومضاهاة للحق بالأنداد، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لله﴾ من الكفار لأوثانهم.(١)

(٢)قال المصنف رحمه الله تعالى: ومن الأمور المبينة لتفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله: آيةُ البقرة في الكفار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة:١٦٧]،

---

(١) **صحيح**. أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم عند تفسير [الآية:١٦٥] من سورة البقرة، وإسناده صحيح، من طريق: ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وهو لم يسمع التفسير من مجاهد، لكن نص الحفاظ أنه أخذه من القاسم بن أبي بزَّة، وهو ثقة. والبخاري في "صحيحه" علَّق آثارًا عن مجاهد من هذه الطريق وهي طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، علقها بصيغة الجزم.

(٢) إلىٰ ههنا ينتهي السقط من [أ].

ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله؛ فدل على أنهم يحبون الله حُبًّا عظيمًا، فلم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الندَّ أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده؟انتهى.[(١)]

ففي الآية بيان أنَّ من أشرك مع الله [غيره][(٢)] في المحبة فقد جعله شريكًا لله في العبادة، واتخذه [نِدًّا][(٣)] من دون الله، وأن ذلك هو الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى في أولئك: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، [وقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾، المراد بالظلم هنا الشرك كقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، كما تقدم][(٤)] فمن أحب الله وحده، وأحب فيه وله؛ فهو مخلص، ومن أحبه وأحب معه غيره؛ فهو مشرك كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ -ما معناه-: فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة، أو تفريج كربة؛ لزم أن يكون مُحبًّا له، ومحبته هي الأصل في ذلك. انتهى.[(٥)]

فكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) تنفي كل شركٍ في أي نوع كان من أنواع العبادة، وتثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالى، وقد تقدم بيان أن الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب بالمحبة وغيرها من أنواع العبادة، فلا إله إلا الله نفت ذلك كله عن غير الله، وأثبتته

---

(١) انظر المسألة رقم (٤) من "كتاب التوحيد".
(٢) ساقط من [ب].
(٣) ساقط من [أ].
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].
(٥) لم أقف على مصدر هذا من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

لله وحده؛ فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة، فلابد من معرفة معناها، واعتقاده، وقبوله، والعمل به باطنًا وظاهرًا، والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله: فتوحيد المحبوب أنْ لا يتعدد محبوبه، [أي: مع الله تعالى بعبادته له][(١)] وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له فهذا الحب -وإن سُمِّي عشقًا[(٢)]- فهو غاية صلاح العبد، ونعيمه، وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح، ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من [كل][(٣)] ما سواهما، وأن [تكون][(٤)] محبته لغير الله

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٢) كلمة (عشق) يذكرها الصوفية، وهذه الكلمة لا تليق في محبة الله لعبده، ولا في محبة العبد لربه، ومقصودهم بالعشق أنه أحب ذلك الشخص فلم يبق في قلبه محبة لغيره، يعني أنه استولىٰ علىٰ قلبه، والثابت في حق الله المحبة والخُلَّة وهي أعظم مراتب المحبة.

قال ابن القيم رحمه الله في "روضة المحبين" (ص٣٢): وقد اختلف الناس: هل يُطلَق هذا الاسم في حق الله سبحانه وتعالىٰ؟ فقالت طائفة من الصوفية: لا بأس بإطلاقه. وذكروا فيه أثرًا لا يثبت، وفيه: «فإذا فعل ذلك عشقني وعشقته»، وقال جمهور الناس: لا يطلق ذلك في حقه سبحانه وتعالىٰ، فلا يقال: (إنه يعشق)، ولا يقال: (عشقه عبده)، ثم اختلفوا في سبب المنع علىٰ ثلاثة أقوال: أحدها: عدم التوقيف، بخلاف المحبة. الثاني: أن العشق إفراط المحبة، ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالىٰ؛ فإن الله تعالىٰ لا يوصف بالإفراط في الشيء ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه؛ فضلًا أن يقال: أفرط في حبه. الثالث: أنه مأخوذ من التغير، كما يقال للشجرة المذكورة (عاشقة)، ولا يطلق ذلك علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ١٣١): والجمهور لا يطلقون هذا اللفظ في حق الله؛ لأنَّ العشقَ هو المحبة المفرطة الزائدة علىٰ الحد الذي ينبغي، والله تعالىٰ محبته لا نهاية لها، فليست تنتهي إلىٰ حد لا تنبغي مجاوزته. قال هؤلاء: والعشق مذموم مطلقًا لا يمدح، لا في محبة الخالق ولا المخلوق؛ لأنه المحبة المفرطة الزائدة علىٰ الحد المحمود، وأيضًا فإن لفظ: (العشق) إنما يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأةٍ، أو صبيٍّ، لا يستعمل في محبة كمحبة الأهل، والمال، والوطن، والجاه، ومحبة الأنبياء والصالحين، وهو مقرون كثيرًا بالفعل المحرم، إما بمحبة امرأة أجنبية، أوصبي يقترن به النظر المحرم، واللمس المحرم، وغير ذلك من الأفعال المحرمة.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) في المخطوطتين (يكون)، والمثبت من "روضة المحبين".

تابعة لمحبة الله تعالى، فلا يحب إلا الله، كما في الحديث الصحيح: «**ثلاث من كن فيه...**» الحديث.(١)

ومحبة [رسول الله](٢) ﷺ هي من محبته، ومحبة المرء إن كانت لله؛ فهي من محبته، وإن كانت لغير الله؛ فهي منقصة لمحبة الله، مضعفة لها، ويصدق هذه المحبة بأن تكون [كراهيته](٣) لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهيته لإلقائه في النار أو أشد، ولا ريب أنَّ هذا من أعظم المحبة، فإن الإنسان لا يُقدِّم على محبة نفسه [وحياته](٤) شيئًا، فإذا قدم محبةَ الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خُيِّرَ بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر؛ كان أحب إليه من نفسه، وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق [المحبون](٥) من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس، والمال، والولد، وتقتضي كمال الذل، والخضوع، والتعظيم، والإجلال، والطاعة، والانقياد ظاهرًا وباطنًا، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق، ولو كان المخلوق من كان؛ ولهذا من شرَّك بين الله تعالى وبين غيره في هذه المحبة الخاصة؛ كان مشركًا شركًا لا يغفره الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

والصحيح: أن معنى الآية: أنَّ الذين آمنوا أشد حبًّا لله من أهل الأنداد لأندادهم، كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا، كما لا يماثل محبوبهم غيره، وكل أذى في محبة غيره؛ فهو نعيم في محبته.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) في [أ]: رسوله.
(٣) في [أ]: كراهته.
(٤) ساقط من [أ].
(٥) في [أ]: وسائر المحبين.

وكل مكروه في محبة غيره؛ فهو قرة عين في محبته، ومن ضرب [في محبته][١] الأمثال التي في محبة المخلوق للمخلوق: كالوصل، والهجر، والتجني بلا سبب من المحب، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه عُلُوًّا كبيرًا؛ فهو مخطئٌ أقبح الخطإِ وأفحشه، وهو حقيقٌ بالإبعاد والمقت. انتهى.[٢]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفي "الصحيح" عن النبي ﷺ: أنه قال: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».[٣]

ش/ قوله: في "الصحيح".

أي: "صحيح مسلم"، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، عن النبي ﷺ فذكره.

وأبو مالك: اسمه سعد بن طارق، كوفي ثقة، مات في حدود الأربعين ومائة، وأبوه طارق ابن أشيم -بالمعجمة والمثناة التحتية وزن أحمر- ابن مسعود الأشجعي صحابي له أحاديث.

قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه.

وفي "مسند" الإمام أحمد عن أبي مالك قال: وسمعته يقول للقوم: «**من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه وحسابه علىٰ اللهِ عز وجل**»، رواه الإمام أحمد[٤] من طريق يزيد بن هارون، قال: [أخبرنا][٥] أبو مالك الأشجعي عن أبيه، ورواه أحمد[٦] عن

(١) في [ب]: بمحبته.
(٢) من كتابه "روضة المحبين" (ص١٦٩-١٧٠) ط/ الآثار.
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣)، من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.
(٤) في "المسند" (٣/ ٤٧٢).
(٥) في [ب]: أنبأنا.
(٦) لم أجده في "المسند" من طريق عبدالله بن إدريس، ووجدته فيه (٦/ ٣٩٤) من طريق: مروان بن معاوية الفزاري، عن أبي مالك به.

عبد الله بن إدريس، قال: سمعت أبا مالك قال: قلت: لأبي...، الحديث.

ورواية الحديث بهذا اللفظ تفسر: لا إله إلا الله.

قوله: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله**».

اعلم أن النبي ﷺ عَلَّق عصمةَ المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قول (لا إله إلا الله) [عن علمٍ](١)، ويقينٍ كما هو مقيد [في قولها](٢) في غير ما حديث كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها والعمل بها.

قلت: وفيه معنى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله)؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع [لفظها](٣)، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله؛ فإن شك، [أو تردد](٤)؛ لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أجلها! وياله من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!. انتهى.(٥)

قلت: وهذا هو الشرط المصحح لقوله: لا إله إلا الله؛ فلا يصح قولها [بدون هذه الخمس التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى أصلًا](٦)، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ

---

(١) في [أ]: بعلم.
(٢) في [أ]: بهذا.
(٣) في [أ]: التلفظ بها.
(٤) في [ب]: أو توقف.
(٥) ذكرها المصنف في آخر مسائل الباب من "كتاب التوحيد".
(٦) في [أ]: بدونه أصلًا.

وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾[الأنفال:٣٩]، وقال: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة:٥]، أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك، ويخلصوا أعمالهم لله تعالى، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعًا.

[وذكر][١] ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في [تفسير][٢] قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ [الأعلى:١٤]، فقال: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن أحمد -وساق بسنده- عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله**».[٣] [الحديث].[٤]

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**أُمِرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم علىٰ اللهِ تعالىٰ**».[٥]

وفي "الصحيحين" عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علىٰ اللهِ**».[٦]

وهذان الحديثان تفسير الآيتين: آية الأنفال، وآية براءة، وقد أجمع العلماء على أن من

---

(١) في [أ]: قال.

(٢) في [أ]: تفسيره.

(٣) **ضعيفٌ جدًا**. أخرجه البزار كما في "كشف الأستار" (٢٢٨٤)، وفي إسناده: عبَّاد بن أحمد العرزمي، وهو متروك، وفيه: عطاء بن السائب، وهو مختلط.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

قال: (لا إله إلا الله)، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى -في قوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله**»-: معلومٌ أن المراد بهذا أهل [عبادة](١) الأوثان دون أهل الكتاب؛ لأنهم يقولون: (لا إله إلا الله)، ثم يُقاتلون، ولا يُرفع عنهم السيف.(٢)

وقال القاضي عياض: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: (لا إله إلا الله) تعبيرٌ عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركوا العرب، وأهل الأوثان، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يُكْتَفَى في عصمته بقول (لا إله إلا الله)؛ إذ [كان](٣) يقولها في كفره(٤). انتهى ملخصًا.(٥)

وقال النووي: لابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ كما جاء في الرواية: «**ويؤمنوا بي وبما جئت به**».(٦)

وقال شيخ الإسلام -لَـمَّا سُئِل عن قتال التتار- فقال: كلُّ طائفةٍ ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم؛ فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه،

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) انتهىٰ من "معالم السنن" (٢/ ١٠).

(٣) ساقط من [ب].

(٤) يعني من كان يقول: لا إله إلا الله، ويكفر بالنبي ﷺ؛ فلا تنفعه لا إله إلا الله حتىٰ يأتي بالشهادتين، وكذلك من كان كفره بالقرآن مثلًا، ويشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله؛ فهذا لا يكفي في إيمانه الشهادتان، بل لابد أن يؤمن بالقرآن...، وهكذا.

(٥) من "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (١/ ١٤٦).

(٦) انتهىٰ من "شرح مسلم" رقم (٢١).

وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين [ببعض][١] شرائعه، كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم.

قال: فأيما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال، أو الخمر، أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين [ومحرماته][٢] التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها، التي يكفر الواحد بجحودها؛ فإنَّ الطائفة الممتنعة تُقَاتَل عليها، وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء.

قال: وهؤلاء عند المحققين [ليسوا بمنزلة البغاة][٣]، بل هم خارجون عن الإسلام. انتهى.[٤]

قوله: «وحسابه على الله».

أي: الله تبارك وتعالى هو الذي يتولى حسابه؛ فإنْ كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإن كان مُنافقًا عذبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد ولم يأت بما ينافيه ظاهرًا، والتزم شرائع الإسلام؛ وجب الكف عنه.

قلت: وأفاد الحديث أنَّ الإنسانَ قد يقول: (لا إله إلا الله) ولا يكفر بما يُعْبد من دون الله، فلم يأت بما يعصم دمه وماله، كما دل على ذلك الآيات [المحكمات][٥] والأحاديث.

---

(١) في [ب]: بعض.

(٢) في [أ]: أو محرماته.

(٣) في [ب]: ليسوا بغاة.

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٠٢، ٥٠٣).

(٥) ساقط من [أ].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

ش/ قلت: وذلك أنَّ ما بعدها من الأبواب فيه ما يبين التوحيد ويوضح معنى لا إله إلا الله.

وفيه أيضًا: [بيان][1] أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع [مما تركه من مضمون][2] لا إله إلا الله، فمن عرف ذلك وتحققه؛ تبين له معنى (لا إله إلا الله)، وما دلت عليه من الإخلاص، ونفي الشرك، وبضدها تتبين الأشياء، فبمعرفة [نوع][3] الأصغر من الشرك يُعرف ما هو أعظم منه من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد.

وأما الشرك الأصغر فإنما ينافي كماله، فمن اجتنبه فهو الموحد حقًّا، وبمعرفة وسائل الشرك والنهي عنها لتجتنب؛ تُعرف الغايات التي نُهِي عن الوسائل لأجلها؛ فإنَّ اجتناب ذلك كله يستلزم التوحيد والإخلاص، بل يقتضيه.

وفيه أيضًا: من أدلة التوحيد إثبات الصفات، وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجلاله، وكل ما يُعرِّف بالله من صفات كماله، وأدلة ربوبيته يدل على أنه هو المعبود وحده، وأنَّ العبادة لا تصلح إلا له، وهذا هو التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) في [أ]: وانتفاؤه، وتركه من مدلول.

(٣) ساقط من [ب].

فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي: تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيَّنها بأمور واضحة:

منها: آية الإسراء، بيَّن فيها الرد علىٰ المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أنَّ هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بيَّن فيها أنَّ أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يَعْبُدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء، والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، فاستثنىٰ من المعبودين ربَّه.

وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة، وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل علىٰ أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم يُدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟!، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟!

ومنها: قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله**»، وهذا من أعظم ما يبين معنىٰ (لا إله إلا الله)؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتىٰ يضيف إلىٰ ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإنْ شكَّ، أو توقف؛ لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة، ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

٦- بَاب مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلاءِ أَو دَفْعِهِ

قال المصنف رحمه الله: بَاب مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلاءِ أَو دَفْعِهِ.

ش/ رفعه: إزالته بعد نزوله. ودفعه: منعه قبل نزوله.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾[الزمر:٣٨].

ش/ قال ابن كثير رحمه الله: أي: لا تستطيع شيئًا من الأمر ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ﴾، أي: الله كافي من توكل عليه ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، كما قال هود عليه السلام حين قال [له][1] قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦].

قال مقاتل في معنى الآية: فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم، فسكتوا.[2] أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا [أنهم][3] يكشفون

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) لم أجد الأثر عن مقاتل مسندًا، وقد ذكره البغوي، والواحدي، والقرطبي عند تفسير [الآية:٣٨] من سورة الزمر بدون إسناد.

(٣) في [أ]: لأنهم.

الضر ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣-٥٤].

قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل [تعلق][(١)] القلب بغير الله في جلبِ نفعٍ، أو دفعِ ضُرٍّ، وأنَّ ذلك شرك بالله.

وفي الآية: بيان أن الله تعالى وَسَمَ أهلَ الشرك بدعوة [غير الله][(٢)]، والرغبة إليه من دون الله. والتوحيد ضد ذلك، وهو أن لا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، [وكذا][(٣)] جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم.

قال المصنف رحمه الله: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ، فَقَالَ: «**انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.[(٤)]

---

(١) في [ب]: عِلَق.

(٢) في [أ]: غيره.

(٣) في [أ]: وهكذا.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، من طريق: المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن عمران، والمبارك فيه ضعفٌ، وقد عنعن، وهو مدلس، والحسن نص جماعةٌ من الحفاظ علىٰ أنه لم يسمع من عمران بن حصين، منهم: ابن المديني، والقطان، وأحمد، وغيرهم، فهاتان علتان.

❁ وجاءت رواية أنَّ المبارك رواه عن الحسن بالتصريح بالسماع من عمران، لكنها رواية ليست محفوظة كما نص علىٰ ذلك الإمام أحمد رحمه الله، فقال: كان المبارك يخالف أصحاب الحسن يقول: حدثنا. ويقول الباقون: عن. والعلامة الألباني ذكره في "الضعيفة" (١٠٢٩)، وذكر نحو اثني عشر راويًا يخالفون المبارك بن فضالة في التحديث في أحاديث أخرىٰ، مما يبين أنه كان يخالف. والمبارك بن فضالة وجد له متابع، وهو صالح بن رستم الخزَّاز، أخرجه من طريقه ابن حبان=

ش/ قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا المبارك، عن الحسن قال: أخبرني عمران بن حصين أنَّ النبيَّ ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة -قال: أراها من صفر- فقال: «**ويحك ما هذه؟**»، قال: من الواهنة، قال: «**أما إنها لا تزيدك إلا وهنًا، انبذها عنك؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**».

ورواه ابن حبان في "صحيحه"، فقال: «**فإنك لو مت وُكِلت إليها**»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي، وقال الحاكم: أكثر مشايخنا على أن الحسن سمع من عمران.[1] وقوله في الإسناد: أخبرني عمران يدل على ذلك.[2]

قولهُ: عن عمران بن حصين.

أي: ابن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد -بنون وجيم- مصغر، صحابي بن صحابي، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

قولهُ: رأى رجلًا.

= (٦٠٨٨)، والطبراني (١٨/ ١٥٩)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠)، وصالح بن رستم فيه ضعف، ولكنه يصلح للتقوية. فتبقىٰ العلة في سماع الحسن من عمران بن حصين، فقد تقدم قول جماعة بنفي السماع، وجاء عن الحاكم أنه أثبت السماع في "مستدركه"، ولعل الحاكم رحمه الله اعتمد علىٰ تلك الروايات التي فيها التصريح بالتحديث، وهي وهم من المبارك بن فضالة كما بين الإمام أحمد، وعامة الحفاظ قبل الحاكم ينصون علىٰ عدم سماع الحسن من عمران؛ وعلىٰ هذا فالحديث ضعيفٌ لانقطاعه، ثم إنه قد رُوي موقوفًا كما في "مصنف عبدالرزاق" (١١/ ٢٠٩)، و"معجم الطبراني" (١٨/ ١٦٢، ١٧٩) من أوجهٍ ضعيفة عن الحسن، عن عمران.

(١) هذه العبارة غريبة، نقلها المنذري عنه في "الترغيب والترهيب" (٤/ ٣٠٨)، والذي يلاحظ في كتب السماعات أنَّ أكثر الأئمة علىٰ نفي السماع، وأثبت السماع الحاكم كما في "المستدرك" (١/ ٢٩)، ولكنه لم ينقل ذلك عن غيره من الأئمة، ولم نجد من نص علىٰ السماع قبل الحاكم؛ إلا رواية عن بهز ابن أسد يقول: سمع شيئًا. يعني: قليلًا، والحفاظ المتقدمون ينفون السماع مطلقًا.

(٢) تقدم كلام أحمد رحمه الله أن التصريح بالسماع وهم من المبارك بن فضالة.

في رواية الحاكم: دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة [من][1] صفر، فقال: «ما هذه؟»...، الحديث، فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث.

قوله: «ما هذه؟».

يحتمل أن الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها، ويحتمل أن يكون للإنكار، وهو أظهر.

قوله: من الواهنة.

قال أبو السعادات: الواهنة عِرْقٌ يأخذ في المنكب واليد كلها، فيُرقى منها. وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء، وإنما نُهِيَ عنها؛ لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، وفيه اعتبار المقاصد.

قوله: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا».

النزع: هو الجذب بقوة، أخبر أنها لا تنفعه، بل تضره وتزيده ضعفًا، وكذلك كل أمر نُهِيَ عنه؛ فإنه لا ينفع غالبًا، وإن نفع بعضه؛ [فضره][2] أكبر من نفعه.

قوله: «فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا».

لأنه شرك، والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة.

قال المصنف رحمه الله: فيه شاهد لكلام الصحابة أَنَّ الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة.[3]

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) في [أ]: فضرره.

(٣) قال العلامة العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (١/ ٢١٨): هذا فيه نظر؛ لأن قوله ﷺ: «**لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» ليس بصريح أنه لو مات قبل العلم، بل ظاهره: أي: بعد أن علمت وأُمِرت =

وفيه: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.[1]

قوله: رواه أحمد بسند لا بأس به.

هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد [بن إدريس بن عبد الله بن

= بنزعها. وهذه المسألة تحتاج إلىٰ تفصيل، فنقول: الجهل نوعان: جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه، فما كان ناشئًا عن تفريطٍ، وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم؛ فإنه لا يعذر فيه، سواء في الكفر، أو في المعاصي، وما كان ناشئًا عن خلاف ذلك، أي إنه لم يهمل، ولم يفرط، ولم يقم المقتضي للتعلم بأن كان لم يطرأ علىٰ باله أنَّ هذا الشيءَ حرام؛ فإنه يعذر فيه؛ فإن كان منتسبًا إلىٰ الإسلام؛ لم يضره، وإن كان منتسبًا إلىٰ الكفر؛ فهو كافر في الدنيا، لكن في الآخرة أمره إلىٰ الله علىٰ القول الراجح يمتحن؛ فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصىٰ دخل النار، فعلىٰ هذا من نشأ ببادية بعيدة ليس عنده علماء، ولم يخطر بباله أنَّ هذا الشيء حرام، أو أنَّ هذا الشيء واجب؛ فهو يعذر. انتهىٰ

قال ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين": (ص٥٠٤-٥٠٥): لابد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال، وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه، والقسمان واقعان في الوجود، فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهم قسمان أيضًا، **أحدهما:** مريدٌ للهدىٰ، مؤثر له، محب له، غير قادر عليه ولا علىٰ طلبه؛ لعدم من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، **الثاني:** معرض لا إرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، فالأول يقول: يا رب، لو أعلم لك دينًا خيرًا مما أنا عليه؛ لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوىٰ ما أنا عليه، ولا أقدر علىٰ غيره، فهو غاية جهدي، ونهاية معرفتي. والثاني راض بما هو عليه لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، وكلاهما عاجز، وهذا لا يجب أن يلحق بالأول؛ لما بينهما من الفرق، فالأول كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزًا وجهلًا، والثاني كمن لم يطلبه بل مات علىٰ شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض، فتأمل هذا الموضع، والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا، فذلك ما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب علىٰ العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالىٰ لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة والتعيين موكول إلىٰ علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية علىٰ ظاهر الأمر. اهـ

(١) انظر المسائل (٢، ٣، ٥) من "كتاب التوحيد".

[حيان][(١)] بن عبد الله بن أنس بن عوف بن [قاسط][(٢)] بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكَابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، الإمام العالم، أبو عبد الله الذهلي، ثم][(٣)] الشيباني المروزي، ثم البغدادي، إمام أهل عصره، وأعلمهم بالفقه والحديث، وأشدهم ورعًا ومتابعة للسنة، وهو [الذي][(٤)] يقول فيه بعض أهل السنة: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدنيا فأباها، والشُّبَه فنفاها، خُرِجَ به من مَرْو وهو حمل، فولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول.

وطلب أحمد العلم سنة وفاة مالك، وهي سنة تسع وسبعين، فسمع من هُشيم، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، ومحمد بن إدريس الشافعي، [ويزيد بن هارون][(٥)]، وعبد الرزاق، وعبد الرحمن بن مهدي، وخلائق بمكة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، واليمن، وغيرها من البلاد.[(٦)]

روى [عنه][(٧)] ابناه صالح وعبد الله، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، [وإبراهيم الحربي، وأبو زرعة الرازي، وأبو زرعة الدمشقي، وعبد الله بن أبي الدنيا][(٨)]، وأبو بكر الأثرم[(٩)]، [وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبو القاسم البغوي وهو آخر من حدث عنه، وخلائق، وروى عنه من شيوخه: عبد الرحمن بن مهدي، والأسود بن عامر، ومن أقرانه:

---

(١) في [أ] و[ب]: حسان. والمثبت من "طبقات الحنابلة" (١/ ٤).
(٢) في [أ]، و[ب]: قاسم. والمثبت من "الطبقات".
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].
(٤) ساقط من [أ].
(٥) ساقط من [ب].
(٦) حصل اختلاف في سياق الأسماء مع سقط بعض الكلام في [أ]، والذي أثبتناه من [ب].
(٧) ساقط من [أ].
(٨) ساقط من [أ].
(٩) في [أ]: والمروذي، وخلق لا يحصون.

علي بن المديني، ويحيى بن معين.

قال البخاري: مرض أحمد لليلتين خلتا من ربيع الأول، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه.

وقال حنبل: مات يوم الجمعة في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة. وقال ابنه عبد الله والفضل بن زياد: مات في ثاني عشر ربيع الآخر رحمه الله تعالى.][1]

قال المصنف رحمه الله: وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**»[2]، وفي رواية: «**من تعلَّق تميمةً، فقد أشْرَك**».[3]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ]، وفيه: مات سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة رحمه الله.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وأخرجه أيضًا ابن حبان (٦٠٨٦)، وأبو يعلىٰ (١٧٥٩)، والطبراني (١٧/ ٢٩٧)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وغيرهم. وهذا الحديث، فيه علتان: **الأولى:** فيه خالد بن عبيد، فيه جهالة، ولم يوثقه إلا ابن حبان. **الثانية:** فيه مشرح بن هاعان، يروي عن عقبة بن عامر مناكير، وهذا منها.

(٣) **حسن**. رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، وإسناده حسن، وهو في "الصحيح المسند" (٩٤٢)، وله قصة سيذكرها الشارح، وهذا التعليق للتمائم قد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر، وذلك باختلاف ما في قلب صاحبه؛ فيكون شركًا أكبر إذا اعتقد أنها تدفع الضر، وتجلب النفع بنفسها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ [الزمر:٣٩] الآية، ويكون شركًا أصغر، وذلك إذا اعتقد أن الذي يدفع الضر، ويجلب النفع هو الله تعالىٰ، ولكن جعل هذا سببًا؛ فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببًا شرعيًّا، ولا قدريًّا سببًا؛ ولأنه ذريعة إلىٰ الشرك الأكبر؛ فإنَّ الإنسان إذا استمر عليه وانتشر بين الناس يصل إلىٰ أن يعتقد البعض أن النفع والضر منهما.

فائدة: الأسباب قسمان: أسباب عرفت بالشرع، وهي الشرعية. وأسباب عرفت بالتجربة، وهي القدرية، فالأسباب القدرية هي التي عرفت بالتجربة، وكان أثرها ظاهرًا، ومعنىٰ (أثرها ظاهرًا) أن تكون هناك علاقة بين هذا، وهذا، فلو تداول الناس علىٰ عمل شيء ليس له أثر ظاهر، وليس من الأسباب الشرعية فلا يعد ذلك سببًا قدريًّا، بل هو من تزيين الشيطان لهم، لكن لو عُلم أن بعض الأمراض ينفع فيها ربط خيط في عرق مثلًا، مع وجود علاقة بينهما؛ فإنه ليس بمحرم، لكن لو ربط من الحمىٰ؛ فإنه ليس هناك أثر ظاهر بينهما؛ فلا يجوز حتىٰ ولو نفع؛ فإنه لا يعتمد علىٰ هذا؛ لأنه من تزيين الشيطان؛ فإنه قد يوجد ألم من الآلام بسبب أن الشيطان ينخس، فلما يفعلون هذا الأمر المبتدع كالخيط يكف شره، فيظن الناس أن هذا بسبب تعليق ا لخيط مثلًا.

ش/ الحديث الأول رواه [الإمام][(١)] أحمد كما قال المصنف، ورواه [أيضًا][(٢)] أبو يعلى، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي.

قولهُ: وفي رواية.

[**أي**][(٣)] من حديث آخر رواه أحمد، فقال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي منصور، عن دُخين الحجري، عن عقبة ابن عامر الجهني، أنَّ رسولَ الله ﷺ أقبل إليه رهطٌ، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: «**إنَّ عليه تميمة**»، فأدخل يده فقطعها [فبايعه][(٤)]، وقال: «**من [تعلق][(٥)] تميمةً؛ فقد أشرك**»، ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات.[(٦)]

قولهُ: عن عقبة بن عامر.

صحابيٌّ مشهور، فقيهٌ فاضل، وَلِيَ [إمارة][(٧)] مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من الستين.

قولهُ: «**من تعلق تميمةً**».

أي: [عَلَّقها][(١)] مُتَعَلِّقًا بها قلبُه في [طلب][(٢)] خيرٍ، أو دفعِ شَرٍّ.

---

(١) ساقط من [أ].
(٢) ساقط من [ب].
(٣) ساقط من [ب].
(٤) ساقط من [أ].
(٥) في [أ]: علّق.
(٦) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩)، وإسناده حسن كما تقدم.
(٧) في [ب]: إمرة.
(١) في [أ]: تعلقها.
(٢) في [أ]: جلب.

قال المنذري: خرزة كانوا يعلقونها، يرون أنها تدفع عنهم الآفات، وهذا جهلٌ وضلالة؛ إذ لا مانع، ولا دافع [غير][1] الله تعالى.[2]

وقال أبو السعادات: التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام.

قوله: «**فلا أتم الله له**»، دعاءٌ عليه.

قوله: «**ومن تعلق ودعة**».

بفتح الواو وسكون المهملة، قال في "مسند الفردوس": الودع: شيءٌ يخرج من البحر شبه الصدف يتقون به العين.

قوله: «**فلا ودع الله له**».

بتخفيف الدال، أي: لا جعله في دعة وسكون.

قال أبو السعادات: وهذا دعاء عليه.

قوله: وفي رواية: «**من تعلق تميمة؛ فقد أشرك**».

قال أبو السعادات: إنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: ولابن أبي حاتم عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّىٰ، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٦].

ش/ قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عزرة[3] قال: دخل حذيفة على مريضٍ،

---

(١) في [أ]: إلا.

(٢) انتهىٰ من "الترغيب والترهيب" (٤/ ٣٠٧).

(٣) وقع في بعض النسخ المطبوعة (عروة)، والذي في "تفسير ابن أبي حاتم" [آية:١٠٦] من سورة=

فرأى في عضده سَيْرًا، فقطعه أو انتزعه، ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

وابن أبي حاتم: هو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي الحنظلي الحافظ، صاحب "الجرح والتعديل" و"التفسير" وغيرهما، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

وحذيفة: هو ابن اليمان واسم اليمان: حسيل -بمهملتين مصغرًا- ويقال: حِسْل -بكسر ثم سكون- العبسي -بالموحدة- حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، ويقال له (صاحب السر)، وأبوه أيضًا صحابيٌّ، مات حذيفة في أول خلافة علي ﷺ سنة ست وثلاثين.

قولهُ: رأى رَجُلًا في يده خيط من الحمى.

أي: عن الحمى، وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها؛ لدفع الحمى.

وروى وكيع عن حذيفة: أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده، فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيءٌ رُقِي لي فيه. فقطعه، وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك.[1]

= يوسف (عَزْرَة)، وليس (عروة)؛ فالظاهر أنَّ هذا تصحيف تداول عليه النُّسَّاخ، والذي يدل على ذلك أنهم ذكروا أن عاصمًا الأحول ممن روىٰ عن عزرة، ولم يذكروه ممن روىٰ عن عروة بن الزبير، وعزرة وهو ابن عبدالرحمن الخزاعي لم يذكر له سماع من حذيفة، بل ذكروا أنه لم يسمع من الصحابة الذي ماتوا بعد حذيفة، فالأثر إسناده منقطع، ويتقوىٰ الأثر بالطريق التي سيذكرها الشارح.

(١) رواه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٣)، وفيه: يزيد بن أبي زياد الهاشمي ضعيفٌ، وهذه الطريق تقوي حديث الباب، حديث حذيفة الذي هو من طريق: عزرة؛ فيكون الأثر حسنًا من دون قراءة الآية؛ لأنَّ هذه الرواية التي عند ابن أبي شيبة ليس فيها قراءة الآية، ودون قوله: (لو مت وهو عليك ما صليت عليك)، فهاتان الزيادتان لا تصحان، وإنما الثابت من الطريقين أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط من الحمىٰ فقطعه.

فائدة: أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح في نفس الموضع السابق عن علي ﷺ أنه رأىٰ رجلًا قد علَّق في يده خيطًا، فقطعه، وقال: لو متَّ وهو عليك ما صليت عليك. ويُحمل كلام علي ﷺ علىٰ أنَّ=

وفيه: إنكار مثل هذا، وإن كان يعتقد أنه سبب؛ فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها، وأما التمائم، والخيوط، والحروز، والطلاسم، ونحو ذلك مما يعلقه الجهال؛ فهو شركٌ يجب إنكاره، وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه.

قولهُ: وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

استدل حذيفة رضي الله عنه بالآية [أن][(١)] هذا شرك، ففيه صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر؛ لشمول الآية [له][(٢)]، ودخوله في مسمى الشرك.

وتقدم معنى هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره [في كلام شيخ الإسلام وغيره][(٣)]، والله أعلم.[(٤)]

= الرجل علقه وهو يعتقد فيه اعتقاد أهل الجاهلية، يعتقد أنَّ منه النفع والضر، وهذا شركٌ أكبر. أو يُحمل علىٰ أنه أراد الزجر عن هذا العمل، وإن لم يصل إلىٰ حد الكفر، وهذا قد ورد عن جماعة من السلف، وهو أنهم يتركون الصلاة علىٰ مرتكبي بعض كبائر الذنوب كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة علىٰ من قتل نفسه.

(١) في [أ]: لأنَّ.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [ب].

(٤) تقدم في بداية "تيسير العزيز الحميد" (ص٣٤): قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، قال مجاهد في الآية: إيمانهم بالله قولهم: إنَّ اللهَ خلقنا، ويرزقنا، ويميتنا. فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، والضحاك نحو ذلك. انتهىٰ

قلتُ: لم يذكر المؤلف هذا الكلام في "فتح المجيد"، ثم أحال إليه ههنا وهمًا منه، فأشكل ذلك.

وأما الآثار المذكورة: فأثر مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم، وابن جرير في تفسير [الآية: ١٠٦] من سورة يوسف، من طرق صحيحة، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنهما، فإسناده صحيح عند ابن أبي حاتم، وأما عند ابن جرير ففي إسناده ضعف. وأما أثر عطاء فأخرجه ابن جرير فقط، وأخرجه أيضًا سعيد بن منصور (٥/ ٤١١) بإسناد صحيح. وأما أثر الضحاك فأخرجه ابن جرير، وفي إسناده: جويبر، وهو متروك. والشاهد من هذا أنَّ الآية جاء فيها الشرك الأكبر، وابن عباس أدخل فيها الشرك الأصغر.

وفي هذه الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم، ما يبين كمال علمهم بالتوحيد، وما ينافيه أو ينافي كمالَه.

فيه مسائل:

الأولىٰ: التغليظ في لبس الحلقة، والخيط، ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أنَّ الصحابي لو مات وهي عليه؛ ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أنَّ الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.[١]

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.[٢]

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «**لا تزيدك إلا وهنًا**».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ علىٰ من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأنَّ من تعلق شيئًا وكل إليه.[٣]

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمىٰ من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة دليل علىٰ أنَّ الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر علىٰ الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة.[٤]

العاشرة: أنَّ تعليق الوَدَع من العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء علىٰ من تعلَّق تميمة: أنَّ الله لا يتم له، ومن تعلَّق ودَعة فلا ودع الله له، أي: ترك الله له.

---

(١) يشير إلىٰ أثر ابن مسعود: لَأَنْ أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إلي من أن أحلف بغيره صادقًا، وسيأتي تخريجه في الباب رقم (٤١).

(٢) تقدم في التنبيه علىٰ ذلك في الشرح.

(٣) إنما سيأتي صريحًا في الباب الذي بعده، ولكن يستفاد ذلك من قوله: «**فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**».

(٤) تقدم التنبيه علىٰ ذلك.

٧- باب ما جاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

قال المصنف رحمه الله: بَاب مَا جَاءَ فِي الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمِ.

ش/ **أي**: من النهي، وما ورد عن السلف في ذلك.

قال المصنف رحمه الله: في «الصحيح» عن أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «**أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ، إِلاّ قُطِعَتْ**».[(١)]

ش/ هذا الحديث في "الصحيحين".

قوله: عن أبي بَشير.

بفتح أوله وكسر المعجمة، قيل: اسمه قيس بن عبيد، قاله ابن سعد، وقال ابن عبد البر: لا يوقف له على اسم صحيح، هو صحابي شهد الخندق، ومات بعد الستين، ويقال: إنه جاوز المائة.

قوله: في بعض أسفاره.

قال الحافظ: لم أقف على تعيينه.[(٢)]

قوله: فأرسل رسولًا.

هو زيد بن حارثة، روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في "مسنده"، قاله الحافظ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٥)، ومسلم برقم (٢١١٥).

(٢) انظر شرح الحديث (٣٠٠٥) من "فتح الباري".

قوله: «**أنْ لا يَبقَين**».

بالمثناة التحتية والقاف المفتوحتين، و«**قلادة**»: مرفوع على أنه فاعل.

والوَتَر: بفتحتين واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخْلَوْلَق الوتر أبدلوه بغيره، وقلَّدوا به الدواب؛ اعتقادا منهم أنه يدفع عن الدابة العين.

قوله: «**أو قلادة إلا قُطِعَت**».

معناه: أنَّ الراوي شك هل قال شيخه: قلادة من وتر، أو قال: قلادة. وأطلق ولم يقيده؟ ويؤيد الأول ما رُوي عن مالك أنه سئل عن القلادة؟ فقال: ما سمعت بكراهتها إلا في الوتر. ولأبي داود[(١)]: (ولا قلادة) بغير شك.

قال البغوي في "شرح السنة": تأول مالك أمره عليه الصلاة و السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين؛ وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم، والقلائد، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا.[(٢)]

وقال أبو عبيد [القاسم بن سلام][(٣)]: كانوا يُقَلِّدون الإبلَ الأوتارَ؛ لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها؛ إعلامًا لهم بأن الأوتار لا ترد شيئًا[(٤)]، وكذا قال ابن الجوزي[(٥)]، وغيره.

قال الحافظ: ويؤيده حديث عقبة بن عامرٍ رَفَعَه: «**من تعلق تميمةً؛ فلا أتم الله له**»

---

(١) في "السنن" (٢٥٥٢)، بإسناد صحيح.

(٢) انتهىٰ من "شرح السنة" (١١/ ٢٧).

(٣) ساقط من [ب].

(٤) انتهىٰ من "غريب الحديث" (٢/ ٢).

(٥) كما في "غريب الحديث" (٢/ ٤٥١-٤٥٢).

رواه أبو داود[(١)]، وهي ما علق من القلائد خشية العين ونحو ذلك. انتهى.[(٢)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ، وَالتَّمَائمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**». رواه أحمد وأبو داود.

ش/ وفيه قصة، ولفظ أبي داود: عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، أنَّ عبدالله رأى في عُنُقِي خيطًا، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رُقِيَ لي فيه. قالت: فأخذه، ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرُّقىٰ والتمائم والتولة شرك**»، فقلت: لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف إلى فلان اليهودي، فاذا رقى سكنت. فقال عبدالله: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقى كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سَقَمًا**»، ورواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح.[(٣)] وأقره الذهبي.

---

(١) تقدم تخريجه في الباب السابق.

(٢) من "الفتح" (٣٠٠٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦١٥)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وفي سنده: ابن أخي زينب الثقفية، مجهول لا يُعرف، وعند ابن ماجه: (ابن أخت زينب)، ووقع في روايةٍ عند الحاكم (٤/ ٤١٧-٤١٨) بدل (ابن أخي زينب): (عبدالله بن عتبة بن مسعود)، ولكن في الإسناد إليه: محمد بن سلمة الكوفي، وهو مجهول، وتصحف في المطبوع إلىٰ (محمد بن مسلمة)، والتصويب من "إتحاف المهرة" (١٠/ ٥٥١).

❁ ورواه ابن حبان (٦٠٩٠)، والطبراني (١٠/ ٢٦٢) مرسلًا، وانظر بيان اختلاف الطرق في "السلسلة الصحيحة" رقم (ص٢٩٧٢)، وله إسناد آخر عند الحاكم (٤/ ٢١٧) دون الزيادة: «فقلت: لقد كانت عينيَّ تقذف، وكنت أختلف... .»إلخ، ورجال إسناده محتج بهم؛ إلا أحمد بن مهران؛ فله ترجمة في "أخبار أصبهان" وفي "لسان الميزان" ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا؛ فالحديث حسنٌ بالطريقين إلىٰ قوله: «**إنَّ الرُّقىٰ، والتمائم، والتولة شرك**». وأما آخر الحديث: «**أذهب البأس رب الناس، واشف...**» الحديث، فهو صحيح له شاهد في البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي البخاري (٥٧٤٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «إِنَّ الرُّقَىٰ».

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: الرقىٰ هِيَ الَّتي تُسَمَّىٰ العَزَائِم[1]، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

ش/ يشير إلى أنَّ الرُّقَى الموصوفة بكونها شركًا هي التي يُستعان فيها بغير الله، وأما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله، وصفاته، وآياته، والمأثور عن النبي ﷺ؛ فهذا حسنٌ جائز، أو مستحب.

قوله: فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

كما تقدم ذلك في باب من حقق التوحيد، [وكذا][2] رَخَّصَ في الرُّقَى من [غيرهما][3] كما في "صحيح مسلم" عن عوف بن مالك [قال][4]: كُنَّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بِالرُّقَىٰ ما لم [تكن شركًا]**[5]»[6]، وفي الباب أحاديث كثيرة.

قال الخطابي: وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد رَقَى وَرُقِي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالى؛ فهي مباحة، أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير

---

(١) سميت (العزائم) من عزم يعزم عزيمة، وهو المفرد لـ(عزائم)، قيل: لأنه يعزم بها علىٰ الجن عدم أذيتهم. وقيل: إنها سبب عظيم جدًّا لرفع المرض؛ فسميت عزيمة لذلك. والرقية: بمعنىٰ العُوذه، والتعويذ. "معجم المصطلحات والألفاظ" (٢/ ١٧٢-).

(٢) في [أ]: وكذلك.

(٣) في [ب]: غيرها.

(٤) ساقط من [ب].

(٥) في [أ]: يكن فيه شرك.

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٠).

لسان [العرب][(١)]؛ فإنه ربما كان كفرًا، أو قولًا يدخله الشرك.[(٢)]

[قلت][(٣)]: من ذلك ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أن ذلك من قِبَلِ الجن ومعونتهم، [وبنحو هذا ذكر الخطابي][(٤)].

وقال شيخ الإسلام: كل اسم مجهول؛ فليس لأحدٍ أن يَرقِي به، فضلًا أن يدعو به، ولو عرف معناه؛ لأنه يكره الدعاء بغير العربية، وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا؛ فليس من دين الإسلام.[(٥)]

وقال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز الرُّقَى عند اجتماع ثلاث شروط: أن يكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وبما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.[(٦)]

قوله: «والتمائم».

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: التمائم: شيءٌ يُعَلَّق علىٰ الأولاد من العين.

ش/ وقال الخلخالي[(٧)]: التمائم جمع تميمة، وهي ما يُعَلَّق بأعناق الصبيان من خرزاتٍ، وعظامٍ؛ لدفع العين[(٨)]، وهذا منهيٌّ عنه؛ لأنه لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا

---

(١) ساقط من [أ].
(٢) انتهىٰ من "معالم السنن" (٤/ ٢٠٩) بمعناه، ونقله بلفظه النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" رقم (٢٢٠).
(٣) ساقط من [أ].
(٤) ساقط من [أ].
(٥) انظر بعض هذا النص في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٤/ ٢٨٣).
(٦) هذا من كلام الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "الفتح" (٥٧٣٥).
(٧) هو محمد بن مظفر الخطيبي المتَوَفَّىٰ سنة (٧٤٥هـ) تقريبًا، وله بعض المصنفات منها: "شرح المصابيح"، انظر: "الدرر الكامنة" رقم (٤٦٩٨).
(٨) وسميت تميمة؛ لأنهم كانوا يعتقدون في الجاهلية أن فيها تمام الشفاء، وأنَّ من فعل ذلك فقد تم=

بالله، [وبأسمائه][(١)]، وصفاته.

قال المصنف: لكن إذا كان الْـمُعَلَّق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم: ابن مسعود.

ش/ اعلم أَنَّ العلماءَ من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، وأسماء الله وصفاته:

فقالت طائفةٌ: يجوز ذلك. وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها[(٢)]، وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.

وقالت طائفة لا يجوز ذلك. وبه قال ابن مسعود، وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عكيم[(٣)]،وبه قال جماعةٌ من التابعين، منهم أصحاب ابن

= شفاؤه، وحصل علىٰ دوائه المطلوب. "معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية" (١/ ٤٩١).

(١) في [أ]: وأسمائه.

(٢) أثر عبدالله بن عمرو بن العاص أخرجه أحمد (٢/ ١٨١)، وفيه عنعنة ابن إسحاق؛ فهو ضعيف. وأثر عائشة رضي الله عنها أخرجه الحاكم (٤/ ٢١٧) والبيهقي (٩/ ٣٥٠) بسند صحيح، أنها قالت: «التميمة ما علقت قبل البلاء لا بعده»، وقولها هذا ليس بصريح في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، وإنما هي فسرت معنىٰ التميمة التي جاءت في الأحاديث، ولا يُفهم منه جواز تعليقها بعد وقوع البلاء.

(٣) قول ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧١) وابن بطة في "الإبانة" (١٤١٩، ١٤٢٦) والخلال في "السنة" (٨٩٢)، وابن عبد البر في "التمهيد" (٥/ ٢٦٨) من طرق يصح بها ، وفي إسناده: إبراهيم بن المهاجر فيه ضعفٌ. وأثر ابن عباس لم نجده مسندًا، أخرجه وكيع كما في "الآداب الشرعية" لابن مفلح (٣/ ٨١)، ولم يذكر إسناده. وظاهر قول حذيفة استنبطوه من فعله عند أن قطع الخيط، وقال: لو متَّ وهو عليك ما صليت عليك. جاء في بعض الروايات أنه رُقِي له فيه. وقد تقدم الكلام علىٰ الأثر، وليس في الطريقين ذكر الرقية، وليس مقيدًا بأنها من القرآن، ولكن جاء التقييد بالقرآن عند وكيع كما في "الآداب الشرعية" لابن مفلح، ولم يذكر له سندًا. انظر: "المصنف" (٧/ ٣٧٣)، "الآداب الشرعية" (٣/ ٨١)، وأما أثر عقبة بن عامر؛ فأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٣) =

مسعود، وأحمد في روايةٍ اختارها كثيرٌ من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه.

قلت: هذا هو الصحيح؛ لوجوهٍ ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي، ولا مُخَصِّصَ للعموم.

الثاني: سدُّ الذريعة؛ فإنه يُفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا عُلِّق؛ فلابد أن يمتهنه الْـمُعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

وتأمل هذه الأحاديث وما كان عليه السلف [رضي الله تعالى عنهم][1] يتبين لك [بذلك][2] غربة الإسلام، خصوصًا إنْ عرفت عظيم ما وقع فيه الكثير بعد القرون المفضلة، من تعظيم القبور، واتخاذ المساجد عليها، والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرف جُل الدعوات، والرغبات، والرهبات، وأنواع العبادات التي هي حقُّ الله تعالى إليها من دونه، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ

= بإسناد صحيح، وأثر ابن عُكيم سيأتي ضمن حديثه المرفوع، وعلىٰ هذا لم يوجد من الصحابة من صرَّح بالجواز، وأما أثر عائشة ﵂ فمحتمل، وأثر عبدالله ابن عمرو بن العاص فيه عنعنة ابن إسحاق.

والراجح عدم الجواز؛ لأنه من البدع والمحدثات، ومن العلماء من يعتبره شركًا أصغر؛ لأنه يؤدي إلىٰ الشرك الأكبر، والذي يظهر أنه من البدع، وعلىٰ حسب عقيدة الشخص، فإذا أصبح في قلبه تعلقًا بهذه التميمة لا بالقرآن، ولا بالأدعية التي فيه؛ فيكون فيه شيء من الشرك، وإذا بلغ به الحال أن يعتقد أنَّ التعليق بنفسه هو الذي ينفع ويضر، وصل إلىٰ الشرك الأكبر.

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [أ].

يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٦-١٠٧]، ونظائرها في القرآن أكثر من أن تحصر.

قولهُ: «التولة شرك».

قال المصنف رحمه الله: والتولة: شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها، والرجل إلىٰ امرأته.

ش/ وبهذا فَسَّرها ابنُ مسعود راوي الحديث كما في "صحيح ابن حبان" و"الحاكم"، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذه الرُّقَى والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: شيء يصنعه النساء يتحببن به إلى أزواجهن.[1]

قال الحافظ: التِّوَلَة: -بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا- شيءٌ كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، والله أعلم.[2]

وكان من الشرك؛ لِـمَا يُراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله: وعن عبدالله بن عُكيم مرفوعًا: **«مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»** رواه أحمد والترمذي.

ش/ ورواه أبو داود، والحاكم.[3]

---

(١) هذا التفسير جاء ضمن الحديث المتقدم عند ابن حبان (٦٠٩٠)، والحاكم (٤/ ٤١٨)، واللفظ لابن حبان، وهو ضعيف بسبب ابن أخي زينب الثقفية، وهو مجهول لا يعرف، وقد سقط هذا الرجل من إسناد ابن حبان، وسُمِّي في رواية الحاكم (عبدالله بن عتبة بن مسعود)، وهو وهم من بعض الرواة كما تقدم، والمحفوظ أنه من رواية ابن أخي زينب الثقفية، والله أعلم.

(٢) انظر: الفتح (٥٧٣٥).

(٣) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، من طريق: محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ يرويه عن أخيه عيسىٰ بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عُكيم، عن النبي ﷺ، =

وعبد الله بن عكيم هو بضم المهملة مصغرًا، ويُكنى أبا معبد الجهني الكوفي.

قال البخاري: أدرك زمنَ النبيِّ ﷺ، ولا يُعرف له سماع صحيح. وكذا قال أبو حاتم.

قال الخطيب: سكن الكوفة، وقدم المدائن في حياة حذيفة، وكان ثقةً.

وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات في ولاية الحجاج.

قوله: «ومن تعلق شيئًا وكل إليه».

التعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما.

«**وكل إليه**»، أي: وكله اللهُ إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بالله، وأنزل حوائجه به، والتجأ إليه، وفوض أمره [كله][1] إليه، كَفَاه، وقَرَّب إليه كلَّ بعيد، ويَسَّر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه، ونحو ذلك؛ وكله الله

= فعيسىٰ لم يلق عبدالله بن عكيم كما قال ابن قانع عقب هذا الحديث من "معجم الصحابة" (٢/ ١١٧)، ومحمد ابن عبدالرحمن ضعيف لسوء حفظه، وعبدالله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ، فهذه ثلاثة علل.

❁ وله شاهد من مراسيل الحسن البصري أخرجه ابن وهب في "جامعه" (٦٧٤)، والبيهقي في "الكبرىٰ" (٩/ ٣٥١) بإسناد صحيح عن جرير بن حازم، عن الحسن. ولكن مراسيل الحسن من أضعف المراسيل.

❁ وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو غير محفوظٍ أخرجه النسائي (٧/ ١١٢) من طريق: عبَّاد ابن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعباد ضعيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة، وعباد قد خالفه جرير بن حازم كما تقدم، فرواه مرسلًا، والصحيح أنه من مراسيل الحسن.

فالراجح في الحديث أنه ضعيف، لكن من حيث المعنىٰ يدل عليه القرآن والسنة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]، وحديث: «**من تعلق تميمة؛ فقد أشرك**»، والمشرك يخذله الله، ولا ينصره.

تنبيه: حديث ابن عكيم لم يخرجه أبو داود كما في "تحفة الأشراف" (٦٦٤٣).

(١) ساقط من [ب].

إلى ذلك، وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا [هاشم](١) بن القاسم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، حدثنا من سمع عطاء الخرساني، قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت، فقلت: حَدِّثْني حديثًا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز. قال: نعم، أوحى اللهُ [تبارك](٢) وتعالى إلى داود: يا داود، أَمَا وعزَّتي وعظمتي، لا يعتصم بي عبدٌ من [عبادي](٣) دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له من بينهن مخرجًا، أَمَا وعزتي وعظمتي، لا يعتصم عبد من [عبادي](٤) بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأي [أوديتها](٥) هلك.(٦)

---

(١) في المخطوطتين [هشام]، والذي أثبتناه هو الصواب كما في كتب التراجم.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) في [أ]: عبيدي.

(٤) في [أ]: عبيدي.

(٥) في [أ]: وادٍ.

(٦) لم أجده في "الزهد" لأحمد، وقد قال الحافظ رحمه الله في مقدمة "تعجيل المنفعة" في الزهد: كتاب كبير يكون في قدر ثلث المسند.

قلتُ: فهذا يدل علىٰ أنَّ المطبوع إنما هو قطعة منه، والأثر المذكور إسناده ضعيف؛ لأنَّ الراوي عن عطاء الخراساني رجلٌ مبهم، ويحتمل أن يكون هذا المبهم هو فرج بن فضالة الحمصي، فقد أخرج الأثر أبو نعيم في "الحلية" (٤/ ٢٥-٢٦)، من طريق: سعيد بن سليمان الواسطي، عن فرج بن فضالة، عن عطاء الخراساني به، وفرج بن فضالة الحمصي ضعيف كما في ترجمته من "التهذيب"، وقد جاء هذا الأثر مرفوعًا من قول رسول الله ﷺ، أخرجه تمام في "فوائده" (١٧٠٠)، والديلمي في "مسند الفردوس" (٤٩٥)، من حديث كعب بن مالك، وفي إسناده: يوسف بن السفر، وهو متروك.

قال السيوطي رحمه الله في "الدر المنثور": وأخرج الحكيم الترمذي عن الزهري قال: أوحىٰ الله إلىٰ داود...، فذكر نحوه.

قلت: ومثل هذا النقل لا يعتمد فيه علىٰ كلام وهب، والزهري، وإن ثبت إليهما.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وروىٰ [الإمام][(١)] أحمد عنْ رُويفع، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ: أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**».

ش/ الحديث رواه الإمام أحمد عن يحيى بن إسحاق، والحسن بن موسى الأشيب، كلاهما عن ابن لهيعة، وفيه قصة اختصرها المصنف، وهذا لفظ الحسن: حدثنا ابن لهيعة، حدثنا عياش بن عباس، عن شِيَيْم بن بَيْتَان، قال: حدثنا رويفع بن ثابت، قال: كان أحدنا في زمن رسول الله ﷺ يأخذ جمل أخيه على أن يعطيه النصف مما يغنم وله النصف، حتى إنَّ أحدنا [ليصير][(٢)] له النصل والريش، وللآخر القدح، ثم قال لي رسول الله ﷺ: [«**يا رويفع،...**»][(٣)]، الحديث.

ثم رواه أحمد عن يحيى بن غيلان، حدثني المفضل، حدثنا عياش بن عباس، أن شييم ابن بيتان أخبره أنه سمع شيبان القتباني...، الحديث.

وابن لهيعة فيه مقال، وفي الإسناد الثاني شيبان القتباني، قيل فيه: مجهول، وبقية رجالهما ثقات.[(٤)]

---

(١) زيادة من المخطوطة.

(٢) في «المسند»: ليطير.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) **صحيح. الطريق الأولى**: أخرجها أحمد (٤/ ١٠٨)، وفي إسناده: ابن لهيعة، ولكنه قد توبع، فقد تابعه: حيوة ابن شريح عند النسائي (٨/ ١٣٥-١٣٦)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٢٩٨)، والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ١٢٣)؛ وعليه فالإسناد صحيح. **والطريق الثانية**: أخرجها أحمد (٤/ ١٠٩)، وأخرجها أيضًا أبو داود (٣٦)، والطبراني (٤٤٩١)، والبزار (٢٣١٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٩٦)، والبغوي (٢٦٨٠)، والبيهقي (١/ ١١٠)، من طريقٍ عن المفضل ابن فضالة به، وفي إسناده: شيبان بن أمية القتباني، وهو مجهول الحال. =

[**قوله**: «**لعل الحياة ستطول بك**».][١]

فيه عَلم من أعلام النبوة؛ فإنَّ رويفعًا طالت حياته إلى سنة ست وخمسين، فمات ببرقة من أعمال مصر أميرًا عليها، وهو من الأنصار، وقيل: مات سنة ثلاث وخمسين.

قوله: «**فأخبر الناس**».

[دليلٌ][٢] على وجوب إخبار الناس، وليس هذا مُختصًّا برويفع، بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس؛ وجب إعلامهم به؛ فإنِ اشترك هو وغيره في علمِ ذلك؛ فالتبليغ فرضُ كفاية، قاله أبو زرعة[٣] في "شرح سنن أبي داود".

قوله: «**أَنَّ من عقد لحيته**».

بكسر اللام لا غير، والجمع (لِـُحَى) بالكسر والضم، قاله الجوهري.

قال الخطابي: أَمَّا نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين:

أحدهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم؛ وذلك من زي بعض الأعاجم، يفتلونها ويعقدونها. قال أبو السعادات: تكبرًا وعُجْبًا.

ثانيهما: أنَّ معناه معالجة الشعر؛ ليتعقد ويتجعد، وذلك من فعل أهل التأنيث.[٤]

= **قلت**: وهذا لا يضر؛ فالحديث صحيح بالطريق الأولىٰ، وشييم بن بيتان قد صرَّح بسماعه الحديث من رويفع، فيكون الإسناد الثاني من المزيد في متصل الأسانيد، ويصح الحديث، والحمد لله.

(١) شرح هذه العبارة متأخر في النسختين عن قوله: «**فأخبر الناس**»، وقدمناه مراعاة لترتيب الحديث.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) هو: أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين، المعروف بابن العراقي الملقب بـ(ولي الدين)، تُوُفِّيَ سنة (٨٢٦)، قال السخاوي ﵀: وشَرَحَ "السنن" لأبي داود، كتب منه إلىٰ أثناء سجود السهو سبع مجلدات سوىٰ قطعة من الحج، ومن الصيام أطال فيه النفس، وهو من أوائل تصنيفه، لم يكمله، ولم يهذبه.انتهىٰ المراد، وانظر: "الضوء اللامع" للسخاوي (١/ ٣٣٦-٣٤٤).

(٤) انتهىٰ من "معالم السنن" (١/ ٢٤).

قال أبو زرعة بن العراقي: والأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة كما دلت عليه رواية محمد بن الربيع، وفيه: «أنَّ من عقد لحيته في الصلاة».[١]

قلت: وهذه الرواية لا تدل على تخصيصه في الصلاة، بل تدل على أن فعله في الصلاة أشد من فعله خارجها.

قوله: «**أو تقلد وترًا**».

أي: جعله قلادةً في عنقه، أو عنق دابته.

وفي رواية محمد بن الربيع: «**أو تقلد وترًا**» يريد تميمةً.[٢]

فإذا كان هذا فيمن تقلد وترًا، فكيف بمن تعلق بالأموات، وسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكُرُبَات [وما يترتب على ذلك من العبادة التي لا يستحقها إلا رب الأرض والسماوات][٣] الذي جاء النهي عنه، وتغليظه في الآيات المحكمات؟

قوله: «**أوِ استنجىٰ برجيع دابةٍ أو عظمٍ؛ فإنَّ محمدًا بريء منه**».

قال النووي: أي بريء من فعله.

وهذا خلاف الظاهر، والنووي كثيرًا ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها، فيغفر الله تعالى له، [بل هو بريء من الفاعل وفعله.][٤]

وفي "صحيح مسلم" عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا تستنجوا بالروث ولا العظام؛**

---

(١) ذكر روايته السيوطي رحمه الله في "شرح سنن النسائي" (٨/ ١٣٦)، ولم يذكر إسناده، ومحمد بن الربيع هو الجيزي، والرواية المذكورة في كتابه: «من دخل مصر من الصحابة» كما ذكر السيوطي.

(٢) ذكر ذلك السيوطي في "شرح النسائي" (٨/ ١٣٦).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

فإنه زاد إخوانكم من الجن».[(١)]

وعليه: فلا يجزئ الاستنجاء بهما[(٢)] كما هو ظاهر مذهب أحمد؛ لما روى ابن خزيمة، والدارقطني عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ نهى أن يُستنجي بعظمٍ، أو روث، وقال: «**إنهما لا يطهران**».[(٣)]

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٥٠)، وقد أعله الدارقطني في "التتبع" بأنَّ اللفظ المذكور الراجح فيه بأنه من مراسيل الشعبي، وأدرج في المرفوع، وقد ذكره الترمذي مفصولًا عن الموصول، وجعله مرسلًا كما في "السنن" (٣٢٥٨).

قلتُ: وإن كان الراجح فيه الإرسال؛ فهو صحيح بشاهده عن أبي هريرة رضي الله عنه، في "البخاري" (٣٨٦٠)، وفيه: قال أبو هريرة: فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «**هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونِعمَ الجن، فسألوني الزاد، فدعوت اللهَ أن لا يمروا بعظم، ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا**».

(٢) أما من حيث الإجزاء فالصحيح أنه إذا حصل الإنقاء أجزأ، وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله، وأما من حيث الجواز فلا يجوز ذلك؛ للنهي عنه، والله أعلم.

(٣) أخرجه الدارقطني (١/ ٥٦)، من طريق: يعقوب بن حميد بن كاسب، عن سلمة بن رجاء، عن الحسن بن فرات القزاز، عن أبيه، عن أبي حازم الأشجعي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا إسنادٌ ضعيف؛ لضعف يعقوب، وسلمة بن رجاء، وأما الحسن بن الفرات فهو مختلف فيه، وحديثه يحتمل التحسين، والحديث صحيح بدون قوله: «**فإنهما لا يطهران**»، يشهد له حديث أبي هريرة، وابن مسعود المتقدمان، وحديث سلمان عند مسلم (٢٦٢)، وحديث جابر أيضًا عند مسلم (٢٦٣).

تنبيه: الحديث لم يخرجه ابن خزيمة، ولم يعزه إليه ابنُ حجر في "إتحاف المهرة" (١٨٨١٣).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن سعيد بن جُبَير، قال: مَنْ قَطَعَ تَمِيْمَةً مِنْ إِنْسَانٍ، كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ. رواه وكيع.(١)

ش/ هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي،(٢) ويكون هذا مرسلًا؛(٣) لأن سعيدًا تابعيٌّ.

وفيه: فضل قطع التمائم؛ لأنها شركٌ.

ووكيع هو ابن الجراح بن وكيع الكوفي، ثقة، إمام، صاحبُ تصانيف، منها: "الجامع" وغيره، روى عنه الإمام أحمد وَطَبَقَتُه، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

---

(١) كتاب وكيع غير موجود، لكن أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٥)، وفيه: ليث بن أبي سُليم، وهو ضعيفٌ مختلط، والله أعلم بطريق وكيع.

(٢) قول سعيد بن جبير له حظٌ من الاجتهاد، فقوله: (كان كعدل رقبة)؛ لأنه أنقذ إنسانًا من الشرك، فكأنه أعتقه من النار، فيحتمل أنه أراد هذا المعنىٰ، فهو إذن له محل من الاجتهاد، وليس له حكم الرفع؛ فإنه يقال بالرأي.

(٣) الظاهر أنه لا يصل إلىٰ حد الإرسال؛ لكونه ليس له حكم الرفع، وأما إذا قال التابعي: (من السنة كذا) هل له حكم الرفع؟ فيه خلافٌ بين المحدثين، والصحيح أنه ليس له حكم الرفع، وهو ترجيح الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإنَّ التابعي قد يقصد بقوله ذلك أنَّ هذا هو الراجح، كما يقوله كثير من العلماء.

مسألة: هل تُشرع القراءة في الماء لقصد الرقية، وما الدليل علىٰ ذلك؟

من حيث السنة: الرقية تكون بالنفث كما فعل النبي ﷺ، والقراءة في الماء جماعةٌ من العلماء يجيزون ذلك، ومنهم: شيخ الإسلام، وابن باز، وغيرهما، وقالوا: يدخل في عموم الحديث: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرُّقَىٰ ما لم تكن شركًا**»، وهذا ليس بشرك. والأفضل تركه؛ لعدم ثبوته في السنة، وخير الهدي هديه ﷺ، ومن فعل لا ينكر عليه؛ لعموم الحديث.

قال المصنف رحمه الله: وله عن إبراهيم، قال: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّها، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآن.[١]

ش/ إبراهيم: هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، يُكْنَى أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء.

قال الْـمِزِّي: دخل على عائشة ولم يثبت له سماع منها، مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنة أو نحوها.

قوله: كانوا يكرهون التمائم... إلى آخره.

مُرادُه [بذلك][٢] أصحاب عبد الله بن مسعود كـعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سويد، وَعَبيدة السلماني، ومسروق، والربيع بن خثيم، وسويد بن غفلة وغيرهم، وهو من سادات التابعين، وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم كما بين ذلك الحفاظ كالعراقي وغيره.

---

(١) كتاب وكيع غير موجود، وهو عند ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٤)، من طريق: المغيرة بن مقسم، عن إبراهيم، والمغيرة ذكروا أنه يدلس عن إبراهيم، وبعضهم يتجاوز في ذلك؛ لكونه من المكثرين عنه، فقد علَّق له البخاري بعض الآثار بصيغة الجزم، وقد نص أحمد علىٰ أنه يدلس عن إبراهيم. وبعض الآثار التي علقها البخاري لم توجد موصولة إلا عن المغيرة عنه، وعلىٰ كل هو موضع اجتهاد، فمن تسامح لا يُنكَر عليه.

(٢) ساقط من [أ].

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الرقىٰ والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أنَّ هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أنَّ الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أنَّ التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك، أم لا؟

السادسة: أنَّ تعليق الأوتار علىٰ الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد علىٰ من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أنَّ كلام إبراهيم لا يُخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأنَّ مراده أصحاب عبدالله بن مسعود.

٨- بَاب مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

قال المصنف رحمه الله: بَاب مَنْ تَبَرَّكَ(١) بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

ش/ كـ(بقعةٍ، وقبرٍ) [ونحو](٢) ذلك، أي: فهو مشرك.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ*وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ**﴾ [النجم:١٩-٢٠].

ش/ وكانت اللات لثقيف، والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال.

وقال ابن هشام: كانت لهذيل، وخزاعة.

فَأَمَّا اللات، فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما، وابن الزبير رضي الله عنهما، ومجاهد، وحميد، وأبو صالح، [ورويس، ويعقوب](٣) بتشديد التاء.(٤)

---

(١) أصل البركة مأخوذٌ من الثبوت، واللزوم، ومنه قولهم: بَرَكَ البعيرُ. ومنه سميت البِرْكة؛ لإقامة الماء فيها. وتطلق البركة أيضًا علىٰ النماء والزيادة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣]، فقوله: (من تبرك بشجرة)، أي: طلب منها ثبوت الخير وزيادته. انظر: "الصِّحَاح"، "لسان العرب"، "معجم مقاييس اللغة".

(٢) ساقط من [أ].

(٣) في [أ]: ورويس عن يعقوب.

(٤) **أثر** ابن عباس رضي الله عنهما يستفاد ذلك من تفسيره، وهو قوله: كان رجلًا يلتُّ السويق للحاج، ولم أجده عنه مسندًا صريحًا. **أثر** ابن الزبير لم نجده مسندًا. **أثر** مجاهد سنده صحيح عند الطبري [آية:١٩] من سورة النجم. **أثر** حميد لم نجده مسندًا. **أثر** أبي صالح سنده صحيح عند الطبري [آية:١٩] من سورة النجم. **أثر** رويس لم نجده مسندًا. أثر يعقوب لم نجده مسندًا. وقد ذكر هذه القراءات -إلا قراءة يعقوب- القرطبي في "تفسيره" [آية:١٩] من سورة النجم، والجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر" (٢/ ٣٧٩).

فعلى الأولى: قال الأعمش: سَمَّوا اللات من (الإله)، والعُزَّى من (العزيز).[(١)]

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله تعالى، قالوا: اللات مؤنثة منه، تعالى الله [عن قولهم][(٢)] علوًّا كبيرًا.

قال: وكذا العزى من (العزيز).

وقال ابن كثير: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن [تبعها][(٣)]، يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن هشام: فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها، وحرقها بالنار.[(٤)]

وعلى الثانية: قال ابن عباس: كان رجلًا يَلُتُّ السَّوِيقَ للحاج، فلما مات عكفوا على قبره، ذكره البخاري.[(٥)]

قال ابن عباس: كان يبيع السَّوِيق والسمن عند صخرةٍ ويسلوه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة؛ إعظامًا لصاحب السويق.[(٦)]

وعن مجاهد نحوه، وقال: فلما مات عبدوه. رواه سعيد بن منصور[(٧)]، وكذا روى ابن

---

(١) لم نجده عن الأعمش، وإنما جاء عن غيره، وسيأتي في الكتاب في الباب (٥٠).
(٢) في [ب]: عمَّا يقولون.
(٣) في [أ]: تابعها.
(٤) ابن هشام لم يسنده في "السيرة"، إنما ذكره عن ابن إسحاق بدون إسناد.
(٥) في "صحيحه" برقم (٤٨٥٩)، دون قوله: «فلما مات...» إلخ. وأخرجه أيضًا ابن جرير في تفسير النجم [آية:١٩] بدون الزيادة.
(٦) لم أجده مسندًا، وقد ذكره القرطبي في "أحكام القرآن" بدون عزوٍ.
(٧) رواه سعيد بن منصور كما في "الدر المنثور" (١٤/ ٣١)، والفاكهي في "أخبار مكة" (٥/ ١٦٤)، ولم يذكر إسناده.

أبي حاتم عن ابن عباس أنهم عبدوه[(١)]، وبنحو هذا قال جماعة من أهل العلم.

قلت: لا منافاة بين القولين؛ فإنهم عبدوا الصخرة والقبر؛ تألُّهًا وتعظيمًا، ولمثل هذا بُنيت المشاهد والقباب [على القبور][(٢)]، واتخذت أوثانًا.

وفيه: بيان أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين، والأصنام، [والأوثان].[(٣)]

وأما العُزَّى فقال ابن جرير: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولاعُزَّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهُ مولانا ولا مولىٰ لكم**».[(٤)]

وروى النسائي وابن مردوية عن أبي الطفيل، قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: «**ارجع؛ فإنك لم تصنع شيئًا**»، فرجع خالدٌ، فلما أبصرته السدنة أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى، يا عزى. فأتاها خالدٌ، فإذا امرأة عريانة، ناشرة شعرها، تحفن التراب على رأسها، فعممها بالسيف [فقتلها][(٥)]، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «**تلك العزىٰ**».[(٦)]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الفتح" (٤٨٥٩)، من طريق عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس بلفظ: «كان يلت السويق علىٰ الحجر، فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه»، وهذا إسناد حسن إن صحَّ إلىٰ عمرو بن مالك.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٩)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٥) في [أ]: حتىٰ قتلها.

(٦) **حسن**. أخرجه النسائي في "الكبرىٰ" (١١٥٤٧)، وأبو يعلىٰ (٩٠٢)، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" (١٤/ ٣٠)، من طريق: محمد بن فضيل، ثنا الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل به، وإسناده حسن، وقد حسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" برقم (٥٣٥).

قال أبو صالح: كانوا يعلقون عليها السيور والعِهْن...، رواه عبد بن حميد، وابن جرير.[١]

قلت: وكل هذا، وما هو أعظم منه يقع في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات، وفي المشاهد.

وأما مَناة فكانت بالمشلل عند قُدَيد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة، والأوس، والخزرج يعظمونها، ويهلون منها للحج، وأصل اشتقاقها: من اسم [الله][٢] (المنان).

وقيل: لكثرة ما يُمْنَى –أي: يراق– عندها من الدماء؛ للتبرك بها.

قال البخاري رحمه الله في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها: إنها صنم بين مكة والمدينة.[٣]

قال ابن هشام: فبعث رسول الله ﷺ عليًّا، فهدمها عام الفتح.[٤]

وقال العماد ابن كثير: فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في غزوة بني المصطلق فكسرها.[٥]

[**فمعنى الآية كما قال القرطبي:** إن فيها حذفًا][٦] تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة أنفعت أو ضَرَّت حتى تكون شركاء لله تعالى؟.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" (١٤/ ٣٣)، وأصله عند ابن جرير (٢٢/ ٤٨) بإسناد صحيح.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انظر: "صحيح البخاري" (٤٨٦١).

(٤) ذكره ابن إسحاق في "المغازي" بدون إسناد كما في "تفسير ابن كثير"، وذكر ابن كثير في "البداية" (٧/ ١٤٢) أنَّ الذي هدمها سعيد بن زيد الأشهلي. ذكره بدون إسناد.

(٥) لم أجد هذا النص عن ابن كثير رحمه الله، والذي في "تفسيره": فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب، فهدمها. ويقال: علي بن أبي طالب.اهـ

(٦) في [أ]: وفي الآية حذفٌ تقديره... .

وقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى﴾[النجم:٢١].

قال ابن كثير: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثى، وتختارون [لكم][١] الذكور؟

قوله: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[النجم:٢٢].

أي: جور وباطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا، وسفهًا، فتنزهون أنفسكم عن الإناث، وتجعلونهن لله تعالى.

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾[النجم:٢٣].

أي: من تلقاء أنفسكم، ﴿مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾، أي: من حجة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾، أي: ليس لهم مستندٌ إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ أنفسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[النجم:٢٣].

قال ابن كثير: ولقد أرسل الله تعالى إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به، ولا انقادوا له.

ومطابقة الآية للترجمة من جهةِ أنَّ عباد هذه الأوثان إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها، ودعائها، والاستعانة [بها][٢]، [والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها][٣]، ويؤملونه ببركتها وشفاعتها، وغير ذلك. [فالتبرك][٤] بقبور الصالحين كاللات، وبالأشجار، والأحجار، كالعزى ومناة [من فعل][٥] أولئك المشركين مع تلك الأوثان،

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٤) في [أ]: من التبرك.

(٥) في [أ]: فهذا جملة من فعل.

فمن فعل مثل ذلك، واعتقد في قبرٍ، أو حجرٍ، أو شجرٍ؛ فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما [كانوا](١) يفعلونه معها من هذا الشرك(٢)، على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك(٣)، فالله المستعان.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن أبي وَاقِدٍ اللّيْثِيّ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ، ونحن حُدثَاءُ عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَة يَعكفون عندها ويَنُوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسولَ الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَـهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِـمُوسَىٰ: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَـهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف:١٣٨]. **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، رواه الترمذي وصححه.

ش/ أبو واقد اسمه: الحارث بن عوف.

وفي الباب عن أبي سعيد، وأبي هريرة، قاله الترمذي(٤)، وقد رواه أحمد، وأبو يعلى،

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) يعني أنهم كانوا يذهبون إلىٰ هذه القبور يعبدونها من دون الله، يرجون شفاعتها، وتقريبها لهم عند الله، فهم يعتقدون أنها تنفع بنفسها، وبعضهم يعتقد أنها تشفع لهم عند الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس:١٨]، فكانوا يرجون خيرها بالشفاعة، وربما رجوا خيرها بالنفع، فهم صرفوا عبادات لها بحجة أنها تقربهم إلىٰ الله، وقد نفىٰ الله تعالىٰ هذه الشفاعة، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣]، بقي حال أولئك الذي يذهبون إلىٰ القبور، ويصرفون لها عبادات؛ تبركًا، وطلبًا للخير منها، ودوامه، وهذا من الشرك الأكبر، كشرك كفار قريش.

(٣) لأنَّ كفار قريش كانوا عند الشدة يجأرون إلىٰ الله عزوجل، وهؤلاء عند الشدة يجأرون إلىٰ أوثانهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٤) في "السنن" (٢١٨٠)، ولعله أراد آخر الحديث وهو قوله: «**لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم**»، كما سيأتي=

وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني بنحوه.(١)

قوله: عن أبي واقد.

تقدم [ذكر](٢) اسمه في قول الترمذي، وهو صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين، وله خمس وثمانون سنة.

قوله: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين.

وفي حديث عمرو بن عوف، وهو عند ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح ونحن ألف ونيف، حتى إذا كنا بين حنين والطائف...، الحديث.(٣)

قوله: ونحن حدثاء عهد بكفر.

أي: قريبٌ عهدُنا بالكفر، ففيه دليل [على](٤) أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، ذكره المصنف رحمه الله.(٥)

= في الكتاب في الباب رقم (٢٢).

(١) **صحيح**. أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وأبو يعلىٰ (١٤٤١)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٠١)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١١٨٥)، وابن جرير (٩/ ٤٥)، والطبراني (٣٢٩٠) (٣٢٩٤)، من طريق: الزهري عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد به. والراوي عن أبي واقد الليثي سنان بن أبي سنان روىٰ عنه جماعةٌ، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وأخرج له الشيخان في المتابعات، ووثقه ابن خلفون، والعجلي، فإسناده صحيح.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) **ضعيف جدًّا**. أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩١٠)، والطبراني (١٧/ ٢١)، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" [آية:١٣٨] من سورة الأعراف. وفي سنده: كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، يرويه عن أبيه، عن جده، وكثير بن عبدالله شديد الضعف، وقد كُذِّب.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) في مسائل "كتاب التوحيد" رقم (١٢، ٢٢).

قوله: وللمشركين سدرة يعكفون عندها.

العُكُوف هو الإقامة على الشيء في المكان، ومنه قول الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[الأنبياء:٥٢]، وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركًا بها، وتعظيمًا لها، وفي حديث عمرو: كان يُناط بها السلاح؛ فَسُمِّيت ذات أنواط، وكانت تُعبد من دون الله.(١)

قوله: وينوطون بها أسلحتهم.

أي: يعلقونها عليها للبركة.

قلت: ففي هذا بيان أنَّ عبادتهم لها بالتعظيم، والعكوف، والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها.

قوله: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط.

قال أبو السعادات: سألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك، **وأنواط**: جمع نوط، وهو مصدر سُمِّي به المنوط.

ظنوا أن هذا [أمرٌ](٢) محبوبٌ عند الله، وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجلُّ قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ.

قوله: فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر!**».

وفي رواية: «**سبحان الله!**»(٣)، والمراد تعظيم الله تعالى، وتنزيهه عن هذا الشرك بأي نوعٍ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) هذه رواية الترمذي.

كان، مما لا يجوز أن يُطلب، أو يُقصد به [غير][(١)] الله، وكان النبي ﷺ يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب؛ تعظيمًا لله وتنزيهًا له إذا سمع من أحدٍ ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية والإلهية.

قوله: «إنها السُّنن».

بضم السين، أي: الطُّرق.

قوله: «قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِـمُوسَىٰ: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا﴾».

شَبَّه مقالَتَهم هذه [بقول][(٢)] بني إسرائيل؛ بجامع أنَّ كُلًّا طلبَ أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

ففيه: الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظن أنه يقربه إلى الله وهو أبعد ما يبعده من رحمته، ويقربه من سخطه، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعُبَّاد مع أرباب القبور، من الغلو فيها، وصرف جُلِّ العبادة لها، ويحسبون أنهم على شيء، وهو الذنب الذي لا يغفره الله.

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب "البدع والحوادث": ومن هذا القسم أيضًا ما قد عَمَّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة: تخليق الحيطان، والعُمُد، وسَرْجُ مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية، [فيفعلون ذلك][(٣)]، ويحافظون عليه، مع

---

(١) في [أ]: إلا.
(٢) في [ب]: بمقالة.
(٣) في [أ]: فيفعلونه.

تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن [يعظم][1] وقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من عيون، وشجر، وحائط، وحجر، وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة، كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث. انتهى.[2]

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إنَّ هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر، أي: تقبل العبادة من دون الله؛ فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له.[3]

وسيأتي ما يتعلق بهذا الباب عند قوله: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**».[4]

وفي هذه الجملة من الفوائد: أنَّ ما يفعله من يعتقد في الأشجار، والقبور، والأحجار، من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها هو الشرك.[5]

---

(١) في [أ]: يعظموا.

(٢) "الباعث على إنكار البدع والحوادث" (ص١٠١).

(٣) انتهى من "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٢٩).

(٤) سيأتي في الكتاب في الباب رقم (٢٠).

(٥) وهل يمكن أن يكون التبرك شركًا أصغر؟ نعم، الذي يذهب هنالك يتبرك بالمكان نفسه، بترابه مثلًا، أو يتمسح بالقبر، ويظن أنَّ هذا سبب للبركة، ولا يعتقد في ذلك المكان ولا في صاحبه أنه واسطة بينه وبين الله، ولا يقدم عبادة لصاحب القبر، ويعتقد أنَّ الله هو الذي يجلب النفع، ويصرف عنه الشر؛ فهذا من الشرك الأصغر الذي هو ذريعة إلى الشرك الأكبر؛ لأنه اتخذ ما ليس سببًا سببًا.
والواقع في حال عُبَّاد القبور غالبًا أنهم يعتقدون أنَّ البركة حاصلة في الميت نفسه، وأنَّ الميت هو الذي سبب البركة، وهذا شرك أكبر، وممن نبَّه على أنَّ التبرك قد يكون شركًا أصغر العلامة ابن=

ولا يغتر بالعوام، والطِّغَام[(١)]، ولا يستبعد كون الشرك [بالله][(٢)] يقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حَسَنًا، وطلبوه من النبي ﷺ، حتى بَيَّنَ لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: ﴿اجعل لنا إلها﴾[(٣)]، فكيف لا يخفى على من دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة، مع غلبة الجهل، وبُعد العهد بآثار النبوة؟! بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية، والربوبية، فأكثروا فعله، واتخذوه قربة.

[ومنها][(٤)] أنَّ الاعتبار في الأحكام [بالمعاني][(٥)] لا بالأسماء؛ ولهذا جعل النبي ﷺ

= العثيمين رحمه الله كما في «مجموع فتاواه» (٢/ ٢٣١)، والشيخ صالح آل الشيخ في شرحه «لكتاب التوحيد» (ص١٢٨-١٢٩)، وقد أشار إلىٰ ذلك الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في «التيسير» (ص١٨٠) حيث قال: فإنْ قلت: فأين دليل الترجمة من الآيات؟ قيل: هو بَيِّنٌ بحمد الله؛ لأنه إن كان التبرك بالشجر، والقبور، والأحجار من الأكبر فواضح، وإن كان من الأصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر علىٰ الأصغر. انتهىٰ.

(١) الطِّغَام هم أوغاد الناس، والوغد هو الدنيء من الناس، هو الذي يخدم بطعام بطنه. «الصحاح».

(٢) ساقط من [أ].

(٣) قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في «كشف الشبهات»: ولا خلاف أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أنَّ الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا. انتهىٰ

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في «التمهيد» (ص١٣٣): إنما طلبوا بالقول فقط، فشبه النبي عليه الصلاة والسلام ذلك القول بقول قوم موسىٰ: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، لكن أولئك الصحابة لم يفعلوا ما طلبوا، ولما نهاهم النبي ﷺ انتهوا، ولو فعلوا ما طلبوا؛ لكان شركًا أكبر، لكن لما قالوا وطلبوا دون فعل؛ صار قولهم شركًا أصغر؛ لأنه كان فيه نوع تعلق بغير الله، وهم لا يعلمون أنَّ هذا الذي طلبوه غير جائز، وإلا فلا يظن بهم أنهم يخالفون أمر النبي ﷺ، ويرغبون في معصيته، وأما شركهم فكان في مقالهم... اهـ المراد

قال العلامة عبدالله الدويش رحمه الله كما في «التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد» (ص٧٢): لما شبه مقالتهم بمقالة بني إسرائيل وجعل ذلك اتخاذ إله مع الله صار هذا شركًا أصغر، ولو كان أكبر لأمرهم بتجديد إسلامهم، والذي منعهم من الردة كونهم لم يفعلوا. اهـ

وبنفس المعنىٰ أفتىٰ العلامة ابن باز رحمه الله مع غيره من أعضاء اللجنة الدائمة كما في «فتاوىٰ اللجنة» (٢/ ٥١-٥٢).

(٤) في [أ]: وفيها.

(٥) في [أ]: بالمعنىٰ.

[طِلْبَتهم كطلبة] [(١)] بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط؛ فالمشرك [مشرك] [(٢)] وإن سمَّى شركَه ما سماه، كمن يسَمِّي دعاءَ الأموات، والذبح لهم، والنذر، ونحو ذلك، تعظيمًا ومحبة؛ فإنَّ ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه، وَقِسْ على ذلك.

قوله: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم».

بضم الموحدة وضم السين، أي: طرقهم ومناهجهم، وقد يجوز فتح السين على الإفراد، أي: طريقهم، وهذا خبرٌ صحيحٌ، والواقع من كثير من هذه الأمة يشهد له.

وفيه: علم من أعلام النبوة، من حيث إنه وقع كما أخبر ﷺ.

وفي الحديث: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه؛ إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد ﷺ.

قال المصنف رحمه الله**:** وفيه التنبيه على مسائل القبر أما: «**من ربك؟**» فواضح وأما: «**من نبيك؟**» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما: «**ما دينك؟**» فمن قولهم: اجعل لنا إلهًا..، إلخ.

وفيه: أنَّ الشرك لابد أن يقع في هذه الأمة، خلافًا لمنِ ادَّعى خلافَ ذلك.

وفيه: الغضب عند التعليم، وأنَّ ما ذم اللهُ به اليهودَ والنصارى فإنه لنا لنحذره، قاله المصنف رحمه الله. [(٣)]

وأمَّا ما ادَّعاه بعض الـمُتأخرين من أنه يجوز التبرك بآثار الصالحين؛ فممنوع

---

(١) في [ب]: طلبهم كطلب.

(٢) إضافة من المطبوع.

(٣) انظر مسائل "كتاب التوحيد".

مِـنْ وُجـوه:[(١)]

منها: أنَّ السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ، لا في حياته ولا بعد موته، ولو كان خيرًا؛ لسبقونا إليه، وأفضل الصحابة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، وقد شهد لهم النبي ﷺ فيمن شهد له بالجنة، وما فعله أحدٌ من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع [أحد][(٢)] ساداتهم في العلم والدين، وهم الأسوة؛ فلا يجوز أن يُقاس على رسول الله ﷺ أحد من الأمة، وللنبي ﷺ [في حال الحياة][(٣)] خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره.

ومنها: [أنَّ في المنع عن][(٤)] ذلك سدًّا لذريعة الشرك كما لا يخفى، [والله أعلم][(٥)].

---

(١) الأصل أنَّ هذا قول الصوفيين، لكن حصلت زلات لبعض العلماء الأفاضل من علماء أهل السنة، كالنووي، والمازري، والحافظ ابن حجر، والقاضي عياض، فالتبرك بآثار الصالحين قد يكون شركًا أكبر، وذلك إذا اعتقد أنَّ البركة تحصل من هذا الصالح نفسه، وأما إن اعتقد أنَّ البركة من الله، وأنَّ هذا الصالح سبب في ذلك، فيكون بدعة وضلالة، ويكون شركًا أصغر.

مسألة: هل هناك تبرك واجب، ومستحب؟ نعم، التبرك الواجب هو التبرك بالعبادات الواجبة، كالصلاة، والصوم...، والتبرك المستحب هو التبرك بالعبادات المستحبة.

سؤال: هل يوصف ربُّنا بصفة البركة؟

جواب: يوصف ربُّنا بصفة التبارك، وهي التعاظم، والتعالي، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، ويوصف بصفة التبريك، والمباركة، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:١]، وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، وإذا دُعي لمخلوق بالبركة يقال فيه: بارك الله في فلان. ولا يقال: تبارك الله في فلان؛ لأنَّ صفة التبارك ذاتية، وصفة التبريك متعدية.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) في [أ]: أن المنع من.

(٥) ساقط من [ب].

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلىٰ الله بذلك؛ لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا، فغيرهم أولىٰ بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ؛ لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أنَّ طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لَـمَّا قالوا لموسىٰ: اجعل لنا إلهًا.

التاسعة: أنَّ نفي هذا: (من معنىٰ لا إله إلا الله)، مع دقته وخفائه علىٰ أولئك.[١]

العاشرة: أنه حلف علىٰ الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أنَّ الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا.[٢]

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه.

---

(١) يعني: نفي التبرك بالأشجار، والأحجار ونحوها من معنىٰ لا إله إلا الله.

(٢) تقدم الكلام علىٰ ذلك.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية؛ لقوله: «**إنها السنن**».

الثامنة عشرة: أنَّ هذا عَلَم من أعلام النبوة؛ لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أنَّ ما ذمَّ الله به اليهود والنصارىٰ في القرآن أنه لنا.[(١)]

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها علىٰ الأمر، فصار فيه التنبيه علىٰ مسائل القبر، أما «**من ربك؟**»، فواضح[(٢)]، وأما «**من نبيك؟**» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما «**ما دينك؟**» فمن قولهم: ﴿اجعل لنا إلها﴾[(٣)] إلىٰ أخره.

الحادية والعشرون: أنَّ سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤْمَن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقوله، ونحن حُدثاء عهد بكفر.

---

(١) أي: تحذير لنا من ذلك العمل.

(٢) لأنهم لما لم يدعوا في الشجرة أنها تخلق وترزق، وتحيي وتميت؛ دلَّ ذلك علىٰ أنهم مقرون بذلك لله. "التوضيح المفيد" للدويش رحمه الله.

(٣) أي: مألوهًا معبودًا، والعبادة هي الدين. "القول المفيد".

٩- بَاب مَا جَاءَ فِي الذَّبْح لِغَيْرِ الله

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب مَا جَاءَ فِي الذَّبْح لِغَيْرِ الله.

ش/ أي: من الوعيد، وأنه شرك [بالله تعالى][(١)].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ش/ قال ابن كثير: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون له: [بأنه][(٢)] أخلص لله صلاته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية، والعزم على الإخلاص لله تعالى. قال مجاهد: النُّسُك الذبح في الحج والعمرة.[(٣)] وقال الثوري عن السدي، عن سعيد بن جبير: ﴿وَنُسُكِي﴾ ذبحي، وكذا قال الضحاك.[(٤)] وقال غيره: ﴿وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي﴾، أي: وما آتيه في حياتي، [وأموت][(٥)] عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ خالصًا لوجهه ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) في [أ]، و[ب]: (أي إنه)، والذي أثبتناه أقرب.

(٣) سنده صحيح. وهو عند ابن جرير [آية:١٦٢] من سورة الأنعام، وابن أبي حاتم (٨١٨١)، وهو في "تفسير مجاهد" (ص٣٣٢)، والنسك: الذبح، وليس خاصًّا بذبح الحج والعمرة، بل هو كل ذبح يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ، حتىٰ الذي يذبح للضيافة يُعتبر نسكًا.

(٤) هما عند ابن جرير [آية:١٦٢] من سورة الأنعام، وأثر سعيد بن جبير حسن، وأثر الضحاك ضعيفٌ، فيه: جويبر وهو شديد الضعف، وفيه: سفيان بن وكيع سيء الحفظ.

(٥) في [ب]: ومتُّ.

الْمُسْلِمِينَ﴾، أي: من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي متقدم إسلام أمته. قال قتادة: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، أي: من هذه الأمة.(١)

قال ابن كثير: وهو كما قال؛ فإنَّ جميع الأنبياء قبله كانت دعوتهم إلى الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]، وذكر آيات في هذا المعنى.

ووجه مطابقة الآية للترجمة: أنَّ اللهَ تعالى تَعَبَّدَ عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك، كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع [العبادات](٢)؛ فإنَّ اللهَ تعالى أمرهم أن يخلصوا جميع أنواع العبادة له دون كل ما سواه.

فإذا تقرب إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة؛ فقد جعل لله شريكًا في عبادته، وهو ظاهرٌ في قوله: ﴿لَا شَرِيْكَ لَه﴾ نفى أن يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢].

ش/ قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أمره [اللهُ](٣) أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك، الدالتان على القرب، والتواضع، والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عدته، عكس حال [أهل](٤) الكبر، والنفرة، وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر؛ ولهذا

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٢٣)، ومن طريقه: ابن أبي حاتم (٨١٨٤)، وأخرجه ابن جرير [آية:١٦٢] من سورة الأنعام، من طريق: معمر عن قتادة، وفي روايته عنه ضعف.

(٢) في [ب]: العبادة.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) ساقط من [أ].

جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية، والنسك الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه، فإنهما أجل ما يتقرب به إلى الله تعالى؛ فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله تعالى من الكوثر، **وأجل العبادات البدنية:** الصلاة، **وأجل العبادات المالية:** النحر، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وما يجتمع له في النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمرٌ عجيب، وكان ﷺ كثير الصلاة، كثير النحر. انتهى.[1]

قلت: وقد تضمنت الصلاة من أنواع العبادات كثيرًا، فمن ذلك: الدعاء، والتكبير، والتسبيح، والقراءة، والتسميع، والثناء، والقيام، والركوع، والسجود، والاعتدال، وإقامة الوجه لله تعالى، والإقبال عليه بالقلب، وغير ذلك مما هو مشروع في الصلاة، وكل هذه الأمور من أنواع العبادة التي لا يجوز أن يصرف منها شيء [لغير الله][2]، وكذلك النُّسك يتضمن أمورًا من العبادة كما تقدم في كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

(١) من "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٥٣١-٥٣٢).
(٢) في [أ]: لغيره.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حَدَّثَنِي رسول الله ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**» رواه مسلم.

ش/ رواه مسلم من طرق، وفيه قصة.[(١)]

ورواه الإمام أحمد[(٢)] كذلك عن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي: أخبرنا بشيء أَسَرَّه إليك رسول الله ﷺ. فقال: ما أَسَرَّ إليَّ شيئًا كتمه الناسَ، ولكن سمعته يقول: «**لعن اللهُ من ذبح لغير الله، ولعن اللهُ من آوىٰ مُحدِثًا، ولعن اللهُ من لعن والديه، ولعن اللهُ من غير تخوم الأرض**» يعني المنار.

وعلي بن أبي طالب: هو الإمام [أمير المؤمنين][(٣)]، أبو الحسن الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء، كان من [أسبق][(٤)] السابقين الأولين، ومن أهل بدر، وبيعة الرضوان، وأَحَدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، ومناقبه مشهورة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين.

قولهُ: «لعن الله».

اللعن: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها، قيل: واللعين والملعون من حَقَّت عليه اللعنة، أو دُعِيَ عليه بها.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨)، والقصة سيأتي سياقها.

(٢) في "المسند" برقم (٨٥٥).

(٣) ساقط من [أ].

(٤) ساقط من [أ].

قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد [من الله، ومن الخلق السب والدعاء][(١)].

قال شيخ الإسلام -ما معناه-: إنَّ الله تعالى يلعن من استحق اللعنة بالقول كما يصلي [سبحانه][(٢)] على من استحق الصلاة من عباده، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْـمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾[الأحزاب:٤٣-٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤]، وقال: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾[الأحزاب:٦١]، والقرآن كلامه تعالى أوحاه إلى جبرائيل عليه السلام، وبلَّغه رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم، وجبرائيل سمعه منه كما سيأتي [في الصلاة إن شاء الله تعالى][(٣)]، [فالصلاة ثناء الله تعالى][(٤)] كما تقدم[(٥)]، فالله تعالى هو المصلي، وهو المثيب كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة.[(٦)]

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء.

قوله: «من ذبح لغير الله».

قال شيخ الإسلام [رحمه الله تعالى]: [في][(٧)] قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾[البقرة:١٧٣]

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) ساقط من [ب].

(٥) وقع في [ب] ههنا: (ومن الخلق السب والدعاء)، وهو هنا خطأ، وقد تقدم موضعها.

(٦) لم أقف علىٰ مصدر هذا النص من كلامه رحمه الله.

(٧) ساقط من [أ].

ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود؛ فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: (باسم المسيح)، ونحوه، كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: (باسم الله).

فإذا حرم ما قيل فيه: (باسم المسيح، أو الزهرة)؛ فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة، أو قصد به ذلك؛ أولى؛ فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الإستعانة بغير الله، وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه؛ لحرم، وإن قال فيه: (باسم الله) كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقربون إلى الكواكب بالذبح، والبخور، ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال. لكن يجتمع في الذبيحة مانعان: **الأول:** أنه مما أهل به لغير الله. **والثاني:** أنها ذبيحة مرتد.

[1]**[قلت:** هذا لا اختلاف [فيه][2] بين العلماء، وأما إذا ذبح للحم وذكر على الذبيحة اسم المسيح، أو الزهرة، ونحو ذلك؛ فهذا الذي فيه خلاف العلماء، وكلام شيخ الإسلام هذا يدل على أنه يقول بتحريمه، ووافقه على ذلك بعض العلماء.

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ الله عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١]، ثم استثنى قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[المائدة:٥]، يعني ذبيحة اليهودي والنصراني، وإن كان النصراني يقول عند الذبح: (باسم المسيح)، واليهودي يقول: (باسم عزير).

وذكر قول عطاء: كُلْ من ذبيحة النصراني، وإن قال: (باسم المسيح)؛ لأنَّ الله تعالى قد

---

(١) من ههنا ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [ب]، وإثباته أقرب.

أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون.[(١)] وذكر مثله عن القاسم بن مخيمرة[(٢)]، وهو قول الزهري[(٣)]، وربيعة، والشعبي[(٤)]، ومكحول[(٥)]، وروي عن عبادة بن الصامت[(٦)]، وأبي الدرداء[(٧)] من الصحابة. انتهى ملخصًا.[(٨)]

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥٢): ثنا سليمان بن حرب، ثنا عبدالعزيز بن مسلم، عن عبدالملك، عن عطاء، فذكره، وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥١): ثنا علي، ثنا الوليد بن مسلم، سمعت عبدالرحمن بن يزيد بن جابر يقول: سمعت القاسم بن مخيمرة يقول: ..، فذكره، وإسناده صحيح، وعلي هو ابن المديني.

(٣) الذي وجدته عن الزهري أنه يقول بعدم الأكل، أخرجه عبدالرزاق (٦/ ١٢٠-١٢١) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه إسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥٢)، معلقًا عن أيوب بن نجيح، عن الشعبي، وأيوب بن نجيح له ترجمة في «الجرح والتعديل»، قال أبو حاتم: لا أعرفه. وأما أثر ربيعة فلم أجده.

(٥) أخرجه إسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥١): ثنا علي، ثنا الوليد بن مسلم، قال: سمعت الأوزاعي، عن مكحول، فذكره.

(٦) أخرجه إسماعيل القاضي كما في المصدر السابق من طريق: أبي الحكم التنوخي، عن جرير بن عتبة، أو عتبة بن جرير، عن عبادة به، وهذا إسناد ضعيفٌ؛ لجهالة جرير بن عتبة، وأبي الحكم.

(٧) أخرجه ابن جرير (٨/ ١٣٨)، وإسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥١)، من طريقين عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن عمير بن الأسود، عن أبي الدرداء به، وهذا إسناد صحيح.

(٨) انتهىٰ من «أحكام القرآن» للقرطبي (٦/ ٧٦)، ولم ينقل المؤلف من منع من أكل تلك الذبيحة، وقد نقله إسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥٢-)، عن علي، وعائشة، وابن عمر، ومجاهد، وطاوس، وميمون بن مهران، ومال إليه ابن القيم، فذكر ترجيح ذلك من ثمانية وجوه كما في المصدر السابق (١/ ٢٥٤-٢٥٦).

قلت: وهو القول الراجح؛ لعموم الآية: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾، والله أعلم.

وأما الآثار: فأثر علي رضي الله عنه في إسناده عطاء بن السائب، وهو مختلط، وأثر عائشة رضي الله عنها فيه: قابوس بن أبي ظبيان، وهو ضعيف، وأثر ابن عمر رضي الله عنهما إسناده صحيح، وبقية الآثار لم يذكر أسانيدها رحمه الله.

ثم قال][1] ومن هذا الباب: ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن، ولهذا رُوي عـــن النبي ﷺ أنه نهى عن ذبائح الجن.[2] انتهى.[3]

قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا دارًا، أو بنوها، أو استخرجوا عينًا ذبحوا ذبيحة؛ خوفًا أن تصيبهم الجن، فأضيفت إليهم الذبائح لذلك.[4]

وذكر إبراهيم المروزي: أنَّ ما ذبح عند استقبال السلطان تَقَرُّبًا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنه مما أهل [به][5] لغير الله.[6]

قوله: «**لعن الله من لعن والديه**»، يعني أباه وأمه، وَإِنْ عَلَيَا.

وفي "الصحيح" أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أُمَّه**».[7]

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي السقط من [أ].

(٢) **موضوع**، له طريقان عن أبي هريرة رضي الله عنه: **إحداهما**: مسندة، أخرجه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٢/ ٣٠٢)، فيها: عبدالله بن أُذَينَة، متهم بالوضع. **والثانية**: روي عن الزهري مرسلًا، أخرجه البيهقي (٩/ ٣١٤)، وفيه: عمر بن هارون، وقد كُذِّب. وانظر: "الضعيفة" للعلامة الألباني رحمه الله رقم (٢٤٠).
فائدة: الذبح لغير الله يُعتبر شركًا أكبر؛ لأنه لا يذبح إلا عن تعظيم، وإذا ذبح لغير الله فلا يمكن أن يقال: إنه يعظم الله في ذلك؛ لأنه يذبحه لغير الله؛ فهو شركٌ أكبر، ولم يذكروا من الذبح شركًا أصغر.

(٣) انظر: "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٥٦٣-٥٦٤).

(٤) انظر: "الفائق في غريب الحديث" (٢/ ٤)، والزمخشري هو: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، والزمخشري نسبة إلىٰ (زمخشر) قرية من قرىٰ خوارزم، ولد سنة (٤٦٧هـ)، وتوفي سنة (٥٨٣)، وكان معتزليًّا ضالًّا. انظر: "وفيات الأعيان" (٥/ ١٦٨).

(٥) ساقط من [ب].

(٦) نقله عنه النووي في "شرح مسلم" رقم (١٩٧٨)، وإبراهيم المروزي هو: ابن عبدالله بن أحمد الخلال، من رجال "التهذيب" توفي سنة (٢٤١هـ).

(٧) أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٣)، ومسلم برقم (٩٠)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: «... **أن يلعن الرجل والديه**».

قوله: «**لعن الله من آوىٰ محدثًا**».

هو بفتح الهمزة ممدودة، أي: ضَمَّهُ إليه، وحماه [أن يؤخذ منه الحق الذي وجب عليه][1].

قال أبو السعادات: أويت إلى المنزل وأويت غيري، وآويته، وأنكر بعضهم المقصور المتعدي.

قال الأزهري: هي لغة [صحيحة][2].

وأما «**محدثًا**»، فقال أبو السعادات: يُرْوَى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر: من نصر جانيًا أو آواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح: هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه: الرضى به، والصبر عليه؛ فإنه إذا رضي بالبدعة، وأقرَّ فاعلها، ولم ينكر عليه فقد آواه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف [مراتب][3] الحدث بنفسه، فكلما كان الحدث في نفسه أكبر؛ كانت الكبيرة أعظم.[4]

قوله: «**ولعن الله من غير منار الأرض**»، بفتح الميم، علامات حدودها.

قال في "النهاية": أي: معالمها وحدودها، واحدها: تَخْمٌ، قيل: أراد حدود الحرم خاصة. وقيل: هو عام في جميع الأرض، وأراد [المعالم][5] التي يُهتَدَى بها في الطريق. وقيل:

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٢) في [أ]: فصيحة.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) عزاه صاحب "التيسير" إلىٰ كتاب "الكبائر"، ولا نعلم كتابًا مطبوعًا لابن القيم بهذا الاسم.

(٥) في [أ]، و[ب]: بالمعالم، والمثبت من "النهاية".

هو أن يدخل الرجل في ملك غيره [فيقتطعه][(١)] ظلمًا.

قال: ورُوي تخوم بفتح التاء على الإفراد، وجمعه تُخُم بضم التاء والخاء. انتهى.

وتغييرها: أن يقدمها أو يؤخرها، فيكون هذا من ظلم الأرض الذي قال فيه النبي ﷺ: «**من ظلم شبرًا من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»[(٢)]، ففيه جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين.

وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان:

أحدهما: أنه جائز. اختاره ابن الجوزي وغيره.

والثاني: لا يجوز. اختاره أبو بكر عبد العزيز[(٣)]، وشيخ الإسلام.[(٤)]

---

(١) في [أ]: فيقطعه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٢) (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٠) (١٦١٢)، من حديث: سعيد بن زيد، وعائشة رضي الله عنهما، وانفرد به مسلم (١٦١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانفرد به البخاري (٢٤٥٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «**خسف به يوم القيامة...**».

(٣) من أئمة الحنابلة، واسمه: عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد، المعروف بـ(غلام الخلال)، توفي سنة (٣٦٣هـ). "طبقات الحنابلة" (٢/ ١١٩-).

(٤) الذي اختاره ابن الجوزي نقله عن أحمد،، وذكر أنه أجاز لعن يزيد بن معاوية، ومنهم من ينقل عن أحمد القول الثاني، ونصره أبو بكر الخلال في مذهب أحمد. والمشهور عن أحمد خلاف ما ذكره ابن الجوزي؛ فإنَّ المشهور عن أحمد في يزيد بن معاوية قوله: لا نحبه، ولا نسبه. والقول الثاني، وهو عدم الجواز نقل عن جماعة من أصحاب أحمد، ونقل عن الحسن، وابن سيرين، وهو الأشهر عند المتأخرين من أصحاب أحمد، والشافعي، ونصره النووي، وابن المنير، وغيرهما. والقائلون بالجواز حجتهم أنه جاز اللعن بالوصف؛ فيجوز بالتعيين؛ لأنه يشمله ذلك الوصف، وقالوا: قد جاء عن النبي ﷺ لعن بعض الناس بعينهم كما في "مسلم" في [كتاب الفضائل] رقم (١٠)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ منع ناسًا من أن يتقدموا إلىٰ الماء في تبوك، فتقدم رجلان من المنافقين، فلعنهما وسبهما. وأيضًا جاء في الحديث أنه قال: «**اللهم، إنما أنا بشرٌ من البشر، فأي رجل من المسلمين لعنته، أو سببته، وليس لها بأهل، فاجعلها له زكاة ورحمة تقربه إليك يوم القيامة**» أخرجه مسلم (٢٦٠١-٢٦٠٣) بمعناه من طرق، واستدلوا بقصة الرجل الذي جاء يشتكي جاره، فأمره أن =

وقال النووي رحمه الله: واتفق العلماء على تحريم اللعن؛ فإنه في اللغة: الإبعاد، والطرد، وفي الشرع: الإبعاد من رحمة الله.

فلا يجوز أن يُبعد من رحمة الله من [لا][1] يُعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية؛ فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحد بعينه، مسلمًا كان أو كافرًا، أو دابة، إلا من علمنا بنصٍّ

= يخرج متاعه، فأخرج متاعه، فجعل من يمر من الناس؛ يقولون اللهم العنه، اللهم أخزه، وفي رواية: فجعل الناس يلعنونه فعل الله به وفعل وفعل. رواه أبو داود (٥١٥٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" (١٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن. وجاء عند أحمد (٤/ ٥)، والبزار (٢/ ٢٤٧) من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لعن الحَكَم وما ولد من صلبه. واللفظ للبزار، وهو في "الصحيح المسند" (٥٧٢).

والقائلون بالمنع من أدلتهم:

- ما جاء في "البخاري" أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لعن بعض الكفار: الحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو -قبل أن يسلموا- فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨]، ثم أسلموا وحسن إسلامهم. فهذا دليل علىٰ أنه لا يجوز لعن المعين؛ لأنَّ اللعن الطرد من رحمة الله، وأنت لا تدري هل سيموت علىٰ كفره أم لا؟ أما من عُلم أنه مات كافرًا فيجوز لعنه، أو من عُلِم أنه سيموت علىٰ كفره؛ فيجوز لعنه، فنحن نعلم أنَّ أبا جهل، وأبا لهب ماتا علىٰ الكفر؛ فيجوز لعنهما، وأيضًا نعلم أن المسيح الدجال، وإبليس سيموتان علىٰ الكفر؛ فيجوز لعنهما.
- واستدلوا بحديث: «**لا ينبغي لصدِّيق أن يكون لعَّانًا**».
- وحديث: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**».

والذي يظهر المنع من ذلك إذا كان المقصود به الإبعاد والطرد من رحمة الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾، فهو ليس إلىٰ الإنسان. وأما اللعن الذي هو السب، والدعاء؛ فالظاهر جوازه لمن يستحقه. وأما أدلة المجوزين فهي محمولة علىٰ أنه قصد بها السب والدعاء دون قصد الطرد من رحمة الله، وبهذا يُجمع بين الأدلة، وبالله التوفيق. انظر: "منهاج السنة" (٤/ ٥٦٩-)، "الآداب الشرعية" (١/ ٢٦٩-)، "موقف أهل السنة والجماعة من الأهواء والبدع" للرحيلي (١/ ٢٥٠-).

(١) ساقط من [أ].

شرعيٍّ أنه مات على الكفر، أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس، وأما اللعن بالوصف؛ فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله، والـمصورين، والظالـمين، والفاسقين، والكافرين، ولعن من غيَّر منار الأرض، ومن تولى غير مواليـه، ومن انتسب إلى غير أبيـه، ومن أحدث في الإسـلام حَدَثًا، أو آوى محدثًا، أوغير ذلك مما جاءت بـه النصوص الشرعيـة بإطلاقـه على الأوصاف لا على الأعيان، والله أعلم.[1]

(١) انتهىٰ من "شرح مسلم" رقم (٧٩).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: «**دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ**» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَـهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ**» رواه أحمد.

ش/ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه، قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب**» الحديث.[1]

وطارق بن شهاب: هو البجلي الأحمسي، أبو عبد الله، رأى النبي ﷺ وهو رجل.

قال البغوي: ونزل الكوفة.

وقال أبو داود: ورأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا.

قال الحافظ: إذا ثبت أنه [لقيَ][2] النبي ﷺ؛ فهو صحابيٌّ، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح، وكانت وفاته ـ على ما جزم به ابن

---

(١) **صحيح موقوفًا على سلمان** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. رواه الإمام أحمد في "الزهد" (ص١٥)، وليس مرفوعًا، بل الذي في "الزهد": عن طارق بن شهاب، عن سلمان الفارسي من قوله، فالمرفوع لعله وَهَمٌ من ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، والموقوف إسناده صحيح، وهو في "الحلية" أيضًا (١/ ٢٠٣) موقوفًا علىٰ سلمان بنفس الطريق، ولعل سلمان تلقَّاه من أهل الكتاب؛ فلا يكون له حكم الرفع.

❁ وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٣٥٨)، والبيهقي في "الشُّعب" (٧٣٤٣) من طرق أخرىٰ عن طارق ابن شهاب به.

(٢) في [ب]: رأىٰ.

حبان ـ سنة ثلاث وثمانين.[(١)]

قوله: «**دخل الجنة رجل في ذباب**».

أي: من أجله؛ [لأنَّ (في) تأتي للتعليل].[(٢)]

قوله: قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله.

كأنهم تَقَالُّوا ذلك، وتعجبوا منه فبين لهم النبي ﷺ ما صير [لهم][(٣)] هذا الأمر الحقير عندهم عظيمًا يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار.

قوله: فقال: «**مَرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم**».

الصنم: ما كان منحوتًا على صورة.

قوله: «**لا يجاوزه**»، **أي**: لا يمر به، ولا يتعداه أحدٌ حتى يقرب له شيئًا وإن قَلَّ.

قوله: «**قالوا له قرب ولو ذُبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار**».

في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار كما قال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[المائدة:٧٢].

وفي [**هذا**][(٤)] **الحديث**: الحذر من الوقوع في الشرك، وأن الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري أنه من الشرك الذي يوجب النار.

وفيه: أنه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداءً، وإنما فعله تخلصًا من شر أهل الصنم.[(٥)]

---

(١) انتهىٰ من «الإصابة» ترجمة طارق بن شهاب رضي الله عنه.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) ساقط من [أ].

(٥) قال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (١/ ٢٩٣): هذه المسألة ليست مسَلَّمة؛ فإنَّ قوله: «**قَرِّب ولو ذبابًا**» يقتضي أنه فعله قاصدًا التقرب، أما لو فعله تخلصًا من شرهم؛ فإنه لا يكفر؛ لعدم =

وفيه: أن ذلك الرجل كان مسلمًا قبل ذلك، وإلا فلو لم يكن مسلمًا لم يقل دخل النار في ذباب.

وفيه: أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان(١) ذكره المصنف بمعناه.(٢)

قولهُ: «وقالوا للآخر: قرب. قال: ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئًا دون الله عزوجل».

فيه: بيان فضيلة التوحيد، والإخلاص، والصلابة في الدين.

وفيه: معنى قوله في الحديث: «**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَف في النار**».(٣)

= قصد التقرب، وظاهر القصة أنَّ الرجل ذبح بنية التقرب؛ لأنَّ الأصل أنَّ الفعل المبني علىٰ طلبٍ يكون موافقًا لهذا الطلب، ولو فعله بقصد التخلص ولم ينو التقرب لهذا الصنم؛ لا يكفر؛ لعموم قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦]. انتهىٰ المراد بتصرف يسير.

(١) قول المصنف هذا يعارض ما تقدم من قوله: (وإنما فعله تخلصًا من شر أهل الصنم)، وقوله هنا هو المعتمد، وانظر: "القول المفيد" للعلامة العثيمين رحمه الله (١/ ٢٩٨).

(٢) في مسائل "كتاب التوحيد".

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال المصنف رحمه الله: وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم مع كونهم لم يطلبوا منه إلَّا العمل الظاهر.[(١)]

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾.

الثانية: تفسير ﴿فصل لربك وانحر﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوىٰ محدثًا، وهو الرجل يُحدث شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلىٰ من يجيره من ذلك.

السادسة: لعنُ من غيَّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تُفَرِّق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين، ولعن أهل المعاصي علىٰ سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

---

(١) انظر المسألة رقم (١٠) من "كتاب التوحيد"، قال العلامة العثيمين رحمه الله: لكن أيهما أولىٰ: أن يصبر ولو قُتِل، أو أن يوافق ظاهرًا؟ فيه تفصيل: إذا كان موافقة الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة؛ فإنَّ الأولىٰ أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا، لاسيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للناس مثل: صاحب المال الباذل فيما ينفع، أو صاحب العلم النافع، وما أشبه ذلك، حتىٰ وإن لم يكن فيه مصلحة؛ ففي بقائه علىٰ الإسلام زيادة عمل، وهو خير، فالأولىٰ أن يتأول ويوافق ظاهرًا لا باطنًا، أما إذا كان في موافقته، وعدم صبره ضرر علىٰ الإسلام؛ فإنه يصبر، وقد يجب الصبر؛ لأنه من باب الصبر علىٰ الجهاد في سبيل الله، وليس من باب إبقاء النفس -ثم مثَّل علىٰ ذلك بصبر الصحابة علىٰ أذىٰ كفار قريش، وبصبر الإمام أحمد في المحنة-. "القول المفيد" (١/ ٢٩٥-٢٩٦) باختصار يسير.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلُّصًا من شَرِّهم.[(١)]

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك علىٰ القتل، ولم يوافقهم علىٰ طلبتهم؛ مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أنَّ الذي دخل النار مسلم[(٢)]؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «**دخل النار في ذباب**».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «**الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شِراك نعله، والنار مثل ذلك**».[(٣)]

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتىٰ عند عبدة الأوثان.

---

(١) تقدم التنبيه علىٰ ذلك.

(٢) أي: كان مسلمًا كفر بسبب ذلك، ودخل النار.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٨٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

١٠- باب لا يُذْبَحُ للّه بِمَكانٍ يُذْبَحُ فيهِ لِغَيْرِ اللّه

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب لا يُذْبَحُ لله بِمَكانٍ يُذْبَحُ فيهِ لِغَيْرِ الله.

ش/ لا: نافية، ويُحتمل أنها للنهي، وهو أظهر.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَـمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الـمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة:١٠٨].

ش/ قال المفسرون: إنَّ اللهَ تعالى نَهى رسولَه عنِ الصلاة في مسجد الضرار، والأمة تبعٌ له في ذلك، ثم إنَّه تعالى حَثَّه على الصلاة في مسجد قباء الذي أُسِّسَ من أول يوم بُني على التقوى، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ، وجمعًا لكلمة المؤمنين، ومعقلًا، ومنزلًا للإسلام وأهله؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاةٌ في مسجد قباء كعمرة**»(١).

---

(١) **حسن بشواهده**. أخرجه الترمذي (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١) من حديث أُسيد بن ظهير الأنصاري، والراوي عنه أبو الأبرد، واسمه: زياد المدني، وهو مجهول.

❁ وله شاهد من حديث سهل بن حنيف عند أحمد (١٥٩٨١)، وابن ماجه (١٤١٢)، وفيه: محمد ابن سليمان الكرماني مجهول حال.

❁ وله شاهد آخر عند ابن حبان (١٦٢٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فيه داود بن إسماعيل الأنصاري، وهو مجهول الحال.

❁ وله طريق أخرىٰ عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣) من طريق: سليط بن سعد السالمي عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا موقوفًا، وله حكم الرفع، وسليط مجهول.

فالحديث بهذه الشواهد يرتقي إلىٰ الحُسن، وقد حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ؛ وعلىٰ هذا الحديث يجوز قصد الصلاة فيه من غير سفر، والنبي ﷺ كان يقصده كل سبت.

وفي "الصحيح": أن رسول الله ﷺ كان يزور قباءَ راكبًا وماشيًا[(١)]، وقد صَرَّحَ أَنَّ المسجدَ المذكور في الآية هو مسجد قباء جماعةٌ من السلف، منهم: ابن عباس، وعروة، وعطية، والشعبي، والحسن، وغيرهم.[(٢)]

قلت: ويؤيده قوله: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ الآية، وقيل: هو مسجد رسول الله ﷺ؛ لحديث أبي سعيد قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، فقال رجلٌ: هو مسجد قباء. وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**هو مسجدي هذا**» رواه مسلم.[(٣)]

وهو قول عمر وابنه، وزيد بن ثابت، وغيرهم.[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٩٣)، ومسلم برقم (١٣٩٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه: أنه كان يأتيه كل سبت.

(٢) أثر ابن عباس رضي الله عنهما، لم يصح، له طريقان عند ابن جرير في تفسير الآية المذكورة.

❁ طريقٌ فيها: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلي لم يسمع من ابن عباس، وفيها: عبدالله ابن صالح كاتب الليث ضعيفٌ. وهذه الطريق أخرجها أيضًا ابن أبي حاتم.

❁ والطريق الأخرىٰ مسلسلة بالعوفيين، وهم ضعفاء كما تقدم في المقدمة.

❁ أثر عروة صحيح كما في "تفسير ابن جرير"؛ فإنه من طريق: عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، وهذا إسناد صحيح.

❁ أثر عطية صحيح، وهو عند ابن جرير، عن أحمد بن إسحاق، ثنا أبو أحمد، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية به. وهذا إسناد صحيح، وأبو أحمد هو الزبيري.

❁ أثر الشعبي، والحسن لم نجدها مسندة، ولكن ذكرها عنهما ابن كثير في "تفسيره".

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٣٩٨).

(٤) أثر عمر رضي الله عنه لم نجده.

❁ أثر ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن جرير في "تفسيره"، وفيه: سفيان بن وكيع، سيء الحفظ، وفيه: عثمان ابن عبيدالله بن أبي رافع مجهول حال، ولكن سفيان بن وكيع قد توبع عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٢)، فبقيت العلة في عثمان.

❁ أثر زيد بن ثابت عند ابن جرير في "تفسيره" عن سفيان بن وكيع، ثنا ابن عيينة، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد، عن أبيه به. وفيه: سفيان بن وكيع أيضًا، وفيه ضعف، ولكنه قد توبع؛ فقد=

وقال ابن كثير: وهذا صحيح، ولا منافاةَ بين الآية والحديث؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم؛ فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى، وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أُسِّسَ على معصية الله كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[التوبة:١٠٩].

فلهذه الأمور نهى اللهُ نَبِيَّه ﷺ عن القيام فيه للصلاة، وكان الذين بنوه جاءوا إلى النبي ﷺ قبل خروجه إلى غزوة تبوك، فسألوه أن يصلي فيه، وأنهم إنما بنوه للضعفاء، وأهل العلة في الليلة الشاتية، فقال: «**إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**»، فلما قفل عليه السلام راجعًا إلى المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه؛ نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه فهدمه قبل قدومه إلى المدينة.(١)

وجه مناسبة الآية للترجمة: أنَّ المواضع الْـمُعَدَّة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن هذا المسجد لما أُعِدَّ للمعصية؛ صار محل غضب لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاة فيه لله، وهذا قياسٌ صحيحٌ يؤيده حديثُ ثابت بن الضحاك الآتي.

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾.

روى الإمام أحمد، وابن خزيمة وغيرهما عن عويم بن ساعدة الأنصاري، أنَّ النبي

= أخرجه الطبراني (٤٨٥٣)، من طريق: سعيد بن أبي مريم، عن ابن عيينة، وابن أبي الزناد، عن أبي الزناد به، وهذا إسناد صحيح. وأخرجه عبدالرزاق (١/ ٢٨٨)، ومن طريقه ابن جرير (١١/ ٦٨٤)، عن ابن عيينة به، ولكنه شك فيه: هل هو من قول خارجة، أو أبيه؟

قلتُ: والطريق الأولىٰ لاشك فيها، وهي صحيحة؛ فالأثر ثابت عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(١) أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن بعض التابعين -سمَّاهم- عن النبي ﷺ مرسلًا، وفيه: عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، ولم يصرِّح بالتحديث، وفيه شيخ ابن جرير محمد بن حميد الرازي، وقد كذب. وفي "تفسير ابن كثير" و"سيرة ابن هشام" (٢/ ٥٢٩-٥٣٠) ذِكْرُ القصة بدون إسناد.

ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «**إنَّ الله قد أحسن عليكم الثناء بالطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟**» فقالوا: والله، يا رسول الله، ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا.(١)

وفي رواية عن جابر، وأنس: «**هو ذاك، فعليكموه**» رواه ابن ماجه، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والحاكم.(٢)

قوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.

قال أبو العالية: إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب.(٣)

وفيه: [إثبات](٤) صفة المحبة خلافًا للأشاعرة ونحوهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٢)، وابن خزيمة (٨٣)، وفيه: أبو أويس ضعيفٌ، وشرحبيل بن سعد إلىٰ الضعف الشديد أقرب، ولم يسمع من عويم، ففي سماعه من عويم نظر، كما قال الحافظ في "التهذيب".

(٢) **حسن بشواهده**. أخرجه ابن ماجه (٣٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٢)، والدارقطني (١/ ٦٢)، والحاكم (٢/ ٣٣٤)، وفي إسناده: عتبة بن أبي حكيم، وهو ضعيف، ولكن له شواهد يُحَسَّن بها، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه أبو داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠)، وفي إسناده: يونس بن الحارث، وهو ضعيف، وإبراهيم بن أبي ميمونة وهو مجهول.

❁ وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني (١١٠٦٥)، والحاكم (١/ ١٨٧)، وفيه: عنعنة ابن إسحاق.

❁ وجاء من حديث محمد بن عبدالله بن سلام عند أحمد (٦/ ٦)، وفيه: شهر بن حوشب.

❁ ومرسل عن الشعبي أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ١٥٣) بإسناد صحيح عنه.

(٣) **صحيح**. أخرجه ابنُ أبي حاتم في "تفسيره" [آية:١٠٨] من سورة التوبة، فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أسامة، عن عوف، عن أبي المنهال، عن أبي العالية به. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات من رجال "الصحيحين"، والآية عامة تشمل الطهارة من النجاسات الحسية، والنجاسات المعنوية، وتشمل الطهارة من الذنوب، والمعاصي.

(٤) ساقط من [أ].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: عن ثَابِت بن الضّحّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: نَذَرَ رَجُلٌ أنْ يَنْحَرَ إبِلًا بِبُوَانَةَ، فسأل النبي ﷺ فقال: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيّةِ يُعْبَدُ؟**». قالُوا: لاَ. قالَ: «**فهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أعْيَادِهِمْ؟**» قالُوا: لاَ. فقالَ رسول الله ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإنّهُ لاَ وَفَاءَ لِنِذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ الله، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابنُ آدَمَ**». رواه أبو داود، وإسناده علىٰ شرطهما.[١]

ش/ قوله: عن ثابت بن الضحاك.

أي: ابن خليفة الأشهلي، صحابيٌّ مشهور، روى عنه أبو قلابة وغيره، مات سنة أربع وستين.

قولهُ: ببوانة.

بضم الباء، وقيل: بفتحها.

قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يلملم.

قال أبو السعادات: هضبة من وراء يَنْبُع.

قولهُ: «**فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**».

فيه: المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله، قاله المصنف رَحِمَهُ اللهُ.[٢]

---

(١) **صحيح.** أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، ومن طريقه البيهقي (١٠/ ٨٣)، والطبراني (١٣٤١)، من طريق: داود بن رشيد، عن شعيب بن إسحاق، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال: حدثني أبو قلابة، عن ثابت بن الضحاك به. وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين كما قال المصنف، وصححه شيخنا الوادعي برقم (١٨٦).

(٢) انظر المسألة رقم (٦) من "كتاب التوحيد".

قوله: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**».

قال شيخ الإسلام: العيد اسم لِـمَا يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، والشهر، ونحو ذلك، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع [أهل][1] الجاهلية، فالعيد يجمع أمورًا منها: يوم عائد، كيوم الفطر، ويوم الجمعة. ومنها: اجتماعٌ فيه. ومنها: أعمالٌ تَتْبَع ذلك من العبادات، والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكل من هذه الأمور قد يُسَمَّى عيدًا، فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «**إن هذا يوم قد جعله الله للمسلمين عيدًا**»،[2] والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ.[3] والمكان كقوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»[4]، وقد يكون لفظ العيد اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب، كقول النبي ﷺ: «**دعهما يا أبا بكر؛ فإنَّ لكل قوم عيدًا**»[5]. انتهى.[6]

قال المصنف: وفيه استفصال المفتي، والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله.[7]

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) **حسن**. أخرجه ابن ماجه (١٠٩٨)، من طريق: صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، وصالح بن أبي الأخضر ضعيف، وقد خالفه مالك، فرواه في "موطئه" (١/ ٦٥) عن الزهري، عن عبيد بن السبَّاق مرسلًا؛ وعليه فالمرسل أرجح، ولهذا المرسل شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣)، وفي إسناده: أبو بشر مؤذن دمشق، وعامر بن لُدين الأشعري، وكلاهما مجهول الحال؛ فالحديث حسن، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٩٧٩)، ومسلم برقم (٨٨٤).

(٤) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالىٰ في الباب رقم (٢١).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٩٥٢)، ومسلم برقم (٨٩٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) من كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٤٤٢).

(٧) انظر المسائل رقم (٤، ٧) من "كتاب التوحيد".

قلت: وفيه سد الذريعة، وترك مشابهة المشركين، والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك.

قوله: «**فأوف بنذرك**».

هذا يدل على أنَّ الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره، أو في محل أعيادهم معصية؛ لأن قوله: «**فأوف بنذرك**» تعقيب للوصف بالحكم بالفاء، وذلك يدل على أنَّ الوصف سبب الحكم؛ فيكون سبب الأمر بالوفاء خُلُوَّه عن هذين الوصفين، فلما قالوا: لا. قال: «**فأوف بنذرك**»، وهذا يقتضي أن كون البقعة مكانًا لعيدهم، أو بها وثن من أوثانهم: مانعٌ من الذبح بها، ولو نذره. قاله شيخ الإسلام.[١]

قوله: «**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**».

دليلٌ على أنَّ هذا نذر معصية لو قد وُجِد في المكان بعض الموانع، وما كان من نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء.

واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد:

أحدهما: يجب. وهو المذهب، ورُوي عن ابن مسعود، وابن عباس.[٢]

وبه قال أبو حنيفة وأصحابه؛ لحديث عائشة مرفوعًا: «**لا نذر في معصيةٍ، وكفارته كفارة يمين**»، رواه أحمد، وأهل السنن[٣]، واحتج به أحمد وإسحاق.

---

(١) انظر: "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٤٤٠-٤٤١).

(٢) أثر ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٢٨٨)، وعبدالرزاق (٨/ ٤٣٣) بإسناد رجاله ثقات، من طريق: أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه به، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه؛ فهو منقطع؛ فالإسناد ضعيف، وأثر ابن عباس رضي الله عنهما صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٣١٣)، عن وكيع، عن عبدالله بن سعيد بن أبي هند، عن بكير بن عبدالله بن الأشج، عن كريب، عن ابن عباس به مطولًا، وإسناده صحيح، رجاله ثقات معروفون.

(٣) **ضعيف منكر**. أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٧)، وأبو داود (٣٢٩٠) (٣٢٩١)، والترمذي (١٥٢٤)،=

الثاني: لا كفارة عليه. رُوي ذلك عن مسروق، والشعبي[(١)]، والشافعي؛ لحديث الباب، ولم يذكر فيه كفارة.

وجوابه: أنه ذكر الكفارة في الحديث المتقدم، والمطلق يحمل على المقيد.[(٢)]

قوله: «ولا فيما لا يملك ابن آدم».

قال في "شرح المصابيح": يعني إذا أضاف النذرَ إلى معين لا يملكه بأن قال: (إنْ شفى الله مريضي فَلِلَّهِ عليَّ أن أعتق عبدَ فلان)، ونحو ذلك، فأما إذا التزم في الذمة شيئًا بأن قال: (إن شفى الله مريضي فلله على أن أعتق رقبة)، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإذا [شُفِي مريضه][(٣)]؛ ثبت ذلك في ذمته.

قوله: رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

أي: البخاري ومسلم.

وأبو داود: اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، صاحب الإمام أحمد، ومُصَنِّف "السنن"، و"المراسيل" وغيرها، ثقةٌ إمامٌ حافظٌ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين ومائتين.

= والنسائي (٧/ ٢٦-٢٧)، وابن ماجه (٢١٢٥)، وهذا الحديث مُعَلٌّ، فقد أعله البخاري، والدارقطني، والترمذي، وغيرهم، وسنده ظاهره الصحة، لكن ذكر الحفاظ أنه سقط من سنده سليمان بن أرقم، وهو متروك، وهو في "أحاديث معلة" لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللهُ رقم (٤٩٩).

❁ وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عند ابن الجارود (٩٣٥)، وفيه: خطاب بن القاسم الحرَّاني، بعضهم وثقه، وبعضهم ضعفه، لكن الذي يظهر أنه لا ينزل في حديثه عن الحُسن، فيحسن حديثه، لكن يُخشىٰ أنه وَهِمَ في الحديث؛ لأنَّ المعروف أنَّ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يذكره موقوفًا، ويُفتي بذلك.

(١) ذكره عنهما ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في "المغني" (١٣/ ٦٢٤)، ولم أجد للأثرين سندًا، فلعلهما في بعض الكتب المفقودة.

(٢) والقول بأنَّ فيه الكفارة هو الصحيح؛ لأنه هو الذي أفتىٰ به الصحابة، كابن عباس، وابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، كما تقدم؛ ولأنَّ النذر فيه شبه باليمين، ومعلوم أنَّ من حلف أن يعمل معصية فلا وفاء، وعليه الكفارة.

(٣) في [ب]: شَفَىٰ اللهُ مريضه.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير قوله ﴿لا تقم فيه أبدا﴾[التوبة:١٠٨].

الثانية: أنَّ المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.(١)

الثالثة: ردُّ المسألة المشكلة إلىٰ المسألة البيِّنة؛ ليزول الإشكال.(٢)

الرابعة: استفصال المفتِي إذا احتاج إلىٰ ذلك.

الخامسة: أنَّ تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.(٣)

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

---

(١) لما أسس المنافقون مسجدهم علىٰ الضرار نهىٰ الله نبيه عن القيام فيه، ولما أسس مسجد قباء علىٰ التقوىٰ أمره الله بالقيام فيه، وكذلك إذا كان في البقعة عبادة لغير الله؛ فلا يعبد الله فيها.

(٢) الأمر المشكل هو أنه لم يعرف حكم ذلك النذر حتىٰ بيَّن ذلك النبي ﷺ بالاستفصال.

(٣) أي: لا وفاء لنذر في معصية، وأما انعقاده فالصحيح أنه ينعقد.

١١- باب مِن الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ الله

قال المصنف رحمه الله**:** باب مِن الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ الله.

ش/ أي: لكونه عبادة يجب الوفاء به[(١)] إذا نذره لله، فيكون النذر لغير الله شركًا في العبادة.

(١) الوفاء بالنذر ممدوحٌ؛ فيكون الوفاء به من العبادات؛ لأنَّ الله مدح من أوفىٰ به، كما قال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ [الإنسان:٧] الآية، وقال: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج:٢٩].

ما حكم النذر؟ النذر المقيد مكروه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نهىٰ عن النذر، وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**» متفق عليه، واللفظ لمسلم، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنه لا يرد من القدر، وإنما يستخرج به من البخيل**» رواه مسلم؛ ولأنَّ النذر إلزام الإنسان نفسَه بعبادة، وقد يعجز عنها، ويندم؛ فلهذا كره العلماء النذر، وبعضهم اختار تحريمه، والراجح ما ذهب إليه الجمهور من الكراهة فقط، والدليل علىٰ أنه ليس بمحرم ما جاء في "صحيح مسلم" (١٦٤١)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، أنَّ امرأةً مسلمة أُسِرَت، فهربت من المشركين علىٰ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، ونذرت إن نجَّاها الله لتنحرَنَّها، فأنكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم نذرها في ملك غيرها، ولم ينكر عليها النذر من أصله، وأيضًا لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داود (٣٣٠٨)، وهو في "الصحيح المسند" (٦٥٦) أنَّ امرأة ركبت البحر فنذرت إن نجاها الله لتصومَنَّ شهرًا. فنجاها الله، فلم تصم حتىٰ ماتت، فأتت أختها إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرها أن تصوم عنها، مع أنه نذر مقابلة، ولم ينكر عليها ذلك مع أنه مقام بيان، وتعليم. وهذه الكراهة في النذر المقيد، وأما النذر المطلق فيستحب؛ إن لم يشق علىٰ نفسه، وهو قول مالك، وبعض الشافعية والحنابلة.

أقسام النذر:

النذر نذران: مطلق، ومقيد.

- النذر المقيد هو: الذي يكون بشرطٍ، كأن يقول: إن شفىٰ الله مريضي؛ فعَلَيَّ كذا.
- النذر المطلق هو: الذي يكون عن غير شرط، كقوله: لله عليَّ أن أفعل كذا.

كيف يكون النذر عبادة مع كونه مكروهًا؟

هو عبادة من جهة كونه فيه تعظيم لله، مثل الحلف؛ فإنه فيه تعظيم؛ فهو عبادة، لكن إن شق علىٰ نفسه، فيكره له، كأن يقول: والله، لأصومَنَّ شهرين متتابعين. فمن الخطإِ أن يقال: الوفاء بالنذر هو العبادة فقط، بل عقد النذر والوفاء به كله عبادة.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾[الإنسان:٧].

ش/ فالآية دلت على وجوب الوفاء بالنذر، ومدح من فعل ذلك طاعة لله، ووفاء بما تقرب به إليه.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ**﴾[البقرة:٢٧٠].

ش/ قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات، والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به؛ ابتغاء وجهه.

إذا علمت ذلك: فهذه النذور الواقعة من عباد القبور تقربًا بها إليهم؛ ليقضوا لهم حوائجهم، وليشفعوا لهم، كلُّ ذلك شركٌ في العبادة بلا ريب، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لله مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى الله وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

قال شيخ الإسلام: وأما ما نُذر لغير الله، كالنذر للأصنام، والشمس، والقمر، والقبور، ونحو ذلك؛ فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات، والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه، ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوقات؛ فإنَّ كلاهما شركٌ، [والشرك][(١)] ليس له حرمة، بل عليه أن يستغفر الله من هذا، ويقول ما قال النبي ﷺ: «**من حلف باللات والعزىٰ فليقل لا إله إلا الله**»[(٢)].

وقال -فيمن نذر للقبور أو نحوها دُهْنًا لِتُنَوَّرَ به، ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٥٠)، ومسلم برقم (١٦٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بعض الضالين-: وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين، لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالًا للسَّدنة، أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة؛ فإنَّ فيهم شَبَهًا من السدنة التي كانت عند اللات، والعزى، ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، والذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾[الأعراف:١٣٨]، فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد[١] التي في الهند والمجاورين عندها.[٢]

وقال [الأذرَعي][٣] في "شرح المنهاج": وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي، أو شيخ، أو على اسم من حلها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين؛ فإنْ قصد الناذر بذلك -وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة- تعظيم البقعة، أو المشهد، أو الزاوية، أو تعظيم من دُفِن بها، أو نُسِبَت إليه، أو بُنِيت على اسمه؛ فهذا النذر باطل غير منعقد؛ فإنَّ معتقدهم أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يُدفع بها البلاء، ويُستجلب بها النَّعْمَاء، ويُستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل: (إنه استند إليها عبد صالح)، وينذرون لبعض القبور السُّرج والشموع، والزيت، ويقولون: القبر الفلاني، أو المكان الفلاني يقبل النذر. يعنون بذلك أنه يحصل

---

(١) الأبداد: جمع بُدّ، وهو الصنم. والسَدَنة: جمع سادن، وهو خادم الصنم، والمانع عنه، والفرق بينه وبين الحاجب أنَّ الحاجب يأذن إذا أمر بذلك ممن أمره بذلك، والسادن يأذن بنفسه. "لسان العرب".

(٢) انظر "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٢٣٤-).

(٣) في النسختين: (الرافعي)، والمثبت من "التيسير" (ص٢٠٥)، وهو أحمد بن حمدان بن عبدالواحد الأذْرَعي، أبو العباس، ولد سنة (٧٠٨)، وتوفي سنة (٧٨٣). انظر: "الدرر الكامنة" (١/ ١٣٥).

[به][(١)] الغرض المأمول: من شفاء مريضٍ، أو قدوم غائبٍ، أو سلامةِ مالٍ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة؛ فهذا النذر على هذا الوجه باطلٌ لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطلٌ مطلقًا،[(٢)] **ومن ذلك:** نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء؛ فإنَّ الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركًا وتعظيمًا ظَانًّا أنَّ ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرم، سواء انتفع به هناك منتفع أم لا.

وقال الشيخ قاسم الحنفي[(٣)] في "شرح درر البحار": النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون للإنسان غائب، أو مريض، أو له حاجة، فيأتي إلى بعض الصلحاء، ويجعل على رأسه سترة، ويقول: يا سيدي فلان، إنْ ردَّ اللهُ غائبي، أو عُوفي مريضي، أو قُضيت حاجتي؛ فلك من الذهب كذا، أو من الفضة [كذا][(٤)]، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا؛ فهذا النذر باطل بالإجماع؛ لوجوه[(٥)] **منها:** أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق. **ومنها:** أنَّ المنذور له ميت، والميت لا يملك. **ومنها:** أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) الذي يُسْرِج علىٰ القبور إن كان متبركًا بصاحب القبر يظن أنه سينفعه بشيء؛ فهذا هو الشرك الأكبر، وإن كان يظن أنَّ هذا الإسراج قُربة لله بكونه أسرج علىٰ هذه القبور، فيظن أنه ناصرٌ للأولياء ونحوها؛ فهذا لا يصل إلىٰ حد الشرك الأكبر؛ فهو لم يصرف له عبادة، وإنما يريد الأجر من الله بهذا الإيقاد، والإسراج؛ فهذا مبتدع؛ لأنه تقرب إلىٰ الله بشيء ليس من دين الله، وهو وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر.

(٣) هو القاسم بن قطلوبغا بن عبدالله المصري، ولد سنة (٨٠٢)، وتوفي سنة (٨٧٩)، له مؤلفات عديدة، منها: "شرح درر البحار" للقونوي في الفروع. انظر: "هداية العارفين" (١/ ٨٣٠).

(٤) ساقط من [أ].

(٥) وهذا يعتبر شركًا أكبر؛ لأنه يتقرب إلىٰ الولي، ويدعوه وهو ميت، يدعوه من دون الله، ولأنه صرف النذر لغير الله بقوله: لك كذا.

دون الله، واعتقاد ذلك كفر.

إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم، والشمع، والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربًا إليهم، فحرام بإجماع المسلمين.اهـ

نقله عنه ابن نجيم(١) في "البحر الرائق"(٢)، ونقله المرشدي(٣) في "تذكرته" وغيرهما عنه، وزاد: وقد ابتُلِيَ الناس بهذا، لاسيما في مولد البدوي.(٤)

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي(٥) في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء: فهذا الذبح، والنذر إن كان على اسم فلان؛ فهو لغير الله؛ فيكون باطلًا، وفي التنزيل: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره.(٦)

---

(١) هو الإمام زين الدين بن إبراهيم بن محمد المشهور بابن نُجَيم، ولد سنة (٩٢٦)، وتوفي سنة (٩٧٠)، له كتب عديدة من أشهرها: "البحر الرائق شرح كنز الدقائق"، و"الأشباه والنظائر". انظر: "شذرات الذهب" (١٠/ ٥٢٣).

(٢) انظر: "البحر الرائق" (٢/ ٤٦٧-٤٦٨) في آخر [كتاب الصوم].

(٣) هو عبدالرحمن بن عيسىٰ بن مرشد، أبو الوجاهة العمري، المرشدي، مفتي الحرم المكي، ولد سنة (٩٧٥)، وتوفي سنة (١٠٣٧)، انظر: "الأعلام" للزركلي (٣/ ٣٢١).

(٤) هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر البدوي، صوفي هالك، وقبره معروف بمصر في (طنطا)، ويعبد من دون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هلك عام (٦٧٥). "الشذرات" (٧/ ٦٠٢).

(٥) هو الإمام صنع الله بن صنع الله الحلبي، المكي، واعظٌ، فقيهٌ، محدثٌ، توفي سنة (١١٢٠). "هداية العارفين" (١/ ٤٢٨)، "معجم المؤلفين" (٦٢٤١).

(٦) انتهىٰ من كتابه "سيف الله علىٰ من كذب علىٰ أولياء الله" (ص٦٨-٦٩).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفي "الصحيح" عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطيعَ اللهَ فَلْيُطِعْه، ومن نذر أن يَعصيَ الله فلا يَعصِه**»[(١)].

ش/ قوله: في "الصحيح"، أي: "صحيح البخاري".

قولُهُ: عن عائشة.

هي أم المؤمنين زوجُ النبي ﷺ، وابنة الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تزوجها النبي ﷺ وهي ابنة سبع سنين، ودخل بها وهي ابنة تسع [سنين][(٢)]، وهي أفقه النساء مطلقًا، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة، [ففيهما][(٣)] خلاف،[(٤)] ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح.

قولُهُ: «**من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه**».

أي: فليفعل ما نذره من طاعة الله، وقد أجمع العلماء على أنَّ من نذر طاعةً لشرطٍ يرجوه كـ(إن شفى اللهُ مريضي فعليَّ أن أتصدق بكذا)، ونحو ذلك وجب عليه إن حصل له ما عَلَّقَ نَذْرَه [به][(٥)] على حصوله، وهو قول جمهور العلماء.

وَحُكي عن أبي حنيفة: أنه لا يلزم الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم، وأما ما ليس كذلك كالاعتكاف، فلا يجب عليه الوفاء به.

قولُهُ: «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٩٦).
(٢) ساقط من [ب].
(٣) في [ب]: ففيها.
(٤) والذي قرره شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله أنَّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أفضل من جهة العلم، وخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أفضل من جهة النصرة، وهذا التفصيل أفضل، وأقرب، فبه نخرج من الخلاف، ويكون لكل واحدة فضيلة من جهة. انظر: "بدائع الفوائد" (٣/ ١٦٣).
(٥) ساقط من [ب].

زاد الطحاوي: «**وليكفر عن يمينه**»،[١] وقد أجمع العلماء [على][٢] أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية.

قال الحافظ: اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، وتنازعوا: هل ينعقد موجبا للكفارة أم لا؟[٣] وتقدم[٤]، وقد يُستدل بالحديث على صحة النذر في المباح كما هو مذهب أحمد وغيره، يؤيده ما رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأحمد، والترمذي عن بريدة: أنَّ امرأةً قالت: يا رسول الله، إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف. فقال: «**أَوْفِ بنذركِ**».[٥]

وأما نذر اللجاج والغضب فهو يمينٌ عند أحمد،[٦] فَيُخَيَّر بين فعله وكفارة يمين؛

---

(١) أخرجه الطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ٤٢)، وفي إسناده: سليمان بن أرقم، وهو متروك، وهو قطعة من حديث عائشة الذي تكلمنا عليه في الباب السابق.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) "الفتح" (٦٧٠٠).

(٤) تقدم الخلاف في الباب السابق.

(٥) **حسن لغيره**. أخرجه أبو داود (٣٣١٢)، وفي إسناده: الحارث بن عبيد أبو قدامة الإيادي، وفيه ضعف، والحديث حسن بشاهده عن بريدة عند أحمد (٥/ ٣٥٣)، والترمذي (٣٦٩٠)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩)، وابن حبان (٦٨٩٢)، من طريق: الحسين بن واقد، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه به، وإسناده حسن.

(٦) نذر اللجاج، والغضب هو الذي يكون في حالة مغاضبة وخصام، وما أشبه ذلك، فيقول مثلًا: لله عليَّ إن فعلت كذا أن أحج عشر حجج. فإنه هنا لا يريد الحج، وإنما يريد الامتناع عن هذا الشيء. فهذه من أيمان العرب، وقد أفتىٰ بعض الصحابة أنَّ فيه كفارة يمين كما في "مصنف ابن أبي شيبة" (٧/ ٥٢٢-)، وغيره.

وهذا هو الذي رجحه شيخ الإسلام، وابن القيم أنه يكفر كفارة يمين، أو يوفي به، وقال شيخ الإسلام رحمه الله بأنه يشمله قول الله تعالىٰ: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة:٨٩]، قال: وهذا من أيمان العرب. ونقل إجماع أهل اللغة علىٰ أن هذا يسمىٰ يمينًا، وهذا هو ترجيح الإمامين ابن باز، وابن عثيمين رحمهما الله، وانظر "مجموع الفتاوىٰ" (٣٥/ ٢٥٣-٢٥٦).

لحديث عمران بن حصين مرفوعًا: «**لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين**»، رواه سعيد، وأحمد، والنسائي.[١]

فإن نذر مكروهًا كالطلاق استُحِبَّ أن يُكَفِّر ولا يفعله.[٢]

فيه مسائل:

الأولىٰ: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله، فصرفه إلىٰ غيره شرك.

الثالثة: أنَّ نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

(١) **ضعيف جدًّا**. أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٣)، والنسائي (٧/ ٢٨)، وفي سنده: محمد بن الزبير الحنظلي، وهو متروك، وقد اختلف عليه في إسناد الحديث، وانظر: "الإرواء" (٢٥٨٧).

(٢) **النذر لله أقسام:**

- نذر المعصية، ينعقد وتجب عليه الكفارة علىٰ الصحيح.
- نذر المباح ينعقد، ويجب الوفاء به علىٰ الصحيح.
- نذر المكروه، ينعقد وتستحب له الكفارة، ولا يفعله.
- نذر الطاعة، يجب الوفاء به.
- نذر ما لم يُسَمَّ، كأن يقول: (لله عليَّ نذر)؛ فهذا صح عن ابن عباس رضي الله عنهما، عند ابن أبي شيبة (١٢٣١٣) أنَّ فيه كفارة يمين، وبه قال الجمهور، واستدلوا بحديث عقبة بن عامر في "صحيح مسلم": «**كفارة النذر كفارة يمين**».

ومن أقسام النذر أن ينذر نذرًا لا يطيقه، فقد أفتىٰ ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ فيه كفارة يمين كما في المصدر السابق.

فائدة: النذر لغير الله لا يكون إلا شركًا أكبر؛ لأنه عبادة مع التعظيم، فيعظم به صاحب القبر مثلًا، ويصرف له عبادة.

١٢- بَاب مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ الله

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: بَاب مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ الله.[(١)]

ش/ الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام؛ ولهذا يسمى المستعاذ به: مَعَاذًا وَمَلْجَأً، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، واعتصم واستجار به، والتجأ إليه، وهذا تمثيلٌ، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، [والانطراح][(٢)] بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل أمرٌ لا تحيط به العبارة، قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.[(٣)]

وقال ابن كثير: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير.[(٤)] انتهى.[(٥)]

قلت: وهي من العبادات التي أمر اللهُ تعالى بها عباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ

---

(١) هذا ليس على إطلاقه كما بينه أهل العلم، فمن الاستعاذة بغير الله ما هو جائز، وهو أن يكون في أمر يقدر عليه الْـمُستَعاذ به، ويكون شركًا إذا استغاث واستعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عزوجل. ومن الأدلة على أنه قد يكون جائزًا إذا استعاذ بغير الله فيما يقدر عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "الصحيحين" عندما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفتن قال: «**من وجد ملجأً، أو معاذًا؛ فليعذ به**».

وكذلك في قصة المرأة التي سرقت كما في "مسلم" عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنها عاذت بأم سلمة، وغيرها من الأدلة، فيكون تبويب المصنف على الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، أو كان هذا الشيء يقدر عليه المخلوق، لكنه استعاذ بميت.

(٢) في [ب]: والاطِّراح.

(٣) "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٠٠-٢٠١).

(٤) يقول الشاعر: **يا من ألوذ به فيما أُؤَمِّله ... ومن أعوذ به مما أحاذره**

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيظون عظمًا أنت جابره

هذان البيتان صحيحان في حق الله تعالى، وأما الشاعر فإنه أتى به في حق ملك من الملوك، وكان شيخ الإسلام يدعو به في سجوده.

(٥) من تفسير الاستعاذة من "مقدمة تفسيره".

مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]، وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، [فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شركٌ][1] في العبادة، فمن صرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله؛ فقد جعله شريكًا لله في عبادته، ونازع الربَّ في إلهيته، كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابدًا لغير الله، ولا فرق كما سيأتي تقريره قريبًا إن شاء الله.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾[الجن:٦].

ش/ [قال ابن كثير: [أي][2] كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا مُتَوحِشًا، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون [بعظيم][3] ذلك المكان من الجان أن يصيبهم شيءٌ بسوء][4]، وذلك أنَّ الرجل من العرب كان إذا أمسى بوادٍ قفر، وخاف على نفسه، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. يريد كبير الجن. قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا واديًا يقولون: نعوذ بعظيم هذا الوادي ﴿فَزَادُوهُم رَهَقًا﴾، قال: زادوا الكفار طغيانًا. رواه عبد بن حميد، وابن المنذر.[5]

وقال ابن كثير: لما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم؛ زادوهم رَهَقًا، أي: خوفًا، وإرهابًا، وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذًا بهم. كما قال قتادة:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٢) إضافة من "التفسير".

(٣) في [ب]: (في عظيم)، والمثبت من "التفسير".

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٥) ذكره عنهما السيوطي رحمه الله في "الدر المنثور" تفسير [آية:٦] من سورة الجن، وقد أخرجه ابن جرير في تفسير الآية المذكورة بإسناد صحيح.

[﴿فَزَادُوهُم رَهَقًا﴾، أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة.[١] وقال السدي:][٢] كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أُضر فيه، أو مالي، أو ولدي، أو ماشيتي. قال: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك.[٣] وَذَكَر عن ابن أبي حاتم بسند إلى عكرمة نحو ذلك[٤] .انتهى.

وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.[٥]

وقال مُلَّا علي قاري الحنفي: لا تجوز الاستعاذة بالجن فقد ذم الله الكافرين على ذلك -وذكر الآية- وقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنعام:١٢٨].

فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره، وإخباره بشيءٍ من المغيبات، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه إياه، واستعاذته به، وخضوعه له. انتهى ملخصًا.

قال المصنف: وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك.[٦]

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير الآية المذكورة بإسناد صحيح.

(٢) ما بين المعقوفين إضافة من "التفسير".

(٣) أثر السدي لم أجده مسندًا.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" [آية:٦] من سورة الجن، من طريق: يحيىٰ بن سعيد القطان، عن وهب بن جرير، ثنا أبي، ثنا الزبير بن الخريت، عن عكرمة به، وهذا إسناد صحيح.

(٥) أي: فيما لا يقدر عليه إلا الله كما تقدم.

(٦) المسألة رقم (٥) من "كتاب التوحيد".

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن خَولة بنت حكيم قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التّامَّاتِ**[(١)] **مِنْ شَرِّ مَا خَلَق، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» رواه مسلم.[(٢)]

ش/ هي خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، يقال لها: أم شريك. ويقال: إنها هي الواهبة[(٣)]، وكانت قَبْلُ تحت عثمان بن مظعون.

---

(١) كلمات الله شرعية، وكونية.

۞ فالكلمات الكونية هي التي يقدر بها الشيء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

۞ والكلمات الشرعية هي التي فيها الأخبار، والأوامر... .

«**والتَّامَّات**» إذا كانت الكلمات كونية؛ فيكون معنىٰ التامات: النافذات التي لا يجاوزها أحد، وجاء في بعض الأحاديث الضعيفة: «**أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بَرٌّ ولا فاجر**»، أي: لا يستطيع أحد أن يخرج عن قضاء الله وقدره، ومعنىٰ التامات في حق الكلمات الشرعية أنها تامة لا يلحقها نقص، ولا عيب، وفيها كمال الصدق والعدل، فإذا كان خبرًا؛ فصدقٌ، وإذا كان شرعًا؛ فعدلٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، والاستعاذة بصفات الله تكون من باب التوسل، وليس دعاء للصفة نفسها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، ومنه حديث: «**اللهم، إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**»، فهو دعاء لله وتوسل بصفاته، وأما دعاء الصفة بنفسها؛ فليس بمشروع كما يقول بعضهم: (يا رحمة الله ارحميني، ويا لطف الله الطف بي...)، فهذا غير مشروع؛ لأنَّ الصفة ليست قائمة بنفسها حتىٰ تُدْعَىٰ، وذكر ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن شيخ الإسلام أنَّ هذا من الشرك كما في "المناهي اللفظية" رقم (٢٣)، كما ذكرها بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ في "معجم المناهي اللفظية" (ص٥٧٩)، وكلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ موجود في كتابه "الرد علىٰ البكري" (ص١١٤) ط/ المنهاج، فقد نقل اتفاق المسلمين علىٰ أنه كفر.

ملاحظة: حديث: «**اللهم، برحمتك أستغيث**» بعضهم حسَّنه، وبعضهم ضعفه، لكن علىٰ القول بتحسينه؛ فهو توسل بالصفات، وليس دعاء لها، فقوله: «**اللهم**» هذا دعاء لله تعالىٰ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٣) هذا جاء في حديثٍ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أخرجه البيهقي (٧/ ٥٥)، وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" [آية:٥٠] من سورة الأحزاب من طرق عن منصور بن أبي مزاحم، ثنا أبو سعيد المؤدب محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: التي وهبت =

قال ابن عبد البر: وكانت صالحة فاضلة.

قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات».

شرعَ اللهُ لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلًا عما [كان][1] يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فَشَرعَ اللهُ للمسلمين أن [يستعيذوا][2] بأسمائه وصفاته.

قال القرطبي: قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيبٌ كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه: الشافية الكافية. وقيل: الكلمات هنا هي القرآن؛ فإن الله أخبر عنه بأنه: ﴿هدى وشفاء﴾، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى، ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى؛ كان من باب المندوب إليه، المرغَّب فيه، وعلى هذا فحقُّ المستعيذ بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه.[3]

قال شيخ الإسلام: وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله، وأمر بذلك؛ ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها؛ خشية أن يكون فيها شرك.[4]

وقال ابن القيم: ومن ذبح للشيطان، ودعاه، واستعاذ به، وتقرب إليه بما يحب؛ فقد

= نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم. وهذا إسناد حسن، وهذا لا يعني أنها هي التي وهبت نفسها فقط، بل الواهبات كثيرات، حتىٰ أنزل الله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأحزاب:٥١] الآية.

(١) ساقط من [ب].

(٢) في [ب]: يتعوذوا.

(٣) انظر: "المفهم" (٧/ ٣٦).

(٤) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ٣٣٦).

عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخدامًا، وَصَدَق، هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة؛ فإنَّ الشيطان لا يخضع له، ولا يعبده كما يفعل هُوَ بِهِ.(١)

قوله: «من شر ما خلق».

قال ابن القيم: أي من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره، إِنسيًّا كان، أو جِنِيًّا، أو هامةً، أو دابةً، أو ريحًا، أو صاعقةً، أي [نوع كان](٢) من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة.

و(ما) ههنا موصولة ليس إلا، وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي، والمعنى: من شر [كل مخلوق فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله؛ فإن الجنة، والملائكة، والأنبياء ليس فيهم شر](٣)، والشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه.(٤)

قوله: «لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من منزله ذلك».

قال القرطبي: هذا خبرٌ صحيح، وقولٌ صادق، عَلِمْنَا صدقه دليلًا وتجربةً؛ فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقربٌ بالمهدية ليلًا، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات.(٥)

---

(١) انظر: "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٣٦).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٤) انظر: "بدائع الفوائد" (٢/ ٢١٥)، وقد تصرف المؤلف في كلام ابن القيم رحمه الله.

(٥) انظر: "المفهم" (٧/ ٣٦).

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال علىٰ ذلك بالحديث؛ لأنَّ العلماء يستدلون به علىٰ أنَّ كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأنَّ الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أنَّ كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كفِّ شرٍّ، أو جلب نفعٍ، لا يدل علىٰ أنه ليس من الشرك.

١٣- باب مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللّه أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ الله أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ.[(١)]

ش/ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستغاثة هي طلب الغَوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون.[(٢)]

وقال غيره: الفرق بين الاستغاثة والدعاء أنَّ الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فَعَطْفُ الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة،[(٣)] فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة.

وقوله: أو يدعو غيره.

اعلم أنَّ الدعاء نوعان: دعاءُ عبادة ودعاءُ مسألة،[(٤)] ويُراد به في القرآن هذا تارة وهذا

---

(١) الدعاء يشمل الاستعاذة، والاستغاثة، والاستنصار؛ لأنه طلب شيء، وأما الاستغاثة فلا تكون إلا لمن قد وقع في مكروب، والاستعاذة تكون في حق من يطلب دفع المكروب قبل أن يقع به.

(٢) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ١٠٣).

(٣) المادة التي يجتمع فيها الاستغاثة والدعاء هي طلب إزالة المكروب بعد وقوعه، وينفرد الدعاء عند أن يطلب خيرًا، أو يطلب دفع شر لم يقع به، إذًا كل استغاثة دعاء، ولا عكس.

(٤) دعاء العبادة هو الذكر، والعبادات الأخرىٰ كالصلاة، والحج، والصيام، والزكاة...، وهذه العبادات متضمنة للدعاء؛ لأنَّ الفاعل لها يطلب بفعله مغفرة الله، ورحمته، ورضاه. ودعاء المسألة هو التلفظ بالسؤال، كقولك: اللهم اغفر لي. اللهم ارحمني. ودعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة؛ لما فيه من التذلل، والخضوع عند طلبه، وهذا كله دعاء عبادة. ودعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة، بل يتضمنه؛ لأن فعلك للطاعات والعبادات فيه طلب المغفرة، والرضوان، والرحمة، وأن يدخلك الله الجنة، ويبعدك عن النار، وهذ كله من دعاء المسألة، هذا هو خلاصة كلام شيخ الإسلام الذي سيأتي.

تارة، ويُراد به مجموعها.

فدعاء المسألة هو: طلب ما ينفع الداعي من جلب نفعٍ أو كشف ضُرٍّ؛ ولهذا أنكر الله على من يدعو أحدًا من دونه ممن لا يملك ضرًّا ولا نفعًا، كقوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٦]، وقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١]، وقال: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦].

قال شيخ الإسلام: فكلُّ دعاءِ عبادة مستلزمٌ لدعاء المسألة، وكل دعاءِ مسألة متضمنٌ لدعاء العبادة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ الله أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ الله تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠-٤١]، وقال: ﴿وَأَنَّ الْـمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد:١٤]، وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسألة أكثر من أن يُحصر، وهو يتضمن دعاء العبادة؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك الذاكر لله والتالي لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى؛ فيكون داعيًا عابدًا.[1]

فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام أنَّ دعاء العبادة مستلزمٌ لدعاء المسألة، كما أن دعاء

(١) انظره بنحوه في "مجموع الفتاوى" (١٥/ ١٠-١١).

المسألة متضمنٌ لدعاء العبادة، وقد قال الله عن خليله [إبراهيم عليه السلام][1]: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨-٤٩].

فصار الدعاء من أنواع العبادة؛ فإن قوله: ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾، [كقول زكريا][2]: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم:٤].

وقد أمر الله تعالى [به][3] في مواضع من كتابه كقوله: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْـمُعْتَدِينَ * وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْـمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]، وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فإن الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل، وغير ذلك.

وضابط هذا: أنَّ كلَّ أمرٍ شَرَعَهُ اللهُ لعباده، وأمرهم به؛ فَفِعْلُه لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيئًا لغير الله؛ فهو مشركٌ مصادمٌ لما بعث الله به رسوله من قوله: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾[الزمر:١٤]، وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام في "الرسالة السنية": فإذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام لأسباب منها: الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح عليه السلام، فكل من غلا في نبيٍّ، أو رجلٍ صالحٍ، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: (يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في

(١) ساقط من [ب].
(٢) في [أ]: (كقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾) فذكر الآيات.
(٣) ساقط من [ب].

حسبك)، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شركٌ وضلالٌ يُستتاب صاحبه؛ فإنْ تاب وإلا قُتِل؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل [الكتب][(١)]؛ لِيُعْبَد وحده لا شريك له، ولا يُدعى معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة آخرى مثل المسيح، والملائكة، والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله﴾ [يونس:١٨]، فبعث اللهُ سبحانه رسلَه تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استعانة. انتهى.[(٢)]

وقال أيضًا: من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم، ويدعوهم، ويسألهم؛ كفر إجماعًا.

نقله عنه صاحب "الفروع"، وصاحب "الإنصاف"، وصاحب "الإقناع"، وغيرهم[(٣)]، [وذكره في مسألة الوسائط[(٤)]، ونقلته عنه في الرد على ابن جرجيس][(٥)].

وقال ابن القيم رحمه الله: ومن أنواعه -أي: الشرك- طلبُ الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم؛ فإنَّ الميتَ قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا فضلًا لمن استغاث [به][(٦)]، أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده.[(٧)] وسيأتي تتمة كلامه في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

---

(١) في [أ]: الكتاب.

(٢) من "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٣٨٣، ٣٩٥).

(٣) انظر: "الفروع" (٦/ ١٦٥)، "الإنصاف" (١٠/ ٢٨٤)، "كشاف القناع علىٰ متن الإقناع" (٦/ ١٦٨).

(٤) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ١٢٤).

(٥) ساقط من [أ].

(٦) ساقط من [أ].

(٧) انظر "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٦).

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي -في رده على السبكي في قوله: إن المبالغة في تعظيمه، أي: الرسول ﷺ واجبة-: إن أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيمًا حتى الحج إلى قبره، والسجود له، والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يُعْطِي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائجَ السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك، وانسلاخ من جملة الدين.[١]

وفي "الفتاوى البزازية"[٢] من كتب الحنفية: قال علماؤنا: من قال: (أرواح المشائخ حاضرة تَعلم) يكفر.

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في كتابه في الرد على من ادعى [أن][٣] للأولياء تصرفات في الحياة وبعد المات على سبيل الكرامة: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يَدَّعُون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهممهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أنَّ ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدالٌ، ونقباء، وأوتاد، ونجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس[٤]، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

---

(١) انظر: آخر "الصارم المنكي" (ص٤٦٤).

(٢) مؤلفها هو: حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب الكردي، توفي سنة (٨٢٧). "كشف الظنون" (١/ ٢٤٢).

(٣) ساقط من [أ].

(٤) أما الأبدال عند الصوفية فهم سبعة رجال إذا سافر أحدهم من موضعه ترك جسدًا بصورته يعمل بأعماله فلا يعرف أحد أنه سافر، والنقباء عندهم هم: الذي أشرفوا علىٰ بواطن الناس، فاستخرجوا خفايا الضمائر. والأوتاد هم: أربعة رجال منازلهم علىٰ منازل الأربعة الأركان من العالم شرق=

قال: وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي؛ لِـمَا فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْـمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

ثم قال: فأما قولهم: (إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات) فيرده قوله تعالى: ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ الله﴾ ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ ﴿لله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ونحوه من الآيات الدالة على أنه المتفرد بالخلق، والتدبير، والتصرف، والتقدير، ولا شيء لغيره في شيءٍ مَّا بوجهٍ من الوجوه؛ فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا، وملكًا، وإحياءً، وإماتةً، وخلقًا، وتمدح الرب تبارك وتعالى [بانفراده][1] بملكه في آيات من كتابه كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله﴾ [فاطر:٣] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[فاطر:١٣].

وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قال: فقوله: في الآيات كلها ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، أي: من غيره؛ فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده؛ فإنَّ من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره؟

إلى أن قال: فكيف يتصور لغيره من ممكن أن يتصرف؟! إنَّ هذا لقولٌ وخيم، وشركٌ عظيم.

إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات؛ فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال جل ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠] ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ

= وغرب وشمال وجنوب. والنجباء عندهم هم: الأربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق، وهي من حيث الجملة: كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله. والقطب عندهم -ويسمىٰ غوثًا- هو: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، وهو يسري في الكون، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد. انظر: "تعريفات الجرجاني" (ص ٣٩، ٤٣، ١٧٧، ٢٣٩، ٢٤٥).

(١) ساقط من النسختين، وأضفناه من كتاب الحنفي "سيف الله علىٰ من كذب علىٰ أولياء الله" (ص٢٩).

مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْـمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»[1] الحديث، فجميع ذلك وما هو نحوه دالٌّ على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأنَّ أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل ذلك [على][2] أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلًا عن غيره، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟ فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إنَّ الأرواح مطلقة متصرفة: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ [البقرة:١٤٠].

قال: وأما [اعتقادهم][3] أن هذه التصرفات لهم من الكرامات؛ فهو من المغالطة؛ لأن الكرامةَ شيءٌ من عند الله يُكْرِم بها أولياءه، لا قصد لهم فيه، ولا تحدي، ولا قدرة، ولا علم، كما في قصة مريم بنت عمران، وأُسيد بن حضير، وأبي مسلم الخولاني.[4]

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «**إذا مات الإنسان...**».

(٢) ساقط من [أ].

(٣) في [أ]: اعتقاد.

(٤) مريم ابنة عمران كانت ترزق ويأتيها رزقها إلىٰ مكانها، قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

أُسيد بن حضير له قصتان في كرامته:

الأولى: أنه كان يقرأ بسورة الكهف، فنزلت الملائكة تستمع قراءته، فلما انقطع ارتفعت الملائكة، والحديث في "الصحيحين"، أخرجه البخاري برقم (٥٠١٨)، ومسلم برقم (٧٩٦)، وهو عند البخاري معلقًا.

الثانية: في "البخاري" برقم (٣٨٠٥)، وهي أنه خرج مع عباد بن بشر من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، فأصبح بين يديهما مثل المصباح يمشيان به، فلما تفرقا صار مع كل واحد مثل مصباح حتىٰ أتىٰ أهله.

وأما أبو مسلم الخولاني فقصته مشهورة، وهي أن الأسود العنسي رماه في النار، فلم يحترق، ثم عندما عجز عنه نفاه من صنعاء، فذهب إلىٰ المدينة، وأخبر به عمر ﷺ، فقال: الحمد لله الذي جعل من أمة محمد كإبراهيم عليه الصلاة والسلام. وهذه القصة فيها ضعفٌ، ففي إسنادها من فيه ضعف، وهو شرحبيل بن مسلم، فمنهم من حسَّن له، ومنهم من ضعفه، لكن شرحبيل بن مسلم =

قال: وأما قولهم (فيستغاث بهم في الشدائد) فهذا أقبح مما قبله، وأبدع؛ لمصادمته قوله جل ذكره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله﴾ [النمل:٦٢] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[الأنعام:٦٣].

وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قال: فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر، القادر على إيصال الخير؛ فهو المنفرد بذلك، فإذا تَعَيَّن هو -جل ذكره- خرج غيره من ملك، ونبي، وولي.

قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية[(١)] من الأمور الحسية في قتال، أو إدراك عدو، أو سبع أو نحوه، كقولهم: (يا لزيد، يا للمسلمين) بحسب [الأسباب][(٢)] الظاهرة بالفعل.

وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض، وخوف الغرق، والضيق، والفقر، وطلب الرزق ونحوه، فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره.

قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب، والصوفية الجهال، وينادونهم، ويستنجدون بهم؛ فهذا من المنكرات؛ فمن اعتقد أنَّ لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة، أو قضاء حاجة تأثيرًا؛ فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا حفرة من السعير، وأما كونهم مستدلين على أنَّ ذلك

= يروي القصة مرسلةً؛ فإنه لم يحضرها، والقصة أخرجها اللالكائي في "كرامات الأولياء" (ص١٨١)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢٧/ ٢٠١).

(١) يعني الاستغاثة بالمخلوقين فيما يقدرون عليه بمباشرة أسبابه، والدليل علىٰ جوازها في هذه الأحوال قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[القصص:١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢].

(٢) في النسختين: (الأفعال)، والمثبت من كتاب "سيف الله" (ص٤٠).

منهم كرامات، فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة، فهذا ظن أهل الأوثان، كذا أخبر الرحمن: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله﴾[يونس:١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ﴾ [يس:٢٣]؛ فإنَّ ذِكْرَ ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي، وولي وغيره على وجه الإمداد منه: إشراكٌ مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره.

قال: وأما ما قالوه: (إن منهم أبدالًا، ونقباء، وأوتادًا، ونجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس)، فهذا من موضوعات إفكهم، كما ذكره القاضي المحدث [أبو بكر بن العربي][1] في "سراج المريدين"، وابن الجوزي، وابن تيمية. انتهى باختصار.[2]

والمقصود: أنَّ أهلَ العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور الشركية التي عَمَّت بها البلوى، واعتقدها أهلُ الأهواء، فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية؛ لطال الكتاب، والبصير النبيل يدرك الحق من أول دليل، ومن قال قولًا بلا برهان؛ فقوله ظاهر البطلان، مخالف ما عليه أهل الحق والإيمان، المتمسكون بمحكم القرآن، المستجيبون لداعي الحق والإيمان، والله المستعان، وعليه التكلان.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) من كتابه "سيف الله على من كذب على أولياء الله" (ص١٥-٦٥).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٦-١٠٧].

ش/ قال ابن عطية: معناه (قيل لي: ولا تدع)، فهو [عطف][1] على أقم، وهذا الأمر والمخاطبة للنبي ﷺ إذا كانت هكذا، فأحرى أن يتحذر من ذلك غيره، والخطاب خرج مخرج الخصوص، وهو عام للأمة.

قال أبو جعفر بن جرير في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة، يقول: لا تعبدها راجيًا نفعها، أو خائفًا ضرها؛ فإنها لا تنفع ولا تضر؛ فإنْ فعلت ذلك، فدعوتها من دون الله؛ فإنك إذًا من الظالمين، يقول: من المشركين بالله.

قلت: وهذه الآية لها نظائر كقوله: ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[الشعراء:٢١٣]، وقوله: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[القصص:٨٨]، ففي هذه الآيات بيان أن كل مدعو يكون إلها والإلهية حق لله لا يصلح منها شيء لغيره؛ ولهذا قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[الحج:٦٢]، وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة:٥] الآية.

والدين: كل ما يُدان اللهُ به من العبادات الظاهرة والباطنة، وفسره ابن جرير في "تفسيره" بالدعاء، وهو فرد من أفراد العبادة، على عادة السلف في التفسير يفسرون الآية ببعض أفراد معناها فمن صرف منها شيئًا لقبرٍ، أو صنمٍ، أو وَثَنٍ، أو غير ذلك؛ فقد اتخذه

(١) في [ب]: معطوف.

معبودًا، وجعله شريكًا لله في الإلهية التي لا يستحقها إلا هو كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٨]، فتبين بهذه الآية ونحوها أن دعوة غير الله كفر وشرك وضلال.

وقولهُ: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[يونس:١٠٧]؛ فإنه المتفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده؛ فإن العبادة لا تصلح إلا لمالكِ النفع [والضر] (١)، ولا يملك ذلك، ولا شيئًا منه غيره، فهو المستحق للعبادة وحده دون من لا يضر ولا ينفع.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْـمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]، وقال: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]، فهذا ما أخبر به [الله] (٢) تعالى في كتابه من تفرده بالإلهية والربوبية، [ونصب الأدلة على ذلك] (٣)، فاعتقد عُبَّادُ القبور والمشاهد نقيض ما أخبر به الله، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره بسؤالهم، والالتجاء إليهم بالرغبة، والرهبة، والتضرع، وغير ذلك من [العبادات] (٤) التي لا يستحقها إلا الله، واتخذوهم شركاء لله في ربوبيته وإلهيته، وهذا فوق شرك كفار العرب القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله﴾[يونس:٨١]؛ فإن

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) في [ب]: أنواع العبادة.

أولئك يدعونهم ليشفعوا لهم، ويقربوهم إلى الله، وكانوا يقولون في تلبيتهم:

لبيك لا شريك لك إلا شريكا هـو لك

تـملكه وما ملك(١)

وأما هؤلاء المشركون فاعتقدوا في أهل القبور وفي المشاهد ما هو أعظم من ذلك، فجعلوا لهم نصيبًا من التصرف والتدبير، وجعلوهم معاذًا لهم وملاذًا في الرغبات والرهبات ﴿سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الطور:٤٣].

وقولهُ: ﴿وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

أي: لمن تاب إليه.

قال المصنف رحمه الله: وقوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [العنكبوت:١٧].

ش/ يأمر تعالى عبادَه بابتغاء الرزق عنده وحده دون ما سواه ممن لا يملك لهم رزقًا من السماوات والأرض شيئًا، فتقديم الظرف يفيد الاختصاص.

وقولهُ: ﴿وَاعْبُدُوه﴾ من عطف العام على الخاص؛ فإنَّ ابتغاء الرزق عنده من العبادة التي أمر بها.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ الله الرِّزْقَ﴾، أي: لا عند غيره؛ لأنه المالك له، وغيره لا يملك شيئًا من ذلك ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾، أي: أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾، أي: على ما أنعم عليكم، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي: فيجازي كلَّ عامل بعمله.

(١) جاء ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في "صحيح مسلم" (١١٨٥).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَـهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾[الأحقاف:٥-٦].

ش/ فنفى سبحانه أن يكون أحد أضل ممن يدعو غيره، وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة، والآية تعم كل من يُدعى من دون الله، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا﴾[الإسراء:٥٦]، وفي هذه الآية أخبر أنه لا يستجيب، وأنه غافل عن داعيه ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[الأحقاف:٦]، فتناولت الآية كل داع وكل مدعو من دون الله.

قال أبو جعفر بن جرير في قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾: يقول تعالى ذكره: وإذا جُمع الناس ليوم القيامة في موقف الحساب؛ كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء؛ لأنهم يتبرأون منهم ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين؛ لأنهم يقولون يوم القيامة: ما [أمرناهم][1] بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُورًا﴾ [الفرقان:١٧-١٨].

قال ابن جرير: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله﴾ من الملائكة، والإنس، والجن.

وساق بسنده عن مجاهد قال: عيسى، وعزير، والملائكة.[2]

---

(١) في [ب]: أمرنا.

(٢) الأثر سنده صحيح. ذكره ابن جرير عند تفسير [الآية:١٧] من سورة الفرقان.

ثم قال: يقول تعالى ذكره قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيهًا لك يا ربنا، مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ نواليهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾[سبأ:٤١]. انتهى.

قلت: وأكثر ما يُستعمل الدعاء في الكتاب، والسنة، واللغة، ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء: في السؤال والطلب، كما قال العلماء من أهل اللغة وغيرهم: الصلاة لغة الدعاء. وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٣-١٤]، وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام:٦٣]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس:١٢]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[فصلت:٥١]، وقال: ﴿لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩]، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وفي حديث أنس مرفوعًا: «**الدعاء مخ العبادة**».(١)

وفي الحديث الصحيح: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**».(٢)

---

(١) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٣٣٧١)، وفيه: ابن لهيعة، والثابت هو حديث: «**الدعاء هو العبادة**»، وهو حديث النعمان بن بشير ﵄، أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٦/ ٤٥٠)، والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وإسناده صحيح.

(٢) وتمامه: «**فإن الله تعالىٰ لا يستجيب ممن يدعو بقلب غافل لاهٍ**».

❁ الحديث أخرجه الترمذي (٧٩)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وغيرهما من حديث أبي هريرة ﵁، وفي سنده: صالح المرِّي، وكان من العُبَّاد، وتركه جماعةٌ من الحفاظ.

❁ وله شاهد من حديث ابن عمرو ﵄ عند أحمد (٢/ ١٧٧)، وهو أحسن حالًا من حديث أبي هريرة ﵁، ولكنه ضعيف، فيه: ابن لهيعة.

❁ وله شاهدٌ آخر عند الطبراني كما في "مجمع الزوائد" (١٠/ ١٤٨) من حديث عبدالله بن عمر ﵄، ولكنه شديد الضعف، فيه: بشير بن ميمون متروك؛ فالحديث ضعيف، والله أعلم.

وفي آخَر: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**».(١)

وحديث: «**ليس شيء أكرم علىٰ اللهِ من الدعاء**» رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه.(٢)

وقوله: «**الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض**» رواه الحاكم وصححه.(٣)

وقوله: «**سلوا الله كل شيء حتىٰ الشسع إذا انقطع**» الحديث.(٤)

---

(١) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة ﵁، وفي سنده: أبو صالح الخوزي، وفيه ضعف.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وابن حبان (٨٧٠)، والحاكم (١/ ٤٩٠)، من حديث أبي هريرة ﵁، وفي إسناده: عمران القطان، وفيه ضعف.

(٣) **ضعيف جدًّا**. أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٢)، وأبو يعلىٰ (٤٣٩) من حديث علي ﵁، وفي سنده: محمد ابن الحسن بن أبي يزيد، متروك، وكذبه بعض الحفاظ؛ ولذا فإن بعضهم حكم عليه بالوضع، وهو في "السلسلة الضعيفة" (١٧٩)، وفيه انقطاع؛ لأنَّ عليَّ بن الحسين يرويه عن جدِّه علي ﵁، ولم يدركه.

(٤) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٣٦٠٤) (٨)، وأبو يعلىٰ (٣٤٠٣)، وابن السني (٣٥٥)، وابن حبان (٨٦٦) (٨٩٤) (٨٩٥) من طريق: قَطَن بن نسير عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس ﵁، وقطن بن نسير ضعفه أبو زرعة، وقال ابن عدي: يسرق الحديث ويوصله.

❁ وهذا الحديث قد رواه القواريري كما في "الكامل" لابن عدي (٦/ ٢٠٧٦)، وصالح بن عبدالله الباهلي كما في "سنن الترمذي" (٣٦٠٤) (٩) عن جعفر بن سليمان، عن ثابت مرسلًا، وقال القواريري عند أن ذكر له رواية الوصل: باطل.

❁ وقد توبع قطن علىٰ رواية الوصل، تابعه: سيار بن حاتم كما في "كشف الأستار" (٣١٣٥)، وسيار ضعيف، ويُخشىٰ أن يكون قطن أخذه منه، وانظر "الضعيفة" (١٣٦٢).

❁ ورواه أبو يعلىٰ (٤٥٦٠)، ومن طريقه رواه ابن السُّنِّي (٣٥٦) عن محمد بن عبدالله بن نمير، قال: حدثنا هاشم بن القاسم، عن محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂ موقوفًا، وسنده حسن بدون قوله: «**إذا انقطع**»، وفيه زيادة: «**فإنَّ الله إن لم ييسره لم يتيسر**».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أفضل العبادة الدعاء، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] الآية رواه ابن المنذر والحاكم وصححه.[١]

وحديث: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان**» الحديث.[٢]

وحديث: «**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**».[٣]

وأمثال هذا في الكتاب والسنة أكثر من أن يُحصى في الدعاء الذي هو السؤال والطلب، فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة؛ فقد صادم النصوص، وخالف اللغة، واستعمال الأمة سلفًا وخلفًا.

وأما ما تقدم من كلام شيخ الإسلام وتبعه العلامة ابن القيم من أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة، وما ذكر بينهما من التلازم، وَتَضَمُّن أحدهما للآخر؛ فذلك باعتبار كون الذاكر، والتالي، والمصلي، والمتقرب بالنسك وغيره طالبًا في المعنى، فيدخل في مسمى الدعاء بهذا الاعتبار، وقد شرع الله في الصلاة الشرعية من دعاء المسألة ما لا تصح الصلاة إلا به كما في الفاتحة، وبين السجدتين، وفي التشهد، وذلك عبادة كالركوع،

---

(١) حسن. أخرجه الحاكم (١/ ٤٩١)، وله طريقان في كليهما ضعف، وحسنه الألباني رحمه الله بمجموعهما في "الصحيحة" برقم (١٥٧٩)، فطريقٌ فيها عنعنة حبيب بن أبي ثابت، وهو مدلس، والطريق الثانية فيها أبو يحيىٰ القتَّات، ضعيف.

(٢) حسن. أخرجه أحمد (٣/ ١٥٨)، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وابن حبان (٨٩٣)، والحاكم (١/ ٥٠٣-)، من طرق عن خلف بن خليفة قال: حدثنا حفص بن عمر، عن أنس به. وقد حسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" برقم (١٠١).

(٣) صحيح. أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٦٠)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٨٠٥٨)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، والحاكم (١/ ٥٠٤)، وابن حبان (٨٩٢)، من طرق عن مالك بن مغول، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، وهذا إسناد صحيح، وقد صححه شيخنا العلامة الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" رقم (١٥٢).

والسجود، فتدبر هذا المقام يتبين لك جهل الجاهلين بالتوحيد.

ومما يبين هذا المقام ويزيده إيضاحًا قول العلامة [ابن القيم][(١)] رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الإسراء:١١٠]: هذا الدعاء المشهور أنه دعاء المسألة.

قالوا: كان النبي ﷺ يدعو ربه ويقول مرة: «**يا الله**»، ومرة: «**يا رحمن**»، فظنَّ المشركون أنه يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية، ذكر هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.[(٢)]

وقيل: إنَّ هذا الدعاء هنا بمعنى التسمية، والمعنى: أي اسم سميتموه به من أسماء الله تعالى، إما (الله) وإما (الرحمن)، فله الأسماء الحسنى، [وهذا][(٣)] من لوازم المعنى في الآية، وليس هو عين المراد، بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطَّرِد في القرآن، وهو دعاء السؤال، ودعاء الثناء.

ثم قال: إذا عرف هذا، فقوله تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[الأعراف:٥٥] يتناول نَوْعَي الدعاء، لكنه ظاهر في دعاء المسألة، متضمن لدعاء العبادة؛ ولهذا أمر بإخفائه، قال الحسن: بين دعاء السر ودعاء العلانية سبعون ضِعْفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولم يُسمع لهم صوت إنْ كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم.[(٤)] وقوله تعالى:

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه ابن جرير عند تفسير [آية:١١٠] من سورة الإسراء، وفي سنده: محمد بن كثير الصنعاني، وحسين بن داود الملقب بـ(سنيد)، وكلاهما ضعيف.

(٣) في [ب]: (وهذا هو).

(٤) أخرج ابن جرير بعضه –أعني قوله: ولقد كان المسلمون...إلخ– عند تفسير آية الأعراف [٥٥]، وابن المبارك في "الزهد" رقم (١٤٠) من طريق: المبارك بن فضالة، يرويه عن الحسن، وقد عنعن، وهو مدلس، وفيه ضعف. وأخرج أوله معمر في "جامعه" من "مصنف عبدالرزاق" (١٠/ ٤٤٢)، قال: حدثني من سمع الحسن يقول: ...، فهذا يدل علىٰ أن رجلًا مبهمًا حدثه بذلك؛ فالأثر ضعيف. =

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦] يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية، قيل: أعطيه إذا سألني. وقيل: أثيبه إذا عبدني. وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعمال في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا، وهذا يأتي في مسألة الصلاة، وأنها [هل][١] نُقلت عن مسماها في اللغة، وصارت حقيقة شرعية، [أو استُعملت][٢] في هذه العبادة مجازًا؛ للعلاقة بينها وبين المسمى اللغوي، أو هي باقية على الوضع اللغوي، وضم إليها أركان وشرائط؛ وعلى ما قررناه: لا حاجة إلى شيء من ذلك؛ فإنَّ المصلي من أول صلاته إلى آخرها لا ينفك عن دعاءٍ: إما دعاء عبادة وثناء، أو دعاء طلب ومسألة، وهو في الحالين داعٍ.انتهى من "البدائع"[٣][ملخصًا].[٤]

= ولفظه عند عبدالرزاق: «دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية».

(١) ساقط من النسختين، وأثبتناه من "البدائع" (٣/ ٦).

(٢) في النسختين: (واستعملت)، والمثبت من "البدائع" (٣/ ٦).

(٣) انظر: "بدائع الفوائد" (٣/ ٥-٦).

(٤) ساقط من [ب].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ**﴾[النمل:٦٢].

ش/ يُبَيِّنَ تعالى أنَّ المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده، فذكر [ذلك][(١)] سبحانه مُحتَجًّا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه؛ ولهذا قال ﴿أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ﴾ يعني: يفعل ذلك.

فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار؛ فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء وحده، وهذا أصح ما فُسِّرت به الآية كسابقها من قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[النمل:٦٠] إلى قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١]، ولاحقها إلى قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:٦٤].

فتأمل هذه الآيات يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة جميعها عليه كما في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال أبو جعفر بن جرير [في][(٢)] قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْـمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ إلى قوله: ﴿قَلِيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول تعالى: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف [السوء][(٣)] النازل به عنه؟ قوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾ يقول: يستخلف بعد أمواتكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم، وقوله: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ أإله سواه يفعل هذه الأشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم؟ وقوله: ﴿قَلِيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول: تذكرًا قليلًا من عظمة الله وأياديه عندكم، تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرًا؛ فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

---

(١) ساقط من [ب].
(٢) ساقط من [ب].
(٣) ساقط من [ب].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وروىٰ الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ**»[(١)].

ش/ الطبراني: هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها، روى عن النسائي، وإسحاق بن إبراهيم الدبري، وخلقٍ كثير، مات سنة ستين وثلثمائة، روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين. لم أقف على اسم هذا المنافق.

[**قلت**: هو عبد الله بن أبي كما صرح به ابن أبي حاتم في روايته[(٢)]][(٣)].

قوله: فقال بعضهم.

أي: الصحابة [هو أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ][(٤)][(٥)].

قوله: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق.

لأنه ﷺ كان يقدر على كف أذاه.

قوله: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**».

فيه: النص على أنه لا يُستغاث بالنبي ﷺ، ولا من دونه، كره ﷺ أن يُستعمل هذا

(١) **ضعيف**. رواه الطبراني كما في "مجمع الزوائد" (١٠/ ١٥٩) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: ابن لهيعة، وأخرجه أيضًا أحمد (٥/ ٣١٧)، وابن سعد (١/ ٣٨٧)، وفيه مع ابن لهيعة رجلٌ مبهم، ولفظهما: «**إنه لا يُقام لي، وإنما يقام لله**».

(٢) لم أقف علىٰ هذه الرواية.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) ساقط من المخطوطتين، وأثبتناه من المطبوع للفائدة.

(٥) هذه التسمية جاءت في رواية ابن سعد التي أشرنا إليها.

اللفظ في حَقِّه وإن كان فيما يقدر عليه في حياته؛ حماية لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، وأدبًا، وتواضعًا لربه، وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال.(١)

فإذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته فكيف يجوز أن يُستغاث به بعد وفاته، ويطلب منه أمورٌ لا يقدر عليها إلا الله؟! كما جرى على ألسنة كثير من الشعراء كالبوصيري(٢)، والبرعي(٣) وغيرهم، من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضَرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء، الذي له الخلق والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيره، ولا رب سواه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ [الأعراف:١٨٨]، في مواضع من القرآن، ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١]، فأعرض هؤلاء عن القرآن، واعتقدوا نقيض ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات.

وتبعهم على ذلك الضلال الخلقُ الكثير، والجم الغفير، فاعتقدوا الشركَ بالله دينًا، والهدى ضلالًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فما أعظمها من مصيبة عمت بها البلوى، فعاندوا أهلَ التوحيد، وبدعوا أهل التجريد، فالله المستعان.

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١/ ١١٠): إنما أراد به النبي ﷺ المعنىٰ الثاني: وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وإلا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء، ويستسقون به.اهـ

(٢) هو محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ، ولد سنة (٦٦٨)، وتوفي سنة (٦٩٥)، وهو صوفي ضال، له ديوان "البردة"، وفيه استغاثة بغير الله، وغلو في الأولياء. "الشذرات" (٧/ ٧٥٣-).

(٣) هو عبدالرحيم بن أحمد بن علي البرعي، شاعر متصوف، له ديوان في الشعر فيه ضلالات، وغلو في الأنبياء والأولياء، توفي سنة (٨٠٣). "الأعلام" للزركلي (٣/ ٣٤٣).

فيه مسائل:

الأولىٰ: أنَّ عطف الدعاء علىٰ الاستغاثة من عطف العام علىٰ الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾.

الثالثة: أنَّ هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أنَّ أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أنَّ طلب الرزق لا ينبغي إلا من اللهِ، كما أنَّ الجنة لا تُطلب إلا منه

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أنَّ تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفىٰ ﷺ حمىٰ التوحيد، والتأدب مع الله.

١٤- باب قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

قال المصنف رحمه الله: باب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: **﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾** [الأعراف:١٩١-١٩٢].

ش/ قوله: **﴿أَيُشْرِكُونَ﴾**.

أي: في العبادة، قال المفسرون في هذه الآية: هذا توبيخٌ وتعنيفٌ للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئًا، وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه، ولا نصر نفسه؟.

وهذا برهانٌ ظاهرٌ على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كل مخلوق، حتى الملائكة، والأنبياء، والصالحين.

وأشرف الخلق محمد ﷺ، وقد كان يستنصر ربه على المشركين، ويقول: «**اللهم، أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل**»[(١)].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾[الفرقان:٣].

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٦٠٤)، وأحمد (٣/ ١٨٤)، وابن حبان (٤٧٦١)، من طرق عن المثنىٰ بن سعيد، عن قتادة، عن أنس به، واللفظ لأبي داود، وليس عند الباقين: «**بك أحول، وبك أصول**»، وإسناده صحيح.

وقوله: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن:٢١-٢٣].

فكفى بهذه الآيات برهانًا على بطلان دعوة غير الله كائنًا من كان؛ فإنْ كان نبيًّا، أو صالحًا؛ فقد شَرَّفَه اللهُ تعالى بإخلاص العبادة له، والرضا به ربًّا، ومعبودًا، فكيف يجوز أن يجعل العابد معبودًا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[يوسف:٤٠].

فقد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده، ونهاهم أن يعبدوا معه غيره، وهذا هو دينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لعباده، وهو الإسلام، كما روى البخاري عن أبي هريرة في سؤال جبريل عليه السلام قال: «**يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» الحديث.[(١)]

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٩).

قال المصنف رحمه الله: وقوله: **﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾**[فاطر:١٣].

ش/ يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة، والأنبياء، والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي: الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة؛ بطلت دعوته، فكيف إذا عدمت بالكلية؟

فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والحسن، وقتادة: القطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر،[1] كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل:٧٣]، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ الله لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢].

(١) أثر ابن عباس رضي الله عنهما حسن بمجموع طرقه، وهو عند ابن جرير عند تفسير الآية[١٣] من سورة فاطر، وله عنده ثلاث طرق: طريق فيها مبهم، وطريق فيها عبدالله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس، وطريق مسلسلة بالعوفيين، وهم ضعفاء، ثم وجدت له طريقًا رابعة، أخرجه سعيد بن منصور من طريق: عكرمة عنه، كما في "فتح الباري" شرح سورة فاطر من كتاب التفسير.

❁ أثر مجاهد صحيح، وهو عند ابن جرير عند تفسير الآية المذكورة.

❁ أثر قتادة أخرجه ابن جرير عند تفسير الآية المذكورة وهو صحيح.

❁ أثر عطاء أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور"، وأما أثر الحسن، وعكرمة فذكرهما ابن كثير في "تفسيره" ولم أجدهما مسندين.

ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾[فاطر:١٤]؛ لأنهم ما بين ميت وغائب عنهم مشتغل بما خلق له، مسخر بما أمر به كالملائكة، ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾[فاطر:١٤]؛ لأن ذلك ليس إليهم؛ فإنَّ الله تعالى لم يأذن لأحد من عباده في دعاء أحد منهم، لا استقلالًا، ولا واسطةً كما تقدم بعض أدلة ذلك.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

فتبين بهذا أن دعوة غير الله شرك.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[مريم:٨١-٨٢].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

قال ابن كثير: يتبرؤون منكم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

قال: وقوله: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور، ومآلها، وما تصير إليه مثل خبير بها، قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى؛ فإنه أخبره بالواقع لا محالة.[(١)]

قلت: والمشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم، فقالوا: تملك، وتسمع، وتستجيب، وتشفع لمن دعاها، ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أنَّ كلَّ معبود يعادي عابدَه يوم القيامة، ويتبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ

(١) أخرجه ابن جرير عند تفسير الآية[١٣] من سورة فاطر بمعناه بإسناد صحيح.

أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٢٨-٣٠].

أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قال مجاهد: ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾، قال: يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله.[(١)]

فالكيس يستقبل هذه الآيات التي هي الحجة، والنور، والبرهان بالإيمان والقبول والعمل، فيجرد أعماله لله وحده دون كل ماسواه ممن لا يملك لنفسه نفعًا، ولا دفعًا، فضلًا عن غيره.

---

(١) **صحيح**. أخرجه ابن جرير في تفسير سورة يونس آية[٢٩] عن مجاهد من عدة طرق، وأما طريق ابن جريج عن مجاهد ففيها ضعف؛ فإنَّ ابن جريج لم يصرح بالسماع، وفيه: حسين بن داود فيه ضعف، لكن له سند آخر عند ابن جرير، وهو صحيح.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفي "الصحيح"، عن أنسٍ، قال: شُجَّ النبي ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، و كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فقال: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟**»، فنزلت: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران:١٢٨].

ش/ قوله: في "الصحيح".

أي: "الصحيحين" علقه البخاري، عن حميد، وعن ثابت، عن أنس.

ووصله أحمد، والترمذي، والنسائي عن حُميد عن أنس[(١)] [به][(٢)]، ووصله مسلم عن ثابت عن أنس.[(٣)]

وقال ابن إسحاق في "المغازي": [حدثنا][(٤)] حميد الطويل عن أنس، قال: كُسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم، وهو يقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلىٰ ربهم؟**»، فأنزل الله الآية.[(٥)]

قوله: شُجَّ النبي ﷺ.

قال أبو السعادات: الشجُّ في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استُعمل في غيره من الأعضاء.

---

(١) ذكرها البخاري في "صحيحه" تعليقًا في باب (٢١) من [كتاب المغازي]، ووصلها أحمد (٣/ ٩٩)، والترمذي (٣٠٠٢)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٠٧٧)، وابن ماجه (٤٠٢٧).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧٩١).

(٤) في المخطوطتين (حديث)، والصواب ما أثبته.

(٥) **صحيح**. أخرجه ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٣/ ٢٨)، وحميد لم يسمع إلا قليلًا من أنس، لكن ذكر بعض الحفاظ أنَّ حميدًا يروي عن أنس بواسطة ثابت وقتادة، فلا بأس بتصحيح الرواية، والله أعلم.

وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مَصَّ الدم من وجه رسول الله ﷺ وازدرده، فقال له: «**لن تمسك النار**».[1]

قال القرطبي: والرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء، وهي كل سن بعد ثنية.[2]

قال النووي رحمه الله: وللإنسان أربع رباعيات.[3]

قال الحافظ: والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها.[4]

---

(١) ذكره ابن هشام في "السيرة" (٣/ ٢٨)، وفي سنده: رُبيح بن عبدالرحمن بن أبي سعيد، قال فيه البخاري: منكر الحديث. لكن جاءت طرقٌ أخرىٰ أنَّ عتبة هو الذي كسر رباعيته، أخرجها عبدالرزاق في "تفسيره" (١/ ١٣١-١٣٢)، عن معمر، عن قتادة مرسلًا، وعن معمر عن الزهري مرسلًا، وعن معمر عن عثمان الجزري، عن مقسم مرسلًا، وفي مرسلي الزهري، ومقسم أنَّ النبي ﷺ قال: «**اللهم، لا تحل عليه الحول حتىٰ يموت كافرًا**»، فما حال عليه الحول حتىٰ مات كافرًا إلىٰ النار، وعليه فقد ثبت بمجموع هذه الطرق أنَّ عتبة هو الذي كسر رباعيته عليه السلام. وأما كون عبدالله بن شهاب الزهري هو الذي شجَّه في وجهه، فلم نجد له إسنادًا آخر. وأما كون عبدالله بن قمئة جرحه في وجنته، فله إسناد آخر عند الطبراني في الكبير (٧٥٩٦) من حديث أبي أمامة، وفي إسناده حفص ابن عمر العدني وهو ضعيف. وأما كون مالك بن سنان مصَّ الدم من وجهه عليه الصلاة والسلام، فله إسناد آخر أخرجه البيهقي في "الدلائل" (٣/ ٢٦٦)، وسعيد بن منصور كما في "الإصابة" (٧٦٥١)، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن عمر بن السائب، فذكره مرسلًا، وعمر بن السائب ذكره الحافظ في "التقريب" من السادسة، وهو الذي لم يسمع من أحدٍ من الصحابة، فروايته معضلة، والله أعلم.

❁ وله إسناد آخر عند ابن أبي عاصم (٢٠٩٧) والحاكم (٣/ ٥٦٣) والبغوي كما في "الإصابة" من حديث أبي سعيد، وفيه من لم يعرف، وقال الذهبي في تعليقه علىٰ المستدرك: إسناده مظلم.

(٢) "المفهم" (٣/ ٦٤٩).

(٣) من "شرح مسلم" (١٧٩١).

(٤) "الفتح" باب (٢١) من المغازي.

قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام، والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ لينالوا جزيل الأجر والثواب، ولتعرف أممهم ما أصابهم، [ويأتسوا][(١)] بهم.[(٢)]

قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر، تصيبهم محَنُ الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر؛ [ليتيقن][(٣)] أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم. انتهى.[(٤)]

قلت: يعني من الغلو والعبادة.

قوله: يوم أحد.

هو جبل معروف، كانت عنده الواقعة المشهورة، [فأضيفت إليه، وهو شرقي المدينة قال النبي ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**»[(٥)]][(٦)].

قوله: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، زاد مسلمٌ: «**وكسروا رباعيته، وأدموا وجهه**».

قوله: فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾.

قال ابن عطية: كأن النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يأسٌ من فلاح كفار قريش، فقيل له بسبب ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أي: عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، وَدُمْ على الدعاء لربك.

وقال ابن إسحاق: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.[(٧)]

---

(١) في [أ]: ويتأسوا.

(٢) من "شرح مسلم" (١٧٩١).

(٣) في [أ]: ليتيقنوا.

(٤) "إكمال الـمُعْلِم" شرح الحديث (١٧٩١).

(٥) أخرجه البخاري برقم (١٤٨١) (٤٠٨٣)، ومسلم برقم (١٣٩٢) (١٣٩٣)، من حديث أبي حميد الساعدي، وأنس بن مالك رضي الله عنهما.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٧) انظر: "سيرة ابن هشام" (٣/ ٤٩).

قال المصنف رحمه الله: وفيه: عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنـه سمـع رسول الله ﷺ يقول: إِذَا رفـعَ رأسَـه مـن الرّكوع في الرّكعـةِ الأخِيرةِ من الفجـر: اللهمّ الـعَنْ فـلانًا وفـلانًا، بعدَمـا يقول: سمـعَ الله لمن حَمِدَه، ربَّنا ولكَ الحمد، فـأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾الآية [آل عمران:١٢٨].

ش/ قوله: وفيه. **أي:** في "صحيح البخاري"، ورواه النسائي.[١]

قوله: عن ابن عمر هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، صحابي جليل، شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح،[٢] مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها.

قوله: أنه سمع رسول الله ﷺ.

هذا القنوت على هؤلاء بعدما شُجَّ وَكُسِرَت رباعيته يوم أحد.

قوله: «**اللهم، العن فلانًا وفلانًا**».

قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء، وتقدم كلام شيخ الإسلام.

قوله: «**فلانًا وفلانًا**».

يعني صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، كما بَيَّنَه في الرواية الآتية.

وفيه: جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر الصلاة.

قوله: بعد ما يقول: «**سمع الله لمن حمده**».

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٦٩)، والنسائي (٢/ ٢٠٣).

(٢) وذلك بقوله ﷺ: «**أرىٰ عبدالله رجلًا صالحًا**»، وقال: «**نِعمَ الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل**»، أخرجه البخاري (١١٢١) (١١٥٦)، ومسلم (٢٤٧٨) (٢٤٧٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال أبو السعادات: أي أجاب حمده وتقبَّله.

وقال السهيلي[(١)]: مفعول «سمع» محذوف؛ لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون غيرها، فاللام تُؤْذِنُ بمعنًى زائد وهو الاستجابة [المقارنة][(٢)] للسمع، فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد وهو الاستجابة لمن حمده.[(٣)]

وقال ابن القيم ما معناه: عُدِّيَ «سمع الله لمن حمده» باللام المتضمنة معنى استجاب له، ولا حذف هناك، وإنما هو مضمن.[(٤)]

قوله: «**ربنا ولك الحمد**». في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو.[(٥)]

قال ابن دقيق العيد: كأن إثباتها دالٌّ على معنًى زائد؛ لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد، فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر.[(٦)]

قال شيخ الإسلام: والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساويه مع البغض له.[(٧)]

وكذا قال ابن القيم، وفرق بينه وبين المدح بأن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارًا مجردًا عن حُبٍّ وإرادة، أو يكون مقرونًا بحبه وإرادته؛ فإنْ كان الأول فهو المدح،

---

(١) هو عبدالرحمن بن أحمد بن أصبغ الأندلسي، السهيلي: نسبة إلىٰ قرية بالأندلس، محدثٌ، حافظٌ، لُغَويٌّ، ومقرئٌ، وأديبٌ، ولد سنة (٥٠٨)، وتوفي سنة (٥٨١). "معجم المؤلفين في اللغة العربية" (٥/ ١٤٧).

(٢) إضافة من "البدائع" (٢/ ٧٥).

(٣) نقله ابن القيم في "البدائع" (٢/ ٧٥).

(٤) انتهىٰ من "البدائع" (٢/ ٧٦).

(٥) يعني في حديث آخر، وهو في حديث أبي هريرة ﵁ برقم (٧٩٦)، وهو كذلك في "مسلم" (٤١٦).

(٦) انتهىٰ من "إحكام الأحكام" (١/ ٢٠٤).

(٧) انظر كلامه في "مجموع الفتاوىٰ" (١٤/ ٣١٢).

وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبارٌ عن محاسن المحمود مع حبه، وإجلاله، وتعظيمه؛ ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح؛ فإنه خبر مجرد، فالقائل إذا قال: (الحمد لله)، أو قال: (ربنا ولك الحمد) تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه [سبحانه وتعالى][1] باسمٍ جامعٍ محيطٍ متضمنٍ لكل فردٍ من أفراد الجملة المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى؛ ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه، ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد.[2]

وفيه: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي، وأحمد، وخالف في ذلك مالك، وأبو حنيفة، فقالا: يقتصر على سمع الله لمن حمده.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) انتهىٰ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٩٣).

وفي رواية: يَدْعُو عَلَىٰ صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨].[(١)]

ش/ وذلك لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد هم وأبو سفيان بن حرب، فما استجيب له ﷺ فيهم، بل أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فتاب عليهم، فأسلموا وحسن إسلامهم.

وفي هذا كله معنى شهادة أن لا إله إلا الله الذي له الأمر كله، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته؛ فهو المستحق أن يُعبد وحده.

وفي هذا من الحجج والبراهين ما يبين بطلان ما يعتقده عباد القبور في الأولياء والصالحين، بل في الطواغيت من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم، فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب! وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحول والقوة.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٠) من طريق عبد الله بن المبارك، عن حنظلة بن أبي سفيان، عن سالم به مرسلاً. وقد وصله أحمد (٥٦٧٤) من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر به. وأخرجه الترمذي (٣٠٠٥) وأحمد (٥٨١٢، ٥٨١٣) وابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٥-) من طرق عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر به. بدون تسميتهم، ووقع فيه: يدعو علىٰ أربعة نفر. وأخرجه أحمد (٥٩٩٧) من طريق أسامة الليثي عن نافع به، بدون تسميتهم أيضًا.

قال المصنف رحمه الله: وفيه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿**وأنذِرْ عَشيرتَكَ الأقْرَبين**﴾[الشعراء:٢١٤]، فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أو كلمةً نحوها اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، ويَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**».[1]

ش/ قوله: وفيه. **أي**: "صحيح البخاري".

قوله: عن أبي هريرة.

اختُلِف في اسمه، وصحَّح النووي أن اسمه عبدالرحمن بن صخر، كما رواه الحاكم في "المستدرك" عن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فسُمِّيتُ في الإسلام عبدالرحمن.[2]

وروى الدولابي بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سماه عبد الله.[3] وهو دوسي من

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٠٦).

(٢) **ضعيف**. أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٣/ ٥٠٦)، وفي إسناده مبهم، قال ابن إسحاق: حدثني بعض أصحابي عن أبي هريرة. وفي السند أيضًا: أحمد بن عبدالجبار، ضعيف، وبعضهم كذبه، ودافع عنه الخطيب في "تاريخه".

(٣) **ضعيف**. أخرجه الدولابي في "الكنىٰ" (١/ ٧٧)، وليس فيه أنَّ النبي ﷺ سماه عبدالله، وإنما فيه أن أبا هريرة رضي الله عنه كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فسمي في الإسلام عبدالله. والسند فيه ضعف، فيه: أسامة بن زيد الليثي، بعضهم يحسن له، وبعضهم يضعفه. وفيه أيضًا: محمد بن دينار الطاحي، ويقال له: ابن صندل، مختلف فيه، والراجح ضعفه. وأيضًا مع ذلك هو مرسل؛ فإنه من قول سعيد المقبري، وعبيدالله بن أبي رافع.

تنبيه: أما كون اسمه في الجاهلية: (عبد شمس)؛ فقد ثبت كما في "تهذيب التهذيب" في ترجمة أبي هريرة، وعزاه الحافظ إلىٰ ابن خزيمة، والإسناد حسن.

فضلاء الصحابة وحفاظهم، حفظ عن النبي ﷺ أكثر مما حفظه غيره، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

قوله: قام رسول الله ﷺ.

في "الصحيح" من رواية ابن عباس: صعد رسول الله ﷺ على الصفا.(١)

قوله: حين أنزل اللهُ عليه: ﴿وأنذِرْ عَشيرتَكَ الأقرَبين﴾.

عشيرةُ الرجل: هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته؛ لأنهم أحق الناس بِبِرِّكَ وإحسانك الديني والدنيوي، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، وقد أمره الله تعالى أيضًا بالنذارة العامة، كما قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس:٦]، ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [إبراهيم:٤٤].

قوله: يا معشر قريش.

المعشر: الجماعة.

قوله: أو كلمة نحوها. هو بنصب (كلمة)، عطفًا على ما قبله.

قوله: «**اشتروا أنفسكم**».

أي: بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه؛ فإنَّ ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله، لا الاعتماد على الأنساب والأحساب؛ فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٠١)، ومسلم برقم (٢٠٨).

قوله: «لا أغني عنكم من اللهِ شيئًا».

فيه: حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم؛ ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه؛ فإنَّ ذلك هو الشرك الذي حرَّمه الله تعالى، وأقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه، كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[يونس:١٨]، فأبطل الله ذلك، ونزه نفسه عن هذا الشرك، وسيأتي تقرير هذا المقام إن شاء الله تعالى.

وفي "صحيح البخاري": «**يا بني عبد مناف لا أُغني عنكم من اللهِ شيئًا**».

قوله: «يا عباس بن عبد المطلب».

بنصب «**ابن**»، ويجوز في عباس الرفع والنصب، وكذا في قوله: «**يا صفية عمة رسول الله**»، و«**يا فاطمة بنت محمد**».

قوله: «سليني من مالي ما شئت».

بَيَّنَ ﷺ أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح.

وفيه: أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة، والمغفرة، والجنة، والنجاة من النار، ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يجوز أن يطلب إلا منه [سبحانه][1]؛ فإنَّ ما عند الله لا يُنال إلا بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به، فإذا كان لا ينفع ابنتَه، وعمَّه، [وعَمَّته][2]، وقرابته إلا ذلك؛ فغيرهم أولى وأحرى، وفي قصة عَمِّه أبي طالب معتبر.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

فانظر إلى الواقع من كثير من الناس: الالتجاء إلى الأموات، والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عن غيرهم، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠]، أظهر لهم الشيطانُ الشركَ في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، ولا ريب أنَّ محبةَ الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله إشراكًا بالله، وعبادة لغير الله، وعداوة لله ورسله والصالحين من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في هذه الآية بعد كلام [سبق][(١)]: ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمر به وهو محض التوحيد، فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم، وأنَّ اللهَ عزوجل المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم، فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وصفه سبحانه بأن شهادته فوق كل شهادة وأعم. انتهى مُلَخَّصًا.[(٢)]

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) "مدارج السالكين" (٢/ ٣٧٨).

قلت: ففي هذا بيانٌ أنَّ المشركين خالفوا ما أمر الله به رسلَه من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه، ودعوا الناس إليه، وفارقوهم فيه، إلا من آمن؛ فكيف يقال لمن دان بدينهم، وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده: إنه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه، واتبع فيه رسله عليهم السلام، ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم للربوبية، وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين؟

والمشركون هم أعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة، وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرأوا من كل مشرك، ويكفروا به، ويبغضوه، ويعادوه في ربهم ومعبودهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنعام:١٤٩].

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمِّنون في الصلاة.

الرابعة: أنَّ المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجُّهم نبيهم، وحرصهم علىٰ قتله. ومنها: التمثيل بالقتلىٰ مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨].

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾[آل عمران:١٢٨]، فتاب عليهم، فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم، وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعنُ المعيَّن في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لَمَّا أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤].

الثانية عشرة: جِدُّه ﷺ، بحيث فعل ما نُسب بسببه إلىٰ الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «**لا أُغني عنك من اللهِ شيئًا**»، حتىٰ قال: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من اللهِ شيئًا**»، فإذا صرَّح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحقَّ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم(١)؛ تبين له التوحيد، وغربة الدين.

---

(١) يعني بعض من يَدَّعُون الولاية، ويعتبرهم الناس من الخواص، وهم يَدْعُون غير الله، ويعتقدون جلب النفع، أو كشف الضر، والعياذ بالله.

١٥- بَاب قَوْلُ اللّه تَعَالَى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ الله: باب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٣].

ش/ قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾.

أي: زال الفزع عنها، قاله ابن عباس، وابن عمر، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، والشعبي، [والحسن][(١)]، وغيرهم.[(٢)]

وقال ابن جرير: قال بعضهم: الذين فزع عن قلوبهم: الملائكة، قالوا: وإنما فزع عن قلوبهم من غشيةٍ تصيبهم عند سماعهم كلام الله بالوحي. وقال ابن عطية: في الكلام حذفٌ يدلُ عليه الظاهر، كأنه قال: ولا هم شفعاء كما تزعمون أنتم، بل هم عبدة مسلمون أبدًا، يعني منقادون ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ والمراد الملائكة على ما اختاره ابن جرير وغيره.

قال ابن كثير: وهو الحق الذي لا مِرْية فيه؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار.

وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل يأمره الله به، سمعت كجر

(١) ساقط من [ب].

(٢) أثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن جرير في تفسير [آية:٢٣] من سورة سبأ، فيه: عبدالله بن صالح كاتب الليث، فيه ضعف، وفيه انقطاع: فعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

❁ وأثر الحسن أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" [آية:٢٣] من سورة سبأ. والآثار الثلاثة الباقية لم نجدها مسندة، وقد ذكرها ابن كثير في "تفسيره"، ومنه نقل المؤلف، والله أعلم.

سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك؛ تعظيمًا، وهيبةً.

قال: وبهذا المعنى -من ذكر الملائكة في صدر الآيات- تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مُشار إليهم من أول قوله: ﴿الَّذِيْنَ زَعَمْتُم﴾؛ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها.

قوله: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾.

ولم يقولوا: ماذا خلق ربنا؟، ولو كان كلام الله مخلوقًا؛ لقالوا: ماذا خلق؟ انتهى من "شرح سنن ابن ماجه".

ومثله الحديث: «**ماذا قال ربنا يا جبريل؟**»[1]، وأمثال هذا في الكتاب والسنة كثير.

قوله: ﴿قَالُوا الحَقَّ﴾.

أي: قالوا: قال الله الحق؛ وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله صعقوا، ثم [إذا][2] أفاقوا أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق.

قوله: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾.

علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فله العلو الكامل من جميع الوجوه كما قال عبدالله بن المبارك لما قيل له: بمَ نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه، بائن من خلقه.[3] تمسكًا منه بالقرآن؛ لقول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

---

(١) يعني حديث النواس بن سمعان الآتي.

(٢) ساقط من المخطوطتين، وإثباته أقرب.

(٣) صحيح. أخرجه عبدالله بن أحمد في "السنة" (٢١٦)، والدارمي في "الرد علىٰ الجهمية" (ص١٨)، من طريقين عن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: ...، فذكره، وإسناده صحيح، وقد أخرجه جماعة من الحفاظ، واقتصرت علىٰ المصدرين السابقين؛ لأنَّ لفظ الأثر أقرب لما عندهما، والله أعلم.

الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾[الفرقان:٥٩] في سبعة مواضع من القرآن.

قوله: ﴿الكَبِيرُ﴾.

الذي لا أكبر منه، ولا أعظم، تبارك وتعالى.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفي "الصحيح" عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «**إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، يَنفُذُهُمْ ذَلِكَ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾**[سبأ:٢٣]، **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ** -وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- **فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّىٰ يُلْقِيهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**»[(١)].

ش/ قوله: في "الصحيح". **أي:** "صحيح البخاري".

قوله: «إذا قضىٰ الله الأمر في السماء».

أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراده كما صرح به في الحديث الآتي، وكما روى سعيد بن منصور، وأبو داود، وابن جرير عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة علىٰ الصفوان**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٠١).

(٢) أثر ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنده صحيح، فقد علقه البخاري في "صحيحه" في [كتاب التوحيد باب:٣٢] بصيغة الجزم، ووصله سعيد بن منصور كما في "الدر المنثور"، وأبو داود (٤٧٣٨)، وابن جرير =

وروى ابنُ أبي حاتم، وابنُ مردويه [عن][(١)] ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أوحى الجبارُ إلى محمد ﷺ دعا الرسولَ من الملائكة ليبعثه بالوحي، فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله؟ فقالوا: الحق، وعلموا أن الله لا يقول إلا حقًّا.[(٢)]

قولهُ: «**ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَانًا لقوله**».

أي: لقول الله تعالى.

قال الحافظ: «**خضعانًا**» بفتحتين من الخضوع، وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه، وهو مصدر بمعنى: خاضعين.

قولهُ: «**كأنه سلسلة علىٰ صفوان**».

أي: كأنَّ الصوتَ المسموع سلسلة على صفوان، وهو الحجر الأملس.

قولهُ: «**يَنْفُذُهم ذلك**».

هو بفتح التحتية، وسكون النون، وضم الفاء والذال المعجمة، «**ذلك**»، أي: القول، والضمير في «**ينفذهم**» للملائكة، أي: ينفذ ذلك القول الملائكة، أي: يخلص ذلك القول ويمضي فيهم حتى يفزعوا منه.

وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس: «**فلا ينزل علىٰ أهل سماء إلا صعقوا**».[(٣)]

= [آية:٢٣] من سورة سبأ. وكذلك عبدالله بن أحمد في "السنة" (٥٣٦) (٥٣٧)، واللالكائي (١/ ٣٣٥-٣٣٦)، وابن خزيمة في "التوحيد" (ص١٤٦-١٤٧) وغيرهم، وأكثر طرقه مدارها علىٰ الأعمش، عن أبي الضحىٰ مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن عبدالله بن مسعود به، وهذا إسناد صحيح. ورواية أبي داود مرفوعة، والرفع وهم، والصواب الموقوف؛ لكثرة من رواه كذلك، كما في "الفتح" (٧٤٨١)، وهو مع وقفه له حكم الرفع.

(١) في [ب]: من حديث.

(٢) انظر: "الدر المنثور" [آية:٢٣] من سورة سبأ، فقد عزاه إليهما، ولم يذكر إسنادهما للنظر في حاله.

(٣) "تفسير ابن مردويه" مفقود، وهو نفس الحديث المتقدم الذي رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وذكره السيوطي في "الدر" بغير سند، وعزاه إليهما.

وعند أبي داود وغيره مرفوعًا: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة علىٰ الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتىٰ يأتيهم جبريل**» الحديث.[1]

قوله: «**حتىٰ إذا فزع عن قلوبهم**»، تقدم معناه.

قوله: «**قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق**».

أي: قالوا: قال الله الحق، علموا أنَّه لا يقول إلا الحق.

قوله: «**فيسمعها مسترق السمع**».

أي: يسمع الكلمة التي قضاها الله، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضًا.

وفي "صحيح البخاري" عن عائشة مرفوعًا: «**إن الملائكة تنزل في العنان -وهو السحاب- فتذكر الأمر قُضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتوحيه إلىٰ الكهان**».[2]

قوله: «**ومسترق السمع**» هكذا وصفه سفيان بكفه.

أي: وصف ركوب بعضهم فوق بعض.

وسفيان هو ابن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ثقة، حافظ، فقيه، إمام، حجة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة.

قوله: «**فحرَّفها**»، بحاء مهملة، وراء مشددة، وفاء.

قوله: «وبدد»، **أي**: فَرَّق بين أصابعه.

قوله: «**فيسمع الكلمة فيلقيها إلىٰ من تحته**».

أي: يسمع الفوقاني الكلمة فيلقيها إلى آخَر تحته، ثم يلقيها إلى من تحته حتى يلقيها على

---

(١) هذا هو نفس حديث ابن مسعود المتقدم، وبينَّا أنه موقوف عليه، وله حكم الرفع.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢١٠)، وتتمة الحديث: «**فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**».

لسان الساحر أو الكاهن.

قولهُ: «فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها».

الشهاب: هو النجم الذي يُرْمَى، أي: ربما أدرك الشهابُ المسترقَ، وهذا يدل على أن الرمي بالشُّهُب كان قبل المبعث؛ لما روى أحمد وغيره -والسياق له في "المسند" من طريق معمر-: أنبأنا الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس، قال كان رسول الله ﷺ جالسًا في نفرٍ من أصحابه -قال عبد الرزاق: من الأنصار- قال: فَرُمِي بنجم عظيم، فاستنار، قال: «**ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟**» قال: كنا نقول: لعله يولد عظيم أو يموت عظيم. قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، [ولكن][(١)] غلظت حين بعث النبي ﷺ، [قال][(٢)]: «[**فإنه**][(٣)] **لا يُرْمَىٰ بها لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضىٰ أمرًا سَبَّحَ حملةُ العرش، ثم سَبَّحَ أهلُ السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتىٰ يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء حتىٰ ينتهي الخبر إلىٰ هذه السماء، ويخطف الجن السمع، فَيُرْمَون، فما جاءوا به علىٰ وجهه؛ فهو حق، ولكنهم يقرفون [فيه]**[(٤)] **ويزيدون**»، قال عبد الله: قال أبي: قال عبد الرزاق: «**ويخطف الجن ويرمون**».[(٥)]

---

(١) في [أ]: ولكنها.

(٢) إضافة من "المسند".

(٣) في [ب]: فإنها.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) الحديث أخرجه أحمد برقم (١٨٨٢) بإسناد صحيح، وهو في "صحيح مسلم" برقم (٢٢٢٩).

وفي رواية له: «**لكنهم يزيدون فيه ويقرفون وينقصون**»(١).

قوله: «**فيكذب معها مائة كذبة**».

أي: الكاهن، أو الساحر، و «**كَذْبة**» بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة.

قوله: «**أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟**».

هكذا في نسخة بخط المصنف رحمه الله، كالذي في "صحيح البخاري" سواء.

قال المصنف: وفيه قبول النفوس للباطل، يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟(٢)

وفيه: أن الشيء إذا كان فيه شيءٌ من الحق؛ فلا يدل على أنه حق كله، فكثيرًا ما يلبس أهلُ الضلال الحقَّ بالباطل؛ ليكون أقبل لباطلهم، قال تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٤٢].

وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها: إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله [وعظمته](٣)، وأنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة، وهذا قولُ أهل السنة قاطبة سلفًا وخلفًا، خلافا للأشاعرة، والجهمية، ونفاة المعتزلة، فإياك أن تلتفت إلى مازخرفه أهلُ التعطيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) أخرجه أحمد بهذه الرواية برقم (١٨٨٣)، من نفس الوجه الذي أخرجه مسلم.

(٢) المسألة رقم (١٨) من "كتاب التوحيد".

(٣) ساقط من [أ].

قال المصنف رحمه الله: وعن النوَّاس بن سِمعان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ - أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ - خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمَهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ، سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[(١)].

ش/ هذا الحديث رواه ابن أبي حاتم بسنده كما ذكره العماد ابن كثير في "تفسيره".

النواس بن سِمعان -بكسر السين- بن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري، صحابي، ويقال: إنَّ أباه صحابي أيضًا.

قوله: «**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر...**» إلى آخره.

فيه: النصُّ على أن الله تعالى يتكلم بالوحي، وهذا من حجة أهل السنة على النفاة لقولهم: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء.

قوله: «**أخذت السموات منه رجفة**».

السموات: مفعول مقدم، والفاعل: رجفة، أي: أصاب السموات من كلامه تعالى

(١) **ضعيف**. أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" و"ابن جرير" (١٩/ ٢٧٨)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٢٠٦)، والطبراني في "مسند الشاميين" (٥٩١)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٤٣٥)، وغيرهم، **وهو من طريق**: نُعيم بن حماد، عن الوليد بن مسلم، ونعيم فيه ضعف، والوليد يدلس تدليس التسوية، ولم يصرح بالتحديث، والحديث أعله أبو حاتم الرازي، ودُحيم الدمشقي. فأبو حاتم يقول: إنَّ هذا الحديث ليس عند أهل الشام عن الوليد بن مسلم. كما في "تفسير ابن كثير"، وقال دحيم الدمشقي كما في "الميزان" ترجمة نُعيم: لا أصل له. أي: بهذا الإسناد؛ فلعل نعيمًا وهم فيه، وأُدخِل عليه من قِبَل بعض الوضاعين؛ فإنه كان عنده ضعف.

رجفة، أي: ارتجفت، وهو صريح في أنها تسمع كلامه تعالى، كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: إذا قضى اللهُ أمرًا تكلم تبارك وتعالى رجفت السموات، والأرض، والجبال، وخرت الملائكة كلهم سُجَّدًا.(١)

قوله: أو قال: «**رعدة شديدة**».

شَكٌّ من الراوي، هل قال النبي ﷺ «**رجفة**»، أو قال: «**رعدة**»، والراء مفتوحة فيهما.

قوله: «**خوفًا من الله عزوجل**».

وهذا ظاهر في أن السموات تخاف الله بما يجعل الله تعالى فيها من الإحساس، ومعرفة من خلقها، وقد أخبر تعالى أن هذه المخلوقات العظيمة تسبحه، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم:٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [البقرة:٧٤].

وقد قرر العلامة ابن القيم رحمه الله أن هذه المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة واحتجَّ بهذه الآيات ونحوها.(٢)

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" [آية:٢٣] من سورة سبأ.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه "الروح" (ص٧٢): قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]. قال: ولو كان التسبيح هو مجرد دلالتها علىٰ الصانع لم يقل: ﴿وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؛ فإن كل عاقل يفقه دلالتها علىٰ الصانع، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨]، والدلالة علىٰ الصانع لا تختص بهذين الوقتين، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ:١٠]، والدلالة لا تختص معيته وحده، وكذب علىٰ الله من قال: التأويب رجع الصدىٰ؛ فإن هذا يكون لكل مصوت. وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ=

وفي "البخاري" عن ابن مسعود ﵁، قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.(١)

وفي حديث أبي ذر: أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات، فسمع لهن تسبيح. الحديث.(٢)

وفي "الصحيح" قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ قبل اتخاذ المنبر(٣)، ومثل هذا كثير.

وقوله: «صعقوا وخروا لله سُجَّدًا».

الصعق: هو الغشي ومعه السجود.

وقوله: «فيكون أولَ من يرفع رأسه جبريل».

بفتح «أولَ» خبر «يكون» تقدم على اسمها، ويجوز العكس، ومعنى جبريل: عبد الله،

= النَّاسِ﴾ [الحج:١٨]، والدلالة علىٰ الصانع لا تختص بكثير من الناس، وقد قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور:٤١]، فهذه صلاة وتسبيح حقيقة يعلمها الله وإن جحدها الجاهلون المكذبون، وقد أخبر تعالىٰ عن الحجارة أن بعضها يزول عن مكانه ويسقط من خشيته، وقد أخبر عن الأرض والسماء أنهما يأذنان له، وقولهما ذلك، أي: يستعمان كلامه، وأنه خاطبهما فسمعا خطابه، وأحسنا جوابه، فقال لهما: ﴿اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:١١] وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام، وسمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد.اهـ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٩).

(٢) **صحيح**. أخرجه الطبراني في "الأوسط" كما في "مجمع البحرين" (٣٥٢٠)، ومن طريقه: أبو نعيم في "الدلائل" (٣٣٨) عن أحمد بن محمدبن صدقة، ثنا المنذر بن الوليد الجارودي، ثنا أبي، ثنا حميد بن مهران، عن داود بن أبي هند، عن رجل من أهل الشام -يعني: الوليد بن عبدالرحمن الجرشي- عن جبير بن نفير الحضرمي، عن أبي ذر به. وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات معروفون.

❁ وأخرجه البزار كما في "كشف الأستار" (٢٤١٣)، والبيهقي في "الدلائل" (٦/ ٦٤)، من طريق أخرىٰ ضعيفة، فيها: صالح بن أبي الأخضر، وهو ضعيفٌ، وسويد بن يزيد السلمي، وهو مجهول، وأعلها البيهقي أيضًا بأنها طريق غير محفوظة.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٥٨٣) (٣٥٨٤)، من حديث ابن عمر، وجابر ﵃.

كما روى ابنُ جرير وغيره عن علي بن الحسين قال: كان اسم جبريل: عبد الله، واسم ميكائيل عبيد الله، وإسرافيل عبد الرحمن، وكل شيء رجع إلى (إيل)؛ فهو مُعَبَّدٌ لله عزوجل.(١)

وفيه: فضيلة جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير:١٩-٢١].

قال ابن كثير رحمه الله: إنه لتبليغ رسول كريم. قال أبو صالح في الآية: جبريل يدخل في سبعين حجابًا من نور بغير إذن.(٢)

ولأحمد بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل، والدر، والياقوت ما الله به عليم.(٣)

فإذا كان هذا عظم هذه المخلوقات؛ فخالقها أعظم، وأجل، وأكبر، فكيف يُسَوَّى به غيره في العبادة: دعاءً، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلًا، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها

(١) أخرجه ابن جرير عند قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة:٩٧]، فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن الحسين به. وهذا إسناد حسن، أحمد بن إسحاق هو الأهوازي، حسن الحديث، وأبو أحمد هو الزبيري، وهو قول موقوفٌ علىٰ علي بن الحسين، وليس بمرفوع؛ فلا حجة فيه.

(٢) أخرجه ابن جرير عند قوله تعالىٰ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[التكوير:٢٠]، وفيه: عمر بن شبيب، وهو ضعيف.

(٣) **حسن**. أخرجه أحمد (٣٧٤٨)، وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢/ ٣٣٩)، من طريق: شريك القاضي،عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به، وشريك ضعيف، ولكن له طريق أخرىٰ أخرجها أحمد (٣٩١٥)، من طريق: حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، وهذا إسناد حسن، وأصل الحديث عند البخاري برقم (٤٨٥٦)، ومسلم برقم (١٧٤).

غيره؟ فانظر إلى حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:٢٦-٢٩].

قولهُ: «فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ حيث أمره الله عزوجل» «من السماء والأرض».

وهذا تمام الحديث. والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن الملك العظيم الذي تصعق الأملاك من كلامه خوفًا منه، ومهابة، وترجف منه المخلوقات، الكامل في ذاته، وصفاته، وعلمه، وقدرته، وملكه، [وعِزِّه][(١)]، وغناه عن جميع خلقه، وافتقارهم جميعهم إليه، ونفوذ قدره وتصرفه فيهم؛ [لعلمه][(٢)]، وحكمته، [لا][(٣)] يجوز شرعًا ولا عقلًا أن يُجْعَل له شريك من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم، فكيف يجعل المربوب ربًّا، والعبد معبودًا؟ أين ذهبت عقول المشركين؟ سبحان الله عما يشركون.

وقال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[مريم:٩٣] الآيات، فإذا كان الجميع عبيدًا؛ فَلِمَ يعبد بعضهم بعضًا بلا دليل، ولا برهان، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن [ذلك][(٤)] الشرك، وتنهاهم عن عبادة ما سوى الله. انتهى من "شرح سنن ابن ماجه".

---

(١) في [أ]: وعزته.

(٢) في [أ]: بعلمه.

(٣) في المخطوطتين: (فلا)، والمثبت أقرب.

(٤) في [أ]: هذا.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة علىٰ إبطال الشرك؛ خصوصًا ما تعلَّق علىٰ الصالحين، وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

الرابعة: تفسير سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أنَّ جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».

السادسة: ذكر أنَّ أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغَشْيَ يعمُّ أهل السموات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السموات بكلام الله.

العاشرة: أنَّ جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلىٰ حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشُّهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة؟

التاسعة عشرة: كونهم يتلقَّىٰ بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها، ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات؛ خلافًا للأشعرية المعطِّلة.

الحادية والعشرون: أنَّ تلك الرجفة والغَشي خوفًا من اللهِ عزوجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرُّون لله سُجَّدًا.

١٦- باب الشَّفَاعَةِ

قال المصنف رحمه الله: بَابُ الشَّفَاعَة.

ش/ أي: بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه، وحقيقة ما دل القرآن على إثباته.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الأنعام:٥١].

ش/ الإنذار: هو الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها.

قوله: ﴿به﴾.

قال ابن عباس: بالقرآن[١] ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾، وهم المؤمنون.

وعن الفضيل بن عياض: ليس كل خلقه عاتَب، إنما عاتب الذين يعقلون، فقال: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾، أي: وهم المؤمنون أصحاب العقول الواعية.[٢]

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

قال الزجاج: موضع ﴿لَيْسَ﴾ نصب على الحال، كأنه قال: متخلين من ولي وشفيع، والعامل فيه ﴿يَخَافُونَ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في "تفسيره" بدون إسناد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأنعام [آية:٥١]، فقال: حدثنا أبي، ثنا عمران بن موسىٰ الطرسوسي، ثنا فيض بن إسحاق الرقي، قال: قال الفضيل بن عياض: ...، فذكره، ورجال إسناده ثقات؛ إلا فيض بن إسحاق، فلم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وهو خادم الفضيل بن عياض.

قولهُ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

أي: فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤].

ش/ وقبلها: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾.

وهذه كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:١٨]، فبين تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع، وأن اتخاذهم شفعاء شرك يتنزه الرب تعالى عنه، وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف:٢٨]، فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتألههم أنَّ ذلك منهم إفكٌ وافتراء.

وقولهُ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

أي: هو مالكها، وليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه؛ لأن ذلك عبادة وتأله لا يصلح إلَّا لله.

قال البيضاوي[(١)]: لعله رد لما عسى أن يجيبوا به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ تقريرٌ لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه؛ لأنه

(١) هو عبدالله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، نسبة إلىٰ البيضاء: بلدة بفارس، أشعري المعتقد في الصفات، له كتب مصنفة منها: "التفسير"، وهو اختصار لـ"الكشاف"، توفي سنة (٦٩١)، وقيل: (٦٨٥)، "شذرات الذهب" (٧/ ٦٨٥)، "طبقات السبكي" (٨/ ١٥٧).

مالك الملك، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكها؛ بطل أن تطلب ممن لا يملكها ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥] ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨].

قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلَّا ليقربونا إلى الله زُلفى، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الزمر:٤٤].

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ش/ قد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله، وفي هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]، فبين أنها لا تقع لأحد إلا بشرطين: إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه، وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أُريد به وجهه، ولقي العبد به [ربه][1] مخلصًا غير شاكٍّ في ذلك، كما دل على ذلك الحديث الصحيح، وسيأتي ذلك مقررًا [أيضًا][2] في كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:٢٦].

ش/ قال ابن كثير: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ كقوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥] ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها، بل قد نهى

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

عنها على ألسنة [جميع][(١)] رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَـهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾[سبأ:٢٢-٢٣].

ش/ قال ابن القيم رحمه الله تعالى [في][(٢)] الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه؛ فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك؛ فإن لم يكن شريكًا له كان مُعِينًا له وظهيرًا؛ فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا منتقلًا من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فكفى بهذه الآية نورًا، وبرهانًا، وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوءٌ من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، [ويظنونها][(٣)] في نوعٍ، وقومٍ قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم، أو شر منهم، أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال: ومن [أنواعه][(٤)] -أي: الشرك-: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم،

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في المخطوطتين: (ويظنه)، والمثبت أقرب.

(٤) في [ب]: نوعه.

وهذا أصل شرك العالم؛ فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا [لمن استغاث به، وسأله][١] أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها، [وهذه حالة][٢] كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل في [كل][٣] زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، وما نجا من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله، متبعًا لأمره، متطلبًا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله؛ فهو لله وبالله ومع الله. انتهى كلامه رحمه الله.[٤]

وهذا الذي ذكره هذا الإمام[٥] هو حقيقة دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

---

(١) في [أ]: عن الاستغاثة به وسؤاله.

(٢) في [أ]: وهذا حال.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) من "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٣، ٣٤٦).

(٥) في المطبوع زيادة: (في معنىٰ الآية).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أبو العباس: نفىٰ الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أن يكون لغيره ملك أو قِسطٌ منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفعُ إلا لمن أذِنَ له الربُّ، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨]، فهذه الشفاعة التي يَظنُّها المشركون هي مُنْتَفِيةٌ يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبيُّ ﷺ: «**أنه يأتي فَيَسْجُدُ لربه وَيَحمَدُه -لا يبدأ بالشفاعة أولًا- ثم يقال له: ارفع رأسك، وقلْ يُسمع، وَسَلْ تُعْطَ، واشفع تشفع**»[(١)].

وقال له أبو هريرة: من أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(٢)].

فتلك الشفاعةُ لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أنَّ الله سبحانه هو الذي يتفضَّل علىٰ أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء مَنْ أذِنَ له أن يشفع، ليُكرمَه وينالَ المقامَ المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعةَ بإذنه في مواضع كثيرة، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهىٰ كلامه.[(٣)]

ش/ قوله: قال أبو العباس.

هو كنية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني إمام المسلمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قولُهُ: وقال أبو هريرة... إلى آخره.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٠) (٤٤٧٦)، ومسلم برقم (١٩٣) (١٩٤)، من حديث أنس، وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو قطعة من حديث الشفاعة الطويل.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٩)، والنسائي في "الكبرىٰ" برقم (٥٨٤٢).

(٣) انظر: "الكلام علىٰ حقيقة الإسلام والإيمان" (ص١٢٩-١٣١)، "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٧٧-٧٨).

هذا الحديث رواه البخاري، والنسائي عن أبي هريرة، ورواه أحمد، وصححه ابن حبان، وفيه: «**وشفاعتي لمن قال لا إله إلا الله مُخلصًا، يُصَدِّقُ قلبُه لسانَه، ولسانُه قلبَه**»[(١)].

وشاهده في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة؛ فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا**»[(٢)].

وقد ساق المصنف رحمه الله كلامَ شيخِ الإسلام هنا، فقام مقام الشرح والتفسير لما في الباب من الآيات، وهو كافٍ وافٍ بتحقيق مع الإيجاز، والله أعلم.

وقد عَرَّف الإخلاصَ بتعريف حسن، [فقال: الإخلاص][(٣)] محبة الله وحده، وإرادة وجهه. انتهى[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى حديث أبي هريرة: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء، وعبادتهم، وموالاتهم، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع، ومن جهل المشرك اعتقاده أنَّ من اتخذه وليًّا، أو شفيعًا أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا

---

(١) الحديث أخرجه أحمد (٨٠٧٠)، وابن حبان (٦٤٦٦) بهذه الزيادة، وفي إسناده: معاوية بن معتِّب، وهو مجهول الحال، فالزيادة: «**يصدق قلبه لسانه، ولسانه قلبه**» زيادة ضعيفة.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٩)، وأخرجه البخاري برقم (٧٤٧٤)، بدون زيادة: «**فهي نائلة...**» إلىٰ آخره.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) لم أقف علىٰ هذا النص من كلامه رحمه الله.

بِإِذْنِهِ﴾، وفي الفصل الثاني: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، وبقي فصلٌ ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده، واتباع رسوله ﷺ، فهذه ثلاثة فصول تقطع [شجرة][(١)] الشرك من قلب من وَعَاهَا وَعَقَلها. انتهى.[(٢)]

وذكر أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أن الشفاعة ستة أنواع:[(٣)]

الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ، فيقول: «**أنا لها**»[(٤)]، وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء؛ ليشفعوا لهم إلى ربهم، حتى يريحهم من مقامهم في الموقف، وهذه شفاعة يختص بها لا [يشركه][(٥)] فيها أحد.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.[(٦)]

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.[(٧)]

---

(١) في [ب]: ثمرة.

(٢) من "مدارج السالكين" (١/ ٣٤١).

(٣) انظر: "تهذيب السنن" (٧/ ١٣٣-١٣٤).

(٤) قطعة من حديث الشفاعة المتقدم تخريجه قريبًا.

(٥) في [ب]: يشاركه.

(٦) تقدم تخريجه قريبًا.

(٧) هذه الشفاعة لم يثبت فيها حديث صحيح، جاء فيها حديثان ذكرهما الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في "الشفاعة" **أحدهما:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن أبي الدنيا في كتاب "الأهوال" كما في "النهاية" لابن كثير (٢/ ١٨١). **والثاني:** عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي نعيم في "الحلية" (٤/ ١٠٨)، وكلاهما ضعيف، بيَّنَ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ضعفهما. **ففي الأول:** إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، يرويه عن محمد بن سلمة، وقد قال الجعابي: يحدث عن ابن سلمة بعجائب، وفيه احتمال الإرسال. **وفي الثاني:** عمر بن حفص الأوصابي، وهو مجهول الحال، وفيه رجل مبهم لم توجد له ترجمة. =

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم، والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ، وقد أجمع عليها الصحابة، وأهل السنة قاطبة، وبَدَّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم، ورفعة درجاتهم،[(١)] وهذه مما لم ينازع فيها أحد، [وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا شفيعًا كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾[الأنعام:٥١]][(٢)].

السادس: شفاعته في بعض [أهله][(٣)] الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده.[(٤)]

= ثم وجدت حديثًا ثالثًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أخرجه ابن أبي الدنيا كما في "النهاية" من طريق محمد بن ثابت البناني، عن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس به. ومحمد بن ثابت ضعيف الحديث، وقد أنكرت عليه أحاديث، وقد تفرد بهذا الحديث.

(١) هذه يدل عليها دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة بعد أن مات «**اللهم، اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين**» رواه مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وأيضًا في "الصحيحين" من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ دعا لأبي عامر الأشعري بعد أن استشهد وقال: «**اللهم، اغفر لأبي عامر، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) الله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ومع ذلك نفعت أبا طالب شفاعة النبي ﷺ مع أنه مات علىٰ الكفر، فما الجواب؟

منهم من قال: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، أي: في إخراجهم من النار، أما التخفيف فينفع.

ومنهم من قال: الآية عامة، وهذا خصوص لأبي طالب؛ إكرامًا للنبي ﷺ.

وكلاهما محتمل، والثاني أقرب، ويدل عليها قول النبي ﷺ في عمه: «**وجدته في غمرات من**=

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرىٰ، وهي المقام المحمود.

الرابعة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد، فإذا أُذن له شَفَع.

الخامسة: من أسعد الناس بها؟

السادسة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

السابعة: بيان حقيقتها.

= **النار، فأخرجته إلى ضحضاح**»، وفي رواية: «**ولولا أنا؛ لكان في الدرك الأسفل من النار**»، رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وفي حديث آخر قال ﷺ: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**»، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٥)، ومسلم برقم (٢١٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

١٧- بَاب قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ الله: بَاب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**[القصص:٥٦].

ش/ سبب نزول هذه الآية موت أبي طالب على ملة عبد المطلب كما يأتي بيان ذلك في حديث الباب.

قال ابن كثير: يقول تعالى لرسوله ﷺ: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت، أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة:٢٧٢]، وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

قلت: والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول؛[1] فإنَّ أمر ذلك إلى الله تعالى، وهو القادر عليه، وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]؛ فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله، والدال على دينه وشرعه.

---

(١) قسَّمَ العلماء الهداية إلىٰ أربعة أقسام:

١) هداية التوفيق، والقبول، وهي التي أرادها في هذا الباب، وهي خاصة بالله تعالىٰ وحده.

٢) هداية الدلالة،والإرشاد، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

٣) الهداية العامة لجميع الخلائق، والدليل عليها قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٥٠]، أي: هداها لمصالحها، وأمور حياتها.

٤) هداية أصحاب الجنة لدخول الجنة، وأصحاب النار لدخول النار، يدل عليها قوله تعالىٰ: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس:٩]، انظر: "بدائع الفوائد" (٢/ ٣٥-٣٧).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفي "الصحيح" عن ابن المسَيَّب، عن أبيه، قال: لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسولُ الله ﷺ، وعنده عبدُ الله بن أبي أُميَّة وأبو جهلٍ، فقال له: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو علىٰ مِلَّةِ عبد المطلب، وأبَىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**». فأنزل الله عز وجل: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ الآية [التوبة:١١٣]، وأنزلَ اللهُ في أبي طالب: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[١] [القصص:٥٦].[٢]

ش/ قوله: في "الصحيح".

أي: في "الصحيحين"، وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، اتفق أهل الحديث [على][٣] أن مراسيله أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين، وأبوه المسيب صحابي بقي إلى خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكذا جده حزن صحابي استشهد باليمامة.

قولُهُ: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ.

---

(١) فائدة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لها تفسيران:

١) إنك لا تهدي من أحببتَه، فالنبي ﷺ كان يحب أبا طالب حبًّا طبيعيًّا، لا حبًّا شرعيًّا؛ لأنه قريبه، وأحاطه، ونصره، وآواه؛ فهذا حب طبيعي لا يضر الإنسان ذلك.

٢) إنك لا تهدي من أحببتَ هدايته، فكان رسول الله ﷺ يحب هداية أبي طالب للإسلام.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٦٠) (٤٧٧٢)، ومسلم برقم (٢٤).

(٣) ساقط من [ب].

أي: علاماتها ومقدماتها.

قوله: جاءه رسولُ الله ﷺ.

يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الإثنين؛ فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضًا مخزومي، وكان الثلاثة إذ ذاك كفارًا، فقتل أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران.

قوله: «**يا عم**».

منادى مضاف يجوز فيه إثبات الياء وحذفها، حذفت الياء هنا وبقيت الكسرة دليلًا عليها.

قوله: «**قل لا إله إلا الله**».

أمره أن يقولها لعلم أبي طالب بما دلت عليه من نفي الشرك بالله، وإخلاص العبادة له وحده؛ فإنَّ من قالها بعلم ويقين؛ فقد برئ من الشرك والمشركين، ودخل في الإسلام؛ لأنهم يعلمون ما دلت عليه، وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا مسلم أو كافر، فلا يقولها إلا من ترك الشرك وبرئ منه، ولما هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة كان فيها المسلمون الموحدون، والمنافقون الذين يقولونها بألسنتهم، وهم يعرفون معناها، لكن لا يعتقدونه؛ لما في قلوبهم من العداوة، والشك، والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن، وفيها اليهود، وقد أقرهم رسول الله ﷺ لما هاجر، ووادعهم بأن لا يخونوه، ولا يظاهروا عليه عدوًّا كما هو مذكور في كتب الحديث والسير.

قوله: «**كلمة**».

قال القرطبي: بالنصب على أنه بدل من (لا إله إلا الله)، ويجوز الرفع على أنه خبر

مبتدإٍ محذوف.[(١)]

قوله: «**أُحَاجُّ لك بها عند الله**».

هو بتشديد الجيم من المحاجة.[(٢)]

وفيه: دليلٌ على أن الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدًا ما دلت عليه مطابقة من النفي والإثبات؛ لنفعته.

قوله: فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب.

ذَكَّرَاه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين، كقول فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾[طه:٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[الزخرف:٢٣].

قوله: فأعاد عليه النبيُّ ﷺ، فأعادا.

فيه: معرفتهما معنى لا إله إلا الله؛ لأنهما عرفا أن أبا طالب لو قالها لتبرأ من ملة عبد المطلب؛ فإنَّ ملةَ عبد المطلب هي الشرك بالله في إلهيته، وأما الربوبية فقد أقروا بها كما تقدم، وقد قال عبد المطلب لأبرهة: أنا رب الإبل، والبيت له رب يمنعه منك.[(٣)]

وهذه المقالة منهما عند قول النبي ﷺ لعمه: «**قل لا إله إلا الله**»؛ استكبارًا عن العمل بمدلولها، كما قال [الله][(٤)] تعالى عنهما وعن أمثالهما من أولئك المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا

---

(١) "المفهم" (١/ ١٩٣).

(٢) في المطبوع زيادة: والمراد بها بيان الحجة بها لو قالها في تلك الحال.

(٣) رواه ابن إسحاق في "المغازي"، ولم يسنده؛ فهو لا يثبت. انظر "سيرة ابن هشام" (١/ ٤٤).

❁ وله طريق أخرىٰ عند ابن سعد (١/ ٩٢)، وفي إسناده: محمد بن عمر الواقدي، وهو كذاب.

(٤) ساقط من [أ].

قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، فرد عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧]، فبين تعالى أن استكبارهم عن قوله لا إله إلا الله؛ لدلالتها على نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله؛ فإنَّ دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة.

ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه، وهو القادر عليه دون من سواه، فلو كان عند النبي ﷺ -الذي هو أفضل خلقه- من هداية القلوب، وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيءٌ؛ لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه الذي كان يحوطه، ويحميه، وينصره، ويؤويه، فسبحان من بهرت حكمته العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته، وتوحيده، وإخلاص العمل له، وتجريده.

قوله: فكان آخر ما قال.

الأحسن فيه الرفع على أنه اسم كان، وجملة هو وما بعدها الخبر.

قوله: هو على ملة عبد المطلب.

الظاهر أن أبا طالب قال: (أنا)، فَغَيَّرَه الراوي؛ استقباحًا للفظ المذكور، وهي من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ.(١)

قوله: وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

قال الحافظ: هذا تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

---

(١) في "الفتح" (٤٧٧٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفيه الرد على من زعم إسلام [عبد المطلب][1] وأسلافه، ومضرة أصحاب السوء على الإنسان، ومضرة تعظيم الأسلاف، أي: إذا زاد على المشروع، بحيث تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع.

قوله: فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**».

قال النووي: وفيه جواز الحلف من غير استحلاف، وكان الحلف هنا لتأكيد العزم على الاستغفار؛ تطييبًا لنفس أبي طالب، وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل.

قال ابن فارس: مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا.

وتوفيت خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعد موت أبي طالب [بثلاثة][2] أيام.[3]

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ [التوبة:١١٣] الآية.

أي: ما ينبغي لهم ذلك، وهو خبر بمعنى النهي، والظاهر أنَّ هذه الآية نزلت في أبي طالب؛ فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: فأنزل بعد قوله: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» يفيد ذلك.

وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسبابًا أُخَر، فلا منافاة؛ لأنَّ أسباب النزول قد تتعدد، قال الحافظ: أما نزول الآية الثانية، فواضح في قصة أبي طالب، وأما نزول الآية التي قبلها ففيه نظر، ويظهر أنَّ المراد أنَّ الآيَةَ المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب

---

(١) في [أ]: (أبي طالب)، وهو خطأ.

(٢) في المخطوطتين: (بثمانية)، والمثبت من "شرح مسلم".

(٣) انتهىٰ من "شرح مسلم" (٢٤).

بمدة، وهي عامة في حقه وحق غيره، ويوضح ذلك ما يأتي في التفسير[١]، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، [وهذا][٢] كله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام، ويضعف ما ذكره السهيلي أنه رأى في بعض كتب المسعودي[٣] أنه أسلم؛ لأن مثل ذلك لا يعارض ما في "الصحيح". انتهى.

وفيه تحريم الاستغفار للمشركين، وموالاتهم، ومحبتهم؛ لأنه إذا حرم الاستغفار لهم، فموالتهم ومحبتهم أولى.

---

(١) سيأتي برقم (٤٧٧٢)، وليس فيه كلمة (بعد ذلك)، فلعل الحافظ رَحِمَهُ اللهُ ذكرها من حفظه، وقد قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في شرح الحديث (٤٧٧٢): ويؤيد تأخير النزول ما تقدم في تفسير براءة من استغفاره ﷺ للمنافقين حتىٰ نزل النهي عن ذلك؛ فإنَّ ذلك يقتضي تأخير النزول وإن تقدم السبب، ويشير إلىٰ ذلك أيضًا قوله في حديث الباب: «وأنزل الله في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾»؛ لأنه يُشْعِر بأنَّ الآية الأولىٰ نزلت في أبي طالب وفي غيره، والثانية نزلت فيه وحده.اهـ

(٢) إضافة من "الفتح".

(٣) هو علي بن الحسين بن موسىٰ بن محمد، توفي سنة (٣٤٦)، وكان شيعيًّا معتزليًا. "لسان الميزان" (٤/ ٢٦٤).

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة: تفسير قوله: «**قل لا إله إلا الله**»، بخلاف ما عليه من يدَّعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: «**قل لا إله إلا الله**»، فَقَبَّح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جِدُّه ﷺ، ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد علىٰ من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغْفَر له، بل نُهي عن ذلك.

الثامنة: مضرَّة أصحاب السوء علىٰ الإنسان.

التاسعة: مضرَّة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ، وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

١٨- باب ما جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب ما جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ.

ش/ قوله: تركهم.

جُرَّ؛ عطفًا على المضاف إليه، وأراد المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالى بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظم ذنب عُصي اللهُ به، وهو ينافي التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ إِلَّا الحَقَّ**﴾ [النساء:١٧١].

ش/ الغلو: هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله، والخطاب -وإن كان لأهل الكتاب-؛ فإنه عام يتناول جميعَ الأمة؛ تحذيرًا لهم أن يفعلوا فعل النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، واليهود في العزير، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦]؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم**»، ويأتي[1] فكل من دعا نبيًّا أو وليًّا من دون الله؛ فقد اتخذه إلهًا وضاهى النصارى

(١) سيأتي تخريجه في هذا الباب.

في شركهم، وضاهى اليهود في تفريطهم؛ فإن النصارى غلوا في عيسى عليه السلام، واليهود عادوه، وسبوه، وتنقصوه، فالنصارى أفرطوا واليهود فرطوا، وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[المائدة:٧٥] الآية، ففي هذه الآية وأمثالها الرد على النصارى واليهود.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين، بإفراط [فيه][١] أو تفريط؛ فقد شابههم.

قال: وعلي رضي الله عنه حَرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس مذهبه أن يُقتلوا بالسيف من غير تحريق[٢]، وهو قول أكثر العلماء.[٣]

قال المصنف رحمه الله: في "الصحيح" عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله تعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[نوح:٢٣] قال: هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نُوحٍ، فلما هلكوا، أوحَىٰ الشيطانُ إلىٰ قومهم: أن انصِبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وَسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعْبد، حتىٰ إذا هلك أُولئك، ونُسِيَ العلم، عُبِدت.[٤]

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) أثر علي رضي الله عنه أصله في "البخاري" (٦٩٢٢)، وفيه: قول ابن عباس رضي الله عنهما: لو كنت أنا ما حرقتهم بالنار؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يعذب بالنار إلا رب النار**».

(٣) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٣٩٤).

(٤) هذا الأثر أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٠)، من طريق: ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قد أعل؛ فإنَّ عطاء ليس هو ابن أبي رباح، بل هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، كما قرر ذلك غير واحد من الحفاظ، كابن المديني، وأبي مسعود الدمشقي، وأبي علي الغساني، وآخرين، ويبين صحة ذلك أمورٌ منها: أنه قد جاء مصرحًا بنسبته عند عبدالرزاق في "التفسير" (٢/ ٣٢٠) =

ش/ قوله: في "الصحيح".

أي: "صحيح البخاري"، وهذا الأثر اختصره المصنف رحمه الله، ولفظ ما في "البخاري": عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، أما (ود) فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبإٍ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع: أسماء رجال صالحين في قوم نوح إلى آخره.

ورُوي عن عكرمة، والضحاك، وابن إسحاق نحو هذا.[1]

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس أن يغوثَ ويعوقَ ونسرًا كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم،

= بالخراساني، ومنها: قال ابن المديني رحمه الله كما في "الفتح" (٤٩٢٠): سمعت هشام بن يوسف يقول: قال لي ابن جريج: سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران؟ ثم قال: اعفني من هذا. قال: قال هشام: فكان بَعْدُ إذا قال: قال عطاء، عن ابن عباس، قال: عطاء الخراساني. قال هشام: فكتبنا، ثم مللنا. يعني كتبنا الخراساني، قال ابن المديني: وإنما بينت هذا؛ لأن محمد بن ثور كان يجعلها -يعني في روايته- عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، فيظن أنه عطاء بن أبي رباح، وقد أخرج الفاكهي الحديث المذكور من طريق محمد بن ثور، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، ولم يقل: الخراساني.

قلتُ: ورواية الفاكهي في "أخبار مكة" (٥/ ١٦٢-١٦٣).

قال أبو عبدالله: وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس، وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء، وإنما سمعه من ولده عثمان، وعثمان بن عطاء الخراساني شديد الضعف، وقد حاول الحافظ أن يدافع عن الأثر في "الفتح"، ثم قال في "هدي الساري" (ص٥٤٠)ط/ السلام: وهذا عندي من المواضع العقيمة عن الجواب السديد، ولابد للجواد من كبوة، والله المستعان.اهـ

فالراجح أنَّ الأثر معل لا يثبت.

(١) أثر عكرمة، وابن إسحاق لم نجدهما مسندين، وقد ذكرهما ابن كثير في "تفسيره".

وأثر الضحاك عند ابن جرير تفسير سورة نوح [آية:٢٣]، وهو ضعيف، فيه انقطاع، ورجل مجهول الحال وهو أبو معاذ الفضل بن خالد المروزي، وفيه: الحسين بن داود الملقب بـسُنَيد، وهو ضعيف.

فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صورناهم؛ كان أشوق لنا إلى العبادة. فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسْقَون المطر، فعبدوهم.[(١)]

قوله: أن انصبوا. هو بكسر الصاد المهملة.

قوله: أنصابًا.

جمع نصب، والمراد به هنا الأصنام المصورة على صور أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم، وسموها بأسمائهم، وفي سياق حديث ابن عباس ما يدل على أن الأصنام تُسَمَّى أوثانًا، فاسم الوثن يتناول كلَّ معبود من دون الله، سواء كان ذلك المعبود قبرًا، أو مَشهدًا، أو صورةً، أو غير ذلك.

قوله: حتى إذا هلك أولئك.

أي: الذين صوروا تلك الأصنام.

قوله: ونسي العلم.

ورواية البخاري: [«**وتَنَسَّخَ**»][(٢)]، وللكشميهني: «ونسخ العلم»، أي: درست آثاره بذهاب العلماء، وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك، فوقعوا في الشرك ظَنًّا منهم أنه ينفعهم عند الله.

قوله: عبدت.

لما قال لهم إبليس: إنَّ من كان قبلكم كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر.

فهو الذي زين لهم عبادة الأصنام، وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة، كما

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة نوح [آية:٢٣]، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي، كذَّاب.
(٢) في المخطوطتين: «**وينسخ**»، والمثبت من "البخاري".

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٠-٦٢]، وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسنًا؛ فإنَّ الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين، والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة: أظهر لهم البدع، والغلو في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم؛ ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله.

وفي رواية أنهم قالوا: ما عَظَّم أولنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله، أي: يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، وسموها بأسمائهم، ومن هنا يُعلم أن اتخاذ الشفعاء، ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شركٌ بالله كما تقدم بيانه في الآيات المحكمات.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[(١)]

ش/ قوله: وقال ابن القيم.

هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية.

قال الحافظ السخاوي: العلامة الحجة، المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، صاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة، مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

(١) انتهىٰ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٨٧).

قوله: قال غير واحد من السلف.

هو بمعنى ما ذكره البخاري، وابن جرير؛ إلا أنه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم، وذلك من وسائل الشرك، بل هو شرك؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة، فإذا عكفوا على القبور؛ صار عكوفهم تعظيمًا ومحبةً عبادةً لها.

قوله: ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

أي: طال عليهم الزمان، وسبب تلك العبادة والموصل إليها هو ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانًا تُعبد من دون الله، كما ترجم به المصنف رحمه الله تعالى؛ فإنهم تركوا بذلك دين الإسلام الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك، فكفروا بعبادة تلك الصور، واتخاذهم شفعاء، وهذا أول شرك حدث في الأرض.

قال القرطبي: وإنما صَوَّر أوائِلُهم الصورَ؛ ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادَهم، فوسوس لهم الشيطان: أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. انتهى.[١]

قال ابن القيم: وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور، ويلقي إليهم [أنَّ][٢] البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به، والإقسام على الله به؛ فإنَّ شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحدٍ من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم؛ نقلهم منه إلى

(١) لم أجد هذا النص في "التفسير"، وإنما معناه، ثم وجدته من كلام صاحب "المفهم" (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) ساقط من [أ].

دعائه، وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وَثَنًا تُعَلَّق عليه القناديل، والستور، ويُطاف به، ويُستلم، ويُقَبَّل، ويُحَجُّ إليه، ويُذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم؛ نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدًا وَمَنْسَكًا، ورأوا أَنَّ ذلك أنفع لهم في دنياهم وأُخراهم، وكل هذا مما قد عُلِم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضادٌّ لما بعث اللهُ به رسولَه ﷺ من تجريد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله، فإذا تقرر ذلك عندهم؛ نقلهم منه إلى أَنَّ من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرُّتَب العالية، وحَطَّهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم، ولا قدر، وغضب المشركون، واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥]، وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطَّغَام، وكثيرٍ ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عَادَوا أهلَ التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونَفَّروا الناس عنهم، وَوالَوا أهلَ الشرك، وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله، وأنصار دينه ورسوله، ويأبي اللهُ ذلك: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الـمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى.[1]

وفي القصة فوائد ذكرها المصنف رحمه الله:

منها: أن من فهم هذا الباب وما بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه القلوب العجب.

ومنها: أنَّ أول شرك حدث في الأرض سببه محبة الصالحين، أي: المحبة التي فيها غلو.

ومنها: معرفة أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء.

ومنها: معرفة سبب قبول البدع، مع [كون][2] الشرائع والفطر تنكرها، وأن سبب

---

(١) انظر قريبًا من هذا الكلام في "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٣٠).
(٢) في [أ]: أنَّ.

ذلك كله مزج الحق بالباطل بأمرين: **الأول**: محبة الصالحين. **والثاني**: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا [به][1] غيره.

ومنها: معرفة جِبِلَّةِ الإنسان، في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد، أي: في الغالب.

ومنها: أن فيها شاهدًا لِـمَا نقل عن بعض السلف: أن البدعة سبب الكفر، وأنها أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها.

ومنها: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

ومنها: معرفة القاعدة الكلية، وهي: النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه، أي: من الشرك.

ومنها: النهي عن التماثيل، والحكمة من إزالتها.

ومنها: [معرفة عظم شأن][2] هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

ومنها: -وهي أعجب- قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم لمعنى الكلام، وكون الله تعالى حال بين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل [العبادة][3]، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال، يعني: لو نهاهم ناهٍ بنهي الله لهم عن الشرك؛ لكفروه، واستحلوا دمه، وماله بذلك.

ومنها: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) (معرفة) ساقط من [أ]، و(عظم) ساقط من [ب].

(٣) في [أ]: العبادات.

ومنها: ظنهم أن الذي صوروا الصور أرادوا ذلك.

ومنها: التصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسي العلم، ففيها: معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.

ومنها: أن سبب فقد العلم موت العلماء. انتهى.[(١)]

ومنها: ردُّ الشُّبَه التي يسميها أهلُ الكلام عقليات، ويدفعون بها ما جاء به الكتاب والسنة من توحيد الصفات، وإثباتها على ما يليق بجلال الله، وعظمته، وكبريائه.

ومنها: مضرة التقليد.

ومنها: ضرورةُ الأمة إلى ما جاء به الرسولُ ﷺ علمًا وعملًا بما يدل عليه الكتاب والسنة؛ فإنَّ ضرورة العبد إلى ذلك فوق كل ضرورة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن عمر: أن رسول الله ﷺ قال «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، أخرجاه.[(٢)]

ش/ قوله: عن عمر.

هو ابن الخطاب بن نفيل -بنون وفاء مصغرا- العدوي، أميرُ المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَلِيَ الخلافةَ عشرَ سنين ونصفًا، فامتلأت الدنيا عدلًا، وفُتِحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، واستُشهِد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين.

قوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم**».

الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه، قاله أبو السعادات. وقال غيره: أي لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحدَّ في مدحي.

---

(١) من مسائل "كتاب التوحيد".

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥)، ولم يخرجه مسلم رَحِمَهُ اللهُ.

قولهُ: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله».

أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام، فادَّعَوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبد الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا عبد الله ورسوله.

فأبى المشركون إلا مخالفة أَمْرِه، وارتكاب نَهْيِهِ، فعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شِعرًا ونثرًا ما يطول عَدُّه، وصنفوا فيه مصنفات.

وقد ذكر شيخ الإسلام عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يُستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك مصنفًا رَدَّهُ شيخُ الإسلام، وَرَدُّه موجودٌ بحمد الله[1]، ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وذكر عنهم أشياء من هذا النمط، نعوذ بالله من عمى البصيرة، وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء، واللياذ، والرجاء، والاعتماد في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار لغير الله تعالى، فناقضوا الرسولَ ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظمَ مناقضة، وشاقُّوا الله ورسوله أعظم مُشاقَّة، وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشركَ العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه، وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه اللهُ به في قالب تنقصه، وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي، وفرطوا في متابعته، فلم يعبأوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه، ولا سلموا له، وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه، فعكس أولئك المشركون ما أراد اللهُ ورسوله عِلْمًا وعملًا، وارتكبوا ما نهى اللهُ عنه ورسولُه، فالله المستعان.

---

(١) واسم كتابه "الاستغاثة"، أو "الرد على البكري"، وقد طبع عدة طبعات بحمد الله.

قال المصنف رحمه الله: وقال: قال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ**».

ش/ هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه، وقد رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عباس.(١)

وهذا لفظ [رواية](٢) أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: «**هلم القط لي**»، فلقطت له حصيات هُنَّ حصى الخذف، فلما وضعهن في يده، قال: «**نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**».

قال شيخ الإسلام: هذا عامٌّ في جميع أنواع الغلو: في الاعتقادات، والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار؛ بناءً على أنه أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا؛ إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به؛ وأنَّ المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك.(٣)

---

(١) **حسن**. الحديث أخرجه أحمد (١٨٥١)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، والنسائي (٥/ ٢٦٨)، وغيرهم من طرق عن عوف بن أبي جميلة، عن زياد بن الحصين، عن أبي العالية، عن ابن عباس به، وهذا إسناد حسن علىٰ شرط مسلم. وأخرجه أحمد برقم (٣٢٤٨) (١/ ٣٤٧) من طريق: عوف به، وقال الراوي: لا يَدْرِي عوف من هو: عبدالله أم الفضل؟ يعني بذلك قوله: ابن عباس.

قلت: وهذا الشك لا يضر الحديث؛ لأنَّ أبا العالية مخضرم قد سمع من كبار الصحابة؛ فيكون قد سمع من الفضل بالأولوية، والله أعلم.

تنبيه: الحديث لم يخرجه الترمذي كما عزاه المؤلف.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) انتهىٰ من "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» قالها ثلاثا.[١]

ش/ قال الخطابي: المتنطع المتعمق في الشيء، المتكلف [البحث][٢] عنه، على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.[٣]

ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقًا، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب.

قال الشيخ تقي الدين: فهذا جاهل ضال. انتهى.[٤]

وقال ابن القيم ﵀: قال الغزالي: والمتنطعون في البحث والاستقصاء.[٥]

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقاصي حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استُعمل في كل متعمق قولًا وفعلًا.

وقال النووي: فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وَحْشِي اللغة، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.[٦]

قوله: قالها ثلاثًا.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٠).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انتهىٰ من "معالم السنن" (٤/ ٢٧٧).

(٤) في "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ٥١١): فأما الزهد في النافع فجهل وضلال.

(٥) انظر: "الصواعق المرسلة" (٤/ ١٢٧١).

(٦) "رياض الصالحين" [كتاب المنهيات] باب رقم (٣٢٨).

أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغةً في التعليم والإبلاغ، فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

فيه مسائل:

الأولىٰ: أنَّ منَ فَهِم هذا الباب وبابين بعده؛ تبين له غربة الإسلام، ورأىٰ مِنْ قدرة الله، وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غُيِّر به دينُ الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفِطَر تردُّها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مَزْجُ الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعلُ أُناس من أهل العلم شيئًا أرادوا به خيرًا، فَظَنَّ مَنْ بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبِلَّةُ الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لِـمَا نُقل عن السلف أنَّ البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تئول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي: النهي عن الغلو، ومعرفة ما يئول إليه.

الحادية عشرة: مضرَّةُ العُكوف علىٰ القبر لأجل عملٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتُهم إيَّاها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنىٰ الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتىٰ اعتقدوا أن فعل قوم

نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن [نهي][1] اللهِ ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال.[2]

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنُّهم أن العلماء الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «**لا تطروني كما أطرتِ النصارىٰ ابنَ مريم**»، فصلوات الله وسلامه علىٰ من بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحتُه إيَّانا بِهَلاك المتنطِّعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعبد حتىٰ نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرَّة فَقْدِه.

العشرون: أن سبب فَقْدِ العلم موتُ العلماء.

---

(١) المثبت بين المعقوفين من بعض النسخ، وفي بعضها (ما نهىٰ)، والمثبت أقرب.

(٢) أي: عكسوا الحال، فصار فعل قوم نوح عندهم أفضل العبادات، والنهي عن ذلك هو الكفر.

١٩- باب ما جَاءَ من التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ الله عِنْدَ قَبْرِ رجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

قال المصنف رحمه الله: باب ما جَاءَ من التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ الله عِنْدَ قَبْرِ رجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟![1]

ش/ أي: الرجل الصالح؛ فإنَّ عبادته هي الشرك الأكبر، وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو أعظم الذنوب.

قال المصنف رحمه الله: في "الصحيح" عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ أُمّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأرض الحَبَشَةِ، وَمَا فِيْهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».[2]

---

(١) **مسألة**: اتخاذ المساجد علىٰ القبور محرم كما في عدة أحاديث، منها: «**لا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»، وحديث: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وهذا يشمل أمرين: ١) أن يُبْنَىٰ مسجد علىٰ قبر. ٢) أن يُصَلَّىٰ عند القبر. وكلاهما يعتبر اتخاذًا لها مسجدًا، وهذا محرم عند أهل العلم، وقد نقل الألباني رحمه الله في كتابه "تحذير الساجد" عن أصحاب المذاهب الأربعة تحريم ذلك، وبين أن إطلاق الكراهة عند بعضهم المراد بها كراهة التحريم.

واختلفوا في بطلان الصلاة:

- فمذهب أحمد، واختاره شيخ الإسلام بطلان الصلاة؛ لأنَّ هذا النهي يُفضي إلىٰ الشرك، وهو أعظم المنهيات.
- وأما مالك، والشافعي، وأبو حنيفة فيذهبون إلىٰ عدم البطلان.

والراجح أنها باطلة؛ لأنَّ النهي يقتضي الفساد؛ لحديث عائشة رضي الله عنها: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد**»، وهذا هو ترجيح الأئمة: ابن باز، وابن عثيمين، ومقبل الوادعي رحمهم الله.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٢٧)، ومسلم برقم (٥٢٨).

ش/ قوله: في "الصحيح". **أي:** "الصحيحين".

قوله: أَنَّ أُمَّ سَلَمة.

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع. وقيل: ثلاث. وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، ماتت سنة اثنتين وستين.

قوله: ذَكَرت لرسول الله.

وفي "الصحيحين": أَنَّ أُمَّ حبيبة وأم سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ.

والكنيسةُ: بفتح الكاف وكسر النون: معبد النصارى.

قوله: «**أولئكِ**». بكسر الكاف، خطابًا للمرأة.

قوله: «**إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح**».

هذا -والله أعلم- شَكٌّ من بعض رواة الحديث: هل قال النبي ﷺ هذا، أو هذا؟ ففيه التحري في الرواية، وجواز الرواية بالمعنى.

قوله: «**وصوروا فيه تلك الصور**».

الإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التي في الكنيسة.

قوله: «**أولئكِ شرار الخلق عند الله**».

وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور، وقد لُعِنَ من فعل ذلك كما سيأتي.

قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء؛ تعظيمًا لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانًا؛ لعنهم النبي ﷺ.

قال القرطبي: وإنما صَوَّر أوائلهم الصورَ؛ ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم [الصالحة][١]، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادَهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك؛ سدًّا للذريعة المؤدية إلى ذلك.[٢]

قال المصنف رحمه الله: فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ش/ هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] ذكره المصنف رحمه الله؛ تنبيهًا على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل؛ فإنَّ الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام [أو أشد][٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذِ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك؛ فإنَّ النفوسَ قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب، ونحو ذلك؛ فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعْتَقَد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر؛ ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون، ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها، والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس، فنهى أُمَّتَه عن الصلاة حينئذ، وإن لم يقصد

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) انظر: "المفهم" (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٣) كما في "الاقتضاء" (٢/ ٦٧٣).

(٤) في [أ]: بل أشد.

ما قصده المشركون؛ سَدًّا للذريعة، وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا [عين][1] المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداعُ دينٍ لم يأذن به الله؛ فإنَّ المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ: أنَّ الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات، وأسباب الشرك: الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه، وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها؛ متابعةً منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرح أصحاب أحمد، وغيرهم من أصحاب مالك، والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة، والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم؛ إحسانًا للظن بالعلماء، وأنْ لا يُظَن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله، والنهي عنه.انتهى كلامه رحمه الله.[2]

قال المصنف رحمه الله: ولهما عنها: قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بها كشَفَهَا فقال -وهو كذلك-: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أخرجاه.[3]

ش/ قوله: ولهما.

أي: البخاري ومسلم، وهو يغني عن قوله في آخره (أخرجاه).

قوله: لما نُزِل.

هو بضم النون وكسر الزاي، أي: نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عليهم السلام.

---

(١) في [أ]: من.

(٢) النص بتمامه في "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٨٨-٢٨٩)، وجُلُّه في "الاقتضاء" (٢/ ٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥)، ومسلم برقم (٥٣١).

قوله: طفق. بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح، وبه جاء القرآن، ومعناه: جعل.

قوله: خَميصة. بفتح المعجمة والصاد المهملة، كِسَاءٌ له أعلام.

قوله: فإذا اغتم بها كشفها. **أي**: عن وجهه.

قوله: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ**[1] **اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

يبين أنَّ من فعل مثل ذلك حلَّ عليه من اللعنة ما حلَّ على اليهود، والنصارى.

قوله: يحذر ما صنعوا.

الظاهر أن هذا من كلام عائشة ﵂؛ لأنها فهمت من قول النبي ﷺ ذلك تحذيرَ أمته من هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم؛ فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلى الشرك، ومن غربة الإسلام أنَّ هذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعليه -تحذيرًا لأمته أن يفعلوه معه ﷺ، ومع الصالحين من أمته- قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة، واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله.

---

(١) قال الحافظ ﵀ في "الفتح" (٤٣٥): وقد استشكل ذكر النصارىٰ فيه؛ لأن اليهود لهم أنبياء، بخلاف النصارىٰ؛ فليس بين عيسىٰ وبين نبينا ﷺ نبي غيره، وليس له قبر. والجواب: أنه كان فيهم أنبياء أيضًا، لكنهم غير مرسلين، كالحواريين، ومريم في قولٍ، أو الجمع في قوله: «**أنبيائهم**» بإزاء المجموع من اليهود والنصارىٰ، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم، فاكتفىٰ بذكر الأنبياء، ويؤيده قوله في رواية مسلم من طريق جندب: «**كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**»؛ ولهذا لما أفرد النصارىٰ في الحديث الذي قبله قال: «**إذا مات فيهم الرجل الصالح**»، ولما أفرد اليهود في الحديث الذي بعده قال: «**قبور أنبيائهم**»، أو المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداعًا، أو اتِّبَاعا، فاليهود ابتدعت، والنصارىٰ اتبعت، ولا ريب أن النصارىٰ تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود.اهـ.

قال القرطبي في معنى الحديث: وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام. انتهى.(١)

إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِالله مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف:٣٨] نكرة في سياق النفي تعم كل شرك.

قوله: ولولا ذلك.

أي: ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدًا؛ لأبرز قبره مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع.

قوله: غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

رُوي بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، [فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة](٢) غلوًّا وتعظيمًا بما أبدى وأعاد من النهي والتحذير منه، ولعن فاعله.

قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ،(٣) فَأَعْلَوا حيطان

---

(١) لم أجد هذا النص في "المفهم"، وإنما معناه في (٢/ ١٢٨).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٣) إدخال قبر النبي ﷺ إلىٰ المسجد قد قال فيه الإمام النووي: إنه من فعل بعض الولاة الأمويين، وهو الوليد بن عبدالملك -عفا الله عنه- ولذلك أنكر عليه بعض العلماء في عصره هذا العمل، ولا يزالون ينكرون هذا الأمر، وليس فيه حجة للصوفية الذين يجوزون بناء المساجد علىٰ القبور؛ لأنَّ هذا ليس من فعل الرسول، ولا من فعل الصحابة، ولا رضي به العلماء، وإنما هو فعل أمير من الأمراء، ومع ذلك حاول التحرز من أن يُعبد. ويراجع "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره. انتهى.[(١)]

قال المصنف: وفيه من المسائل: ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

ومنها: النهي عن التماثيل بتغليظ الأمر.

ومنها: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

ومنها: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

ومنها: لعنه إياهم على ذلك.

ومنها: أن مراده بذلك تحذيره إيانا عن قبره.

ومنها: أنها هي العلة في عدم إبرازه، انتهى.[(٢)]

---

(١) من "المفهم" (٢/ ١٢٨)، وكان الوصف المذكور كذلك في عهد القرطبي رحمه الله، ثم طرأ عليه التغيير في العصر المملوكي، ثم العثماني، وأصبح القبر الآن في ضمن حجرة مربعة تحيط به من جميع الجهات، وتحجز بين القبر وبين الناس بجدرانها.

(٢) من مسائل "كتاب التوحيد".

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولمسلم عن جُنْدُبِ بن عبد الله، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ الله أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلاَ تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ؛ فإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[١].

فقد نَهَىٰ عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- مَنْ فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يُبن مسجد، وهو معنىٰ قولها: «خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا».

فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حَول قبره مسجدًا، وكل موضع قُصِدت الصلاة فيه، فقد اتُّخذ مسجدًا، بل كل موضع يُصلَّىٰ فيه، يُسمىٰ مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[٢][٣].

ش/ قوله: عن جندب بن عبد الله.

أي: ابن سفيان البجلي، ويُنسب إلى جده، صحابيٌّ مشهور، مات بعد الستين.

قوله: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل**».

أي: امتنع عما لا يجوز لي أن أفعله، والخُلَّة فوق المحبة، والخليل هو المحبوب غاية الحب، مشتقٌّ من الخَلة بفتح الخاء، وهي تخلل المودة في القلب كما قال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبـذا سُـمِّيَ الخليـل خليـلا

هـذا هـو الصحيح في معناهـا كمـا ذكـره شيـخ الإسـلام، وابن القيـم، وابن

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٢) بلفظ: «**قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**».

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٥)، ومسلم برقم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) انتهىٰ، وهو مأخوذٌ من كلام شيخ الإسلام كما في "الاقتضاء" (٢/ ٦٧١).

كثيـر وغيرهـم.[(١)]

قال القرطبي: وإنما كان ذلك؛ لأن قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله، وتعظيمه، ومعرفته، فلا يسع خلة غيره.[(٢)]

قوله: «فإن الله قد اتخذني خليلًا».

فيه: بيان أنَّ الخلة فوق المحبة.

قال ابن القيم ؒ: وأما ما يظنه بعض الغالطين من أنَّ المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيب الله؛ فمن جهلهم؛ فإنَّ المحبة عامة، والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة، وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ اللهَّ قدِ اتخذه خليلًا، ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة، ولأبيها، ولعمر بن الخطاب[(٣)]، [ومعاذ بن جبل[(٤)]][(٥)] وغيرهم ؓ، وأيضًا فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين، وخلته خاصة بالخليلين.[(٦)]

قوله: «ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لا تخذت أبا بكر خليلًا».

فيه: بيان أن الصديق أفضل الصحابة.

وفيه: الرد على الرافضة، وعلى الجهمية وهما شر أهل البدع، وأخرجهم بعض السلف

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ٢٠٣)، "روضة المحبين" (٦٣-٦٤)، "تفسير ابن كثير" سورة النساء [آية:١٢٥].

(٢) انتهىٰ من "المفهم" (٢/ ١٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص ؓ، أنه سأل النبي ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**»، فعدَّ رجالًا.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٤)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وغيرهم بإسناد صحيح.

(٥) زيادة من حاشية [ب].

(٦) انتهىٰ من "الداء والدواء" (ص٢٩٤).

من الثنتين والسبعين فرقة، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد، قاله المصنف رحمه الله[1]، وهو كما قال بلا ريب.

وفيه: إشارة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛[2] لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من غيره، وقد استخلفه على الصلاة بالناس، وغضب ﷺ لما قيل يصلي بهم عمر، وذلك في مرضه الذي توفي فيه صلوات الله وسلامه عليه.[3]

واسم أبي بكر: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة بإجماع من يُعْتَدُّ بقوله من أهل العلم، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضي الله عنه.

قوله: «ألا».

حرف استفتاح **«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»** الحديث.

قال الخلخالي: وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يُخَرَّج على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لهم.

---

(١) كما في "كتاب التوحيد" المسألة رقم (١١).

(٢) الخلافة تحصل بثلاثة أمور:

١) الاستخلاف. يعني الخليفة الأول يستخلف من هو أهلٌ لذلك، كما فعل أبو بكر بعمر؛ فإنه عينه خليفة بعده.

٢) أن يحصل بالاختيار من أهل الحل والعقد، كما فُعِل بأبي بكر، وعثمان رضي الله عنهما.

٣) أن يتغلب عليها غَلَبَةً، ويأخذها قهرًا، فإذا استتبت له الأمور؛ فإنَّ له الطاعة، ويدل علىٰ ذلك حديث: «**اسمعوا، وأطيعوا، وإن تأمر عليكم عبد حبشي**»، ومعلوم أن العبد لن يأخذها إلا قهرًا؛ لأنَّ الخلافة ليست للعبيد، ولا لغير القرشيين.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٦٤) (٦٧٨)، ومسلم برقم (٤١٨) (٤٢٠)، من حديث عائشة، وأبي موسىٰ رضي الله عنهما.

الثاني: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء، والتوجه إليها حالة الصلاة؛ نظرًا منهم بذلك إلى عبادة [الله][1]، والمبالغة في تعظيم الأنبياء، والأول: هو الشرك الجلي، والثاني: الخفي؛ فلذلك استحقوا اللعن.

قوله: فقد نهى عنه في آخر حياته.

أي: كما في حديث جندب، هذا من كلام شيخ الإسلام، وكذا ما بعده.

قوله: ثم إنه لعن.

وهو في السياق من فعله كما في حديث عائشة.

قلت: فكيف يسوغ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين أن تعظم القبور، ويبنى عليها، ويصلى عندها وإليها؟ هذا أعظم مشاقة ومحادة لله تعالى ولرسوله ﷺ لو كانوا يعقلون.

قوله: والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد.

أي: من اتخاذها مساجد الملعون فاعله، وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**» رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه ابن حبان، والحاكم.[2]

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) **صحيح**. أخرجه أحمد (٣/ ٨٣)، وأبو داود (٤٩٢)، والترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٧٤٥)، وابن حبان (١٦٩٩)، والحاكم (١/ ٢٥١)، والبيهقي (٢/ ٤٣٥). روي مرسلًا من بعض الطرق، وروي موصولًا من بعض الطرق، وبعض الأئمة رجح إرساله، كالترمذي عقب الحديث، والدارقطني كما في "العلل" (١١/رقم ٢٣١٠)، وبعضهم صححه موصولًا، ومرسلًا، وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام، وعزاه إلىٰ جماعة من الحفاظ كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٢/ ١٦٠)، وقال رحمه الله في "الاقتضاء" (٢/ ٦٧٢): ومن تكلم فيه فما استوفىٰ طرقه. ورجح الألباني، والوادعي رحمهما الله صحة الحديث، وأن رواية الوصل محفوظة أيضًا كرواية الإرسال. انظر: "الإرواء" (١/ ٣٢٠)، "الصحيح المسند" رقم (٣٨٠).

قال ابن القيم رحمه الله: وبالجملة فمن له معرفة بالشرك، وأسبابه، وذرائعه، وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده؛ جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أنَّ هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته -صيغة لا تفعلوا وصيغة: «**إني أنهاكم عن ذلك**» ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقلَّ نصيبه، أو عدم من لا إله إلا الله؛ فإنَّ هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانةً لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له، وغضب لربه أن يُعْدَل به سواه، فأبى المشركون إلا معصيةً لأمره، وارتكابًا لنهيه، وغَرَّهم الشيطان بأنَّ هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوًّا؛ كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله من هذا الباب دخل على عُبَّاد يعوقَ، ويغوثَ، ونسر، ودخل على عُبَّاد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن في طريقتهم، فهدى اللهُ أهلَ التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم.[1]

قال الشارح: وممن علل بخوف الفتنة بالشرك: الإمام الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام وغيرهم، وهو الحق الذي لا ريب فيه.[2]

قوله: فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا.

أي: لِـمَا علموا من تشديده في ذلك، وتغليظه، ولعن من فعله.

قوله: وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا.

أي: وإن لم يبن مسجد، بل كل موضع يُصَلَّى فيه يُسَمَّى مسجدًا، يعني وإن لم يقصد

---

(١) انتهىٰ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٩٦-٢٩٧).

(٢) انتهىٰ من "التيسير" (ص٣٢٩).

بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يصلي فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير أن يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجدًا.

قوله: كما قال ﷺ: «**جُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**».

أي: فسَمَّى الأرضَ مسجدًا تجوز الصلاة في كل بقعة منها، إلا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، كالمقبرة ونحوها.

قال البغوي في "شرح السنة": أراد أنَّ أهلَ الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بِيَعِهِم وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا؛ تخفيفًا عليهم وتيسيرًا، ثم خَصَّ من جميع المواضع: الحمامَ، والمقبرةَ، والمكان النجس. انتهى.[1]

قال المصنف رحمه الله: وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**». ورواه أبو حاتم ابن حبان في "صحيحه".[2]

ش/ قوله: «**إن من شِرار الناس**»، بكسر الشين جمع شرير.

قوله: «**من تدركهم الساعة وهم أحياء**».

أي: مقدماتها كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع.

قوله: «**والذين يتخذون القبور مساجد**».

---

(١) لم أقف على هذا النص بلفظه، ووقفت على كلامٍ بمعناه في "شرح السنة" (٢/ ٤١٢).

(٢) حسن. أخرجه أحمد (٤١٤٣) (٣٨٤٤)، وابن حبان (٦٨٤٧)، وكذلك ابن خزيمة (٧٨٩)، وأبو يعلى (٥٣١٦)، والبزار كما في "كشف الأستار" (٣٤٢٠)، وغيرهم من طرق عن زائدة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن عبدالله بن مسعود به، وهذا إسناد حسن. وقد أخرج البخاري الجملة الأولى من الحديث معلقًا برقم (٧٠٦٧).

معطوف على خبر[١] إِنَّ في محل نصب على نية تكرار العامل، أي: ومن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، أي: بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها، وتقدم في الأحاديث الصحيحة أنَّ هذا من عمل اليهود والنصارى، وأن النبي ﷺ لعنهم على ذلك؛ تحذيرًا للأمة أنْ يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعل اليهود والنصارى، فما رفع أكثرهم بذلك رأسًا، بل اعتقدوا أنَّ هذا الأمر قُربة إلى الله، وهو مما يبعدهم عن الله، ويطردهم عن رحمته ومغفرته، والعجب أن أكثر من يَدَّعي العلمَ ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه، ورغبوا في فعله، فلقد اشتدت غربة الإسلام، وعاد المعروف مُنْكَرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامةُ الطوائف بالنهي عنه؛ متابعةً للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه.

[قال][٢] ولا ريب في القطع بتحريمه.

ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلى أن قال: وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء، والصالحين، أو الملوك وغيرهم، تتعين إزالتها بهدمٍ أو بغيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين.[٣]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: يجبُ هدم القباب التي بنيت على القبور؛ لأنها أُسِّسَتْ على معصية الرسول ﷺ.[٤]

---

(١) كذا في أصول المؤلف، والصواب: معطوف علىٰ اسم إن.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) انتهىٰ من "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٦٦٧-٦٦٩).

(٤) انتهىٰ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٢٧).

وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة [(١)] من الأبنية، منهم: ابن الجميزي، والظهير التَّزْمَنْتي، وغيرهما.

وقال القاضي ابن كج [(٢)]: ولا يجوز أن تُجَصَّص القبور، ولا أن يُبنى عليها قباب، ولا غير قباب، والوصية بها باطلة.

وقال الأذرعي: وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة؛ فلا ريب في تحريمه.

وقال القرطبي -في حديث جابر ﵁ «نهى أن يجصص القبر، أو يبنى عليه» [(٣)]-: وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجص على القبور، وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه. [(٤)]

وقال ابن رشد: كره مالك البناءَ على القبر، وجَعْلَ البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول أحدثوه إرادة الفخر، والمباهاة، والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه.

وقال الزيلعي في "شرح الكنز": ويكره أن يُبنى على القبر. [(٥)]

وذكر قاضي خان أنه لا يجصص القبر، ولا يُبنى عليه؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر، والمراد بالكراهة -عند الحنفية رحمهم الله- كراهة

---

(١) مقبرة في مصر منسوبة إلىٰ قَرَافَة: بطن من المعافر، قبيلة من اليمن. "معجم البلدان" (٤/ ٣١٧).

(٢) هو القاضي يوسف بن أحمد، أبو القاسم الدّينوري، توفي سنة (٤٠٥). "طبقات الشافعية" (٥/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٧٠).

(٤) انتهىٰ من "المفهم" (٢/ ٦٢٦).

(٥) انتهىٰ من "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" (١/ ٢٤٦)، والزيلعي هو أبو محمد عثمان بن علي الزيلعي، من فقهاء الحنفية، وهو غير الزيلعي عبدالله بن يوسف صاحب "نصب الراية".

التحريم، وقد ذكر ذلك ابن نجيم في "شرح الكنز".[(١)]

وقال الشافعي رحمه الله: أكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدًا؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس.[(٢)]

وكلام الشافعي رحمه الله يبين أن مراده بالكراهة كراهة التحريم.

قال الشارح: وجزم النووي رحمه الله في "شرح المهذب" بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في "شرح مسلم" نحوه أيضًا.[(٣)]

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابلة صاحب المصنفات الكبار كـ"المغني"، و"الكافي"، ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ**» الحديث، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيمُ الأموات، واتخاذهم صورًا، والتمسح بها، والصلاة عندها. انتهى.[(٤)]

[(٥)][قال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما المقبرة فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، انقلبت تربتها أو لم تنقلب، ولا فرق بين أن يكون بينه وبين الأرض حائلٌ أو لا؛ لعموم الاسم، وعموم العلة؛ ولأن النبي ﷺ لعن الذين اتخذوا قبورَ الأنبياء مساجد، ومعلومٌ أنَّ قبور الأنبياء لا تنجس.

وبالجملة: فمن عَلَّل النهيَ عن الصلاة في المقبرة بنجاسةِ التربة خاصة؛ فهو بعيد عن مقصود النبي ﷺ، ثم لا يخلو أن يكون القبر قد بُني عليه مسجد، فلا يُصَلَّى في هذا

---

(١) ذكر في مواضع عديدة من شرحه الأمرين، أعني أنها تطلق علىٰ كراهة التنزيه، وكراهة التحريم.

(٢) انظر: "الأم" (١/ ٢٤٦).

(٣) انظر: "شرح المهذب" (٥/ ٢٧٠)، "شرح مسلم" (٩٧٠)، "تيسير العزيز الحميد" (ص٣٣٣)، والمذكور في المصدرين السابقين هو الكراهة.

(٤) من "المغني" (٣/ ٤٤١).

(٥) من ههنا ساقط من [أ] إلىٰ قوله: ولو تتبعنا كلام العلماء... .

المسجد، سواء كان خلف القبر أو أمامه بغير خلاف في المذهب؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»[(١)]، وخَصَّ قبورَ الأنبياء والصالحين؛ لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم، واتخاذها مساجد [أشد][(٢)]، وكذلك إن لم يكن بني عليه مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهي عن الصلاة عند القبور من أجلها؛ فإنَّ كل مكان صلي فيه يسمى مسجدًا كما قال ﷺ: «**جُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»، وإن كان موضع قبر أو قبرين.

وقال بعض أصحابنا: لا يمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسم المقبرة، وليس في كلام أحمد، ولا بعض أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر.

وقد تقدم عن علي أنه قال: لا أصلي في حمامٍ، ولا عند قبرٍ،[(٣)] فعلى هذا يكون النهي متناولًا [لحريم القبر وفنائه][(٤)]، ولا تجوز الصلاة في مسجد بُنِي في مقبرة، سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور، أو كان مكشوفًا.

قال في رواية الأثرم: إذا كان المسجد بين القبور؛ لا يصلى فيه الفريضة، وإن كان بينها وبين المسجد حاجز، فَرُخِّص أن يصلى فيه على الجنائز، ولا يصلى فيه على غير الجنائز، وذكر حديثَ أبي مرثد عن النبي ﷺ: «**لا تصلوا علىٰ القبور**»[(٥)].

---

(١) قطعة من حديث جندب رضي الله عنه الذي تقدم في الباب.

(٢) إضافة من المطبوع يقتضيها السياق.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ووجدت في "مصنف ابن أبي شيبة" (٢/ ٣٨٠) عنه أنه قال: لا تصل تجاه حُش، ولا حمام، ولا مقبرة. وإسناده ضعيف؛ لأنَّ في إسناده: ليث بن أبي سليم، وهو ضعيفٌ، يرويه عن الحكم، عن علي رضي الله عنه، والحكم لم يدرك عليًّا رضي الله عنه.

(٤) في [ب]: (تحريم القبر وبنائه)، والمثبت أقرب.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٩٧٢)، من حديث أبي مرثد رضي الله عنه.

وقال: إسناده جيد. انتهى. [١]] [٢].

ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك؛ لاحتمل عدة أوراق، فتبين بهذا أن العلماء رحمهم الله تعالى بينوا أنَّ علةَ النهي ما يؤدي إليه ذلك: من الغلو فيها، وعبادتها من دون الله، كما هو الواقع، والله المستعان.

وقد حدث بعد الأئمة ومن يعتد بقولهم أناسٌ كَثُرَ في أبواب العلم بالله اضطرابُهم وغَلُظَ عن معرفة ما بعث اللهُ به رسولَه من الهدى والعلم، حجابُهم، فقيدوا نصوصَ الكتاب [والسنة] [٣] بقيود أوهنت الانقياد، وغيروا بها ما قصده الرسول ﷺ بالنهي وأراد، فقال بعضهم: النهي عن البناء على القبور يختص بالمقبرة المسبَّلة، والنهي عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الأموات، وهذا كله باطل لوجوه:

منها: أنه من القول على الله بلا علم، وهو حرام بنص الكتاب.

ومنها: أنَّ ما قالوه لا يقتضي لعن فاعله، والتغليظ، وما المانع له من أن يقول: (من صلى في بقعة نجسة فعليه لعنة الله)، ويلزم على ما قاله هؤلاء أن النبي ﷺ لم يبين العلة، وأحال الأمة في بيانها على من يجيء بعده ﷺ، وبعد القرون المفضلة والأئمة، وهذا باطل قطعًا، وعقلًا، وشرعًا، لما يلزم عليه من أن الرسول ﷺ عجز عن البيان، أو قصر في البلاغ، وهذا من أبطل الباطل؛ فإنَّ النبي ﷺ بلغ البلاغ المبين، وقدرته في البيان فوق قدرة كل أحد، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

ويُقال أيضًا: هذا اللعن والتغليظ الشديد إنما هو فيمن اتخذ قبور الأنبياء مساجد،

---

(١) لم أجد هذا النص بتمامه، ولكن هناك قطعة منه في "الاقتضاء" (٢/ ٦٧٢)، وقطعة منه في "الاختيارات" (ص٤٤).

(٢) إلىٰ هنا ينتهي السقط من [أ].

(٣) ساقط من [ب].

وجاء في بعض النصوص ما يعم الأنبياء وغيرهم، فلو كانت هذه [هي][1] العلة؛ لكانت منتفية في قبور الأنبياء؛ لكون أجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم، فإذا كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور الأنبياء بالنص؛ عُلِمَ أن العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين [قد][2] نقلت أقوالهم، والحمد لله على ظهور الحجة، وبيان المحجة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فيه مسائل:

الأولىٰ: ما ذكر الرسولُ فيمن بَنَىٰ مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك، كيف بيَّن لهم هذا أوَّلًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نَهيُه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم علىٰ ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنىٰ اتخاذها مسجدًا.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

العاشرة: أنه قَرَن بين منِ اتَّخذها مسجدًا، وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلىٰ الشرك قبل وقوعه مع خاتِمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد علىٰ الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهلُ العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم: الرافضة، والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنىٰ عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلي به ﷺ من شدة النَّزْع.

الثالثة عشرة: ما أُكرم به من الخُلَّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلىٰ من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأنَّ الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلىٰ خلافته.

٢٠- باب مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله.

روىٰ مالك في "الموطأ"، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**اللهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

ش/ هذا الحديث رواه مالك مُرْسَلًا عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أنَّ رسول الله ﷺ قال...، الحديث.

ورواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم به، ولم يذكر عطاء، ورواه البزار عن زيد، عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.[(١)]

وله شاهد عند الإمام أحمد بسنده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «**اللهم، لا تجعل قبري وثنًا [يعبد]**[(٢)]**، لعن اللهُ قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».[(٣)]

---

(١) حسن لغيره. رواية زيد بن أسلم المرسلة عند ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣/ ٣٤٥)، وقد بينت رواية مالك في "الموطإ" (١/ ١٧٢) أنَّ زيد بن أسلم رواه عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ؛ فيكون من مراسيل عطاء، وأما وصله بزيادة ذكر أبي سعيد الخدري كما عند البزار (٤٤٠) من "كشف الأستار" فغير محفوظة، فيها عمر بن محمد بن صهبان، وهو ضعيف، وهو الذي وصله، وخالف رواية الثقات الذين رووه مرسلًا، فالصحيح إرساله، لكن للحديث شاهد يتقوىٰ به من حديث أبي هريرة رضي الله عنه سيذكره الشارح.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) حسن. أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦)، وأخرجه أيضًا الحميدي (١٠٢٥)، وابن سعد (٢/ ٢٤١-٢٤٢)، من طريق: سفيان بن عيينة، عن حمزة بن المغيرة، عن سهيل به، وهذا إسناد حسن، وحمزة بن المغيرة =

قوله: روى مالك في «الموطإ».

هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبدالله المدني، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وأحد المتقنين للحديث، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر.

مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده [سنة][1] ثلاث وتسعين، وقيل: أربع وتسعين، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة.

قوله: «**اللهم، لا تجعل قبري وَثَنًا يُعْبَد**».

قد استجاب الله دعاءه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأجاب ربُّ العالمين دعاءَه ... وأحاطه بثلاثة الجداران

حتىٰ غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان[2]

ودل الحديث على أن قبر [النبي][3] ﷺ لو عُبِدَ؛ لكان وثنًا، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس، فلا يوصل إليه.

ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها، وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لبستكم فتنةٌ يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس، يتخذونها سنة، إذا غُيِّرَت قيل: غيرت السنة. انتهى.[4]

= قال فيه ابن معين: لا بأس به.

(١) ساقط من [ب].

(٢) انظر: «الكافية الشافية» (ص٢٤٨) دار ابن الجوزي.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) **صحيح**. رواه الدارمي (١/ ٥٨) فقال: أخبرنا يعلىٰ، ثنا الأعمش، عن شقيق، قال: قال عبدالله...، فذكره، وبقية الأثر: «قيل: يا أبا عبدالرحمن، متىٰ ذلك؟ قال: إذا كثرت قرَّاؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، =

ولخوف الفتنة نهى عمر ﵁ [عن][1] تتبع آثار النبي ﷺ.

قال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمرُ بن الخطاب ﵁ بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ، فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون، فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة.[2]

وقال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح، ثم رأى الناسَ يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه النبي ﷺ، [فهم][3] يصلون فيه. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وَبِيَعًا، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد؛ فليصل، ومن لا؛ فليمض ولا يتعمدها.[4]

= وكثرت أمراؤكم، وقل أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة». ورُوي مرفوعًا، ولا يصح، ولكن له حكم الرفع؛ لأنَّ هذه الأمور التي ستحصل أمور غيبية، ويحتمل أنَّ ابن مسعود قالها تفطُّنًا منه؛ لأنه عند فقدان هذه الأمور وذهابها تنشأ الفتن.

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه ابن وضاح في "البدع والنهي عنها" رقم (٤٢)، وفيه قال عيسىٰ بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون، عن نافع، فذكر ذلك عن عمر. وأخرجه ابن سعد (٢/ ١٠٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥) بسند صحيح إلىٰ نافع، لكن نافعًا لم يدرك عمر ﵁. وقد ثبت عن ابن عمر ﵄ في "البخاري" أنه قال: لما كان العام المقبل من بيعة الرضوان لم يجتمع منا اثنان علىٰ الشجرة. يعني: أنهم اختلفوا فيها، وصاروا لا يعرفون أي شجرة هي. قال ابن عمر: رحمة من الله. وفي "الصحيحين" عن المسيب بن حزن ﵁ أنه قال: نسينا مكانها من العام المقبل. فهذا هو الظاهر، أنَّ الصحابة ﵃ لم يعرفوا مكانها؛ فيدل هذا علىٰ ضعف أثر عمر، وقد ضعفه الألباني ﵀ في "تحذير الساجد" (ص٩٣). ولو فرض صحة أثر عمر ﵁؛ فإنه يُحمل علىٰ أنَّ أناسًا زين لهم الشيطان بتحديد شجرة فظنوها هي، فجعلوا يتعبدون الله عندها، فأمر بقطعها.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) **صحيح**. أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦)، وابن و ضاح (٤٢)، وابن منصور كما في "الصارم المنكي" (ص١٨٦)، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن معرور بن سويد به، وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين. والمقصود النهي عن تتبع الآثار، واتخاذ تلك الأماكن مساجد؛ لأنه يؤدي =

وفي "مغازي ابن إسحاق" من زيادات يونس بن بكير، عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تُسْتَرَ وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر، فدعا له كَعْبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم، وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه، وسوينا القبور كلها؛ لنعميه عن الناس لا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حُبِسَت عنهم برزوا بسريره، فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شُعيرات من قفاه، إنَّ لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض.(١)

= إلىٰ تعظيم البقاع، وأما إذا كان هناك شيء من النبي ﷺ كشعره، أو ملابسه، فهذا قد ورد عن الصحابة التبرك بها، وأما المقصود بالآثار هنا تتبع الآثار، والأماكن التي صلىٰ فيها النبي ﷺ، فيصلي فيها. وأما ما كان يفعله ابن عمر رضي الله عنهما من تتبع الآثار التي صلىٰ فيها النبي ﷺ؛ فهذا اجتهاد منه، وهو خلاف الصواب.

وشيخ الإسلام رحمه الله له بحث في "الاقتضاء" (٢/ ٧٩٤-) (٢/ ٧٤٥-) يرجح ما ذكره عمر رضي الله عنه، ويرىٰ أن فعل ابن عمر من تتبع الآثار غير صحيح؛ لأنَّ هذه البقاع ليست مقصودة من النبي ﷺ، وإنما هي عارضة، بعكس ما كان يتقصده النبي ﷺ من البقاع لبركتها كمسجد قباء، فهذه يجوز قصدها بدون سفر إليها، وأما الأماكن العارضة فلا يجوز قصدها.

(١) **قصة ضعيفة منكرة**. أخرجها ابن إسحاق كما في "إغاثة اللهفان" (١/ ٣١٨)، و"اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٦٧٩)، وفيها عنعنة ابن إسحاق؛ فإنه مدلس، ولم يصرح بالتحديث.

❁ وجاءت له طريق أخرىٰ ذكرها الطبري في "تاريخه" (٢/ ٥٠٤)، من طريق بعض الكذابين، وهو: سيف بن عمر الضبي التميمي، والراوي عنه هو شعيب بن إبراهيم الكوفي، ترجمته في "الميزان" مجهول غير معروف؛ فلا يعتمد عليها، مع اختلاف في سياق القصة.

❁ ولها طريق أخرىٰ عند أبي عبيد في "الأموال" (٨٧٦)، مع اختلاف في سياق القصة، وهي من مراسيل قتادة، وعليه فالقصة ضعيفة. =

قال ابن القيم رحمه الله: ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم من تعمية قبره؛ لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله.(١)

قال شيخ الإسلام: وهو إنكار منهم لذلك، فمن قصد بقعةً يرجو الخير بقصدها، ولم يستحب الشارع قصدها؛ فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلي عندها، [أو ليدعو عندها](٢)، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به، لا نوعًا ولا عينًا؛ إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها، كمن يزورها، ويسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى، كما جاءت به السنة، وأما تحرِّي الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه. انتهى ملخصًا.(٣)

قوله: «اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم».

ففيه: تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها، وأن ذلك من الكبائر، وفي "القِرَى" [للطبري](٤) من أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول: زُرت قبر النبي ﷺ، وعلل ذلك بقوله ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» الحديث.(٥)

= ولا يكفي اشتهارها، وأيضًا توجد فيها أشياء غير صحيحة، فما يدريهم -مثلًا- أن له ثلاثمائة سنة؟!، وكذلك إبراز سريره ليمطروا، وأيضًا قوله (ثلاثمائة سنة) هذا يعني أنه بين نبينا وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام، ومعلوم أنه ليس هناك نبي بينهما!! فهي قصةٌ ضعيفةٌ منكرة.

(١) انتهىٰ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٣١٩).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) من "الاقتضاء" (٢/ ٦٨١، ٦٤٤).

(٤) في المخطوطتين: (للطبراني)، والمثبت هو الصواب.

(٥) انظر: "القِرَىٰ لقاصد أم القُرَىٰ" (٦٢٩)، والطبري هو: الإمام أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الملقب بـ(محب الدين)، ويكنىٰ أيضًا بأبي جعفر، توفي سنة (٦٩٤) كما في "الشذرات" (٧/ ٧٤٣)، وقيل: سنة (٦٧٤) كما في "تذكرة الحفاظ" (٤/ ١٤٧٤)، وانظر مقدمة محقق كتاب "غاية الأحكام".

كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر؛ لئلا يقع التشبه بفعل أولئك؛ سدًّا للذريعة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ومالك قد أدرك التابعين، وهم أعلم الناس بهذه المسألة؛ فدل ذلك على أنه لم يكن معروفًا عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي ﷺ.

إلى أن قال: وقد ذكروا في أسباب كراهته؛ لأن يقول: زرت قبر النبي ﷺ؛ [أنَّ][1] هذا اللفظ قد صار كثيرٌ من الناس يريد [به][2] الزيارة البدعية، وهو قصد الميت لسؤاله، ودعائه، والرغبة إليه في قضاء الحوائج، ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا، وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة، فكره مالك أن يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد بخلاف الصلاة عليه والسلام؛ فإن ذلك مما أمر الله به، وأما لفظ الزيارة في عموم القبور فلا يفهم منها مثل هذا المعنى ألا ترى إلى قوله: «**فزوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة**»[3] مع زيارته ﷺ لقبر أمه؛ فإنَّ هذا يتناول قبورَ الكفار، فلا يُفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه، وسؤاله، والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهل الشرك والبدع، بخلاف ما إذا كان المزور مُعَظَّمًا في الدين كالأنبياء والصالحين؛ فإنه كثيرًا ما يُعْنى بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية؛ فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا، وإن لم يكره ذلك في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة.انتهى.[4]

وفيه: أن النبي ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.[5]

---

(١) في المخطوطتين (لأنَّ)، والمثبت أقرب.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٥٤)، عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم، وأصله عند مسلم برقم (٩٧٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**تذكر الموت**».

(٤) من "مجموع الفتاوىٰ" (٢٤/ ٣٥٨).

(٥) انظر المسألة رقم (٣) من "كتاب التوحيد".

قال المصنف رحمه الله: وَلِابْنِ جَرِيْرٍ بِسَنَدِهِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّىٰ**﴾[النجم:١٩]، قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيْقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ. وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلُتُّ السَّوِيْقَ لِلْحَاجِّ.[١]

ش/ قوله: ولابن جرير.

هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب "التفسير"، و"التاريخ"، وغيرهما.

قال ابن خزيمة: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من محمد بن جرير.

وكان من المجتهدين لا يقلد أحدًا، وله أصحاب يتفقهون على مذهبه، يأخذون بأقواله، وُلِدَ سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة.

قوله: عن سفيان.

الظاهر أنه سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الكوفي، ثقةٌ، حافظٌ، فقيهٌ، إمامٌ، عابدٌ، كان مجتهدًا وله أتباع يتفقهون على مذهبه، مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون سنة.

قوله: عن منصور.

هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي ثقة ثبت فقيه مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: عن مجاهد.

هو ابن جبر -بالجيم والموحدة- أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقةٌ، إمامٌ في

---

(١) أثر مجاهد أخرجه ابن جرير في تفسير [آية:١٩] عن ابن بشار، ثنا عبدالرحمن -هو ابن مهدي- عن سفيان به. وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين. وقد أخرج الأثر أيضًا ابن المنذر، وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" [آية:١٩] من سورة النجم. وأما أثر ابن عباس فهو في "صحيح البخاري" برقم (٤٨٥٩)، وأخرجه أيضًا ابن جرير في الآية السابقة، وكذلك عزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلىٰ عبد ابن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

التفسير، أخذه عن ابن عباس وغيره، مات سنة أربع ومائة، قاله يحيى القطان.

وقال ابن حبان: مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة، وهو ساجد، وولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه.

قوله: كان يَلُتُّ السويق لهم، فمات فعكفوا على قبره.

في رواية: فيطعم من يمر من الناس، فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللات. رواه سعيد ابن منصور.(١)

ومناسبته للترجمة: أنهم غلوا فيه؛ لصلاحه، حتى عبدوه، وصار قبره وثنًا من أوثان المشركين.

قوله: وكذا قال أبو الجوزاء.

هو أوس بن عبد الله الرَّبَعي -بفتح الراء والباء- مات سنة ثلاث وثمانين.

قال البخاري: حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم، حدثنا أبو [الأشهب](٢)، حدثنا أبوالجوزاء عن ابن عباس، قال: كان اللات [رجلًا](٣) يلت السويقَ سويقَ الحجاج.(٤)

قال ابن خزيمة: وكذا العزى، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها، كما قال أبو سفيان يوم أُحُد: (لنا العزى ولا عزى لكم).(٥)

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور، والفاكهي كما في "الدر المنثور" [آية:١٩] من سورة النجم.

(٢) في المخطوطتين: (الأشعث)، والمثبت من "صحيح البخاري".

(٣) إضافة من "صحيح البخاري".

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٩).

(٥) هو في "البخاري" (٤٠٤٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِيْنَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُج». رواه أهل السنن.[(١)]

ش/ قلت: وفي الباب حديثُ أبي هريرة، وحديث حَسَّان بن ثابت.

فأما حديث أبي هريرة فرواه أحمد، والترمذي، وصححه[(٢)]، وحديث حسان أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الرحمن [بن حسان][(٣)] بن ثابت عن أبيه قال: «لعن رسول الله ﷺ زَوَّارات القبور».[(٤)]

وحديث ابن عباس هذا في إسناده: أبو صالح مولى أم هانيء، وقد ضعفه بعضهم، ووثقه بعضهم.

قال علي بن المديني عن يحيى القطان: لم أر أحدًا من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هاني، وما سمعت أحدًا من الناس يقول فيه شيئًا، ولم يتركه شعبةُ، ولا زائدةُ، ولا عبدُ الله بن عثمان.

وقال ابن معين: ليس به بأس. ولهذا أخرجه ابن السكن في "صحاحه" انتهى من

---

(١) **حسن بشواهده**. أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٤/ ٩٤-٩٥)، وابن ماجه (١٥٧٥)، والحديث فيه: أبو صالح مولىٰ أم هانئ، كما ذكر الشارح، وأكثر الحفاظ ضعفوه، بل منهم من شدد الضعف فيه، لكن الراجح أنه ضعيف يصلح في الشواهد، وقال ابن حبان: إنه لم يسمع من ابن عباس كما في "المجروحين"، والحديث له شواهد سيأتي ذكرها.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦)، وأحمد (٨٤٤٩) بلفظ: «**زوَّارات**»، وابن حبان (٣١٧٨) بلفظ: «زائرات»، وفي سنده: عمر بن أبي سلمة، وهو ضعيف.

(٣) ساقط من المخطوطتين، وإثباتها أقرب.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٤)، وأحمد (٣/ ٤٤٢-) بلفظ: «زوَّارات»، وفي سنده: عبدالرحمن بن حسان، مجهول الحال، وعبدالرحمن بن بهمان، مجهول؛ فالحديث إذًا حسن بشواهده، وهو حسن بكلا اللفظين «زائرات» التي جاءت في حديث ابن عباس، وطريق من طرق حديث أبي هريرة، وكذلك لفظ «زوَّارات» التي جاءت في حديث حسان، وطريق من طرق حديث أبي هريرة؛ فاللفظان ثابتان. وزيادة: «والمتخذين عليها المساجد والسرج» ليس لها شواهد؛ فإنها جاءت في حديث ابن عباس فقط؛ فهي زيادة ضعيفة.

"الذهب الإبريز"[(١)] عن الحافظ المزي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد جاء عن النبي ﷺ من طريقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور.

وذكر حديث ابن عباس.

ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدهما عن الآخر، وليس في الإسنادين من يتهم بالكذب، ومثل هذا حجة بلا ريب، وهذا من أجود الحَسَن الذي شرطه الترمذي؛ فإنه جعل الحَسَن ما تعددت طرقه ولم يكن فيه مُتَّهَم، ولم يكن شاذًّا، أي: مُخالفًا لما ثبت بنقل الثقات، وهذا الحديث تعددت طرقه، وليس فيها متهم، ولا خالفه أحدٌ من الثقات، هذا لو كان عن صاحب واحد، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب وذاك عن آخر؟ فهذا كله يبين أن الحديث في الأصل معروف، والذين رَخَّصُوا في الزيارة اعتمدوا على ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، وقالت: لو شهدتك ما زرتك.[(٢)] وهذا يدل على أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب للرجال؛ إذ لو كان كذلك؛ لاستحبت زيارته، سواء شهدته أم لا.[(٣)]

قلت: فعلى هذا لا حجة فيه لمن قال بالرخصة، وهذا السياق لحديث عائشة رواه

---

(١) اسم الكتاب "الذهب الإبريز شرح المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز"، ومؤلفه هو أبو المحاسن محمد بن خليل بن إبراهيم الطرابلسي (طرابلس الشام)، فقيه، حنفي، زاهد، ولد سنة (١٢٢٢)، وتوفي سنة (١٣٠٥). "هداية العارفين" (٢/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٤)، من طريق: ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها، به. وهذا إسناد ضعيف بسبب عنعنة ابن جريج، وقد أخرجه عبدالرزاق (٣/ ٥١٧)، عن ابن جريج قال: سمعت ابن أبي مليكة. فصرح بالسماع ولكنه لم يذكر قولها: «لو شهدتك ما زرتك»، والمحفوظ عن عائشة رضي الله عنها أنها احتجت علىٰ الزيارة بترخيص النبي ﷺ كما سيأتي.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٢٤/ ٣٥١-).

الترمذي من رواية عبد الله بن أبي مليكة عنها، وهو يخالف سياق الأثرم له عن عبد الله بن أبي مليكة أيضًا: أنَّ عائشة ﵂ أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا أم المؤمنين، أليس نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ فقالت: نعم، نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها.[(١)]

فأجاب شيخ الإسلام عن هذا، فقال: ولا حجة في حديث عائشة؛ فإنَّ المحتجَّ عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأن النهي منسوخ، ولم يذكر لها المحتج النهيَ الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن على الزيارة، يبين ذلك قولها: «ثم أمر بزيارتها»؛ فهذا يبين أنه أمر بها أمرًا يقتضي الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة، ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور؛ لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال، ولم تقل لأخيها: (لما زرتك)، واللعن صريح في التحريم، والخطاب بالإذن في قوله: «**فزوروها**» لم يتناول النساء؛ فلا يدخلن في الحكم الناسخ، والعام إذا عُرِف أنه بعد الخاص؛ لم يكن ناسخًا له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي، وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحابه، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص؟[(٢)] إذ قد يكون قوله: «**لعن الله**

(١) **صحيح**. رواه الحاكم (١/ ٣٧٦)، والبيهقي (٤/ ٧٨)، عن أبي بكر أحمد بن إسحاق، أنبا أبو المثنىٰ معاذ بن المثنىٰ، ثنا محمد بن منهال الضرير، ثنا يزيد بن زريع، ثنا بسطام بن مسلم، عن أبي التياح يزيد بن حميد، عن عبدالله بن أبي مليكة به. وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون، وهذا مما يدل علىٰ ضعف الرواية السابقة: (لو شهدتك ما زرتك).

(٢) بل الصحيح أنه قد علم؛ لأنَّ النبي ﷺ قد رخص بعد النهي عنها، والنهي عنها كان للرجال والنساء، والنساء زيادة في حقهن اللعن. ثم رخص في ذلك دون تخصيص الرجال من بين النساء، فقوله: «**فزوروها**» عام يشمل الرجال والنساء؛ ولهذا عائشة ﵂ فهمت أن الرخصة كانت حتىٰ للنساء، فكانت تزور. وأيضًا في "صحيح مسلم" أنها قالت للنبي ﷺ: ماذا أقول؟ -تعني في زيارة القبور- فعلمها دعاء الزيارة، فهذا يدل علىٰ مشروعيتها، فالقول بمشروعيتها هو الأصح، وهو قول الجمهور، والعام بعد الخاص إن كان فيه إشارة إلىٰ النسخ؛ نسخ كما في هذا الحديث: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»؛ فهذا يدل علىٰ النسخ، وأما إذا كان العام بعد الخاص بدون قرينة تدل=

زوارات القبور» بعد إذنه للرجال في الزيارة، يدلُّ على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد، والسرج[(١)]، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنها محكم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وكذلك الآخر.

والصحيح أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدها: أن قوله ﷺ: «**فزوروها**» صيغة تذكير،[(٢)] وإنما يتناول النساء أيضًا على سبيل التغليب، لكن هذا فيه قولان: **قيل:** إنه يحتاج إلى دليل منفصل، وحينئذ فيحتاج تناول ذلك النساء إلى دليل منفصل. **وقيل:** إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق. وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة، ولا ينسخها عند جمهور العلماء، ولو كان النساء داخلات في هذا الخطاب؛ لاستحب لهن زيارة القبور، وما علمنا أحدًا من الأئمة استحب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور.

ومنها: أن النبي ﷺ علل الإذن للرجال بأن ذلك «**يُذَكِّرُ الموتَ ويرقق القلبَ، وتدمع العين**» هكذا في "مسند أحمد".[(٣)]

ومعلوم أن المرأة إذا فتح لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع، والندب، والنياحة؛ لما فيها

= علىٰ النسخ؛ فلا يكفي ذلك في النسخ، ولكن لابد من الجمع بين الأدلة، فالخاص يخصص العام.

(١) تقدم أنه لم تثبت هذه الزيادة.

(٢) كثير من النصوص يخاطب بها بصيغة التذكير، ويكون المراد بها العموم.

(٣) **حسن بطرقه**. أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٧)، وكذلك الحاكم (١/ ٣٧٦)، من حديث أنس بن مالك ﵁، وفيه: يحيىٰ بن عبدالله بن الحارث الجابر، وهو ضعيف، وفيه: عبدالوراث مولىٰ أنس، قال فيه أبو حاتم: شيخ. ولكنهما قد توبعا، فقد تابع الأول: إبراهيم بن طهمان عند البيهقي (٤/ ٧٧)، وفي الإسناد إليه من لم توجد له ترجمة. وتابع الثاني: عمرو بن عامر الأنصاري عند أحمد، والحاكم، ولكن لا يُعلم له سماع من أنس ﵁، ثم وجدتُ له طريقًا أخرىٰ عند الحاكم (١/ ٣٧٦)، ورجال إسناده كلهم ثقات؛ إلا عامر بن يساف؛ فإنَّ فيه ضعفًا، والحديث بهذه الطرق حسن، والله أعلم.

من الضعف، وقلة الصبر، وإذا كانت زيارة النساء مَظِنَّةً وسببًا للأمور المحرمة؛ فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة: أنَّ الحكمة إذا كانت خفية، أو منتشرة؛ عُلِّق الحكم بمظنتها، فيحرم هذا الباب؛ سَدًّا للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة، وكما حرم الخلوة بالأجنبية، وغير ذلك، وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة؛ فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤها للميت، وذلك ممكن في بيتها.

ومن العلماء من يقول: التشييع كذلك، ويحتج بقوله ﷺ: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات؛ فإنكن تفتنَّ الحيَّ، وتؤذينَ الميتَ**»،[(١)] وقوله لفاطمة: «**أما إنك لو بلغت معهم الكُدَىٰ[(٢)] لم تدخلي الجنة**».[(٣)]

ويؤيده ما ثبت في "الصحيحين" من أنه نهى النساءَ عنِ اتِّبَاع الجنائز،[(٤)] ومعلوم أن

---

(١) **ضعيف**. أخرجه الخطيب البغدادي في "التاريخ" (٦/ ٢٠١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: أبو هُدْبة، وهو رجل كذاب.

❁ وأخرجه ابن ماجه (١٥٧٨)، بدون قوله: «**فإنكن تفتن الحي، وتؤذين الميت**» من حديث علي رضي الله عنه، وفي سنده: إسماعيل بن سلمان، وهو ضعيف. ودينار بن عمر الأسدي، كذَّبه الخليلي في "الإرشاد".

❁ وأخرجه أيضًا أبو يعلىٰ (٤٠٥٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه بدون الزيادة المتقدمة، وفي إسناده: الحارث بن زياد الراوي عن أنس، وهو مجهول.

(٢) «**الكُدىٰ**» هي المقبرة، وسميت بذلك؛ لأنها جمع (كُدية)، وهي الأرض الصلبة.

(٣) **ضعيف منكر**. أخرجه أبو داود (٣١٢٣)، والنسائي (٤/ ٢٧-٢٨)، وأحمد (٢/ ١٦٨)، والحاكم (١/ ٣٧٣)، من حديث عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما، وفيه زيادة: «**حتى يدخلها جد أبيك**»، والحديث منكر، ففي سنده: ربيعة بن سيف المعافري، ضعيفٌ له منكرات، وهذا مما أنكر عليه كما في "الميزان" و"الكامل". ولفظه أيضًا منكر، فكيف لا تدخل الجنة حتىٰ يراها جد أبيها، ومعلوم أنَّ جد أبيها مشرك؛ فهو بهذا منكر.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨)، من حديث أم عطية رضي الله عنها، وفيه كراهة التشييع للنساء، وهذا خاص بالرجال، فالرجال هم الذين يحملون، ويغسلون، ويدفنون.

قوله ﷺ: «**من صلىٰ علىٰ جنازة؛ فله قيراط، ومن تبعها حتىٰ تدفن؛ فله قيراطان**»[(١)]، هو أَدَلُّ على العموم من صيغة التذكير؛ فإن لفظ من يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس، وقد عُلِم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء؛ لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباع الجنائز، فإذا لم يدخلن في هذا العموم، فكذلك في ذلك بطريق الأولى. انتهى ملخصًا.[(٢)]

قلت: وعمَّا استدل به القائلون بالنسخ أجوبة أيضًا:

منها: أن ما ذكروه عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما معارض بما ورد عنهما في هذا الباب، فلا يثبت به نسخ.

ومنها: أن قول الصحابي وفعله ليس حجة على الحديث بلا نزاع، وأما تعليمه عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدل على نسخ ما دلت عليه الأحاديث الثلاثة من لعن زائرات القبور؛ لاحتمال أن يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد، والوعيد الشديد، والله أعلم.

قال محمد بن إسماعيل في كتابه "تطهير الاعتقاد": [فإن هذه القباب][(٣)] والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، غالب من يعمرها الملوك، والسلاطين، إما على قريب لهم، أو على من يحسنون الظن فيه من فاضلٍ، أو عالمٍ، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارةَ الأموات من دون توسل به، ولا هتف باسمه، بل يدعون له، ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي مَنْ بعدهم من يرى قبرًا قد شُيِّدَ عليه البناء، وسرجت عليه الشموع، وفرش بالفراش الفاخر، فيعتقد أن ذلك لنفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ، وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٢٥)، ومسلم برقم (٩٤٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٢٤/ ٣٤٤-٣٥٦).
(٣) ما بين المعقوفين إضافة من "تطهير الاعتقاد".

جِبِلَّتِهِ كلَّ باطلٍ، والأمر ما ثبت في الأحاديث النبوية من لعن من سَرَّج القبور، وكتب عليها، وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعة معروفة؛ فإن ذلك في نفسه مَنْهِيٌّ عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة. انتهى.

ومنه تعلم مطابقة الحديث للترجمة، والله أعلم.

قوله: والمتخذين عليها المساجد.

تقدم شرحه في الباب قبله.

قوله: والسُّرج.

قال أبو محمد المقدسي: لو أُبيح اتخاذ السُّرج عليها لم يلعن من فعله؛ [ولأن][1] فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبهَ تعظيمَ الأصنام.[2]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها من الكبائر.[3]

قوله: رواه أهل السنن.

يعني أبا داود، والترمذي، وابن ماجه فقط، ولم يروه النسائي.[4]

---

(١) في المخطوطتين: (لأنَّ)، والمثبت من "المغني".

(٢) انظر: "المغني" (٣/ ٤٤٠-٤٤١).

(٣) انظر: "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٠٨).

(٤) بل قد أخرجه أيضًا النسائي كما تقدم في التخريج.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من اللهِ.

السادسة: وهي من أهمها: صفة معرفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر،وذكر معنىٰ التسمية.

التاسعة: لعنه زَوَّارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

٢١- باب مَا جاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَى جنابَ التَّوْحِيد وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب مَا جاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ جنابَ التَّوْحِيد وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ.

ش/ الجَنَاب: هو الجانب، والمراد حمايته عما يقرب منه، أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

ش/ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ممتنًّا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم، أي: من جنسهم، وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾، أي: منكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إنَّ الله بعث فينا رسولًا مِنَّا نعرف نسبه، وصفته، ومدخله، ومخرجه، وصدقه، وأمانته...، وذكر الحديث.[١]

وقال سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ

(١) الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ ذكره بالمعنىٰ.

❁ وقول جعفر أخرجه أحمد في "المسند" (١٧٤٠) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإسناده حسن، وهو في "الصحيح المسند" (١٦٥١).

❁ وقول المغيرة بن شعبة لرسول كسرىٰ أخرجه البخاري في أوائل كتاب الجزية برقم (٣١٥٩).

رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية.[(١)]

وقولهُ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته، ويشق عليها؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ أنه قال: «**بعثت بالحنيفية السمحة**».[(٢)]

وفي "الصحيح": «**إنَّ هذا الدين يسر**»[(٣)]، وشريعته كلها سمحة سهلة كاملة يسيرة

---

(١) **المعنى:** أنه لم يصبه شيء من أنكحة الجاهلية المحرَّمة التي هي من الزنىٰ، فالنبي ﷺ نسبه من ولادة أقرها الشرع، وهي النكاح الذي يفعل اليوم، فالنكاح الذي يُفعل اليوم كان يُفعل أيضًا في الجاهلية، ولهم أنكحة أخرىٰ تعتبر زنىٰ.

❁ وهذا الأثر عن محمد بن علي بن الحسين، أخرجه ابن جرير في تفسير [آية:١٢٨] من سورة التوبة، وفي إسناده: سفيان بن وكيع، وهو ضعيف، ولكنه قد توبع عند ابن أبي حاتم (١٠١٥٨)، تابعه محمد بن أبي عمر العدني؛ فالأثر حسن.

❁ وصح الأثر عن ولده جعفر أيضًا أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (١/ ٢٩١)، ومن طريقه ابن جرير (١٢/ ٩٧) عن ابن عيينة، عن جعفر به.

(٢) **حسن بمجموع طرقه**. الحديث له طرق عديدة كلها فيها ضعف، ولكن يحسن بها، وأحسنها حالًا حديث عائشة ﵂ عند أحمد (٦/ ١١٦)، وفي سنده: عبدالرحمن بن أبي الزناد، فيه ضعف، يرويه عن أبيه، عن عروة، عن عائشة ﵂، روايته عن أبيه أقوىٰ، وأحسن حالًا من روايته عن غيره.

❁ وله شاهد مرسل من مراسيل حبيب بن أبي ثابت، أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (١/ ١٩٢)، وفي سنده: بُرْد الحريري، مجهول حال.

❁ وله شاهد أنَّ النبي ﷺ سئل: أي الأديان خير؟ قال: «**الحنيفية السمحة**»، والنبي ﷺ بُعِث بخير الأديان.

❁ وهذا الشاهد أخرجه أحمد (٢١٠٧)، من حديث ابن عباس ﵄، وفيه عنعنة ابن إسحاق، وفيه رواية داود بن الحصين عن عكرمة فيها ضعف.

❁ وله شاهد مرسل بنفس لفظ ابن عباس، وهو مرسل عمر بن عبدالعزيز بن مروان، عن أبيه عبدالعزيز بن مروان، عن النبي ﷺ، وعبدالعزيز بن مروان ثقة. والمرسل أخرجه أحمد في "الزهد" (٢٧٧)، بإسناد صحيح. فالحديث حسن بشواهده.

تنبيهٌ: للحديث شاهد عن أبي أمامة ﵁ عند أحمد (٥/ ٢٦٦)، وعن جابر ﵁ عند الخطيب (٧/ ٢٠٩)، وكلاهما شديد الضعف، لا يصلح في الشواهد.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٩)، من حديث أبي هريرة ﵁.

على من يسرها الله عليه.

قولهُ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.

أي: على هدايتكم، ووصول النفع الدنيوي والأُخروي إليكم، وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه عِلْمًا. أخرجه الطبراني.[(١)] قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم**».[(٢)]

قولهُ: ﴿بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

كما قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء:٢١٥-٢١٦] الآية، وهكذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة.

قلت: فاقتضت هذه الأوصاف التي وصف بها رسول الله ﷺ في حق أمته أن أنذرهم وحذرهم الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وَبَيَّنَ لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها، ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة [عندها][(٣)] وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها كما تقدم وكما سيأتي في أحاديث الباب.

---

(١) **ضعيف**. أخرجه الطبراني في "الكبير" برقم (١٦٤٧)، فقال: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، ثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان بن عيينة، عن فطر، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر به. وهذا إسناد ظاهره الصحة، رجاله ثقات معروفون. وأخرجه أيضًا ابن حبان (٦٥) من طريق المقرئ به.

ولكن الدارقطني قد أعله في العلل (٦/ ٢٩٠)؛ فقد اختلف فيه علىٰ فطر بن خليفة، ورجح الدارقطني رواية فطر عن منذر الثوري عن أبي ذر مرسلًا، وهذه الرواية بهذا الوجه أخرجها أحمد (٥/ ١٦٢) من طريق حجاج المصيصي عن فطر به.وقد رواه الأعمش؛ فبين الواسطة؛ فرواه عن منذر الثوري، عن أشياخ من التيم، عن أبي ذر به. أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢)، والطيالسي (٤٧٩)؛ فتبين أن الواسطة مبهمون؛ وعليه فالحديث ضعيف.

(٢) هذا نفس الحديث المتقدم عند الطبراني، وليست هذه الزيادة موجودة عند ابن حبان.

(٣) ساقط من [أ].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**». رواه أبو داود بإسناد حسنٍ رواته ثقات.[1]

ش/ قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**».

قال شيخ الإسلام: أي لا تعطلوها من الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة؛ فتكون بمنزلة القبور، فَأَمَرَ بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة، وفي "الصحيحين" عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**»[2]، وفي "صحيح مسلم" عن ابن عمر مرفوعًا: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه**»[3] [4].

قوله: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: العيد اسمٌ لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدًا إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، ونحو ذلك.[5]

---

(١) **حسن صحيح بشواهده**. أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٨٠٤)، والطبراني في "الأوسط" (٨٠٢٦)، من طرقٍ عن عبدالله بن نافع الصائغ، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، به، وهذا إسناد حسن، وعبدالله بن نافع الصائغ، اختلفوا فيه، وسيذكر الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاختلاف فيه بعد قليل. **والراجح** أنه يحسن له؛ مالم ينصوا أنه من أخطائه، ولم ينص أحدٌ من الحفاظ أنه وهم فيه، وأيضًا له شواهد أخرىٰ في أحاديث متعددة سيأتي بعضها؛ فهو صحيح بها.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٢)، ومسلم برقم (٧٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٧٨٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وليس من حديث ابن عمر.

(٤) انتهىٰ من "الاقتضاء" (٢/ ٦٥٧).

(٥) انتهىٰ من "الاقتضاء" (١/ ٤٤١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإذا كان اسمًا للمكان؛ فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع، وانتيابه للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، والمشاعر جعلها الله عيدًا للحنفاء، ومثابة، كما جعل أيامَ [التعبد][1] فيها عيدًا، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء اللهُ بالإسلام أبطلها، وعوض الحنفاء منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، والمشاعر.[2]

قوله: «وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة بكم إلى اتِّخاذِه عيدًا. انتهى.

[**قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا».**

تقدم كلام شيخ الإسلام في معنى الحديث قبله][3].

---

(١) في المخطوطتين (العيد)، والمثبت من "الإغاثة".

(٢) انتهىٰ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٠٠).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن عليِّ بن الحسين، أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعْتُه من أبي عن جدِّي عن رسول الله ﷺ، قال: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُم يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ**». رواه في "المختارة".[(١)]

ش/ هذا الحديث والذي قبله جيدان، حَسَنا الإسنادين.

أما الأول: فرواه أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصائغ، قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، فذكره، ورواته ثقات مشاهير، لكن عبدالله ابن نافع قال فيه أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، تعرف وتنكر. وقال ابن معين: هو ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به.

قال شيخ الإسلام: ومثل هذا إذا كان لحديثه شواهد عُلِمَ أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة.[(٢)]

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي: هو حديث حسنٌ جيد الإسناد، وله شواهدُ كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة.[(٣)]

وأما الحديث الثاني: فرواه أبو يعلى، والقاضي إسماعيل، والحافظ الضياء في "المختارة".

---

(١) صحيح بشواهده. رواه المقدسي في "المختارة" رقم (٤٢٨)، وهو عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبي يعلىٰ (٤٦٩)، والقاضي في "فضل الصلاة" رقم (٢٠)، وهو من طريق: جعفر بن إبراهيم الجعفري، عن علي بن عمر بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن الحسين به، وجعفر بن إبراهيم، وعمر بن علي كلاهما مجهول حال، لكن يشهد له حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم؛ فهو حديث حسن، بل صحيح بشواهده. وهذا الحديث صحابيه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مسلسل بآل البيت.

(٢) انظر معنىٰ هذا الكلام في "الاقتضاء" (٢/ ٦٥٤-٦٥٥).

(٣) انتهىٰ من "الصارم المنكي" (ص٤١٤).

قال شيخ الإسلام: فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قُرْبُ النَّسب، وَقُرْبُ الدَّار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم؛ فكانوا له أضبط. انتهى.(١)

وقال سعيد بن منصور في "سننه": حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل بن [أبي](٢) سهيل قال: رآني الحسن [بن الحسن](٣) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى، فقال: هَلُمَّ إلى العشاء. فقلت: لا أريده. فقال [لي](٤): ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابرَ، وصلوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.(٥)

وقال سعيدٌ أيضًا: [حدثنا حِبَّان بن علي](٦)، حدثنا محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا**

(١) انتهىٰ من "الاقتضاء" (٢/ ٦٦٠).
(٢) ساقط من [ب]، وسقوطه خطأ.
(٣) ساقط من [أ]، وإثباتها أصح.
(٤) ساقط من [أ].
(٥) **صحيح بشواهد**. أخرجه سعيد بن منصور كما في "الاقتضاء" (٢/ ٦٥٦)، و"الصارم المنكي" (ص١٦١)، وهو مرسل؛ لأنَّ الحسن بن الحسن بن علي يرويه عن النبي ﷺ، وسهيل بن أبي سهيل مجهول حال، لكن الحديث يصلح في الشواهد، وتقدم حديث أبي هريرة، وحديث علي رضي الله عنهما، فهما شاهدان يتقوىٰ بهما.
❁ وهذا الحديث والأثر أخرجه إسماعيل القاضي في "فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ" رقم (٣٠) من طريق: عبدالعزيز الداروردي به، وأخرجه عبدالرزاق (٦٧٢٦)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥) من طريق: محمد بن عجلان، عن سهيل به.
(٦) ساقط من [أ].

علي؛ فإن صلاتكم تبلغني».[(١)]

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده، هذا لو لم يُرْوَ من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا.[(٢)]

قولهُ: عن علي بن الحسين.

أي: ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنه، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم.

قال الزهري: ما رأيت قرشيًّا أفضل منه.

مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح، وأبوه الحسين سِبْطُ رسول الله ﷺ، وريحانته حفظ عن النبي ﷺ، واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله ست وخمسون سنة.

قولهُ: أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة.

بضم الفاء وسكون الراء، وهي الكوة في الجدار، والخوخة، ونحوهما.

قولهُ: فيدخل فيها فيدعو، فنهاه.

هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ما علمت أحدًا رَخَّصَ فيه؛ لأن ذلك نوعٌ من اتخاذه عيدًا،

---

(١) **صحيح بشواهده.** أخرجه سعيد بن منصور كما في "الاقتضاء" (٢/ ٦٥٦)، و "الصارم المنكي" (ص١٦١)، وفي إسناده حبان بن علي، وفيه ضعف، وأبو سعيد مولىٰ المهري حسن الحديث، وروىٰ له مسلم، والحديث مرسل يتقوىٰ مع ما تقدم؛ فهو صحيح بشواهده.

تنبيهٌ: قوله في الحديث: «**بيتي**» منكر، والمحفوظ «**قبري**»، كما في سائر الروايات.

(٢) انتهىٰ من "الاقتضاء" (٢/ ٦٥٧).

ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهيٌّ عنه؛ لأن ذلك لم يُشرع[(١)]، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون [ذلك][(٢)]، قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء؛ فلم يشرعه لهم، بل نهاهم في قوله: «**لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي؛ فإنَّ صلاتَكم تبلغني**»، فبين أنَّ الصلاة تصل إليه من بعد، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذ كانت عائشة فيها، وبعد ذلك إلى أن بُنِي الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه لا لسلام، ولا لصلاة، ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤالٍ عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم، فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم، وينهاهم، ويفتيهم، ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر، ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أنَّ نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم، فرأوها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج.[(٣)]

والمقصود: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من

---

(١) انظر: «الاقتضاء» (٢/ ٧١٧) (٢/ ٧٢١).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٣٨٦-٣٨٨)، «الاقتضاء» (٢/ ٧١٦-).

سفرٍ، كما كان ابن عمر يفعله، قال عبيد الله بن عمر، عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه. ثم ينصرف.[(١)]

قال عبيد الله: ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر رضي الله عنهما، وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام: لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة.[(٢)]

وفي "المبسوط"[(٣)]: قال مالك: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ، ولكن يسلم ويمضي. ونَصَّ أحمدُ أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره؛ لئلا يستدبره.[(٤)]

وبالجملة: فقدِ اتَّفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وتنازعوا: هل يستقبله عند السلام عليه أم لا؟[(٥)]

وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ، وإلى قبر غيره من القبور، والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها، وهذه هي المسألة التي أفتى بها شيخ الإسلام -أعني من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين- ونقل فيها اختلاف العلماء، فمن مبيح لذلك كالغزالي، وأبي محمد المقدسي،

---

(١) **صحيح**. أخرجه إسماعيل القاضي في "فضل الصلاة" رقم (١٠٠) بإسناد صحيح من طريق: أيوب عن نافع به، وأخرجه عبد الرزاق (٦٧٢٤)، من طريق: أيوب، وعبيدالله وعبدالله، عن نافع به، وفيه: قال عبيدالله: لا نعلم أحدًا فعل ذلك من أصحاب النبي ﷺ إلا ابن عمر.

(٢) انتهىٰ من "مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ٣٩٦).

(٣) "المبسوط في الفقه" للإمام إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد القاضي توفي سنة (٢٨٢هـ) ذكر كتابه ذلك شيخ الإسلام كما في "الاقتضاء" (٢/ ٧٥٤)، والقاضي عياض كما في "ترتيب المدارك".

(٤) انظر: "الاقتضاء" (٢/ ٧١٤-).

(٥) انظر بمعناه "الاقتضاء" (٢/ ٧٥٥).

ومن مانع لذلك كابن بطة، وابن عقيل، وأبي محمد الجويني، والقاضي عياض، وهو قول الجمهور، نَصَّ عليه مالك، ولم يخالفه أحد من الأئمة، وهو الصواب؛ لما في "الصحيحين" عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ**»[(١)]، فدخل في النهي شَدُّهَا لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا، وجاء في رواية بصيغة النهي، فتعين أن يكون للنهي؛ ولهذا فهم منه الصحابة المنع كما في "الموطأ"، و"السنن" عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة -وقد أقبل من الطور-: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تُعمل الْـمُطِي إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ**»[(٢)].

وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وعمر بن شبة في "أخبار المدينة" بإسناد جيد عن قزعة قال: أتيت ابن عمر، فقلت: إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، فدع عنك الطور، ولا تأته.[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٩٧)، ومسلم برقم (٤١٥) من كتاب الحج.

(٢) **صحيح**. أخرجه مالك في "الموطإ" (١/ ١٠٨)، ومن طريقه: أحمد (٢٣٨٤٨)، والنسائي (٣/ ١١٣-١١٤)، وغيرهم عن يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وهذا إسناد صحيح، وصحابي الحديث هو أبو بصرة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما نبه علىٰ ذلك ابن عبدالبر في "التمهيد" (٢٣/ ٣٨)، و"الاستيعاب" (٢/ ٣٩-)، ومن قال فيه: (بصرة بن أبي بصرة) فقد أخطأ فيه.

❁ وقد أخرج الحديث أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من وجهين آخرين برقم (٢٣٨٥٠)، (٢٧٢٣٠)، وسماه: (أبا بصرة الغفاري)، والموضع الأول إسناده صحيح، والموضع الثاني إسناده حسن.

(٣) **صحيح**. أخرجه عمر بن شبة في "أخبار المدينة" كما في "الصارم المنكي" (ص٣٤١-٣٤٢): حدثنا ابن أبي الوزير، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق، عن قزعة به، وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، وابن أبي الوزير هو محمد بن عمر بن مطرف، أبو المطرف، وطلق هو طلق بن حبيب، وقزعة هو ابن يحيىٰ البصري. =

فابن عمر، وبصرة بن أبي بصرة جعلا الطور مما نُهي عن شد الرحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه فيه النهي عن شدها إلى غير الثلاثة مما يقصد به القربة، فَعُلِمَ أنَّ المستثنى منه عام في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصًّا بالمساجد؛ ولهذا نهيا عن شدها إلى الطور مستدلين بهذا الحديث، والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة؛ فإن الله سماه الوادي المقدس، والبقعة المباركة، وكلم كليمه موسى عليه السلام هناك، وهذا هو الذي عليه الأئمة الأربعة، وجمهور العلماء، ومن أراد بسط القول في ذلك، والجواب عما يعارضه فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبًا لابن الأخنائي فيما اعترض به على ما دلت عليه الأحاديث، وأخذ به العلماء [وفي "الجواب الباهر" الذي نقل عنه ابن عبد الهادي رحمهما الله تعالى][(١)]، وقياس الأولى؛ لأن المفسدة في ذلك ظاهرة، وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة فغاية ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه، وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب "الصارم المنكي" في رده على السبكي، وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ، وذكر هو وشيخ الإسلام رحمه الله أنه لا يصح منها حديث عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه مع أنها لا تدل على محل النزاع؛ إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال، فيحمل على الزيارة الشرعية التي ليس فيها شرك ولا بدعة.

قولهُ: رواه في "المختارة".

"المختارة": كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة عن "الصحيحين"، ومؤلفه:

= قوله: (الطور) هو الجبل الذي كلم الله موسىٰ وهو عليه، وهو مكان مبارك، وشد الرحال كناية عن السفر، فلا يسافر إلىٰ أي بقعة من بقاع الأرض للتعبد فيها إلا إلىٰ الثلاثة المساجد.

تنبيهٌ: الحديث لم أجده في "مسند أحمد"، وقد عزاه إليه ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي" (ص٣٤٢)، وتابعه المؤلف علىٰ ذلك.

(١) ساقط من [أ].

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ، ضياء الدين الحنبلي، أحد الأعلام.

قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن، مع الدين المتين، والورع، والفضيلة التامة، والإتقان، فالله يرحمه ويرضى عنه.[1]

وقال شيخ الإسلام: تصحيحه في «مختاراته» خير من تصحيح الحاكم بلا ريب[2]، مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

---

(١) لم أجد هذا النص عن الذهبي في ترجمة الضياء من «السير»، ولا من «تذكرة الحفاظ»، ولا «تاريخ الإسلام».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ٤٢٦).

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية بَراءَة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحِمَىٰ غاية البُعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا، ورأفته ورحمته.

الرابعة: نَهيُه عن زيارة قبره علىٰ وجهٍ مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نَهيُه عن الإكثار من الزيارة.(١)

السادسة: حثُّه علىٰ النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقررٌ عندهم أنه لا يصلىٰ في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإنْ بَعُد؛ فلا حاجة إلىٰ ما يتوهمه مَنْ أراد القُرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أُمته في الصلاة والسلام عليه.

---

(١) لعله أخذه من قوله: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**»، وهذا الحديث أعمُّ من ذلك؛ فإنه يشمل من اعتاد شيئًا ولو علىٰ مرور سنة كما تقدم من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

٢٢- باب ما جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هذِهِ الأمَّةِ يَعْبُدُ الأوْثَانَ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب ما جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هذِهِ الأمَّةِ يَعْبُدُ الأوْثَانَ.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِن الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

ش/ الوثن: يطلق على كل ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله، من القبور، والمشاهد وغيرها؛ لقول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧]، مع قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١]، وقوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥]، فبذلك [يُعلم][1] أن الوثن يطلق على الأصنام وغيرها مما عُبد من دون الله كما تقدم في الحديث.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حُيَي بن أخطب، وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا [لهم][2]: أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد. فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء[3]، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور، قَطَعَ أرحامَنا، واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خيرٌ وأهدى سبيلًا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ

(١) ساقط من [أ].
(٢) ساقط من [أ].
(٣) الناقة العظيمة السنام. «لسان العرب».

أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[(١)].

وفي [«مسند أحمد»][(٢)] عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه.[(٣)]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.[(٤)]

[وكذلك][(٥)] قال ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن وغيرهم.[(٦)]

---

(١) **مرسل ضعيف**. أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤) من طريق: محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ، عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة مرسلًا، وتابع المقرئ سعيد بن منصور في روايته عن سفيان مرسلًا كما في «تفسيره» (٦٤٨)، ومن طريقه أخرجه ابن المنذر (١٨٨٣)، وخالفهما محمد بن يونس الجمَّال، فرواه عن سفيان بإسناد موصولًا بذكر ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٩٣-١٩٤)، والطبراني (١١٦٤٥).

❁ ووقع عند الطبراني: يونس بن سليمان الجمال. وما عند البيهقي أصح كما في تلاميذ سفيان بن عيينة من «تهذيب الكمال»، ومحمد بن يونس الجمَّال ترجمته في «التهذيب» يسرق الحديث، كما قال ابن عدي؛ وعليه فلا عبرة برواية الوصل من هذه الطريق.

❁ وأخرجه موصولًا أحمد كما في «تفسير ابن كثير» [آية:٥١] من النساء، وابن جرير (٧/ ١٤٢)، وابن المنذر (١٨٨٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٣) كلهم من طريق: ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وداود هو ابن أبي هند، وابن أبي عدي هو محمد بن إبراهيم، وكلاهما ثقة.

❁ وقد خولف ابن أبي عدي، خالفه خالد بن عبدالله الطحان، وعبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي كما في «تفسير ابن جرير» (٧/ ١٤٣-١٤٤)، فروياه عن داود بن أبي هند عن عكرمة مرسلًا، وقد رواه أيوب السختياني عن عكرمة مرسلًا، ولم يختلف عليه فيه، أخرجه عبدالرزاق في «تفسيره» (١/ ١٦٤-١٦٥)، ومن طريقه ابن جرير (٧/ ١٤٣-١٤٤)؛ وعليه فالمرسل هو الصحيح، والله أعلم.

(٢) في [أ]: «مسند الإمام أحمد».

(٣) تقدم تخريجه ضمن التخريج السابق.

(٤) تقدم تخريجه في أوائل الكتاب.

(٥) في [ب]: وكذا.

(٦) أثر ابن عباس لم نجده مسندًا.

❁ وأثر أبي العالية ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٤) بدون إسناد.

❁ وأثر مجاهد أخرجه ابن جرير (٧/ ١٣٦) بإسناد صحيح. =

وعن ابن عباس، وعكرمة، وأبي مالك: الجبت الشيطان، زاد ابن عباس: بالحبشية.[(١)]

وعن ابن عباس أيضًا: الجبت الشرك. وعنه: الجبت الأصنام. وعنه: الجبت: حُيي ابن أخطب.[(٢)] وعن الشعبي: الجبت الكاهن. وعن مجاهد: الجبت كعب بن الأشرف.[(٣)]

قال الجوهري: الجبت كلمة تقع على الصنم، والكاهن، والساحر، ونحو ذلك.

قال المصنف: وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.[(٤)]

= ❁ وأثر الحسن لم نجده مسندًا.

(١) هذه الآثار كلها لم نجدها مسندة، وعكرمة صح عنه عند ابن جرير (٧/ ١٣٤) أنه فسر الجبت بصنمين يُعبدان في الجاهلية.

❁ وأثر عكرمة، وأبي مالك ذكرهما ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤) بدون إسناد.

❁ وأثر ابن عباس رضي الله عنهما الذي فيه زيادة (بالحبشية) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة النساء [آية:٥١]، وسنده شديد الضعف، فيه: النضر بن عبدالرحمن الخزاز أبو عمر، وهو متروك، وعلَّقه بصيغة التمريض من طريق نُعيم بن حماد.

(٢) الأثر عند ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤)، أعني الذي بلفظ: (الجبت الشرك) من طريق: علي بن أبي طلحة عنه، وهي منقطعة، وفيه: عبدالله بن صالح كاتب الليث.

❁ فأما تفسيره بـ(حيي بن أخطب) فأخرجه ابن جرير (٧/ ١٣٩)، وفيه: عبدالله كاتب الليث، فيه ضعفٌ، وهو من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهو منقطع، وتفسيره بأنه الأصنام فيه سلسلة العوفيين، أخرجه ابن جرير (٧/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٥).

(٣) أثر الشعبي أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٥)، فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عقبة، عن حنش بن الحارث، قال: سمعت الشعبي...، فذكره، وهذا إسناد حسن، وعقبة هو ابن خالد السكوني، وصح عنه عند ابن جرير (٧/ ١٣٦) أنه قال: الجبت السحر. والطاغوت الشيطان.

❁ وأثر مجاهد أخرجه ابن جرير (٧/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٥) بإسناد فيه: ليث بن أبي سليم، وفيه ضعف.

والراجح من هذه التفاسير كلها: أن الظاهر أن الجبت والطاغوت تطلق علىٰ ما يُعبد من دون الله، وهذا ترجيح ابن جرير في "تفسيره".

(٤) ذكر ذلك في "كتاب التوحيد" المسألة رقم (٤)، قال العلامة العثيمين رحمه الله في "القول المفيد"=

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾[المائدة: ٦١].

ش/ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ [هم][1] أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿**مَن لَّعَنَهُ اللهُ**﴾، أي: أبعده من رحمته وغضب عليه، أي: غضبًا لا يرضى بعده أبدًا ﴿**وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**﴾، وقد قال الثوري عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد الله، عن المعرور بن سويد، أنَّ ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سُئِل رسولُ الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله؟ فقال: «**إن الله لم يهلك قومًا**» أو قال: «**لم يمسخ قومًا، فيجعل لهم نسلًا ولا عقبًا، وإنَّ القردة والخنازير كانت قبل ذلك**» رواه مسلم.[2]

قال البغوي في "تفسيره": قل يا محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: أخبركم بشرٍّ من ذلك، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظًّا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء، كقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾[الحج:٧٢].

= (١/ ٦٢٢): أما إيمان القلب واعتقاده فهذا لاشك في دخوله في الآية، وأما موافقة أصحابها مع بغضها، ومعرفة بطلانها؛ فهذا يحتاج إلىٰ تفصيل: فإن كان وافق أصحابها بناءً علىٰ أنها صحيحة؛ فإنه لا يكفر، لكنه لاشك علىٰ خطر عظيم يخشىٰ أن يؤدي به الحال إلىٰ الكفر، والعياذ بالله. انتهىٰ

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٣).

فائدة: هذا الحديث بين فيه النبي ﷺ أنَّ القردة والخنازير الموجودة الآن ليست من مسخ بني إسرائيل؛ لأنَّ من مسخه الله فإنه لا يتناسل. لكن ماذا عن حديث رسول الله ﷺ أنه قال في الفأرة: «**لعلها مما مُسِخ**» متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبنحوه عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الضب؟ هذا الحديث قال فيه الحافظ بأنه يُحمل علىٰ تردد النبي ﷺ عن الفأرة، هل هي مما مسخ أم لا؟ وذلك قبل أن يُوحَىٰ إليه أنَّ الذي مسخ لا يكون له نسلٌ، ولا عقبٌ. هذا هو أفضل ما يحمل عليه الحديث.

وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾.

ثوابًا وجزاءً، نُصِبَ على التفسير عند الله، ﴿**مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**﴾، فالقردة أصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام.[١]

وعن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مُسِخُوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير.[٢]

﴿**وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾، أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سول له.

وقرأ ابن مسعود: ﴿[وَعَبَدوا][٣] الطاغوت﴾.

وقرأ حمزة: ﴿وَعَبُدَ الطاغوتِ﴾[٤] بضم الباء وبجر التاء، أراد: العبد، وهما لغتان: (عَبْد) [بسكون][٥] الباء و (عَبُد) بضمها، مثل: (سَبْع وسَبُع).

وقرأ الحسن: ﴿وَعَبْدَ الطاغوت﴾ على الواحد.[٦]

---

(١) هذا لم يثبت فيه حديث، وهو أنَّ أصحاب مائدة عيسىٰ مُسِخُوا خنازير، وأشهر ما ورد هو حديث عمار بن ياسر عند الترمذي (٣٠٦١)، وابن جرير (٩/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٥)، وظاهر إسناده الحسن، لكن قال الترمذي عقبه: لا نعلمه مرفوعًا من حديث الحسن بن قزعة. ثم رواه موقوفًا، وقال: وهذا أصح، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلًا.

(٢) **الأثر ضعيفٌ منقطع**، وفيه: عبدالله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، وذكره الواحدي في "الوسيط" (٢/ ٢٠٤) بدون إسناد، بل قال: وقال الوالبي عن ابن عباس، فذكره، وعلي بن أبي طلحة لا يُنسب بـ(الوالبي)، وإنما سعيد بن جبير، فالله أعلم.

(٣) في المخطوطتين: (من عبد)، والمثبت هو الصواب كما في "تفسير ابن كثير".

(٤) قراءة صحيحة، وهو من القراء المشهورين، والقراءة بفتح العين والدال، وضم الباء، فسرها ابن جرير خدم الطاغوت.

(٥) في المخطوطتين: (بجزم)، والمثبت أقرب.

(٦) ذكرها البغوي في "تفسيره" بدون إسناد.

وفي "تفسير الطبرسي"[(١)]: قرأ حمزة وحده ﴿وعَبُد الطاغوتِ﴾ بضم الباء، وجر التاء، والباقون ﴿وعبَد الطاغوتَ﴾ بنصب الباء وفتح التاء.

وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النخعي، والأعمش، وأبان بن تغلب: ﴿وعُبُد الطاغوت﴾ بضم العين والباء، وفتح الدال، وخفض التاء.[(٢)]

قال: وحجة حمزة في قراءته ﴿وعَبُد الطاغوتِ﴾ أنه يحمله على ما عمل فيه (جعل) كأنه: وجعل منهم عبد الطاغوت، ومعنى جعل خلق، كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، وليس عبد لفظ جمع؛ لأنه ليس من أبنية الجموع شيء على هذا البناء، ولكنه واحد يُراد به الكثرة، ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه [لفظ][(٣)] الإفراد ومعناه الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤]؛ ولأنَّ بناء فعلٍ يُراد به المبالغة والكثرة نحو: يقظ، ودنس، وكأن تقديره: أنه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب.

وأما من فتح فقال: ﴿وعبَد الطاغوت﴾؛ فإنه عطفه على بناء المضي الذي في الصلة، وهو قوله: ﴿لعنه الله﴾، وأفرد الضمير في ﴿عبد﴾، وإن كان المعنى فيه الكثرة؛ لأن الكلام

---

(١) اسم كتابه "مجمع البيان لعلوم القرآن"، وصاحبه هو: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي نسبة إلىٰ طبرستان، وهو معتزلي، رافضي، وتفسيره أدخل فيه مذهب الرفض والاعتزال، هلك في عام (٥٣٨هـ)، انظر: "التفسير والمفسرون" (٢/ ٩٩-١٠٠).

(٢) ﴿عُبُد﴾ بضم العين والباء: جمع عَبْد، والمعنىٰ: جعل منهم عبيد الطواغيت، والآثار غير مسندة. والمعنىٰ العام لهذه الآية ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوت﴾ أنَّ الله تعالىٰ جعل من اليهود، والنصارىٰ من يعبد الطواغيت، ويشركون بالله؛ فإنهم أعرضوا عن عبادة الله، فجازاهم الله وأزاغهم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، فعبدوا الطواغيت من دون الله، فأعرضوا عن عبادة الله، فعوقبوا في عبادة غير الله من الطواغيت. فالمؤلف استدل بهذه الآية علىٰ أن من هذه الأمة من يتشبه بهم، ويعبد غير الله من الطواغيت، ففيه رد علىٰ الصوفية الذين يقولون: هذه الآيات لم تنزل في هذه الأمة؛ لأنَّ الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب.

(٣) ساقط من [أ].

محمول على لفظه دون معناه، وفاعله ضمير ﴿من﴾ كما أن فاعل الأمثلة المعطوف عليها ضمير (من)، فأفرد لحمل ذلك جميعًا على اللفظ.

وأما قوله: ﴿عُبُد الطاغوت﴾، فهو جمع عبد.

وقال أحمد بن يحيى: (عُبُد) جمع عابد، كبازل وبزل، وشارف وشرف، وكذلك (عُبَّد) جمع عابد، ومثله عَبَّاد وعُبَّاد. انتهى.

وقال شيخ الإسلام في قوله ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾: الصواب أنه معطوف على ماقبله من الأفعال، أي: من لعنه، وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير، [ومن][(١)] عبد الطاغوت.

قال: والأفعال المتقدمة الفاعل فيها اسم الله مظهرًا أو مضمرًا وهنا الفاعل اسم من ﴿عبد الطاغوت﴾، وهو الضمير في ﴿عبد﴾، ولم يعد سبحانه ﴿من﴾؛ لأنه جعل هذه الأفعال صفة لصنف واحد وهم اليهود.[(٢)]

قوله: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾.

مما تظنون بنا، ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة،[(٣)] كقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:٢٤]، قاله العماد ابن كثير في "تفسيره"، وهو ظاهر.

قال المصنف رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

ش/ والمراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لعن**

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٤٥٥).

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ لا يفهم منه أن المؤمنين في شر، لكن شر الكفار الأكثر.

الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(١)]، أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.

قال المصنف رحمه الله: وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**». قالوا: يا رسولَ الله، اليهودَ والنصارَىٰ؟ قال: «**فَمَنْ؟**»، أخرجاه.[(٢)]

ش/ قوله: «**سَنن**».

بفتح المهملة، أي: طريق من كان قبلكم، قال المهلب: الفتح أولى.

قوله: «**حذوَ القذة بالقذة**».

بنصب «**حذوَ**» على المصدر، و«**القذة**» بضم القاف، واحدة القذاذ، وهو ريش السهم.

أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى، فوقع كما أخبر النبي ﷺ، وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة، وقد وقع [ما أخبر به][(٣)]، وهو [علم][(٤)] من أعلام النبوة.

قوله: «**حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**».

وفي حديث آخر: «**حتىٰ لو كان فيهم من يأتي أُمَّهُ علانية؛ لكان في أمتي من يفعل ذلك**».[(٥)]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الحديث في "البخاري" (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) بلفظ: «**شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**» بدل قوله: «**حذو القذة بالقذة**»، وهذا اللفظ عند أحمد (٤/ ١٢٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وحديث شداد بن أوس سنده ضعيف، فيه: شهر بن حوشب.

(٣) في [ب]: كما أخبر.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) **حسن**. رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٩) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وفي=

أراد ﷺ أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله لا تترك منه شيئًا؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا؛ ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا؛ ففيه شبه من النصارى. انتهى.[(١)]

قلت: فما أكثر الفريقين، لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة كما في حديث ثوبان الآتي قريبًا.

قولهُ: قالوا يا رسول الله، اليهودُ والنصارى؟ قال: «**فمن؟**».

هو برفع (اليهودُ): خبر مبتدإٍ محذوف، أي: أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني.

قولهُ: قال: «**فمن؟**».

استفهامُ إنكار، أي: فمن هم غير أولئك؟

= سنده: عبدالرحمن بن زياد الأفريقي، وهو ضعيف.

❁ وله شاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند البزار كما في "كشف الأستار" (١٥/ ٣٢)، والدولابي (٢/ ٣٠)، وغيرهما، وفي سنده: أبو أويس والد إسماعيل، وفيه ضعف، وكلاهما يصلح في الشواهد؛ ولذا حسنه الألباني بطريقيه كما في "الصحيحة" (١٣٤٨).

(١) ذكره شيخ الإسلام في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٦٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنّ أُمّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُها مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بعَامّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمّدُ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[(١)].

ورواه البرقاني في "صحيحه"، وزاد: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَـهُمْ [وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ][(٢)]، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**».

ش/ هذا الحديث رواه أبو داود في "سننه"، وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف.[(٣)]

قوله: عن ثوبان.

هو مولى النبي ﷺ، صَحِبَه ولازمه، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين.

قوله: «**زوىٰ لي الأرض**».

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).

(٢) زيادة من المخطوطة.

(٣) **صحيح**. أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

قال التُّورِبِشْتي[(١)]: زويتُ الشيءَ جمعتُه وقبضتُه. يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطِّلاعَه على القريب.

وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره.

قال الطيبي: أي جَمَعَهَا لي حتى أبصرتُ ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها.[(٢)]

قوله: «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها».

قال القرطبي: هذا الخبر وُجِدَ مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته؛ وذلك أن ملك أمته اتَّسَع إلى أن بلغ أقصى طنجة -بالنون والجيم- الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند، والهند، والصُّغْد، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال؛ ولذلك لم يذكر ﷺ أنه أُرِيَه، ولا أَخْبَرَ أن ملك أُمَّتَه تبلغه.[(٣)]

قوله: «زوي لي منها».

يُحتمل أن يكون مَبْنِيًّا للفاعل، [وأن][(٤)] يكون مَبْنِيًّا للمفعول.

قوله: «وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض».

قال القرطبي: يعني بها كنز كسرى وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم،

---

(١) هو المحدث الفقيه، شهاب الدين فضل الله بن حسن، له شرح لـ"مصابيح البغوي" اسمه "الميسر في شرح المصابيح". "طبقات الشافعية" (٨/ ٣٤٩)، وانظر كلام التوربشتي في "شرح الطيبي" (١١/ ٣٦٣٧).

(٢) لم أجد هذا النص في المطبوع من شرحه (١١/ ٣٦٣٧).

(٣) انتهىٰ من "المفهم" (٧/ ٢١٧).

(٤) في [أ]: أو.

وقصورهما وبلادهما، وقد قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[(١)]، وعبَّر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، ووجد ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه؛ فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته، على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر، والأبيض والأحمر منصوبان على البدل.

قوله: «وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة».

هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله تعالى بعامة، بالباء، وهي رواية صحيحة في "صحيح مسلم"، وفي بعضها بحذفها.

قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن «عامة» صفة السنة، والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط: سنة، ويجمع على سنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف:١٣٠]، أي: الجدب المتوالي.[(٢)]

قوله: «من سوىٰ أنفسهم».

أي: من غيرهم من الكفار، من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبلُ، وإلى زماننا هذا، نسأل الله العفو والعافية.

قوله: «فيستبيح بيضتهم».

قال الجوهري: بيضة كل شيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم.

وعلى هذا فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٨) (٣١٢١)، ومسلم برقم (٢٩١٨) (٢٩١٩)، من حديث أبي هريرة، وجابر بن سمرة رضي الله عنهم.

(٢) انتهىٰ من "المفهم" (٧/ ٢١٧).

يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها.[١]

وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم وإنْ قَلُّوا.

قوله: «**حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**».

والظاهر أن «**حتىٰ**» عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية، أي: إن أمر الأمة ينتهي إلى أن «**يكون بعضهم يهلك بعضًا**» الحديث، وقد يسلط بعضهم على بعض كما هو الواقع؛ وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم.

قوله: «**وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد**».

قال بعضهم: أي إذا حكمت حكمًا مُبْرَمًا نافذا؛ فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده، كما قال النبي ﷺ: «**ولا رَادَّ لما قضيت**».[٢]

قوله: رواه البرقاني في "صحيحه".

---

(١) انظر: "المفهم" (٧/ ٢١٨).

(٢) هذا الحديث: «**ولا رادَّ لما قضيت**» هو قطعة من حديث المغيرة بن شعبة الذي أصله في "الصحيحين" في الذكر عقب الصلاة. انظر: "البخاري" رقم (٨٤٤)، ومسلم رقم (٥٩٣)، وهذه الزيادة خارج "الصحيحين"، وهي صحيحة، أخرجها الطبراني في "الدعاء" رقم (٦٨٦)، وسندها علىٰ شرط الشيخين.

❁ وأخرجها عبدالرزاق في "مصنفه" (١٠/ ٤٤٠)، وأكثر الروايات بدونها، لكن زادها حافظان، وهما: مسعر بن كِدام، ومعمر بن راشد، ولم يخالفا عددًا كبيرًا، ولا نعلم أحدًا من الحفاظ أعلها.

والمقصود بالقضاء الذي لا يُرد هو القضاء الكوني كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء:٤]، وأما القضاء الشرعي فهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، وقد يقع، وقد لا يقع.

تنبيه: القدر لا ينقسم إلىٰ كوني وشرعي، وإنما القدر كوني فقط.

هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، وُلِدَ سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه، كثير التصانيف، صنف مسندًا ضمَّنَه ما اشتمل عليه «الصحيحان»، وجمع حديث الثوري، وحديث شعبة، وطائفة.

[(١)] وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه بسنده إلى أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إن الله** -أو قال: **إنَّ ربي**- **زوىٰ لي الأرض، فَأُرِيت مشارق الأرض ومغاربها، وإنَ مُلك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأُعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يُرَدُّ، ولا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها** -أو قال: **بأقطارها**- **حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا، وحتىٰ يكون بعضهم يسبي بعضًا، وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرتفع عنها إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق، قال ابن عيسىٰ: ظاهرين، ثم اتفقا لا يضرهم من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله**».

وروى أبو داود أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**تدور رحىٰ الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين؛ فإن يهلكوا فسبيل**

(١) من ههنا ساقط من [أ].

من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم [سبعين][(١)] **عامًا»**، قال: قلت: أمما بقى أو مما مضى؟ قال: «**مما مضى**».[(٢)]

---

(١) في المخطوطة: (تسعين)، والمثبت من مصادر الحديث.

(٢) **صحيح**. الحديث له ثلاث طرق، كل طريق منها فيها ضعف:

❁ الطريق الأولىٰ: فيها البراء بن ناجية، عند أبي داود (٤٢٥٤)، وأحمد (١/ ٣٩٣)، والبراء مجهول.

❁ الطريق الثانية: فيها شريك القاضي، ومجالد بن سعيد الهمداني، كلاهما ضعيف، وهذه الرواية عند الطحاوي في "مشكل الآثار" (٢/ ٢٣٦)، والطبراني (١٠٣١١).

❁ الطريق الثالثة: من طريق عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه، وهذه الرواية عند أحمد (١/ ٣٩٠)، وأبي يعلىٰ (٥٠٠٩) (٥٢٩٨)، والطحاوي في "شرح المشكل" (٢/ ٢٣٥-)، وابن حبان (٦٦٦٤)، والطبراني (١٠٣٥٦)، والسند صحيح إلىٰ عبدالرحمن، وعبدالرحمن اختلفوا في سماعه من أبيه، والذي يظهر أنه سمع، لكن قليلًا، وعلىٰ فرض الانقطاع؛ فالحديث حسن بمجموع هذه الثلاث الطرق، وقد صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة" (٩٧٦).

واختلفوا في تفسيره، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٧٢٢٣): قال الخطابي: «**رحىٰ الإسلام**» كِنَايَة عَنْ الْحَرْب، شَبَّهَهَا بِالرَّحَىٰ الَّتِي تَطْحَنُ الْحَبّ؛ لِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ تَلَف الْأَرْوَاح، وَالْـمُرَاد بِالدِّينِ فِي قَوْله «**يَقُمْ لَهُمْ دِينهمْ**» الْـمُلْك، قَالَ: فَيُشْبِه أَنْ يَكُونُ إِشَارَة إِلَىٰ مُدَّة بَنِي أُمَيَّة فِي الْـمُلْك، وَانْتِقَاله عَنْهُمْ إِلَىٰ بَنِي الْعَبَّاس؛ فَكَانَ مَا بَيْن اِسْتِقْرَار الْـمُلْك لِبَنِي أُمَيَّة وَظُهُور الْوَهَن فِيهِ نَحْو مِنْ سَبْعِينَ سَنَة. قُلْت: لَكِنْ يُعَكِّر عَلَيْهِ أَنَّ مِنْ اِسْتِقْرَار الْـمُلْك لِبَنِي أُمَيَّة عِنْد اِجْتِمَاع النَّاس عَلَىٰ مُعَاوِيَة سَنَة إِحْدَىٰ وَأَرْبَعِينَ إِلَىٰ أَنْ زَالَتْ دَوْلَة بَنِي أُمَيَّة، فَقُتِلَ مَرْوَان بْن مُحَمَّد فِي أَوَائِل سَنَة اِثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَة أَزْيَدَ مِنْ تِسْعِينَ سَنَة، ثُمَّ نَقَلَ عَنْ الْخَطِيب أَبِي بَكْر الْبَغْدَادِيّ قَوْله «**تَدُور رَحَىٰ الْإِسْلَام**» مَثَل يُرِيد أَنَّ هَذِهِ الْـمُدَّة إِذَا اِنْتَهَتْ حَدَثَ فِي الْإِسْلَام أَمْرٌ عَظِيم يُخَاف بِسَبَبِهِ عَلَىٰ أَهْله الْهَلَاك، يُقَال لِلْأَمْرِ إِذَا تَغَيَّرَ وَاسْتَحَالَ: دَارَتْ رَحَاهُ. قَالَ : وَفِي هَذَا إِشَارَة إِلَىٰ اِنْتِقَاض مُدَّة الْخِلَافَة.

ثم قال: وَالتَّفْسِير الَّذِي فَسَّرَهُ بِهِ الْخَطَّابِيُّ، ثُمَّ الْخَطِيب بَعِيد، وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ الْـمُرَاد بِقَوْلِهِ: «**تَدُور رَحَى الْإِسْلَام**» أَنْ تَدُوم عَلَىٰ الِاسْتِقَامَة، وَأَنَّ اِبْتِدَاء ذَلِكَ مِنْ أَوَّل الْبَعْثَة النَّبَوِيَّة؛ فَيَكُونُ اِنْتِهَاء الْـمُدَّة بِقَتْلِ عُمَر فِي ذِي الْحِجَّة سَنَةَ أَرْبَع وَعِشْرِينَ مِنْ الْهِجْرَة، فَإِذَا اِنْضَمَّ إِلَىٰ ذَلِكَ اِثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَة وَسِتَّة أَشْهُر مِنْ الْـمَبْعَث فِي رَمَضَانَ؛ كَانَتْ الْـمُدَّة خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَة وَسِتَّة أَشْهُر، فَيَكُونُ ذَلِكَ جَمِيع الْـمُدَّة النَّبَوِيَّة، وَمُدَّة الْخَلِيفَتَيْنِ بَعْده خَاصَّة، وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث حُذَيْفَة الْـمَاضِي قَرِيبًا الَّذِي يُشِير إِلَىٰ أَنَّ بَاب الْأَمْنِ مِنْ الْفِتْنَة يُكْسَر بِقَتْلِ عُمَر، فَيُفْتَح بَاب الْفِتَن، وَكَانَ الْأَمْر عَلَىٰ مَا ذُكِرَ، وَأَمَّا قَوْله فِي بَقِيَّة الْحَدِيث: «**فَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيل مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينهمْ يَقُمْ سَبْعِينَ سَنَة**»، فَيَكُونُ الْـمُرَاد بِذَلِكَ اِنْقِضَاء أَعْمَارهمْ، وَتَكُونُ الْـمُدَّة سَبْعِينَ سَنَة إِذَا جُعِلَ اِبْتِدَاؤُهَا مِنْ أَوَّل سَنَة ثَلَاثِينَ عِنْد=

وروى في "سننه" أيضًا عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقىٰ الشح، ويكثر الهرج**»، قيل: يا رسول الله، أيه هو؟ قال: «**القتل، القتل**»](1) (2).

قولهُ: «**وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**».

أي: الأمراء، والعلماء، والعُبَّاد، فيحكمون فيهم بغير علم، فيضلونهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ [الأحزاب:٦٧]، وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة، فليأت إلى قبري؛ [فإني أقضيها](3) له، ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب. أو نحو هذا، وهذا هو الضلال البعيد، يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله، ويسألوه [ما لا يقدر عليه من](4) قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج:١٢-١٣]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣]، وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت:١٧] ، وأمثال هذا في القرآن كثير يبين الله تعالى به الهدى من الضلال.

= انْقِضَاء سِتّ سِنِينَ مِنْ خِلَافَة عُثْمَان؛ فَإِنَّ اِبْتِدَاء الطَّعْن فِيهِ إِلَىٰ أَنْ آلَ الْأَمْر إِلَىٰ قَتْله كَانَ بَعْدَ سِتّ سِنِينَ مَضَتْ مِنْ خِلَافَته، وَعِنْد اِنْقِضَاء السَّبْعِينَ لَمْ يَبْقَ مِنْ الصَّحَابَة أَحَدٌ؛ فَهَذَا الَّذِي يَظْهَر لِي فِي مَعْنَىٰ هَذَا الْحَدِيث.اهـ

(١) إلىٰ ههنا ينتهي السقط من [أ].

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٥)، والحديث أيضًا في "البخاري" (٧٠٦١)، و"مسلم" في [كتاب العلم] رقم (١١، ١٢).

(٣) في [ب]: فأقضيها.

(٤) ساقط من [أ].

ومن هذا الضرب من يدَّعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط [فيها][(١)] [عنه][(٢)] التكاليف، ويدَّعي أنَّ الأولياء يُدْعَون ويُستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون، ويضرون، ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم أسرار الناس، وما في ضمائرهم، أو يجوز بناء المساجد على قبور الأولياء، والصالحين، وإيقادها بالسُّرُج، ونحو ذلك من الغلو، والإفراط، والعبادة لغير الله، فما أكثر هذا الهذيان، والكفر، والمحادة لله، ولكتابه، ولرسوله.

وقوله ﷺ: «وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين».

أتى بـ: «**إنما**» التي قد تأتي للحصر؛ بيانًا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال، وما وقع في خَلَدِ النَّبي ﷺ من ذلك إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» الحديث.

[وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أخوف ما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلون**» رواه أبو داود الطيالسي.[(٣)]

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**» رواه الدارمي[(٤)]].[(٥)]

وقد بَيَّنَ اللهُ تعالى في كتابه صراطه المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين، فكل من أحدث

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) في [ب]: عنهم.
(٣) أخرجه الطيالسي (٩٧٥)، وهو أيضًا في "مسند أحمد" (٦/ ٤٤١)، وفي سنده رجلان مبهمان، ويُغني عنه حديث ثوبان الذي في الباب.
(٤) أخرجه الدارمي (١/ ٧٠) (٢/ ٣١١)، وهو نفس حديث الباب، ونفس السند علىٰ شرط مسلم، وأخرجه أيضًا أحمد بهذا اللفظ (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤).
(٥) ما بين المعقوفين زيادة في المطبوع.

حَدَثًا ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ؛ فهو ملعون، وحدثه مردود، كما قال ﷺ: «**من أحدث حدثًا، أو آوىٰ مُحدِثًا؛ فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل اللهُ منه يوم القيامة صرفًا، ولا عدلًا**».(١)

وقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢)، وقال: «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».(٣)

وهذه أحاديث صحيحة، ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها، وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:٣]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الجاثية:١٨]، ونظائرها في القرآن كثير.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. رواه الدارمي.(٤)

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨٧٠)، ومسلم برقم (١٣٧٠)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلفظ: «**من أحدث فيها حدثًا...**» يعني بالمدينة، وكذلك أخرجه مسلم برقم (١٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه "مسلم" (٨٦٧) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وغيرهم، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

فائدة: زيادة: «**وكل ضلالة في النار**» ليست في "مسلم"، وإنما هي في حديث جابر عند النسائي (٣/ ١٨٩)، وسندها صحيح.

(٤) صحيح. رواه الدارمي برقم (٢٢٠)، وابن بطة في "الإبانة" (٦٤١) (٦٤٣)، وابن عبدالبر في "جامع بيان العلم" (١٨٦٧) (١٨٦٩) (١٨٧٠)، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٦٠٧)، من طرق عن الشعبي، عن زياد بن حدير به، وهذا إسناد صحيح.

❁ وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٤٧٥) من طريق: حصين، عن زياد بن حدير به.

وقال يزيد بن عمير: كان معاذ بن جبل ﷺ لا يجلس مجلسًا للذكر إلا قال: اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، هلك المرتابون. وفيه: واحذروا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: وما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: قال لي: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال: ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه؛ فإنه لعله يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته؛ فإنَّ على الحقِّ نُورًا. رواه أبو داود، وغيره.[١]

قوله: وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة.

وكذلك وقع؛ فإن السيف لما وقع بقتل عثمان ﷺ لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى.

قوله: «**ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين**».

الحي: واحد الأحياء، وهي القبائل.

وفي رواية أبي داود: «**حتىٰ يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**»، والمعنى: أنهم يكونون معهم، ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام، [ويلحقون][٢] بأهل الشرك.

وقوله: «**حتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**».

الفئام: مهموز: الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات.

وفي رواية أبي داود: «**حتىٰ تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»، وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود برقم (٤٦١١)، فقال ﷺ: حدثنا يزيد بن خالد بن عبدالله بن موهب الهمداني، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أن أبا إدريس الخولاني أخبره أنَّ يزيد بن عميرة أخبره...، فذكره. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات معروفون.

(٢) في المخطوطتين: (ولحوقهم)، والمثبت أقرب.

الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان[(١)]؛ وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد، وما يناقضه من الشرك والتنديد، فالتوحيد هو أعظم مطلوب، والشرك هو أعظم الذنوب.

وفي معنى هذا الحديث ما في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أَليات نساء دَوس علىٰ ذي الخلصة**»، قال: وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.[(٢)]

وروى ابن حبان عن معمر قال: إنَّ عليه الآن بيتًا مبنيًّا مغلقًا.[(٣)]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف: فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، وكذلك حكم المشاهد التي بُنِيَت على القبور، والتي اتُّخِذَت أوثانًا تُعبد من دون الله، والأحجار التي تُقصد للتبرك والنذر، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات، والعزى، ومناة، أو أعظم شركًا عندها، وبها، فاتَّبَعَ هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لظهور الجهل، وخفاء العلم، وصار المعروف مُنْكَرًا، والمُنْكَرُ معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقَلَّ العلماءُ، وغلب

---

(١) فائدة: استدل بعض الصوفية بحديث: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن بالتحريش**» علىٰ عدم وقوع الشرك، وهذا باطل لما تقدم من الأدلة علىٰ وقوعه، وأما الحديث فله تأويلات عند أهل العلم، منهم من قال: يئس أن يعبده المصلون كلهم. ومنهم من قال: إنه خبر بأنه يئس من ذلك، ومع ذلك هو يقع كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، ويأس الشيطان لا يمنع وقوعه، فهذان تفسيران لهذا الحديث.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١١٦)، ومسلم برقم (٢٩٠٦).

(٣) رواه ابن حبان برقم (٦٧٤٩)، وسنده صحيح، ورواه عبدالرزاق، عن معمر برقم (٢٠٧٩٥).

السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. انتهى ملخصًا.(١)

قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله، فما بعده أعظم فسادًا.

وقوله ﷺ: «وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي».

قال القرطبي: وقد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم أربع نسوة**» أخرجه أبو نعيم وقال: هذا حديث غريب(٢). انتهى.(٣)

وحديث ثوبان أصح من هذا.

قال القاضي عياض: عُدَّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك، وعرف، واتبعه جماعة على ضلالة، فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا.(٤)

وقال الحافظ: وقد ظهر مصداق ذلك في زمن رسول الله ﷺ، فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وفي خلافة أبي بكر: طليحة بن خويلد في بني

---

(١) من «زاد المعاد» (٣/ ٥٠٦-٥٠٧).

(٢) **صحيح**. أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٩٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٢٦)، و«الأوسط» (٥٤٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٧٩)، من طرق عن معاذ بن هشام قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده ولم أسمعه منه: عن قتادة، عن أبي معشر، عن إبراهيم النخعي، عن همام، عن حذيفة...، فذكره. وهذا إسناد صحيح، وأبو معشر هو زياد بن كليب. وقول أبي نعيم (غريب) لا يُستفاد منه ضعف الحديث، وإنما يستفاد منه التفرد، فكثير من العلماء يطلقون الغريب علىٰ التفرد؛ إلا من كان له اصطلاح خاص به كالترمذي، وابن كثير؛ فإنهما يطلقانه علىٰ ما كان ضعيفًا، والزيلعي يطلقها علىٰ ما لا أصل له.

(٣) لم أقف علىٰ مصدر كلام القرطبي.

(٤) انتهىٰ من «إكمال المعلم» رقم (٢٩٢٣).

أسد بن خزيمة، وسجاح في بني تميم، وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه[(١)]، وتاب طليحة ومات على الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه، ونقل أن سجاح تابت أيضًا، ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير، فأظهر محبة أهل البيت، ودعا الناسَ إلى طلب قتلة الحسين، فتتبعهم فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك وأعان عليه، فأحبه الناسُ، ثم ادَّعى النبوة، وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه.

ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، فقتل، وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وليس المراد بالحديث مَنِ ادَّعَى النبوة مطلقًا؛ فإنهم لا يحصون كثرة؛ لكون غالبهم ينشأ عن جنون، أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدا له شبهة، كمن وَصَفْنَا، وقد أهلك الله تعالى من وقع [له][(٢)] منهم ذلك، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرهم الدجال الأكبر.[(٣)]

قوله: «وأنا خاتم النبيين».

[قال الحسن[(٤)]: الخاتم الذي ختم به، أي إنه آخر النبيين كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠]][(٥)]، وإنما ينزل عيسى ابن

(١) في المطبوع زيادة: (قتله وحشي قاتل حمزة يوم أحد، وشاركه في قتل مسيلمة يوم اليمامة رجلٌ من الأنصار).

(٢) ساقط من [ب].

(٣) انتهىٰ من "الفتح" (٣٦٠٩).

(٤) لم نجده مسندًا، وقد ذكره الواحدي في تفسيره: "الوسيط" [آية: ٤٠] من سورة الأحزاب بدون إسناد.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

مريم في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، مُصَلِّيًا إلى قبلته، فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة، قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليَنزلن فيكم ابن مريم حكمًا مُقسطًا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية**»[١].

قوله: «**ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم**».

قال يزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل: إنْ لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم.

قال ابن المبارك، وعلى بن المديني، وأحمد بن سنان، والبخاري، وغيرهم: إنهم أهل الحديث.[٢]

وعن ابن المديني رواية: هم «**العرب**»[٣]، واستدل برواية من روى: «**هم أهل الغرب**»[٤]، وفسر الغرب بالدلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها.

قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع، وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٢)، ومسلم برقم (١٥٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

فائدة: كيف يضع عيسىٰ ابن مريم ﷺ الجزية، والجزية من شريعة محمد ﷺ، وهو يحكم بها؟ قال العلماء: هذا محمول علىٰ أن قبول الجزية يُنسخ عند خروجه، ويكون إخبار النبي ﷺ بذلك نسخًا لهذا الحكم عند خروجه؛ فهو من شرع نبينا ﷺ.

(٢) هذه الآثار تجدها في "شرف أصحاب الحديث" للخطيب البغدادي رقم (٤٦-٥١)، وما بعده، وأسانيده ثابتة، ومعنىٰ قوله: (لا تزال طائفة) أي: أن أهل الحديث يكونون علىٰ رأس هذه الطائفة، وليس المقصود أنه لا يكون في هذه الطائفة إلا من كان من المحدثين، بل كل من استقام علىٰ دين الله؛ فهو من هذه الطائفة المنصورة.

(٣) ذكرها الحافظ في "الفتح" (٧٣١٢) من طريق: يعقوب بن شيبة عنه.

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩٢٥)، من حديث سعد بن أبي وقاص ﵁.

واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولًا فأولًا إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهى ملخصًا مع زيادة فيه. قاله الحافظ.[(١)]

قال القرطبي: وفيه [دليل][(٢)] على أن الإجماع حجة؛ لأن الأمة إذا اجتمعت؛ فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة.[(٣)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفيه: الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية.[(٤)]

قلت: واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

قوله: «حتىٰ يأتي أمر الله».

الظاهر أن المراد به ما رُوي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العِظَام، ثم لا يبقى إلا شرارُ الناس، كما روى الحاكم أن عبد الله بن عمرو قال: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر أهل الجاهلية. فقال عقبة بن عامر لعبد الله: اعلم ما تقول، وأما أنا فسمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علىٰ أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتىٰ تأتيهم الساعة وهم علىٰ ذلك**»، فقال عبد الله: «**ويبعث الله ريحًا ريحها المسك ومسها مس الحرير، فلا تترك أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقىٰ شرارُ الناس، فعليهم تقوم الساعة**».[(٥)]

---

(١) انظر: "الفتح" (٧٣١٣)، و"شرح مسلم" (١٩٢٠).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انتهىٰ من "المفهم" (٣/ ٧٦٤).

(٤) انظر مسائل "كتاب التوحيد" رقم (٩، ١٠).

(٥) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٥٦) بإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم، وقد أخرجه مسلم برقم (١٩٢٤).

وفي "صحيح مسلم": «**لا تقوم الساعة حتىٰ لا يقال في الأرض: الله، الله**».[(١)]

وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث عقبة وما أشبهه «**حتىٰ تأتيهم الساعة**»: ساعتهم، وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ.[(٢)] وقد اختلف في محل هذه الطائفة، فقال ابن بطال: إنها تكون في بيت المقدس. [كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس**»[(٣)]][(٤)].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: هم بالشام.[(٥)]

وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام، أو في بيت المقدس دائمًا، [بل][(٦)] قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة.

قلت: ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام، وأهل بيت المقدس من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه في القرن السابع،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: "الفتح" (٧٣١٢).

(٣) **ضعيف**. الحديث أخرجه الطبراني (٧٦٤٣)، وأخرجه أيضًا أحمد (٥/ ٢٦٩)، من طريق: يحيىٰ بن أبي عمرو السيباني، عن عمرو بن عبدالله السيباني الحضرمي، عن أبي أمامة، وزاد أحمد: «**وأكناف بيت المقدس**»، وإسناده ضعيف؛ لجهالة عمرو بن عبدالله السيباني الحضرمي، والفسوي يوثقه، لكن نص الألباني رحمه الله في الضعيفة (٥٨٤٨) علىٰ أن الفسوي عنده تساهل. وقد وثقه ابن حبان، والعجلي، وعندهما تساهل أيضًا.

❁ وله شاهد من حديث مرة البهزي، أخرجه يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" (٢/ ١٧١)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣١٧)، وابن عساكر (١/ ٢١٠)، وفي إسناده: أبو وعلة شيخ من عَكٍّ، ويقال فيه: أبو زرعة الوعلاني، وهو مجهول، وفيه: كريب السحولي مجهول الحال.

❁ وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن عساكر (١/ ٢٥٤-) من عدة طرق، وكلها معلولة.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٥) الأثر صح موقوفًا عليه كما في "البخاري" (٣٦٤١).

(٦) ساقط من [ب].

وأول الثامن؛ فإنهم [كانوا][(١)] [في زمانهم][(٢)] على الحق يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه، وقد يجيء من أمثالهم بعدُ بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق، والتمسك بالسنة، والله على كل شيء قدير، ومما يؤيد هذا أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة، وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار في الشام منهم أئمةٌ، وفي الحرمين، وفي مصر، وفي العراق، [وفي اليمن][(٣)]، وكلهم على الحق يناضلون، ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلامًا لأهل السنة، وحجة على كل مبتدع.

فعلى هذا فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره؛ فإنَّ حديث أبي أمامة، وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها.[(٤)]

وقولهُ: «تبارك وتعالىٰ».

قال ابن القيم: البركة نوعان: **أحدهما**: بركة هي فِعْلُهُ، والفعل منها: بارك، ويتعدى بنفسه تارة، وبأداة (على) تارة، وبأداة (في) تارة، والمفعول منها (مبارك)، وهو ما جعل منها كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالى. **والنوع الثاني**: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها (تبارك)؛ ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عز و جل؛ فهو سبحانه المتبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، فمن يبارك الله فيه وعليه؛ فهو المبارك.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [أ]: واليمن.

(٤) في المطبوع زيادة: (وكل جملة من هذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ فإن كل ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث وقع كما أخبر ﷺ).

وأما صفة (تبارك) فمختصة به، كما أطلقها على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، أفلا تراها كيف اطردت في القرآن، جارية عليه، مختصة به، لا تطلق على غيره؟!

وجاءت على بناء السعة والمبالغة كـ(تعالى، وتعاظم)، ونحوه، فجاء بناء (تبارك) على بناء تعالى الذي هو دالٌّ على كمال العلو ونهايته، فكذلك (تبارك) دالٌّ على كمال بركته، وعظمتها، وسعتها، وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك تعاظم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء بكل بركة.[1]

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها ما معنىٰ الإيمان بالجبت والطاغوت، وهل هو اعتقاد قلبٍ، أو هو موافقة أصحابها مع بُغْضها، ومعرفة بطلانها؟[2]

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدىٰ سبيلًا من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصود بالترجمة أنَّ هذا لابدَّ أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

---

(١) انتهىٰ من "بدائع الفوائد" (٢/ ١٨٥-١٨٦)، وأثر ابن عباس رضي الله عنهما لم أقف عليه.

(٢) تقدم التنبيه علىٰ هذا الكلام في الشرح.

الثامنة: العَجَب العُجَاب خروج من يَدَّعي النبوة، مثل المختار، مع تكلُّمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأنَّ الرسول حقٌّ، وأن القرآن حقٌّ، وفيه: أنَّ محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فِئَامٌ كثيرة.

التاسعة: البشارة بأنَّ الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضىٰ، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمىٰ: أنهم مع قِلَّتهم لا يضرهم مَنْ خَذَلهم، ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلىٰ قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة، منها: إخباره بأن الله زَوَىٰ له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنىٰ ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أُعطي الكنْزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه مُنِعَ الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع، [وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، وخوفه علىٰ أمته من الأئمة المضلين][1]، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وكل هذا وقع كما أخبر؛ مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف علىٰ أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه علىٰ معنىٰ عبادة الأوثان.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من بعض النسخ.

٢٣- بَاب ما جَاءَ فِي السِّحْرِ

قال المصنف رحمه الله: بَاب ما جَاءَ فِي السِّحْرِ.

ش/ أي: والكهانة.

السحر في اللغة: عبارة عما خَفِي وَلَطُفَ سَبَبُه؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن من البيان لسحرا**»[١]، وَسُمِّي السَّحَرُ سَحَرًا؛ لأنه يقع خَفِيًّا آخر الليل.

قال أبو محمد المقدسي في "الكافي": السحر عزائم، وَرُقَى، وَعُقَد يؤثر في القلوب، والأبدان،[٢] فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[البقرة:١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق:٤] يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة[٣] لم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم برقم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

(٢) هذا هو النوع الأول من أنواع السحر، وهو الأكثر انتشارًا عند السحرة، وهذا النوع لا يتعلمه صاحبه إلا بعد الكفر بالله كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢]، فيصرفون العبادة للشياطين، ويستمتع كل واحد بالآخر، فالإنسي يستمتع بالجن بأن يخدموه، ويعينوه، والجن يستمتعون بالإنس بتعظيمهم، وصرف عبادات لهم. وهناك نوع آخر من السحر، وهو أن يسحره بخفة الحركة، أو باستخدام الأعشاب، أو بعض العقاقير؛ فهذا يختلف حكمه، فقد يكون كفرًا، وذلك إذا اعتقد إباحة ذلك، وقد يكون فسوقًا، وظلمًا، وذلك إذا اعتقد تحريمه، وآذىٰ الناس به، أو أكل أموالهم بالباطل.

(٣) **مسألة:** هل السحر تخييل، أم حقيقة؟ جمهور أهل السنة والجماعة على أنه حقيقة، بمعنى أن له تأثيرًا حقيقيًّا بحيث يجعل الرجل يظن أنه يفعل الشيء ولا يفعله، أو يضيق عليه صدره، أو يؤثر عليه في بدنه ونشاطه، فهذه أمور ملاحظة، ومشاهدة: أنَّ الرجل يتغير حاله، هذا هو معنى قولهم (حقيقة)، =

يأمر [الله][(١)] بالاستعاذة منه، وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ سُحِرَ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: «**أتاني ملكان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجْلَيَّ، فقال: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة، في جف طلعة ذكر في بئر ذروان**»، رواه البخاري.[(٢)]

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَة مِنْ خَلاَقٍ**﴾[البقرة: ١٠٢].

ش/ قال ابن عباس: من نصيب.[(٣)]

قال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم: أنَّ الساحر لا خلاق له في الآخرة.[(٤)]

وقال الحسن: ليس له دين.[(٥)] فدلت الآية على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه:٦٩]،

= وليس المراد أن السحر يقلب الحقائق من شيء إلى شيء، كأن يقلب الشجرة إلى إنسان حقيقة. وأما حديث: «حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله» هذا فيه دلالة لقول جمهور أهل السنة؛ فإن التخيل هذا معناه: أنه تغيرٌ في حال النبي ﷺ، فهذا يدل على أنه حقيقةٌ أثر على النبي ﷺ بسبب عمل الساحر، وكذلك قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[طه:٦٦] يعني أنهم سحروا أعين الناس حتى خيل إليهم أن العصي تسعى. والمعتزلة يقولون: ليس هناك تأثير حقيقي، بل هو خيالي. وقال بقولهم بعض الفقهاء، وهو قول باطل. انظر: "الحاوي الكبير" (١٣/ ٩٣)، "المغني" (١٢/ ٢٩٩).

(١) ساقط من المخطوطتين.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩)، وكلام ابن قدامة رحمه الله في "الكافي" (٤/ ١٦٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة [آية:١٠٢]، وفي سنده: أبو جعفر الرازي، وفيه ضعف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة عند الآية السابقة بسند صحيح، وهو من طريق: سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسير [آية:١٠٢] من سورة البقرة، من طريق: معمر، عن الحسن به، وهذا إسناد ضعيف؛ لأنَّ معمرًا لم يسمع من الحسن البصري رحمه الله.

وقد نص أصحاب أحمد أنه يكفر بتعلمه وتعليمه.

وروى عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم شيئًا من السحر قليلًا كان أو كثيرًا كان آخر عهده من الله**»، وهو مرسل.(١)

وقد اختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفة من السلف [إلى](٢) أنه يكفر، وبه قال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد.(٣) قال أصحابُهُ: إلا أن يكون سحره بأدوية، وتدخين، وسقي شيء [لا](٤) يضر؛ فلا يكفر. وقال الشافعي: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك؛ فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها؛ فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر؛ فإن اعتقد إباحته؛ كفر. انتهى.(٥)

وقد سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، قال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾، وذلك أنهما علما الخير والشر، والكفر والإيمان، فعرفا أن السحر من الكفر.(٦)

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (١٠/ ١٨٤)، وهو مع إرساله في سنده: إبراهيم بن أبي يحيىٰ، كذَّبه ابن معين وغيره، وبعضهم يقول: متروك.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) الصحيح مذهب الجمهور، وهو أن من تعلم السحر، أو سحر؛ فإنه يكفر لما تقدم في الآية، وهو ترجيح ابن باز، وابن عثيمين، والوادعي، والفوزان رحمة الله عليهم.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) انظر: "الحاوي الكبير" (١٣/ ٩٦)، "المغني" (١٢/ ٣٠١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" [آية:١٠٢] من سورة البقرة، وفيه: أبو جعفر الرازي، وفيه ضعف.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُه تَعَالَىٰ ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[النساء:٥١].

ش/ تقدم الكلام عليهما في الباب قبله، وفيه أن السحر من الجبت، قاله المصنف.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قال عمر: الجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ.

ش/ هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم وغيره.[1]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال جابر: الطَّوَاغِيْتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ.[2]

ش/ هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم بنحوه مطولًا عن وهب بن منبه، قال: سألت جابر ابن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها؟ فقال: إنَّ في جهينة واحدًا، وفي أسلم واحدًا، وفي هلال واحدًا، وفي كل حَيٍّ واحدًا، وهم كُهَّان تنزل عليهم الشياطين.

قوله: قال جابر. هو ابن عبد الله [بن عمرو][3] بن حرام الأنصاري.

قوله: الطواغيت كهان.

أراد أن الكهان من الطواغيت؛ فهو من أفراد المعنى.

قوله: كان ينزل عليهم الشيطان.

أراد الجنس، لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم، ويخبرونهم بما يسترقون من السمع، فَيَصْدُقُون مرةً، وَيَكْذِبُون مائة.

---

(١) تقدم تخريجه في أول الكتاب.

(٢) هذا الأثر علقه البخاري بصيغة الجزم في "صحيحه" في التفسير، ووصله ابن أبي حاتم كما في "تغليق التعليق" (٤/ ١٩٥)، فقال: ثنا أبي ، ثنا الحسن بن الصباح، ثنا إسماعيل بن عبدالكريم، حدثني إبراهيم بن عقيل، عن أبيه عقيل بن معقل، عن وهب بن منبه، عن جابر فذكره، وقد ساق الشارح لفظه بتمامه، وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات معروفون.

(٣) زيادة من بعض النسخ المطبوعة.

قولهُ: في كل حي واحد.

الحي: واحد الأحياء، وهم القبائل، أي: في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه، ويسألونه عن الغيب، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي ﷺ، فأبطل الله ذلك بالإسلام، وحرست السماء بكثرة الشهب.

قال المصنف رحمه الله: وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**» قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاّ بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤْمِنَاتِ**».[1]

ش/ [كذا أورده المصنف غير مَعْزُوٍّ][2]، وقد رواه البخاري ومسلم.

قولهُ: «**اجتنبوا**».

أي: ابتعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا، أو اتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ كقوله: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأنعام: ١٥١].

قولهُ: «**الموبقات**».

بموحدة وقاف، أي: المهلكات، وَسُمِّيَت هذه موبقات؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

وفي حديث ابن عمر عند البخاري في "الأدب المفرد"، والطبري في "التفسير"، وعبد الرزاق مرفوعًا وموقوفًا، قال: «**الكبائر تسع**»، وذكر السبع المذكورة، [وزاد][3]: «**والإلحاد في الحرم، وعقوق الوالدين**».[4]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

(٢) ساقط من [ب].

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) الموقوف علىٰ ابن عمر صحيح، أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" رقم (٨)، قال: حدثنا مسدد، =

ولابن أبي حاتم عن علي قال: «**الكبائر**»، فذكر السبع؛ إلا مال اليتيم، وزاد: «**العقوق، والتعرب بعد الهجرة، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة**»[(١)].

قال الحافظ: ويحتاج عند هذا إلى الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع، ويجاب بأن مفهوم العدد ليس بحجة، وهو ضعيف، أو بأنه أعلم أولًا بالمذكورات، ثم أعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل.

وقد أخرج [الطبري][(٢)]، وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له: الكبائر سبع؟ قال: هن أكثر من سبع وسبع.[(٣)]

وفي رواية: هي إلى السبعين أقرب.[(٤)]

= قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا زياد بن مخراق، قال: حدثني طيسلة بن مَيَّاس، عن ابن عمر فذكره مطولًا، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

❁ وأخرجه عبدالرزاق (١٠/ ٤٦١) بإسناد معضل.

❁ وأما المرفوع فأخرجه البيهقي (٣/ ٤٠٩) من طريق: أيوب بن عتبة، عن طيسلة، عن ابن عمر به مرفوعًا، وأيوب بن عتبة ضعيف، وقد خولف في الحديث، فقد رواه الثقة كما تقدم موقوفًا، فالصحيح وقفه، ولا يقال: الموقوف يقوي المرفوع؛ لأنَّ الاختلاف في الحديث نفسه.

❁ وله شاهد آخر من حديث عمير الليثي رضي الله عنه، أخرجه أبو داود (٢٨٧٥)، والحاكم (١/ ٥٩) (٤/ ٢٥٩)، والبيهقي (٣/ ٤٠٨-٤٠٩)، وفي إسناده : عبدالحميد بن سنان وهو مجهول، وقد حسنه الألباني في "الإرواء" (٣/ ١٥٦)، ولكن يظهر أنَّ حديث أيوب بن عتبة لا يستشهد به؛ لأن الراجح وقفه، ولا يقال في الموقوف: إن له حكم الرفع؛ لأنَّ فيه مجالًا للاجتهاد؛ فالحديث لا يصح مرفوعًا، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٣) عند آية النساء: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]، وعنده ذكر (مال اليتيم)، والراوي عن علي هو مالك بن الجوين، وهو مجهول لم يوثقه معتبر.

(٢) في المخطوطتين: (الطبراني)، والمثبت من "الفتح".

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" [آية:٣١] من سورة النساء، فقال: حدثنا محمد بن عبدالأعلىٰ، قال: حدثنا معتمر، عن أبيه، عن طاوس، عن ابن عباس به، وهذا إسناد صحيح.

(٤) سندها صحيح كما في "تفسير الطبري" و"مصنف عبدالرزاق" (١٠/ ٤٦٠)؛ فإنَّ لها إسنادين إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما، كلٌّ منهما صحيح.

وفي رواية: إلى السبعمائة[(١)] [(٢)].

قوله: قال: «**الشرك بالله**».

هو أن يجعل لله نِدًّا يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله، وبدأ به؛ لأنه أعظم ذنب عُصِيَ اللهُ به كما في "الصحيحين" عن ابن مسعود: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك**» الحديث.[(٣)]

وأخرج الترمذي بسنده عن صفوان بن عسال قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي. فقال له صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك؛ لكان له أربع أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات. فقال النبي ﷺ: «**لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلىٰ ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا للفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا [تعدوا]**[(٤)] **في السبت**» فقبلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي. الحديث، وقال: حسن صحيح.[(٥)]

قوله: «**السحر**».

تقدم معناه، وهذا وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة.

---

(١) أخرجها ابنُ أبي حاتم في "تفسيره" [آية:٣١] من سورة النساء، وفيه زيادة، وهي قوله: «إلا أنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»، وهو من طريق أبي حاتم، ثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، ثنا أبي، ثنا شبل، عن قيس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات معروفون، وقيس هو ابن سعد.

(٢) انتهىٰ من "الفتح" (٦٨٥٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم برقم (٨٦).

(٤) في المخطوطتين: (تعتدوا)، والمثبت من "سنن الترمذي"، وغيره.

(٥) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٣١٤٤)، وكذلك أخرجه ابن ماجه (٣٧٠٥)، والنسائي (٧/ ١١١)، وأحمد (٤/ ٢٣٩)، والحاكم (١/ ٩)، والبيهقي (٨/ ١٦٦)، وغيرهم، وإسناده ضعيف، فيه: عبدالله ابن سلمة المرادي، فيه ضعف، وله بعض المنكرات وهذا منها.

قوله: «**وقتل النفس التي حرم الله**».

أي: حرم قتلها.

قوله: «**إلا بالحق**».

أي: بأن تفعل ما يوجب قتلها، كالشرك، والنفس بالنفس، والزاني بعد الإحصان، وقوله: «**وقتل النفس التي حرم الله**»، أي: نفس المسلم المعصوم، وقتل المعاهد كما في الحديث: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة**» الحديث.[1]

واختلف العلماء فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا، هل له توبة أم لا؟

فذهب ابن عباس، وأبو هريرة وغيرهما إلى أنه لا توبة له[2]؛ استدلالا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[النساء:٩٣].

قال ابن عباس: نزلت [هذه الآية، وهي آخر ما نزل، وما نسخها شيء.[3]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أثر ابن عباس رضي الله عنهما في "الصحيحين"، أخرجه البخاري برقم (٤٧٦٤)، ومسلم برقم (٣٠٢٣) (٢٠)، وأثر أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" رقم (٦٦٨) (٦٦٩)، من طريقين: طريق فيها مجهول، وهو كردم، وطريق أخرىٰ فيها حماد بن يحيىٰ الأبح صدوق يُخطئ؛ فلا بأس بتحسينه. وتوجيهه بأنه لا توبة للقاتل، يعني فيما بينه وبين المقتول؛ فإنه يأتي يوم القيامة يحمل رأسه. ويدل علىٰ هذا التوجيه سياق أثر أبي هريرة رضي الله عنه؛ فإنه قال: هل يستطيع أن يحييه؟ وبنحو هذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومنهم من وجهه بأنه تورية، وتعريض: (لا توبة له)، أي: إن أصر علىٰ ذنبه، ولم يبين ذلك.

وابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت عنه غير هذا القول فلعله قد تراجع عنه فقد ثبت عنه كما في "الأدب المفرد" رقم (٤) أنَّ رجلًا سأله أنه قتل امرأة فهل له من توبة؟ فقال: أمك حَيَّة؟ قال: لا. قال: تب إلىٰ الله عزوجل، وتقرب إليه ما استطعت. أخرجه البخاري عن سعيد بن أبي مريم، قال: أخبرنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، قال: أخبرني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح.

والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة أن جميع الذنوب تحت المشيئة إلا الشرك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء:٤٨/ ١١٦].

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٥٩٠)، ومسلم برقم (٣٠٢٣).

وفي رواية: لقد نزلت][1] في آخر ما نزل، وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحيٌ.[2]

وَرُوي في ذلك آثار تدل لما ذهب إليه كما عند الإمام أحمد، والنسائي، وابن المنذر عن معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ذنب عسىٰ الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**».[3]

وذهب جمهور الأمة سلفًا وخلفًا إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله؛ فإن تاب، وأناب، وعمل صالحًا؛ بَدَّلَ اللهُ سيئاته حسنات كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠] الآية.

قوله: «ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا».

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٢) هذا اللفظ عند أحمد (٢١٤٢)، وفي إسناده: يحيىٰ بن المجبِّر التيمي، وهو ضعيف، ولكن هو بمعنىٰ اللفظ السابق، فلا يضر.

(٣) **صحيح لغيره.** أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، والنسائي (١/ ٨٧)، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" [آية:٩٣] من سورة النساء، والحاكم (٤/ ٣٥١)، وفي إسناده: أبو عون الشامي الأنصاري، وهو مجهول الحال، وله شاهد من حديث أبي الدرداء أخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والحاكم (٤/ ٣١٥)، وإسناده صحيح، وهو في "الصحيح المسند" (١٠٥٣).

تنبيه: هذا الحديث ظاهره أنَّ القاتل لا يغفر له، لكن هذا مفسر عند أهل السنة بأنه خرج مخرج الزجر، ومنهم من قال: يصاب بذنبه في الدنيا، أو يمحص في الآخرة، والصحيح أنه تحت المشيئة، ويدل علىٰ ذلك حديث عبادة بن الصامت في "الصحيحين" عند أن بايعوا النبي ﷺ علىٰ ترك القتل، والزنىٰ، والسرقة، قال ﷺ: «**فمن أصاب من ذلك شيئًا، فعوقب به في الدنيا؛ فهو كفارة له، ومن لم يعاقب في الدنيا؛ فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية.

فقد قال أبو هريرة وغيره: هذا جزاؤه إن جازاه.[(١)]

[وقد رُوي عن ابن عباس ما يوافق قول الجمهور، فروى عبد بن حميد، والنحاس عن سعيد بن عبيد[(٢)] أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: لمن قتل مؤمنًا توبة. وكذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما.[(٣)]

وَرُوي مرفوعًا: «**أن جزاءه جهنم إن جازاه**»[(٤)]][(٥)].

قوله: «وأكل الربا».

أي: تناوله بأي وجه كان، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة:٢٧٥] الآيات.

قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك.

قوله: «وأكل مال اليتيم».

يعني التعدي فيه، وَعَبَّر بالأكل؛ لأنه أعم وجوه الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) لم نجده عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإنما وجدناه عن بعض التابعين كما عند الطبري، وابن أبي حاتم في تفسير [الآية:٩٣] من سورة النساء.

(٢) الصواب: عن سعد بن عبيدة، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٣٦٢)، ورجاله رجال الشيخين، وسعد بن عبيدة لم يُذكر له سماع من ابن عباس، ولكنه أدركه، ومع ذلك لم نجد من أثبته، ولا من أنكر السماع، وعليه فالأثر صحيح، والله أعلم، وقد عزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلىٰ النحاس، وعبد بن حميد كما في تفسير سورة النساء [آية:٩٣].

(٣) وجدناه عن عمر رضي الله عنه، وليس عن ابن عمر، أخرجه ابن أبي شيبة بسند منقطع (٩/ ٣٦١).

(٤) رواه مرفوعًا ابن أبي حاتم (٩/ ٩٨)، والطبراني في "الأوسط" (٨٦٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده: محمد بن جامع، ضعفه أبو حاتم، وقال أبو زرعة فيه: ليس بصدوق. وفيه: العلاء بن ميمون العنبري، ذكره العقيلي في "الضعفاء" (٣/ ٣٤٦)، وقال: لا يُتابع علىٰ حديثه هذا، ولا يعرف إلا به. يعني هذا الحديث.

(٥) ما بين المعقوفين ليس موجودًا في المخطوطتين، وقد أثبتناه من المطبوع للفائدة، مع التنبيه.

يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء:١٠].

قوله: «**والتولي يوم الزحف**».

أي: الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة، أو غير متحرف لقتال، كما قيد به في الآية.

قوله: «**وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

وهو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه، والمراد بالحرائر: العفيفات. والمراد رميهن بزنا، أو لواط.

و«**الغافلات**»، أي: عن الفواحش، وما رمين به؛ فهو كناية عن البريئات؛ لأن الغافل بريء عما بهت به.

و«**المؤمنات**»، أي: بالله تعالى؛ احترازًا من قذف الكافرات.

قال المصنف رحمه الله: وعن جُندب مرفوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.(١)

ش/ قوله: (عن جندب).

ظاهر صنيع الطبراني في "الكبير" أنه جندب بن عبد الله البجلي، لا جندب الخير الأزدي قاتل الساحر؛ فإنه رواه في ترجمة جندب البجلي من طريق خالد العبد، عن الحسن، عن جندب، عن النبي ﷺ، وخالد العبد ضعيف.(٢) قال الحافظ: والصواب أنه

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، وفي إسناده: إسماعيل بن مسلم المكي، وهو يرويه عن الحسن، عن جندب.

❁ وأخرجه الدارقطني (٣/ ١١٤)، والطبراني (١٦٦٥)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (١/ ١٤٤)، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، من طريق: إسماعيل بن مسلم به، وإسماعيل شديد الضعف.

(٢) أخرجه الطبراني (١٦٦٦)، وخالد العبد تابعَ إسماعيل المكي؛ إلا أن خالدًا متهم بالكذب والوضع؛=

غيره، وقد رواه ابن قانع، والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير: أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ...، فذكره.

وجندب الخير هو جندب بن كعب -وقيل: جندب بن زهير. وقيل: هما واحد. كما قاله ابن حبان- أبو عبد الله الأزدي الغامدي صحابي، روى ابن السَّكَن من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «**يَضْرِبُ ضربة واحدة؛ فيكون أمة وحده**»[(١)] [(٢)].

قولهُ: «حَدُّ الساحر ضربه بالسيف».

ورُوي بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح.

وبهذا الحديث أخذ أحمد، ومالك، وأبو حنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر.

ورُوي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبدالله، وجندب ابن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز.[(٣)]

= فلا يصلح في الشواهد.

(١) **ضعيف جدًّا**. فيه: الجريري، مختلط، وفيه: يحيىٰ بن كثير صاحب البصري كما في "الإصابة" وهو متروك، وجاء مرسلًا عند عبدالرزاق (١٠/ ١٨١-١٨٢) من مراسيل بجالة التميمي بلفظ: «**جندب، وما جندب، يضرب ضربة يفرق فيها ما بين الحق والباطل**»، ومع إرساله فيه عنعنة ابن جريج.

(٢) انتهىٰ من الإصابة ترجمة جندب بن كعب، باختصار وتصرف.

(٣) أثر عمر رضي الله عنه صحيح، وذكره المصنف في الباب.

❁ وأثر عثمان، وابن عمر، وحفصة رضي الله عنهم، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥-١٣٦)، وعبدالرزاق (١٠/ ١٨٠-)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، من طرق عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة، وعثمان، فذكر قصة في ذلك، وإسناده صحيح.

❁ وأثر جندب بن عبدالله رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥)، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، أنَّ جندبًا قتل ساحرًا، أو أراد أن يقتله. وهذا إسناد صحيح، فيحتمل أن يكون هو، ويحتمل أن يكون جندب الخير، وهو أقرب.

❁ وأثر قيس بن سعد أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥)، وعبدالرزاق (١٠/ ١٨٣) عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سالم بن أبي الجعد، عن قيس بن سعد، أنه قتل ساحرًا. وهذا إسناد صحيح. =

ولم ير الشافعي عليه القتلَ بمجرد السحر؛ إلا إِنْ عمل في سحره ما يبلغ الكفر، وبه قال ابن المنذر، وهو رواية عن أحمد، والأول أولى؛ للحديث، ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "صحيح البخاري" عن بجالة بن عَبَدة، قال: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ ابنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.[١]

ش/ هذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنف، لكن لم يذكر قتل السواحر.

قوله: عن بَجالة.

بفتح الموحدة بعدها جيم، ابن عبدة، بفتحتين، التميمي، العنبري، بصري ثقة.

قوله: كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة.

وظاهره أنه يُقتل من غير استتابة[٢]، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال

= ❁ وأثر عمر بن عبدالعزيز أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥)، عن أبي داود الطيالسي، عن همام، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن عمر بن عبدالعزيز به. وهذا إسناد صحيح.

❁ وأثر جندب بن كعب ذكره المصنف، وسيأتي تخريجه.

(١) أخرج البخاري أصل الأثر بدون اللفظ المذكور برقم (٣١٥٦)، وقد أخرجه باللفظ المذكور أحمد (١/ ١٩)، وأبو داود (٣٠٤٣)، وعبدالرزاق (١٠/ ١٧٩-١٨٠، ١٨٤، ٣٦٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٦)، والبزار (١٠٦٠)، وأبو يعلىٰ (٨٦٠)، والبيهقي (٨/ ٢٤٧-٢٤٨)، من طرق عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن بجالة التميمي به. وهذا إسناد صحيح، ولم يذكر بعضهم: «**وساحرة**».

(٢) **مسألة**: هل يقتل الساحر كفرًا، أم حدًّا؟ إن كان سحره من السحر الذي يكفر به صاحبه؛ فيقتل كفرًا. وهل يُستتاب؟ الناظر إلىٰ آثار الصحابة المتقدمة يجد أنهم لم يستتيبوا الساحر؛ فالظاهر أنه لا يستتاب، وإن استتابه الحاكم فلا ينكر عليه؛ إلا أن يُعلم تلاعبه في التوبة، وعدم صدقه بها. وأما إن كان سحره بغير الكفر؛ فيعزره الحاكم بما يدفع ضرره بالسجن، أو الضرب، ويجوز بالقتل أيضًا، وبالله التوفيق.

مالك؛ لأن علم [السحر][(١)] لا يزول بالتوبة، وعن أحمد يستتاب؛ فإن تاب قُبلت توبته.

[وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يُستتاب وتقبل توبته][(٢)]؛ ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

قال المصنف رحمه الله: وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها، أَنَّها أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَها سَحَرَتْها، فَقُتِلَت. وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُب.

قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ.

ش/ هذا الأثر رواه مالك في «الموطإ»[(٣)].

وحفصة هي أم المؤمنين، بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة، وماتت سنة خمس وأربعين.

قوله: وكذلك صح عن جندب.

أشار المصنف بهذا إلى قَتْلِهِ الساحر كما رواه البخاري في «تاريخه» عن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي، فقتله.[(٤)]

ورواه البيهقي في «الدلائل» مُطَوَّلًا، وفيه: فأمر به الوليد فسجن، فذكر القصة

---

(١) في [ب]: الساحر.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٣) رواه مالك في «الموطإ» (٢/ ٨٧١) بإسناد منقطع، ولكن أخرجه عبدالرزاق (١٠/ ١٨٠)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤١٦)، وأحمد كما في «مسائل عبدالله» (١٥٤٣) بإسناد صحيح، وقد تقدم ذكر إسناده.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٢٢)، وكذلك الدارقطني (٣/ ١١٤)، والطبراني (١٧٢٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ١٣٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٤٣)، من طرق عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي به. وهذا إسناد صحيح، وخالد الحذاء قد سمع من أبي عثمان، وروايته عنه في «الصحيحين».

بتمامها[(١)]، ولها طرق كثيرة.

قوله: قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

أحمد هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

قوله: عن ثلاثة.

أي: صَحَّ قتل الساحر عن ثلاثة، أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، يعني: عمر، وحفصة، وجندبًا، والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الْـمُوبِقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين علىٰ عهد عمر، فكيف بعده؟!

---

(١) أخرجه البيهقي في "الدلائل" كما في "الإصابة" (١/ ٦١٦)، وفي "الكبرىٰ" (٨/ ١٣٦)، ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١١/ ٣١٣) من طريق: ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، وفي القصة أنَّ صاحب السجن أعجب بجندب، فأذن له بالهروب، وإسنادها صحيح؛ لولا ابن لهيعة، ورواية ابن وهب عنه أقوىٰ من غيرها.

٢٤- باب بَيَانُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قال المصنف رحمه الله: باب بَيَانُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ.

ش/ قلت: ذكر الشارح هنا شيئًا من الخوارق، وكرامات الأولياء، وذكر ما اغْتَرَّ به كثير من الناس من الأحوال الشيطانية التي غَرَّت كثيرًا من العوام، والجهال، وظنوا أنها تدل على ولاية من جرت على يده ممن هو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن، ثم قال: ولشيخ الإسلام كتاب "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"، فراجعه. انتهى.

قال المصنف رحمه الله: قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قَطَن بن قَبِيصة، عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ قال: «**إِنَّ العِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ**». قال عوف: العِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ والطَّرْقُ: الخَطّ يُخَطُّ بالأرْضِ. والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان[1]. إسناده جيد. ولأبي داود، والنسائي، وابن حبان في "صحيحه": المسند منه.[2]

ش/ قوله: قال أحمد. هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

ومحمد بن جعفر [هو][3]: المشهور بـ(غُندر) الهذلي، البصري، ثقة مشهور، مات سنة ست ومائتين. وعوف هو ابن أبي جَميلة -بفتح الجيم- العبدي، البصري، المعروف بعوف الأعرابي، ثقة، مات سنة ست، أو سبع وأربعين، وله ست وثمانون سنة.

---

(١) الصواب (إنه الشيطان) كما عند أحمد (٥/ ٦٠)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)؛ فهو تصحيف.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٥/ ٦٠) (٣/ ٤٧٧)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١١٠٨)، وابن حبان (٦١٣١)، والطبراني (١٨/ ٩٤١-٩٤٥)، وفي إسناده: حيان بن العلاء، وهو مجهول.

(٣) ساقط من [ب].

وحيان بن العلاء هو بالتحتية، ويقال: حيان بن مخارق أبو العلاء البصري مقبول.

وَقَطَن، بفتحتين، أبو سهل البصري صدوق.

قوله: عن أبيه.

هو قَبِيصة -بفتح أَوَّلِه- ابن مُخارق -بضم الميم- أبو عبد الله الهلالي، صحابي نزل البصرة.

قوله: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**».

قال عوف: العيافة زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها، وممرها، وهو من عادات العرب، وكَثُرَ في أشعارهم يقال: عاف يعيف عيفًا، إذا زجر، وحدس، وظن.

قوله: والطرق الخط يخط بالأرض.

كذا فسره عوف، وهو كذلك.

وقال أبو السعادات: هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء.

وأما الطيرة فيأتي الكلام عليها في بابها إن شاء الله تعالى.

قوله: من الجبت.

أي: السحر، قال القاضي: والجبت في الأصل [الفَسْل] [1] الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يعبد من دون الله، وللساحر والسحر.

قوله: قال الحسن: رنة الشيطان.

قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح أن في "تفسير بقي بن مخلد" أَنَّ إبليس رَنَّ أربع

---

(١) في المخطوطتين: (الفشل) بالمعجمة، والذي أثبتناه أقرب كما في "مفردات القرآن" للراغب مادة (جبت).

رنات:[(١)] رنة حين لُعِنَ، ورنة حين أُهْبِط، ورنة حين وُلِدَ رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب.

قال سعيد بن جبير: لما لَعَنَ اللهُ إبليس تغيرت صورته عن صورة، الملائكة ورنَّ رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة. رواه ابن أبي حاتم.[(٢)]

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة رنَّ إبليس رنة اجتمعت [إليه][(٣)] جنوده. رواه الحافظ الضياء في "المختارة".[(٤)]

الرنين: الصوت، وقد رن يرن رنينًا، وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله.[(٥)]

قوله: ولأبي داود، وابن حبان في "صحيحه": المسند منه.

ولم يذكر التفسير الذي فسره به عوف، وقد رواه أبو داود بالتفسير المذكور بدون كلام الحسن.[(٦)]

---

(١) الرنة هي رفع الصوت، وهذا الكلام صح عن مجاهد. راجع كتاب "العظمة" لأبي الشيخ الأصبهاني رقم (١١٢٤)، و"الحلية" لأبي نعيم (٣/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في "العظمة" رقم (١١٢٢)، وسنده صحيح، من طريق: جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، وجعفر له أخطاء عن سعيد، لكنه ثقة؛ فالأصل قبول حديثه مالم ينص حافظ علىٰ أنه أخطأ فيه، أو خالف.

(٣) في [ب]: عليه.

(٤) وبقية الأثر: أنهم اجتمعوا إليه فقال: ائيسوا أن ترتد أمة محمد علىٰ الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم، وأفشوا فيهم النوح. أخرجه الضياء المقدسي في "المختارة" (١٠/ ١٠٥)، وسنده صحيح إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما، وهو من نفس الطريق الأولىٰ: جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، لكن ابن عباس لم يرفعه؛ فهو من قوله.

(٥) تقدم أن صواب عبارة الحسن (إنه الشيطان)؛ وعليه فلا حاجة إلىٰ التفسير المذكور.

(٦) أبو داود أخرج تفسير عوف بسند آخر (٣٩٠٨)، وليس من طريق حيان بن العلاء، والسند صحيح، ولم يذكر كلام الحسن.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**». رواه أبو داود، وإسناده صحيح.[١]

ش/ وكذا صححه النووي، والذهبي، ورواه أحمد، وابن ماجه.

قوله: «**من اقتبس**».

قال أبو السعادات: قبست العلم واقتبسته إذا علمته. انتهى.

قوله: شعبة.

أي: طائفةٌ من علم النجوم، والشعبة: الطائفة، ومنه الحديث: «**الحياء شعبة من الإيمان**»[٢]، أي: جزء منه.

قوله: «**فقد اقتبس شعبة من السحر**».

المحرم تعلمه.

قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه:٦٩].[٣]

قوله: «**زاد ما زاد**».

أي: كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شُعَبِه؛

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وأحمد (١/ ٢٧٧، ٣١١)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وإسناده صحيح، وقد صححه الشيخ الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" (٦٤٢).

ملاحظة: تَعَلُّمُ علم النجوم منه ما هو محرم، ومنه ما هو مباح، فتعلم سير النجوم لمعرفة الوقت، والاتجاهات، والأماكن جائز، ويسمىٰ علم التسيير، وأما تعلمه لأجل مطابقة الأفلاك السماوية علىٰ الحوادث الأرضية؛ فهذا هو المحرم، وهو ادعاء علم الغيب، وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ في [باب التنجيم]، كلام لابن رجب، وكلام للخطابي بهذا المعنىٰ.

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة الذي أوله: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة...**»، أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٣٥/ ١٩٣).

فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل كما أن تأثير السحر باطل، والله أعلم.

قال المصنف رحمه الله: وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»**.[(١)]

ش/ هذا الحديث ذكره المصنف من حديث أبي هريرة، وعزاه للنسائي، وقد رواه النسائي مرفوعًا وحسنه ابن مفلح.[(٢)]

قوله: وللنسائي.

هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن [بحر][(٣)] بن دينار أبو عبدالرحمن صاحب "السنن" وغيرها، روى عن محمد بن المثنى، وابن بشار، وقتيبة، وخلق، وكان إليه المنتهى في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلثمائة، وله ثمان وثمانون سنة.

قوله: «**من عقد عقدة، ثم نفث فيها؛ فقد سحر**».

اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط، ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد كل ما يريدون من السحر، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[الفلق:٤]

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ١١٢) من طريق: عَبَّاد بن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعبَّاد ضعيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

❁ وقد رواه عبدالرزاق (١١/ ١٧) (١١/ ٢٠٩)، والبيهقي (٩/ ٣٥) عن الحسن مرسلًا، وإسناد عبدالرزاق ضعيف جدًّا، لكن إسناد البيهقي صحيح عن الحسن مرسلًا، فسند عبدالرزاق فيه: أبان ابن أبي عياش وهو ضعيف جدًّا. يرويه عن الحسن مرسلًا، لكن تابعه جرير بن حازم عند البيهقي، لكن البيهقي اقتصر على الجملة الأخيرة منه: «**من تعلق شيئًا؛ وكل إليه**»؛ فالحديث ضعيف، وأيضًا ليس كل من عقد عقدة، ثم نفث فيها فقد سحر، وإنما من فعل ذلك بنية السحر مع القدرة عليه.

(٢) "الآداب الشرعية" (٣/ ٨٢).

(٣) في المخطوطتين: (بحير)، والمثبت هو الصواب.

يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك.

والنفث: هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل، والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة؛ نفخ في تلك العقدة نفخًا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى، مُقترنٌ للريق الممازج لذلك، وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيصيبه السحر بإذن الله الكوني القدري، لا الشرعي، قاله ابن القيم رحمه الله.(١)

قوله: «ومن سحر فقد أشرك».

نصٌّ في أنَّ الساحر مُشرك؛ إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك، كما حكاه الحافظ عن بعضهم.

قوله: «ومن تعلق شيئًا وُكِل إليه».

أي: من تعلق قلبُه شيئًا، بحيث يعتمد عليه، ويرجوه، وكله الله إلى ذلك الشيء، فمن تعلق على ربه وإلهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه؛ كفاه ووقاه وحفظه وتولاه، فنعم المولى ونعم النصير، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر:٣٦]، ومن تعلق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله الله إلى من تعلقه، فهلك، ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق، ونظر بعين البصيرة رأى ذلك عَيَانًا، وهذا من جوامع الكلم، والله أعلم.

---

(١) كما في "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٢١).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلاَ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**» رواه مسلم.[(١)]

ش/ قوله: «**ألا هل أنبئكم**».

أخبركم، و «**العضه**» بفتح المهملة وسكون المعجمة.

قال أبو السعادات: هكذا يُرْوَى في كتب الحديث، والذي في كتب الغريب: «**ألا أنبئكم ما العِضَه**» بكسر العين، وفتح الضاد.

قال الزمخشري: أصلها العِضْهَة، فعلة من العَضْه، وهو البَهَت، فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة، وَتُجمع على عضين.

ثم فسره بقوله: «**هي النميمةُ القالةُ بين الناس**»، فأطلق عليها العضه؛ لأنها لا تنفك من الكذب والبهتان غالبًا ذكره القرطبي.[(٢)]

وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يُفْسِدُ النَّمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.[(٣)]

وقال أبو الخطاب في "عيون المسائل": ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس.[(٤)]

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٠٦).

(٢) كما في "المفهم" (٦/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٣/ ٧٠)، قال: حدثنا أبو محمد بن حيان، قال: ثنا الحسين بن يحيىٰ، قال: ثنا العباس بن عبدالعظيم، عن النضر بن محمد، عن عكرمة بن عمار، عن يحيىٰ بن أبي كثير به. وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات إلا عكرمة بن عمار؛ فإنه حسن الحديث، وهو مضطرب في روايته عن يحيىٰ، ولكنه هنا يذكر مقالة له، فلا بأس به إن شاء الله. وذكره ابن مفلح في "الفروع" (٦/ ١٨٠).

(٤) انظر: "الفروع" (٦/ ١٧٩).

قال في "الفروع": ووجهه أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة؛ أشبه السحر، وهذا يُعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله السحر، أو أكثر، فيعطَى حُكْمَه؛ تسويةً بين المتماثلين، أو المتقاربين، لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر، وهو أمرٌ خاصٌّ، ودليله خاصٌّ، وهذا ليس بساحر، وإنما يؤثر عمله ما يؤثره، فيعطَى حكمه إلا فيما اختص به من الكفر، وعدم قبول التوبة. انتهى ملخصًا.(١)

وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة، وهو يدل على تحريم النميمة، وهو مجمع عليه.

قال ابن حزم رحمه الله: اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة.(٢)

وفيه دليل على أنها من الكبائر.

قوله: «القالة بين الناس».

قال أبو السعادات: أي كثرة القول، وإيقاع الخصومة بين الناس، ومنه الحديث: **«ففشت القالة بين الناس»**.(٣)

قال المصنف رحمه الله: ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»**.(٤)

ش/ البيان: البلاغة والفصاحة، قال صعصعة بن صوحان: صدق نبي الله؛ فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق.(٥)

---

(١) من "الفروع" (٦/ ١٨٠).

(٢) انظر: "الآداب الشرعية" لابن مفلح (١/ ٨).

(٣) في "صحيح البخاري" (٢٥٠٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وجابر رَضِيَ الله عَنْهُمْ قَالَا: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ صُبْحَ رَابِعَةٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مُهِلِّينَ بِالْحَجِّ لَا يَخْلِطُهُمْ شَيْءٌ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا؛ فَجَعَلْنَاهَا عُمْرَةً وَأَنْ نَحِلَّ إِلَىٰ نِسَائِنَا؛ فَفَشَتْ فِي ذَلِكَ الْقَالَةُ.

(٤) أخرجه البخاري فقط برقم (٥١٤٦)، وأما مسلم فأخرجه برقم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٥) هذا الكلام ذكره أبو داود عقب الحديث رقم (٥٠١٢)، وفي إسناده أبو جعفر النحوي عبد الله بن=

وقال ابن عبد البر: تأولته طائفة على الذم؛ لأن السحر مذموم، وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح[(١)]؛ لأن الله تعالى مدح البيان، قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة، فأحسن المسألة، فأعجبه قوله، قال: هذا والله، السحر الحلال. انتهى.[(٢)]

والأول أصح، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس، كما قال بعضهم [شعرًا][(٣)]:

في زخـــرف القـــول تـــزيين لباطلـــه والحـــق قـــد يعتريـــه ســـوء تعبيـــر

[مأخوذٌ من قول الشاعر][(٤)]

[تقـــول هـــذا مجـــاج النحـــل تمدحـــه وإن تشـــأ قلـــت ذا قـــيء الزنـــابير

مـــدحا وذمـــا ومـــا جـــاوزت وصـــفهما والحـــق قـــد يعتريـــه ســـوء تعبيـــر][(٥)]

قوله: «إن من البيان لسحرا».

هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل،

= ثابت، وهو مجهول.

(١) النبي ﷺ قال في الحديث: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، وإن من البيان لسحرًا**»، فظاهر الحديث أنه مدح لمن كان بليغًا في إيصال الحق للناس، وأما إذا كان في التلبيس وغيره من الأمور المحرمة؛ فهو مذموم، وإن استعمل في أمور حسنة؛ فهو حسن، فالبيان لا يُستفاد أنه للذم من أصله، ولكن البيان قد يجذب النفوس؛ فإن جذبها إلىٰ الحق فهو حسن، وإن كان يزخرف الباطل؛ فهو قبيح مذموم.

(٢) نقله الشارح بالمعنىٰ، وانظر: "التمهيد" (١٦/ ٣٤٠، ٣٤٢)ط/ مرتبة.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) زيادة من المطبوع يقتضيها السياق.

(٥) ساقط من [أ]، وأثبت في حاشية [ب].

والباطل في قالب الحق، فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق، نسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى.

وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، [ويبطل الباطل][١] ويبينه؛ فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرسل وأتباعهم؛ ولهذا علت مراتبهم في الفضائل، وعظمت حسناتهم.

وبالجملة: فالبيان لا يُحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب، وتغطية الحق، وتحسين الباطل، فإذا خرج إلى هذا؛ فهو مذموم، وعلى هذا تدل الأحاديث، كحديث الباب، وحديث: «**إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**» رواه أحمد وأبو داود.[٢]

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن العيافة، والطرْق، والطيرة من الجِبْت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوعٌ من السحر.

الرابعة: العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أنَّ النميمة من ذلك.

السادسة: أنَّ من ذلك بعض الفصاحة.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧)، وأبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، وابن أبي شيبة (٩/ ١٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفيه: عاصم بن سفيان الثقفي، روىٰ عنه ثلاثة، وتفرد ابن حبان بتوثيقه؛ فهو مجهول حال؛ فالحديث ضعيف.

٢٥- باب ما جَاءَ في الكُهَّانِ ونَحْوِهِمْ

قال المصنف رحمه الله: باب ما جَاءَ في الكُهَّانِ ونَحْوِهِمْ.

ش/ الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيرًا، وأما بعد المبعث؛ فإنهم قليل؛ لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة، وقد اغتر بذلك كثيرٌ من الناس، يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليًّا لله، وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

قال رحمه الله: روىٰ مسلم في "صحيحه" عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنه قال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يومًا**».[1]

ش/ قوله: عن بعض أزواج النبي ﷺ.

---

(١) الحديث في "مسلم" (٢٢٣٠) بدون قوله: «**فصدقه بما يقول**»، وهذه الزيادة عند أحمد (٤/ ٦٨)، وقد تفرد بها أحمد، وخالفه محمد بن المثنىٰ فلم يذكرها كما في "صحيح مسلم"، وكلاهما يرويه عن يحيىٰ القطان، عن عبيدالله، عن نافع، عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

وقد توبع محمد بن المثنىٰ علىٰ عدم ذكر الزيادة، تابعه: صدقة بن الفضل المروزي كما في "التاريخ الأوسط" للبخاري (٢/ ٤٥)، وتابعه أيضًا: أبو بكر محمد بن خلاد الباهلي كما في "الحلية" (١٠/ ٤٠٦)، و"تاريخ أصبهان" لأبي نعيم (٢/ ٢٣٦)، وقد توبع يحيىٰ القطان علىٰ هذا الحديث بدون الزيادة المذكورة، تابعه علىٰ ذلك: عبدالله بن رجاء، كما في "التاريخ الأوسط" للبخاري (٢/ ٤٥)؛ وعليه فالحديث صحيح بدون هذه الزيادة.

هي حفصة، ذكره أبو مسعود الثقفي؛ لأنه ذكر هذا الحديث في "الأطراف" في مسندها.

قوله: «من أتىٰ عرَّافًا».

سيأتي بيان العراف إن شاء الله تعالى، وظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله، سواء صدقه أو شك في خبره؛ فإنَّ [في][1] بعض روايات الصحيح: **«من أتىٰ عرَّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**.[2]

قوله: «لم تقبل له صلاة».

إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسئول؟

قال النووي وغيره: معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه، ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإنَّ العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة. انتهى ملخصًا.[3]

وفي الحديث النهي عن إتيان الكاهن ونحوه.

قال القرطبي: يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئًا من ذلك من الأسواق، وينكر عليهم أشد النكير، وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم؛ فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور.[4]

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) هذه رواية مسلم كما تقدم.

(٣) من "شرح مسلم" رقم (٢٢٣٠).

(٤) ذكره القرطبي بمعناه نقلًا عن ابن عبدالبر. "المفهم" (٥/ ٦٣٣).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ﷺ». رواه أبو داود.(١)

ش/ وفي رواية أبي داود: «**أو أتىٰ امرأة**»، قال مسدد: «**امرأته حائضًا، أو أتىٰ امرأة**»، قال مسدد: «**امرأته في دبرها، فقد برئ مما أنزل علىٰ محمد** ﷺ».(٢)

فناقل هذا الحديث من "السنن" حذف منه هذه الجملة، واقتصر على ما يناسب الترجمة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وللأربعة، والحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرطهما عن.....(٣): «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أو كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ﷺ».

ش/ هكذا بيض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا.(٤)

---

(١) **صحيح لغيره**. الحديث أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، وأخرجه أيضًا الترمذي (١٣٥)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، وغيرهم من طريق: حَكيم الأثرم، عن أبي تميمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحكيم قد أُنكر عليه هذا الحديث. فضعف الحديثَ البخاري، والنسائي، وأبو علي النيسابوري، وغيرهم كما في "الفتح" (٤٥٢٦)، وأبو تميمة قال البخاري: ليس له سماع من أبي هريرة. ولكن للحديث طريق أخرىٰ، وهي التي بعدها، وشاهد عن جابر سيأتي تخريجه؛ فالحديث يرتقي بذلك إلىٰ الصحة.

(٢) رواية: «**من أتىٰ امرأته في دبرها**» لها شواهد ذكرناها في تحقيق "البلوغ" رقم (١٠١٣) تُحسَّن بها إن شاء الله. وأما رواية: «من أتىٰ امرأته حائضًا»؛ فإنه ليس لها شواهد تصلح للاستشهاد.

(٣) بياض في الأصول الخطية من "كتاب التوحيد" وشرحه.

(٤) أما الأربعة فأخرجوه باللفظ المتقدم بالإسناد المتقدم، فأما هذا اللفظ فأخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨)، والبيهقي (٨/ ١٣٥)، وهو منقطع، من طريق خلاس بن عمرو، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم يسمع منه.

❁ وقد جاءت عند الحاكم زيادة (محمد بن سيرين) مقرونًا بـخِلاس بن عمرو، والصواب عدم ذكره؛ =

قوله: «**من أتىٰ كاهنًا**».

قال بعضهم: لا تعارض بين هذا وحديث: «**من أتىٰ عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(١)].

هذا على قول من يقول: هو كفر دون كفر، أما على قول من يقول بظاهر الحديث فيسأل عن وجه الجمع بين الحديثين.

وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان، وكان غالب الكهان قبل النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين.

= لأنَّ الحاكم رواه من طريق: الحارث بن أبي أسامة، وليس لهذه الزيادة ذكرٌ في "مسنده" (٢/ ١٨٧/ ٢) كما في "الإرواء" (٧/ ٦٩)، وأخرجها من طريق: أحمد بن مهران الأصبهاني، وهو رجل زاهد لم يؤثر توثيقه عن أحد، فرواية الإمام أحمد بدون زيادة (ابن سيرين) أرجح، وعليه فهو منقطع.

❁ وله شاهد آخر من حديث جابر عند البزار كما في "كشف الأستار" (٣٠٤٥)، قال: حدثنا عقبة ابن سنان، ثنا غسَّان بن مضر، ثنا سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ به. وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات من رجال "التهذيب"؛ إلا عقبة بن سنان فقد ترجم له ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٦/ ٣١١)، ونقل عن أبيه أنه قال: صدوق. وعليه فالحديث يرتقي إلىٰ الصحة مع طريقي حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) يعنون أن قوله: «**فقد كفر بما أنزل**» المقصود به كفر أصغر، ولا يوجد تعارض؛ لأنَّ حديث: «**لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» يدل علىٰ أنه ما زال مسلمًا، فالتحديد بالأربعين يدل علىٰ أنه كفر دون كفر، أي: أصغر، وعدم القبول هذا محمول -والله أعلم- علىٰ أنه إن لم يتب.

وظاهر الحديث أنه يكفر إن اعتقد صدقه، وهو يدعي علم الغيب، فمنِ ادَّعىٰ علم الغيب فهو كافر، ومن صدقه في ادعائه؛ فهو كافر؛ لأنه يرد الأدلة كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل:٦٥]، وقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦]، وقوله: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤]، وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾[لقمان:٣٤] الآية.

فمن صدق من ادعىٰ علم الغيب؛ فقد كفر كفرًا أكبر.

قوله: «**فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد** ﷺ».

قال [الطيبي][(١)]: المراد بالمنزل الكتاب والسنة. انتهى.

وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يتوقف فلا يقال يخرج عن الملة أو لا يخرج؟ وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله: ولأبي يعلىٰ بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.[(٢)]

ش/ أبو يعلى اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، الإمام، صاحب التصانيف كـ«المسند» وغيره، روى عن يحيى بن معين، وأبي خيثمة، وأبي بكر بن أبي شيبة، وخلق، وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلاثمائة.

وهذا الأثر رواه البزار أيضًا، ولفظه: «**من أتىٰ كاهنًا، أو ساحرًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد** ﷺ».

وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يَدَّعيان علم الغيب، وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به، وذلك كفر أيضًا.

---

(١) في المخطوطتين: (القرطبي)، والمثبت من «التيسير» (ص٤١٠)، وكلام الطيبي في شرحه «للمشكاة» (٨٥٧/٣).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (٥٤٠٨)، والبزار كما في «الكشف» (٢٠٦٧)، من طرق عن أبي إسحاق، عن هبيرة ابن يريم، عن ابن مسعود به.

❁ وأخرجه البزار كذلك (٢٠٦٧)، والطبراني (١٠٠٠٥) من طريقين عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة عند الطبراني، وعن همام عند البزار، كلاهما عن ابن مسعود به، وهذه أسانيد صحيحة، وقد روي مرفوعًا، لكن أبان الدارقطني في «العلل» (٨٨٣) (٩٢٢) أنه غير محفوظ، وهذا الموقوف له حكم الرفع، ويشهد له ما تقدم من المرفوعات.

قال المصنف رحمه الله: وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا: «**لَيْسَ مِنَّا مَن تَطَيَّرَ أَوْ تُطيِّر لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَر أَوْ سُحِرَ لَهُ، ومَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمّدٍ ﷺ**» رواه البزار بإسناد جيد.[(١)]

ورواه الطبراني في "الأوسط" بإسناد حسن، من حديث ابن عباس دون قوله: «**ومن أتىٰ كاهنًا**» الحديث.[(٢)]

قولهُ: «ليس مِنَّا».

فيه: وعيدٌ شديدٌ يدلُّ على أن هذه الأمور من الكبائر، وتقدم أن الكهانة والسحر كفر.

(١) أخرجه البزار كما في "كشف الأستار" (٣٠٤٤)، وفي سنده: أبو حمزة العطار، فيه ضعف، وهو من رواية الحسن عن عمران، وعامة العلماء علىٰ أنه لم يسمع منه، لكن الزيادة التي في آخره: «**ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**» يشهد لها ما تقدم، فصار لهذه الزيادة أربع طرق:

- من حديث عمران رضي الله عنه، وفيها ضعفٌ يسير.
- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه من طريقين.
- حديث جابر رضي الله عنه، وهو حسن.

والجملة الأولىٰ يشهد لها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي بعده.

(٢) هذا الحديث يشهد للفقرة الأولىٰ من حديث عمران بن حصين المتقدم.

- وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٤١٨٥)، والبزار كما في "كشف الأستار" (٣٠٤٣)، وفيه: زمعة بن صالح ضعيف، ويتقوىٰ بحديث عمران؛ فيكون الحديث حسنًا من حديث عمران، وابن عباس رضي الله عنهم، فكل منهما يقوي الآخر، وقد حكم عليه الألباني بالحسن في "الصحيحة".

فائدة: والذهاب إلىٰ الكاهن ليختبره، ويكشف باطله هذا ذهاب جائز، وقد يكون واجبًا كما ذكر ذلك العلامة العثيمين رحمه الله تعالى، واستدل علىٰ ذلك بسؤال النبي ﷺ لابن صياد وفضحه، فصار إتيان الكاهن والذهاب إليه له ثلاثة أحوال:

١) إن ذهب إليه مصدقًا له فيما يقوله بأنه يعلم الغيب؛ فهذا كفر أكبر.
٢) إن ذهب غير مصدق له أنه يعلم الغيب؛ فهذا كفر أصغر، ولا تقبل له صلاة أربعين ليلة.
٣) ذهب إليه ليختبره، ويكشف باطله، ويفضحه؛ فهذا مشروع، وقد يجب.

قوله: «**من تَطيَّر**».

أي: فعل الطِّيَرَة، «**أو تطير له**»، أي: قَبِلَ قَوْلَ المُتَطَيِّرِ له وتابعه، وكذا معنى «**أو تكهن، أو تكهن له**» كالذي يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه، وكذلك من عمل الساحر له السحر.

فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ؛ لكونها إما شركًا كالطيرة، أو كفرًا كالكهانة والسحر، فمن رضي بذلك وتابع عليه؛ فهو كالفاعل؛ لقبوله الباطل واتباعه.

قوله: رواه البزَّار.

هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزار البصري، صاحب "المسند الكبير"، وروى عن ابن بشار، وابن المثنى، وخلق، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

قال المصنف رحمه الله: قال البغوي: العراف: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك.[(١)] وقيل: هو الكاهن.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.[(٢)]

ش/ البغوي: بفتحتين، هو الحسين بن مسعود بن الفرَّاء الشافعي، صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان، كان ثقةً، فقيهًا، زاهدًا، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة.

قوله: العراف الذي يدعي معرفة الأمور.

---

(١) انظر: "شرح السنة" (١٢/ ١٨٢).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٣٥/ ١٧٣).

ظاهره أنَّ العرَّاف [هو][(١)] الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها، والضالة ومكانها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إنَّ العراف اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم، كالحازر الذي يدعي علم الغيب، أو يدعي الكشف.

وقال أيضا: والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو معناه.[(٢)]

وقال أيضا: والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وَحُكِي ذلك عن العرب، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوء حالًا منه؛ فيلحق به من جهة المعنى.

وقال الإمام أحمد: العرَّاف طرف من السحر، والساحر أخبث.

وقال أبو السعادات: العراف: المنجم والحازر الذي يدعي علم الغيب، وقد استأثر اللهُ تعالى به.

وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزَّجر عندهم[(٣)] سمَّوه عائفًا وعرافًا.[(٤)]

والمقصود من هذا: معرفة [أن][(٥)] من يدعي معرفة علم الشيء من المغيبات؛ فهو إما

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٣٥/ ١٩٣).

(٣) خلاصة الكلام المتقدم فيما قيل في العراف، والكاهن، والساحر: أنَّ العراف اسمٌ جامعٌ يشمل كل الأمور المذكورة: الكاهن، والرمال، والمنجم...، لكن الكهانة، والتنجيم قد تكون بغير استخدام الشياطين، فيدعي علم المغيبات لأكل أموال الناس، وقد يكون باستخدام الشياطين أيضًا. فالكاهن، والمنجم يكفران؛ لادعائهما علم الغيب، وقد يكون باستخدام الشياطين، فيصرفون لهم العبادات كالساحر.

(٤) انظر: "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٢٩) ط/ دار الكتب العلمية.

(٥) ساقط من المخطوطتين.

داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى، فيلحق به، وذلك أنَّ إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل، والزجر، والطيرة، والضرب بالحصى، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانة، والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية، ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل عليهم السلام، كالفلاسفة، والكهان، والمنجمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ؛ فإنَّ هذه علوم القوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام، وكل هذه الأمور يُسَمَّى صاحبها كاهنًا أو عرافًا، أو في معناهما، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون؛ لحقه الوعيد، وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوامٌ فادَّعَوا بها علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وادَّعَوا أنهم أولياء، وأن ذلك كرامة.

ولا ريب أنَّ مَنِ ادَّعَى الولايةَ، واستدل بإخباره ببعض المغيبات؛ فهو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن؛ إذ الكرامة أمرٌ يجريه الله على يد عبده المؤمن التقي، إما بدعاء، أو أعمال صالحة لا صنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها، بخلاف من يدعي أنه ولي لله ويقول للناس: اعلموا أني أعلم المغيبات. فإن مثل هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرمة كاذبة في الغالب؛ ولهذا قال النبي ﷺ في وصف الكهان: «**فيكذبون معها مائة كذبة**»[1]، فَبَيَّنَ أنهم يصدقون مرةً ويكذبون مائة، وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممن يدعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس مع أنَّ نفس دعواه دليلٌ على كذبه؛ لأنَّ [في][2] دعواه الولاية تزكيةَ النفس المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾[النجم:٣٢].

وليس هذا من شأن الأولياء؛ بل شأنهم الإزراء على نفوسهم، وعيبهم لها، وخوفهم

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري برقم (٣٢١٠)، ومسلم برقم (٢٢٢٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) ساقط من [أ].

من ربهم، فكيف يأتون الناس ويقولون: اعرفوا أنا أولياء، وأنا نعلم الغيب؟ وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق، واقتناص الدنيا بهذه الأمور، وحسبك بحال الصحابة والتابعين، وهم سادات الأولياء رضي الله عنهم، أفكان عندهم من هذه الدعاوى والشطحات شيء؟ لا والله، بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن كالصديق رضي الله عنه،(١) وكان عمر رضي الله عنه يُسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكي في صلاته،(٢) وكان يمر بالآية في وِرْدِه من الليل، فيمرض منها ليالي يعودونه.(٣) وكان تميم الداري يتقلب في فراشه لا يستطيع النوم إلا قليلًا؛ خوفًا من النار، ثم يقوم إلى صلاته.(٤)

ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله تعالى من صفاتهم في سورة الرعد، والمؤمنين، والفرقان، والذاريات، والطور، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهل الدعوى والكذب، ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء، والعظمة، وعلم الغيب، بل مجرد دعواه علم الغيب كفرٌ، فكيف يكون المدَّعِي لذلك وليًّا لله؟ ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم من المشركين، ولَبَّسُوا بها على خفافيش القلوب، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) هو في "البخاري" (٧١٦)، و"مسلم" (٤١٨) (٩٤) عن عائشة رضي الله عنها، وأيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما في "البخاري" (٦٨٢).

(٢) علقه البخاري في "صحيحه" بصيغة الجزم في [باب: ٧٠] من كتاب الأذان، ووصله ابن أبي شيبة (١/ ٣٥٥)، وابن منصور كما في "التغليق" (٢/ ٣٠٠)، وابن سعد (٦/ ١٢٦) بسند صحيح.

(٣) رواه أحمد في "الزهد" (ص١١٩) وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٦٩) من طريق: الحسن عن عمر رضي الله عنه، ولم يسمع منه؛ فهو منقطع ضعيف.

(٤) لم أجده، ووجدته عن شداد بن أوس رضي الله عنه، كما في "التخويف من النار" لابن رجب، بدون إسناد، وثبت عن تميم الداري رحمه الله أنه قرأ سورة الجاثية، فلما أتىٰ علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية:٢١] الآية، فلم يزل يكررها ويبكي حتىٰ أصبح، وهو عند المقام. أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٩٤)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٧)، وعبدالله بن أحمد في "زوائد الزهد" (ص١٨٢)، والطبراني (١٢٥١)، بإسناد صحيح عنه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَاد وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أَرَىٰ مَنْ فَعَل ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاق»(١).

ش/ هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده ضعيف، ولفظه: «**رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة**»(٢).

ورواه حُميد بن زنجويه عنه بلفظ: «**رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق**».

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (١١/ ٢٦)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤)، والبيهقي (٨/ ١٣٩) من طريق: عبدالله ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٩٨٠)، وفي إسناده: خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب.

وحروف أبي جاد هي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ. فالمنجمون يستخدمونها، فيرقمونها مع علم النجوم، فيستخدمونها في معرفة الغيبيات، وهذا كفر بالله، ويستخدمها الشعراء في ذكر بعض التواريخ، كأن يؤرخ به تاريخ انتهاء كتابة قصيدته، أو تاريخ بناء مسجد، أو بيت، أو نحو ذلك، ومنها قول العمريطي رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر نظم "الورقات":

وتم نظـم هـذه الـمقدمـة ... أبياتها في الـعدِّ در محكمـة

في عـام طا ثـم ظا ثـم فا ... ثاني ربيع شهر وضع المصطفىٰ

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: قال شيخنا عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تاريخ بناء المسجد الجامع القديم:

جُـدْ بالـرضىٰ واعْـطِ الـمُنىٰ ... مـن ساعـدوا في ذا البنـا

تـاريـخـه حـين انـتـهىٰ ... قـول الـمنيب (اغفـر لنا)

والشهـر في شـوال يـا ... رب تـقبـل سـعينـا

وطريقة الترقيم أنهم يرقمون الحروف الأبجدية المتقدمة علىٰ الترتيب من (١) إلىٰ (١٠)، فيكون العاشر حرف الياء، ثم بعد الياء يستخدمون عقود الأعداد علىٰ الترتيب إلىٰ (١٠٠)، فيكون حرف القاف رقمه (١٠٠)، ثم يستخدمون عقود المئات إلىٰ (١٠٠٠)؛ فيكون آخرها هو حرف الغين رقمه (١٠٠٠)، فلو عددنا قول العمريطي (طا، ثم ظا، ثم فا) وجدناها في عام (٩٨٩هـ)، ولو عددنا قول السعدي (اغفر لنا) لوجدناها (١٣٦٢هـ)، وانظر "القول المفيد" (٢/ ٦٤).

قولهُ: ما أرى.

يجوز فتح الهمزة، بمعنى: لا أعلم، ويجوز ضمها، بمعنى: لا أظن.

وكتابة أبي جاد، وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يُسَمَّى علم الحرف، وهو الذي فيه الوعيد، فأما تعلمها للتهجي، وحساب الجُمل؛ فلا بأس به.

قولهُ: وينظرون في النجوم.

أي: يعتقدون أن لها تأثيرًا كما سيأتي في باب التنجيم.

وفيه من الفوائد: عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ [غافر:٨٣].

فيه مسائل:

الأولىٰ: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكُهِّن له.

الرابعة: ذكر من تُطُيِّرَ له.

الخامسة: ذكر من سُحِر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

٢٦- باب ما جَاءَ في النُّشْرَةِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ما جَاءَ في النُّشْرَةِ.

ش/ بضم النون كما في "القاموس".

قال أبو السعادات: النشرة ضربٌ من العلاج والرقية يعالج به من كان يظن أن به مَسًّا من الجن، سُمِّيت نُشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يكشف ويزال.

قال الحسن: النشرة من السحر[(١)]، وقد نَشَّرْتُ عنه تنشيرًا.

ومنه الحديث: «**فلعل طبًّا أصابه**»، ثم نَشَّرَه بـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[(٢)]، أي: رقاه.

وقال ابن الجوزي: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر.[(٣)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**». رواه أحمد بسند جيد، وأبوداود، وقال: سئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.[(٤)]

---

(١) أخرجه الخطابي في "معالم السنن" (٤/ ٢٠٤)، وفي سنده: عبدالله بن شبيب، وهو شديد الضعف، وفيه: الحكم بن عطية العيشي البصري، وهو ضعيف.

(٢) ذكره ابن الأثير في "النهاية" (٥/ ٥٤) بدون إسناد.

(٣) انظر: "غريب الحديث" لابن الجوزي (٢/ ٤٠٨).

(٤) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٢٩٤)، ومن طريقه أبو داود (٣٨٦٨) عن عبدالرزاق، عن عقيل بن معقل ابن منبه، عن عمه وهب بن منبه، عن جابر به، ورجاله ثقات. وعقيل بن معقل وثقه ابن معين، لكن وهب بن منبه ذكر بعض الحفاظ أنه لم يسمع من جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في "جامع التحصيل"، وإنما هي صحيفة، أو كتاب، وبعض أهل العلم يحتج بذلك وإن كان كتابًا، لكن العبرة بصحة =

ش/ هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبو داود في "سننه" والفضل بن زياد في كتاب "المسائل" عن عبد الرزاق عن عقيل بن معقل بن منبه، عن عمه وهب بن منبه عن جابر، فذكره.

قال ابن مفلح: إسناد جيد.[١] وحسَّن الحافظ إسناده.[٢]

قوله: سُئل عن النشرة.

الألف واللام في النشرة للعهد، أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان.

قوله: وقال: سئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعود يكره هذا كُلَّه.

أراد أحمد رحمه الله أنَّ ابنَ مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان كما يكره تعليق التمائم مطلقًا.

= الكتاب عن جابر، هل صح عنه أم لا؟ لأنَّ وهب بن منبه لم يذكر أنه أخذه من أصل جابر، والعلماء عندما يقولون: (إنما هي صحيفة، أو كتاب) يريدون بذلك أنه لا يعتمد علىٰ هذا السماع؛ لأنَّ الصحيفة قد تصح وقد لا تصح عن صاحبها؛ وعلىٰ هذا فالحديث منقطع بهذا الإسناد، ثم أفادنا أحد إخواننا عافاه الله بإن مسلمًا رحمه الله قد أثبت سماع وهب من جابر رضي الله عنه كما في الكنىٰ؛ وعليه فالإسناد صحيح.

❁ وله شاهد من مراسيل الحسن البصري عند أبي داود في "مراسيله" (٤٥٣)، وزاد الحاكم (٤/ ٤١٨)، والبزار (٣٠٣٤) عن أنس رضي الله عنه، والذي زادها هو: مسكين بن بكير، وخالفه علي بن الجعد، وهو ثقة، ثبت، وكلاهما يرويه عن شعبة، والراجح المرسل، وزيادة: [أنس رضي الله عنه] غير محفوظة، والراوي عن الحسن كنيته: أبو رجاء، ويكنىٰ بها في هذه الطبقة اثنان، **أحدهما**: محمد ابن سيف الأزدي، وهو ثقة، **والثاني**: مطر الورَّاق، وهو ضعيف، فالبزار، والمزي يرجحان أنه الثقة، والحاكم يرجح أنه الورَّاق وهو ضعيف، فهذا المرسل يقوي حديث جابر رضي الله عنه، ويزداد به قوةً، والله أعلم.

وكلام الإمام أحمد أنَّ ابن مسعود كان يكره هذا كله؛ لعل الإمام أحمد أخذه من الأثر العام: «**إن الرقىٰ، والتمائم، والتولة شرك**»؛ لأنَّ الأثر الذي ذكره الإمام أحمد لم نقف عليه بهذا النص.

(١) انتهىٰ من "الآداب الشرعية" (٣/ ٧٧).

(٢) في الباب (٤٩) من كتاب الطب.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وللبخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طِبٌّ أو يُؤَخَّذ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنفعُ، فَلَمْ يُنَه عَنْهُ. انتهى.[1]

ش/ قوله: عن قتادة.

هو ابن دعامة -بكسر الدال- السدوسي، ثقة، فقيه، من أحفظ التابعين قالوا: إنه وُلِد أكمه، مات سنة بضع عشرة ومائة.

قوله: رجل به طِب.

بكسر الطاء، أي: سحر، يقال: طُب الرجل -بالضم- إذا سُحر، ويقال: كنوا عن السحر بالطب تفاؤلًا، كما يقال للديغ: سليم.

وقال ابن الأنباري: الطب من الأضداد، يقال لعلاج الداء طب، والسحر من الداء يقال له طب.

قوله: يُؤَخَّذ.

بفتح الواو المهموزة، وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها ذال معجمة، أي: يحبس عن امرأته، ولا يصل إلى جماعها.

والأُخذة: بضم الهمزة: الكلام الذي يقوله الساحر.

قوله: أيحل.

بضم الياء، وفتح الحاء، مبني للمفعول.

---

(١) الأثر علقه البخاري في "صحيحه" [باب (٤٩) من كتاب الطب] بصيغة الجزم، ووصله الطبري في "تهذيب الآثار"، وابن منصور، والأثرم، وإبراهيم الحربي، وابن عبدالبر كما في "تغليق التعليق" (٥/ ٤٩)، من طرق عن قتادة، وإسناده صحيح. وقتادة إذا عنعن في روايته عن سعيد بن المسيب فهي ضعيفة، نص علىٰ ذلك ابن المديني وغيره كما في "تهذيب التهذيب"؛ لأنه يسقط عنه، لكن هنا نص علىٰ أنه سأل ابن المسيب هو بنفسه؛ فالرواية صحيحة.

قولهُ: أو ينشر.

بتشديد المعجمة.

قولهُ: لا بأس به.

يعني أنَّ النشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح، [أي: إزالة][(١)] السحر، ولم يُنْهَ عما يراد به الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يُحمل على نوع من النشرة، لا يعلم أنه سحر.

قال المصنف رحمه الله: وروي عن الحسن، أنه قال: لا يَحِلُّ السِّحَر إلا ساحر.

ش/ هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في "جامع المسانيد".[(٢)]

والحسن هو ابن أبي الحسن، واسمه: [يسار][(٣)] -بالتحتية والمهملة- البصري الأنصاري مولاهم، ثقة، فقيه، إمام، من خيار التابعين، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين.

---

(١) في [أ]: وإزالة.

(٢) الحافظ في "الفتح" عزاه أيضًا للطبري في "تهذيب الآثار"، وذكره ابن مفلح في "الآداب الشرعية" (٣/ ٧٧) كلهم ذكروه بدون إسناد.

(٣) في المخطوطتين: (سيار)، والمثبت هو الصواب كما في كتب التراجم.

قال المصنف رحمه الله: قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:
أحدهما: حَلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلىٰ الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.
والثاني: النشرة بالرقية، والتعوذات، والأدوية، والدعوات المباحة، فهذا جائز.[(١)]

ش/ ومما جاء في صفة النشرة الجائزة: ما رواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ليث ابن أبي سليم، قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله، تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يُصب على رأس المسحور الآية التي في يونس: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٨١-٨٢]، وقوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١١٨] إلى آخر الآيات الأربع، وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه:٦٩].[(٢)]

وقال ابن بطال: في كتاب وهب بن منبه: أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.[(٣)]

---

(١) انظر كلامه في «أعلام الموقعين» (٤/ ٣٩٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٤)، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» [آية:٨١] من سورة يونس، وفي إسناد ابن أبي حاتم أبو جعفر الرازي، وفيه ضعف.

(٣) الأثر ثابت عنه في هذا العمل، ذكره معمر في «جامعه» عن وهب أيضًا كما في «مصنف عبدالرزاق» (١١/ ١٣)، ومعمر ممن سمع من وهب، وهذا الفعل لا ينكر علىٰ من فعله، وقد أفتىٰ به العلامة ابن باز رحمه الله، لكن الأفضل أن يرشد الناس إلىٰ ما فعله النبي ﷺ، وهو الرقية مع النفث في يديه، ومسح جسده. وجاء عن شيخ الإسلام وابن القيم القول بجواز الرقية في الماء، ثم الشرب منه، أو الاغتسال. انظر «زاد المعاد» (٤/ ١٧٠-، ٣٥٧)

قلت: قول العلامة ابن القيم: والثاني النشرة بالرقية، والتعوذات، والأدوية المباحة؛ جائز يشير إلى مثل هذا، وعليه يحمل كلام من أجاز النشرة من العلماء.

[والحاصل: أنَّ ما كان منه بالسحر؛ فيحرم، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة؛ فجائز، والله أعلم].(١)

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه، والمرخص فيه، مما يزيل الإشكال.

(١) ما بين المعقوفين ليس موجودًا في المخطوطتين، وأشار إليه في حاشية [ب].

٢٧- باب مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

قال المصنف رحمه الله: باب مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ.

ش/ [أي: من النهي عنه، والوعيد][١] مصدر تطير يتطير [تَطَيُّرًا][٢].

والطِّيَرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن، اسم مصدر من تَطَيَّرَ [طيرة][٣]، [كما يقال: تخير خيرة، ولم يجئ في المصادر على هذه الزنة غيرهما، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما][٤]، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في [جلب نفع أو دفع ضر].[٥]

قال المدائني[٦]: سألت رُؤْبة بن العجاج قلت: ما السانح؟ قال: ما وَلَّاكَ ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما وَلَّاكَ مياسره، والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد.[٧]

ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكرها المصنف في كتاب التوحيد؛ تحذيرًا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [ب].

(٤) زيادة في المطبوع.

(٥) في [أ]: جلب أو دفع ضر.

(٦) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله، ولد سنة (١٣٥)، وتوفي سنة (٢٢٥). "تراجم مصنفي اللغة العربية" (٧/ ٢١١).

(٧) انظر: "لسان العرب" مادة: سنح.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

ش/ ذكر تعالى [هذه][(١)] الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ الآية.

المعنى: أن آل فرعون [كانوا][(٢)] إذا أصابتهم الحسنة، أي: الخصب، والسعة، والعافية، كما فسره مجاهد[(٣)] وغيره، قالوا: لنا هذه. أي: نحن الجديرون والحقيقيون به، ونحن أهله، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلاء، وقحط ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾، [فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه، أصابنا بشؤمهم، فقال الله تعالى][(٤)] ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾.

قال ابن عباس: طائرهم ما قُضِيَ عليهم، وَقُدِّرَ لهم.

وفي رواية: شؤمهم [عند الله][(٥)]، ومن قِبَلِه[(٦)]، أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم، وتكذيبهم بآياته، ورسله.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: إن أكثرهم جُهَّال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا؛ لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا الخير، والبركة، والسعادة، والفلاح لمن آمن به، واتبعه.

---

(١) في المخطوطتين (في هذه)، والمثبت أقرب.

(٢) ساقط من المخطوطتين.

(٣) **أثر مجاهد صحيح.** أخرجه ابن جرير في "تفسيره" عند هذه الآية من سورة الأعراف.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٥) في [ب]: فقال تعالىٰ: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾[الأعراف:١٣١].

(٦) ذكرها البغوي في "تفسيره" بدون إسناد.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس:١٩].

ش/ المعنى -والله أعلم-: حظُّكم، وما نابكم من شرٍّ معكم، بسبب أفعالكم، وكفركم، ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا، ولا بسببنا، بل ببغيكم، وعدوانكم، فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله، وقدره، وحكمته، وعدله،[١] كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿طَائِرُكُم مَعَكُم﴾، أي: راجع عليكم، فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم، وهذا من باب القصاص في الكلام، ونظيره قوله عليه الصلاة و السلام: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا: وعليكم**»[٢] ذكره ابن القيم رحمه الله.[٣]

وقوله: ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾.

أي: من أجل أنا ذكرناكم، وأمرناكم بتوحيد الله؛ قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾، وقال قتادة: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟[٤]

ومناسبة الآيتين للترجمة: أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله به، ومقتهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير، وأخبر أنه شرك كما سيأتي في أحاديث الباب.

---

(١) ما الجمع بين قوله تعالىٰ: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾[يس:١٩]؟ ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ يعني هم السبب بأنفسهم؛ لأنهم هم الذين أتوا بالمعاصي، فسببت عليهم هذه المصائب من القحط وغيره، واللهُ هو الذي قدَّر ذلك، فَنُسب إلىٰ الله تعالىٰ خلقًا وتقديرًا، ونُسب إليهم سببًا، وتكسبًا.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٢٥٨)، ومسلم برقم (٢١٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٢٧٦-٢٧٧) ت/ الحلبي.

(٤) أخرجه ابن جرير عند تفسير سورة يس [آية:١٩] بإسناد صحيح.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ عَدْوَىٰ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ صَفَرَ**». أخرجاه.[(١)]

زاد مسلم: «**وَلاَ نَوْءَ، وَلاَ غُولَ**».[(٢)]

ش/ قال أبو السعادات: العدوى اسم من الإعداء [كالرعوى][(٣)]، يقال: أعداه الداءُ، يعديه إعداءً، إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء.[(٤)]

وفي رواية لمسلم أن أبا هريرة كان يحدث بحديث: «**لا عدوىٰ**»، ويحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يورد ممرض علىٰ مصح**»، ثم إنَّ أبا هريرة اقتصر على حديث: «**لا يورد ممرض علىٰ مصح**»، وأمسك عن حديث: «**لا عدوىٰ**»، فراجعوه وقالوا: سمعناك تحدثه. فأبى أن يعترف به.

قال أبو سلمة -الراوي عن أبي هريرة-: فلا أدري أنسي أبو هريرة، أو نسخ أحد القولين الآخر؟[(٥)]

وقد روى حديثَ: «**لا عدوىٰ**» جماعةٌ من الصحابة: أنس بن مالك[(٦)]، وجابر بن عبدالله[(٧)]، والسائب بن يزيد[(٨)]، وابن عمر[(٩)] وغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٧)، ومسلم برقم (٢٢٢٠).

(٢) أخرج مسلم زيادة: «**ولا نوء**» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم (٢٢٢٠) (١٠٦)، وزيادة: «**ولا غول**» من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، برقم (٢٢٢٢).

(٣) في المخطوطتين: (الدعوىٰ)، والمثبت من "النهاية".

(٤) في المطبوع زيادة: (وقال غيره: لا عدوىٰ هو اسم من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلىٰ غيره، والمنفي نفس سراية العلة أو إضافتها إلىٰ العلة، والأول هو الظاهر).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٢٢١).

(٦) حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري برقم (٥٧٥٦)، ومسلم برقم (٢٢٢٤).

(٧) حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم برقم (٢٢٢٢).

(٨) حديث السائب بن يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم برقم (٢٢٢٠) (١٠٣).

(٩) حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عند البخاري برقم (٥٧٧٢)، ومسلم برقم (٢٢٢٥) (١١٦).

وفي بعض روايات هذا الحديث: «**وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[١].

وقد اختلف العلماء في ذلك،[٢] وأحسن ما قيل فيه قول البيهقي، وتبعه ابن الصلاح، وابن القيم، وابن رجب، وابن مفلح وغيرهم[٣]: أن قوله: «**لا عدوىٰ**» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمور تُعْدِي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك؛ ولهذا قال: «**فر من المجذوم كما تفر من الأسد**»، وقال: «**لا يورد ممرض علىٰ مصح**»، وقال في الطاعون: «**من سمع به في أرض فلا يقدم عليه**»[٤]، وكل ذلك بتقدير الله تعالى.

ولأحمد، والترمذي عن ابن مسعود مرفوعًا: «**لا يعدي شيء شيئًا**» قالها ثلاثًا، فقال أعرابي: يا رسول الله، النُّقْبة من الجرب تكون بمشفر البعير، أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فمن أجرب الأول؟ لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، خَلَقَ اللهُ كلَّ نفس وكتب حياتها، ومصائبها، ورزقها**»[٥].

---

(١) علَّقَه البخاري في "صحيحه" (٥٧٠٧)، وهو موصول خارج "الصحيح" كما في "الفتح"، فقد وصله أبو نعيم في "المستخرج" بإسناد صحيح، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: اختلف العلماء في الجمع بين حديث: «**لا عدوىٰ**»، وحديث: «**وفر من المجذوم**»، مع حديث: «**لا يورد ممرض علىٰ مصح**». وهذه الأقوال راجعها في "الفتح" [كتاب الطب (باب:٥٤)]، وما ذكره الشارح عن البيهقي هو التفسير الصحيح.

(٣) انظر: "السنن الكبرىٰ" (٧/ ٢١٦)، "علوم الحديث" (ص٢٨٥)، "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٣٧٦- ت/ الحلبي، "لطائف المعارف" (ص١٣٨)، "الآداب الشرعية" (٣/ ٣٦٣-).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٣) (٥٧٢٩)، ومسلم برقم (٢٢١٨) (٢٢١٩)، من حديث أسامة بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

(٥) **صحيح لغيره**. رواه أحمد (٤١٩٨)، والترمذي (٢١٤٣)، والطحاوي (٤/ ٣٠٨)، وأبو يعلىٰ (٥١٨٢)، والراوي فيه عن ابن مسعود رجل مبهم؛ فالسند ضعيف، لكن يتقوىٰ بشواهده؛ فله شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٧٥)، ومسلم (٢٢٢٠) دون قوله: «**خلق الله كل نفس...**» إلىٰ آخره. فالحديث صحيح لغيره.

فأخبر ﷺ أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، والعبد مأمورٌ باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما أنه يؤمر أن لا يُلقي نفسه في الماء وفي النار مما جرت العادة أن يهلك أو يضر، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون؛ فإنَّ هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبباتها، لا خالق غيره، ولا مُقَدِّر غيره، وأما إذا قوي التوكل على اللهِ، والإيمان بقضاء الله وقدره، فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب؛ اعتمادًا على اللهِ، ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لاسيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة، وعلى هذا يُحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي: أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم، فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: «**كل، بسم الله؛ ثقة بالله، وتوكلًا عليه**»[1]، وقد أخذ به الإمام أحمد.

ورُوي ذلك عن عمر، وابنه، وسلمان رضي الله عنهم.[2]

---

(١) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (٣٩٢٥)، والترمذي (١٨١٨)، وغيرهما، وفي سنده: المفضل بن فضالة البصري، وهو غير المصري. والبصري ضعيف، وقد أُنكر عليه هذا الحديث، وَصَوَّبَ العُقَيلي أنه موقوف علىٰ سلمان، فوهم فيه المفضل، وخالفه الثقات، فرووه عن سلمان رضي الله عنه موقوفًا، وهو أنه كان يشتري الطعام، ويجعل المجذوم يأكل معه، وهو ثابت عن سلمان رضي الله عنه، وسنده صحيح كما في "مصنف ابن أبي شيبة" (٨/ ١٢٩)، وضعَّف الحديث الألباني رحمه الله في "الضعيفة" برقم (١١٤٤).

(٢) **أثر عمر رضي الله عنه صحيح**. أخرجه عبدالرزاق (١٠/ ٤٠٥)، وهو من طريق: أبي الزناد، عن عمر رضي الله عنه، وهو لم يدركه، ثم وجدت له إسنادين آخرين، **أحدهما:** أخرجه ابن جرير في "تهذيب الآثار" (مسند علي-ص٢٤ رقم ٧٥)، حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن عبدالله بن جعفر، عن عمر رضي الله عنه به. **الثاني:** أخرجه الطبري في المصدر السابق رقم (٧٦)، من طريق: شييم بن ذييم البكري، عن عمر، وهو مجهول الحال، ترجمته في "التاريخ الكبير"، ثم وجدت للأثر طريقًا صحيحة عند ابن سعد (٤/ ١١٨)، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، قال: قال أبو الزناد: حدثني خارجة بن زيد، أنَّ عمر بن الخطاب...، فذكر الأثر في أكل عمر مع المجذوم.

❁ وأثر ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن أبي شيبة (٨/ ١٢٩)، والطبري في "تهذيب الآثار" رقم (٨٢)، وفيه رجل مبهم. =

ونظير ذلك ما رُوي عن خالد بن الوليد من أكل السم، ومنه مشي سعد بن أبي وقاص، وأبي مسلم الخولاني على متن البحر، قاله ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] [(٢)].

قولهُ: «ولا طيرة».

قال ابن القيم: يُحتمل أن يكون نفيًا، أو نهيًا، أي: [لا تطيروا][(٣)]، ولكن قوله في الحديث: «**لا عدوي ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعاينها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه، وفي "صحيح مسلم" عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ: ومنا أناس يتطيرون. قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه؛ فلا يصدنكم**»،[(٤)] فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه، وعقيدته، لا في المَتَطَيَّرِ به،

= ❁ وأثر سلمان أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٢٩)، من طريق: يحيىٰ بن سعيد، عن حبيب بن الشهيد، عن ابن بريدة، عن سلمان به، وهذا إسناد صحيح.

(١) كما في "لطائف المعارف" (ص١٣٩-١٤٠) ط/ دار ابن كثير.

(٢) **أثر خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (١٤٨١، ١٤٨٢)، عن سفيان، عن إسماعيل، عن قيس، عن خالد بن الوليد، أنه أُتي بسم في غزوة مؤتة، فقال: ما هذا؟ قالوا: السم. قال: باسم الله. فشربه، وهذا إسناد صحيح، وإسماعيل هو ابن أبي خالد، وقيس هو ابن أبي حازم.

❁ وأثر سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مشيه علىٰ دجلة كان في فتح القادسية، وهي مشهورة، لكنها من طريق: سيف بن عمر الضَّبِّي، وهو متروك، وهو مؤرخ مشهور، أخرج هذه القصة الطبري في "تاريخه" حوادث سنة (٦١هـ)، وأخرجه أبو نعيم في "الدلائل" رقم (٥٢٢).

❁ وأثر أبي مسلم الخولاني أخرجه ابن أبي الدنيا في "مُجابي الدعوة" (ص١١٣)، فقال: حدثنا أبو موسىٰ هارون بن عبدالله، حدثنا أبو النضر، عن سليمان بن المغيرة، قال: انتهىٰ أبو مسلم الخولاني إلىٰ دجلة وهي ترمي بالخشب من مَدِّها، فمشىٰ علىٰ الماء، ثم التفت إلىٰ أصحابه فقال: هل تفقدون شيئًا، فندعوا الله عزوجل.

❁ ورواه البيهقي في "الدلائل" (٦/ ٥٤) من وجهٍ آخر عن هارون بن عبدالله، والفضل بن سهل به.

قلتُ: وقصة سعد لا يبعد وقوعها؛ فهو مستجاب الدعوة.

(٣) في [ب]: لا تطيرًا.

(٤) أخرجه مسلم ضمن حديث طويل برقم (٥٣٧).

فوهمه، وخوفه، وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه، فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة؛ ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببًا لما يخافونه، ويحذرونه؛ ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، وعمر الدارين: الجنة والنار، بسبب التوحيد، فقطع ﷺ عِلَقَ الشرك من قلوبهم؛ لئلا يبقى فيها علقة منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال [أهل][1] النار البتة، فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على اللهِ؛ قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كُنَّا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح[2]، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر.[3] فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر. وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبني. انتهى ملخصًا.[4]

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة كقوله ﷺ: «**الشؤم**

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) من الخطإِ أن يعتقد الإنسان أن التطير يكون بالطيور فقط، بل التطير يحصل بأمور كثيرة، منها:
- بالطيور، كما فعل أهل الجاهلية.
- ومنها: أن يرىٰ صورة يكرهها، فيتشاءم منها.
- ومنها: أن يتشاءم بيوم من الأيام، كالأربعاء، أو بشهر من الشهور كشهر صفر.

والتطير هو الذي يصد الناس عن عمل، أو يجعل الخوف في قلبه، فيعمل وهو خائف وَقَلِقٌ، وهذا التطير أقل من تطير من ترك العمل، والواجب الثقة بالله، والإقدام عليه بصدرٍ مُنْشَرِحٍ، مطمئن، مستيقن بربه سبحانه وتعالىٰ.

(٣) الأثر ذكره الحافظ في "الفتح" شرح حديث (٥٧٥٦)، وعزاه للطبري، وكتاب الطبري "تهذيب الآثار" أكثره مفقود. وأثر طاوس الذي بعده أخرجه عبدالرزاق (١٠/ ٤٠٦)، ومعمر شك في شيخه هل هو عبدالله بن طاوس، أو غيره؛ فهذا الشك يجعل الأثر ضعيفًا؛ لأنَّ الشك وقع بين ثقة ومبهم.

(٤) من "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٢٨٠-٢٨٤).

في ثلاث: في المرأة، والدابة، والدار»[(١)]، ونحو هذا.

قال ابن القيم رحمه الله: إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها، وسكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم، ولا شرٌّ، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر على وجهه، [وكذلك][(٢)] ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها، فكذلك الدار، والمرأة، والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها، وحصول اليُمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسًا يتنحس بها من قاربها، وكل ذلك [بقضائه][(٣)] وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، [كما][(٤)] خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة، ولذذ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سببا لألم من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مُدْرَكٌ بالحس، فكذلك في الديار، والنساء، والخيل، فهذا لون، والطيرة الشركية لون.[(٥)] انتهى.[(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٩٣) (٥٠٩٥)، ومسلم برقم (٢٢٢٥) (٢٢٢٦)، من حديث ابن عمر، وسهل بن سعد رضي الله عنهم، وانفرد به مسلم (٢٢٢٧) من حديث جابر رضي الله عنه، وعندهم «**الفَرَس**» بدل «**الدابة**»، والألفاظ متقاربة.

(٢) في [ب]: وكذا.

(٣) في [ب]: بقضاء الله.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) الطيرة الشركية جعل ما ليس سببًا سببًا، فيعلق ترك العمل بسبب ليس هو سببًا شرعيًّا، ولا قدريًّا، وأما الوارد في الحديث من سوء خلق المرأة، أو صعوبة الدابة، أو ضيق الدار؛ فهذه أسباب ظاهرة تجعل للإنسان الضيق في صدره، والتألم من ذلك؛ فهذه أسباب قدرية جعلها الله للإنسان، فما من إنسان يُبتَلىٰ بهذه الأمور إلا ويصيبه الضيق، لكن يصبر، أو يترك هذا الأمر الذي سبب له هذا الضيق إن كانت امرأة؛ يطلقها، أو دابة؛ يبيعها، أو دارًا يتركها، وهذا ليس بنقصٍ في التوكل؛ لأنَّ هذه الثلاثة جعلها الله أسبابًا تضيق الصدور.

(٦) من "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٣٤٢) ت/ الحلبي.

قوله: «**ولا هامَة**».

بتخفيف الميم على الصحيح.

قال الفراء: الهامة طير من طير الليل. كأنه يعني البومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نَعَت إليَّ نفسي، أو أحدًا من أهل داري. فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.[١]

قوله: «**ولا صَفَر**».

بفتح الفاء، روى أبو عبيدة في "غريب الحديث" عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب.[٢]

وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير، وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه، وهو قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إنَّ أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم. فأبطل النبي ﷺ ذلك.[٣]

قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية

(١) وقال ابن رجب رحمه الله في "لطائف المعارف" (ص١٤٧): «**ولا هامة**» هو نفي لما كانت الجاهلية تعتقده أنَّ الميت إذا مات صارت روحه، أو عظامه هامةً، وهو طائر يطير، وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ أنَّ أرواح الموتىٰ تنتقل إلىٰ أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها، وتكذيبها.اهـ

(٢) انظر: "غريب الحديث" للقاسم بن سلَّام (١/ ٢٥-٢٦).

(٣) هذا الأثر أخرجه أبو داود برقم (٣٩١٥)، والقائل رجلٌ مبهم، ولا يضر ذلك؛ لأنه من قوله، وكأنه اشتهر ذلك عن أهل الجاهلية.

بشوال[(١)] في النكاح فيه خاصة.[(٢)]

قولهُ: «ولا نوء».

النوء: واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالى.

قولهُ: «ولا غُول».

هو بالضم اسم، وجمعه أغوال وغيلان، وهو المراد هنا.

قال أبو السعادات: الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس تتلون تلونًا [في صور][(٣)] شتى، وتغولهم، أي: تُضِلُّهم عن الطريق، وتهلكهم. فنفاه النبي ﷺ، وأبطله.[(٤)]

[**فيكون**][(٥)] **المعنى بقوله: «لا غول»**: أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا مع ذكر الله، والتوكل عليه.

ويشهد له الحديث الآخر: «**لا غول ولكن السعالي سحرة الجن**»[(٦)]، أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل.

---

(١) قد ثبت عن عائشة رضي الله عنها في "الصحيح" أنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنىٰ بي في شوال. أخرجه مسلم برقم (١٤٢٣).

(٢) انتهىٰ من "لطائف المعارف" (ص١٤٨).

(٣) ساقط من [ب].

(٤) في المطبوع زيادة: فإن قيل: ما معنىٰ النفي، وقد قال النبي ﷺ: «**إذا تغولت الغيلان، فبادروا بالأذان**»؟ أُجيب عنه: بأنَّ ذلك كان في الإبتداء، ثم دفعها الله عن عباده. أو يقال: المنفي ليس وجود الغول، بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه.

(٥) في [أ]: أو يكون.

(٦) **ضعيف**. أخرجه الخطابي في "غريب الحديث" (١/ ٤٦٣) من طريق: الحسن بن محمد مرسلًا، ولفظ الحديث: «**لا غول، ولكن السعالي**»، وزيادة «**سحرة الجن**» هي من تفسير الخطابي، وابن الأثير وغيرهم.

ومنه الحديث: «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**»[(١)]، أي: ادفعوا شرها بذكر الله.

وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عَدَمَها.

ومنه حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجي فتأخذ.[(٢)]

---

(١) **ضعيفٌ**. أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٥، ٣٨٢)، وابن خزيمة (٢٥٤٨) (٢٥٤٩)، وابن السني (٥٢٣)، وغيرهم من حديث جابر رضي الله عنه، وهو من طريق: الحسن، عن جابر، ولم يسمع منه، والراوي عن الحسن هو هشام بن حسَّان، وله أخطاء في روايته عن الحسن، وقد خالفه يونس بن عبيد عند البزار كما في «الكشف» (٣١٢٩)، فجعله عن الحسن، عن سعد بن أبي وقاص، ولكن في الإسناد إليه شيخ البزار: محمد بن الليث الهدادي، لم أقف له علىٰ ترجمة، والحسن لم يسمع من سعد ، وانظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني رقم (١١٤٠).

والنفي في الحديث المتقدم، وهو قوله: «**لا غول**» محمول علىٰ أنها لا تستطيع أن تصد إنسانًا بنفسها، أو أن تضل أحدًا، أو تضره مع ذكر الله، وأما وجود الشياطين؛ لاسيما في الأسفار فقد يحصل أنها تتعرض للإنس، فقد جاء في «البخاري» (٢٩٩٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في الوحدة؛ لما سار راكب بليل وحده**»؛ فإنَّ الشياطين قد تتعرض له بأشكال مخيفة، ومزعجة، وقد وجد هذا أنَّ بعض الناس ممن كانوا يسافرون أنهم يجدون بعض الأشخاص في الليل، وجاء حديث في «مسند أحمد» (٢٥١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في «الصحيح المسند» (٦٧٥) يؤيد ذلك، فمن حيث وجود الجن والشياطين؛ فإنها قد تظهر وتتلون خاصة في الأسفار، لكن لا تضر الشخص وهو يذكر الله، هذا هو الذي يُنفَىٰ، أو يكون المنفي أيضًا أن تصد هذه الشياطين الناس عن حاجاتهم، وأيضًا لو كان الناس جماعة؛ لما حصل هذا؛ لقوله ﷺ: «**الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب**»، أخرجه أبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٨٤٩)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بإسناد حسن.

هذا وليعلم أن تعرض الشياطين للأنس بصور مخيفة يكون غالبًا عند من ضعف توكله، وخاف منها، أما من قوي توكله واعتماده علىٰ الله فإنه يمضي لحاجته، ولا تتعرض له بإذن الله عزوجل.

(٢) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٢٨٨٠)، وأحمد (٥/ ٤٢٣)، والطحاوي في «المشكل» (٧٨٧)، والطبراني (٤٠١١)، والحاكم (٣/ ٤٥٩)، وفيه: محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ، وهو ضعيف؛ لسوء حفظه.

فائدة: حديث: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول**»، هذه المنفيات كلها ليس نفيًا لوجودها، بل هي موجودة، وإنما النفي نفي تأثيرها، أو كونها سببًا، وإنما هو من تلبيس الشيطان علىٰ الناس، فجعلهم يظنونها أسبابًا، وليست أسبابًا، لا قدرية، ولا شرعية؛ فالاعتماد عليها يُعتبر منافيًا للتوكل.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولهما عن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ عَدْوَىٰ، وَلاَ طِـيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».(١)

ش/ قوله: «**ويعجبني الفأل**».

قال أبو السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر، يقال: تفاءلت بكذا، وتفاولت على التخفيف، والقلب، وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفًا، وإنما أحب الفأل؛ لأن الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي؛ فهم على خير، وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من اللهِ تعالى كان ذلك من الشر، وأما الطيرة؛ فإن فيها سوء الظن بالله تعالى، وتوقع البلاء، والتفاؤل: أن يكون رجل مريض، فيسمع آخر يقول: يا سالم. أو يكون طالب ضالة، فيسمع آخر يقول: يا واجد. فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، ويجد ضالته، ومنه الحديث: قيل يا رسول، الله ما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**».

قوله: قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**».

بَيَّنَ ﷺ أنَّ الفأل يعجبه، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

قال ابن القيم: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية التي تـميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخـبرهم ﷺ أنه حُبِّبَ إليه [من الـدنيا](٢) النساء، والطيب،(٣) وكـان يـحب الـحلواء

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧٦)، ومسلم برقم (٢٢٢٤).

(٢) ساقط من [ب].

(٣) **ضعيف معل**. أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٦١-٦٢)، وأبو يعلىٰ (٣٤٨٢)، والطبراني في "الأوسط" (٥١٩٩)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، والبيهقي (٧/ ٧٨) وغيرهم، من حديث أ نس رضي الله عنه، وظاهر إسناده الحسن، ولكن قال الدارقطني في "العلل" (٢٣٨٥) (١٢/ ٤٠): حدث به سلام بن سليمان أبو المنذر، وسلام بن أبي الصهباء، وجعفر بن سليمان الضبعي، عن ثابت، عن أنس، =

والعسل[(١)]، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه،[(٢)] ويحب معالي الأخلاق، ومكارم الشيم، وبالجملة يحب كل كمال، وخير وما يفضي إليهما.

والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الإسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح، والاستبشار، والسرور باسم الفلاح، والسلام، والنجاح، والتهنئة، والبشرى، والفوز، والظفر، ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفًا، وطيرة، وانكماشًا، وانقباضًا عما قصدت له، وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا، ونقصًا في الإيمان، ومقارفة الشرك.[(٣)]

وقال الحليمي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.[(٤)]

= وخالفهم حماد بن زيد، فرواه عن ثابت مرسلًا. وكذلك رواه محمد بن عثمان، عن ثابت البصري مرسلًا، والمرسل أشبه بالصواب.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤٣١)، ومسلم برقم (١٤٧٤) (٢١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) محبته لحسن الصوت؛ لأنه كان ﷺ يستمع إلىٰ قراءة أبي موسىٰ الأشعري، وابن مسعود رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠) من حديث ابن مسعود، وأخرجه مسلم (٧٩٣) من حديث أبي موسىٰ، وبريدة رضي الله عنهما، والأذان عندما سمع صوت أبي محذورة، فعلَّمه الأذان. وهو عند ابن خزيمة (٣٧٧) عن أنس رضي الله عنه بإسناد حسن.

(٣) انتهىٰ من "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٤) انتهىٰ من "المنهاج في شعب الإيمان" (٢/ ٢٥) بنحوه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولأبي داود -بسند صحيح- عن [عقبة بن عامر][(١)]، قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رسول الله ﷺ فقال: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلاَ تَرُدّ مُسْلِمًا، فَإذا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إلاَّ أَنْتَ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلاَّ أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِكَ**»[(٢)].

ش/ قوله: عن عقبة بن عامر.

هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه: [عن][(٣)] عروة بن عامر، كذا أخرجه أحمد، وأبو داود وغيرهما، وهو مكي اختلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي. وقال غيره: الجهني.

واختلف في صحبته، فقال الباوردي: له صحبة. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين.

وقال المزي: لا صحبة له تصح.

قوله: فقال: «**أحسنها الفأل**».

قد تقدم أنه ﷺ كان يعجبه الفأل.

وروى الترمذي وصححه عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع: يا نجيح، يا راشد.[(٤)]

---

(١) كذا في الأصل (عقبة بن عامر)، وصوابه: عروة بن عامر، وقد نبه علىٰ ذلك الشارح.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة (٩/ ٣٩)، وابن السني (٢٩٣)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، عن عروة بن عامر، والصحيح عدم ثبوت صحبته؛ فالحديث يكون مرسلًا، وكذلك الراوي عن عروة: حبيب بن أبي ثابت، ولا يُعلم له سماع من عروة، بل هو مدلس، ولم يصرِّح بالتحديث؛ فالحديث ضعيفٌ لهاتين العلتين، وقوله: «**أحسنها الفأل**» يُشعر أن الفأل من الطيرة؛ فالحديث أولًا ضعيف، وثانيًا علىٰ فرض صحته؛ فإنه يقصد: أحسن من الطيرة الفأل.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) **صحيح**. أخرجه الترمذي (١٦١٦)، وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢/ ٢٠٦)، وسنده صحيح، وهو من رواية حميد، عن أنس، وحميد لم يسمع كثيرًا من أنس، لكن نص الحفاظ علىٰ أنه أخذ بقية =

وروى أبو داود عن بريدة أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملًا سأله عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رُئِيَ كراهية ذلك في وجهه. وإسناده حسن.[١]

وهذا فيه استعمال الفأل.

قال ابن القيم: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها، ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرُّقي بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة.[٢]

قوله: «ولا ترد مسلمًا».

قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.[٣]

قوله: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت».[٤]

أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك

= الأحاديث عنه من قتادة وثابت، كما في "جامع التحصيل"؛ فعلىٰ هذا لا بأس بتصحيحه، والله أعلم.

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود (٣٩٢٠)، وأحمد (٥/ ٣٤٧-٣٤٨)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٨٨٢٢)، وغيرهم، وسنده ضعيف، فهو من طريق قتادة، عن عبدالله بن بريدة، ولم يسمع منه؛ فهو منقطع.

(٢) انتهىٰ من "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٣) انظر: "شرح المشكاة" للطيبي (٤٥٩١).

(٤) قد ثبت في السنة دعاء صحيح غير هذا، وهو قوله: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»؛ لقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما في "صحيح البخاري" (٤٥٦٣): حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقِي في النار، وقالها النبي ﷺ حين قالوا له: إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم.

الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات[(١)] [(٢)].

ففيه نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفعٍ، أو دفع ضرٍّ، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًّا، ويعد من اعتقدها سفيهًا مشركًا.

قولهُ: «ولا حول ولا قوة إلا بك».

استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببًا؛ لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات، ودفع المكروهات، و الحول [والتحول][(٣)]، والانتقال من حال إلى حال، و القوة على ذلك بالله وحده، ففيه التبري من الحول، والقوة، والمشيئة بدون حول الله، وقوته، ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله تعالى.

---

(١) الجمع بين قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [النساء:٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩] هو أن قوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾، أي: خلقًا، وتقديرًا، والآية الثانية: ﴿فَمِنَ اللهِ﴾، أي: أن الله هو الذي وفقك لها ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، أي: ابتلاك الله بسبب إعراضك، وذنوبك، فوقعت في السيئات.

(٢) في المطبوع زيادة: والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب، كقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ❁ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء:٧٨-٧٩].

(٣) في [أ]: والقوة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**الطِّيَرَة شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إلاّ وَلَكِنّ الله يُذْهِبُهُ بِالتّوَكّلِ**» رواه أبو داود والترمذي وصححه.[1]

وجعل آخره من قول ابن مسعودٍ.

ش/ ورواه ابن ماجه، وابن حِبَّان، ولفظ أبي داود: «**الطيرة شرك الطيرة شرك الطيرة شرك**» ثلاثًا، وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى.

قال ابن حمدان: تكره الطيرة. وكذا قال غيره من أصحاب أحمد.

قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها؛[2] لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟.

قال في "شرح السنن": وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

قولهُ: «وما منا إلا».

قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري: في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك.انتهى.

---

(١) **صحيح**. أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وأخرجه أيضًا ابن ماجه (١٦١٤)، وأحمد (١/ ٣٨٩، ٤٣٨)، وابن حبان (٦١٢٢)، والحاكم (١/ ١٧-١٨)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، من طرق عن سلمة بن كهيل، عن عيسىٰ بن عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود به، وهذا إسناد صحيح. وقوله: «وما منا إلا....» إلىٰ آخره، من قول ابن مسعود، فقد نقل الترمذي عقب الحديث عن سليمان بن حرب أنه حكم عليه بالوقف، وبيَّنَ أنه مدرج في الخبر، وأقرَّه علىٰ ذلك البخاري والترمذي.

(٢) هذا هو الصحيح، وراجع "الآداب الشرعية" (٣/ ٣٦٢).

وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام.

قوله: «**ولكن الله يذهبه بالتوكل**».

أي: لكن لما توكلنا على اللهِ في جلب النفع، ودفع الضر؛ أذهبه اللهُ عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: وجعل آخره من قول ابن مسعود.

قال ابن القيم: وهو الصواب؛ فإن الطيرة نوع من الشرك.[1]

(١) انظر: "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٢٨١).

ابن القيم رحمه الله يشير إلىٰ أنه ليس من قوله ﷺ، وهذا رجحه جماعة من الحفاظ؛ لأنَّ النبي ﷺ معصوم في أن يقع في قلبه شيء من الشرك؛ لأنَّ توكل الأنبياء عظيم جدًّا، فيبعد وقوع التشاؤم منهم والطيرة، وأما قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف:١١٠]، أي: استيأسوا من النصرة، والمعنىٰ: أن أتباعهم استيأسوا، وجاء في نفوسهم شيء من تأخر النصر، فظنوا أنَّ رسلهم كَذَبُوهم، أو أنَّ رسلهم قد كُذِبُوا. وهذه الظنون تصدر من كافر، أو منافق، فحصل عند ذلك من الرسل يأس من نصرة أقوامهم لهم، وليس المراد أنَّ الرسل ظنت أن الله لن يحقق لهم ما وعدهم به، وإنما ظن بعض من اتبعهم أنهم لن ينصروا لشدة الابتلاءات، وهذا عائد إلىٰ نقص في بعض أتباع الرسل، هذا علىٰ قراءة تخفيف ﴿كُذِبوا﴾، وأما علىٰ قراءة التشديد ﴿كُذِّبُوا﴾ فيكون المعنىٰ: ظن الرسل أنَّ أتباعهم قد كذبوهم، واستيأسوا من نصرتهم، ويكون الظن ههنا بمعنىٰ اليقين، وكانت عائشة رضي الله عنها كما في "صحيح البخاري" تقرؤها بالتشديد، وتنكر قراءة التخفيف، ولا يجوز تفسير الآية أنَّ الأنبياء ظنوا في ربهم أنه لا ينصرهم؛ فهذا بعيد.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «**أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**».(١)

ش/ هذا الحديث رواه أحمد، والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات.

قولهُ: من حديث ابن عمرو.

هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن،

---

(١) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وابن السني (٢٩٣)، والطبراني في الجزء الموجود من الجزء الثالث عشر رقم (٣٨)، من طرقٍ عن ابن لهيعة، عن عبدالله بن هبيرة، عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي، عن عبدالله بن عمرو به. وابن لهيعة ضعيفٌ سيء الحفظ، والراوي عنه عند ابن السني هو عبدالله ابن وهب، وعند الطبراني في أحد طريقيه هو عبدالله بن يزيد المقرئ؛ ولذلك صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه يرىٰ تصحيح رواية العبادلة عن ابن لهيعة الذي ثالثهم هو ابن المبارك. والذي يظهر أنَّ ابن لهيعة ضعيف مطلقًا كما نص علىٰ ذلك بعض الحفاظ كما في "التهذيب"، وهو اختيار شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تنبيهٌ: رواية ابن وهب في "جامعه" رقم (٦٥٨) ظاهرها الوقف، ولكن رواه ابن السني كما تقدم من طريقه مرفوعًا، فالله أعلم بالصواب.

تنبيهٌ: الحديث له شواهد لا تصلح لتقويته، فالفقرة الأولىٰ منه جاءت عن فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «**من ردته الطيرة فقد قارف الشرك**» أخرجها ابن وهب في "جامعه" (٦٥٦) موقوفًا عليه، وفي إسناده: ابن لهيعة.

- وله طريق أخرىٰ عند ابن وهب وفي إسناده: عبدالرحمن بن شرحبيل بن حسنه، وأبو خراش الحميري، وكلاهما مجهول. انظر "الصحيحة" (١٠٦٥)، ولها شاهد من حديث رويفع عند البزار كما في "الكشف" (٣٠٤٦)، وفيه: شيبان بن أمية، وهو مجهول، وقال أبو حاتم كما في "العلل" لولده (٢٣٤٧): هذا حديث منكر.
- والجملة الثانية من الحديث لها شاهد من حديث بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البزار كما في "الكشف" (٣٠٤٨)، والطبراني في "الدعاء" (١٢٧٠)، وفي إسناده: الحسن بن أبي جعفر، قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء.

أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحَرَّة على الأصح بالطائف.

قولهُ: «**من ردته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك**».

وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي، أو المسموع،(١) فإذا ردَّه شيءٌ من ذلك عن حاجته التي عزم عليها، كإرادة السفر ونحوه، فمنعه عما أراده، وسعى فيه ما رأى وسمع تشاؤمًا؛ فقد دخل في الشرك كما تقدم، فلم يخلص توكله على اللهِ بالتفاته إلى ما سواه، فيكون للشيطان منه نصيب.

قولهُ: فما كفارة ذلك؟ إلى آخره.

فإذا قال ذلك، وأعرض عما وقع في قلبه [ولم يلتفت إليه؛ كَفَّر الله عنه ما وقع في قلبه](٢) ابتداء؛ لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على اللهِ وحده، والإعراض عما سواه.

وتضمن الحديث أن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه، وأما من لم يخلص توكله على اللهِ، واسترسل مع الشيطان في ذلك؛ فقد يُعاقب بالوقوع فيما يكره؛ لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله، وأن الخير كله بيده؛ فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه وإحسانه، فلا خير إلا منه، وهو الذي يدفع الشر عن عبده، فما أصابه من ذلك فبذنبه كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[النساء:٧٩].

---

(١) زاد العلامة العثيمين ﵀: أو المعلوم، كالتشاؤم بالأيام، والأشهر.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

قال المصنف رحمه الله: وله من حديث الفضْل بن عباس رضي الله عنه: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**».

ش/ هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يومًا، فبرح ظبي فمال في شقه، فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تطيرت؟ فقال: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»[(١)].

وفي إسناده انقطاع، أي: بين مسلمة راويه، وبين الفضل، وهو الفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ.

قال ابن معين: قُتل يوم اليرموك. وقال غيره: قُتل [يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود: قُتل][(٢)] بدمشق، كان عليه درع النبي ﷺ.

قوله: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**».

هذا حَدُّ الطيرة المنهي عنها: [أنها][(٣)] ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك[(٤)]، وأما الفأل الذي كان يحبه النبي ﷺ فيه نوع بشارة، فيسر به العبد،

(١) **ضعيف**. أخرجه أحمد (١/ ٢١٣)، من طريق: محمد بن عبدالله بن علاثة، عن مسلمة الجهني، عن الفضل بن عباس به، وهذا إسناد ضعيف؛ لأن مسلمة الجهني لم يسمع من الفضل؛ فإنه متقدم الوفاة، وقد حكم عليه بالانقطاع ابنُ مفلح في "الآداب الشرعية" (٣/ ٣٦١)، وفي إسناده أيضًا: ابن علاثة، مختلف فيه، والراجح ضعفه.

❁ وله شاهدٌ من حديث أبي أمامة، رواه أبو يعلىٰ كما في "المطالب العلية" (٢٧٣٨) ط/ قرطبة، ولكنه شديد الضعف؛ لأنَّ في إسناده: جعفر بن الزبير، وهو متروك.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٣) في المخطوطتين: (لأنها)، والمثبت أقرب.

(٤) هذا الحديث فيه قصر الطيرة علىٰ من رده التطير فقط، والصحيح كما تقدم أن الطيرة تشمل إذا رده، وكذلك إذا مضىٰ في العمل وهو قلق، وخائف غير منشرح الصدر، ورجح هذا ابن عثيمين رحمه الله.

ولا يعتمد عليه، بخلاف ما يمضيه أو يرده؛ فإنَّ للقلب عليه نوع اعتماد، فافهم الفرق، والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: التنبيه علىٰ قوله: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ مع قوله: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾.

الثانية: نفي العدوىٰ.

الثالثة: نفي الطِّيَرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصَّفَر.

السادسة: أنَّ الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أنَّ الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يُذْهِبُه اللهُ بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول مَنْ وَجَده.

العاشرة: التصريح بأنَّ الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

٢٨- بَاب مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ.

ش/ قال شيخ الإسلام[(١)]: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.[(٢)]

وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه [هو][(٣)] ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها، وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات، وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه.[(٤)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: قال البخاري في "صحيحه": قال قتادة: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. انتهىٰ.

ش/ هذا الأثر عَلَّقه البخاري في "صحيحه"، وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد،

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٣٥/ ١٩٢).

(٢) هذا هو الأشهر في علم النجوم، وجاء فيه الحديث: «**من اقتبس علمًا من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر**»، وهناك نوع يُجيزه العلماء سيأتي بيانه، وهو الاستدلال بها علىٰ الاتجاهات، أو أوقات الزراعة، أو ما أشبهه، فالعلم المحظور هو علم التأثير، والعلم الجائز هو علم التسيير.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) انتهىٰ من "معالم السنن" (٤/ ٢١٢-٢١٣).

وابن جرير، وابن المنذر وغيرهم.[(١)]

وأخرجه الخطيب في كتاب "النجوم" عن قتادة، ولفظه قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك؛ فقد قال برأيه، وأخطأ حَظَّه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإنَّ ناسًا جَهَلَة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: (من أعرس بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا)، و(من سافر بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا)، ولعمري، ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير، والحسن والذَّميم، وما علم هذه النجوم، وهذا الدابة، وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحدًا علم الغيب؛ لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء. انتهى.[(٢)]

وتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من هذه المنكرات في عصر التابعين، وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذه الأعصار، وَعَمَّت به البلوى في جميع الأمصار، فَمُقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَعَزَّ في الناسِ من ينكره، وعظمت المصيبة في الدين، فَإِنَّا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: خلق الله هذه النجوم لثلاث.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾

---

(١) علقه البخاري في "صحيحه" في [كتاب بدء الخلق/ الباب رقم (٣)]، ووصله عبد بن حميد في "تفسيره" كما في "التغليق" (٣/ ٤٨٩): ثنا يونس، ثنا شيبان، عن قتادة به، وهذا إسناد صحيح.

❁ وأخرجه ابن جرير في تفسير سورة الملك [آية:٥]، وأبو الشيخ في "العظمة" (٧٠٢)، من طريق: سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

❁ وأخرجه أيضًا عبدالرزاق، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" [آية:٩٧] من سورة الأنعام.

(٢) أخرجه الخطيب في كتابه "القول في النجوم" كما في "الدر المنثور" [آية:٩٧] من سورة الأنعام،وهو عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩/ ٢٩١٣): حدثنا أبي، ثنا هشام بن خالد، ثنا شعيب بن إسحاق، ثنا سعيد، عن قتادة، فذكره بطوله مع زيادة، وإسناده صحيح، رجاله ثقات معروفون.

[الملك:٥]، وقال تعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[النحل:١٦]، وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما السماء الدنيا؛ فإن الله خلقها من دخان، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وزينها بمصابيح، وجعلها رجوما للشياطين، وحفظًا من كل شيطان رجيم**».(١)

قوله: وعلامات.

أي: دلالات على الجهات يُهتَدَى بها، أي: يهتدي بها الناس في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، أي: ليعرفوا بها جهة قصدهم، وليس المراد أنه يُهْتَدَى بها في علم الغيب كما يعتقده المنجمون، وقد تقدم [وجه](٢) بطلانه، وأنه لا حقيقة له كما قال قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك، أي: زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث؛ فقد أخطأ حيث زعم شيئًا ما أنزل الله به من سلطان، وأضاع نصيبه من كل خير؛ لأنه أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه.

فإن قيل: المنجم قد يصدق؟

قيل: صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة ويكذب في مائة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا فيكون فتنة في حق من صدقه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ﴾ [النحل:١٥-١٦]، فقوله: ﴿وَعَلامَاتٍ﴾ معطوف على ما تقدم مما ذكره في الأرض، ثم استأنف، فقال: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ذكره ابن جرير عن ابن عباس بمعناه.(٣)

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في "الدر المنثور" [آية:١٧] من سورة الحجر، ولم يذكر إسناده.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) أثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن جرير في تفسير سورة النحل [آية:١٥-١٦]، وفيه سلسلة العوفيين؛ فسنده ضعيف.

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم، كقوله: «**من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»(١).

وعن رجاء بن حيوة أن النبي ﷺ قال: «**مما أخاف علىٰ أمتي: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة**» رواه عبد بن حميد.(٢)

وعن أبي محجن مرفوعًا: «**أخاف علىٰ أمتي ثلاثًا: حيف الأئمة، وإيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا بالقدر**» رواه ابن عساكر، وحسنه السيوطي.(٣)

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**أخاف علىٰ أمتي بعدي خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وإيمانًا بالنجوم**»(٤)، رواه أبو يعلي، وابن عدي، والخطيب في كتاب "النجوم"، وحسنه السيوطي أيضًا، والأحاديث في ذم التنجيم والتحذير منه كثيرة.

---

(١) تقدم تخريجه في الباب رقم (٢٤).

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" في تفسير سورة الواقعة عند الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، ولم يذكر سنده، وتفسير عبد بن حميد مفقود.

(٣) رواه ابن عساكر في "تاريخه" (٥٨/ ٤٠١)، وابن عبدالبر في "جامع بيان العلم" (١٤٨٢)، وفي سنده: أبو سعد البقَّال، واسمه: سعيد بن المرزبان، وهو شديد الضعف، قال فيه بعضهم: متروك. وقال بعضهم: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الحافظ في "الإصابة": ولم يدرك أبا محجن. وفيه رجل ضعيف اسمه: علي بن يزيد الصدائي.

(٤) **ضعيف جدًّا**. أخرجه أبو يعلىٰ (٤١٣٥)، وابن عدي (٤/ ١٣٥٠)، وهو شديد الضعف، في سنده: يزيد الرقاشي متروك.

❁ وذكر السيوطي أيضًا في "الدر المنثور" مرسلًا آخر عن عبدالله بن محيريز، وعزاه لعبد بن حميد.

❁ وجاء حديث بمعناه عن أبي أمامة عند الطبراني (٨١١٣)، وفيه عدة علل: فيه ليث بن أبي سُلَيم، وميمون بن زيد وهماضعيفان، وفيه زيد بن الحريش وهو مجهول حال، وفيه انقطاع بين عبدالرحمن بن سابط، وأبي أمامة.

❁ وليث بن أبي سليم له فيه إسناد آخر، فقد رواه عن طلحة بن مصرف مرسلًا، أخرجه أبو عمرو الداني في "السنن الورادة في الفتن" برقم (٢٨٢).

قال المصنف رحمه الله: وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّص ابنُ عيينة فِيْهِ. ذَكَرَهُ حَرْب عَنْهُما. وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْـمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.[(١)]

ش/ قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يُدرك من طريق المشاهدة، والخبر الذي يُعرف به الزوال، وتعلم به جهة القبلة؛ فإنه غير داخل فيما نُهي عنه؛ وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا بأكثر من أنَّ الظل ما دام متناقصًا؛ فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة؛ فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوا له من الآلات التي يَستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته، وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة؛ فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به عنها مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها على حال الغيبة عنها؛ فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم؛ إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم. انتهى.[(٢)]

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل منازل القمر.[(٣)]

ورُوي عن إبراهيم أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به.[(٤)]

---

(١) انظر: "فضل علم السلف على علم الخلف" ضمن "مجموع رسائل الحافظ ابن رجب" (٣/ ١١-١٢).

(٢) من "معالم السنن" (٤/ ٢١٣).

(٣) يعني من أجل أن يعرف بها الوقت والمكان، والأثر أخرجه الخطيب في كتابه "النجوم" (ص١٣٣) كما في "الدر المنثور" (٦/ ١٥٠) ط/ دار هجر، [آية:٩٧] من سورة الأنعام.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤)، وأبو نعيم في "الحلية" (٤/ ٢٢٥)، من طريق: جرير بن عبدالحميد، عن منصور، عن إبراهيم به، وهذا إسناد صحيح.

قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه: [علم][(١)] التسيير، لا علم التأثير؛ فإنه باطل مُحَرَّم قليله وكثيره، وأما علم التسيير [فَتَعَلُّم][(٢)] ما يحتاج إليه منه للاهتداء، ومعرفة القبلة، والطرق، جائز عند الجمهور.[(٣)]

قوله: ذكره حرب عنهما.

هو الإمام الحافظ: حرب بن إسماعيل، أبو محمد الكرماني، الفقيه، من جلة أصحاب الإمام أحمد، روى عن أحمد، وإسحاق، وابن المديني، وابن معين وغيرهم، وله كتاب "المسائل" التي سُئل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين.

وأما إسحاق فهو ابن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه، روى عن ابن المبارك، وأبي أسامة، وابن عيينة وطبقتهم، قال أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين.

روى عنه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود وغيرهم، وروى هو أيضًا عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

---

(١) ساقط من [ب].
(٢) في المخطوطتين: (فيتعلم منه)، والمثبت من كتاب ابن رجب "فضل علم السلف".
(٣) انظر: "فضل علم السلف على علم الخلف" ضمن "مجموع رسائل ابن رجب" (٣/ ١٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ**» رواه أحمد، وابن حبان في "صحيحه".

ش/ هذا الحديث رواه أيضًا الطبراني، والحاكم، وقال: صحيح. وأقرَّه الذهبي، وتمامه: «**ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن**»[(١)].

قوله: عن أبي موسى.

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار -بفتح المهملة وتشديد الضاد- أبو موسى الأشعري، صحابي جليل، مات سنة خمسين.

قوله: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة**».

---

(١) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وابن حبان (٥٣٤٦) (٦١٣٧)، والحاكم (٤/ ١٤٦)، وأبو يعلىٰ (٧٢٤٨)، والطبراني كما في "مجمع الزوائد" (٥/ ٧٤)، وهو من طريق: فضيل بن ميسرة، عن عبدالله بن حسين أبي حريز، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ، فعبد الله بن الحسين فيه ضعف، وفضيل بن ميسرة ضاع عليه الكتاب الذي فيه مسموعاته من عبدالله بن الحسين، قال: فاستدركته من إنسان. فيكون في السند رجل مبهم كما في "التهذيب"، وبعض ألفاظه صحيحة، كـ«**قاطع الرحم لا يدخل الجنة**»، هذا في "البخاري" (٥٩٨٤)، و"مسلم" (٢٥٥٦)، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه بلفظ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»، وكذلك «**مدمن الخمر**» صح فيه أحاديث خارج "الصحيحين"، جاء ذلك من حديث عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما عند أحمد (٢/ ٢٠١)، وعن أبي سعيد رضي الله عنه عند أحمد أيضًا (٣/ ٢٨)، وعن أنس رضي الله عنه عند أحمد كذلك (٣/ ٢٢٦)، وفي أسانيدها ضعف منجبر، وجاء عن أبي الدرداء عند أحمد (٦/ ٤٤١)، وإسناده حسن، وهو في "الصحيح المسند" (١٠٤٤)، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما (١١١٦٨)، وفي سنده ضعف يسير.

هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها،[(١)] وقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت، ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم، وأحسن ما يُقال: إنَّ كُلَّ عملٍ دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام؛ فإنه يرجع إلى مشيئة الله؛ فإن عذبه به فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته.

قوله: «مدمن الخمر».

أي: المداوم على شربها.

قوله: «وقاطع الرحم».

يعني القرابة، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢] الآية.

قوله: «ومصدق بالسحر».

أي: مُطْلَقًا، ومنه التنجيم؛ لما تقدم من الحديث، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

قال الذهبي في "الكبائر": ويدخل فيه تعلم السيميا[(٢)] وعملها، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته، وبغضها، وبغضه، وأشباه ذلك، بكلمات مجهولة.

قال: وكثير من الكبائر -بل عامتها إلا الأقل- يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه. انتهى.[(٣)]

---

(١) لابد من تأويلها؛ جمعًا بين الأدلة، فيحمل علىٰ من استحل ذلك، أو أنه لا يدخلها دخولًا أوليًا إن جازاه الله بفعله، وكراهية بعض السلف لتأويلها إنما هو في حق من يتساهل في المعاصي، فتذكر له بظاهرها؛ لينزجر، وأما من يفهم منها فِهْمَ الخوارج؛ فيجب البيان له، والله أعلم.

(٢) هي إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس. "المعجم الوسيط".

(٣) انظر: "الكبائر" (ص٣٢) ط/ مكتبة المنار.

فيه مسائل:

الأولىٰ: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الردُّ علىٰ من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

٢٩- باب مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بالأنْوَاءِ

قال المصنف رحمه الله: باب مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بالأَنْوَاءِ.

ش/ أي: من الوعيد، والمراد: نسبة السقيا، ومجيء المطر إلى الأنواء، جمع نوء، وهي منازل القمر.

قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلةً منها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[يس:٣٩] يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، ويقولون: مُطرنا بنوء كذا. وإنما سُمِّيَ نوءًا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع.

قال المصنف رحمه الله: وقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

ش/ روى الإمام أحمد والترمذي -وحسنه- وابن جرير، وابن أبي حاتم، والضياء في "المختارة" عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**﴿وتجعلون رزقكم﴾، يقول: شكركم ﴿أنكم تكذبون﴾، تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، [بنجم كذا وكذا]**[1]»، وهذا أولى ما فسرت به الآية.[2]

(١) ساقط من [ب].

(٢) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٨٤٩)، والترمذي (٣٢٩٥)، وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" [آية:٨٢] من سورة الواقعة، وابن جرير كذلك في تفسير [آية:٨٢] من سورة الواقعة، وفي سنده: عبدالأعلىٰ بن عامر الثعلبي، وهو ضعيف، وقد رواه عنه: إسرائيل هكذا مرفوعًا، وخالفه سفيان الثوري، فرواه موقوفًا كما في "تفسير الطبري". **ومعنى الآية**: أنهم جعلوا شكر الرزق تكذيبًا، فنسبوا النعمة لغير الله بأنها من النجم كذا، فكانوا يعتقدون أنَّ هذه النجوم لها تأثير في نزول المطر، وهذا كفرٌ.

ورُوي ذلك عن علي، وابن عباس، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني[(١)] وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية.

قال ابن القيم: أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكذيب به، يعني القرآن، [قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون،[(٢)]][(٣)] قال: وخسر عبدٌ لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب.

قال المصنف رحمه الله: وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»، وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». رواه مسلم.[(٤)]

ش/ أبو مالك اسمه: الحارث بن الحارث الشامي، صحابي تفرَّد عنه بالرواية أبو سلام، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا.[(٥)]

---

(١) أخرج هذه الآثار كلها ابنُ جرير في تفسير سورة الواقعة [آية:٨٢].

❁ أثر علي فيه: عبدالأعلىٰ بن عامر الثعلبي، تقدم في المرفوع أنه ضعيف.

❁ وأثر ابن عباس رضي الله عنهما سنده صحيح؛ فإنه من طريق: محمد بن بشار، عن محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وهذا إسنادٌ رجاله رجال الشيخين، وأخرجه أيضًا من وجهين آخرين عن أبي بشر به.

❁ أثر قتادة سنده صحيح، لكن فيه التكذيب مطلقًا، أي: الكفر بالله.

❁ أثر الضحاك سنده ضعيف، فيه: الحسين بن داود الملقب بسُنَيد، وهو ضعيف، وفيه رجل مبهم.

❁ أثر عطاء الخراساني صحيح؛ فإنه من طريق: محمد بن عبدالأعلىٰ، ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عطاء الخراساني به، وكلهم ثقات.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسير الواقعة [آية:٨٢] من طريق: معمر، عن الحسن، وهي رواية منقطعة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٤) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤).

(٥) **أحدهما اسمه:** كعب بن عاصم، **والثاني:** مختلف في اسمه، قيل: عمرو. وقيل: عبيد. انظر:=

قوله: «أربع في أمتي من أمر بالجاهلية لا يتركونهن».

ستفعلها هذه الأمة إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك، مع كونها من أعمال أهل الجاهلية المذمومة، المكروهة، المحرمة، والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث، سُمُّوا بذلك لفرط جهلهم، وكل ما يخالف ما جاء به رسول الله ﷺ فهو جاهلية، فقد خالفهم رسول الله ﷺ في كثير من أمورهم، أو أكثرها، وذلك يُدْرَكُ بتدبر القرآن، ومعرفة السنة.[١]

قال شيخ الإسلام: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذمًّا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أنَّ كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها للجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[الأحزاب:٣٣]؛ [فإنَّ في ذلك ذَمًّا للتبرج، وَذَمًّا لحال الجاهلية الأولى][٢]، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.[٣]

قوله: «الفخر بالأحساب».

أي: التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهلٌ عظيم؛ إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

= "الإصابة" في فصل الكُنَىٰ.

(١) في المطبوع زيادة: ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف ذكر فيه ما خالف رسول الله ﷺ فيه أهل الجاهلية بلغ مائة وعشرين مسألة.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٣) انتهىٰ من "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٠٥-٢٠٦).

ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة**[(١)] **الجاهلية، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، ليدعن رجال فخرَهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**» الحديثَ.[(٢)]

قوله: «**والطعن في الأنساب**».

أي: الوقوع فيها بالعيب والتنقص، ولما عَيَّرَ أبو ذر ﷺ رجلًا بِأُمِّهِ، قال النبي ﷺ: «**أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**» متفق عليه.[(٣)]

فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسمَّاة بجاهلية، ويهودية، ونصرانية، ولا يُوجب ذلك كفره، ولا فسقه، قاله شيخ الإسلام.[(٤)]

قوله: «**والاستسقاء بالنجوم**».

أي: نسبة المطر إلى النَّوْء، وهو سقوط النجم.

كما أخرج الإمام أحمد، وابن جرير عن جابر السوائي قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) العُبِيَّة، ويقال: العِبِّيَّة: هي الكبر، والنخوة. قاله الخطابي في "غريب الحديث" (١/ ٢٩٠).

(٢) **صحيح لغيره**. أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١)، وفي سنده: هشام بن سعد، وفيه ضعف، وله شواهد يصحح بها:

❁ فقد جاء عن رجل مبهم بإسناد صحيح في "مسند أحمد" (٥/ ٤١١) ما يشهد للفقرة «**الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب**».

❁ وجاءت الجملة الأخيرة: «**ليدعن رجال فخرهم بأقوام...**» في شاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في "مسند أحمد" (٢٧٣٩) أيضًا بإسناد صحيح، وكلاهما في "الصحيح المسند" لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (١٥٢٣) (٦٧٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠)، ومسلم برقم (١٦٦١).

(٤) كما في "الاقتضاء" (١/ ٢٢٠-).

يقول: «**أخاف علىٰ أمتي ثلاثا: استسقاء بالنجوم، وحيف السلطان، وتكذيبًا بالقدر**»[(١)].

فإذا قال قائلهم: مُطرنا بنجم كذا، أو بنوء كذا؛ فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في نزول المطر؛ فهذا شركٌ وكفرٌ، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا، أو أنه يشفع [لهم][(٢)] بدعائهم إياه، فهذا هو الشرك الذي بعث اللهُ رسولَه ﷺ بالنهي عنه، وقتال من فعله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ﴾[الأنفال:٣٩]، والفتنة الشرك، وإما أن يقول: مُطرنا بنوء كذا -مثلًا- لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز، فقد صَرَّح ابن مفلح في "الفروع" بأنه يحرم قول (مطرنا بنوء كذا)[(٣)].

وجزم في "الإنصاف" بتحريمه، ولم يذكرا خلافًا[(٤)]، وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر، ولا قدرة له على شيء؛ فيكون ذلك شركًا أصغر، والله أعلم.

---

(١) **ضعيف جدًّا**. أخرجه أحمد (٥/ ٩٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٢٤)، وأبو يعلىٰ (٧٤٦٢)، والبزار كما في "الكشف" (٢١٨١)، والطبراني (١٨٥٣)، وفي سنده: محمد بن القاسم الأسدي، كذبه أحمد، والدارقطني، وضعفه بعضهم، وتفرد ابن معين بتوثيقه. والتكذيب جرح مفسر مقدم علىٰ توثيق ابن معين؛ ولعل هذا الرجل تزين لابن معين فوثقه؛ لأنَّ الكذابين والمجروحين كانوا يهابون ابن معين رَحِمَهُ اللهُ، فربما يتزين بعضهم له حتىٰ يوثقه، فإذا رأيت راويًا أجمع الحفاظ علىٰ جرحه، وتفرد ابن معين بتوثيقه؛ فهذا الاحتمال وارد، وهو أنه تزين له، ويحتمل أن ابن معين اجتهد فيه؛ فيقدم عندئذٍ الجرح المفسر. فهذا الحديث شديد الضعف، وتقدمت له شواهد في الباب السابق رقم (٢٨) لا تصلح للتقوية، والله أعلم.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) انظر: "الفروع" لابن مفلح (٢/ ١٦٣).

(٤) انظر: "الإنصاف" (٢/ ٤٣٤)، وقول الشارح: (ولم يذكرا خلافًا)، أي: في مذهب الحنابلة، والواقع أنه قد وُجِدَ خلافٌ، وقد عَزا ابنُ رجب القول بالتحريم إلىٰ أكثر الحنابلة، قال: والنصوص تدل عليه. قال: وقال طائفةٌ: هو مكروه. وهو قول الشافعي وأصحابه، وبعض أصحابنا. انتهىٰ من "الفتح" لابن رجب (١٠٣٨).

قولهُ: «**والنياحة**».

أي: رفع الصوت بالندب على الميت؛ لأنها تسخط لقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب،[(١)] وهي من الكبائر؛ لشدة الوعيد والعقوبة.

قولهُ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها**».

فيه: تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب وإن عَظُمَ، هذا مجمع عليه في الجملة، وتكفر أيضًا بالحسنات الماحية، والمصائب، ودعاء المسلمين بعضهم لبعض، وبالشفاعة بإذن الله، وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك [به شيئًا][(٢)].

وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعًا: «**إن الله تعالىٰ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان.[(٣)]

قولهُ: «**تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**».

قال القرطبي: السِّرْبَال واحد السرابيل، وهي الثياب والقميص، يعني أنهن يلطخن بالقطران، فيكون لهنَّ كالقمص، حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وألمها بسبب الجرب أشد.[(٤)]

ورُوي عن ابن عباس: أن القطران هو النحاس المذاب.[(٥)]

---

(١) الناس يتفاوتون في الصبر، لكن الصبر علىٰ المصائب واجب، والصبر علىٰ الطاعات الواجبة واجب، والصبر علىٰ ترك المعاصي واجب، لكن الصبر علىٰ فعل النوافل مستحب، وكذلك الصبر علىٰ ترك المكروهات مستحب.

(٢) في [ب]: بالله شيئًا.

(٣) **حسن**. أخرجه أحمد (٢/ ١٣٢)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وابن حبان (٦٢٨)، كلهم من طريق: عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن ابن عمر رضي الله عنهما به، وإسناده حسن. ووقع عند ابن ماجه (عبدالله بن عمرو)، وهو وهم، وقد نبه عليه المزي في "تحفة الأشراف".

(٤) انتهىٰ من "المفهم" (٢/ ٥٨٨).

(٥) **ضعيف**. أخرجه ابن جرير عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[إبراهيم:٥٠] من طريق: عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهذا إسنادٌ=

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولهما عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: صَلَّىٰ لنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ علىٰ إِثْرِ سمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبّكُمْ؟**» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**»[(١)].

ش/ زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل: غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة.

قوله: صلى لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أي: بنا، فاللام بمعنى الباء.

قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مجازًا، وإنما الصلاة لله.[(٢)]

قوله: بالحديبية.

بالمهملة وتخفيف يائها، وتثقل.

قوله: على إِثْرِ. بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشيءَ.

قوله: سماء. **أي**: مطر؛ لأنه ينزل من السحاب، والسماء يُطلق على كل ما ارتفع.

قوله: فلما انصرف.

أي: من صلاته، أي: التفت إلى المأمومين كما يدل عليه قوله: أقبل على الناس، ويحتمل أنه أراد السلام.

قوله: «**هل تدرون؟**».

= ضعيف؛ لضعف عبدالله بن صالح، ولانقطاعه بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس.

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٤٦)، ومسلم برقم (٧١).

(٢) انتهىٰ من "الفتح" رقم (١٠٣٨).

لفظ استفهام، ومعناه التنبيه، وفي النسائي: «**ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟**»[(١)]، وهذا من الأحاديث القدسية، وفيه إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبرهم.

قوله: قالوا: الله ورسوله أعلم.

فيه حُسْنُ الأدب للمسئول إذا سئل عما لا يعلم أَنْ يَكِلَ العلم إلى عالمه، وذلك يجب.

قوله: «**أصبح من عبادي**».

الإضافة هنا للعموم[(٢)]؛ بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[التغابن:٢].

قوله: «**مؤمن بي وكافر**».

إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر فهذا كفر؛ لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر، وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره؛ ولأن الله لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء.

ودل هذا الحديث [على][(٣)] أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره، ولو على سبيل المجاز، وأيضًا الباء تحتمل معانٍ[(٤)]، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية،

---

(١) أخرجه النسائي (٣/ ١٦٥) بإسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٢) المقصود بقوله: (الإضافة للعموم)، أي: العبادة العامة؛ لأنَّ العبادة نوعان: عبادة عامة، وعبادة خاصة، فالعبادة العامة تتضمن معنىٰ: القهر، والذل، فكل المخلوقات مقهورة، ومذللة لله تعالىٰ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، والعبادة الخاصة تتضمن: توفيق العبد للطاعة.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) ذكر الشارح أنها للسببية، والاستعانة، والمصاحبة، وهناك معنىٰ آخر للباء، وهو الظرفية «**مُطرنا بنوء كذا**»، أي: في نوء كذا، وعند حلول النوء الفلاني، والباء إذا كانت للظرفية فهي بمعنىٰ (في). وهذا اللفظ إن كان لا يعتقد فيه أنَّ النوء سببٌ، ولا مؤثر؛ فهو جائز، والأفضل تركه حتىٰ لا يفهم منه غير ذلك؛ لاسيما إذا كان بالباء، وأما بغير الباء كـالفاء فالأمر فيها أهون؛ لأنَّ الباء الاشتباه فيها كبير؛ =

ولا للاستعانة؛ لما عرفت من أن هذا باطل، ولا تَصْدُق أيضًا على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه، وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه برحمته، وحكمته، وفضله، فكل معنى تُحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد، فيظهر على هذا تحريم هذه اللفظة مطلقًا؛ لفساد المعنى، وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب "الفروع" و"الإنصاف".

قال المصنف: وفيه التفطن للإيمان في هذا الموضع[(١)] يشير إلى أنه الإخلاص.

قوله: «فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته».

فالفضل والرحمة صفتان لله، ومذهب أهل السنة والجماعة: أنَّ ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسولُه ﷺ من صفات الذات: كالحياة والعلم، وصفات الأفعال كالرحمة التي يرحم بها عباده، كلها صفات لله، قائمة بذاته، ليست قائمة بغيره، فتفطن لهذا، فقد غلط فيه طوائف.

وفي هذا الحديث: أنَّ نِعَمَ الله لا يجوز أن تُضاف إلا إليه وحده، وهو الذي يحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد.

قوله: «وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا» إلى آخره.

[قد][(٢)] تقدم ما يتعلق بذلك.

قال المصنف: وفيه التفطن للكفر في هذا الموضع.[(٣)]

= لأن أكثر استعمال الباء للسببية، والاستعانة، واستعمالها للظرفية قليل، وهذا نبه عليه العلامة العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (٢/ ١٥٧)، وقد أجاز بعض الحنابلة أن يقال: (مطرنا في نوء كذا، وكذا) مريدًا الظرفية كما في "الإنصاف" (٢/ ٤٣٤)، و"الفتح" لابن رجب (١٠٣٨)، وكره بعضهم ذلك إلا أن يقيده برحمة الله عزوجل. والأول أظهر –والله أعلم– وهو اختيار العلامة العثيمين رحمه الله.

(١) انظر المسائل رقم (٦).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) انظر المسائل من "كتاب التوحيد" رقم (٧).

يشير [إلى][(١)] أن نسبة النعمة إلى غير الله كفر؛ ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه، وإن لم يعتقد تأثير النوء في إنزال المطر، فيكون من كفر النعم؛ لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها، ونسبتها إلى غيره، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النحل:٨٣].

قال القرطبي في شرح حديث زيد بن خالد: وكانت العرب إذا طلع نجم من الشرق وسقط آخر من المغرب، فحدث عند ذلك مطرٌ، أو ريحٌ، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب، نسبةَ إيجادٍ واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث، فنهى الشارع عن إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحد اعتقادهم، ولا يتشبه بهم في نطقهم.انتهى.[(٢)]

قوله: فمنهم من ينسبه نسبة إيجاد.

يدل على أن بعضهم كان لا يعتقد ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[العنكبوت:٦٣]، فدل على أن منهم من يعرف، ويقر بأن الله هو الذي أوجد المطر، [وقد يعتقد][(٣)] هؤلاء أن للنوء فيه شيئًا من التأثير، والقرطبي في شرحه لم يصرح أن العرب كلهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي ذكره، فلا اعتراض عليه بالآية؛ للاحتمال المذكور.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) من "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (١/ ٢٦٠).

(٣) في [ب]: ويعتقد.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾[1] [الواقعة:٧٥-٨٢].

ش/ [ولفظه][2] عن ابن عباس قال: مُطِرَ الناسُ على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾.

هذا قَسَمٌ من الله عزوجل يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء، وجواب القسم: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾؛ فتكون (لا) صلة لتأكيد النفي،[3] فتقدير الكلام: ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر، أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

قال ابن جرير: قال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: فليس الأمر كما تقولون، ثم استؤنف القسم بعد فقيل: أقسم [بمواقع][4] النجوم.[5] قال ابن عباس: يعني نجوم القرآن؛ فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا في

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٣)، ولم يخرجه البخاري، وأخرجه مسلم أيضًا بنحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٧٢) بدون نزول الآية.

(٢) في المخطوطتين: (وبلفظه) والمثبت أقرب.

(٣) هذا هو الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين.

(٤) في المخطوطتين: (ومواقع)، والمثبت أقرب

(٥) هذا ضعفه الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، وأورد عليه الآية الأخرىٰ: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١-٢]، فقال: التكرار يدل علىٰ خلاف هذا القول، ويدل علىٰ أنها صلة وتوكيد كما تقدم، وهذان القولان أصح ما ذُكر.اهـ وذكر قولين آخرين عند قوله تعالىٰ: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[البلد:١].

السنين بعد، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية.(١)

ومواقعها: نزولها شيئًا بعد شيء. وقال مجاهد: مواقع النجوم: مطالعها ومشارقها،(٢) واختاره ابن جرير، وعلى هذه فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه -وهو القرآن- من وجوه: **أحدها:** أن النجوم جعلها الله يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدي بها في ظلمات الغي والجهل، فتلك هداية في الظلمات الحسية، والقرآن هداية في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة، وفي القرآن من الزينة الباطنة، ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن، والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة، والدلالة على آياته القرآنية، ومواقعها عند النزول ذكره

---

(١) نجوم القرآن يعني أنه نزل منجمًا، أي: مقطعًا، ومفرَّقًا.

❁ وهذا الأثر أخرجه الطبري في "تفسيره" سورة الواقعة [آية:٧٥]، وفي سنده: حكيم بن جبير، أخو سعيد بن جبير، وهو متروك، ولكن الأثر صحيح بدون قراءة الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، والثابت عنه قوله: نزل القرآن جملة واحدة إلىٰ بيت العزة في السماء في ليلة القدر، ثم نزل مفرَّقًا علىٰ النبي ﷺ في السنوات.

❁ وهو عند ابن أبي شيبة (٧/ ١٩١)، وعند النسائي في "الكبرىٰ" (٥/ ٧)، وعند الطبراني رقم (١٢٣٨١)، ففيه أنه نزل في ليلة القدر، ومعلوم أنه نزل مفرقًا علىٰ حسب الأحوال؛ فيكون أحسن جمع لها ما ذكره ابن عباس.

تنبيهٌ: إنزال القرآن إلىٰ السماء الدنيا لا يلزم منه أن الله قد تكلم به قديمًا، فالقرآن مكتوب في اللوح، ومع ذلك لا يلزم أن الله قد تكلم به عند أن قال للقلم: «**اكتب**»؛ فهو في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة:٧٨]، فالله تعالىٰ يعلم ما سيتكلم به، فكتبه في اللوح المحفوظ، ونزل جملة في ليلة القدر إلىٰ السماء الدنيا، ويتكلم بالقرآن عند أن يشاء ذلك؛ فكان النبي ﷺ إذا حصل له أمرٌ، وأراد الله أن يوحي إليه ببعض القرآن أوحىٰ إلىٰ جبريل، فيتكلم بالقرآن، فيسمعه جبريل، فينزل به إلىٰ النبي ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]، ومعنىٰ ﴿مُحْدَثٍ﴾، أي: متجدد، يعني: أراد الله أن يوحيه إلىٰ جبريل في ذلك الوقت، ويتكلم به.

(٢) سنده صحيح، وهو في "تفسير ابن جرير" [آية:٧٥] من سورة الواقعة.

ابن القيم.[١]

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن كثير: أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾.

هذا هو المقسم عليه، وهو القرآن، أي: إنه وحي الله، وتنزيله، وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحر، أو كهانة، أو شِعر، بل هو قرآن كريم، أي: عظيم، كثير الخير؛ لأنه كلام الله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فوصفه بما يقتضي حسنه، وكثرة خيره ومنافعه، وجلالته؛ فإن الكريم هو البهي الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه، وأفضله، والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره، وحسن منظره، من النبات وغيره؛ ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن. قال الأزهري: الكريم اسم جامع لما يحمد، والله تعالى كريم جميل الفعال، وإنه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى، والبيان، والعلم، والحكمة.[٢]

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

أي: معظم في كتاب معظم محفوظ موقر، قاله ابن كثير.

وقال ابن القيم: اختلف المفسرون في هذا، فقيل: هو اللوح المحفوظ. والصحيح أنه

---

(١) انظر: "التبيان في أقسام القرآن" (ص١٣٨) مكتبة الرياض.

(٢) انتهىٰ من "التبيان في أقسام القرآن" (ص١٤١).

الكتاب الذي بأيدي الملائكة،(١) وهو المذكور في قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ*مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ*بِأَيْدِي سَفَرَةٍ* كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٣-١٦]، ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾؛ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه.(٢)

قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: الكتاب الذي في السماء.

وفي رواية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني الملائكة.(٣)

وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس.(٤)

واختار هذا القول كثيرون، منهم ابن القيم ورجحه.(٥)

وقال ابن زيد: زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[الشعراء:٢١٠-٢١٢].(٦)

---

(١) الذي يظهر أن الأقرب هو القول الأول: أنَّ المراد به أنه اللوح المحفوظ، ويدل عليه الآية التي في سورة البروج: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١-٢٢]، والذي ذكره ابن القيم محتمل: أنه صحف أخرىٰ بأيدي الملائكة، لكن لا يبعد أن اللوح المحفوظ أيضًا تمسه الملائكة.

(٢) انتهىٰ من "التبيان" (ص١٤١).

(٣) أخرج الروايتين الطبري في تفسير [آية:٧٩] من سورة الواقعة، ،في سند الرواية الأولىٰ: حكيم بن جبير متروك، وفيه: شريك القاضي ضعيف، والرواية الثانية فيها سلسلة العوفيين الشديدة الضعف.

(٤) هو عند ابن جرير في تفسير [آية:٧٩] من سورة الواقعة، وسنده صحيح.

(٥) كما في "التبيان" (ص١٤٣).

(٦) أخرجه ابنُ جرير أيضًا في تفسير سورة الواقعة [آية:٧٩]، قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد...، فذكره، وهذا إسناد صحيح، وهو ليس ببعيد عن القول الأول، لكن=

قال ابن كثير: هذا قول جيد، وهو لا يخرج عن القول قبله.

وقال البخاري في "صحيحه" في هذه الآية: لا يجد طعمه إلا من آمن به.(١)

قال ابن القيم: هذا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا [يلتذ](٢) به، وبقراءته، وفهمه، وتدبره؛ إلا من [يشهد](٣) أنه كلام الله، تكلم به حقًّا، وأنزله على رسوله وحيًا، لا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه منه حرج بوجه من الوجوه.(٤)

وقال آخرون: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، أي: من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر معناه الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف، واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في "الموطإ" عن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «**أن لا يمس القرآن إلا طاهر**».(٥)

= القول الأول أرجح؛ لأنه في سياق المكتوب، وكلام عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في سياق الحمل في القلوب.

(١) ابن كثير ذكر هذا القول عن الفرَّاء، وليس عن البخاري، وهذا الأثر ليس موجودًا في "البخاري" عند الآيات المذكورة، ثم وجدته ذكره في" صحيحه " في كتاب التوحيد باب (٤٧).

(٢) في [ب]: يتلذذ.

(٣) في [أ]: شهد.

(٤) انتهىٰ من "التبيان" (ص١٤٤).

(٥) أخرجه مالك في "الموطإ" (١/ ١٩٩)، وعبدالرزاق (١٣٢٢) مرسلًا، وذكر ابن عبدالبر أن العلماء تلقوه بالقبول، وهو كتابٌ طويل؛ فالحديث لا بأس بالاحتجاج به. وقد جاءت له شواهد بهذا اللفظ المذكور عن ابن عمر، وحكيم بن حزام رضي الله عنهم:

❁ أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما الدارقطني (١/ ١٢١)، والطبراني (١٣٢١٧)، ورجاله ثقات، ليس فيه إلا عنعنة ابن جريج.

❁ وأخرجه عن حكيم الدارقطني (١/ ١٢٢)، والطبراني (٣١٣٥)، وفي إسناده: سويد، أبو حاتم، ومطر الورَّاق، وكلاهما ضعيف، ولكنهما صالحان للاستشهاد.

❁ وقد ذهب جمهور أهل العلم، ومنهم: الشافعي، وأحمد، ومالك، وأصحاب الرأي إلىٰ عدم جواز مس المصحف علىٰ غير طهارة، وهو قول الحسن، وعطاء، وطاوس، والشعبي، والقاسم بن=

= محمد، وقد صحَّ التحرز عن مسه علىٰ غير طهارة عن ابن عمر، كما في "مصنف ابن أبي شيبة" (٢/ ٣٦١)، و"الأوسط" لابن المنذر (٢/ ١٠١)، وسعد بن أبي وقاص، كما في "الأوسط" لابن المنذر (١/ ١٩٤)، وسلمان الفارسي، كما في "سنن الدارقطني" (١/ ١٢٣).وقد استدل الجمهور بقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، وبحديث الباب: «**لا يمس القرآن إلا طاهر**» قال ابن قدامة رحمه الله: ولا نعلم لهم مخالفًا، إلا داود؛ فإنه أباح مسه، واحتج بأنَّ النبي ﷺ كتب في كتابه آية إلىٰ قيصر، وأباح الحكم، وحماد مسَّه بظاهر الكف؛ لأن آلة المس باطن الكف، فينصرف إليه النهي دون غيره.اهـ

وقد أجيب عن أدلة الجمهور بأنَّ الآية المراد بها الملائكة، كما يدل عليه سياق الآية. وأما الحديث، فقال الشوكاني رحمه الله في "النيل" (١/ ٣٢٠): وَلَكِنَّ الطَّاهِرَ يُطْلَقُ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَىٰ الْـمُؤْمِنِ، وَالطَّاهِرِ مِنْ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ، وَمَنْ لَيْسَ عَلَىٰ بَدَنِهِ نَجَاسَةٌ، فَمَنْ أَجَازَ حَمَلَ الْـمُشْتَرَكَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَعَانِيهِ حَمَلَهُ عَلَيْهَا هُنَا، وَالْـمَسْأَلَةُ مُدَوَّنَةٌ فِي الْأُصُولِ، وَفِيهَا مَذَاهِبُ، وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ أَنَّ الْـمُشْتَرَكَ مُجْمَلٌ فِيهَا فَلَا يُعْمَلُ بِهِ حَتَّىٰ يُبَيَّنَ.

ثم استدل بقوله ﷺ: «**إن المسلم لا ينجس**» علىٰ أنَّ المراد بالحديث: لا يمس القرآن إلا طاهر، يعني إلا مؤمن، ورجَّح هذا العلامة الألباني، والعلامة الوادعي، رحمة الله عليهما.

قال أبو عبدالله غفر الله له: أما قول ابن قدامة رحمه الله (لا نعلم مخالفًا إلا داود)، فليس المخالف داود فقط، بل قد خالف أبو رزين، ومحمد بن سيرين كما في "مصنف ابن أبي شيبة" (٢/ ٣٦١)، فأجازا مسه علىٰ غير طهارة، وأما الحديث: «**لا يمس القرآن إلا طاهر**» يظهر أنَّ المراد بالطَّاهر، أي: السالم من الحدثين: الأصغر والأكبر، والقرينة علىٰ ذلك قوله في الحديث في رواية عبدالرزاق كما تقدم: «إلا علىٰ طهر»، وهذا ظاهرٌ في أنَّ المقصود علىٰ طهارة من الحدثين، وفي رواية ابن المنذر في "الأوسط" (٢/ ١٠٣): «إلا علىٰ طهور».

وكذلك قوله في حديث حكيم بن حزام: «لا تمس القرآن»، وكذلك في مرسل ابن حزم عند الدارقطني كما تقدم: «لا تمس القرآن...»، والمخاطب في هذين الحديثين مؤمنان، فظهر أن المقصود بقوله: «إلا علىٰ طهر»، أو «إلا طاهر»، أي: طاهرٌ من الحدثين.

قلتُ: لكن يمكن أن يقال:إن الأمر بالطهارة للاستحباب؛ لحديث: «**إنما أمرت بالوضوء إذا قمت للصلاة**» أخرجه أبو داود (٣٧٦٠) عن ابن عباس بإسناد صحيحٍ.

والقول الأول هو ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم العلامة ابن باز، والعلامة ابن عثيمين، كما في "الشرح الممتع" (١/ ٢٦٥)، والشيخ صالح الفوزان، وآخرين.

وانظر: "المغني" (١/ ٢٠٢)، و"الأوسط" (٢/ ١٠١-)، "تمام المنة" (ص١٠٧)، "فتاوىٰ ابن باز" (١٠/ ١٤٩-).

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

قال ابن كثير: أي: هذا القرآن منزل من رب العالمين، وليس كما يقولون: إنه سحر، أو كهانة، أو شعر، بل هو الحق الذي لا مِرْيَةَ فيه، وليس وراءه حق نافع، وفي هذه الآية: أنه كلام الله، تكلم به.

قال ابن القيم: ونظيره: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[السجدة:١٣]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢] هو إثبات علو الله تعالى على خلقه؛ فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول، وتعرفه الفطر: هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل، ولا يرد عليه قوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[الزمر:٦]؛ لأنا نقول: إن الذي أنزلها فوق سماواته، فأنزلها لنا بأمره.(١)

قال ابن القيم: وذكر التنزيل مضافًا إلى ربوبيته للعالمين [المستلزمة](٢) لملكه لهم، وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وإحسانه، وإنعامه عليهم، وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى، ويدعهم هملًا، ويخلقهم عبثًا، لا يأمرهم، ولا ينهاهم، ولا يثيبهم، ولا يعاقبهم؟

فمن أقر بأنه رب العالمين؛ أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله ﷺ، واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله ﷺ، وصحة ما جاء به، وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق، وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس، وتلك إنما تكون لخواص العقلاء.(٣)

---

(١) يعني أنزلها الله بأمره أمرًا كونيًّا، وبعضهم قال بأن إنزالها من حيث أنها تتوالد فتنزل من أصلاب الذكور، وبطون الإناث؛ فيكون نزولها مقيدًا بالأصلاب، والأرحام.

(٢) في [ب]: المستلزم.

(٣) انتهىٰ من "التبيان في أقسام القرآن" (ص١٤٥-١٤٦).

قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا الحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾.

قال مجاهد: أي: تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم؟[(١)]

قال ابن القيم: ثم وبخهم [الله][(٢)] سبحانه على وضعهم الإدهان في غير موضعه، وأنهم يداهنون فيما حقه أن يصدع به، ويفرق به، ويعض عليه بالنواجذ، وتثني عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوب والأفئدة، ويحارب ويسالم لأجله، ولا يُلْتَوى عنه يمنة ولا يسرة، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره، ولا محاكمة إلا إليه، ولا مخاصمة إلا به، ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره، ولا شفاء إلا به؛ فهو روح الوجود، وحياة العالم، ومدار السعادة، [وقائد][(٣)] الفلاح، وطريق النجاة، وسبيل الرشاد، ونور البصائر، فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه، ولم ينزل للمداهنة، وإنما نزل بالحق وللحق، والمداهنة إنما تكون في باطل قوي، لا تمكن إزالته أو في حق ضعيف، لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق، ويلتزم بعض الباطل، فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به؟[(٤)]

وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

تقدم الكلام عليها أول الباب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير [آية:٨١] من سورة الواقعة، وسنده صحيح.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في المخطوطتين: (وفائده)، والمثبت من "التبيان".

(٤) انتهىٰ من "التبيان" (ص١٤٧) مكتبة الرياض.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أنَّ مِنَ الكفر ما لا يُخرِج من الملة.

الخامسة: قوله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» بسبب نزول النعمة.

السادسة: التَّفَطُّن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التَّفَطُّن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التَّفَطُّن لقوله: «**لقد صدق نوء كذا، وكذا**».

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**».

العاشرة: وعيد النائحة.

٣٠- بَاب قَوْلُ اللّه تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾

قال المصنف ﷺ: بَاب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾**[البقرة:١٦٥].

ش/ لما كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، [نبه المصنف ﷺ على وجوبها على الأعيان].[1]

قوله: باب قول الله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا﴾** الآية.

قال في "شرح المنازل": أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى؛ فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا نِدٌّ في المحبة، لا في الخلق والربوبية؛ فإنَّ أحدًا من أهل الأرض لا يثبت هذا الند،[2] بخلاف ند المحبة؛ فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم. ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

---

(١) إضافة من "التيسير" (ص٤٦٦)، وفي المطبوع من "فتح المجيد" نبه المصنف علىٰ ذلك بهذه الترجمة.

(٢) أي: لا يثبتون هذا الند في الخلق والربوبية، وقد وجد من يشرك في الربوبية أيضًا، ولكن بعضهم عنادًا، وإعراضًا، وجحودًا، والنادر يكون عن غير ذلك، ويكون متحيرًا، ففرعون ادَّعىٰ الربوبية، وكذلك الدهرية الذين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، كذلك المجوس أثبتوا خالقين: خالقًا للخير، وخالقًا للشر؛ فلعل ابن القيم قصد شخصًا، أو طائفةً يعتقدونها عقيدة بدون جحود، واعتقادًا سائرًا عليهم، وأما هؤلاء فهم متحيرون، ومتهوكون في ذلك.

وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حُبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها، ويعظمونها من دون الله.

[وروى ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ مباهاة ومضاهاة للحق بالأنداد، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ من الكفار لأوثانهم [1]، ثم روى عن ابن زيد قال: هؤلاء المشركون أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع الله يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشد حبًّا لله من حبهم آلهتهم. [2] انتهى.] [3]

والثاني: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ من المشركين بالأنداد لله؛ فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة، والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾؛ فإن فيها قولين أيضا: **أحدهما:** يحبونهم كما يحبون الله؛ فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة شرَّكوا فيها مع الله تعالى أندادهم. **والثاني:** أن المعنى: يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ثم بين تعالى أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له، وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة البقرة [آية:١٦٥] بإسناد صحيح، وهو عند ابن أبي حاتمٍ أيضًا من نفس الوجه.

(٢) ابن زيد هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، والسند إليه صحيح كما في تفسير [آية:١٦٥] من سورة البقرة؛ فإنه من طريق: يونس بن عبدالأعلىٰ، عن ابن وهب، عنه به.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من الشارح، وليس موجودًا في كلام ابن القيم في "المدارج".

في العذاب: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم، وهذا أيضًا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، أي: يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم.(١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران:٣١]، وهذه تُسَمَّى آية المحنة.

قال بعض السلف: ادَّعى قومٌ محبةَ الله، فأنزل اللهُ عزوجل آية المحنة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ إشارة إلى دليل المحبة، وثمرتها، وفائدتها، فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها وثمرتها: محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فلا محبة له حاصلة، ومحبته لكم منتفية.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، وذكر لهم أربع علامات:

إحداها: أنهم أذلة على المؤمنين.(٢)

قيل: معناه أَرِقَّاء، رحماء، مشفقين عليهم، عاطفين عليهم، فلما ضمن ﴿أَذِلَّة﴾ هذا

---

(١) في "مدارج السالكين" زيادة: (وهذا أصح القولين).

(٢) الأصل أن كلمة (أذلة) تتعدىٰ باللام، فيقال: أذلة لفلان، لكن تعدت هنا بـ(علىٰ)، فتضمنت معنًىٰ أخر مقارب له، وهو الرحمة، والشفقة، والعطف، وقد تقدم نظير هذا كقوله تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ [الإنسان:٦]، أي: يُروَىٰ بها عباد الله، وقوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[المعارج:١]، أي: استعجل، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾[البقرة:١٤]، أي: قصدوا.

المعنى؛ عَدَّاه بأداة ﴿عَلَى﴾.

قال عطاء رَحِمَهُ اللهُ: للمؤمنين كالولد لوالده، وكالعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩].(١)

العلامة الثالثة:(٢) الجهاد في سبيل الله تعالى بالنفس، واليد، واللسان، والمال، وذلك يحقق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهذه علامة صحة المحبة، فكل مُحِبٍّ أخذه اللوم على محبوبه؛ فليس بمحب على الحقيقة، وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧]، فذكر المقامات الثلاثة: الحب، وهو ابتغاء القرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة، وخوف العذاب، ومن المعلوم قطعًا أنه لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه، وحب قربه تبع لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه، وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء؛ فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يُحَبُّ لذاته، ولا يُحِب، فأنكروا حياة القلوب، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة؛ ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة، وضرب دونهم ودون الله حجاب عن معرفته ومحبته، فلا يعرفونه، ولا يحبونه، ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته، فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم، بل يعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته، ونعوت جلاله، ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها، وحسب ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على كلامهم من القسوة،

---

(١) لم نجد له سندًا، وهو في "تفسير البغوي" بدون سندٍ عند [الآية:٥٤] من سورة المائدة، وذكره القرطبي في "تفسيره"، لكن عزاه إلىٰ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكذلك الواحدي في "الوسيط" ذكره عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولم نجد له سندًا عن أي منهما.

(٢) كذا في "المدارج"، ولعل ابن القيم نسي أن ينصَّ علىٰ الثانية، وهي: أعزة علىٰ الكافرين.

والمقت، والتنفير عن محبة الله تعالى، ومعرفته، وتوحيده، والله المستعان.(١)

وقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أيضًا: لا تُحَدُّ المحبة بِحَدٍّ أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها.

وأجمع ما قيل في ذلك: ما ذكره أبو بكر الكتاني رَحِمَهُ اللهُ عن الجنيد رَحِمَهُ اللهُ.

قال أبو بكر: جرت مسألة في المحبة بمكة -أعزها الله- في أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان [الجنيد](٢) أصغرهم سِنًّا، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي. فأطرق رأسَه، ودمعت عيناه، [ثم](٣) قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قَلْبَه نور هيبته، وصفا شِربُه من كأس مودته، وانكشف له [الجبار](٤) من أستار غيبه؛(٥) فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله؛ فهو بالله، ولله، ومع الله. فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك

---

(١) انتهىٰ من "مدارج السالكين" (٣/ ٢٠-٢٣).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ساقط من [ب].

(٤) في [أ]، و[ب]: (الحياء)، والمثبت من "المدارج".

(٥) يعني أصبح كأنه يرىٰ الله من شدة استغراقه في العبادة، وهذه العبارة إطلاقها فيه نظر، ولا ينبغي ذلك، وأما قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تعبد الله كأنك تراه**» هذا مجرد تشبيه، وأما الجزم في قوله: (وانكشف له الجبار من أستار غيبه) فلا ينبغي، ولا شك أن الجنيد لا يقصد أن الله تجلىٰ له، لكن إطلاق الكشف أولًا: من عبارات الصوفية. ثانيًا: نسبة الكشف إلىٰ الله عزوجل لهذا الرجل فيه نظر؛ فإنه لم يأت في السنة ولا عن أحدٍ من الصحابة قولهم: (انكشف الله لفلان)، وذلك من شدة استغراقهم في العبادة، والمحبة لله.

ملاحظة: الجنيد المتقدم اسمه: محمد بن الجنيد، كان من زهاد الصوفية الواعظين، لا من الغُلاة، وكان شيخ الإسلام يمدحه، ويقول: هو من أحسنهم حالًا. فالظاهر أنه لم تأت عنه من بدع الصوفية التي عُرفت عنهم من البدع الكبيرة، لكن لعله تزهد، وتفرغ للعبادة.

اللهُ يا تاج العارفين.[(١)]

وذكر رحمه الله تعالى: أن الأسباب الجالبة للمحبة عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان، والقلب، والعمل، والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا.

الرابع: إيثار مَحَابِّهِ على مَحَابِّكَ عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة بِرِّه وإحسانه، ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو أعجبها، إنكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه، ثم خَتْمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب [ثمرات كلامهم][(٢)]، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أنَّ فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشرة: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز و جل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب.[(٣)]

---

(١) انظر: "المدارج" (٣/ ٩، ١٦).

(٢) في [ب]: كلماتهم.

(٣) انتهىٰ من "المدارج" (٣/ ١٧، ١٨).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾[التوبة:٢٤].

ش/ أمر الله نَبِيَّه ﷺ أن يتوعد من أحب أهله، وماله، وعشيرته، وتجارته، ومسكنه، فآثَرها أو بعضها على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضاها، كالهجرة، والجهاد، ونحو ذلك.

قال العماد ابن كثير: أي إن كانت هذه الأشياء ﴿**أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا**﴾، أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه.

روى الإمام أحمد، وأبو داود -واللفظ له- من حديث أبي عبد الرحمن السلمي، عن عطاء الخراساني، عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتىٰ تراجعوا دينكم**»؛[(١)] فلابد من إيثار ما أحبه اللهُ من عبده، وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه [الله][(٢)]، ويوالي فيه، ويعادي فيه، ويتابع رسولَه ﷺ، كما تقدم في آية المحنة ونظائرها.

---

(١) **حسن**. أخرجه الإمام أبو داود برقم (٣٤٦٢)، وهو من الطريق المذكورة من طريق أبي عبدالرحمن إسحاق بن أُسيد الأنصاري، ونسبته إلىٰ السُّلَمي غير صحيحة، وإسحاق فيه ضعف، وعطاء الخراساني اختلفوا فيه، والراجح تحسين حديثه.

❁ وأخرجه الإمام أحمد (٤٨٢٥) من طريقٍ أخرىٰ، من طريق: أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وعطاء قيل إنه لم يسمع من ابن عمر، والراجح أنه سمع منه، فقد أثبت سماعه منه: البخاري في "تاريخه"، وكذلك علي ابن المديني في "العلل"، فالسند هذا محتج به.

❁ وله طريقٌ ثالثة عند أحمد (٥٠٠٧)، وفي إسناده: أبو جناب يحيىٰ بن أبي حية الكلبي، مدلس فيه ضعف، وكذلك شهر بن حوشب، وفيه ضعف.

(٢) ساقط من [أ].

قال المصنف رحمه الله: عن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». أخرجاه[(١)]

ش/ أي: البخاري ومسلم.

قوله: «**لا يؤمن أحدكم**».

أي: الإيمان الواجب، والمراد كماله، حتى يكون الرسول ﷺ أحب إلى العبد من ولده، ووالده، والناس أجمعين، بل ولا يحصل هذا الكمال [إلا بأن][(٢)] يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه كما في الحديث: أنَّ عمر قال: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي. فقال: «**والذي نفسي بيده، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليَّ من نفسي، فقال: «**الآن يا عمر**» رواه البخاري.[(٣)]

فمن قال: إنَّ المنفي هو الكمال؛ فَإِنْ أراد الكمال الواجب[(٤)] الذي يذم تاركه ويعرض للعقوبة؛ فقد صدق، وإن أراد أن المنفي الكمال المستحب؛ فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ﷺ. قاله شيخ الإسلام رحمه الله.[(٥)]

فمنِ ادَّعى محبةَ النبي ﷺ بدون متابعته وتقديم قوله على قول غيره؛ فقد كذب كما

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٢) في [أ]: حتىٰ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٢)، من حديث عبدالله بن هشام رضي الله عنه.

(٤) المقصود بالكمال الواجب المنفي هو أن يذم تاركه، فيرتكب أمورًا محرمة، ومعاصي، ويترك أمورًا واجبة عليه، فيأثم، والمقصود بالكمال المستحب المنفي هو أن يترك النوافل، فمثلًا حديث: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، فالمنفي هنا هو الكمال الواجب لا الكمال المستحب؛ لأنَّ هذه العبارة «**لا يؤمن**» لا يمكن أن تُطلق علىٰ من ترك مستحبًّا.

(٥) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ١٤-١٥).

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧]، فَنَفَى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول ﷺ، لكن كل مسلم يكون مُحِبًّا بقدر ما معه من الإسلام، وكل مسلم لابد أن يكون مؤمنًا وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق(١)؛ لأن ذلك لايحصل إلا لخواص المؤمنين.

قال شيخ الإسلام: وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفرٍ، أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ﷺ؛ فهم مسلمون، ومعهم إيمان مجمل، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئًا فشيئًا، إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يَصِلُونَ إلى اليقين، ولا إلى الجهاد، ولو شُكِّكُوا لشكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا؛ إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ﷺ ما يقدمونه على الأهل والمال، فهؤلاء إن عُوفوا من المحنة ماتوا ودخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يُدْخِل عليهم شبهات توجب [ريبهم](٢)؛ فإنْ لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب، وإلا صاروا مرتابين، وانتقلوا إلى نوع من النفاق.انتهى.(٣)

وفي [هذا](٤) الحديث: أنَّ الأعمال من الإيمان؛ لأن المحبة عمل القلب.

وفيه: أنَّ محبة الرسول ﷺ واجبة تابعة لمحبة الله تعالى لازمة لها؛ فإنها محبةٌ لله ولأجله تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، وكل من كان مُحِبًّا لله فإنما يحب في الله ولأجله، [كما يحب](٥) الإيمان والعمل الصالح، وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب

---

(١) الإيمان المطلق: هو الإيمان الكامل.

(٢) في [ب]: ريبتهم.

(٣) من كتابه "الإيمان" ضمن "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٢٧١).

(٤) ساقط من [ب].

(٥) ساقط من [ب].

الشرك، كالاعتماد عليه، ورجائه في حصول مرغوب منه أو دفع مرهوب [منه][1]، وما كان فيها ذلك؛ فمحبته مع الله؛ لما فيها من التعلق على غيره والرغبة إليه من دون الله، فبهذا يحصل التمييز بين المحبة [في الله][2] ولأجله التي هي من كمال التوحيد، وبين المحبة مع الله التي هي محبة الأنداد من دون الله لما يتعلق في قلوب المشركين من الإلهية التي لا تجوز إلا لله وحده [لا شريك له][3].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولهما عنه، قال: قال رسول ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بهن حَلاوَةَ الإيْمان: أَنْ يَكونَ اللهُ ورسُولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاَّ لله، وأَنْ يَكرَهَ أَنْ يَعودَ في الكُفرِ بعد إذْ أنقَذُه الله منه كما يكرَهُ أَنْ يُقذَفَ في النَّار**»[4].

وفي رواية «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ حَتَّىٰ...**»[5] إلىٰ آخره.

ش/ قوله: ولهما عنه.

أي: البخاري ومسلم عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: «**ثلاث**».

أي: ثلاث خصال.

قوله: «**من كن فيه**».

أي: وُجِدْنَ فيه تامة.

قوله: «**وجد بهن حلاوة الإيمان**».

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) في [ب]: مع الله.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم برقم (٤٣).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٠٤١).

الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب، ونعيمه، وسروره، وغذائه، [وهي][١] شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم.

قال السيوطي في "التوشيح"[٢]: «وجد حلاوة الإيمان» فيه استعارة تخييلية، شَبَّه رغبةَ المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه.

وقال النووي: معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول ﷺ.[٣]

قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء.[٤]

قوله: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

يعني بـ(السِّوَى): ما يحبه الإنسان بطبعه، كمحبة الولد، والمال، والأزواج ونحوها، فتكون أحب هنا على بابها.

[وقال الخطابي: المراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع.[٥] كذا قال].[٦]

وأما المحبة الشركية التي قد تقدم بيانها[٧] فقليلها وكثيرها ينافي محبة الله ورسوله ﷺ،

---

(١) في [ب]: وهو.

(٢) اسم كتابه "التوشيح على الجامع الصحيح"، وليس موجودًا بين أيدينا.

(٣) انتهىٰ من "شرح مسلم" رقم (٤٣).

(٤) لم نجده، له ترجمة في "الحلية" لأبي نعيم (١٠/ ٥١)، وذكر له آثارًا كثيرة، ولم يذكر هذا.

(٥) بل حتىٰ حب الطبع لا يجوز أن يغلَّب علىٰ حبه لله؛ فكونه يحب أولاده، وزوجته، وماله هذا حب طبيعي، فإذا بلغ به الحال إلىٰ أن يقدم ذلك علىٰ طاعة الله؛ فهذا مذموم، فيدخل في الحديث، وكما قال في الآية المتقدمة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة:٢٤]، فكلام الشارح المذكور قبل قول الخطابي صواب، وأنها علىٰ بابها.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٧) المحبة الشركية هي التي تجعل الإنسان يصرف عبادة لغير الله.

وفي بعض الأحاديث: «**أحبوا الله بكل قلوبكم**»،[(١)] فمن علامات محبة الله ورسوله: أنْ يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويؤثر مرضاته على ما سواه، ويسعى فيما يرضيه ما استطاع، [ويبعد عما حرمه، ويكرهه أشد الكراهة][(٢)]، ويتابع رسولَه، ويمتثل أمره، ويترك نهيه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[النساء:٨٠].

فمن آثر أمر غيره على أمره، وخالف ما نهى عنه؛ فذلك عَلَمٌ على عدم محبة الله ورسوله؛ فإنَّ محبة الرسول ﷺ من لوازم محبة الله، فمن أحب الله وأطاعه، أحب الرسول وأطاعه، ومن لا؛ فلا، كما في آية المحنة ونظائرها، والله المستعان.

قال شيخ الإسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئًا واشتهاه إذا حصل له مراده؛ فإنه يجد الحلاوة، واللذة، والسرور بذلك، واللذة أمرٌ يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب، أو المشتهى.

قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريغها، ودفع ضدها، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ [فإنَّ محبة الله ورسوله لا يُكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما].[(٣)]

قلت: ومحبة الله تعالى تستلزم محبة طاعته؛ فإنه يحب من عبده أن يطيعه، والمحب يحب ما

---

(١) أخرجه البيهقي في "الدلائل" (٢/ ٥٢٥) من طريق: أبي عبدالرحمن السلمي مرسلًا، وفيه شيخ ابن إسحاق لم توجد له ترجمة، وهو المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان، والحديث طويل، وهذه قطعة منه، وفيه شيخ البيهقي: أبو عبدالرحمن السلمي صوفي هالك، وقال ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ١٠٥-١٠٦): بلغني عن أبي سلمة بن عبدالرحمن مرسلًا. فأبهم شيخه.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

يحبه محبوبه ولا بد، ومن لوازم محبة الله أيضًا: محبة أهل طاعته كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده، فمحبة ما يحبه الله، ومن يحبه الله من كمال الإيمان كما في حديث ابن عباس الآتي.

قال: وتفريغها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

قال: ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار. انتهى.(١)

قوله: «**أحب إليه مما سواهما**».

فيه: جمع ضمير الله تعالى وضمير رسوله ﷺ، وفيه قولان:

أحدهما: أنه ثنى الضمير هنا؛ إيماءً إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة؛ فإنها وحدها لاغية، وأمر بالإفراد في حديث الخطيب؛(٢) إشعارًا بأن كل واحد

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) حديث الخطيب هو حديث عدي بن حاتم في "صحيح مسلم" (٥٧٠) أنَّ رجلًا خطب عند النبي ﷺ، فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله**»، فنهاه أن يشرك في الضمير. وعندنا في حديث الباب إشراك في الضمير: «**أحب إليه مما سواهما**»، وفي حديث الخطيب أنكر عليه إشراك الضمير، فاختلف العلماء في الجمع بين الحديثين، ذكر الشارح ثلاثة أجوبة، وبقي جوابان:

[١] ذكره النووي عند شرحه لـ"صحيح مسلم" حيث قال: إن الخطب شأنها البسط، والإيضاح، واجتناب الإشارات والرموز؛ ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم أعادها ثلاثًا؛ لِتُفهَم عنه، وإنما ثنىٰ الضمير في قوله: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»؛ لأنه ليس خطبة وعظ، وإنما هو تعليم، فكلما قل لفظه كان أقرب إلىٰ حفظه، بخلاف الخطبة.اهـ، وأيضًا الخطب يحضرها ممن هو قليل الفهم، فقد يفهم من إشراك الضمير أن الله تعالىٰ ورسوله ﷺ يشتركان في الحقوق.

[٢] منهم من قال –وذكره المعلق علىٰ ابن رجب في "الفتح"–: إن قوله: «**قل: من يعص الله ورسوله**» مدرج من بعض الرواة، وإنما قال له النبي ﷺ: «**بئس الخطيب أنت**»، فلعله رأىٰ منه أحوالًا لا تليق، وليس الذم متوجهًا إلىٰ العبارة، واستدلوا علىٰ ذلك بأنَّ بعض طرق الحديث ليس فيها هذه الزيادة: «**قل: من يعص...**»، وإنما فيه فقط: «**بئس الخطيب أنت**»، لكن الزيادة في "مسلم"، وزادها وكيع بن الجراح، والذي لم يزدها هو عبدالرحمن ابن مهدي، ويحيىٰ بن سعيد القطان، وكلهم أئمة، والذين لم يزيدوها أرجح، فقالوا: يحمل علىٰ أن وكيعًا أدرجها في الخبر، ولم يهم فيها، ولكن قالها بعض الرواة، فظنها وكيع من المرفوع، وهي من قول بعض الرواة، لكن هذه الرواية في "مسلم"، ولم =

من العصيانين مستقل باستلزام الغواية؛ إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم.

الثاني: حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز.

وجواب ثالث: وهو أن هذا وَرَدَ على الأصل، وحديث الخطيب ناقل؛ فيكون أرجح.(١)

قوله: «كما يكره أن يقذف في النار».

أي: يستوي عنده الأمران، وفيه رَدٌّ على الغُلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقًا، وإن تاب منه.

والصواب: أنه إن لم يتب؛ كان نقصًا، وإن تاب؛ فلا، ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة، مع كونهم في الأصل كفارًا، فهداهم الله إلى الإسلام، والإسلام يمحو ما قبله، وكذلك الهجرة كما صح الحديث بذلك.

قوله: وفي رواية: «**لا يجد أحد**».

هذه الرواية أخرجها البخاري في [الأدب] من "صحيحه"، ولفظه: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتىٰ يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتىٰ أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلىٰ الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتىٰ [أن](٢) يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**».

= ينتقدها الحفاظ، كالدارقطني، وغيره.

وأحسن الأجوبة هو الجواب الأول الذي ذكره الشارح، وقد عزاه صاحب "تيسير العزيز الحميد" (ص٤٧٨) للبيضاوي وغيره، ثم جواب الإمام النووي رحمه الله، والله أعلم. **وقوله: «بئس الخطيب»** لا يلزم منه أنها معصية، بل كره منه هذه العبارة، هذا هو الذي يفهم من هذه العبارة أنه كرهها، وأن غيرها من العبارات أفضل، وقد يُفهم أن النبي ﷺ رأىٰ منه أمورًا غير هذا اللفظ، لكن السياق يفهم منه أنه كره منه هذه العبارة. وقد جاءت أدلة كثيرة في تشريك الضمير، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[التوبة:٦٢]، فهذا يدل علىٰ أنه من باب الأفضلية.

(١) القول بالترجيح مرجوح؛ لأنه لا يصار إلىٰ الترجيح إلا عند عدم القدرة علىٰ الجمع.

(٢) ساقط من [أ].

وقد تقدم أن المحبة هنا عبارة عما يجده المؤمن من اللذة، والبهجة، والسرور، والإجلال، والهيبة، ولوازم ذلك.

قال الشاعر:

أهابـك إجـلالا ومـا بـك قـدرة علـي ولكـن مـلء عـين حبيبهـا

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَىٰ فِي اللهِ، وَعَادَىٰ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ -وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ- حَتَّىٰ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَىٰ أَهْلِهِ شَيْئًا. رواه ابن جرير.[1]

ش/ وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط.

قوله: ومن أحب [في الله].[2]

أي: أحب أهلَ الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك.

قوله: وأبغض في الله.

أي: أبغض من كفر بالله، وأشرك به، وفسق عن طاعته؛ لأجل ما فعلوه مما يسخط الله، وإن كانوا أقرب الناس إليه، كما قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

(١) الأثر لم أجده عند ابن جرير، وقد أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٦٨)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٢٢)، من طريق: ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا به، وأوله: «أَحِبَّ في الله، وأَبْغِضْ في الله...» بصيغة الأمر، وليث ضعيفٌ، مختلط، وقد رواه علىٰ غير وجه، فرواه كما تقدم، ورواه مرة عن مجاهد، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، أخرجه الطبراني (١٣٥٣٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٢)، ووقع في مطبوع الطبراني سقطٌ أوهم أنه موقوف، وإنما هو مرفوع كما في «الحلية».

(٢) ساقط من [أ].

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قوله: ووالى في الله.

هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالى، فمن أحب الله؛ أحبَّ فيه، ووالى أولياءه، وعادى أهل معصيته، وأبغضهم، وجاهد أعداءه، ونصر أنصاره، وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه؛ قَوِيت هذه الأعمال المترتبة عليها، وبكمالها يكمل توحيد العبد، ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه، فَمُقِلٌّ، ومستكثر، ومحروم.

قوله: فإنما تنال ولاية الله بذلك.

أي: توليه لعبده، و (وَلاية) بفتح الواو لا غير، أي: الأُخُوَّة، والمحبة، والنصرة، وبالكسر: الإمارة، والمراد هنا الأول.

ولأحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال: «**لا يجد العبد صريح الإيمان حتىٰ يحب لله، ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله؛ فقد استحق الولاية لله**».(١)

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠) من طريق رشدين بن سعد، عن عبد الله بن الوليد عن أبي منصور مولىٰ الأنصار عن عمرو بن الجموح الأنصاري رضي الله عنه، وهذا إسنادٌ ضعيف؛ فيه: رشدين بن سعد، كان صالحًا في دينه مغفلًا في روايته، وفيه: عبدالله بن الوليد التجيبي، فيه ضعف أيضًا، وفيه انقطاع بين أبي منصور مولىٰ الأنصار، وعمرو بن الجموح، فأبو منصور لم يلق عمرو بن الجموح، وأيضًا أبو منصور مجهول حال، فهذه أربع علل.

❁ ورواه الطبراني كما في "المجمع" (١/ ٨٩) من حديث عمرو بن الحمق، قال الهيثمي: وفيه رشدين، وهو ضعيف.

قلت: ولعله بنفس إسناد أحمد، والله أعلم.

وفي حديث آخر: «**أوثق عُرَىٰ الإيمان الحب في الله، والبغض في الله عزَّ وجل**» رواه الطبراني.(١)

قوله: ولن يجد عبد طعم الإيمان... إلى آخره.

أي: لا يحصل له ذوق الإيمان، ولذته، وسروره، وإن كثرت صلاتُه وصومُه، حتى يكون كذلك، أي: حتى يحب في الله، ويبغض في الله، [ويعادي فيه، ويوالي فيه].(٢)

---

(١) **حسن**. أخرجه الطبراني (١١٥٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده: حسين بن قيس الملقب بـ(حنش)، وهو متروك، ولكن جاء الحديث عن غير ابن عباس، فقد أخرجه الطبراني (١٠٣٥٧) من حديث ابن مسعود بنحوه، ورجاله كلهم ثقات؛ إلا بكير بن معروف، ففيه ضعف، وهو من رواية عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه، ولم يسمع منه إلا قليلًا، وله شاهد من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنهما عند أحمد (٤/ ٢٨٦)، وفي إسناده: ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف مختلط؛ فالحديث حسن بهذه الشواهد، والله أعلم.

فنستفيد من هذا الحديث أن الحب في الله، والبغض في الله من أوثق عرىٰ الإيمان، بل هو من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصولها: موالاة من يستحق الولاية، ومعاداة من يستحق المعاداة، فالمؤمن يوالي المؤمنين كما قال تعالىٰ: ﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[التوبة:٧١] الآية، ويتبرأ إلىٰ الله من الكفر والكافرين كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]، فالولاية التامة للمؤمن التقي، والبغض التام للكافر، وأما أهل الضلال، والعصيان، والبدع من المسلمين، فهؤلاء أيضًا يُتبرأ منهم علىٰ قدر ما عندهم من البدع، والضلال، وليس التبرؤ منهم كالتبرُىء من أهل الكفر، فيُوالَون علىٰ قدر ما عندهم من الإيمان والصلاح، ويُبغضون علىٰ قدر ما عندهم من البدع، والفسوق، والعصيان، هذا هو الذي عليه عقيدة أهل السنة والجماعة كما بين ذلك شيخ الإسلام وغيره، وليس معنىٰ ذلك أن المبتدع يُجَالَس، ويُدْرَس عنده؛ فهو يُبغض ويُبتعد عنه، ويوالىٰ لما عنده من الإيمان، وقد نُقل الإجماع علىٰ أنه يحذر منهم، ومن الجلوس معهم؛ لأنهم جلساء سوء، لكن -علىٰ سبيل المثال- لو تقاتل أهل الكفر مع أهل البدع؛ لناصرنا أهل البدع ما داموا علىٰ الإسلام، وما دام قتالهم شرعيًّا.

(٢) في [ب]: ويعادي في الله، ويوالي في الله.

وفي حديث أبي أمامة مرفوعًا: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**» رواه أبو داود.[١]

قوله: وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا.

أي: لا ينفعهم، بل يضرهم كما قال تعالى: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، فإذا كانت البلوى قد عَمَّت بهذا في زمن ابن عباس في خير القرون، فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شدة، حتى وقعت الموالاة على الشرك، والبدع، والفسوق، والعصيان، وقد وقع ما أخبر به ﷺ بقوله: «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ**».[٢]

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم [من المهاجرين والأنصار][٣] في عهد نبيهم ﷺ، وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [يُؤْثِرُ بعضُهم بعضًا على نفسه؛ محبةً في الله، وتقربًا إليه][٤]، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩].

---

(١) **حسن**. أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، وأخرجه أيضًا الطبراني (٧٦١٣) (٧٧٣٧) (٧٧٣٨)، والبغوي في "شرح السنة" (٣٤٦٩)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٧/ ١٦٨) (٣٤/ ٦٤) من طرقٍ عن يحيىٰ ابن الحارث الذماري، عن القاسم، عن أبي أمامة، وسنده حسن، فرجاله كلهم ثقات إلا الراوي عن أبي أمامة، وهو القاسم بن عبدالرحمن، والراجح تحسين حديثه كما رجح ذلك الشيخ الألباني رحمه الله.

❁ وله شاهد من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه، وله طريقان في كل منهما ضعف: **إحداهما**: ما رواه أحمد (٣/ ٤٤٠)، والترمذي (٢٥٢١) من طريق: أبي مرحوم عبدالرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس الجهني به. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أبي مرحوم، وسهل. **الثانية**: ما رواه أحمد (٣/ ٣٣٨)، والطبراني (٢٠/ ٤١٢) من طريق: ابن لهيعة، عن زبَّان بن فائد، عن سهل ابن معاذ به، وثلاثتهم ضعفاء؛ فالحديث حسن بهذه الطرق، بل بالطريق الأولىٰ فحسب.

(٢) الحديث أخرجه مسلم (١٤٥) (١٤٦) من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنهم، وأخرجه الترمذي (٢٦٢٩)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وهو في "الصحيح المسند" (٨٥٣).

(٣) ساقط من [ب].

(٤) ساقط من [ب].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم. رواه ابن ماجه.[(١)]

---

(١) **صحيحٌ بطُرُقِهِ**. الحديث لم يخرجه ابن ماجه، وله أربع طرق:

أحدها: أخرجها الإمام أحمد (٢/ ٨٤)، وفي إسناده: أبو جناب الكلبي يحيىٰ بن أبي حية، مدلس، وفيه ضعف، ولم يصرح بالتحديث، وفيه: شهر بن حوشب، وفيه ضعف.

الثانية: أخرجها ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١٥٧)، ورجاله ثقات؛ إلا أنه من طريق: الأعمش، عن نافع، وليس له منه سماع كما في «جامع التحصيل» و«تهذيب الكمال».

الثالثة: أخرجها الطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٣)، فقال: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا أبو بكر الأعين محمد بن أبي عتاب، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر به، وهذا إسنادٌ حسن، وهذه الطريق أحسن طرق الحديث.

الرابعة: أخرجها الطبراني (١٣٥٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٣-) (٣/ ٣١٨-)، وفيه: ليث بن أبي سليم؛ فالأثر بهذه الطُّرُق يرتقي إلىٰ الصحة، والله أعلم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، قَالَ: الْمَوَدَّة.(١)

ش/ هذا الأثر رواه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.

قوله: قال: المودة.

أي: التي كانت في الدنيا خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾: فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهدى، وأتباعهم ادَّعَوا أنهم على طريقهم ومناهجهم، وهم مخالفون لهم، سالكون غير طريقهم، ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم، فيتبرؤون منهم يوم القيامة؛ فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله، وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجةً وأولياء، يوالي لهم ويعادي لهم، ويرضى لهم ويغضب لهم؛ فإنَّ أعمالَه كلَّها باطلة، [يراها](٢) يوم القيامة حسرات عليه، مع

---

(١) **صحيح**. أخرجه ابن جرير (٣/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٨)، والحاكم (٢/ ٢٧٢) من طرقٍ عن أبي عاصم، عن عيسىٰ، قال: أخبرني قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا به، وهذا إسناد صحيح، وعيسىٰ هو ابن ميمون الجرشي، وقد ظنَّه بعضُهم الرازي، وهو ضعيف، وظنه بعضهم عيسىٰ بن أبي عيسىٰ الحناط، وهو شديد الضعف، والراجح أنه عيسىٰ بن ميمون الجُرَشي، فقد جاء مصرَّحًا باسمه عند ابن أبي حاتم، وعلىٰ هذا فالأثر صحيح؛ لأنَّ عيسىٰ بن ميمون ثقة.

(٢) ساقط من [أ].

كثرتها [وشدة تعبه][١] فيها ونصبه؛ إذ لم يجرد موالاته ومعاداته، ومحبته وبغضه، وانتصاره وإيثاره لله ورسوله، فأبطل الله عز و جل ذلك العمل كله، وقطع تلك الأسباب، فينقطع يوم القيامة كلُّ سببٍ، وَوَصْلَةٍ، ووسيلةٍ، ومودةٍ كانت لغير الله، ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربه، وهو حظُّه من الهجرة إليه، وإلى رسوله، وتجريده عبادته وحده، ولوازمها من الحب والبغض، والعطاء والمنع، والموالاة والمعاداة، والتقريب والإبعاد، وتجريد متابعة رسوله ﷺ تجريدًا محضًا بريئًا من شوائب الالتفات إلى غيره، فضلًا عن الشرك بينه وبين غيره، فضلًا عن تقديم قول غيره عليه، فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه، وهذه هي النسبة التي بين العبد وبين ربه، وهي نسبة العبودية [المحضة][٢]، وهي آخيته التي يجول ما يجول، وإليها مرجعه ولا تتحقق إلا بتجريده متابعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ إذ هذه العبودية إنما جاءت على ألسنتهم، وما عُرِفَت إلا بهم، ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم، وقد قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم، ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثورًا لا ينتفع منها صاحبها بشيء أصلًا، وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة، أن يرى سعيه ضائعًا، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم. انتهى ملخصًا.[٣]

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) من "الرسالة التبوكية" (ص١٥١-١٥٤) ط/ مكتبة الخراز.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ علىٰ النفس، والأهل، والمال.

الرابعة: نفي الإيمان لا يدل علىٰ الخروج من الإسلام.

الخامسة: أنَّ للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تُنَال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحدٌ طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أنَّ عامة المؤاخاة علىٰ أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب اللهَ حُبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد علىٰ من كان الثمانية أحب إليه من دينه.(١)

الحادية عشرة: أنَّ مَنِ اتَّخذ نِدًّا تُسَاوي محبته محبة الله؛ فهو الشرك الأكبر.

---

(١) يشير إلىٰ الثمانية الأمور المذكورة في الآية: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤].

٣١- بَاب قَوْلُ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قال المصنف ﷺ: بَاب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران:١٧٥].

ش/ الخوف من أفضل مقامات الدين [وَأَجَلِّها][(١)]، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨].

[وقال تعالى ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[النحل:٥١]].[(٢)]

وقال تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.[(٣)]

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٣) فائدة: قال ابن القيم ﷺ في "المدارج" (١/ ٥١٢-٥١٣): الوجل، والخوف، والخشية، والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة. ثم ذكر أنَّ الخوف هو حركة للقلب للهروب من المكروه.و الخشية: خوف مقرون بالعلم والمعرفة، ويصاحبه السكون والقرار، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، وقوله ﷺ: «**إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية**»، وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه. وأما الوجل: فرجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه، وعقوبته، أو لرؤيته. وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم، والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة. والإجلال: تعظيمٌ مقرون بالمحبة. ثم قال: فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلىٰ قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية.انتهىٰ المراد.

والخوف من حيث هو [على][١] ثلاثة أقسام:

أحدها: خوف السر. وهو أن يخاف من غير الله، من وثنٍ، أو طاغوتٍ [أو نحوهما][٢] أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ❁ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾ [هود:٥٤-٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾[الزمر:٣٦].

وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويُخَوِّفُون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه؛ خوفًا من [بعض][٣] الناس، فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول هذه الآية[٤] كما قال تعالى:

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) **حسنٌ بطُرُقِه**. جاءت مراسيل في نزول هذه الآية بمجموعها تصح، وأحسنها حالًا مرسل عكرمة، أخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (١/ ١٤٠)، وسعيد بن منصور (٥٤٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨١٨)، من طرق عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة به مرسلًا.

❁ وقد رُوي موصولًا، ولم يصح وصله، أخرجه النسائي في "التفسير" (١٠٣)، والطبراني (١١٦٣٢)، من طريق: محمد بن منصور الجواز، عن سفيان بإسناده موصولًا بذكر ابن عباس رضي الله عنهما، ومحمد بن منصور وإن كان ثقة؛ إلا أنه خالفه الحفاظ من أصحاب سفيان، فرووه علىٰ الإرسال كما تقدم، وقد رجح الحافظ ابن حجر المرسل كما في "الفتح" [باب: ١٢] من تفسير سورة آل عمران، وفي الحديث أنهم عقب أُحد بعد أن أُصيب المسلمون بالجراح، وتولىٰ المشركون عنهم جاءهم الخبر أن المشركين يتجمعون، وسيأتون مرة أخرىٰ، فانتدبهم الرسول ﷺ ليخرجوا إليهم إلىٰ حمراء الأسد، فأنزل الله هذه الآية ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ الآيات، وبعض المنافقين خافوا ولم يخرجوا، فاتَّبعوا الشيطان، فخرج المسلمون إلىٰ ذلك المكان ولم يجدوا أحدًا من المشركين، فتسوقوا، واتَّجروا، قال تعالىٰ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ الآية. =

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

وفي الحديث: «**إن الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: رب خشية الناس. فيقول: إياي كنت أحق أن تخشىٰ**»[(١)].

الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عَدُوٍّ، أو سَبُعٍ، أو غير ذلك؛ فهذا لا يُذَمُّ،

= ❁ وجاء ذلك من مراسيل قتادة، أخرجه الثعالبي في "تفسيره"، وعنه الواحدي في "أسباب النزول" (ص١١٢)، من طريق: روح بن عبادة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة بنحوه مرسلًا، وفي الإسناد إليه: شعيب بن محمد العجلي البيهقي، ترجمته في "تاريخ نيسابور" (٣٢٤)، و"تاريخ الإسلام" (٣٨١-٤٠٠هـ) (ص٣٣٢)، وهو مجهول الحال.

❁ وجاء له شاهد من مراسيل عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أخرجه ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٣/ ٤٤-٤٥)، وصرح فيها بالتحديث.

❁ وله شاهد من مراسيل الحسن، أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨١٦-٨١٧)، من طريق: مبارك، عنه، ومبارك بن فضالة مدلس وفيه ضعف؛ فالحديث حسن بمجموع هذه المراسيل، والله أعلم، وله شواهد أخرىٰ قد ذكرنا أحسنها وأقواها.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠، ٤٧، ٧٣)، وعبد بن حميد (٩٧١) (٩٧٢)، وابن ماجه (٤٠٠٨)، والبيهقي (١٠/ ٩٠-٩١)، وأبو نعيم في "الحلية" (٤/ ٣٨٤)، من طريقين صحيحين عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي سعيد به نحوه، وهذا إسناد ضعيفٌ؛ لأن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد.

❁ وقد أخرجه أحمد (٣/ ٨٤، ٩١)، من وجهٍ آخر صحيح عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن رجل، عن أبي سعيد به، فتبين أن الساقط رجل مبهم.

❁ وقد صح الحديث بلفظ: «**ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن اللهُ عبدًا حجته قال: يا رب، رجوتك، وفرقت من الناس**»، أخرجه أحمد (٣/ ٢٧، ٢٩، ٧٧)، والحميدي (٧٣٩)، وعبد ابن حميد (٩٧٤)، وابن ماجه (٤٠١٧)، وأبو يعلىٰ (١٠٨٩)، والبيهقي في "الشعب" (٧٥٧٥)، من طرق عن أبي طوالة عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري، عن نهار بن عبدالله العبدي، عن أبي سعيد به، وإسناده حسن، والحديث يرتقي إلىٰ الصحة بالطريق الأولىٰ دون قوله: «**إياي كنت أحق أن تخشىٰ**»، والله أعلم.

كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ الآية.[1]

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أي: يخوفكم أولياءه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾، وهذا نَهيٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمرٌ لهم أن يقصروا خوفهم على الله، فلا يخافون إلا إياه، وهذا هو الإخلاص الذي أمر اللهُ به عباده، ورضيه منهم، فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة؛ أعطاهم ما يرجون، وَأَمَّنَهم [من مخاوف الدنيا والآخرة][2]، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٣٦].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن كيد عدو الله أنْ يُخَوِّفَ المؤمنين من جنده وأوليائه؛ لئلا يجاهدوهم، لا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة[3]: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوي إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم.[4] فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان.

---

(١) وبقي قسم رابع وهو: خوف العبادة، وهو الخوف من الله سبحانه وتعالىٰ، قال ابن رجب رحمه الله في كتابه "التخويف من النار" (ص٢١): القدر الواجب من الخوف ما حمل علىٰ أداء الفرائض واجتناب المحارم؛ فإنْ زاد علىٰ ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس علىٰ التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات؛ كان ذلك فضلًا محمودًا؛ فإن تزايد علىٰ ذلك بأن أورث مرضًا، أ و موتًا، أو همًّا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عزوجل؛ لم يكن محمودًا.انتهىٰ.

(٢) في [أ]: مما يخافون في الدنيا والآخرة.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢١)، وابن جرير (٦/ ٢٥٥) من طريق: سعيد، عن قتادة أنه قال: يخوف اللهُ المؤمنَ بالكافر، ويرهب المؤمن بالكافر. وإسناده صحيح، واللفظ الذي ذكره ابن القيم جاء عن السدي، أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٠)، والراوي عنه أسباط الهمداني، وفيه ضعف.

(٤) انتهىٰ من "إغاثة اللهفان" (١/ ١٧٦) ط/ المكتب الإسلامي.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالىٰ: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** [التوبة:١٨].

ش/ أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهلُ الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون [من سواه][(١)]، فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين؛ لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح، والمشرك وإن عمل فعمله: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور:٣٩]، أو: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨].

وما كان كذلك فالعدم خير منه، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مُسَمَّى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ﴾.

قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم، والعبادة، والطاعة، ولا محالة أنَّ الإنسانَ يخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله، كالذل، والإنابة، والمحبة، والتوكل، والرجاء، وغيرها من عبودية القلب.[(٢)]

قوله: ﴿فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

[**قال** ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يقول: إنَّ أولئك هم المهتدون][(٣)]، وكل (عسى) في القرآن فهي واجبة.[(٤)]

---

(١) في [ب]: ما سواه.

(٢) انظر: "طريق الهجرتين" [فصل: تقسيم الناس من حيث القوة العلمية والعملية].

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٤) أخرجه ابن جرير (١١/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦٦)، وهذه الطريق منقطعة كما هو معلوم، =

وفي الحديث: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان**»،[(١)] قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ**﴾، رواه أحمد، والترمذي، والحاكم عن أبي سعيد الخدري.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ**﴾ الآية [العنكبوت:١٠].

ش/ قال ابن كثير: يقول تعالى مُخبرًا عن قومٍ من المكذبين، يدَّعُون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت في قلوبهم: أنهم إذا جاءتهم محنة اعتقدوا أنها من نقمة الله بهم، فارتدوا عن الإسلام، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله.[(٢)]

وقال ابن القيم: الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمَنَّا. وإما أن لا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر، فمن قال: آمَنَّا؛ امتحنه رَبُّه وابتلاه، وفتنه، والفتنة: الابتلاء والاختبار؛ ليتبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل: آمَنَّا، فلا يحسب أنه يعجز الله، ويفوته، ويسبقه، فمن آمن بالرسل وأطاعهم؛ عاداه أعداؤهم، وآذوه، فابْتُلِي بما يؤلمه، ومن لم يؤمن بهم ولم يطعهم؛ عُوقب في الدنيا والآخرة، وحصل له ما يؤلمه، وكان هذا الألم أعظم وأدوم من ألم أتباعهم، فلابد من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والْـمُعْرِض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء، ثم يصير في الألم

= وفي السند أيضًا: عبدالله بن صالح كاتب الليث، وفيه ضعف. أما المعنىٰ فقد ذكره كثير من العلماء أن (عسىٰ) في القرآن واجبة وحق.

(١) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٣/ ٦٨، ٧٦)، والترمذي (٢٦١٧) (٣٠٩٣)، والحاكم (١/ ٢١٢-٢/ ٣٣٢)، وغيرهم، وهو ضعيف، من طريق: درَّاج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، ودرَّاج ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسير الآية [١٠] من سورة العنكبوت بسلسلة العوفيين المشهورة، وهي سلسلة ضعيفة.

الدائم، والإنسان لابد أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم؛ آذوه وعذبوه، وإن وافقهم؛ حصل له العذاب تارة منهم، وتارة من غيرهم، كمن عنده دينٌ وتُقَى حَلَّ بين قوم فُجَّارٍ ظَلَمة، لا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم، أو سكوته عنهم؛ فإن وافقهم أو سكت عنهم؛ سَلِمَ من شَرِّهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداءً لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلم منهم فلابد أن يُهان ويُعاقب على يد غيرهم. فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين ﵂ لمعاوية ﵁: من أرضى الله بسخط الناس؛ كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله؛ لم يغنوا عنه من الله شيئًا.[1] فمن هداه الله، وألهمه رشده، ووقاه شرَّ نفسه؛ امتنع من الموافقة على فعل المحرم، وصبر على عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم. ثم أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة، وأنه إذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه، وهو الألم الذي لابد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك في فراره منه، وتركه السبب الذي يناله به: كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قرب، وهذا من ضعف بصيرته فرَّ من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففرَّ من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله، وغبن كل الغبن؛ إذ استجار من الرمضاء بالنار، وفرَّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جندَه وأولياءه قال: إني كنت معكم، والله أعلم بما انطوى عليه صدره من النفاق. انتهى.[2]

وفي الآية رَدٌّ على المرجئة، والكرامية، [ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا بالله مع

---

(١) سنده صحيح إلىٰ عائشة ﵂ موقوفًا عليها، ولم يصح مرفوعًا، وسيأتي تخريجه.

(٢) من "زاد المعاد" (٣/ ١٤-١٨) مُلخصًا.

عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله، فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل، فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان، وهذا قول أهل السنة والجماعة سَلَفًا وخَلَفًا، والله سبحانه أعلم].[1]

وفيه: الخوف من مداهنة الخلق في الحق، والمعصوم من عصمه الله.[2]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ: أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**».[3]

ش/ هذا الحديث رواه أبو نعيم في "الحلية"، والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف. [وفيه][4] أيضًا عطية العوفي، ذكره الذهبي في "الضعفاء والمتروكين".

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٢) المداهنة غير المداراة، فالمداهنة أن يترك شيئًا من الحق، وربما يفعل بعض المعاصي لأجل أن يُرضي بعضَ الناس، وأما المداراة ففيها تلطف بدون ترك شيء من الدين.

(٣) **ضعيفٌ جدًّا.** أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٥/ ١٠٦) (١٠/ ٤١)، والبيهقي في "الشعب" (٢٠٧)، وفي إسناده: محمد بن مروان السدي، وقد كذب، وعطية العوفي، وفيه ضعف، وهو مدلس ولم يصرح بالسماع.

❁ وله شاهد عن ابن مسعود أخرجه البيهقي في "الشعب" (٢٠٨) من طريق: أبي قرة الزبيدي، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن خيثمة، عن ابن مسعود بنحوه مرفوعًا.

❁ وتابع أبا قرة الزبيدي خالدُ بن يزيد العمري عند الطبراني (١٠٥١٤)، وأبي نعيم (٤/ ١٢١) (٧/ ١٣٠) إلا أنه قال: (عن الأعمش) بدل (منصور).

قلتُ: وطريق قرة في الإسناد إليه أبو حمة الزبيدي، وجعفر بن شعيب الشاشي، وكلاهما مجهول، وأما خالد العمري فهو كذاب. وقد رواه الثقات عن سفيان، عن أبي هارون المدني، عن ابن مسعود موقوفًا، أخرجه كذلك ابن أبي الدنيا في "اليقين"، ومن طريقه البيهقي في "الشعب" (٢٠٩) من طريق الحسن بن الصباح عن سفيان به، فهذا هو الراجح في الحديث، وهو الوقف، والموقوف أيضًا لم يثبت؛ لأن أبا هارون المدني هو موسىٰ بن أبي عيسىٰ الحناط ذكره الحافظ في "التقريب" في الطبقة السادسة، وهو الذي لم يدرك أحدًا من الصحابة؛ وعليه فهو منقطع.

(٤) في [ب]: وفي إسناده.

ومعنى الحديث صحيح، [وتمامه][1]: «[وإن][2] الله **بحكمته جعل الروح والفرح في الرضىٰ واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط**»، [والحديث وإن كان في إسناده من ذُكِر فمعناه صحيح].[3]

قوله: إن من ضعف اليقين.

[الضعف يُضم ويحرك، ضد القوة، ضعف ككرم، ونصر، ضَعَفًا، وَضَعْفًا وضعافة وضعافية؛ فهو ضعيف وضعوف وضعفان، والجمع: ضِعاف، وضُعفاء، وضَعَفة، وضَعْفَى، وضعافى، أو الضعف [بالفتح][4] في الرأي، وبالضم في البدن، فهي ضعيفة، وضعوف، واليقين كمال الإيمان].[5]

قال ابن مسعود رضي الله عنه: اليقين الإيمـان كلـه، والصبر نصف الإيمـان.[6] [رواه الطبراني بسند صحيح][7] [ورواه أبو نعيم في "الحليـة"، والبيهقي في "الـزهد" من حديثه مرفوعًا[8]].[1]

---

(١) في [ب]: وموسىٰ بن بلال قال الأزدي: ساقط، وتمام الحديث... .

(٢) في [أ]: وإنه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٤) ساقط من [أ].

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من [ب]، ومكانه: قال في "المصباح": الضَّعف بفتح الضاد لغة تميم، وبضمها لغة قريش: خلاف القوة والصحة، واليقين المراد به الإيمان كله.

(٦) علَّقه البخاري في "صحيحه" [باب:١] من كتاب الإيمان، لكن علَّق الجملة الأولىٰ منه فقط (اليقين الإيمان كله)، ووصله بتمامه الطبراني (٨٥٤٤)، وابن أبي خيثمة كما في "تغليق التعليق" (٢/ ٢١)، من طريقين عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة، عن ابن مسعود به، وهذا إسناد صحيح.

(٧) ساقط من [ب].

(٨) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٥/ ٣٤)، والبيهقي في "الزهد" كما في التغليق (٢/ ٢٣)، والخطيب (١٣/ ٢٢٦)، وابن الجوزي في "العلل" (١٣٦٤)، ثم قال البيهقي: قال أبو علي النيسابوري: هذا حديثٌ منكر لا أصل له. يعني من الطريق المرفوعة.اهـ، ورفع هذا الأثر لا يصح، فيه: يعقوب بن حميد بن كاسب، وهو ضعيف، ويرويه عن محمد بن خالد المخزومي، قال ابن الجوزي: مجروح. وأيضًا خالف الثقات في رفعه، فالمرفوع منكر.

(١) ساقط من [ب].

[قال: ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق كما في حديث ابن عباس مرفوعًا: «**فإنِ استطعت أن تعمل بالرضىٰ في اليقين فافعل؛ فإن لم تستطع؛ فَإِنَّ في الصبر علىٰ ما تكره خيرًا كثيرًا**».[(١)]

وفي رواية: قلت: يا رسول الله، كيف أصنع باليقين؟ قال: «**أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»[(٢)]].[(٣)]

قوله: «أن تُرضي الناسَ بسخط الله».

أي: تؤثر رضاهم على رضى الله [بأن توافقهم على ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه استجلابًا لرضاهم، وهذا ينافي قوة اليقين، وكمال الإيمان في إيثار ما يرضي الله على ما تهواه النفوس، والصبر على مخالفة هواها كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]][(١)]، [وذلك إذا لم يقم بقلبه من

---

(١) **ضعيف**. أخرجه الحاكم (٣/ ٥٤١)، وفي سنده: عبدالله بن ميمون القدَّاح وهو متروك.
❁ وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٣١٤)، وفيه مبهمان.
❁ وأخرجه الشجري في "الأمالي" (٢/ ١٩٤) كما في "الإيماء" (٣١١١) من طريق: عمرو بن يربع، حدثنا الحارث بن الحجاج، عن أبي معمر، عن علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه، وعمرو بن يربع لم أجد له ترجمة، ويحتمل أن يكون تصحف، والحارث وأبو معمر مجهولان، قاله الدارقطني كما في "سؤالات البرقاني".

(٢) **حسن لغيره**. أخرجه الآجري في "الشريعة" (ص١٩٨)، وفيه: أبو عبدالسلام الشامي، وهو مجهول.
❁ ولكن له شاهد من حديث أبي الدرداء، فقد أخرج أحمد في "مسنده" (٦/ ٤٤١): حدثنا هيثم، قال: حدثنا أبو الربيع، عن يونس، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «**لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»، وهذا إسنادٌ حسن، وقد حسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" (١٠٤٦).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

إعظام الله، وإجلاله، وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب، ويفرج الكروب، ويغفر الذنوب، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رِضَى المخلوق على رضى الله، وتقرب إليه بما يسخط الله، ولا يَسْلَم من هذا إلا من سلمه الله، ووفقه لمعرفته ومعرفة ما يجوز على الله تعالى من إثبات صفاته على ما يليق بجلاله وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافي كماله، ومعرفة توحيده في ربوبيته وإلهيته، وبالله التوفيق].(١)

قولهُ: «وأن تحمدهم علىٰ رزق الله».

أي: على ما وصل إليك [من](٢) أيديهم بأن تضيفه إليهم، وتحمدهم عليه؛ فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده الذي قدره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمرًا قَيَّضَ له أسبابًا، ولا ينافي هذا حديث: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»؛(٣) لأن شكرهم إنما هو بالدعاء لهم؛ لكون الله ساقه على أيديهم، فتدعو لهم، أو تكافئهم؛ لحديث: «**ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه؛ فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**»،(٤) فإضافة الصنيعة إليهم لكونهم صاروا سببًا في إيصال المعروف إليك، والذي قدَّره وساقه هو الله وحده.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٢) في [ب]: علىٰ.

(٣) **صحيح**. رواه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢١٨)، وأحمد (٧٥٠٤)، والطيالسي (٢٤٩١)، وابن حبان (٣٤٠٧)، وغيرهم من طرقٍ عن الربيع بن مسلم الجُمَحي، عن محمد بن زيادة الجُمَحي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، به، وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.
❁ وله شواهد من حديث أبي سعيد الخدري، والنعمان بن بشير، والأشعث بن قيس رضي الله عنهم، وكلها عند أحمد (٣/ ٧٣-٧٤) (٤/ ٢٧٨) (٥/ ٢١١)، وفي كل منها ضعف منجبر، ولكن يزداد بها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوة، وهي صحيحة بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، والله أعلم.

(٤) هو قطعة من حديث سيأتي تخريجه إن شاء الله في الباب رقم (٥٤).

قولهُ: «وأن تذمهم علىٰ ما لم يؤتك الله».

لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قُدِّرَ لك؛ لساقته المقادير [إليك][1]، فمن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنه [هو][2] الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب؛ لم يمدح مخلوقًا على رزق، ولم يذمه على منع، ويفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه في [أمر][3] دينه ودنياه.

وقد قُرِّرَ هذا المعنى بقوله في الحديث: «**فإنَّ رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**»، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

قال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وَعَدَ اللهُ أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله؛ لم تكن مُوقِنًا لا بوعده ولا برزقه؛ فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في [أيديهم][4]، فيترك القيام فيهم بأمر الله؛ لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر، والتأييد، والثواب في الدنيا والآخرة؛ فإنك إذا أَرْضَيت الله؛ نصرك، ورزقك، وكفاك مؤونتهم، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفًا منهم، ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين، وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك؛ فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم؛ فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر؛ كان ذلك من ضعف يقينك، فلا

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [ب]: أمور.

(٤) في [ب]: أيدي الناس.

تخفهم، ولا ترجهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن مَنْ حَمِدَه الله ورسوله [منهم](1)؛ فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله منهم؛ فهو المذموم، ولما قال بعض وفد بني تميم: أي محمد، أعطني؛ فإن حمدي زين وذمي شين. قال [النبي](2) ﷺ: «**ذاك الله**»(3).انتهى.(4)

وَدَلَّ الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مُسَمَّى الإيمان.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) **صحيح**. أخرجه الترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٥١٥)، من طريقين عن الحسين ابن واقد، عن أبي إسحاق، عن البراء به، وهذا إسناد صحيح.

❁ وأخرجه أحمد (٣/ ٤٨٨) (٦/ ٣٩٣)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١١٧٨)، والطبراني (٨٧٨)، من طريق: أبي سلمة عن الأقرع بن حابس، وأبو سلمة روايته عن الأقرع منقطعة كما في "تعجيل المنفعة".

(٤) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ٥١-٥٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**» رواه ابن حبان في "صحيحه".

ش/ هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ،[1] ورواه الترمذي[2] عن رجلٍ من أهل المدينة، قال: كتب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنِ اكتبي لي كتابًا تُوصيني فيه، ولا تكثري عليَّ. فكتبت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إلى معاوية سلام عليك، أما بعد؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضىٰ الله بسخط الناس؛ كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضىٰ الناس بسخط الله؛ وكله الله إلىٰ الناس، والسلام عليك**»، ورواه أبو نعيم في "الحلية".[3]

قوله: «**من التمس**». **أي**: طلب.

قال شيخ الإسلام: وكتبت عائشة إلى معاوية، وروي أنها رفعته: «**من أرضىٰ الله بسخط الناس؛ كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط الله؛ لم يغنوا عنه من اللهِ شيئًا**» هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف: «من أرضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٧٦) (٢٧٧) بإسنادين: أحدهما ظاهره الحسن، والآخر ظاهره الصحة، ولكن كلا الإسنادين قد اختُلِف في رفعه ووقفه كما في "العلل" للدارقطني (١٤/ ١٨٢-١٨٣)، ورجح الدارقطني الموقوف، وكذلك رجحه أبو حاتم، وأبو زرعة كما في "العلل" لابن أبي حاتم (١٨٠٠)، والبخاري كما في "العلل الكبير" (٣٦٦)، والعُقَيلي في "الضعفاء" (٣/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٤)، وأخرجه أيضًا إسحاق بن راهويه (٦٣٢)، والبغوي (١٤/ ٤١٠-٤١١) كلهم من طريق: ابن المبارك، وهذا في "الزهد" (١٩٩) عن عبدالوهاب بن الورد، عن رجل من أهل المدينة به، وهذا إسناد ضعيف، فيه رجل مبهم.

(٣) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٨/ ١٨٨)، وفي إسناده من لم توجد له ترجمة. وقد رُوي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من طُرُقٍ موقوفًا، أخرجه الترمذي في "السنن" (٢٤١٤)، وفي "العلل الكبير" (٦١٦) (٣٦٦)، وأبو داود في "الزهد" (٣٢٩) (٣٣٧)، وأحمد في "الزهد" (ص٢٠٥)، وابن المبارك في "الزهد" (٢٠٠)، ووكيع في "الزهد" (٥٢٣)، والبيهقي في "الزهد" (٨٩١) من طرقٍ صحيحة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفًا.

وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله؛ عاد حامده من الناس له ذامًّا»، وهذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإن من أرضى اللهَ بسخطهم؛ كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه قد لا يحصل ذلك، لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة، ومن أرضى الناسَ بسخط الله؛ لم يغنوا عنه من الله شيئًا كالظالم الذي يعض يديه، وأما كون حامده ينقلب ذامًّا، فهذا يقع كثيرًا، ويحصل في العاقبة؛ فإنَّ العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند أهوائهم.انتهى.[(١)]

وقد أحسن من قال [شعرًا][(٢)]:

إذا صح منك الود يا غاية المنىٰ فكل الذي فوق التراب تراب[(٣)]

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: فمن تحقق أنَّ كلَّ مخلوق فوق التراب؛ فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب؟ إن هذا لشيء عُجَاب.[(٤)]

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ٥٢).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) هذا البيت لأبي فراس الحمداني الحارث بن سعيد بن حمدان، وقبله بيتان:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضىٰ والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

نسبها إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "المدارج" (٢/ ٣٠١)، وقال: ولقد أحسن أبو فراس في هذا المعنىٰ؛ إلا أنه أساء كلَّ الإساءة في قوله إذ يقوله لمخلوق لا يملك له ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًّا.اهـ

(٤) انتهىٰ من كتابه "نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس" ضمن "رسائل ابن رجب" (٣/ ١٤٢).

وفي الحديث: عقوبة من خاف الناس، وآثر رضاهم على [رضا][1] الله، وأن العقوبة قد تكون في الدين عياذًا بالله من ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٧].

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أنَّ اليقين يَضْعُفُ ويقوىٰ.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أنَّ إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

---

(١) ساقط من [ب].

٣٢- بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

ش/ قال أبو السعادات: يُقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان [إذا][١] اعتمدت عليه [فيه][٢]، ووكل فلانٌ فلانًا إذا استكفاه أمره؛ ثقة بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه.[٣] انتهى.

وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أنَّ التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ فإنَّ تقديم المعمول يفيد الحصر، أي: وعلى اللهِ فتوكلوا لا على غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة؛ فإنه إذا اعتمد على اللهِ في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه؛ صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى، فهو من أعظم منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على اللهِ كما في هذه الآية، وكما قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِالله فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩]، والآيات في الأمر به كثيرة جدًّا.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) التوكل علىٰ الله في اللغة هو ما ذكره الشارح عن أبي السعادات. **وأما معناه في الشرع:** فهو صدق الاعتماد علىٰ الله في جلب المنافع، ودفع المضار مع العمل بالأسباب، وكل إنسان مسلم عنده توكل، لكنهم يتفاوتون فيه، فمن قوي توكله علىٰ الله؛ قوي إيمانه، والعكس.

قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب.(١)

وقال ابن القيم في معنى الآية المترجم بها: فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان؛ فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، وفي الآية الآخرى: ﴿قَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِالله فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي إيمان العبد؛ كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان؛ ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا كان دليلًا على ضعف الإيمان، ولابد، والله تبارك وتعالى يجمع بين التوكل والعبادة(٢)، وبين التوكل والإيمان(٣)، وبين التوكل والتقوى(٤)، وبين التوكل والإسلام(٥)، وبين التوكل والهداية(٦)، فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان، والإحسان،

---

(١) كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيم في "مدارج السالكين" (٢/ ١١٤)، وفي كتابه "طريق الهجرتين" (ص٣٢١).

(٢) قد جمع الله تعالىٰ في كتابه بين التوكل والعبادة في نحو سبع آيات:

١) قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].
٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].
٣) قوله تعالىٰ: ﴿رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩].
٤) قوله تعالىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[هود:١٢٣].
٥) قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].
٦) قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].
٧) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، انظر: "طريق الهجرتين" (ص٣١٨-٣٢١).

قال ابن القيم رحمه الله: فهذه السبعة المواضع جمعت الأصلين: التوكل، وهو الوسيلة، والإنابة: وهي الغاية؛ فإنَّ العبد لابد له من غاية مطلوبة، ووسيلة موصلة إلىٰ تلك الغاية، فأشرف غاياته التي لا غاية له أجل منها: عبادة ربه، والإنابة إليه، وأعظم وسائله التي لا وسيلة له غيرها البتة: التوكل علىٰ الله، والاستعانة به.اهـ

(٣) كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك:٢٩]، وقوله ﴿وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] وقوله: ﴿وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران:١٢٢/ [المائدة:١١/ التوبة:٥١/ إبراهيم:١١/ المجادلة:١٠/ التغابن:١٣].

(٤) كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:١-٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

(٥) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤].

(٦) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾[إبراهيم:١٢].

ولجميع أعمال الإسلام، وأنَّ منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل.(١)

قال شيخ الإسلام: وما رجا أحدٌ مخلوقًا، ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه؛ فإنه مشرك: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].اهـ(٢)

قال الشارح: قلت: لكن التوكل على [غير](٣) الله قسمان: **أحدهما:** التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، [كالذين يتوكلون](٤) على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصرٍ، أو حفظٍ، أو رزقٍ، أو شفاعةٍ؛ فهذا شرك أكبر. **الثاني:** التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أميرٍ، أو سلطانٍ فيما أقدره الله تعالى عليه من رزقٍ أو دفع أذى، ونحو ذلك؛ فهو نوعُ شركٍ أصغر،(٥) والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما [وكل فيه](٦)، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه، أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها، بل يعتمد على الـمُسَبِّبِ الذي أوجد السبب والمُسَبَّبَ.(٧)

---

(١) انتهىٰ من "طريق الهجرتين" (ص٣١٨، ٣٢١).

(٢) انتهىٰ كما في "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ٢٥٧).

(٣) ساقط من المخطوطتين، وأضفناه من "التيسير" (ص٤٩٧).

(٤) في [ب]: كالذي يتوكل.

(٥) هذا القسم الثاني يكون شركًا أصغر إذا وصل به الحال إلىٰ أن يتعلق قلبه بهذا الشخص، وأما إذا كان يجعله سببًا وقلبه متعلق بالله؛ فهذا ليس بشرك أصلًا، لا أصغر ولا أكبر.

(٦) في [ب]: وكله عليه.

(٧) الاعتماد علىٰ السبب قد يوصل صاحبه إلىٰ الشرك الأكبر، وذلك إذا اعتقد أن السبب هو الذي ينفع مع الله، أو من دون الله، فيعتقد أن النفع والضر منها بدون تفويض الأمور إلىٰ الله. والأمر الثاني: أن يعتمد عليها اعتمادًا بالغًا، وهو يعتقد أن النفع والضر من الله، لكن جاوز الحد في ذلك، فجعله يخشىٰ علىٰ نفسه، أو يتضجر إذا فاته هذا السبب، فهذا قد يوصل صاحبه إلىٰ الشرك الأصغر، وإلا فهو معصية.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢].

ش/ قال ابن عباس في الآية: المنافقون لا يدخل [في][1] قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصَلُّون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فأدوا فرائضه. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.[2] ووجلُ القلبِ من اللهِ مستلزم القيام بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه.

قال السدي: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هو الرجل يريد أن يظلم. أو قال: يهم بمعصية. فيقال له: اتق الله. فيجل قلبه. رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير.[3]

قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

استدل الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

قال عمير بن حبيب الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص. فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه؛ فذلك زيادته، وإذا غفلنا، ونسينا، وضيعنا؛ فذلك

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) **ضعيف**. ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم عند تفسير هذه الآية من سورة الأنفال من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفيه انقطاع، وفيه: عبدالله بن صالح كاتب الليث ضعيف.

(٣) **صحيح**. أخرجه الثوري في "تفسيره" (ص١١٥)، عن السدي.

❁ ومن طريق الثوري أخرجه ابن جرير (١١/ ٢٩)، وابن المبارك في "الزهد" (١٣٩-زوائد نعيم)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٥٥)، وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٧٣٧) من طريق الثوري كذلك، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلىٰ ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

نقصانه. رواه ابن سعد.[(١)]

وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص، وهو قولٌ، وعمل. رواه ابن أبي حاتم.[(٢)]

وحكى الإجماع على ذلك الشافعيُ، وأحمدُ، وأبو عبيد وغيرهم.[(٣)]

قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أنَّ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده لا شريك له، وفي الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات

---

(١) **صحيح**. رواه ابن سعد (٤/ ٣٨١)، ورواه أيضًا عبدالله بن أحمد في كتاب "السنة" (٦٢٤، ٦٨٠)، وابن أبي شيبة في كتاب "الإيمان" (١٤)، والآجري في "الشريعة" (٢١٦)، وابن بطة في "الإبانة" (١١٣١)، والبيهقي في "الشعب" (٥٦) من طريق: حماد، عن أبي جعفر الخطمي، واسمه: عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب، عن أبيه، عن جدِّه. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، أهل صدق، قال ابن مهدي كما في "تهذيب التهذيب" ترجمة أبي جعفر: كان أبو جعفر، وأبوه، وجده قومًا يتوارثون الصدق بعضهم عن بعض.

قلتُ: يزيد بن عمير لم توجد له ترجمة، ويكفيه تعديل ابن مهدي هذا، ولكن روىٰ ابن سعد (٤/ ٣٨١)، وعبدالله بن أحمد (٦٢٥)، واللالكائي (١٧٢١) هذا الأثر من طريق حماد عن أبي جعفر، عن جدِّه عمير بن حبيب، وهذا منقطع. قال عفان: قلت لحماد: إنك حدثتني عن أبيه عن جدِّه. قال: أحسبه عن أبيه عن جده.

قلتُ: روايته عن جده منقطعة؛ فإنه لم يسمع من أحدٍ من الصحابة، والذي يظهر أنَّ حمادًا كان جازمًا بأنه عن أبيه عن جدِّه، ثم نسي وشك، فالعبرة بجزمه الأول؛ لأنَّ النسيان لا يضر بالرواية المتقدمة علىٰ الصحيح، وعليه فالأثر صحيح، والله أعلم.

(٢) **ضعيف**. أخرجه عبدالله في "السنة" (٦١١)، وابن بطة (١١٦٧)، واللالكائي (١٧٢٨)، والبيهقي في "الشعب" (٦٠)، من طريق: يزيد بن أبي زياد الهاشمي، عن مجاهد به، وإسناده ضعيف لضعف يزيد.

(٣) أما الشافعي فنقله عنه شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه "الإيمان" (ص٢٩٢)، وعزاه لـ"الأم"، وأما قول أحمد فرواه ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد" (ص٢٢٨)، وابن أبي يعلىٰ في "طبقات الحنابلة" (١/ ١٣٠)، وهو ثابتٌ عنه. وأما قول أبي عبيد فهو في كتابه "الإيمان" قبل رقم (٩)، وأخرجه ابن بطة (١١١٧)، وذكره شيخ الإسلام في "الإيمان" (ص٢٩٣-٢٩٥).

[من مقامات][(١)] الإحسان، [وهي][(٢)]: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده، وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان، وحصول أعماله الباطنة والظاهرة، مثال ذلك الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها، وأدَّى الزكاة كما أمره الله؛ استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].

ش/ قال ابن القيم: [أي][(٣)] اللهُ وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد.[(٤)] وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.[(٥)]

وقيل: المعنى: حسبك الله، وحسبك المؤمنون.

قال ابن القيم: وهذا خطأٌ محضٌ[(٦)]، لا يجوز حمل الآية عليه؛ فإنَّ الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل، والتقوى، والعبادة، قال [الله][(٧)] تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢]، ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

---

(١) ساقط من [أ].
(٢) في [أ]: وهو.
(٣) ساقط من [ب].
(٤) انظر: "زاد المعاد" (١/ ٣٥).
(٥) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ٢٩٣، ٣٠٦)، وقد عزاه إلىٰ جمهور السلف والخلف.
(٦) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ١٥٤): ومن ظنَّ أنَّ المعنىٰ (حسبك الله والمؤمنون معه) فقد غلط غلطًا فاحشًا.اهـ
(٧) ساقط من [ب].

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] ، ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩]، فتأمل كيف جعل الإيتاء لله والرسول، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: [وقالوا][١] حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه، كما قال: ﴿إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾، فجعل الرغبة إليه وحده، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح:٨]، فالرغبة، والتوكل، والإنابة، والحسب لله وحده، كما أنَّ العبادة، والتقوى، والسجود، والنذر، والحلف، لا يكون إلا له سبحانه وتعالى. انتهى.[٢]

وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة، فإذا كان هو الكافي لعبده؛ وجب ألا يتوكل إلا عليه، ومتى التفت بقلبه إلى سواه؛ [وكله][٣] إلى من التفت إليه، كما في الحديث: «**من تعلق شيئًا وُكل إليه**».[٤]

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[الطلاق:٣].

ش/ قال ابن القيم رحمه الله وغيره: أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه؛ فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لابد منه، كالحر، والبرد، والجوع، والعطش، وأما أنْ يضره بما يبلغ به مراده؛ فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذى الذي هو الظاهر إيذاء، وفي الحقيقة إحسان [إليه][٥] وإضرار بنفسه، وبين [الضرر][٦] الذي يتشفى به منه. قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

---

(١) ساقط من [ب].
(٢) من "زاد المعاد" (١/ ٣٦-٣٧).
(٣) في [ب]: وُكِلَ.
(٤) تقدم في الباب رقم (٧).
(٥) إضافة من "البدائع".
(٦) في [ب]: الضر.

عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فلم يقل: فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه، [وحسبه](١) وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهن؛ لجعل [الله](٢) له مخرجًا، وكفاه [ورزقه](٣)، ونصره. انتهى.(٤)

وفي أثر رواه أحمد في "الزهد" عن وهب بن منبه، قال: «قال الله عز و جل في بعض كتبه: بعزتي إنه من اعتصم بي، فكادته السموات بمن فيهن، والأرضون بمن فيهن؛ فإني أجعل له من ذلك مخرجًا، ومن لم يعتصم بي؛ فإني أقطع يديه من أسباب السماء، وأخسف من تحت قدميه الأرض، فأجعله في الهواء، ثم أكله إلى نفسه، كفى بي لعبدي مآلًا، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني، فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه».(٥)

وفي الآية دليل على فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الله علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليقَ الجزاء على الشرط، فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه؛ لأن الله تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له، فَعُلِم أن توكله هو سبب كون الله حسبًا له. وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل؛ لأنه تعالى ذكر التقوى، ثم ذكر التوكل، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [ب].

(٤) من "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٥) **صحيح**. أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٢٠) بنحوه، فقال: أخبرنا أبو عبد الله الطهراني فيما كتب إلي، أنبانا إسماعيل بن عبد الكريم، أخبرني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع عمه وهب بن منبه فذكره. وهذا إسنادٌ صحيح. وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٣١٨) وأحمد في "الزهد" (ص٦٩)ط.الريان، مختصرًا، وأبو نعيم في "الحلية" (٤/ ٣٨) من طرق أخرىٰ تزيد الطريق الأولىٰ قوة.

[المائدة:١١]، فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام بالأسباب المأمور بها، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مَشُوبًا بنوعٍ من التوكل، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا، ولا عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها، ذكره ابن القيم بمعناه.(١)

(١) في "زاد المعاد" (٢/ ٢٦٣).

وقال ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (٢/ ١٢٠): فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلىٰ الأسباب، وقطع علاقة القلب بها؛ فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله، وأمره، ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا علىٰ ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا علىٰ قدم العبودية، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.اهـ

وقال في "المدارج" (٣/ ٤٩٥): وبالجملة فليس إسقاط الأسباب من التوحيد، بل القيام بها، واعتبارها، وإنزالها في منازلها التي أنزلها الله فيها هو محض التوحيد والعبودية، والقول بإسقاط الأسباب هو توحيد القدرية الجبرية أتباع جهم بن صفوان في الجبر.اهـ

فائدة: قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ٣٢-٣٥): فهذا الموضع -يعني العبادة والتوكل- قد انقسم الناس فيه إلىٰ أربعة أقسام: قوم ينظرون إلىٰ جانب الأمر والنهي، والعبادة والطاعة، ولا ينظرون إلىٰ جانب القضاء والقدر، والتوكل والاستعانة، وهو حال كثير من المتفقهة، والمتعبدة، فهم يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان. وقسم ثاني: يشهدون ربوبية الحق، وافتقارهم إليه، ويستعينون به، لكن علىٰ أهوائهم، وأذواقهم غير ناظرين إلىٰ حقيقة أمره ونهيه، ورضاه وغضبه ومحبته، وهذا حال كثير من المتفقرة والمتصوفة. وأما القسم الثالث: وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به، فهؤلاء شر الأقسام. والقسم الرابع: هو القسم المحمود، وهو حال الذين حققوا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقوله ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، فاستعانوا به علىٰ طاعته؛ ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلىٰ الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضىٰ التوحيد والعقل والشرع.انتهىٰ بتصرف وتلخيص.

وقال ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين" (٣٢٣): فمنع الأسباب أن تكون أسبابًا قدح في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها، وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد، والتوكل والقيام بها وتنزيلها منازلها، والنظر إلىٰ مسببها، وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وهو الكمال، والله أعلم.

وقال أيضًا (ص٣٢٣): رفض الأسباب بالكلية انسلاخ من العقل والدين.اهـ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقِيَ في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣]. رواه البخاري والنسائي.[1]

ش/ قوله: ﴿حَسْبُنَا اللهُ﴾.

أي: كافينا، فلا نتوكل إلا عليه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر:٣٦].

قوله: ﴿وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾.

أي: نعم الموكول إليه، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الحج:٧٨]، ومخصوصُ (نِعْمَ) محذوف تقديره (هو).

قال ابن القيم: هو حسبُ من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، فمن تولاه، واستنصر به، وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه؛ تولاه وحفظه، وحرسه، وصانه، ومن خافه واتقاه؛ أمنه مما يخاف ويحذر، ويجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع.[2]

قوله: قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار.

قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠].

قوله: وقالها محمد ﷺ حين [قالوا له][3]: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٣)، والنسائي في "الكبرىٰ" برقم (١١٠٨١)، واللفظ للبخاري.

(٢) انتهىٰ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٣٧).

(٣) في [ب]: قال لهم الناس.

وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أُحُد، بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكرة عليهم.

فخرج النبي ﷺ في سبعين راكبًا حتى انتهى إلى حمراء الأسد[(١)]، فألقى اللهُ الرعبَ في قلب أبي سفيان، فرجع إلى مكة بمن معه، ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟

قالوا: نريد المدينة.

قال: فهل أنتم مبلغون محمدًا عني رسالة؟

قالوا: نعم.

قال: فإذا وافيتموه، فأخبروه أنَّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم.

فَمَرَّ الركبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»[(٢)].

ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة، وأنها قول الخليلين عليهما [الصلاة][(٣)] والسلام في الشدائد، وجاء في الحديث: «**إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل**»[(٤)].

---

(١) هو موضع على ثمانية أميال من المدينة. "معجم البلدان" (٢/ ٣٠١).

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث في أوائل الباب (٣١)، وهذا السياق في مرسل عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عند ابن إسحاق والطبري.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) الحديث في "ضعيف الجامع" للعلامة الألباني رحمه الله (٨٢٩)، وضعفه المناوي في "فيض القدير" (١/ ٤٥٥)، وعزاه السيوطي لابن مردويه وكتابه مفقود، ووجدنا سنده في "تفسير ابن كثير" عند تفسير آية سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وسبب الضعف هو: أبو خيثمة مصعب بن سعيد، ضعفه ابن عدي، وصالح جزرة، وقد تفرد به.

فيه مسائل:

الأولىٰ: أنَّ التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عِظم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم، ومحمد ﷺ في الشدائد.

٣٣- باب ما جاء في قَوْلُ اللّه تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ما جاء في قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: **﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾** [الأعراف:٩٩].(١)

ش/ قصد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه ينافي كمالَ التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك، وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وأرشد إليه السلف والأئمة.

ومعنى الآية: أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بَيَّنَ أنَّ الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله، وعدم الخوف منه، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف:٩٧-٩٩]، أي: الهالكون(٢)، وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء [والنعم](٣)، فاستبعدوا

(١) لعل مناسبة ذكر هذا في "كتاب التوحيد" هو أن المشركين وإن أمدهم الله بالنعم؛ فيجب عليهم ألا يأمنوا من مكر الله؛ فإن الله يمهل للظالم، فكون ربنا تعالىٰ يمدهم بالنعم الدنيوية لا يدل علىٰ رضاه، ويحتمل أن يكون تنبيهًا علىٰ أنَّ الخوف من الله عبادة كما بين ذلك قبل باب؛ مالم يصل إلىٰ القنوط من رحمة الله. وتنبيهًا علىٰ أنَّ التوكل عبادة كما بين ذلك في الباب السابق؛ مالم يصر تواكلًا وعجزًا بترك الطاعات، وفعل المنكرات، والأمن من عقاب الله عزوجل، وهذا الاحتمال الثاني أقوىٰ، والله أعلم.

(٢) الأمن من مكر الله يتفاوت عند الناس، وهو من كبائر الذنوب؛ مالم يصل إلىٰ عدم الخوف من الله بالكلية، وهو حال الكافرين، وأما المسلم فلا يزال عنده خوف من ربه سبحانه وإن وقع في المعاصي، ويتفاوت الخوف: فمن كان أشد خوفًا من الله؛ كان أقل أمنًا من مكر ربه سبحانه، وبالعكس.

(٣) في [ب]: والنعيم.

أن يكون ذلك مكرًا.

قال الحسن: من وسَّع [الله][(١)] عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له.[(٢)]

وقال قتادة: بغت القومَ أمرُ الله، وما أخذ اللهُ قومًا قط إلا عند سلوتهم، وغرتهم، ونعمتهم، فلا تغتروا بالله.[(٣)]

وفي الحديث: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا [وهو مقيم][(٤)] علىٰ معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**» رواه أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.[(٥)]

وقال إسماعيل بن رافع: من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة. رواه ابن أبي حاتم.[(٦)]

وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف: يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه، ويُملي

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آية الأنعام: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا﴾ الآية، وفي سنده رجل مبهم؛ فالأثر ضعيف.

(٣) صحيح. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير [آية:٩٥] من سورة الأعراف عن موسىٰ بن هارون الطُّوسي، ثنا الحسين بن محمد المروزي، ثنا شيبان عن قتادة به، وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات معروفون.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) صحيحٌ بطرُقِه. أخرجه أحمد (٤/ ١٤٥)، وفي «الزهد» (ص١٢)، من طريق: رشدين بن سعد، عن حرملة بن عمران التجيبي، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر به، وإسناده ضعيف؛ لأنَّ رشدين ابن سعد ضعيف، ولكنه قد تُوبِع، فقد تابعه أحمد بن عبدالرحمن بن أخي ابن وهب عند ابن أبي حاتم (١٢٩٠)، وهو حسن الحديث، وتابعه أيضًا عبدالله بن صالح كاتب الليث عند الطبراني في «الأوسط» (٩٢٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٤٠)، وفيه ضعف يسير، وتابعه أيضًا حجَّاج بن سليمان الرعيني عند الدولابي في «الكنىٰ» (١/ ١١١)، وهو ضعيف، وتابعه أبو الصلت الشامي عند ابن جرير (٩/ ٢٤٨)، وهو مجهول، وتابع حرملةَ ابنُ لهيعة عند ابن أبي حاتم، والطبري عند الآية المتقدمة؛ فالحديث صحيح بمجموع هذه الطرق.

(٦) ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٢٩)، وفيه: أبو أيوب بن سويد الرَّملي، ضعيف، وحماد بن حميد العسقلاني مجهول حال.

لهم، ثم يأخذهم أخذَ عزيز مقتدر، وهذا هو معنى [المكر] (١) والخديعة ونحو ذلك، ذكره ابن جرير بمعناه.

قال المصنف رحمه الله: وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

ش/ [القنوط: استبعاد الفرج، واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، وتقدم ما فيه] (٢)؛ لمنافاته لكمال التوحيد، وذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية مع التي قبلها تنبيهًا على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا راجيًا يخاف ذنوبه، ويعمل [بطاعته] (٣)، ويرجو رحمته، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، فالرجاء مع المعصية، وترك الطاعة غرور من الشيطان؛ ليوقع العبد في المخاوف مع ترك الأسباب المنجية من المهالك، بخلاف حال أهل الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة خوفًا من الله، وهربًا من عقابه، وطمعًا في المغفرة، والرجاء لثوابه.

والمعنى أنَّ الله تعالى حكى قول خليله إبراهيم عليه السلام لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤]؛ لأن العادة أن الرجل إذا كبر سِنُّه وسنُّ زوجته استبعد أن يولد له منها، والله على كل شيء قدير، فقالت الملائكة: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر:٥٥] الذي لا ريب فيه؛ فإن الله إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون: ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾، أي: من الآيسين، فقال عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) في [ب]: قد تقدم ما في القنوط.

(٣) في [ب]: بطاعة الله.

رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]؛ فإنه يعلم من قدرة الله [ورحمته][(١)] ما هو أبلغ من ذلك وأعظم، لكنه -والله أعلم- قال ذلك على وجه التعجب.

قوله: ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

قال بعضهم: إلا المخطئون طريق الصواب، أو: إلا الكافرون، كقوله: ﴿إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].[(٢)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ سُئِل عن الكبائر؟ فقال: «**الشّرك بالله، واليأسُ من رَوْح الله، والأمنُ من مَكْر الله**».[(٣)]

ش/ هذا الحديث رواه البزار، وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، ورجاله ثقات إلا شبيب بن بشر، فقال ابن معين: ثقة. وَلَيَّنَهُ أبو حاتم. وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا.[(٤)]

قوله: «**الشرك بالله**».

هو أكبر الكبائر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الشرك بالله هضم للربوبية، وتنقص للإلهية،

---

(١) في [ب]: وحكمته.

(٢) القنوط هو أشد اليأس، قاله ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في "النهاية": والقنوط واليأس من رحمة الله من كبائر الذنوب، والمسلم لا يزال عنده رجاء من الله بالخير وإن وقع منه اليأس، وأما الكافر فهو في قنوط كامل بحيث لم يبق معه رجاء بربه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣].

(٣) أخرجه البزار كما في "الكشف" (١٠٦)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٢٠١) من طريق: شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وفي إسناده: شبيب بن بشر، فقد قال فيه ابن حبان: يُخطئ كثيرًا، وهذا جرح مفسر، ولعل الصواب ما قاله ابن كثير بأن الأشبه أن يكون موقوفًا، ووهم شبيب برفعه.

(٤) قاله ابن كثير في تفسير سورة النساء [آية:٣١].

وسوء ظن برب العالمين. انتهى.[١]

ولقد صدق ونصح، [قال تعالى][٢]: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]؛ ولهذا لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.

قوله: «**واليأس من روح الله**».

أي: قطع الرجاء، والأمل من اللهِ فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته، وجوده ومغفرته.

قوله: «**والأمن من مكر الله**».

أي: من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان -نعوذ بالله من ذلك- وذلك جهل بالله وبقدرته، وثقة بالنفس، وعجب بها.

واعلم أن هذا الحديث لم يرد به حصر الكبائر في الثلاث، بل الكبائر كثيرة، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة، وضابطها ما قاله المحققون من العلماء: كل ذنب ختمه الله بنارٍ، أو لعنةٍ، أو غضبٍ، أو عذابٍ. زاد شيخ الإسلام ابن تيمية: أو نفي الإيمان.[٣]

قلت: ومن برئ منه رسول الله ﷺ، أو قال: «**ليس منا من** فعل كذا وكذا»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.[٤]

---

(١) لم أجد مصدر هذا النص من كتب ابن القيم بعد البحث المتكرر.

(٢) في [ب]: كما قال تعالىٰ.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١١/ ٦٥٠-٦٥٢).

(٤) تقدم تخريجه في الباب رقم (٢٣).

قال المصنف رحمه الله: وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «**أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**». رواه عبدالرزاق.

ش/ ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح عن ابن مسعود رضي الله عنه.(١)

قوله: أكبر الكبائر الإشراك.

أي: في ربوبيته، أو عبادته، وهذا بالإجماع.

قوله: والقنوط من رحمة الله.

قال أبو السعادات: هو أشد اليأس.

وفيه التنبيه على [الجمع بين](٢) الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله، وكان السلف يستحبون أن يقوى في الصحة الخوف، وفي المرض الرجاء، وهذه طريقة أبي سليمان الداراني(٣) وغيره، قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاءُ الخوفَ؛ فسد القلب.(٤)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢]، وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا

---

(١) هذا الأثر ثابتٌ عن ابن مسعود رضي الله عنه، وله أكثر من إسناد صحيح عند عبدالرزاق (١١/ ٤٥٩)، وفي "التفسير" (١/ ١٥٥)، وابن جرير (٦/ ٦٤٨-)، والطبراني (٨٧٨٥).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية الدَّاراني، متصوف، متزهد، وليس من غلاة الصوفية، له ترجمة طويلة في "الحلية" (٩/ ٢٥٤-٢٨٠).

(٤) انظر: "المدارج" (١/ ٥١٧)، ثم قال ابن القيم رحمه الله: وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء، والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه.

آتوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١]، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:٩] الآية، وقَدَّم الحذر على الرجاء في هذه الآية.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحِجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أَمِنَ مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

٣٤- بَاب مِنَ الإِيمَانِ بِاللّه الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللّه

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب مِنَ الإِيمَانِ بِالله الصَّبْرُ عَلَىٰ أَقْدَارِ الله

ش/ قال الإمام أحمد: ذكر الله تعالى الصبر في تسعين موضعًا من كتابه.(١)

وفي الحديث الصحيح: «**الصبر ضياء**»(٢) رواه أحمد، ومسلم.(٣)

وللبخاري ومسلم مرفوعًا: «**ما أُعْطِي أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**».(٤)

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وجدنا خير عيشنا بالصبر. رواه البخاري.(٥)

قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ثم رفع صوته، فقال:

---

(١) ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "المدارج" (٢/ ١٥٢).

(٢) الضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق، كضياء الشمس، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾[يونس:٥]، ولما كان الصبر شاقًّا علىٰ النفوس كان ضياءً. "جامع العلوم والحكم" رقم (٢٣).

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٣٤٣، ٣٤٤)، ومسلم (٢٢٣)، وكذلك الترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٥/ ٥-٦)، وابن ماجه (٢٨٠)، وابن حبان (٨٤٤) وغيرهم. والحديث قد أُعِلَّ في "صحيح مسلم" بالانقطاع، لكن جاء موصولًا عند النسائي، وابن ماجه، وابن حبان.

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) (٦٤٧٠)، ومسلم برقم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) **صحيح**. رواه البخاري في "صحيحه" معلَّقًا بصيغة الجزم [باب:(٢٠) من كتاب الرقاق]، ووصله أحمد في "الزهد" (ص١١٧)، وابن المبارك في "الزهد" (٦٣٠)، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ٥٠) بسند صحيح عن مجاهد، عن عمر، ومجاهد لم يسمع من عمر؛ فهو منقطع، فالسند صحيح إلىٰ مجاهد.

قال الحافظ في "الفتح"، وفي "التغليق" (٥/ ١٧٣)، وأخرجه الحاكم من طريق: منصور، عن مجاهد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر.اهـ

ولم نجده عند الحاكم، فالعمدة علىٰ نقل الحافظ، ووجدنا للأثر طريقًا أخرىٰ عند ابن أبي الدنيا في كتابه "الصبر" رقم (٦)، لكن فيه علل: ففيه رجل مبهم، وفيه: ليث بن أبي سليم، وفيه انقطاع بين أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود وأبيه، والبخاري جزم به، فلا بأس بتصحيحه مع طريق الحاكم، والله أعلم.

ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له.[(١)]

واشتقاقه: من (صبر) إذا حبس، ومنع، والصبر حبسُ النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، [وحبس][(٢)] الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما. ذكره ابن القيم.[(٣)]

واعلم أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به، وصبر عما نهى [الله][(٤)] عنه، وصبر على ما قدره الله من المصائب.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾ [التغابن:١١].

ش/ وأول الآية: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾، أي: بمشيئته، وإرادته، [وحكمته][(٥)]، كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) **حسن**. أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه "الصبر" رقم (٨)، وفي إسناده: السري بن إسماعيل، وهو متروك، وله طريق أخرىٰ عند ابن أبي شيبة بنحوها في كتابه "الإيمان" رقم (١٣٠)، و"المصنف" (١١/ ٤٧)، من طريق: أبي إسحاق السبيعي، عن علي، وهي طريق منقطعة؛ لأنَّ أبا إسحاق لم يدرك عليًّا.

❁ وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٩٧١٨)، من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن علي به، وهذا إسناد صحيح؛ لولا الانقطاع بين عكرمة، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ وأخرجه اللالكائي (١٥٦٩)، من طريق: محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن علي، ومحمد بن زياد هو الميموني، وهو كذاب، وميمون لم يدرك عليًّا، والأثر حسن بالطريقين اللتين قبلها، والله أعلم.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) انظر: "المدارج" (٢/ ١٥٦)، وقد تصرف الشارح بكلامه يسيرًا.

(٤) ساقط من [ب].

(٥) ساقط من [أ].

صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

قال ابن عباس [-في قوله ﴿إلا بإذن الله﴾-: إلا][(١)] بأمر الله. يعني عن قدره ومشيئته،[(٢)] ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، أي: من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله؛ هدى اللهُ قلبَه وعوضه عما فاته من الدنيا، هُدًى في قلبه ويقينًا صادقًا، وقد يخلف الله عليه [في الدنيا ما ما أخذه أو خيرًا منه].[(٣)]

قوله: ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾.

تنبيهٌ على أنَّ ذلك إنما يصدر عن علمه المتضمن لحكمته، وذلك يوجب الصبر والرضا.

قال المصنف رحمه الله: قال عَلْقمة: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيْبُهُ الْـمُصِيْبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَىٰ ويُسلِّم.[(٤)]

ش/ هذا الأثر رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

وعلقمة: هو ابنُ قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، وُلد في حياة النبي ﷺ، وسمع من أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وابن مسعود، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم[(٥)]، وهو من

---

(١) إضافة من المطبوع.

(٢) ذكره ابن كثير في "تفسيره"، ولم نجده في الطبري، ولا في "الدر المنثور"؛ فلعله في الكتب المفقودة.

(٣) في [أ]: ما كان أخذ منه.

(٤) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" [آية:١١] من سورة التغابن، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" [آية:١١] من نفس السورة، وإسناده صحيح، وقد ذكر الشارح الإسناد.

(٥) أخطأ الشارح؛ فترجم لعلقمة بن وقاص الليثي؛ فإنه هو الذي ولد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر، وعمر، وأما علقمة بن قيس النخعي صاحب الأثر؛ فإنه لم يسمع من أبي بكر وعمر، وولد متأخرًا.

كبار التابعين، وعلمائهم، وثقاتهم، مات بعد الستين.

قوله: هو الرجل تصيبه المصيبة...، إلى آخره.

هذا الأثر رواه الأعمش عن أبي ظبيان، قال: كنا عند علقمة، فَقُرِئ عليه هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١]، قال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم. هذا سياق ابن جرير، وفي هذا دليل على أن الأعمال من مُسَمَّى الإيمان، قال سعيد بن جبير: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، يعني يسترجع، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.(١)

وفي الآية بيان أن الصبر [سبب](٢) لهداية القلب، وأنها من ثواب الصابرين.

قال المصنف رحمه الله: وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الـمَيِّتِ**».(٣)

ش/ أي: هما بالناس كفرٌ حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله، ورزقه علمًا وإيمانا يستضيء به، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا الإيمان المطلق، وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله: «**ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة**»(٤) وبين كفر مُنَكَّرٍ في الإثبات.(٥)

---

(١) ذكره ابن كثير في "تفسيره"، ولم نجده عند ابن جرير، ولا عند السيوطي في "الدر المنثور".

(٢) ساقط من [ب].

(٣) أخرجه مسلم برقم (٦٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٨٢)، عن جابر رضي الله عنه.

(٥) هذا التفريق ذكره شيخ الإسلام في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٠٨)، وهو أن الكفر المعرف يفيد الكفر الأكبر، والكفر المنكر يفيد الكفر الأصغر، وهذا ليس علىٰ إطلاقه، فقد وجد من الكفر المعرف الذي أطلق علىٰ الكفر الأصغر كقول امرأة ثابت بن قيس للنبي ﷺ: إني أكره الكفر في=

قوله: «**الطعن في النسب**».

أي: عيبه، ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان. مع ثبوت نسبه [شرعًا].(١)

قوله: «**والنياحة علىٰ الميت**».

أي: رفع الصوت بالندب، وتعداد فضائله؛ لما فيه من التسخط على القدر المنافي للصبر، كقول النائحة: (واعضداه واناصراه) ونحو ذلك.

وفيه دليل على أن الصبر واجب، وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة.

قال المصنف رحمه الله: ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ**».(٢)

ش/ هذا من نصوص الوعيد، وقد جاء عن سفيان الثوري، وأحمد كراهية تأويلها؛ ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ في الزجر(٣)، وهو يدل على أن ذلك ينافي كمال الإيمان الواجب.

قوله: «**من ضرب الخدود**».

قال الحافظ: خَصَّ الْخَدَّ؛ لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله.(٤)

= الإسلام. أخرجه البخاري برقم (٥٢٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال العلماء: مرادها بالكفر الكفر الأصغر، وهو كفران العشير. وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن إتيان المرأة في دبرها؟ فقال: ذلك الكفر. أخرجه عبدالرزاق (٢٠٩٥٣)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٩٠٠٤)، من طريق: معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، وهذا إسناد صحيح.

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢٩٤)، ومسلم برقم (١٠٣).

(٣) أما قول أحمد فنقله عنه غير واحد من أصحابه، ذكر ذلك ابن رجب في "الفتح" شرح حديث (٢٩)، وأما سفيان؛ فإن النووي عزاه إلىٰ سفيان بن عيينة في "شرح مسلم" برقم (١٠١)، وأطلق الحافظ (١٢٩٤) قوله (سفيان) فظنه الشارح الثوري، وإنما هو ابن عيينة.

(٤) "الفتح" شرح حديث (١٢٩٤).

قوله: «**وشق الجيوب**».

هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب، وذلك من عادة أهل الجاهلية؛ حزنًا على الميت.

قوله: «**ودعا بدعوىٰ الجاهلية**».

قال شيخ الإسلام: هو ندب الميت.[1]

وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور.

وقال ابن القيم: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل، والعصبية، ومثله التعصب إلى المذاهب، والطوائف، والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي، فكل هذا من دعوى الجاهلية.[2]

وعند ابن ماجه وصححه ابن حبان عن أبي أمامة: أنَّ رسولَ الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور.[3]

وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، وقد يُعفى عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقًا، وليس على وجه النوح والتسخط، نص عليه أحمد رحمه الله؛ لما وقع لأبي بكر[4] وفاطمة[5] رضي الله عنهما لما توفي رسول الله ﷺ، وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن

---

(١) انظر: «الاقتضاء» (١/ ٢٠٤).

(٢) انتهىٰ من «زاد المعاد» (٢/ ٤٧١).

(٣) **صحيح لغيره**. أخرجه ابن ماجه (١٥٨٥)، وابن حبان (٣١٥٦)، وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة (٣/ ٢٩٠)، والطبراني (٧٥٩١) (٧٧٧٥) كلهم من طريق: أبي أسامة حماد بن أسامة، عن عبدالرحمن ابن يزيد بن جابر، قال: حدثنا مكحول، والقاسم عن أبي أمامة. وهذا إسناد ضعيف لضعف رواية حماد عن ابن جابر كما في «التهذيب» وغيره، ولكن الحديث صحيح بشاهده الذي قبله عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٣١)، والترمذي في «الشمائل» (٣٧٣)، عن مرحوم بن عبدالعزيز، قال: حدثني أبو عمران الجوني، عن يزيد بن بابَنُوس، عن عائشة، أنَّ أبا بكر دخل علىٰ النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه علىٰ صدغيه، وقال: وانبياه، واخليلاه، واصفياه. وإسناده حسن، رجاله ثقات إلا يزيد؛ فإنه حسن الحديث.

(٥) رواه البخاري برقم (٤٤٦٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه أنها قالت: يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه، إلىٰ جبريل ننعاه.

البكاء؛ لما في "الصحيح" أن رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم قال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يُرضي [الرَّبَّ]**[(١)]**، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**».[(٢)]

وفي "الصحيحين" عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ انطلق إلى إحدى بناته ولها صبي في الموت، فَرُفِع إليه ونفسه تقعقع كأنها شن[(٣)]، ففاضت عيناه، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عبادة الرحماء**».[(٤)]

قال المصنف رحمه الله: وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ، أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتّىٰ يُوَافِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

ش/ هذا الحديث رواه الترمذي، والحاكم وحسنه الترمذي.[(٥)]

وأخرجه الطبراني، والحاكم عن عبد الله بن مغفل،[(٦)] وأخرجه ابن عدي عن

(١) في [أ]: ربنا.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٣١٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في [ب]: شنة.

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤)، ومسلم برقم (٩٢٣).

(٥) **صحيح لغيره**. أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، والحاكم (٤/ ٦٠٨)، وأخرجه أيضًا أبو يعلىٰ (٤٢٥٤)، والبغوي (٥/ ٢٤٥)، والطحاوي في "المشكل" (٢/ ٤٢٧)، وفي إسناده رجل يقال له: سعد بن سنان، وسنان بن سعد، مختلف فيه، والراجح ضعفه، والحديث صحيح بشاهده عن عبدالله بن مغفل الذي سيأتي.

(٦) أخرجه الطبراني كما في "مجمع الزوائد" (١٠/ ١٩١)، والحاكم (١/ ٣٤٩) (٤/ ٣٧٥)، وكذلك أحمد (٤/ ٨٧) بإسناد صحيح من طريق: الحسن، عن عبدالله بن مغفل، والحسن قد سمع من عبدالله بن مغفل كما في "جامع التحصيل"، وبقي تدليس الحسن، فبعضهم يتوقف في عنعنة الحسن عن الصحابة، منهم: العلامة الألباني، ومنهم من يتجاوز في عنعنة الحسن عن الصحابة الذين سمع منهم، وهذا صنيع البخاري رحمه الله، حيث أخرج للحسن عن أبي بكرة في "صحيحه" عدة أحاديث، ولم يصرح إلا في حديث واحد، وكذلك هذا ظاهرٌ في صنيع ابن المديني، وتبعهم الشيخ مقبل في "الصحيح المسند"، والحافظ ابن حجر اختلف حكمه في تدليس الحسن في كتابيه "النكت" و"طبقات المدلسين"، ففي أحد الكتابين جعله من الثانية: وهم الذين يتسامح في عنعنتهم، وفي=

أبي هريرة،[(١)] والطبراني عن عمار بن ياسر.[(٢)]

قوله: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا».

أي: بصَبِّ البلاء والمصائب عليه؛ لما فرط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافى به يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام: المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله، والذل له والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة، فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النعم، فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق؛ إلا أن يدخل صاحبها بسببها [في معاصي][(٣)] أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شرًّا عليه من جهة ما أصابه في دينه؛ فإنَّ من الناس من إذا ابتُلي بفقرٍ، أو مرضٍ، أو جوعٍ؛ حصل له من النفاق، والجزع، ومرض القلب، أو الكفر الظاهر، أو ترك بعض الواجبات، وفعل بعض المحرمات ما يوجب له الضرر في دينه؛ فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة، [لا من جهة نفس المصيبة][(٤)]، كما أن من أوجبت له المصيبة

= الكتاب الآخر جعله من الثالثة: وهم الذين لابد أن يصرحوا بالسماع، فمسألة عنعنة الحسن عن الصحابة الذين سمع منهم مسألة اجتهادية، والراجح أنها تُقبل، والله أعلم؛ فالحديث إسناده صحيح.

(١) ذكر صاحب كتاب "كنز العمال" (١١/ ١٠٢) هذا الحديث وعزاه لابن عدي عن أبي هريرة ﷺ، ولم نجده عند ابن عدي عن أبي هريرة، وإنما وجدناه عن أنس من نفس الطريق الأولىٰ؛ فلعله وهم من صاحب "كنز العمال".

(٢) مسند عمار بن ياسر عند الطبراني مفقود، لكن ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠/ ١٩٢)، وقال: رواه الطبراني، وسنده جيد.

❁ وللحديث شاهد عند الطبراني أيضًا عن ابن عباس ﭭ (١١٨٤٢)، وفي سنده: عبدالرحمن بن محمد العرزمي، ضعيفٌ، وفيه: عباد بن يعقوب الرواجني وهو رافضي.

فالحديث لا شك في صحته بهذه الشواهد.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) ساقط من [ب].

صبرًا، وطاعة؛ كانت في حَقِّه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عز وجل، ورحمة للخلق، والله تبارك وتعالى محمود عليها، فمن ابتُلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له بعدما كفر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال [جل ذكره][(١)]: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[البقرة:١٥٧]، وحصل له غفران السيئات، ورفع الدرجات، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك.انتهى ملخصًا.[(٢)]

قوله: «وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه».

أي: أَخَّرَ عنه العقوبة بذنبه حتى يُوافِيَ به يوم القيامة، وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوبًا بحتى مبنيًّا للفاعل.

قال العزيزي: أي لا يجازيه بذنبه في الدنيا حتى يجيء في الآخرة مستوفر الذنوب وافيها، فيستوفي ما يستحقه من العقاب.

وهذه الجملة هي آخر الحديث.

فأما قوله: وقال النبي ﷺ «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**» إلى آخره فهو أول حديث آخر، لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد، وصحابي واحد؛ جعلهما المصنف كالحديث الواحد.

وفيه: التنبيه على حسن الرجاء، وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) لم أجد مصدر هذا النص من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقال النبي ﷺ: «**إِنّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمَ البَلاَءِ، وَإِنَّ الله تعالىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخَطُ**» حسنه الترمذي.[(١)]

ش/ قال الترمذي: ثنا قتيبة، ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس، وذكر الحديث السابق.

ثم قال: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ عِظَم الجزاء**» الحديث.

ثم قال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

ورواه ابن ماجه، وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رفعه: «**إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع**».[(٢)]

قال المنذري: رواته ثقات.[(٣)]

قوله: «**إن عِظم الجزاء**».

بكسر العين وفتح الظاء فيها، ويجوز ضمها مع سكون الظاء، أي: من كان ابتلاؤه أعظم كيفية وكمية.

وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يُثاب عليها مع تكفير الخطايا، ورجح

---

(١) **حسن لغيره**. أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبغوي (٥/ ٢٤٥)، وعلته نفس علة الحديث السابق، وهو سعد بن سنان، ويقال: سنان بن سعد، وهو ضعيف.
❁ ولكن له شاهد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، سيأتي؛ فهو حسن به.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩)، من طرق عن عمرو بن أبي عمرو مولىٰ المطلب، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد به، وهذا إسناد حسن، فيه: عمرو بن أبي عمرو، بعضهم يحسن له، وبعضهم يوثقه، وبقية رجاله ثقات، ومحمود بن لبيد صحابي صغير، ومراسيله مقبولة.

(٣) "الترغيب والترهيب" برقم (٤٩٩٠).

ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط؛ إلا إذا كانت سببًا لعملٍ صالحٍ كالصبر، والرضى، والتوبة، والاستغفار؛ فإنه حينئذ يُثاب على ما تولد منها، وعلى هذا يقال في معنى الحديث: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**» إذا صبر واحتسب.

قولهُ: «وإنَّ الله إذا أحب قومًا ابتلاهم».

ولهذا ورد في حديث سعد: سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلىٰ الرجل علىٰ حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّة ابتُلي علىٰ قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتىٰ يتركه يمشي علىٰ الأرض وما عليه خطيئة**» رواه الدرامي، وابن ماجه، والترمذي وصححه.[(١)]

وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد، فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم الذي هو في الحقيقة رحمة، [ولا يدفعه عنهم إلا الله][(٢)]؛ عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا دفعًا؛ فلأن لا يملكونه لغيرهم أولى وأحرى، فيحرم قصدهم، والرغبة إليهم في قضاء حاجة، أو تفريج كربة، وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار، والحكم، والمصالح، وحسن العاقبة ما لا يُحصى.

قولهُ: «فمن رضي فله الرضىٰ».

أي: من الله تعالى، والرضى قد وصف الله به نفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

---

(١) رواه الدارمي (٢٧٨٣)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٣٩٨)، وأخرجه أيضًا أحمد (١٤٨١) (١٤٩٤) (١٥٥٥) (١٦٠٧)، والبزار (١١٥٤) (١١٥٥)، وابن حبان (٢٩٠٠) (٢٩٠١)، وغيرهم، وسنده حسن، ففيه: عاصم بن أبي النجود، حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات، وقد حسنه الألباني في "الصحيحة" (١٤٣)، والوادعي في "الصحيح المسند" (٣٧١).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة:٨]، ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ [على ما يليق بجلاله وعظمته](١)، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، فإذا رضي الله تعالى عنه حصل له كل خير، وسَلِمَ من كل شرٍّ.

والرِّضَا: هو أن يسلم العبد أمره إلى الله، ويحسن الظن به، ويرغب في ثوابه، وقد يجد لذلك راحة وانبساطًا؛ محبة لله تعالى، وثقة به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّ الله بقسطه [وعدله](٢) جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.(٣)

قولهُ: «ومن سخط».

وهو بكسر الخاء، قال أبو السعادات: السخط الكراهية للشيء وعدم الرضى به، أي: من سخط على الله فيما دبره؛ فله السخط، [أي:](٤) من الله، وكفى بذلك عقوبة.

(١) ساقط من [ب].

(٢) في [ب]: وعلمه.

(٣) **ضعيف**. أخرجه هناد في الزهد (٥٣٥) وابن أبي الدنيا في كتابه «الرضا» برقم (٩٣)، ومن طريقه: البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٢٠٩) من طريق سفيان عن أبي هارون المدني، عن ابن مسعود به، وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه؛ فإنَّ أبا هارون المدني اسمه: موسىٰ بن أبي عيسىٰ الحناط، لم يدرك أحدًا من الصحابة، وهو من أتباع التابعين.

❁ وقد رُوي هذا الأثر موصولًا مرفوعًا، أخرجه الطبراني (١٠٥١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١)، وفي إسنادهما: خالد بن يزيد العمري، وضَّاع، وله إسناد آخر عند البيهقي في «الشعب» (٢٠٨) تقدم الكلام عليه في الباب رقم (٣١).

مسألة: الرضىٰ أرفع من الصبر؛ لأنَّ الإنسان لا يكون راضيًا علىٰ البلاء إلا مع الصبر، والشكر أرفع من الرضىٰ؛ لأنَّ الشكر لا يكون إلا مع الرضىٰ والصبر، والواجب هو الصبر؛ لأنه هو الذي أمر به، ولأن ترك الصبر يدخل صاحبه في السخط، وأما الرضىٰ فإنه ليس بواجب، بل هو مستحب كما رجح ذلك شيخ الإسلام، وابن القيم رحمهما الله. والرضىٰ معناه يستوي عنده الأمران: المصيبة، وعدمها.

(٤) ساقط من [ب].

وقد يستدل به على وجوب الرضى، وهو اختيار ابن عقيل، واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام، وابن القيم.(١)

قال شيخ الإسلام: ولم يجئ الأمر [به كما جاء الأمر](٢) بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه.

قال: وأما ما يُروى: «من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربًّا سوائي»(٣)، فهذا إسرائيلي ليس يصح عن النبي ﷺ.(٤)

قال شيخ الإسلام: وأعلى من ذلك -أي: من الرضى- أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها. انتهى(٥)، والله أعلم.

---

(١) وعزاه ابن القيم في "المدارج" (٢/ ١٨٤) إلىٰ الأكثر.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) **ضعيف جدًّا**. أخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٢/ ٣٣٠)، وابن حبان في "المجروحين" (١/ ٣٢٧) من طريق: سعيد بن بن زيَّاد بن فائد بن زيَّاد، عن جده، عن أبيه، عن أبي هند الداري به، وسعيد بن زيَّاد متروك، ومن فوقه مجاهيل، وحكم عليه الألباني رحمه الله في "الضعيفة" برقم (٥٠٥) بقوله: ضعيف جدًّا. وهذا الحديث وجدناه أيضًا بلفظ: «**من لم يرض بقضاء الله، ويؤمن بقدر الله؛ فليلتمس إلهًا غير الله**»، أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٧٢٦٩)، و"الصغير" (٢/ ٤٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢/ ٢٢٨)، والخطيب (٢/ ٢٢٧)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفي سنده: سهيل بن عبدالله.

قال الإمام الألباني رحمه الله في "الضعيفة" (٥٠٦): ويقال فيه: سهيل بن أبي حزم، وهو ضعيف عند الجمهور.

وقال ابن حبان (١/ ٣٤٩): ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات.

وله إسناد آخر بلفظ: «**من لم يرض بقضائي، وقدري؛ فليلتمس ربًّا غيري**»، أخرجه البيهقي في "الشعب" (١٩٦)ط/ الرشد، وفي إسناده: علي بن يزداد الجرجاني، وعصام بن الليث، الأول: متهم كما في "الميزان"، والثاني: مجهول. وانظر "الضعيفة" (٧٤٧).

(٤) انتهىٰ من "مدارج السالكين" (٢/ ١٧١).

(٥) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١١/ ٢٦٠).

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية التغابن.

الثانية: أنَّ هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إراده الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

٣٥- باب مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

ش/ أي: من النهي والتحذير.

قال الحافظ: هو مشتقٌّ من الرؤية، والمراد بها [إظهار][(١)] العبادة لقصد رؤية الناس لها، [فيحمدون صاحبها][(٢)]، [(٣)] والفرق بينه وبين السمعة: أنَّ الرياء لما يُرى من العمل، كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة، والوعظ، والذكر، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله.[(٤)]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١٠].

ش/ أي: ليس لي من الربوبية، ولا من الإلهية شيء، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له أوحاه إلي ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، أي: يخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

قوله: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي تعم، وهذا العموم يتناول الأنبياء، والملائكة، والصالحين، والأولياء وغيرهم.

---

(١) في [ب]: إظهاره.

(٢) في [أ]: فيحمدونه.

(٣) (فيحمدون صاحبها) هذا قيد مهم، فيخرج مَنْ أَظْهَرَها لقصد رؤية الناس له لأجل أن يستفيد الناس من عمله، فيعملون مثله؛ فهذا لا يعتبر رياءً؛ فالنبي ﷺ صلَّىٰ علىٰ المنبر ليراه الناس، ويتعلمون منه، وكذا قد كان من الصحابة من يعمل أعمالًا جهرًا حتىٰ يراه الناس فيتعلمون.

(٤) "الفتح" شرح الحديث (٦٤٩٩).

قال شيخ الإسلام: أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة، وذكر الأدلة على ذلك.(١)

---

(١) كلامه في "مجموع الفتاوىٰ" (٦/ ٤٦٢)، وقد نقل أيضًا (٦/ ٤٨٨-) عن بعض أهل اللغة الإجماع علىٰ أنه إذا قيل: (لقي فلان فلانًا) أنه يقتضي المعاينة، وكذلك ابن القيم في "حادي الأرواح" (ص١٩٨) ذكر أنَّ اللُّقي يتضمن المعاينة، بل نقل الإجماع، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع أهل اللسان علىٰ أنَّ اللقاء متىٰ نسب إلىٰ الحي السليم من العمىٰ والمانع؛ اقتضىٰ المعاينة والرؤية.

ومن هنا استدل بعض العلماء علىٰ أن رؤية الله عزوجل يوم القيامة في أرض المحشر عامة تَحصل للمؤمنين، والكفار، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]، وفي الحديث: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**»، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "صحيح مسلم" قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا. قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا. قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»، قَالَ: «**فَيَلْقَىٰ الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ، أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ، وَلَحْمِهِ، وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ، وَلَحْمُهُ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْـمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ**»، فقوله فيه: «**أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا.**» هذا يدل علىٰ أنه كافر، وجمهور أهل السنة يرون عدم رؤية الكافرين لربهم في أرض المحشر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

وأجاب الأولون بأن الحجب قد يستفاد منه أنهم نظروا إليه أولًا، ثم حجبهم؛ فهو ليس بصريح.

وهذه الأدلة كلها محتملة، لكن هناك نصٌّ صريح في الرؤية، وهو حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَىٰ الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ،** =

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في الآية: أي كما أنَّه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة.انتهى.(١)

وفي الآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث الله به رسول الله ﷺ، والمرسلين قبله: هو إفراده تعالى بأنواع العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي

= فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِيٰ النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْـمَسِيحَ ابْنَ الله. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِيٰ النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيٰ أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِيٰ رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِيٰ الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ، لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا- حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلاَ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلاَ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِيٰ صُورَتِهِ الَّتِيٰ رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا»، الحديث متفق عليه، واللفظ لمسلم، فقوله: «أَوَّلَ مَرَّةٍ» يدل علىٰ رؤيةٍ ماضيةٍ قبل التساقط في النار، وهي في أرض المحشر، فتكون الرؤية عامة، لكن رؤية المنافقين والكفار ليست رؤية نعيم ورضا، ولكنها رؤية تقتضي التوبيخ والتقريع، كما أن الكلام معهم ليس كلامًا يُستفاد منه النعيم ككلامه للمؤمنين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: هذه المسألة ليست مما يوجب التقاطع والتهاجر؛ فقد اختلف فيها السلف. وقال: لكن من قال: (إنهم يرونه) ينبغي أن يقيد أنها ليست رؤية نعيم.

وشيخ الإسلام يميل إلىٰ أن الرؤية عامة في أرض المحشر، فقد قال رَحِمَهُ اللهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٣٩٠): نعم، رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة، وهي أيضًا للناس في عرصات القيامة.اهـ

وصرح بذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، فقال كما في "حادي الأرواح" (ص١٩٨) دار الكتب العلمية: فقد دلت الأحاديث الصحيحة علىٰ أنَّ المنافقين يرونه تعالىٰ في عرصات القيامة، بل والكفار أيضًا كما في "الصحيحين" من حديث التجلي يوم القيامة.اهـ وانظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٦/ ٤٦١-٥٠٣).

(١) من "الداء والدواء" (ص٢٠٢) ط/ دار ابن الجوزي.

إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلى عبادته، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، أو مشرك يدعو غير الله، ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها، أو شاك في التوحيد: أهو حق أم يجوز أن يُجْعَل لله شريك في عبادته؟ أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله تعالى، وهذا هو الغالب على أكثر العوام؛ لجهلهم وتقليدهم من قبلهم؛ لما اشتدت غربة الدين ونُسي العلم بدين المرسلين.

قال المصنف رحمه الله: وعن أبي هريرة مرفوعًا: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». رواه مسلم.[1]

ش/ قوله: «**من عمل عملا أشرك معي فيه غيري**».

أي: من قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه.

ولابن ماجه: «**فأنا منه بريء وهو للذي أشرك**».[2]

قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: «**تركته**» يجوز أن يرجع إلى العمل.[3]

قال ابن رجب: واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضًا كحال المنافقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة، والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة، أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها؛ فإنَّ الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢)، وأخرجه أيضًا أحمد (٢/ ٣٠١)، وابن خزيمة (٩٣٨)، وابن حبان (٣٩٥)، وهذه الزيادة سندها حسن، علىٰ شرط مسلم.

(٣) انتهىٰ من "شرح المشكاة" رقم الحديث (٥٣١٥).

وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء(١)؛ فإنْ شاركه من أَصْلِه فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وذكر أحاديث تدل على ذلك منها: هذا الحديث، وحديث شداد بن أوس مرفوعًا: «**من صلىٰ يُرائي؛ فقد أشرك، ومن صام يرائي؛ فقد أشرك، ومن تصدق يرائي؛ فقد أشرك، وإن الله عز و جل يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، فمن أشرك بي شيئًا؛ فإن جِدَّةَ عمله، وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا عنه غني**» رواه أحمد.(٢)

وذكر أحاديث في المعنى، ثم قال: فإن خالط نية الجهاد -مثلًا- نِيَّةٌ غيرِ الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيءٍ من الغنيمة، أو التجارة؛ نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية.(٣)

---

(١) إذا دخل الرياء علىٰ الإنسان في أثناء العبادة، فإذا كانت العبادة متصلة بعضها ببعض؛ بطلت العبادة كلها كالصلاة، وإن كانت العبادة منفصلة؛ كأن يكون حَجًّا، كأن يرائي في الطواف، أو في السعي، فيعيده؛ لأنه يبطل عليه الطواف فقط، ولا يبطل الحج، فهذا التفصيل إذا استرسل في الرياء، وأما إذا دفعه مباشرة؛ فلا شيء عليه. انظر: "القول المفيد" للعثيمين رحمه الله.

(٢) **ضعيف.** رواه أحمد (٤/ ١٢٥، ١٢٦)، وأخرجه أيضًا الطيالسي (١١٢٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، والطبراني (٧١٣٩)، وفي إسناده: شهر بن حوشب، مختلف فيه، والراجح ضَعْفُه.

(٣) إذا ذهب إلىٰ الغزو يريد الأجر والغنيمة معًا، فقد جاء حديثٌ عن أبي أمامة رضي الله عنه في "سنن النسائي" (٦/ ٢٥)، وسنده حسن، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن الرجل يغزو، يرجو الأجر والذكر؟ فقال: «**لا شيء له**»، فأعادوها، فقال: «**لا شيء له**»، ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا**»، فبعضهم قالوا: إرادة الغنيمة يدخل في ذلك، وذهب جماعةٌ من العلماء إلىٰ أن قصد الغنيمة مع الأجر لا يضر ذلك؛ لأن الصحابة ربما حصل من بعضهم طلب الأمرين، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يُشير إلىٰ جواز ذلك كما في قوله: «**من قتل قتيلًا؛ فله سَلَبُه**» متفق عليه عن أبي قتادة رضي الله عنه، وجاء حديثٌ عند أحمد (٢/ ٥٠)، وأبي داود (٤٠٣١) بإسناد حسن عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وجُعِل رزقي تحت ظل رمحي**»؛ فهذا يعني أن الجهاد جعله الله سببًا من أسباب الرزق. وفي غزوة حنين أُخبِر النبي صلى الله عليه وسلم أن هوازن جمعت أنعامهم، وأسلحتهم، فتبسَّم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «**تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله**»، أخرجه أبو داود (٢٥٠١)، من حديث سهل بن الحنظلية بإسناد صحيح. وجاء رجلٌ إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: تزوجتُ يا رسول الله. قال: «**فما أصدقتها؟**» قال: أربع أواقٍ. قال: «**كأنما**=

قال ابن رجب: وقال الإمام أحمد: التاجر، والمستأجر، والمكاري، أجرهم على قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم، ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضًا -فيمن يأخذ جعلًا على الجهاد-: إذا لم يخرج لأجل الدراهم؛ فلا بأس، كأنه خرج لدينه، فإن أُعْطِي شيئًا أخذه.

ورُوي عن عبدالله بن عمرو ﵄، قال: «إذا أجمع أحدكم على الغزو فعوضه الله رزقًا فلا بأس بذلك، وأما [إنَّ أحدكم][1] إنْ أُعطي دراهم غزا، وإن لم يعط [دراهم][2] لم يغز؛ فلا خير في ذلك».[3]

ورُوي عن مجاهد أنه قال في حجِّ الجَمَّال، وحج الأجير، وحج التاجر: هو تامٌّ لا ينقص من أجرهم شيء.[4]

أي: لأن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب.[5]

= **تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل، ليس عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه شيئًا**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁، فهذا يدل علىٰ أن فيه اشتراكًا في ذلك.

قال الصنعاني ﵀ في "سبل السلام": فهذه الأدلة تدل علىٰ أن طلب أموال الكفار جائز، وقد خرج المسلمون في غزوة بدر يريدون عِيرَ قريش.اهـ

فالذي يظهر أنه إذا جاهد لأجل الأمرين؛ فلا يضره ذلك، ولكن ينقص أجره، والله أعلم.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) ضعيف.أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" (٨/ ٤٢٨-) من طريق الليث عن يعمر بن خالد المدلجي، عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عمر به. وهذا إسنادٌ ضعيف؛ لجهالة يعمر بن خالد؛ فإنه لم يوثقه معتبر.

تنبيه: الذي في "التاريخ": عبد الله بن عمر، وليس ابن عمرو؛ ولعل الوهم من ابن رجب ﵀.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٤/ ١/ ٤٤٥) عن أبي نُعيم، عن عمرو بن ذر، عن مجاهد. وهذا إسناد صحيح، وابن رجب ﵀ ذكره بالمعنىٰ.

(٥) مسألة: إرادة الحج مع التجارة. الذي يظهر أن أعمال الحج غير أعمال التجارة؛ فهذا ليس فيه خلط للنية، والاختلاط لنية الحج يحصل فيما إذا وعده إنسان إن حج يعطيه مالًا؛ فيكون الحج =

قال: وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء؛ فإنْ كان خاطرًا ثم دفعه؛ فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا، فيجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد، وابن جرير، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازَى بنيته الأولى، وهو مَرْوي عن الحسن وغيره.

[فأما إذا عمل العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك لم يضره ذلك].[(١)]

وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه؟ فقال: «**تلك عاجل بشرىٰ المؤمن**» رواه مسلم.[(٢)]

انتهى ملخصًا.[(٣)]

قلت: وتمام هذا المقام يتبين في شرح حديث أبي سعيد، إن شاء الله تعالى.

= لأجل المال، فهنا فيه خلط لنية الحج. وأما الذي ذهب يحج، أعمال حجه لوجه الله، وهناك أوقات فراغ يتاجر فيها؛ فهذا شيء، وذاك شيء، فلا يضره ذلك؛ لأنَّ أعمال الحج غير داخلة في القصد الدنيوي، لكن السفر إلىٰ بيت الله الحرام مشترك؛ فهو قاصد التجارة، وقاصد الحج؛ فالذي سافر ووجد مشقة في الطريق، وهو قاصد الحج؛ أعظم أجرًا ممن سافر يريد التجارة ويريد الحج؛ لأنَّ السفر في حق الأول خالص، وطاعة لله عزوجل، والثاني سفره مشترك بين طاعة، وأمر دنيوي؛ فيكون أجره أقل، وإذا كان الباعث له علىٰ السفر التجارة ومع الطريق يحج؛ فالحج أعماله أخرىٰ؛ فيصح، لكن كان قصده من السفر التجارة، وإذا سافر للأمرين معًا، إذا فات أحدهما فلن يترك السفر، فلم تتيسر له التجارة، فقال: سأواصل علىٰ الحج، وإذا لم يتيسر له الحج قال: سأواصل للتجارة؛ فسفره فيه اشتراك؛ فيكون له بعض الأجر، أعني علىٰ سفره، والله أعلم.

(١) ما بين المعقوفين إضافة من "التيسير"، و"جامع العلوم والحكم" يقتضيها السياق، وحذفها مخل بالمعنىٰ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٤٢).

(٣) من "جامع العلوم والحكم" شرح الحديث رقم (١).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن أبي سعيد مرفوعًا: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالوا: بَلَىٰ يَا رسُولَ اللهِ. قَالَ: «**الشِّرْكُ الخَفِيّ: يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**» رواه أحمد.[(١)]

ش/ وروى ابن خزيمة في "صحيحه" عن محمود بن لبيد قال: خرج رسول الله ﷺ، فقال: «**أيها الناس، إياكم وشرك السرائر**»، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل [فيصلي]**[(٢)]**، فيزين صلاته**[(٣)]**؛ لما يرىٰ من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر**».[(٤)]

قوله: عن أبي سعيد. هو الخدري، وتقدم.

قوله: «**الشرك الخفي**».

سَمَّاه خَفِيًّا؛ لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد غيره، أو شَرَّكه فيه بتزيين صلاته لأجله، وعن شداد بن أوس قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخلاص"، وابن جرير في "التهذيب"، والطبراني، والحاكم وصححه.[(٥)]

---

(١) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٣/ ٣٠)، وكذلك ابن ماجه (٤٢٠٤)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، والطحاوي في "المشكل" (١٧٨١)، وابن عدي (٣/ ١٠٣٤)، وفيه: رُبيح بن عبدالرحمن بن أبي سعيد، قال فيه البخاري: منكر الحديث. وهذا تضعيفٌ شديد من البخاري.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [أ] زيادة: جاهرًا

(٤) **صحيح**. أخرجه ابن خزيمة (٩٣٧)، من طريقين عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد به، وهذا إسناد صحيح.

❁ وجاء بسند حسن عند البيهقي (٢/ ٢٩٠-٢٩١) بزيادة جابر، فهو عن محمود بن لبيد، عن جابر، وسواء تبينت الواسطة أم لا فالحديث صحيح؛ لأنه سيكون مرسل صحابي؛ لأن محمود بن لبيد صحابيٌّ صغير.

(٥) **حسن**. أخرجه الحاكم (٤/ ١٣٢٩)، والبزار كما في "الكشف" (٣٥٦٥)، من طريق: يحيىٰ بن أيوب الغافقي، والطبراني (٧١٦٠)، من طريق: ابن لهيعة، كلاهما عن عمارة بن غزية، عن يعلىٰ بن =

قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر، فَكَـيَسِيرِ الرياء[(١)]، والتصنع للخلق[(٢)]، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: (ماشاء الله وشئت. وهذا من الله ومنك. وأنا بالله وبك. وما لي إلا الله وأنت. وأنا متوكل على الله وعليك. ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا)، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. انتهى.[(٣)]

ولا خلاف أن الإخلاص شرطٌ لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة كما قال الفضيل بن عياض ﵀ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال: أخلصه، وأصوبه. قيل: يا أبا علي، ما أخلصه، وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا؛ لم يقبل، وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا؛ لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.[(٤)]

= شداد بن أوس، عن أبيه؛ فهذا إسناد حسن، ابن لهيعة تابعه يحيىٰ بن أيوب، وحديثه يَحتَمِلُ التحسين.

❁ وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (١٩٨)، والبيهقي في "الشُّعَب" (٦٨٤٢) (٦٨٤٣) من الطريقين، وزاد له طريقًا ثالثة (٦٨٤٤)، وفي إسناده: شهر بن حوشب.

تنبيهٌ: لم أجد الحديث في المطبوع من "كتاب الإخلاص" لابن أبي الدنيا، وقد عزاه إليه السيوطي في "الدر المنثور" في سورة الكهف [آية:١١٠].

(١) كلامه هذا يعني أن كثرة الرياء من الشخص تدل علىٰ فساد باطنه، وأنه منافق، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، فكثرة الرياء من الشخص تدل علىٰ أنه منافق نفاقًا أكبر.

(٢) في [ب]: للمخلوق.

(٣) من "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٤).

(٤) صحيح. الأثر ذكره ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (١/ ٧٢)، والبغوي في "تفسيره" عند قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢]، وقد أسنده ابنُ أبي الدنيا في كتابه "الإخلاص" (٢٢) عن محمد بن علي بن شقيق، عن إبراهيم بن الأشعث، عن الفُضيل بن عياض به، وإبراهيم بن الأشعث هو خادم الفُضَيل، وقد وُثِّقَ كما في "اللسان"، وروىٰ بعضَ المنكرات.

وفي الحديث من الفوائد: شفقـةُ النبي ﷺ عـلى أمتـه، ونصحـه لهم، وأنَّ الرياء أخوف عـلى الصالحين من فتنة [المسيح][1] الدجال؛ فإن كان النبي ﷺ يخافه على سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم، فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغِنَىٰ.

الرابعة: أنَّ من الأسباب أنه تعالىٰ خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ علىٰ أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لِـمَا يرىٰ من نظر رجل إليه.

---

(١) ساقط من [أ].

٣٦- باب مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيا

قال المصنف رحمه الله: باب مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيا.

ش/ فإن قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قبله؟

قلت: بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة: وهو إذا أراد [الإنسان][1] بعمله التزين عند الناس، والتصنع لهم والثناء؛ فهذا رياء كما تقدم بيانه، كحال المنافقين، وهو أيضًا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم، والإكرام، ويفارق الرياء بكونه عمل عملًا صالحًا أراد به عرضًا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالًا كما في الحديث: «**تعس عبد الدينار**»، أو يجاهد للمغنم، أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخنا عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من المفسرين في معنى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾[هود:١٥].

وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء؛ لأنَّ مُريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.

---

(١) ساقط من [أ].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦].

ش/ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أي: ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾: مالها، ﴿نُوَفِّ﴾: نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في المال، والأهل، والولد، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا ينقصون، ثم نسختها: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾[الإسراء:١٨] الآية. رواه النحاس في "ناسخه".(١)

قوله: ثم نسختها.

أي: قَيَّدَتْها، فلم تبق الآية على إطلاقها.

وقال قتادة: من كانت الدنيا همه وطِلْبَتَه ونيته؛ جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعْطَى بها جزاء، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة.

ذكره ابن جرير بسنده(٢)، ثم ساق حديث أبي هريرة، عن ابن المبارك، عن حيوة بن شريح، قال: حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان أنَّ عقبة بن مسلم حدثه، أن شُفي بن [ماتع](٣) الأصبحي حدثه: أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال:

---

(١) أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه "ناسخ القرآن ومنسوخه" رقم (٦٢٥)، وفي سنده: جويبر الأزدي، وهو متروك، والضحاك يرويه عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة هود آية [١٥]، وإسناده صحيح.

(٣) في المخطوطتين (مانع)، والمثبت هو الصواب.

من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة. فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت [وخلا][(١)] قلت: أنشدك بحقٍّ وبحقٍّ لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته. فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما فيه أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة [نشغة، ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما فيه أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم خر على وجهه، واشتد به طويلًا، ثم مال خَارًّا على وجهه، واشتد به طويلًا][(٢)]، ثم أفاق، فقال: حدثني رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالىٰ إذا كان يوم القيامة نزل إلىٰ [أهل][(٣)] القيامة ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلتُ علىٰ رسولي؟ قال: بلىٰ يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتىٰ لم أدعك تحتاج إلىٰ أحد؟ قال: بلىٰ يا رب. قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. [وتقول له الملائكة: كذبت][(٤)]، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد، فقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقال له: فيماذا قُتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتىٰ قتلت. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك»**،

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ما بين المعقوفين مثبت من «التفسير» لابن جرير، وفي المخطوطتين: (نشغة شديدة ثم خرَّ علىٰ وجهه...).

(٣) في [أ]: (يوم)،وساقط من [ب].

(٤) ساقط من [ب].

ثم ضرب رسول الله ﷺ على [ركبتي][(١)] فقال: «**يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعر بهم النار [يوم القيامة][(٢)]**»[(٣)].

وقد سئل شيخنا المصنف رحمه الله عن هذه الآية؟ فأجاب بما حاصله: ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه، فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة، وصلاة، وصلة، وإحسان إلى الناس، وتركِ ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله، وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همة له في طلب الجنة، والهرب من النار؛ فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة [من][(٤)] نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس.[(٥)]

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالًا صالحة [ونيته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.[(٦)]

النوع الثالث: أن يعمل أعمالًا صالحة][(٧)] يقصد بها مالًا، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضًا هذا

---

(١) في [ب]: ركبتيه.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) **صحيح**. أخرجه ابن جرير (١٢/ ٣٥٠-)، وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٣٨٢)، وابن خزيمة (٢٤٨٢)، وابنُ حِبَّان (٤٠٨)، والحاكم (١/ ٤١٨)، وأبو نُعيم (٥/ ١٦٩)، وابنُ المبارك في "الزهد" (٤٦٩)، ومن طريقه البخاري في كتاب "خلق أفعال العباد" (٢٥٣) بهذا اللفظ، وإسناده صحيح، وهو في "مسلم" (١٩٠٥)، مع مغايرة يسيرة في بعض الألفاظ.

(٤) ساقط من [ب].

(٥) تقدم تخريجه قريبًا.

(٦) أخرجه ابنُ جرير عند تفسير آية هود [١٥-١٦]، وسنده صحيح.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

النوع في تفسير هذه الآية، كما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله، أو مكسبهم، أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرًا.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرًا يخرجه [عن][1] الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر، أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها. قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

ثم قال: بقي أن يُقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فَرْضَه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع؛ فهو لما غلب عليه منهما، [وقد قال][2] بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخُلَّص، وأهل النار الخُلَّص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. انتهى.[3]

---

(١) في [أ]: من.

(٢) في [ب]: وقال.

(٣) انظر: "مجموع مؤلفات الشيخ" (٥/ ١٢٠-١٢٣).

قال المصنف رحمه الله: في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ: إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طَوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»**.[(١)]

ش/ قوله: في "الصحيح". **أي**: "صحيح البخاري".

قوله: **«تَعِسَ»**.

هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي: سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ.

وقال في موضع آخر: وهو ضد سعد، أي: شقي.[(٢)]

وقال أبو السعادات: يُقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك.

قوله: **«عبد الدينار»**.

هو المعروف من الذهب، كالمثقال في الوزن[(٣)] [قدر الدينار][(٤)] زنته درهم،وثمن درهم.

قوله: **«تعس عبد الدرهم»**.

وهو من الفضة، قَدَّرَه الفقهاء بالشعير وزنًا، وعندنا منه درهم من ضرب بني أمية،

(١) أخرجه البخاري رحمه الله برقم (٢٨٨٦) (٢٨٨٧) (٦٤٣٥).

(٢) انظر: "الفتح" شرح الحديث (٢٨٨٦) (٦٤٣٥).

(٣) قال النووي رحمه الله في كتابه "تحرير ألفاظ التنبيه" (ص١١٣): المثقال: وزنه ثنتان وسبعون حبة من حب الشعير الممتلئ غير الخارج عن مقادير حب الشعير غالبًا، والدراهم: كل عشرة منها سبعة مثاقيل.انتهىٰ.

(٤) ساقط من [ب].

وهو زنة خمسين حبة شعير، وخمسا حبة، سماه عبدًا له؛ لكونه هو المقصود بعمله، فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكًا لله في عبوديته كما هو حال الأكثر.

قوله: «تعس عبد الخميصة».

قال أبو السعادات: هي ثوب خَزٍّ أو صوفٍ مُعَلَّم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعَلَّمة، وتجمع على خمائص.

والخَميلة بفتح الخاء المعجمة.

وقال أبو السعادات: ذات الخمل ثياب لها خمل من أي شيء كان.

قوله: «تعس وانتكس».

قال الحافظ: هو بالمهملة، أي: عاوده المرض.

وقال أبو السعادات: أي انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة.

قال الطيبي: فيه الترقي بالدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس انكب على وجهه، فإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط.(١)

قوله: «وإذا شيك».

أي: أصابته شوكة، «**فلا انتقش**»، أي: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش، قاله أبو السعادات.

والمراد أنَّ من كانت هذه حاله؛ [فإنه يستحق أن يُدعى عليه بما يسوؤه في العواقب، ومن كانت هذه حاله](٢) فلابد أن يجد أثر هذه الدعوات في الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل أُخراه.

قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ عبدَ الدينار والدرهم، وعبد القطيفة، وعبد

(١) انظر: "شرح المشكاة" رقم (٥١٦١).

(٢) ما بين المعقوفين إضافة من المطبوع.

الخميصة، وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر، وهو قوله: «**تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»، وهذه حال من إذا أصابه شرٌّ لم يخرج منه، ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذا حال من عَبَدَ المال، وقد وصف [الله][1] ذلك بأنه: إن أُعطي رضي وإن مُنع سخط، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة:٥٨]، فرضاؤهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان [قلبه][2] متعلقًا برياسة، أو صورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رَضِي، وإن لم يحصل له سَخِط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده.

إلى أن قال: وهكذا أيضا طالب المال؛ فإنَّ ذلك يستعبده ويسترقه، وهذه الأمور نوعان: فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه، وشرابه، ومنكحه، ومسكنه، ونحو ذلك؛ فهذا يطلبه من الله، ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده؛ فيكون هلوعًا.

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها صار مُستعبدًا لها، [وربما صار مُستعبدًا][3] مُعتمدًا على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله، ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غير الله، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**»، وهذا هو عبد لهذه الأمور، ولو طلبها من الله؛

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [ب].

فإن الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط، وإنما عبدالله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ﷺ، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله؛ فهذا الذي استكمل الإيمان. انتهى ملخصًا.[(١)]

قوله: «**طوبىٰ لعبد**».

قال أبو السعادات: طوبى اسم الجنة.

وقيل: هي شجرة فيها.

ويؤيد هذا ما روى ابن وهب بسنده عن أبي سعيد قال: قال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة [تخرج]**[(٢)] **من أكمامها**».

ورواه الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة، حدثنا دراج أبوالسمح أنَّ أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنَّ رجلا قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك. قال: «**طوبىٰ لمن رآني وآمن بي، وطوبىٰ، ثم طوبىٰ، ثم طوبىٰ لمن آمن بي ولم يرني**»، قال له رجل: وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[(٣)]، وله شواهد في "الصحيحين" وغيرهما.

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١٠/ ١٨٠-١٨١، ١٨٩-١٩٠).

(٢) ساقط من [ب].

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٧١)، وأخرجه أيضًا أبو يعلىٰ (١٣٧٤)، وابن حبان (٧٢٣٠)، (٧٤١٣)، وابن جرير (١٣/ ٥٢٩)، وعند الأخيرين من طريق: عمرو بن الحارث، عن درَّاج به، وإسناده ضعيفٌ؛ لأن درَّاج بن سمعان أبا السمح فيه ضعفٌ، وأما ابن لهيعة فقد توبع عند ابن جرير، وابن حبان. وأول الحديث: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**» صحيح؛ لأنَّ له شواهد منها:
١) حديث أبي عبدالرحمن الجهني عند أحمد (٤/ ١٥٢)، وإسناده حسن.
٢) وحديث أنس عند أحمد (٣/ ١٥٥)، وفيه: جسر بن فرقد ضعيف.
٣) وحديث أبي أمامة عند أحمد أيضًا (٥/ ٢٤٨)، وفي إسناده: أيمن بن مالك الأشعري، وهو مجهول.
٤) وحديث ابن عمر عند الطيالسي (١٨٤٥)، وفي إسناده عبدالله بن عمر العمري، وهو ضعيفٌ. =

وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا، قال وهب رحمه الله تعالى: إنَّ في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرها رياط[(١)]، وورقها برود[(٢)]، وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر، واللبن، والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة، فبينما [هم][(٣)] في مجلسهم؛ إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجبًا[(٤)] مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخز [المرعزَّى[(٥)]][(٦)] من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون: إنَّ رَبَّنَا أرسل إليكم لتزوروه، وتسلموا عليه، قال: فيركبونها قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفِراش، نُجبًا من غير مهنة، يسير الراكب إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها، ولا برك[(٧)] راحلة برك الأخرى، حتى إنَّ الشجرة لتتنحي عن طريقهم؛ لئلا تفرق بين الرجل وأخيه، قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام،

= وبقية الحديث يبقىٰ علىٰ ضعفه، لكن جاء عن بعض السلف تفسير «**طوبى**» بأنها شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام، والثابت في "الصحيحين" ذكر الشجرة بدون التفسير، فثبت: «**إنَّ في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**»، هذا في "الصحيحين" عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وسهل ابن سعد، وانفرد به البخاري عن أنس رضي الله عنه، وليس في "الصحيحين" ذِكْر أنها طوبىٰ، لكن جاء عن بعض الصحابة، وبعض التابعين تفسير «**طوبى**» بأنها شجرة في الجنة؛ فالظاهر أنها هي، فيكون هذا الحديث الذي فيه ضعفٌ مع أقوال المفسرين من الصحابة وغيرهم يدل علىٰ ذلك.

(١) الرياط: جمع ريطة، وهي كل ثوب لين رقيق.

(٢) البرود: جمع برد، وهو كساء مخطط يلتحف به.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) هي خيار الإبل.

(٥) الزغب التي تحت شعر العنز.

(٦) في المخطوطتين (الزعرىٰ)، والمثبت من "تفسير الطبري".

(٧) البَرْكُ: صدر البعير الذي يبرك عليه.

وحق لك الجلال والإكرام، قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: أنا السلام ومني السلام، وعليكم حقت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خشوني بالغيب، وأطاعوا أمري. قال فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قدرك، فأْذَن لنا بالسجود قدامك. قال: فيقول الله تعالى: إنها ليست بدار نصبٍ، ولا عبادة، ولكنها دار ملك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة، فسلوني ما شئتم فإن لكل رجل منكم أمنيته، فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: ربِّ تنافس أهل الدنيا في دنياهم، فتضايقوا، رب فآتني من كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا. فيقول الله تعالى: لقد قَصَّرت بك [اليوم](١) أمنيتك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني، [وسأتحفك بمنزلتي](٢)؛ لأنه ليس في عطائي نكد ولا تصريد(٣). قال: ثم يقول: اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم، ولم يخطر لهم على بال. قال: فيعرضون عليهم حتى [يقضوهم](٤) أمانيهم التي في أنفسهم؛ فيكون فيما يعرضون عليهم براذين(٥) مقرنة على كل أربعة [منها](٦) سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة، مظاهرة في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح طيب إلا قد عبق بهما، ينفذ ضوء وجوههما غلظة القبة حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوته حمراء، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على

---

(١) زيادة من "تفسير الطبري".

(٢) زيادة من "تفسير الطبري".

(٣) التصريد: تقليل العطاء.

(٤) في المخطوطتين: (يقصر بهم)، والمثبت من "التفسير".

(٥) البرذون من الخيل: ما كان أبواه أعجميين.

(٦) ساقط من [ب].

الحجارة أو أفضل، ويرى لهما مثل ذلك، ثم يدخل إليهما فيحييانه، ويقبلانه، ويعانقانه، ويقولان له: والله، ما ظننا أن الله يخلق مثلك. ثم يأمر الله تعالى الملائكة، فيسيرون بهم صفًّا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أُعدت له.(١)

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه، وزاد: فانظروا إلى مواهب ربكم الذي وهب لكم، فإذا بقباب في الرفيق الأعلى، وغرف مبنية من الدر والمرجان، أبوابها من ذهبٍ، وسُرُرُها من ياقوت، وفرشها من سندس واستبرق، ومنابرها من نور [يفور](٢) من أبوابها، وعراصها نور مثل شعاع الشمس عنده مثل الكوكب [الدري](٣) في النهار المضيء، وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهوها نورها، فلولا أنه مسخر إذًا لالتمع الأبصار، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض؛ فهو مفروش بالحرير الأبيض، وما كان منها من الياقوت الأخضر؛ فهو مفروش بالسندس الأخضر، وما كان منها من الياقوت الأصفر؛ فهو مفروش بالأرجوان الأصفر، وبالزمرد الأخضر، والذهب الأحمر، والفضة البيضاء، قوائمها وأركانها من الجوهر، وشُرَفها قباب من لؤلؤ، وبروجها غرف من المرجان، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم؛ قُرِّبت لهم براذين من ياقوت أبيض، منفوخ فيها الروح، تحتها الولدان المخلدون، بيد كل وليد منهم حَكَمَة برذون من تلك البراذين، ولجمها وأعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت، سروجها موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق، فانطلقت بهم تلك البراذين تزف بهم، ينظرون رياض الجنة، فلما انتهوا إلى منازلهم وجدوا الملائكة قعودًا على منابر من نور

(١) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٥٢٥-)، وسنده صحيح إلىٰ وهب بن منبه، لكن من أين هذا لوهب؟! فهو أخباري يأخذ من الإسرائيليات.

(٢) في [أ]: (سور)، وفي [ب]: (ينور)، والمثبت من "التفسير".

(٣) في [ب]: (الذي)،والمثبت من "التفسير"، وقد سقطت من [أ].

ينتظرونهم؛ ليزوروهم، ويصافحوهم، ويهنئوهم كرامة ربهم، فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم، وما سألوا وتمنوا، وإذا على كل باب قصر من تلك القصور أربع [جنان][(١)] جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مدهامتان، وفيهما [عينان][(٢)] نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام، فلما تبوءوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قالوا: نعم وربنا قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا، فارض عنا. قال: فبرضائي عنكم أحللتكم داري ونظرتم إلى وجهي. فعند ذلك قالوا: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٤-٣٥].[(٣)]

وهذا سياق غريب، وأثر عجيب، ولبعضه شواهد في "الصحيحين".

وقال خالد بن معدان: إنَّ في الجنة شجرة يقال لها طوبى، ضروع كلها، ترضع صبيان أهل الجنة، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة، يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فيبعث ابن أربعين سنة. رواه ابن أبي حاتم.[(٤)]

قوله: آخذ بعنان فرسه في سبيل الله.

---

(١) زيادة من "التفسير".

(٢) زيادة من "التفسير".

(٣) الشارح نقل هذا الأثر من "تفسير ابن كثير" [آية:٢٩] من سورة الرعد، وهو من رواية وهب بن منبه، عن محمد بن علي بن الحسين، مرفوعًا، مرسلًا.

❁ كذلك أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" [آية:٢٩] من سورة الرعد.

❁ وأخرجه كذلك أبو نعيم في "صفة الجنة" (٤١١)، وأبو بكر الآجري في "الشريعة" (٦٢٦)، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (٥٣)، وفي إسناده مع إرساله: إدريس بن سنان، أبو الياس ابن بنت وهب، وهو ضعيف.

(٤) الأثر لم نجده؛ لأن "تفسير ابن أبي حاتم" مفقود منه هذا الموضع، ولكن ذكره السيوطي في "الدر المنثور" [آية:٢٩] من سورة الرعد، وعزاه لابن أبي حاتم، ولابن أبي الدنيا في كتابه "العزاء".

أي: في جهاد المشركين.

قوله: أشعثَ.

مجرور بالفتحة؛ لأنه [اسم][1] لا ينصرف للوصف ووزن الفعل، ورأسه مرفوع على الفاعلية، وهو طائر الشعر، أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالأدهان، وتسريح الشعر.

قوله: مغبرة قدماه. هو بالجر صفة ثانية لعبد.

قوله: إن كان في الحراسة.

هو بكسر الحاء، أي: حِمَى الجيش عن أن يهجم العدو عليهم.

قوله: كان في الحراسة.

أي: غير مقصر فيها، ولا غافل، وهذا اللفظ يُستعمل في حق من قام بالأمر على وجه الكمال.

قوله: وإن كان في الساقة كان في الساقة.

أي: في مؤخرة الجيش، يقلب نفسه في مصالح الجهاد، فكل مقام يقوم فيه، إن كان ليلًا أو نهارًا؛ رغبة في ثواب الله، وطلبًا لمرضاته، ومحبةً لطاعته.

قال ابن الجوزي: وهو خامل الذكر، لا يقصد السمو.[2]

وقال الخلخالي: المعنى ائتماره بما أُمر، وإقامته حيث أُقيم، لا يفقد من [مقامه][3]، وإنما ذَكَر الحراسة والساقة؛ لأنهما أشد مشقة. انتهى.

وفيه: فضل الحراسة في سبيل الله.

قوله: إن استأذن لم يؤذن له.

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ذكره الحافظ في "الفتح" (٢٨٨٧).

(٣) في [ب]: مكانه.

أي: إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم، ولا منزلة؛ لأنه ليس من طلابها، وإنما يطلب ما عند الله، لا يقصد بعمله سواه.

قوله: وإن شَفَع.

بفتح أوله وثانيه، «**لم يُشفَّع**» بفتح الفاء مشددة، يعني [أنه][1] لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله؛ لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم.

وروى [الإمام][2] أحمد، ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: «**رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبره**».[3]

قال الحافظ: فيه ترك حب الرياسة، والشهرة، وفضل الخمول والتواضع. انتهى.

وروى الإمام أحمد أيضًا عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال: قال عثمان ﵁ وهو يخطب على منبره: إني محدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنعني أن أحدثكم به إلا الظن بكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حرسُ ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يُقام ليلها، ويُصام نهارها**».[4]

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن المبارك، قال عبدالله بن محمد قاضي نصيبين: حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة، أنه أملى عليه عبدالله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وواعده الخروج، وأنشدها معه إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، ومسلم برقم (٢٦٢٢) (٢٨٥٤).

(٤) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٤٣٣)، من طريق: مصعب بن ثابت الزبيري، عن عثمان، وإسناده ضعيف، فيه: مصعب بن ثابت الزبيري ضعيف، وروايته عن عثمان منقطعة؛ فإنه لم يدركه، وقد رُوي موصولًا من طريق مصعب بن ثابت، عن عبدالله بن الزبير، عن عثمان.

❁ أخرجه كذلك البزار (٣٥٠)، والطبراني (١٤٥)، والحاكم (٢/ ٨١)، وأبو نُعيم (٦/ ٢١٤-٢١٥)، ورجح الدارقطني في "العلل" (٣/ ٣٧) الرواية المنقطعة.

وسبعين ومائة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك[(١)] والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال: فلقيت الفضيل [بن عياض][(٢)] بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه، فقال: صدق أبو عبدالرحمن، ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم. قال لي: اكتب هذا الحديث. وأملى عليَّ الفضيلُ بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر، [عن أبي صالح][(٣)]، عن أبي هريرة: أن رجلا قال: يا رسول الله، علمني عملًا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله. فقال: «**هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟**» فقال: يا رسول الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك. ثم قال النبي ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده، لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله، أما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك حسنات؟**»[(٤)].

---

(١) الرَّهَج: هو الغبار، والسنبك: هو حافر الخيل. «اللسان».
(٢) ساقط من [أ].
(٣) ساقط من [أ].
(٤) **قصة موضوعة**. أخرجها ابنُ عساكر في «تاريخه» (٣٢/ ٤٤٩)، من طريق: أبي المفضل محمد بن=

فيه مسائل:

الأولىٰ: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار، والدرهم، والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطي رضيَ، وإن لم يُعطَ سَخِطَ.

الخامسة: قوله: «**تَعِسَ وانتَكَسَ**».

السادسة: قوله: «**وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَش**».

السابعة: الثناء علىٰ الْـمُجاهد الموصوف بتلك الصفات.

= عبدالله بن المطلب الشيباني، عن عبدالله بن محمد قاضي نصيبين، به، وهذا إسناد تالف؛ فإن أبا المفضل محمد بن عبدالله له ترجمة في "تاريخ بغداد" (٥/ ٤٦٦)، و"تاريخ دمشق" (٥٤/ ١٤)، وهو كذَّابٌ، وضاعٌ دجَّال.

وفي سندها أيضًا: محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة، مجهول حال، تفرد ابنُ حبان بتوثيقه، ومع ذلك قال فيه: إنه يخطئ. وهذه الأبيات تبعد أن تكون من ابن المبارك؛ لقوله: (**لعلمت أنك في العبادة تلعب**)، فيبعد من ابن المبارك أن يعد العبادة لعبًا. وأما الحديث المرفوع فهو صحيح، أخرج القطعة الأولىٰ منه مسلم في "صحيحه" (١٨٧٨) من حديث أبي هريرة ﭬ، وأخرج الجملة الثانية منه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة أيضًا.

٣٧- بَابَ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ والأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَ الله أَوْ تَحليلِ مَا حَرَّمَ الله فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله.

ش/ لقول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وتقدم تفسير هذا في أصل المصنف[(١)] [عند][(٢)] ذكر حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُم حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر.[(٣)]

---

(١) في الباب رقم (٥).

(٢) في [ب]: لما.

(٣) لم نقف عليه مسندًا بهذا اللفظ، وإنما جاء من نَقْلِ شيخ الإسلام، فشيخ الإسلام كتبه أكثرها من حفظه؛ فالذي يظهر أن شيخ الإسلام ذكره بالمعنىٰ من حفظه كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٦/ ٥٠، ٢٨١)، ثم الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ استفاده من شيخ الإسلام ولم يرجع إلىٰ مصادره، فقد أخرج الإمام أحمد (٣١٢١) هذا الأثر بلفظ: (أراهم سيهلكون، أقول قال النبي ﷺ، ويقولون: نهىٰ أبو بكر وعمر)، وسند أحمد فيه: شريك القاضي، فيه ضعف.

❁ وأخرجه أيضًا الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٣٧٩)، وابن عبدالبر في "جامع بيان العلم وفضله" (٢٣٨١) من نفس الوجه.

❁ ولكن صح عند الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٣٨٠)، من طريق: حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس بلفظ: (ما أُرىٰ إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن النبي ﷺ، وتجيئوني بأبي بكر وعمر). =

ش/ قوله: يُوشِك.

بضم أوله، وكسر الشين المعجمة، أي: يقرب ويسرع.

وهذا القول من ابن عباس رضي الله عنهما جواب لمن قال له: إنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أنَّ إفراد الحج أفضل، أو ما هو معنى هذا، وكان ابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب، ويقول: إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط؛ فقد حل من عمرته، شاء أم أبى[(١)]؛ لحديث سراقة بن مالك حين أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة، [فقال سراقة][(٢)] يا رسول الله، أَلِعَامِنَا هذا أم للأبد؟ قال: «**بل للأبد**»، [والحديث][(٣)] في "الصحيحين"[(٤)].

وحينئذ فلا عذر لمن استُفْتِيَ أن ينظر في مذاهب العلماء، وما استدل به كل إمام، ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له مَلَكَة يقتدر بها على ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

وللبخاري ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي؛ لأحللت**»[(٥)] هذا لفظ البخاري في حديث عائشة رضي الله عنها،

= ۞ وأخرجه إسحاق كما في "المطالب العالية" (١٣٧٣)، من طريق أيوب به، وعنده (من ههنا تردون، أجيئكم بالنبي ﷺ، وتجيئوني بأبي بكر، وعمر).

۞ وأخرجه ابن عبدالبر (٢٣٧٧)، من طريق: معمر، عن أيوب به، بلفظ: (والله، ما أراكم منتهين حتىٰ يعذبكم الله).

(١) أخرجه عنه البخاري برقم (٤٣٩٦)، ومسلم برقم (١٢٤٤) (١٢٤٥).

(٢) في [ب]: فقالوا.

(٣) في [أ]، و[ب]: (وللحديث الذي)، والمثبت أقرب.

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٧٨٥)، ومسلم برقم (١٢١٦) (١٢١٨) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري برقم (١٦٥١) (١٧٨٥)، ومسلم برقم (١٢١٦) (١٢١٨)، من حديث جابر رضي الله عنه، =

ولفظه في حديث جابر: «**افعلوا ما أمرتكم، فلولا أني سقت الهدىٰ؛ لفعلت مثل الذي أمرتكم**»[1] في عدة أحاديث تؤيد قول ابن عباس؛ وبالجملة فلهذا قال ابن عباس لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. الحديث.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على أنَّ من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.[2]

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ما مِنَّا إلا راد ومردود عليه؛ إلا صاحب هذا القبر ﷺ.[3]

وكلام الأئمة في هذا المعنى كثير، وما زال العلماء رحمهم الله يجتهدون في الوقائع، فمن أصاب منهم؛ فله أجران، ومن أخطأ؛ فله أجرٌ كما في الحديث.

لكن إذا استبان لهم الدليل أخذوا به وتركوا اجتهادهم، وأما إذا لم يبلغهم الحديث أو لم يثبت عن النبي ﷺ عندهم فيه حديث، أو ثبت وله معارض، أو مخصص ونحو ذلك، فحينئذ يسوغ للإمام أن يجتهد، وفي [عصر][4] الأئمة الأربعة إنما [طلبوا][5] الأحاديث ممن هي عنده باللُّقي والسماع، ويسافر الرجل في طلب الحديث إلى الأمصار عدة سنين، ثم اعتنى الأئمة بالتصانيف، ودونوا الأحاديث، ورووها بأسانيدها، وبينوا صحيحها من حسنها من ضعيفها، والفقهاء صنفوا في كل مذهب، وذكروا حجج المجتهدين، فسهل

= واللفظ للبخاري في حديث جابر، وليس من حديث عائشة، وحديث عائشة رضي الله عنها بنحوه عند البخاري برقم (٧٢٢٩)، ومسلم برقم (١٢١٢) (١٣٠).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٦٨).

(٢) ذكره ابن القيم رحمه الله في «أعلام الموقعين» (٢/ ٢٦٣)، وانظر معناه في «الرسالة» (ص٤٢٥).

(٣) قال العلامة الألباني رحمه الله في «صفة الصلاة» (١/ ٢٧): صححه عنه ابن عبدالهادي في «إرشاد السالك» (١/ ٢٢٧).

(٤) في [ب]: عهد.

(٥) في [ب]: طلب.

الأمر على طالب العلم، وكل إمام يذكر الحكم بدليله عنده.

وفي كلام ابن عباس ﵄ ما يدل على أن من بلغه الدليل فلم يأخذ به -تقليدًا لإمامه- فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ؛ لمخالفته الدليل.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا أبو عبيدة الحداد، عن مالك بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس ﵄، قال: ليس منا أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ﷺ.(١)

وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائنًا من كان، ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة.

فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وأما [من](٢) خالف الكتاب والسنة؛ فيجب الرد عليه كما قال ابن عباس، والشافعي، ومالك، وأحمد، وذلك مُجمع عليه كما تقدم في كلام الإمام الشافعي ﵀.

---

(١) أحمد بن عمرو البزار ليس من مشائخ أحمد، فيحتمل أن تكون العبارة: (وقال الإمام أحمد بن عمرو البزار)؛ فلعل لفظة (حدثنا) زادت على النُّسَّاخ.

❁ والحديث عند الطبراني في "المعجم الكبير" (١١٩٤١) يرويه عن أحمد بن عمرو البزار، ثنا زياد ابن أيوب، ثنا أبو عبيدة الحداد، عن مالك بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وإسناده صحيح، رجاله ثقات معروفون، ووقع في السند (رفعه)، وجدير به أن يكون موقوفًا.

❁ وهذا القول صح عن مجاهد أيضًا كما في "جامع بيان العلم وفضله" (١٧٦٣) (١٧٦٤) (١٧٦٥)، و"الفقيه والمتفقه" (٤٦٤)، وصح عن الحكم بن عتيبة كما في "الجامع" (١٧٦١).

(٢) في [ب]: ما.

قال المصنف رحمه الله: وقال الإمام أحمد: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، ويذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله تعالىٰ يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رَدَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلِك.

ش/ هذا الكلام من الإمام أحمد رحمه الله رواه عنه الفضل بن زياد، وأبو طالب، قال الفضل، عن أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآية فذكر من قوله: الفتنة الشرك -إلى قوله- فيهلك، ثم جعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].[١]

وقال أبو طالب عن أحمد: وقيل له: إنَّ قومًا يَدَّعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره. [فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته، يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره][٢]، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة:٢١٧]، فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي. ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام.[٣]

قوله: عرفوا الإسناد.

أي: إسناد الحديث، وصحته؛ فإذا صح إسناد الحديث فهو صحيح عند أهل الحديث وغيرهم من العلماء.

---

(١) رواية الفضل بن زياد أخرجها من طريقه ابن بطة في "الإبانة" رقم (٩٧).

(٢) ساقط من المخطوطتين، وأثبتناه من المطبوع.

(٣) انظر كلامه المذكور في "الصارم المسلول" (ص٥٥-٥٦).

وسفيان: هو الثوري، الإمام الزاهد، العابد، الثقة، الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه، ومذهبه مشهور يذكره العلماء في الكتب التي يذكر فيها مذاهب الأئمة، كـ"التمهيد" لابن عبد البر و"الاستذكار" له، وكتاب "الإشراف على مذاهب الأشراف" لابن المنذر و"المحلى" لابن حزم و"المغني" لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي، وغير هؤلاء.

فقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته إلى آخره، إنكارٌ منه لذلك، وأنه يؤول إلى زيغ القلوب الذي يكون به المرء كافرًا، وقد عمت البلوى بهذا المنكر، خصوصًا ممن ينتسب إلى العلم، نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا الناس عن متابعة الرسول ﷺ وتعظيم أمره ونهيه، فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع. ويقول: هذا الذي قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه. ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ وغيره من الأئمة يخالفه ويمنع قوله بدليل، فما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لا كله.

فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]﴾، وقد تقدم حكاية الإجماع على ذلك، وبيان أن المقلد ليس من أهل العلم، وقد حكى [أيضًا][(١)] أبو عمر بن عبد البر وغيره الإجماع على ذلك.[(٢)]

قلت: ولا يخالف في ذلك إلا جهال المقلدة؛ لجهلهم بالكتاب والسنة، ورغبتهم

(١) ساقط من [أ].

(٢) انظر: "جامع بيان العلم وفضله" (ص١١٧) دار الكتب العلمية.

عنهما، وهؤلاء وإن ظنوا أنهم اتبعوا الأئمة؛ فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم واتبعوا غير سبيلهم، كما قدمنا من قول مالك، والشافعي، وأحمد رحمهم الله تعالى، لكن في كلام أحمد إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يُذَم، وإنما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة، وذلك إنما ينشأ عن الإعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإقبال على كتب من تأخر، والاستغناء بها عن الوحيين، وهذا يشبه ما وقع من أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة:٣١] كما سيأتي بيان ذلك في حديث عدي بن حاتم، فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء، ونظر فيها، وعرف أقوالهم أن يعرضها على ما في الكتاب والسنة؛ فإنَّ كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لابد أن يذكر دليله، والحق في المسألة واحد، والأئمة مثابون على اجتهادهم، فالمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقًا إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهنًا وتمييزًا للصواب من الخطإ بالأدلة التي يذكرها المستدلون، ويتعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء، فيتبعه، والأدلة على هذا الأصل في كتاب الله أكثر من أن تحصر، وفي السنة كذلك.

كما أخرج أبو داود بسنده عن أناس من أصحاب معاذ: أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال: «**كيف تقضي إذا عرض [لك]**[(١)] **قضاء؟**» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله؟**» قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: «**فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال: فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله**»[(٢)].

---

(١) في [ب]: عليك.

(٢) **ضعيف منكر**. أخرجه أبو داود (٣٥٩٣)، وكذلك الترمذي (١٣٢٨)، والدارمي (١٦٨)، وأحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦)، وابن سعد (٢/ ٣٤٧)، والبيهقي (١٠/ ١١٤)، وغيرهم، وإسناده ضعيفٌ، فيه: الحارث بن عمرو الثقفي مجهول، وفيه مبهمٌ، وهو الراوي عن معاذ رضي الله عنه. =

وساق بسنده عن الحارث بن [عمرو][(١)] عن أناس من أصحاب معاذ عن معاذ بن جبل ﵁ أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن. بمعناه.

والأئمة رحمهم الله لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة؛ لعلمهم أن من العلم شيئًا لم يعلموه، وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء.

قال أبو حنيفة ﵀: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ، فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة ﵃ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال.[(٢)]

وقال: إذا قلتُ قولًا وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله. قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر الرسول ﷺ. فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة.[(٣)]

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فخذوا سنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت.[(٤)]

= ❁ وقد رُوي مرسلًا بدون ذكر معاذ، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦)، والترمذي (١٣٢٧)، وأبو داود (٣٥٩٢)، والعقيلي (١/ ٢١٥)، ورجح الدارقطني في "العلل" (١٠٠١) المرسل، وهو منكرٌ؛ لأن فيه التفريق بين الكتاب والسنة، وقد ضعفه البخاري، والترمذي، والعُقَيلي، والدارقطني، وابن حزم، وابن طاهر، وابن الجوزي، والذهبي، والسُّبُكي، وابن حجر، وانظر "الضعيفة" (٨٨١).

(١) في المخطوطتين: (عُمَر)، والمثبت هو الصواب.

(٢) أخرج نحوه البيهقي في "المدخل" (٤٠)، وفي إسناده نعيم بن حماد، وهو إمام في حفظه شيء، وانظر: "إيقاظ همم ذوي الأبصار" للشيخ صالح الفلاني (ص٥٠).

(٣) انظر "إيقاظ همم ذوي الأبصار" للشيخ صالح الفلاني (ص٥٠).

(٤) أخرجه البيهقي في "مناقب الشافعي" (١/ ٤٧٢)، وفي "المدخل إلىٰ السنن" (٢٤٩)، وأبو إسماعيل الهروي في "ذم الكلام" (٣٨٨)، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٤٠٦)، والذهبي في "السير" (١٠/ ٧٧-٧٨)، من طرق عن محمد بن يعقوب الأصم، عن الربيع بن سليمان، وهذا إسناد صحيح.

وقال: إذا صح الحديث بما يخالف قولي، فاضربوا بقولي الحائط.[(١)]

وقال مالك: كلٌّ [أحد][(٢)] يؤخذ من قوله ويترك إلا [رسول][(٣)] الله ﷺ.[(٤)]

وتقدم له مثل ذلك، فلا عذر لمقلد بعد هذا، ولو استقصينا كلام العلماء في هذا؛ لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدى.

قوله: لعله إذا رد بعض قوله -**أي**: قول الرسول ﷺ- أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

ينبه ؒ أنَّ رَدَّ قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب، وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

قال شيخ الإسلام في معنى قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور:٣٦]؛ فإذا كان المخالف عن أمره قد حُذِّرَ من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم؛ دلَّ على أنه قد يكون مُفضيًا إلى الكفر والعذاب الأليم، ومعلوم أن إفضاءه إلى العذاب الأليم هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الآمر كما فعل إبليس، لعنه الله. انتهى.[(٥)]

وقال أبو جعفر ابن جرير ؒ عن الضحاك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال: يطبع على قلبه فلا يؤمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه.[(٦)]

---

(١) لم أجده، وقد عزاه بعضهم لـ"المناقب"، وليس هو فيه.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [ب]: قول رسول الله.

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

(٥) انظر: "الصارم المسلول" (ص٥٧)ط/ مكتبة تاج بطنطا.

(٦) **ضعيف جدًا**. أخرجه الطبري في تفسير [آية:٦٣] من سورة النور، وفي السند: جويبر الأزدي، متروكٌ، وشيخ الطبري محمد بن حميد الرازي قد كُذِّب، ورواه أبو الشيخ كما في "الدر المنثور" [آية:٦٣] من سورة النور.

قال أبو جعفر: أدخلت ﴿عَنْ﴾؛ لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويدبرون عنه معرضين.

قوله: [أو يصيبهم] في عاجل الدنيا [عذاب] من اللهِ موجع على خلافهم أمر رسول الله ﷺ.

قال المصنف رحمه الله: وعن عدِيَّ بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إلهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[التوبة:٣١]، فقلت له: إنَّا لسنا نعبدهم، قال: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتُحِلُّونَهُ**؟» فقلت: بلىٰ، قال: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**». رواه أحمد والترمذي وحسنه.[(١)]

ش/ هذا الحديث قد رُوي من طرقٍ، فرواه ابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، [وأبو الشيخ][(٢)]، وابن مردويه، والبيهقي.

قوله: عن عدي بن حاتم.

أي: الطائي المشهور، وحاتم هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج -بفتح الحاء المهملة- المشهور بالسخاء والكرم، قدم عدي على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة، فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة.

وفي الحديث دليل على أنَّ طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا

---

(١) تقدم تخريجه في الباب رقم (٥).

(٢) ساقط من [أ].

لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، [ونظير][1] ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ الله عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم؛ لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلَّدَ، وهو من هذا الشرك، ومنهم من يغلو في ذلك ويعتقد أن الأخذ بالدليل والحالة هذه يكره أو يحرم، فعظمت الفتنة، ويقول: هم أعلم منا بالأدلة، ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد، وربما تفوهوا بذم من يعمل بالدليل، ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام، كما قال شيخنا رحمه الله تعالى في المسائل: فتغيرت الأحوال، وآلت إلى هذه الغاية، فصارت عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، ويسمونها ولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.[2]

وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله، فقد عمت بها البلوى قديمًا وحديثًا في أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ الله إِنَّ الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٥٠].

وعن زياد بن حدير قال: قال [لي][3] عمر: هل [تعرف][4] ما يهدم الإسلام؟

قلت: لا.

قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. رواه

---

(١) في [ب]: ويظهر.

(٢) انظر المسألة رقم (٥) من "كتاب التوحيد".

(٣) ساقط من [أ].

(٤) في [أ]: تدري.

الدارمي.[(١)]

جعلنا اللهُ وإياكم من الذين يهدون بالحق، وبه يعدلون.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه علىٰ معنىٰ العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتَمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تَغَيُّرُ الأحوال إلىٰ هذه الغاية، حتىٰ صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتُسَمَّىٰ الولاية، وعبادة الأحبار هي: العلم، والفقه، ثُمَّ تغيَّرت الحال إلىٰ أنْ عُبِدَ من دون الله من ليس من الصالحين، وَعُبِدَ بالمعنىٰ الثاني من هو من الجاهلين.

(١) **صحيح**. رواه الدارمي برقم (٢٢٠)، وابن بطة في "الإبانة" (٦٤١) (٦٤٣)، وابن عبدالبر في "جامع بيان العلم" (١٨٦٧) (١٨٦٩) (١٨٧٠)، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٦٠٧)، من طرق عن الشعبي، عن زياد بن حدير به، وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٤٧٥) من طريق: حصين، عن زياد بن حدير به.

٣٨- بَابَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآيات.

قال المصنف رحمه الله: بَابَ قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

ش/ قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا.

وتقدم(١) ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في حده للطاغوت، وأنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مُطاع، فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به؛ فإنَّ التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن كان يحكم بهما، فمن حاكم إلى غيرهما؛ فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله ﷺ، وأنزله منزلة لا يستحقها، وكذلك من عبد شيئًا دون الله، فإنما عبد الطاغوت؛ فإن كان المعبود صالحًا صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا

(١) تقدم في أول الكتاب.

أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى الله مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٢٨-٣٠]، وكقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤٠-٤١]، وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه، أو كان شجرًا، أو حجرًا، أو قبرًا، أوغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصنامًا على صور الصالحين، أو الملائكة أو غير ذلك؛ فهي من الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده أن يكفروا [به و][1] بعبادته ويتبرأوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنًا من كان، وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله؛ فهو الذي دعا إلى كل باطل وزَيَّنَه لمن فعله، وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فالتوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله، كما قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، وكل من عبد غير الله؛ فقد جاوز به حده، وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه.

قال الإمام مالك: الطاغوت ما عبد من دون الله.[2]

وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله؛ فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ، ورغب عنه، وجعل لله شريكًا في الطاعة، وخالف ما جاء به رسول الله ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) تقدم تخريجه في أول الكتاب.

ذلك اتِّباعًا لما يهواه ويريده؛ فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن؛ فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ من نفى إيمانهم؛ فإن ﴿يَزْعُمُونَ﴾ إنما يقال غالبًا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها، وعمله بما ينافيها يحقق [هذا][1] قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾[النساء:٦٠]؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة؛ فإن لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدًا، والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال، وتفسد بعدمه، كما أن ذلك بين في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة:٢٥٦] الآية؛ وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾.

يبين تعالى في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه، ويبين أن [ذلك][2] مما أضل به الشيطان من أضله، وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد، فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى.

ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: أنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله! ما أعظم هذا القرآن، وما أبلغه، وما أَدَلَّه على أنه كلام رب العالمين

---

(١) في [أ]: ذلك.

(٢) ساقط من [أ].

أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين، صلوات الله وسلامه عليهما.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾.

بَيَّنَ تعالى أن هذه صفة المنافقين، وأنَّ من فعل ذلك أو طلبه، وإن زعم أنه مؤمن؛ فإنه في غاية البعد من الإيمان.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا دليل على أن من دُعِيَ إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين.[(١)]

قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾.

لازم، وهو بمعنى يعرضون؛ لأن مصدره (صدودًا)، فما أكثر من اتصف بهذا الوصف، خصوصًا ممن يَدَّعِي العلم؛ فإنهم صَدُّوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى أقوال من يخطئ كثيرًا ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة في تقليدهم، من لا يجوز تقليده، واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم، الذي لا تصح الفتوى إلا به؛ فصار المتبع للرسول ﷺ بين أولئك غريبًا كما تقدم التنبيه على هذا في الباب الذي قبل هذا.

فتدبر هذه الآيات وما بعدها يتبين لك ما وقع فيه غالب الناس من الإعراض عن الحق، وترك العمل به في أكثر الوقائع، والله المستعان.

---

(١) انظر كلامًا مقاربًا له في "زاد المعاد" (٤/ ٥).

قال المصنف رحمه الله: وقوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَـهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾** [البقرة:١١].

ش/ قال أبو العالية[١] في الآية: يعني لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصى الله في الأرض، أو أمر بمعصية الله؛ فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله ﷺ.

وقد أخبر تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠] إلى قوله: ﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف:٧٣]، فدلت الآية على أن كل معصية فساد في الأرض.

ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو الفساد في الأرض.

وفي الآية: التنبيه على عدم الاغترار [بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى.

وفيها: التحذير من الاغترار][٢] بالرأي ما لم يقم على صحته دليلٌ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما أكثر من يصدق بالكذب ويكذب بالصدق إذ جاءه، وهذا من الفساد في الأرض، ويترتب عليه من الفساد أمور كثيرة تخرج صاحبها عن الحق، وتدخله في الباطل، نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

فتدبر تجد ذلك في حال الأكثر؛ إلا من عصمه الله وَمَنَّ عليه بقوة داعي الإيمان، وأعطاه عقلًا كاملًا عند ورود الشهوات، وبصرًا نافذًا عند ورود الشبهات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) الأثر أخرجه ابنُ أبي حاتم برقم (١٢١)، وفيه: أبو جعفر الرازي، ضعيفٌ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: **﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[الأعراف:٥٦].

ش/ قال أبو بكر بن عياش في الآية: إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض، وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ؛ فهو من المفسدين في الأرض.(١)

وقال ابن القيم: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله؛ فإنَّ عبادة غير الله، والدعوة إلى غيره، والشرك به [هو](٢) أعظم فسادٍ في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به، ومخالفة أمره؛ فالشرك، والدعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره، ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها، ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ﷺ ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته؛ فلا سمع [له](٣) ولا طاعة، ومن تدبر أحوال العالم؛ وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ﷺ، وكل شرٍّ في العالم، وفتنة، وبلاء، وقحط، وتسليط عدو، وغير ذلك؛ فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله. انتهى.(٤)

ووجه مطابقة هذه الآية للترجمة: أنَّ التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير [آية:٥٦] من سورة الأعراف، وفيه: الحسين بن داود الملقب بـ(سنيد) ضعيف، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلى أبي الشيخ الأصبهاني.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) من "بدائع الفوائد" (٣/ ١٤-١٥).

يفسد الأرض من المعاصي فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو سبيل المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: **﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** [المائدة:٥٠].

ش/ قال ابن كثير: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، والنهي عن كل شرٍّ، وعدل إلى ما سواه من الآراء، والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم ["الياسق"، وهو عبارة عن كتاب أحكام][(١)] قد اقتبسها من شرائع شتى من [اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية][(٢)]، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نَظَرِهِ، [فصارت][(٣)] في بنيه شرعًا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة، ومن فعل ذلك؛ فهو كافر[(٤)] يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير.

---

(١) في المخطوطتين: (كتابًا مجموعًا من أحكام)، والمثبت من "التفسير".

(٢) إضافة من "التفسير".

(٣) في المخطوطتين: (وصار)، والمثبت من "التفسير".

(٤) حكم ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ علىٰ فاعل ذلك بأنه كافر، وكلامه السابق فيه أنهم جعلوه شرعًا يقدمونه علىٰ الكتاب والسنة، وهذا يبين أنهم جعلوا ياسقهم دينًا لهم مع مخالفته للكتاب والسنة، ففي ذلك تحليل للحرام، وتحريم للحلال، وهذا هو التبديل، وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٨/ ٥٢٣) أنهم يجعلون دين الإسلام كدين اليهود والنصارىٰ، وأن هذه كلها طرق إلىٰ الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين.اهـ

قلت: وعليه فلا يصح أن يلحق بكلام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ من حكم بالقوانين الوضعية وهو يعتقد نفسه عاصيًا في ذلك.

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

استفهام إنكار، أي: لا حكم أحسن من حكمه تعالى، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك، أي: ومن أعدل من اللهِ حكمًا لمن عقل عن الله شرعه، وآمن [به][(١)] وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره.

وفي الآية التحذير من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله ورسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن، وهو الحق إلى ضده من الباطل.

قال المصنف رحمه الله: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ**». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة»، بإسناد صحيح.[(٢)]

ش/ هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب "الحجة على تارك المحجَّة" بإسناد صحيح كما قاله المصنف عن النووي، ورواه الطبراني،

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه أبو الفتح المقدسي في "الحجة علىٰ تارك المحجة"، وكذلك الطبراني، وأبو نعيم في "الأربعين"، كما في "جامع العلوم والحكم" (٤١)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٥)، والخطيب في "التاريخ" (٤/ ٣٦٩)، والبغوي في "شرح السنة" (١٠٤)، وإسناده ضعيف، فيه: نُعيم بن حماد الخُزاعي، تفرد به، وقد كان إمامًا في السنة، لكن كثرت أخطاؤه في الحديث فَضُعِّفَ؛ مع جلالته في السنة، وقد اضطرب فيه، فتارة يقول: عن عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي عن هشام بن حسان، وتارة يقول: عن بعض مشيختنا، عن هشام بن حسان، وتارة يقول: عن هشام بن حسان، أو غيره. وهناك علة أخرىٰ ذكرها بعضهم وهي أنَّ عقبة بن أوس يرويه عن عبدالله بن عمرو، ولم يسمع منه، لكن هذه العلة قد ينازع فيها؛ فإن عقبة بن أوس قد صرح بالسماع في بعض الأسانيد الصحيحة في غير هذا الحديث، ولم يسبق الغلَّابي القائل بعدم السماع أحدٌ من المتقدمين. فالحديث ضعيفٌ، حتىٰ قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم": تصحيح الحديث بعيدٌ جدًّا. انظر "جامع العلوم والحكم" رقم (٤١).

وأبو بكر بن [أبي][(١)] عاصم، والحافظ أبو نعيم في "الأربعين" التي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار.

وشاهده في القرآن[(٢)] قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٩٥] الآية، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠]، ونحو هذه الآيات.

قوله: «**لا يؤمن أحدكم**».

أي: لا يكون من أهل الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله عليه بدخول الجنة، والنجاة من النار، وقد يكون في درجة أهل الإساءة والمعاصي من أهل الإسلام.

قوله: «**حتىٰ يكون هواه تبعا لما جئت به**».

الهوى بالقصر، أي: ما يهواه وتحبه نفسه، وتميل إليه؛ فإنْ كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعًا لما جاء به رسول الله ﷺ لا يخرج عنه إلى ما يخالفه؛ فهذه صفة أهل الإيمان المطلق، وإن كان بخلاف ذلك، أو في بعض أحواله أو أكثرها؛ انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب، كما في حديث أبي هريرة: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[(٣)] يعني أنه بالمعصية ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، وينزل عنه في درجة الإسلام، وينقص إيمانه، فلا يُطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصية، أو الفسوق، فيقال: مؤمن عاصٍ. أو يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته. فيكون معه مطلق

---

(١) ساقط من المخطوطتين، وإثباته هو الصواب.

(٢) علماء الحديث لا يقوون الحديث بالآيات، لكن يقوون المعنىٰ، فيقولون: معنىٰ الحديث يدل عليه قوله تعالىٰ ... .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧).

الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به، كما قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[النساء:٩٢]، والأدلة على ما عليه سلف الأمة وأئمتها: أن الإيمان قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أكثر من أن تحصر فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله**» الحديث، وهو في "الصحيحين" و"السنن"[(١)].

والدليل على أن الإيمان يزيد قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[المدثر:٣١]، وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة:١٢٤] الآية، خلافًا لمن قال: إنَّ الإيمان هو القول. وهم المرجئة، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق. كالأشاعرة، ومن المعلوم عقلًا وشرعًا أنَّ نية الحق تصديق، والعمل به تصديق، وقول الحق تصديق، وليس مع أهل البدع ما ينافي قول أهل السنة [والجماعة][(٢)] ولله الحمد والمنة.

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْـمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْـمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْـمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْـمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، أي: فيما عملوا به في هذه الآية من الأعمال الظاهرة والباطنة، وشاهده في كلام العرب قولهم: حملة صادقة. وقد سَمَّى اللهُ تعالى الهوى المخالف لما جاء به الرسول ﷺ إلهًا، فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[الجاثية:٢٣]،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٣)، ومسلم برقم (١٧)، وأبو داود برقم (٣٦٩٢) (٤٦٧٧)، والترمذي (٢٦١١)، والنسائي (٨/ ١٢٠)، من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ساقط من [أ].

قال بعض المفسرين: لا يهوى شيئا إلا ركبه.

قال ابن رجب رحمه الله: أما معنى الحديث: فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أُمر به، ويكره ما نُهي عنه، وقد ورد في القرآن مثل هذا المعنى في غير موضع، وذم سبحانه من كره ما أحبه الله أو أحب ما كرهه الله كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٢٨]، فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما أوجب عليه منه؛ فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلًا، وأن يكره ما يكرهه الله كراهة توجب له الكف عما [حرم عليه][1] منه؛ فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهًا؛ كان ذلك فضلًا، فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه؛ أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ﷺ، فيرضى بما يرضى به اللهُ ورسوله، ويسخط بما يُسخِط اللهَ ورسولَه ﷺ، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، وترك ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه؛ دلَّ ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة التي هي ركن العبادة إذا كملت، فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله ﷺ، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾ [القصص:٥٠]، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع؛ ولهذا سمي أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن

(١) في [أ]: حرَّمه الله عليه.

يكون تَبَعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبة من يحبه الله من الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين عمومًا؛ ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، فتحرم موالاة أعداء الله، ومن يكرهه الله عمومًا، وبهذا يكون الدين كله لله، ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه؛ كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب، فتجب التوبة من ذلك. انتهى ملخصًا.[1]

ومناسبة الحديث للترجمة: بيان الفرق بين أهل الإيمان، وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم، وأفعالهم، وإرادتهم.

---

(١) من "جامع العلوم والحكم" رقم (٤١).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقال الشعبي[1]: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْـمُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ -لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ- وَقَالَ الْـمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ الْيَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُم يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ- فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَت: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ**﴾ الآية.

وَقِيْلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَىٰ كَعْب بنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَىٰ عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ. فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَم، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ.[2]

ش/ قوله: وقال الشعبي.

هو عامر بن شراحيل الكوفي، عالم أهل زمانه، وكان حافظًا علامة، ذا فنون، كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء.[3] وأدرك خلقًا كثيرًا من الصحابة، وعاش بضعًا وثمانين سنة. قاله الذهبي.

وفيما قاله الشعبي ما يبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى، ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها

---

(١) **ضعيف**. أخرجه ابنُ جرير الطبري في تفسير [آية:٦٠] من سورة النساء، وسنده صحيح إلىٰ الشعبي، لكن الشعبي لم يدرك القصة، فهو ضعيفٌ؛ لأنه مرسل.

(٢) **ضعيف جدًّا**. ذكره البغوي في "تفسيره" [آية:٦٠] من سورة النساء، والواحدي في "أسباب النزول" (ص١٣٧)، وهو من طريق: محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، ومحمد بن السائب متروك، وأبو صالح ضعيف، ولم يسمع من ابن عباس، فهذه ثلاث علل.

(٣) **صحيح**. أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٦/ ٢٤٩): أخبرنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن ابن شبرمة، عن الشعبي به. وتمام الأثر: قال: وما حدثني أحد بحديث فأحببت أن يعيده عليَّ. وإسناده صحيح.

من إعانة العدو على المسلمين، وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان، ومن تدبر ما في التاريخ، وما وقع منهم في الوقائع؛ عرف أنَّ هذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا، وقد حذَّر الله نبيَّه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم، وحضه على جهادهم في مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْـمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣]، وفي قصة عمر رضي الله عنه، وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق، وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ وأذى له، وإظهار عداوته، فانتقض به عهده، وحل به قتله، وروى مسلم في "صحيحه" عن عمرو: سمعت جابرًا يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من لكعب بن الأشرف؛ فإنه قد آذىٰ الله ورسوله؟**» قال محمد بن مسلمة: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**»، قال: ائذن لي فَلأَقُلْ. قال: «**قل**»، فأتاه فقال له، وذكر ما بينهما، وقال: إنَّ الرجل قد أراد صدقة، وقد عنانا، فلما سمعه قال: وأيضًا، والله لَتَمَلُّنَّه. قال: إنَّا قدِ اتَّبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره. قال: وقد أردت أن تسلفني سلفًا. قال: فما ترهنني؟ قال: ما تريد قال: ترهنني نساءكم؟ قال: أنت أجمل العرب، أنرهنك نساءنا؟ قال: ترهنوني أولادكم؟ قال: يسب ابن أحدنا، فيقال: رهن في وسقين من تمر، ولكن نرهنك اللأْمة -يعني السلاح- قال: فنعم. وواعده أن يأتيه بالحارث، وأبي عبس بن جبر، وعباد بن بشر. قال: فجاءوا، فدعوه ليلًا، فنزل إليهم. قال سفيان: قال غير عمرو: قالت امرأته: إني لأسمع صوتًا كأنه صوت دم. قال: إنما هذا محمد [ابن مسلمة][1]، [ورضيعه، وأبو نائلة][2]، إنَّ الكريم لو دُعِي إلى طعنة ليلًا لأجاب. قال محمد:

---

(١) إضافة من "الصحيحين".

(٢) صوابه: (ورضيعه أبو نائلة) بدون واو العطف كما بين ذلك النووي رحمه الله في "شرح مسلم".

إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه، فإذا استمكنت منه فدونكم. قال: فلما نزل وهو متوشح، فقالوا: نجد منك ريح الطيب. قال: نعم، تحتي فلانة، أعطر نساء العرب. قال: فتأذن لي أن أشم منه؟ قال: نعم، فتناول فشم، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: فاستمكن من رأسه، ثم قال: دونكم. قال: فقتلوه.[(١)]

وفي قصة عمر رضي الله عنه بيان أن المنافق المغموص بالنفاق إذا أظهر نفاقه قُتِل كما في "الصحيحين" وغيرهما: أنَّ النبي ﷺ إنما ترك قتل من أظهر نفاقه منهم تأليفًا للناس؛ فإنه قال: «**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**»[(٢)]، فصلوات الله وسلامه عليه.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة علىٰ معرفة فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾.

الرابعة: تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولىٰ.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٨٠١)، وكذلك أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٥)، ومسلم برقم (٢٥٨٤)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

٣٩- بَاب مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

ش/ سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها، وهو أن مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عنادًا.[١]

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠]، و الرحمن اسمه وصفته دلَّ هذا الاسم على أن الرحمة وصفه سبحانه، وهي من صفات الكمال؛ فإذا كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه تعالى، وهو من الأسماء التي دلت على كماله سبحانه وبحمده، فجحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك؛ فإنَّ جهم بن صفوان ومن تبعه يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ فلهذا كَفَّرهم كثيرون من أهل السنة.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في … عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ … ـهم بل قد حكاه قبله الطبراني[٢]

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصَّلُوه

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.
(٢) انظر: "الكافية الشافية" (ص٧٦-٧٧) ت/ الحلبي.

من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام؛ فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا.[(١)] هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا الله في ابتداء رأيهم الفاسد بخلقه، ثم عطلوه من صفات كماله، وشبهوه بالناقصات، والجمادات، والمعدومات، فشبهوا أولًا وعطلوا ثانيًا، وشبهوه ثالثًا بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها؛ فإنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسولُه ﷺ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ فإنَّ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات يحتذي حذوه، فكما أن هؤلاء [المعطلة][(٢)] يثبتون لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله، لا تشبه صفات خلقه؛ فإنهم آمنوا بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك، فتناقضوا، فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل -ولله الحمد والمنة- وإجماع أهل السنة من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وأئمة المسلمين.

وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى في الرد على الجهمية، والمعطلة، والمعتزلة، والأشاعرة وغيرهم في إبطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافت، كالإمام أحمد

(١) أهل السنة يقولون في مسألة الجسم: لم يأت في إثباتها دليل؛ فإنْ كان أهل التعطيل يقصدون بالجسم أنه جسم يتبعض، فتكون هذه الصفات أبعاضًا لهذا الجسم؛ فهذا بعيد في حق الله تعالىٰ، والله منزه عن ذلك؛ لأن الله عزوجل بذاته وصفاته أوليٌّ لا بداية له، وصفاته ملازمة لذاته لا تنفك عنها أبدًا، وأما إن كانوا يقصدون بالجسم الذَّات، أو أنه شيءٌ قائم بنفسه؛ فهذا نثبته في حق الله، فنثبت الذات والصفات، ويلزم من إثبات الصفات إثبات الذات، وأما لفظ الجسم؛ فإنه مجمل قد يُراد به باطل، وقد يراد به حق.

(٢) ساقط من [أ].

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في رَدِّه المشهور، وكتاب «السنة» لابنه عبد الله، وصاحب «الحيدة» عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي[(١)]، وكتاب «السنة» لأبي عبد الله [المروزي][(٢)]، ورد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد وهو بشر المريسي، و كتاب «التوحيد» لإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعي، وكتاب «السنة» لأبي بكر الخَلَّال، وأبي عثمان الصابوني الشافعي، وشيخ الإسلام الأنصاري، وأبي عمر بن عبد البر [النمري][(٣)]، وخلق كثيرون من أصحاب الأئمة الأربعة الأربعة وأتباعهم، وأهل الحديث، ومن متأخريهم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم، فللهِ الحمد والمنة على بقاء السنة وأهلها، مع تفرق الأهواء، وتشعب الآراء، والله أعلم.

---

(١) هذا الكتاب اسمه «الحيدة والاعتذار»، ولم يثبت عن الكناني رَحِمَهُ اللهُ، ففي سنده: محمد بن الحسن بن أزهر الدَّعَّاء، ذكره الذهبي في «الميزان» وقال: اتهمه أبو بكر الخطيب بأنه يضع الحديث.

قال الذهبي: هو الذي انفرد برواية كتاب «الحيدة»، ويغلب علىٰ ظني أنه هو الذي وضع كتاب «الحيدة»؛ فإني لأستبعد وقوعها جدًّا. وقد قوَّىٰ بعضهم هذا الكتاب بأنَّ له طريقًا أخرىٰ في «الإبانة» لابن بطة برقم (٤٢٦).

قلتُ: وهذه الطريق فيها مجاهيل لم توجد لهم تراجم؛ فإنها من طريق: عبدالوهاب بن عمرو النزلي، قال: حدثني أبو القاسم العطاف بن مسلم، قال: حدثني الحسين بن بشر ودبيس الصائغ ومحمد بن فرقد، قالوا: قال لنا عبدالعزيز الكناني ...، فذكره. وكل هؤلاء لم توجد لهم تراجم كما ذكر ذلك محقق «الإبانة».

قلت: ومع ذلك فالمذكور في «الإبانة» إنما هو قطعة من الكتاب، وليس الكتاب كاملًا، والله أعلم.

(٢) وقع في [أ] و[ب]: (المروذي)، والمثبت هو الصواب.

(٣) ساقط من [أ].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "صحيح البخاري": قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَدِّثوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسُولُهُ؟!.[(١)]

ش/ علي: هو أمير المؤمنين، أبو الحسن علي بن أبي طالب، وأحد الخلفاء الراشدين.

وسبب هذا القول -والله أعلم- ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القُصَّاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل، فربما استنكرها بعض الناس وردها، وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك، فأرشدهم أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال [من الحرام][(٢)] الذي كُلِّفُوا به علمًا وعملًا دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله، فيفضي بهم إلى التكذيب، ولاسيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم.

وقد كان شيخنا المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لا يحب أن يُقْرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: كـ"المنعش" و"المرعش" و"التبصرة"؛ لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم، مما لا ينبغي اعتقاده، والمعصوم من عصمه الله.

[وقد كان][(٣)] أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهى القُصَّاص عن القَصَص؛ لما في قصصهم من الغرائب، والتساهل في النقل، وغير ذلك، ويقول: لا يقص إلا أمير أو مأمور.[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٧).

(٢) في [ب]: والحرام.

(٣) في [أ]: وكان.

(٤) لم نجده عن معاوية موقوفًا، وإنما وجدناه مرفوعًا عن عوف بن مالك، وعبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،=

وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علمًا، وعملًا، ونيةً، وقصدًا، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه من البدع ووسائلها، والله الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وروىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأىٰ رجلًا انتفض؛ لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات؛ استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رِقَّةً عند مُحكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عند مُتَشَابِهِه. انتهىٰ.[(١)]

ش/ قوله: وروى عبد الرزاق.

هو ابن همام الصنعاني المحدث، محدث اليمن، صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري، وهو شيخ عبد الرزاق، يروي عنه كثيرًا.

ومَعْمَر بفتح الميمين وسكون العين- أبو عروة بن أبي عمرو راشد، الأزدي الحراني، ثم اليماني، أحد الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، يروي عنه كثيرًا.

قولهُ: عن ابن طاوس.

هو عبد الله بن طاوس اليماني، قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين [وثلاثين][(٢)] ومائة.

= فحديث عبدالله بن عمرو أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨)، بإسناد حسن، وعنده زيادة: «أو مُرَاءٍ».

❁ وحديث عوف بن مالك أخرجه أحمد (٦/ ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٢٩)، وأبو داود (٣٦٦٥)، والبخاري في "التاريخ" (٨/ ٣٢٩) (٣/ ٢٦٦)، والطبراني في "الأوسط" (٤٠٧٤)، وفي "الكبير" (١٨/ ١٠٠، ١١٢، ١١٤، ١٢١، ١٤٠، ١٤٥)، وعندهم: «أو متكلف»، وفي بعض الروايات: «أو مختال» بدل قوله: «أو مراء» وله ثلاثة أسانيد ضعيفة، وإسناد حسن، فصارت أربعة أسانيد؛ فيكون الحديث صحيحًا بِطُرُقِهِ، وشاهده الذي قبله.

(١) أخرجه عبدالرزاق برقم (٢٠٨٩٥)، وسنده صحيح.

(٢) ساقط من [ب].

قوله: عن أبيه.

هو طاوس بن كيسان الجندي -بفتح الجيم والنون- الإمام العَلَم، قيل اسمه: ذكوان. قاله ابن الجوزي.

قلت: وهو من أئمة التفسير، ومن أوعية العلم.

قال في "تهذيب الكمال": عن الوليد الموقري عن الزهري، قال: قدمت على عبدالملك ابن مروان، فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلت: من مكة. قال: ومن خلفت يسودها وأهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فَبِمَ سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهلَ الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان. قال: فمن العرب، أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء. قال: إنه لينبغي ذلك. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبدٌ، نوبي أعتقته امرأة من هُذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مزاحم. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري. قال فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: ويلك، ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري، فَرَّجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر، والعرب تحتها. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو

دين، من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط.[(١)]

قولهُ: عن ابن عباس.

قد تقدم، وهو حَبْرُ الأمة، وترجمان القرآن، ودعا له النبي ﷺ وقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[(٢)]، وروى عنه أصحابه أئمة التفسير: كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس وغيرهم.

قولهُ: ما فرق هؤلاء؟

يستفهم من أصحابه، يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن، ومعناه حصل معهم فرق، أي: خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين.

قال الذهبي: حَدَّث وكيع عن إسرائيل بحديث: «**إذا جلس الرب على الكرسي**»، فاقشعر رجلٌ عند وكيع، فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها. أخرجه عبدالله في كتابه "الرد على الجهمية".اهـ[(٣)]

وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الإيمان به، فتشبه حالهم حال من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، فلا

---

(١) ذكرها المِزِّي في "تهذيب الكمال" (٢٠/ ٨١)، وفيها: الوليد بن محمد الموقَري، متروك.

(٢) تقدم تخريجه في الباب رقم (٢).

(٣) انظر كتاب "السنة" لعبدالله بن الإمام أحمد برقم (٥٨٧)، وسند القصة صحيح، لكن الحديث الذي حدث به لم يصح؛ فهو من حديث عمر رضي الله عنه، والراوي عنه عبدالله بن خليفة، وهو مجهول، تفرد بالرواية عنه: أبو إسحاق السبيعي، ولم يوثقه معتبر، وعبدالله بن خليفة اضطرب فيه، فتارة يرويه مرسلًا، وتارة يرويه عن عمر موقوفًا، وتارة يرويه عن عمر مرفوعًا، ولم يُعلم له سماع من عمر، فقد قال ابن كثير: في سماعه من عمر نظر. وضعف الحديث البزارُ، وابنُ الجوزي، وابنُ كثير، والذهبي، وغيرهم.

يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الإيمان بكتاب الله كله، واليقين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧]، فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رضي الله عنهما تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن، وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن، وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي أراد الله، فيحمله على غير معناه كما جرى لأهل البدع كالخوارج، والرافضة، والقدرية ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته، وقد وقع منهم ما وقع من الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم؛ فإنَّ الواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس.

وسبب هذه البدع جهل أهلها، وقصورهم في الفهم، وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا ورد المتشابه إلى المحكم، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فللهِ الحمد لا نحصي ثناءً عليه.

ذكر ما ورد عن [علماء السلف][1] في المتشابه:

قال في "الدر المنثور": أخرج الحاكم -وصححه- عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد علىٰ حرف واحد، فنزل القرآن من سبعة أبواب علىٰ سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأَحِلُّوا**

(١) في [ب]: العلماء.

حلالَه وَحَرِّمُوا حرامَه، وافعلوا ما أُمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا».(١)

قال: [وأخرج](٢) عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ الآية، قال: طلب القوم التأويل فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة وطلبوا ما تشابه منه فهلكوا بين ذلك.(٣)

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قال: منهن: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[الأنعام:١٥١] إلى ثلاث آيات، ومنهن: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣] إلى ثلاث آيات بعدها.(٤)

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٥٣) (٢/ ٢٨٩)، وكذلك أخرجه الطبري (١/ ٦٢، ٦٣)، والطحاوي في "المشكل" (٣١٠٢)، وابن حبان (٧٤٥)، وإسناده ضعيف، فيه انقطاع، يرويه أبو سلمة بن عبدالرحمن، عن ابن مسعود، ولم يسمع منه، والحديث أعله بالانقطاع الطحاوي، وابن عبدالبر، والذهبي، وغيرهم. والشيخ الألباني حسَّن الحديث في "الصحيحة" برقم (٥٨٧) لطريق أخرىٰ، لكنه مختصر، ليس فيه ذكر تفصيل السبعة الأحرف...، إلىٰ آخر الحديث.

❁ وهو من حديث ابن مسعود أيضًا، أخرجه أحمد (٤٢٥٢)، وابن أبي داود في "المصاحف" (ص١٨)، والطحاوي في "المشكِل" (٣٠٩٤)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٧٩٨٤)، من طريق: عثمان بن حسَّان، ويقال: القاسم بن حسان، عن فلفلة الجعفي، عن عبدالله بن مسعود به، وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة حال فلفلة، وابن حسَّان، ولكن يعتبر بالطريق الأولىٰ حسنًا بهذا الاختصار: «**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، فنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف**» بدون تفصيل.

وقوله: «**على سبعة أحرف**» اختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا، وأرجح تلك الأقوال أن المقصود: سبعة أوجه من القراءة، وهذه الأوجه هي من لغات ولهجات العرب، ولا يلزم من هذا أن كل كلمة، أو كل آية تقرأ علىٰ سبعة أوجه، وإنما المراد أن أقصىٰ ما ورد في كلمات القرآن سبعة أوجه.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" [آية:٧] من سورة آل عمران، بسند صحيح، و"تفسير عبد بن حميد" مفقود.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢)، وسعيد بن منصور (٤٩٣)، والحاكم (٢/ ٢٨٨) والراوي عن ابن عباس اسمه: عبدالله بن قيس، تفرد بالرواية عنه أبو إسحاق، ولم يوثقه معتبر؛ فهو مجهول. =

وأخرج ابن جرير من طريق أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة ﭫ: المحكمات الناسخات التي يعمل بهن، والمتشابهات المنسوخات.(١)

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن إسحاق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا هذه الآية ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾، فقال أبو فاختة: هن [فواتح السور](٢)، منها يستخرج القرآن: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ منها استخرجت البقرة و ﴿الم * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ منها استخرجت آل عمران. وقال يحيى: هن اللاتي فيهن الفرائض، والأمر والنهي، والحلال [والحرام](٣)، والحدود، وعماد الدين.(٤)

= ❁ وله سندٌ آخر عند ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢)، وابن جرير (٥/ ١٩٣)، والراوي فيه عن ابن عباس مُبهم؛ فيُخشىٰ أن يكون هذا المبهم هو عبدالله بن قيس، فالأثر يبقىٰ ضعيفًا لهذا الاحتمال الكبير؛ لأنه في نفس الطبقة.

(١) أخرجه ابن جرير (٥/ ١٩٤)، من طريق: أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي مالك به، وأسباط فيه ضعف، وقد انتقد أبو زرعة علىٰ مسلم إخراجه له، والسدي أُنْتُقِد عليه هذا الإسناد، انتقده عليه الإمام أحمد فقال كما في "التهذيب": إنه ليحسن الحديث إلا أنَّ هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسنادًا واستكلفه.اهـ وابنُ جرير؛ مع أنه أكثر من الرواية له بهذا الإسناد، لكنه قال في موضع من المواضع: فإن كان ذلك صحيحًا، ولست أعلمه صحيحًا؛ إذ كنت بإسناده مرتابًا. انظر تعليق أحمد شاكر علىٰ "تفسير الطبري" (١/ ١٥٦)، وابن كثير أيضًا يقول: هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة. "المصدر السابق" (١/ ١٥٨)، وابن كثير إذا أطلق الغرابة؛ فالمراد بها الضَّعْف، وأبو صالح في السند هو مولىٰ أم هانئ، ضعيفٌ، ولم يسمع من ابن عباس. والسدي هو الذي رواه عن مُرَّة، عن ابن مسعود، والسدي حسن الحديث، لكن انتقد عليه هذه الطريق. وأما ما اشتهر أن الإمام أحمد يقول: ملفق للتفسير. فلم نجدها، وإنما وجدنا عنه أنه قال: إلا أنَّ هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسنادًا، واستكلفه.

(٢) إضافة من المطبوع.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) أخرجه ابن جرير (٥/ ٢٠١، ٢٠٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٣)، من طريقين عن إسحاق بن سويد به، وكِلا الإسنادين إليه صحيح.

وأخرج ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: المحكمات حجة [الرب][(١)]، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس فيها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه، وأُخر متشابهات في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى اللهُ بهن العبادَ كما ابتلاهم بالحلال والحرام، لا يُصْرَفن إلى الباطل ولا يُحَرَّفن عن الحق.[(٢)]

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن مقاتل بن حيان: إنما قال: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ لأنه ليس من أهل دين لا يرضَى بهن، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ يعني فيما بلغنا ﴿الم﴾ و ﴿المص﴾ و﴿المر﴾.[(٣)]

قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يُشعِر بأن أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه، وما قاله النفاة من أنها من المتشابه دعوى بلا برهان.

---

(١) وقع في [أ]، و[ب]: (العرب)، وهو خطأ.

(٢) أخرجه ابن جرير (٥/ ١٩٧)، وفي إسناده: محمد بن حميد الرازي، شيخ ابن جرير، وقد كُذِّب، والمعروف أن هذا التفسير من كلام محمد بن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٢/ ١٦١)، ورواه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢، ٥٩٤)، عنه بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٣)، من طريق: محمد بن مزاحم المروزي، عن بُكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان به، وهذا إسناد حسن.

الخلاصة: الآيات المحكمات هن التي لا التباس فيها علىٰ الناس، والمتشابهات قد يكون تشابهها علىٰ بعض الناس دون بعض، وهي التي يعقلها أهلُ العلم، وعليه تحمل ا لقراءة بالعطف في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، وقد يكون تشابهها علىٰ جميع الناس، لا يعلم ولا يعقل أحد منهم المعنىٰ، كالحروف المقطعة في أوائل السُّوَر، وكـكيفية الصفات، وكيفية ما أخبر الله به من أمور الآخرة في القرآن، وعليه تحمل القراءة بالاستثناء دون العطف في الآية السابقة، وإلا فإن الله قد بيَّن ما في القرآن كما قال تعالىٰ: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[النساء:١٧٦]، فالقرآن كله معقول المعنىٰ، علمه النبي ﷺ، وأصحابه، وعقلوا معناه، وهكذا العلماء بعدهم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَـمَّا سَمِعَتْ قُرَيْش رَسُولَ الله ﷺ يَذْكُرُ (الرَّحْمَنَ)، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْهِم: ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونُ بِالرَّحْمَن**﴾[الرعد:٣٠].[(١)]

ش/ روى ابنُ جرير عن قتادة: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونُ بِالرَّحْمَن﴾، ذُكِرَ لنا أن نبي الله ﷺ زمن الحديبية حين صالح قريشًا كتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ. فقال مشركوا قريش: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: دعنا يا رسول الله نقاتلهم. فقال: «**لا، ولكن اكتبوا كما يريدون، إني محمد بن عبد الله**»، فلما كتب الكاتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، قالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه. وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللهم. فقال أصحابه: يا رسول الله، دعنا نقاتلهم، قال: «**لا، ولكن اكتبوا كما يريدون**».[(٢)]

وروى أيضًا عن مجاهد قال: قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد:٣٠]، قال: هذا لما كاتب عليه رسول الله ﷺ قريشًا في الحديبية، كتب: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، قالوا: لا تكتب الرحمن، لا ندري ما الرحمن؟ ولا

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير [آية:٣٠] من سورة الرعد، وهذا من تفسير مجاهد، ويكون مرفوعًا؛ لأن أسباب النزول لها حكم الرفع، لكن مجاهد روايته في سبب النزول مرسلة، ومع ذلك ففي السند: الحسين بن داود الملقَّب بـ(سُنَيد)، وفيه عنعنة ابن جريج، فسبب النزول ضعيف، لكن إنكار قريش لاسم الله (الرحمن) معروف كما في صلح الحديبية عندما قال سهيل بن عمرو: أما الرحمن فلا ندري ما الرحمن، ولكن اكتب: باسمك اللهم.

(٢) أخرجه ابن جرير [آية:٣٠] من سورة الرعد، والسند صحيح إلىٰ قتادة، وهو مرسل، لكن شواهده في "الصحيحين"، فقد أخرجه البخاري (٢٧٣١) عن مسور بن مخرمة، ومسلم (١٧٨٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء عن غيرهما.

تكتب إلا باسمك اللهم. قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الآية.[(١)]

وروى أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو ساجدًا: يا رحمن، يا رحيم. فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الإسراء: ١١٠] الآية.[(٢)]

فيه مسائل:

الأولىٰ: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يُفضي إلىٰ تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

---

(١) هذا هو لفظ أثر مجاهد الذي ذكره المصنف قريبًا، وتقدم ضعفُه لأنَّ فيه سُنيدًا، وفيه عنعنة ابن جريج، وهو مرسل.

(٢) **ضعيفٌ**. أخرجه ابن جرير (١٥/ ١٢٣)، وفيه: سُنيد، ومحمد بن كثير المصيصي الصنعاني، وهما ضعيفان.

٤٠- باب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ**﴾[1] [النحل:٨٣].

قال مجاهد ما معناه: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان، لم يكن كذا.[2]

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس -بعد حديث زَيْد بن خالد الذي فيه: «**أنَّ الله تعالىٰ قال: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...**» الحديث، وقد تقدم-: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يَذُمُّ سبحانه من يُضيفُ إنعامه إلىٰ غيره ويُشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم كَانَتِ الرِّيْحُ طَيِّبَةً، وَالْـملاَّح حَاذِقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ علىٰ ألسِنة كثير.

ش/ ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ ما ذكر بعض العلماء في معناها، وقال ابن جرير: فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة، فذكر عن سفيان عن السدي[3]: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ**

(١) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في "القول المفيد" (٢/ ٣١٢): مناسبة هذا الباب للتوحيد أن من أضاف نعمة الخالق إلىٰ غيره؛ فقد جعل معه شريكًا في الربوبية؛ لأنه أضافها إلىٰ السبب علىٰ أنه فاعل، هذا من وجه، ومن وجه آخر أنه لم يقم بالشكر الذي هو عبادة من العبادات، وترك الشكر منافٍ للتوحيد. انتهىٰ المراد

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسير الآية من سورة النحل (٨٣)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٣) صحيح. أخرجه ابنُ جرير (١٤/ ٣٢٥)، حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبدالرحمن -وهو ابن=

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، قال: محمد ﷺ. وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

وأخرج عن مجاهد: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، قال: هي المساكن، والأنعام، وما يرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، يعرفون هذا كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا [كان][(١)] لآبائنا فورثونا إياه.[(٢)]

وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم من: رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

وذكر المصنف رحمه الله مثل هذا عن ابن قتيبة، وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر، النحوي، اللغوي، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة، اشتغل ببغداد، وسمع الحديث على إسحاق بن راهوية وطبقته، توفي سنة ست وسبعين ومائتين.

وقال آخرون: ما ذكره المصنف عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي الزاهد [روى][(٣)]، عن أبيه، وعائشة، وابن عباس، وعنه قتادة، وأبو الزبير، والزهري، وثقه أحمد وابن معين، قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة.

= مهدي- ثنا سفيان به. وهذا إسناد صحيح.

(١) سقط من [ب].

(٢) صحيح. أخرجه ابن جرير (١٤/ ٣٢٥)، وسنده صحيح إلىٰ مجاهد، وهو من طريق: ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ولم يسمع التفسير منه، لكن قد تقدم أنه أخذه بواسطة رجل ثقة، وهو: القاسم بن أبي بزَّة، كما في "جامع التحصيل".

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، قال: إنكارهم إياها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا.[1]

واختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها وهو الصواب، والله أعلم.

قوله: قال مجاهد.

هو شيخ التفسير، الإمام الرباني، مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم.

[قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهدًا][2] يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقفه عند كل آية وأسأله: فيم نزلت؟ وكيف معناها؟[3]

---

(١) **ضعيف**. أثر ابن عون أخرجه ابن جرير (١٤/ ٣٢٦)، وفيه: ليث بن أبي سُليم، وهو ضعيفٌ مختلط، وفيه شيخ ابن جرير: سفيان بن وكيع، وفيه ضعف، لكن يظهر أنه قد توبع، فقد عزا السيوطي هذا الأثر إلىٰ سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، انظر "الدر المنثور" تفسير [آية:٨٣] من سورة النحل.

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) **صحيح**. الفضل بن ميمون رواه عن مجاهد بلفظ: عرضت القرآن علىٰ ابن عباس ثلاثين عرضة. رواه ابن سعد في "الطبقات" (٥/ ٤٦٦)، وأبو نُعيم في "الحلية" (٣/ ٢٨٠)، وتفرد بالرواية عن الفضل واحد مجهول، واسمه: محمد بن عبدالله الأنصاري، ترجمته في "الجرح والتعديل".

❁ واللفظ الذي ذكره المصنف أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩): حدثنا الفضل بن دكين، ثنا شبل ابن عباد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، دون قوله: «وأسألهُ»، وهذا إسناد صحيح.

❁ وأخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (١٨٦٦)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص٣٥٩)، عن أبي نعيم الفضل بن دكين به، دون قوله: «أقفه...».

❁ وأخرجه ابن جرير الطبري (١/ ٨٥)، وأبو نعيم في "الحلية" (٣/ ٢٧٩)، من طريق: محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن مجاهد به، وعند أبي نعيم: «فيم أنزلت، وكيف أنزلت؟»، وأما الطبري فأخرجه إلىٰ قوله: «وأسأله عنها»، وفيه عنعنة ابن إسحاق، ولكنه يزيد الطريق الأولىٰ قوة.

توفي سنة اثنتين ومائة وله [ثلاث وثمانون][١] سنة.

قوله: وقال أبو العباس.

هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الإمام الجليل.

قال: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا[٢]، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.انتهى.

وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها وأسند أسبابها إلى غيره[٣] كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا.

---

(١) وقع في المخطوطتين: (ثلاث وستون)، وهو خطأ.

(٢) انظر "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ٣٣).

(٣) قال العلامة العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (٢/ ٣١٣-٣١٤): ولذلك ثلاث حالات، **الأولى**: أن يكون سببًا خفيًّا لا تأثير له إطلاقًا، كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا، وكذا؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا الولي تصرفًا في الكون مع أنه ميت، فهو تصرف سِرِّي خفي. **الثانية**: أن يضيفه إلىٰ سبب صحيح ثابت شرعًا، أو حسًّا، فهذا جائز بشرط أن لا يعتقد أنَّ السبب مؤثر بنفسه، أو أن لا يتناسىٰ المنعم بذلك. **الثالثة**: أن يضيفه إلىٰ سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سببًا لا شرعًا ولا حِسًّا، فهذا نوع من الشرك الأصغر، وذلك مثل التولة، والقلائد التي يقال: إنها تمنع العين، وما أشبه ذلك.

قال: ويدل لهذا التفصيل أنه ثبت إضافة (لولا) إلىٰ السبب وحده بقول النبي ﷺ في عمِّه أبي طالب: «**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»، ولا شك أن النبي ﷺ أبعد الناس عن الشرك، وأخلص الناس توحيدًا لله تعالىٰ، فأضاف النبي ﷺ الشيء إلىٰ سببه، لكنه شرعي حقيقي.انتهىٰ المراد

وقال العلامة ابن باز رحمه الله في "شرح كتاب التوحيد" (ص٢٠٤): وليس المراد أن يقولها بقصد الإخبار؛ لأنه لا بأس أن يخبر بهذا علىٰ أنه سبب، بل أن يقول ذلك غافلًا ناسيًا ا لمنعم الحقيقي.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: وفيه اجتماع الضدين في القلب[1]، وتسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.[2]

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ علىٰ ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضِّدَّين[3] في القلب.

---

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (٢/ ٣١٧): وهذا من قوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣]، فجمع بين المعرفة والإنكار، وهذا كما يجتمع في الشخص الواحد خصلة إيمان، وخصلة كفر، وخصلة فسوق، وخصلة عدالة.اهـ

قلتُ: ومراده: أنهم يعرفون أن هذه النعمة من الله، ثم ينسبونها إلىٰ غيره، والتعبير بقوله رحمه الله (اجتماع الضدين) غير صحيح؛ لأنَّ الضدين لا يجتمعان مع اتحاد الجهة.

(٢) انظر المسألة رقم (٣، ٤) من "كتاب التوحيد".

(٣) تقدم التنبيه علىٰ ذلك.

٤١- باب قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿**فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٢].

ش/ النِّد: المثل والنظير، وجَعْلُ الند لله: هو صرف أنواع العبادة، أو شيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم، وهذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢].

قال العماد ابن كثير في "تفسيره": قال أبو العالية: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا﴾، أي: عُدَلاء شركاء.[١] وهكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد.[٢] وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[٣]: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: لا تشركوا بالله شيئًا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه [لا رب لكم يرزقكم غيره][٤]، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق لا شك فيه.

---

(١) أخرجه ابنُ أبي حاتم (١/ ٦٢)، وفي سنده: أبو جعفر الرازي، وفيه ضعفٌ.

(٢) ذكرها ابنُ أبي حاتم في "تفسيره" بدون إسانيد (١/ ٦٢)، وأسند ابنُ جرير (١/ ٣٩١) أثرَ قتادة بسند صحيح، وأثر السدي سنده ضعيف، وكذلك أثر أبي مالك وهو الغفاري أخرجه ابن جرير (١/ ٣٩١)، وهي من طريق: أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ، وهذه طريق مشهورة قد ضعفها العلماء كالإمام أحمد، وابن كثير، وابن جرير كما تقدم.

(٣) **ضعيف**. أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٦٢)، وابن جرير (١/ ٣٩٣)، وفيه شيخ ابن إسحاق: محمد بن أبي محمد مجهول.

(٤) في المخطوطتين: (رب لكم لا يرزقكم غيره)، والمثبت من "التفسير".

وكذا قال قتادة[(١)]، وعن قتادة ومجاهد[(٢)]: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا﴾ قال: أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله. وقال ابن زيد:[(٣)] الأنداد الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له. وعن ابن عباس:[(٤)] ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا﴾، قال: أشباهًا. وقال مجاهد:[(٥)] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

وذكر حديثًا في معنى هذه الآية الكريمة، وهو [ما][(٦)] في "مسند الإمام أحمد" عن الحارث الأشعري أنَّ نبي الله ﷺ قال: «**إنَّ الله أمر يحيىٰ بن زكريا** عليه السلام **بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وأنه كاد يبطيء بها فقال له عيسىٰ** عليه السلام: **وإنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي، إني أخشىٰ إن سبقتني أن أُعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيىٰ بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتىٰ امتلأ المسجد، فقعد علىٰ الشرف، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: [وأولاهن][(٧)] أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا؛ فإنَّ مثل ذلك كمثل رجل اشترىٰ عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلىٰ غير سيده،**

---

(١) صحيح. أخرجه ابن جرير (١/ ٣٩٣)، بإسناد صحيح.

(٢) ضعيف. هذا الأثر الصواب أنه عن السدي، وليس عنهما، أخرجه ابن جرير (١/ ٣٩١) بالسند الملفق.

(٣) صحيح. أخرجه ابنُ جرير (١/ ٣٩١-٣٩٢)، عن يونس بن عبدالأعلىٰ، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد...، فذكره، وهذا إسناد صحيح.

(٤) ضعيف. أخرجه ابنُ جرير (١/ ٣٩٢)، وابنُ أبي حاتم (١/ ٦٢)، وفيه: بشر بن عمارة، ضعيف، وهو من طريق: الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٥) ضعيف. أخرجه ابنُ جرير (١/ ٣٩٣)، وابنُ أبي حاتم (١/ ٦٢)، وفيه رجل مبهم.

(٦) ساقط من [ب].

(٧) ساقط من [أ].

فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم؛ فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا. وآمركم بالصلاة؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة [من][(١)] مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وآمركم بالصدقة؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يديه إلىٰ عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه بالقليل والكثير حتىٰ فك نفسه. وآمركم بذكر الله تعالىٰ كثيرًا؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، فأتىٰ حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**[وأنا][(٢)] آمركم بخمسٍ اللهُ أمرني بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله؛ فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوىٰ الجاهلية فهو من جثي جهنم**»، قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى؟ فقال: «**وإن صام وصلىٰ، وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم [بما][(٣)] سماهم الله عزوجل: المسلمين المؤمنين عباد الله**»[(٤)].

هذا حديث حسنٌ، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «**وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا**»، وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع،[(٥)] وهي دالة على ذلك

(١) ساقط من [ب].
(٢) ساقط من [أ].
(٣) في المخطوطتين: (بل بما)، والمثبت من "مسند أحمد".
(٤) **صحيح**. أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، والترمذي (٢٨٦٣) (٢٨٦٤)، وغيرهما، وإسناده صحيح، وقد صححه شيخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند" (٢٨٥).
(٥) لو قال: علىٰ وجود الخالق؛ لكان أولىٰ، والصانع يعبرون بها من باب الإخبار، وأما الثابت من أسماء الله فهو (الخالق)، و (البارئ). =

بطريق الأولى، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًّا.

وَسُئل أبو نواس عن ذلك؟ فأنشد [يقول في المعنى][1]:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلىٰ آثار ما صنع المليك
عيون من لُجَينٍ[2] ناظرات[3] بأحداق هي الذهب السبيك
علىٰ قَصَبِ الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك[4]

وقال ابن المعتز:

فيا عجبا كيف يعصىٰ الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحد؟
وفي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه واحد[5]

= قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "شفاء العليل" (ص٢٢٥-٢٢٦) ط/ الكتب العلمية: وأما لفظ الصانع فلم يرد في أسماء الرب سبحانه، ولا يمكن وروده؛ فإنَّ الصانع من صنع شيئًا عدلًا كان أو ظلمًا، سفهًا أو حكمةً، جائزًا أو غير جائز، وما انقسم مسماه إلىٰ مدح وذم لم يجئ اسمه المطلق في الأسماء الحسنىٰ كالفاعل، والعامل، والصانع، والمريد، والمتكلم؛ لانقسام هذه المعاني إلىٰ محمود ومذموم، بخلاف العالم، والقادر، والحي، والسميع، والبصير.اهـ

(١) ساقط من [ب].

(٢) اللُّجين: هي الفضة، جاء مصغرًا لا مكبَّر له، مثل الثُّريا.

(٣) في "تاريخ دمشق": (فاخرات)، واختلفت نسخ "البداية والنهاية" ففيها اللفظان المذكوران، وثالث: (شاخصان)، وهو المذكور في "التفسير"، ووقع في المخطوطتين: (فاترات)، والمثبت أقرب.

(٤) الأبيات ذكرها ابن كثير في تفسير الآية المتقدمة، وهي أيضًا في "البداية والنهاية" (١٤/ ٨٤) ط/ هجر، وهي في "تاريخ دمشق" (١٣/ ٤٦٥)، وأبو نواس هو: الحسن بن هانئ بن عبدالأول، توفي سنة (١٩٥)، وكان شاعرًا ماجنًا، وفاسقًا، قال ابن كثير: فأما الزندقة فبعيدة عنه، ولكن كان فيه مجون، وخلاعة كثيرة. "البداية والنهاية" (١٤/ ٧٤).

(٥) نسبه ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ ابن المعتز في تفسير سورة البقرة [آية:٢١]، ولعله وَهِمَ في ذلك، فقد عزاه بنفسه في "البداية والنهاية" إلىٰ أبي العتاهية وفيات سنة (١٩٥) (١٤/ ٧٧)، ونقل عن أبي نواس أنه قال: والله، لوددت أنها لي بجميع شيء قلته. وهذا يبين خطأ من عزا هذه الأبيات إلىٰ أبي نواس، كابن خلكان في "وفيات الأعيان" (٧/ ١٣٨)، والأبيات مذكورة في "ديوان أبي العتاهية" (ص١١٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشِّركُ، أخفىٰ من دَبيبِ النملِ علىٰ صَفاةٍ سوداء في ظُلْمةِ الليل، وهو أن تقول: واللهِ وحياتِك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا، لأتَانا اللصوص، ولولا البطُّ في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا؛ هذا كلُّه به شركٌ. رواه ابن أبي حاتم.[1]

ش/ بيَّن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ هذا كله من الشرك، وهو الواقع اليوم على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك، فتنبه لهذه الأمور؛ فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه؛ لكونه أكبر من الكبائر، وهذا من ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فقد كَفَرَ أو أشْرَكَ**». رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.[2]

---

(١) أخرجه ابنُ أبي حاتم (٢٢٩)، وفي سنده: شبيب بن بشر، قال أبو حاتم: لين الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث. وذكره ابن الجوزي في "الضعفاء"، وقال ابن حبان: يخطئ كثيرًا. ووثقه ابن معين؛ فهو ضعيفٌ، وكلمة البخاري فيه شديدة، ولعله كان يتزين لابن معين، والشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ حسَّن هذا الأثر في تعليقه علىٰ "تفسير ابن كثير"، ولعله لم يقف علىٰ عبارة البخاري، وعبارة ابن حبان، والأثر ضعفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) **صحيح لغيره**. أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١/ ١٨، ٥٢) (٤/ ٢٩٧)، وأخرجه أيضًا أبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٤٩٠٤) (٥٢٢٢) (٥٢٥٦) (٥٣٧٥) (٥٥٩٣) (٦٠٧٢) (٦٠٧٣)، والطحاوي في "المشكِل" (٨٢٥) (٨٢٦)، وابن حبان (٤٣٥٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٩)، من طريق: سعد بن عَبيدَة، عن ابن عمر، ولم يسمعه منه، إنما سمعه بواسطة رجل كندي يقال له: محمد الكندي، كما في بعض الطرق، وهو مجهول، والحديث إنما هو عن ابن عمر، وليس عن عمر، لكن له سند صحيح عند أحمد (٥٣٤٦) بلفظ: من حلف بغير الله...، فقال فيه قولًا شديدًا.

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: ويحمل قوله (قال فيه قولًا شديدًا) علىٰ أنه مفسَّر بهذه الرواية.

ويشهد له حديث قتيلة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وسيأتي تخريجه في الباب رقم (٤٣)؛ فالحديث صحيح بشواهده.

ش/ قوله: «**فقد كفر أو أشرك**».

يحتمل أن يكون شكًّا من الراوي، ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو؛ فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر، وورد مثل هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ.[1]

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقال ابن مسعود: لَأَنْ أَحْلِفَ بِالله كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِه صَادِقًا.[2]

ش/ ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغرًا، كما تقدم بيان ذلك، فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير الله، والاستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزال حوائجه به، كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها، من تعظيم القبور واتخاذها أوثانًا، والبناء عليها واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بُنيت باسمه، وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال، وقد عظمت البلوى

---

(١) لم أجده.

(٢) **ضعيف**. أخرجه عبدالرزاق (٨/ ٤٦٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٤١٦) والطبراني (٨٩٠٢)، من طريق: وبرة بن عبدالرحمن، عن عبد الله به، وليس له سماع منه، وذلك لأنَّ بين وفاتيهما فترة كبيرة، فابن مسعود تُوُفِّيَ عام (٣٢)، ووبرة تُوُفِّيَ عام (١١٦).

❁ وجاءت زيادة عند أبي نعيم في "التاريخ" (٢/ ١٨١)، و"الحلية" (٧/ ٢٦٧)، عن وبرة بن عبدالرحمن، عن همام، عن ابن مسعود، وفي السند متروك، وهو: محمد بن معاوية بن أعين النيسابوري، بل قد كذبه ابنُ معين.

تنبيه: لم ينسب عبد الله إلا في رواية أبي نعيم، ووقع الشك في رواية عبد الرزاق، فقال الراوي: لا أدري ابن مسعود، أو ابن عمر. وأورد الطبراني هذا الأثر في مسند ابن مسعود؛ فإن كان الذي في الإسناد هو ابن مسعود؛ فهو منقطع؛ لما تقدم، وإن كان هو ابن عمر؛ فالإسناد صحيح، ووبرة معروف بالرواية عن ابن عمر.

[بهذا][(١)] الشرك الأكبر الذي لا يغفره اللهُ وتركوا ما دل عليه القرآن [العظيم][(٢)] من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٣٧]، كفرهم تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه في دار الدنيا، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ [الجن:٢٠-٢١]، وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر فخالفوا ما بلغ به الأمة، وأخبر به عن نفسه ﷺ، فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله، والتعلق على غير الله حتى قال قائلهم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم[(٣)]

فانظر إلى هذا الجهل العظيم، حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه [ولياذه][(٤)] بغير الله، وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه ﷺ بقوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**»[(٥)] رواه مالك وغيره، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٥٠].

فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة، والمحادة لله ورسوله، وهذا الذي

---

(١) ساقط من [ب].
(٢) ساقط من [أ].
(٣) هذه الأبيات من "قصيدة البردة" للبوصيري الصوفي،وقد تقدمت ترجمته في آخر الباب (١٣).
(٤) ساقط من [أ].
(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، خصوصًا ممن يدعي العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك، وتعظيمها من القربات؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا تَقولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلاَنٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ الله، ثُمّ شَاءَ فُلاَنٌ**» رواه أبو داود بسند صحيح.[1]

ش/ وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه؛ لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا، وتسوية المخلوق بالخالق شرك إن كان في الأصغر -مثل هذا- فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٩٧-٩٨]، بخلاف المعطوف بـ(ثم)؛ فإنَّ المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة، فلا محذور؛ لكونه صار تابعًا.

---

(١) **صحيح لغيره**. أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، وأخرجه أيضًا النسائي في "الكبرىٰ" (١٠٨٢١)، وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، وابن أبي شيبة (٩/ ١١٧)، (١٠/ ٣٤٦)، والطيالسي (٤٣٠)، والطحاوي في "المشكِل" (٢٣٦)، والبيهقي (٣/ ٢١٦)، وهو من طريق: منصور، عن عبدالله بن يسار، عن حذيفة، ولم يذكروا لـعبدالله بن يسار سماعًا من حذيفة، وأيضًا لم نجد من نفىٰ السماع جزمًا، إنما قال ابن معين -وقد سئل عن لُقيِّه لحذيفة-: لا أعلمه.

فالذي يظهر أنَّ الحديث صحيح، ولا سيما وله شاهدٌ من حديث قُتيلة، والطفيل، سيأتيان قريبًا في الباب (٤٣)، وتقدم له شاهد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في باب (الخوف من الشرك)، وفي حديث ابن عباس زيادة: «**أجعلتني لله ندًّا**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "الداء والدواء" (ص٢٠٧) ط/ دار ابن الجوزي: هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، فكيف من يقول: أنا متوكل علىٰ الله وعليك، وأنا فىٰ حسب الله وحسبك، ومالىٰ إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي فىٰ السماء وأنت لي فىٰ الأرض. ويقول: والله، وحياة فلان. أو يقول: نذرًا لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان. أو: أرجوا الله وفلانًا، ونحو ذلك، فَوازِنْ بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت. ثم انظر أيهما أفحش؛ يتبين لك أن قائلها أولىٰ لجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله ندًّا لله بها فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله في شيء من الأشياء، بل لعله أن يكون من أعدائه ندًّا لرب العالمين.اهـ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وجاء عن إبراهيم النَّخعي: أَنَّهُ يَكرَه أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَان، وَلَا تَقُولُوا: وَلَوْلَا اللهُ وَفُلَان.(١)

ش/ قد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك، [وهذا](٢) إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك.

وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال في حقهم شيء من ذلك؛ فلا يجوز التعلق عليه بشيءٍ ما بوجه من الوجوه.

والقرآن يبين ذلك، وينادي بأنه يجعلهم آلهة إذا سئلوا شيئًا من ذلك، أو رغب إليهم أحد بقوله، أو عمله الباطن أو الظاهر، فمن تدبر القرآن، ورزق فهمه؛ صار على بصيرة من دينه، وبالله التوفيق.

[والعلم](٣) لا يُؤخذ قَسرًا، وإنما يؤخذ بأسباب ذكر بعضها في قوله:

أخـي لـن تنال الـعلـم إلا بستـة ... سأنبيك عـن تفصيلها ببيـان

---

(١) رواه ابنُ أبي الدنيا في كتابه "الصمت" (٣٤٤)، وفيه: إسماعيل بن إبراهيم، أبو يحيىٰ التيمي، ضعيفٌ، ورواه معمر في "جامعه" كما في "مصنف عبدالرزاق" (١١/ ٢٧) عن مغيرة عنه، والمغيرة مدلس، ولكنه أكثر عن إبراهيم؛ فالظاهر هو صحة الأثر بالروايتين.

ويتبين من الأدلة المتقدمة أن قول (ما شاء الله وشاء فلان) يعتبر شركًا لفظيًّا، وكذلك (لولا الله وفلان)، والحَلِف بغير الله؛ فهذه كلها من الشرك الأصغر، إلا إذا اعتقد أنَّ مشيئة هذا الإنسان كمشيئة الله، أو يعظمه كتعظيم الله؛ فهذا شركٌ أكبر.

(٢) في [ب]: وذلك.

(٣) في [أ]: والقرآن.

ذكـــاء وحرص واجتهـــاد وبُلْغــة[(١)] وإرشاد[(٢)] أستـاذ وطــول زمـان[(٣)]

وأعظم من هذه الستة[(٤)]: من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله؛ فهو الموفق لمن شاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]، ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث قال:

والجهـــل داء قاتـــل وشـــفاؤه أمـــران في التركيـــب متفقـــان
نــص مــن القــرآن أو مــن ســنة وطبيـــب ذاك العـــالم الربـــاني
والعلــم أقســام ثــلاث مــا لهــا مــــن رابـــع والحـــق ذو تبيـــان
علــم بأوصــاف الإلــه وفعلــه وكـــذلك الأســـماء للــــرحمن
والأمــر والنهــي الــذي هــو دينــه وجـــزاؤه يـــوم المعـــاد الثـــاني
والكــل في القــرآن والســنن التــي جـــاءت عـــن المبعـــوث بـــالقرآن
والله مـــا قـــال امـــرؤ متحـــذلق بســـواهما إلا مـــن الهـــذيان[(٥)]

(١) البُلْغَة: هي ما يتبلغ به من العيش ولا فضل فيه.

(٢) في «الديوان»: وصحبة.

(٣) انظر: «الديوان» (ص٣٧٨) ط/ دار الفكر.

(٤) زاد بعضهم بيتًا:

وزدها فراغ القلب من كل شاغـل كـــذاك بتقوىٰ الله هــن ثمـــان

(٥) انظر: «الكافية الشافية» (ص٢٥٨) دار ابن الجوزي.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا؛ فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين (الواو) و(ثُمَّ) في اللفظ.

٤٢- باب مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحلِفِ بِاللّٰه

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِالله.[(١)]

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ؛ [مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُق]**[(٢)]**، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ؛ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ من اللهِ**». رواه ابن ماجه بسند حسن.[(٣)]

---

(١) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في "القول المفيد" (٢/ ٣٣٤): مناسبة هذا الباب لـ"كتاب التوحيد" أنَّ الاقتناع بالحلف بالله من تعظيم الله؛ لأن الحالف أكَّد ما حلف عليه بالتعظيم باليمين، وهو تعظيم المحلوف به، فيكون من تعظيم المحلوف به أن تصدق ذلك الحالف، وعلىٰ هذا يكون عدم الاقتناع بالحلف بالله فيه شيء من نقص تعظيم الله، وهذا ينافي كمال التوحيد.

قال: والاقتناع بالحلف بالله لا يخلو من أمرين، **الأول:** أن يكون ذلك من الناحية الشرعية؛ فإنه يجب الرضا بالحلف فيما إذا توجهت اليمين علىٰ المدعىٰ عليه فحلف، فيجب الرضا بهذا الحكم الشرعي. **الثاني:** أن يكون ذلك من الناحية الحسية؛ فإن كان الحالف موضع صدق وثقة؛ فإنك ترضىٰ بيمينه، وإن كان غير ذلك فلك أن ترفض الرضا بيمينه؛ ولهذا لما قال النبي ﷺ لحويصة ومحيصة: «**تبرئكم يهود بخمسين يمينًا**»، قالوا: كيف نرضىٰ يا رسول الله بأيمان اليهود؟ فأقرهم النبي ﷺ علىٰ ذلك.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في هذه الحال: لا تخلو من أحوال خمسة:

١) أن يعلم كذبه، فلا أحد يقول: إنه يلزمه تصديقه.
٢) أن يترجح كذبه، فكذلك لا يلزمه تصديقه.
٣) أن يتساوىٰ الأمران، فهذا يجب تصديقه.
٤) أن يترجح صدقه، فيجب أن يُصَدَّق.
٥) أن يعلم صدقه، فيجب أن يصدَّق.اهـ (٢/ ٣٣٧).

(٢) في الأصل (من حُلِف له بالله فليصدق)، والمثبت من المخطوطات، ومن "سنن ابن ماجه".

(٣) **ضعيف**. أخرجه ابنُ ماجه (٢١٠١)، من طريق: محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، ومحمد ابن عجلان مضطرب الرواية في نافع، كما ذكر ذلك العُقَيلي، ويحيىٰ القطان، وغيرهما، فهذا هو سبب الضعف للحديث، ويُخشىٰ أن يكون وهم في لفظ الحديث؛ فإنَّ الثقات في "الصحيحين"=

ش/ قوله: «**لا تحلفوا بآبائكم**».

تقدم النهي عن الحلف بغير الله عمومًا.

قوله: «**من حلف [بالله]**(١)**؛ فليصدق**».

هذا مما أوجبه الله على عباده، وحضهم عليه في كتابه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وقال: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[محمد:٢١]، وهو حال أهل البر، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقوله: «**من حُلِفَ له بالله؛ فليرض، ومن لم يرض؛ فليس من الله**».

أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه، فلا ريب أنه يجب عليه الرضى، وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك؛ فهذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا، أو متبرئًا من تهمة، ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه(٢)، كما في الأثر عن عمر رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا.(٣)

= وغيرهما يروونه عن نافع، عن ابن عمر: «**من كان حالفًا؛ فليحلف بالله، أو ليصمت**»، وهؤلاء الثقات كمالك، والليث بن سعد، وغيرهما.

(١) ساقط من [أ].

(٢) وتقدم التفصيل في وجوب ذلك وعدمه في كلام العثيمين رحمه الله.

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" في تفسير [آية:١٢] من سورة الحجرات، ولم يذكر له سندًا، =

وفيه: من التواضع، والألفة، والمحبة، وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم، وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله، ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في [ميزان العبد](١) كما في الحديث،(٢) وهو من مكارم الأخلاق.

فتأمل أيها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى من القيام بحقوقه وحقوق عباده،

= والسيوطي عزاه لأحمد في "الزهد"، ولم نجده في المطبوع منه.

❁ ثم وجدته عند ابن أبي الدنيا في "مداراة الناس" (٤٥) قال: حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا محمد ابن يزيد الواسطي، حدثنا نافع بن عمر الجمحي، عن سليمان بن عبدة المديني، قال: قال عمر ﷺ فذكره.

❁ وأخرجه المحاملي في "الأمالي" (٤٦٠) ومن طريقه ابن طاهر كما في "تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي (١/ ٢٨١) من طريق زياد بن أيوب به.

ورجال الإسناد كلهم ثقات؛ إلا سليمان المذكور؛ فيظهر أنه مجهول؛ فإني لم أجد له ترجمة.

ثم وجدت له طريقًا أحسن من هذه؛ فقد أخرجه الخطيب في "المتفق والمفترق" (٢/ ٥٠-) فقال: أخبرنا أبو القاسم عبدالعزيز بن محمد بن نصر الستوري، قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن بكر القصير، قال: حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا إبراهيم بن موسىٰ المكي، وكان ثقة، عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب، قال: وضع عمر ابن الخطاب ﷺ للناس ثمان عشرة كلمة، حَكَمٌ كلُها.. فذكر منها شاهدنا منه. وهذا الإسناد رجاله كلهم محتج بهم، ومن دون هشام بن عمار مترجم في "تاريخ بغداد"، وسعيد بن المسيب قد سمع من عمر في الجملة؛ فهذا الإسناد أقل أحواله أنه يقوي الطريق السابقة، ويرفع الأثر إلىٰ درجة الحسن، والله أعلم.

(١) في [ب]: ميزان الحسنات.

(٢) **صحيح**. أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وغيرهما من طرق عن عطاء بن نافع الكيخاراني، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء به، وهذا إسناد صحيح، وعطاء قد وثقه ابن معين، والنسائي، والحديث صححه شيخنا ﷺ في "الصحيح المسند" (١٠٣٧)، لكن حُسن الخُلق ليس أثقل من كلمة التوحيد كما في حديث البطاقة المتقدم في الباب رقم (٢)؛ فيكون حديث البطاقة مخصِّصًا لهذا الحديث؛ فيكون التوحيد أثقل، هذا جواب من الأجوبة، أو يقال: إن الإنسان لا يكون حسن الأخلاق وهو مشرك بالله؛ فالتوحيد هو رأس الخلق الحسن.

وإدخال السرور على المسلمين، وترك الانقباض عنهم، والترفع عليهم؛ فإنَّ فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال، ولا يدور بالخيال، وبسط هذه الأمور وذكر ما [ورد][(١)] فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها، فمن رزق ذلك، والعمل بما ينبغي العمل به منه وترك ما يجب تركه من ذلك؛ دلَّ على وفور دينه، وكمال عقله، والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين، والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضىٰ.

الثالثة: وعيد من لَم يرض.

(١) ساقط من [أ].

٤٣- باب قَوْل: مَا شَاء اللهُ وشِئْتَ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب قَوْل: مَا شَاء اللهُ وشِئْتَ.

عن قُتَيلة: أَنّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إنّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَأن يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمّ شِئْتَ. رواه النسائي وصححه.[(١)]

ش/ قوله: عن قتيلة.

بمثناة مصغرة، بنت صيفي الأنصارية، صحابية مهاجرة، لها حديث في "سنن النسائي"، وهو المذكور في الباب، ورواه عنها عبد الله بن يسار الجعفي.

وفيه: قبول الحق مما جاء به كائنًا من كان.

وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله التي حجُّها وقصدُها بالحج والعمرة فريضة، وهذا يبين أنَّ النهي عن الشرك بالله عامٌّ لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه، وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله، ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع، وإنما شرع الله لعباده الطواف بها، والعبادة عندها، وجعلها للأمة قبلة،

(١) **صحيح.** أخرجه النسائي (٧/ ٦)، وكذلك أحمد (٦/ ٣٧١-)، والطبراني (٢٥/ ١٤)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وغيرهم، من طريق: معبد بن خالد، عن عبدالله بن يسار، عن قتيلة. وقد وجد اختلاف في الحديث: فمعبد بن خالد رواه عن عبدالله بن يسار، عن قتيلة، ومنصور بن المعتمر رواه عن عبدالله بن يسار، عن حذيفة مختصرًا، كما تقدم في الباب (٤١)، والبخاري كما في "العلل الكبير" للترمذي (١/ ٢٥٤) أشار إلىٰ ترجيح حديث حذيفة؛ لأن منصورَ بنَ المعتمر أقوىٰ من معبد بن خالد. والذي يظهر –والله أعلم– أنهما حديثان عن صحابيين؛ لأنَّ سياق حديث قتيلة أطول من حديث حذيفة، وفيه مغايرة يسيرة له، وحديث قتيلة إسناده صحيح.

فالطواف بها مشروع، والحلف بها ودعاؤها ممنوع، فميز أيها المكلف بين ما يشرع وما يمنع، وإن خالفك من خالفك من جهلة الناس، الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلًا.

قوله: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت.[(١)]

والعبد وإن كانت له مشيئة؛ فمشيئته تابعة لمشيئة الله، ولا قدرة له على أن يشأ شيئًا إلا إذا كان الله قد شاءه، كما قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٨-٢٩]، وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٢٩-٣٠].

وفي هذه الآيات والأحاديث: الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر، الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله تعالى من العبد وشاءه، وسيأتي ما يبطل قولهم في باب ما جاء في منكري القدر -إن شاء الله- وأنهم مجوس هذه الأمة.

وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى في كل شيء مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه من أفعال العباد وأقوالهم، فالكل بمشيئته وإرادته، فما وافق ما شرعه؛ رضيه وأحبه، وما خالفه؛ كرهه من العبد، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ

---

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (٢/ ٣٤٠): فيه إشكال، وهو أن يقال: كيف لم ينبه علىٰ هذا العمل إلا هذا اليهودي؟! وجوابه: أنه يمكن أن الرسول ﷺ لم يسمعه ولم يعلم به. ولكن يقال: بأنَّ الله يعلم، فكيف يقرهم؟ فيبقىٰ الإشكال، لكن يُجاب عليه بأنَّ هذا من الشرك الأصغر دون الأكبر، فتكون الحكمة هي ابتلاء هؤلاء اليهود الذين انتقدوا المسلمين بهذه اللفظة مع أنهم يشركون شركًا أكبر، ولا يرون عيبهم.انتهىٰ

قال أبو عبدالله غفر الله له: أما في مسألة الحلف بالكعبة فقول العثيمين رحمه الله فيه قريب، ويحتمل أنَّ ذلك كان قبل النهي عنه. وأما بالنسبة للتشريك بالمشيئة، ففي حديث الطفيل الآتي قريبًا ما يدل علىٰ أنَّ النبي ﷺ كان يعلم بذلك، وكان يكرهه، ولكن يمنعه الحياء من النهي عنه، وهذا يدل علىٰ أنه لم يكن قد أوحي إليه بالنهي عنه؛ إذ لو أوحي إليه بذلك لنهىٰ عنه، وما منعه منه مانع.

وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شركٌ؛ فإنَّ النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله: إنكم تشركون.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وله أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أَجَعَلْتَنِي لِله نِدًّا؟! قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».[1]

ش/ هذا يقرر ما تقدم من أنَّ هذا شرك؛ لوجود التسوية في العطف بالواو.

وقولهُ: «**أجعلتني لله نِدًّا**».

فيه: بيان أن من سوى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أبى، خلافًا لما يقوله الجاهلون بها يختص بالله تعالى من عبادته وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: ولابن ماجه: عن الطُّفيل -أخي عائشة لأمها- قال: رأيتُ كأني أتيت علىٰ نفرٍ من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عُزير ابنُ الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

ثم مررت بنفرٍ من النصارىٰ، فقلت: إنكم لأنتم القومُ، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ، أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ، فأخبرته، قال: «**هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا**

---

(١) **صحيح بشواهده.** أخرجه النسائي في "الكبرىٰ" (١٠٨٢٥)، وكذلك ابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد (١٨٣٩) (١٩٦٤) (٢٥٦١) (٣٢٤٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٦)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٣٤٥)، والطحاوي في "المشكل" (٢٣٥)، والطبراني (١٣٠٠٦)، والبيهقي (٣/ ٢١٧)، من طُرُقٍ عن الأجلح بن عبدالله عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف الأجلح، والحديث صحيح بشواهده المتقدمة عن حذيفة، وقتيلة، وشاهده الذي بعده عن الطفيل بن سخبرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

أَحَدًا؟» قلت: نعم، قال: فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَىٰ رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[(١)].

ش/ قوله: عن الطفيل أخي عائشة لأمها.

هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخو عائشة لأمها، صحابي له حديث [عند ابن ماجه][(٢)]، وهو ما ذكره المصنف في الباب.

وهذه الرؤيا حقٌّ، أقرها رسول الله ﷺ، وعمل بمقتضاها، فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده.

وهذا الحديث والذي قبله أمرهم فيه أن يقولوا: ما شاء الله وحده، ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

---

(١) **صحيح**. أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وكذلك أحمد (٥/ ٧٢)، والدارمي (٢٦٩٩)، والطبراني (٨٢١٤) (٨٢١٥)، والحاكم (٣/ ٤٦٢-٤٦٣)، والبخاري معلقًا في "تاريخه" (٤/ ٣٦٣-٣٦٤)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٧٤٣)، من طرق عن عبدالملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن الطفيل بن سخبرة به، وإسناده صحيح.

❁ وقد رُوي الحديث من طريق عبدالملك بن عمير، عن ربعي، عن جابر بن سمرة كما في "صحيح ابن حبان" (٥٧٢٥)، والطحاوي في "المشكل" (٢٣٧).

❁ ورُوي أيضًا من طريق عبدالملك، عن ربعي، عن حذيفة، كما في "الكبرىٰ" للنسائي برقم (١٠٨٢٠)، وأحمد (٥/ ٣٩٣)، وغيرهما، وكلاهما وَهَمٌ، والصواب أنه من حديث الطفيل بن سخبرة، وقد رجَّح ذلك البخاري في "تاريخه" (٤/ ٣٦٤)، وكذلك البزار في "مسنده" (٧/ ٢٥٣).

(٢) ساقط من [أ].

وقولهُ: «كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها».

ورد في بعض الطرق: أنه كان يمنعه الحياء منهم[(١)]، وبعد هذا الحديث الذي حدثه به الطفيل عن رؤياه خطبهم ﷺ فنهى عن ذلك نهيًا بليغًا، فما زال ﷺ يبلغهم حتى أكمل الله له الدين، وأتم له به النعمة، وبلغ البلاغ المبين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفيه: معنى قوله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»[(٢)].

قلت: وإن كان رؤيا منام؛ فهي وحي[(٣)] يثبت بها ما يثبت بالوحي أمرًا ونهيًا، والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوىٰ.

الثالثة: قوله ﷺ: «**أجعلتني لله نِدًّا؟**»، فكيف بمن قال: (ما لي من ألوذ به سواك)، والبيتين بعده.

الرابعة: أنَّ هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: «يمنعني كذا، وكذا».

الخامسة: أنَّ الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

---

(١) هذا يدل علىٰ أنَّ النبي ﷺ لم يكن قد أُوحِي إليه بالنهي عنه، وأنه كان يكره ذلك ويمنعه الحياء أن يمنع الناس عن شيء اعتادوه، ولو كان قد أوحي إليه بالمنع لما منعه من ذلك مانع ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٧) (٦٩٨٨)، ومسلم (٢٢٦٣) (٢٢٦٤)، من حديث أبي هريرة، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما، وانفرد به البخاري (٦٩٨٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) إنما تكون وحيًا إن كانت رؤيا من النبي ﷺ، وأما إن كانت رؤيا من غيره فلا حجة فيها إلا إن أقرَّ ذلك النبي ﷺ كما في هذه القصة، وكما في قصة رؤيا الأذان لعبدالله بن زيد بن عبدربه رضي الله عنه.

٤٤- بَاب مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللّه

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَىٰ الله.

وقول الله تعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[الجاثية:٢٤].

في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**قال اللّهُ تعالىٰ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدّهْرُ، بيدي الأمر أُقَلِّبُ اللّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

وفي رواية: «**لاَ تَسُبّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**».

ش/ قال العماد ابن كثير في "تفسيره": يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون[(١)] منهم، وهم ينكرون البدأة والرجعة، وتقوله الفلاسفة الدهرية [الدورية][(٢)] المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول، وكذبوا المنقول؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، أي: يتوهمون ويتخيلون.

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا "الصحيح"، وأبو داود، والنسائي من رواية سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل**

(١) سُمُّوا بذلك؛ لأنهم يخوضون فيما يتعلق بالإله، ونفي الوحدانية تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

(٢) إضافة من "التفسير".

والنهار»[(١)]، وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»[(٢)]، وفي رواية: «**لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتها**»[(٣)].

قال في "شرح السنة": حديث متفق على صحته، أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر، أي: سبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر. فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله عزوجل؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصنعونها، فنهوا عن سب الدهر. انتهى باختصار.[(٤)]

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًّا بهذا الطريق، قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، [وهو الذي يهلكنا][(٥)] ويميتنا ويحيينا. فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، ويسبون الدهر، فقال الله عز و جل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار.[(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم برقم (٢٢٤٦)، وأبو داود برقم (٤٢٧٤)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٤٨٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٤٦) (٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٤٦) (٣)، وأحمد (٢/ ٣١٨).

(٤) انظر: "شرح السنة" (١٢/ ٣٥٧).

(٥) ساقط من [أ].

(٦) أخرجه ابنُ جرير في تفسير [آية:٢٤] من سورة الجاثية، وكذلك ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" من طريق: سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة به، وإسناده ظاهره الصحة.

❁ ولكن أخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٣) من نفس الوجه الذي أخرجه ابنُ جرير، وابن أبي حاتم من طريق: ابن عيينة، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، فجعل الزيادة من كلام ابن عيينة: (كان أهل الجاهلية يقولون...)، فقال الله عزوجل: «**يؤذيني ابن آدم...**»، ثم قرأ الآية، =

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور، عن سريج بن النعمان، عن ابن عيينة مثله، ثم روى [عن][١] يونس، عن ابن وهب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقول الله: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار**»، وأخرجه [صاحبا][٢] "الصحيح"، والنسائي من حديث يونس بن يزيد به.[٣]

وقال محمد بن إسحاق، عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول اللهُ عزَّوجل: استقرضت عبدي فلم يعطني، وسبني عبدي: وادهراه وأنا الدهر**».[٤]

قال الشافعي، وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة -في تفسير قوله: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن**

= فسياق الحاكم يدل علىٰ أن قراءة الآية، وقول (كان أهل الجاهلية يقولون...) أنه من كلام ابن عيينة؛ ولهذا ابن كثير في "تفسيره" استغرب هذا السياق، وقال: غريبٌ جدًّا. فالراجح أنه مدرج.

ونسبة الأفعال إلىٰ الدهر لا تجوز، وهي عقيدة الجاهليين كما في هذا الحديث قولهم: «إنما يهلكنا الليل والنهار»، وهي عقيدةٌ كفرية؛ لأن الله هو الفاعل في الحقيقة، وأما السب له بدون هذا الاعتقاد فيعتبر من كبائر الذنوب، ويعتبر ضعف إيمان بالقدر، وتسخطًا علىٰ الله في أقداره، وأما وصف الأيام والليالي بأنها باردة، أو حارة، أو شديدة؛ فإنه لا يدخل في هذا. والمقصود بقوله تعالىٰ: «**وأنا الدهر**»، تبينه الرواية الأخرىٰ: «**بيدي الأمر، أُقلب الليل والنهار**»؛ فيكون معنىٰ: «**أنا الدهر**»، أي: أنا خالق الدهر، وأتصرف فيه، وأقدر فيه الأمور، فسبها يرجع إلىٰ عدم الإيمان بالأقدار؛ فيكون مرجع السَّب إلىٰ الله تعالىٰ.

(١) إضافة من "التفسير".

(٢) في المخطوطتين: (صاحب)، والمثبت من "التفسير".

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦١٨١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦)، والنسائي في "الكبرىٰ" برقم (١١٤٨٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٠) (٢/ ٥٠٦)، وابن خزيمة (٢٤٧٩)، وأبو يعلىٰ (٦٤٦٦)، والبخاري في "خلق أفعال العباد" (٤٣٥)، والطبري (٢١/ ٩٧-٩٨)، من طريق: محمد بن إسحاق به، وهذا إسناد ضعيف؛ لعنعنة ابن إسحاق، ولكنه قد توبع، تابعه: إبراهيم بن طهمان كما في "مشيخته" رقم (١٠٥)، كما في "تحقيق المسند" (١٣/ ٣٦٩)، وتابعه: ابن أبي حازم عند ابن أبي عاصم في "السنة" (٥٩٨)، علىٰ الجملة الأخيرة منه، والجملة الأخيرة يشهد لها حديث أبي هريرة ﷺ الذي في الباب.

الله هو الدهر»-: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة، أو بلاء، أو ملامة، قالوا: يا خيبة الدهر. فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكأنهم إنما سبوا الله سبحانه؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة؛ فلهذا نُهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار(١)؛ لأن الله هو الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال، هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد، والله أعلم.

وقد غلط ابن حزم ومن نَحَا نَحْوَه من الظاهرية في عَدِّهِمُ الدهرَ من الأسماء الحسنى؛ أخذًا من هذا الحديث(٢)، وقد تبين معناه في الحديث بقوله: «**أقلب الليل والنهار**»، وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وهي قوله: «**بيدي الأمر**».

قوله: وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**».

معنى هذه الرواية: هو ما صرح به في الحديث من قوله: «**وأنا الدهر أقلب الليل**

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كما في "زاد المعاد" (٢/ ٣٥٤-٣٥٥): وَفِي هَذَا ثَلَاثُ مَفَاسِدَ عَظِيْمَة، **إحداها**: سَبُّه مَنْ ليس بأهلٍ أن يُسَب؛ فإن الدهرَ خَلْقٌ مُسَخَّرٌ مِن خلق الله، منقادٌ لأمره، مذلَّلٌ لتسخيره، فسابُّه أولىٰ بالذمِّ والسبِّ منه. **الثانية**: أن سبَّه متضمِّن للشرك؛ فإنه إنما سبَّه لظنَّه أنه يضرُّ وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضرَّ مَن لا يستحق الضرر، وأعطىٰ مَن لا يستحقُّ العطَاءَ، ورفع مَن لا يستحقُّ الرِّفعة، وحرم مَن لا يستحِقُّ الحِرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعارُ هؤلاء الظلمة الخونة فىٰ سبِّه كثيرةٌ جداً، وكثيرٌ من الجُهَّال يُصرِّح بلعنه وتقبيحِه. **الثالثة**: أن السبَّ منهم إنما يقعُ علىٰ مَن فعل هذه الأفعال التىٰ لو اتَّبَعَ الحقُّ فيها أهواءَهم لفسدتِ السماواتُ والأرض، وإذا وقعت أهواؤُهم، حَمِدُوا الدهرَ، وأَثْنَوْا عليه، وفىٰ حقيقةِ الأمر، فَربُّ الدَّهْرِ تَعَالَىٰ هُوَ الْـمُعْطِي الْـمَانِعُ، الخافِضُ الرَّافعُ، الْـمُعزُّ الْـمُذِلُّ، والدهرُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، فمسبَّتهم للدَّهْرِ مَسَبَّة للَّه عَزَّوجَلَّ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ مؤذيَةً للربِّ تَعَالَىٰ، كَمَا فىٰ "الصحيحين" مِنْ حَدِيْثِ أَبىٰ هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبىِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ تَعالَى: يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأَنَا الدَّهْرُ**»، فَسَابُّ الدَّهْر دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا: إِمَّا سَبُّه لِله، أَوِ الشِّركُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَهُوَ يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ، فَقَدْ سَبَّ اللهَ. انتهىٰ.

(٢) انظر: "تفسير ابن كثير" [آية:٢٤] من سورة الجاثية.

والنهار» يعني: أنَّ ما يجري فيه من خيرٍ وشرٍّ أنه بإرادة الله وتدبيره، بعلمٍ منه تعالى وحكمةٍ لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك [حمده][1] في الحالتين، وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة كما قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨]، [وقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]][2].

ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة كما في أشعار المُوَلَّدين[3] كابن المعتز، والمتنبي وغيرهما، وليس منه وصف السنين بالشدة ونحو ذلك، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾[يوسف:٤٨] الآية.

قال بعض الشعراء:

إن الليالي من الزمان مهولةٌ ... تُطْوىٰ وتُنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وقول أبي تمام:

أعوام وصل كاد يُنسىٰ طِيبُهَا ... ذكرَ النَّوىٰ[4] فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أعقبت ... نحوي أسىٰ فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) المولَّد: هو الجديد، سُمِّي بذلك الشعراء المتأخرون لحدوثهم وقرب زمنهم. "لسان العرب"، "تاج العروس".

(٤) النَّوىٰ: هو البعد عن الوطن. "لسان العرب".

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذًى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: «**فإن الله هو الدهر**».

الرابعة: أنه قد يكون سابًّا، ولو لم يقصده بقلبه.

٤٥- بَاب التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ

ش/ ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة؛ قياسًا على ما في حديث الباب؛ لكونه يشبهه في المعنى، فَيُنْهَى عنه.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: في «الصحيح» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَالِكَ إِلَّا اللهُ**».[(١)]

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وفي رواية: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ**».[(٢)]

قوله: (أَخْنَعَ)، يعني: أَوْضَعَ.

ش/ لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى، فهو ملك الأملاك[(٣)] لا ملك أعظم ولا

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٠٥)، ومسلم برقم (٢١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٤٣).

(٣) ألحق المصنف رَحِمَهُ اللهُ بذلك: (قاضي القضاة)، ومثله: (حَكَمُ الحُكَّام).

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «القول المفيد» (٣/ ٤): إذا أضفنا القضاة وحصرناها بطائفة معينة، أو ببلد معين، أو بزمان معين، أو بفن معين مثل أن يقال: قاضي القضاة في الفقه، أو قاضي قضاة المملكة العربية السعودية، أو قاضي قضاة مصر، أو الشام، أو ما أشبه ذلك، فهذا جائز؛ لأنه قيد، ومعلوم أنَّ قضاء الله لا يتقيد، فحينئذٍ لا يكون فيه مشاركة لله عزوجل علىٰ أنه لا ينبغي أيضًا أن يتسمىٰ الإنسان أويسمىٰ بذلك، وإن كان جائزًا، فقد يأخذه الإعجاب بالنفس، والغرور حتىٰ لا يقبل الحق إذا خالف قوله. انتهىٰ المراد بتصرف يسير.

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في «شرح كتاب التوحيد» (ص٢٢٢): أما إذا قيد (قاضي قضاة مصر، أو مكة) وغير ذلك؛ فهذا أسهل، وتركه أولىٰ، كأن يسمَّىٰ رئيس القضاة، أو أمين القضاة، مما يبتعد به عن هذه الصفات المطلقة. اهـ

أكبر منه، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع ردها إلى المعير، وهو الله تعالى ينزع المَلِك من ملكه تارة، وينزع المُلْكَ منه تارة، فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه، وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له، بيده القسط يخفضه ويرفعه، يحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سبحانه، وما تكتبه الحفظة عليهم؛ فيجازي كلَّ عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كما ورد في الحديث: «**اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله**»[(١)].

قوله: قال سفيان.

يعني ابن عيينة، مثل شاهَان شاه عند العجم عبارة عن ملك الأملاك؛ ولهذا مثَّل به سفيان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

قوله: وفي رواية: «**أغيظ رجل علىٰ اللهِ**».

قوله: «**أغيظ**».

من الغيظ، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغيضًا إلى الله، مغضوبًا عليه، والله أعلم.

قوله: «**وأخبثه**».

وهو يدل أيضًا على أن هذا خبيث عند الله، فاجتمعت في حقه هذه الأمور؛ لتعاظمه في نفسه، وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من أعظم التعظيم، فتعظمه في نفسه

---

(١) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٦) من حديث حذيفة رضي الله عنه، مرفوعًا به في ضمن دعاء طويل، والرواي عن حذيفة رجلٌ مبهمٌ؛ فالحديث ضعيف.

❁ وجاء من حديث أبي سعيد عند البيهقي في "شعب الإيمان" (٤٤٠٠)، وفي إسناده: خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب، وانظر "الضعيفة" (٥١٣٨).

وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل؛ وَضَعَه عند الله يوم القيامة، فصار أخبث الخلق وأبغضهم إلى الله وأحقرهم؛ لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم؛ لتعاظمه على خلق الله بِنِعَمِ الله.

قولهُ: «**أخنع**»، يعني: أوضع.

هذا هو معنى أخنع، فيفيد ما ذكرنا في معنى أغيظ أنه يكون حقيرًا بغيضًا عند الله.

وفيه: التحذير من كل ما فيه تعاظم، كما أخرج أبو داود عن أبي مِجلَز، قال: خرج معاوية رضي الله عنه على ابن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**».(١)

وأخرجه الترمذي أيضًا، وقال: حسن. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ مُتَّكِئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم لبعض**».(٢)

---

(١) **صحيح**. أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، وكذلك الترمذي عَقِب حديث (٢٧٥٥)، وأحمد (٤/ ٩١، ٩٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٩٧٧)، والطبراني في "الكبير" (١٩/ ٨١٩)، والطحاوي في "شرح المشكل" (١١٢٧)، وغيرهم، كلهم من طريق: حبيب بن الشهيد، عن أبي مجلز به، وإسناده صحيح.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، وكذلك أحمد (٢٢١٨١) (٢٢٢٠١)، وابن ماجه (٣٨٣٦)، وغيرهم، وفي سنده: أبو مرزوق، ضعفه ابن حبان في "المجروحين"، ولم يوثقه أحدٌ، وأيضًا في سنده اضطراب، وهو في "الضعيفة" (٣٤٦)، ويغني عنه حديث جابر رضي الله عنه في "مسلم"، قَالَ: اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا، فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «**إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ، يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ؛ فَلَا تَفْعَلُوا، ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ، إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا**»، والقيام يَحْرُم لمن كان يحب التعاظم، والقيام له؛ لحديث معاوية رضي الله عنه، وأيضًا من المحرمات أنْ يبقىٰ قائمًا أمامَ شخصٍ جالسٍ ولا يجلس أمامه؛ لحديث جابر المتقدم، فهاتان الصورتان محرَّمتان، بقي القيام لشخص للسلام عليه، أو لإكرامه مع كونه يكره ذلك، فهذا كرهه =

قولهُ: «أغيظ رجل».

هذا من الصفات التي تمر كما جاءت، وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما تقدم، والباب كله واحد، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة، وهذا التفرق والاختلاف إنما حدث في أواخر القرن الثالث وما بعده كما لا يخفى على من له معرفة بما وقع في الأمة من التفرق، والاختلاف، والخروج عن الصراط المستقيم، والله المستعان.

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأنَّ القلب لَمْ يقصد معناه.

الرابعة: التفطُّن أن هذا لأجل الله سبحانه.

= النبي ﷺ كما في "مسند أحمد" (١٢٣٤٥)، عن أنس رضي الله عنه، قال: ما من شخصٍ كان أحب إليهم من النبي ﷺ، وكانوا لا يقومون له؛ لما يعرفون من كراهيته لذلك. وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

وهناك صورة أخرىٰ، وهي: أن يَقْدُمَ من سفرٍ، فيقوم إليه حتىٰ يعانقه؛ فهذا جائزٌ كما ثبت في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عند الطبراني في "الأوسط" (٩٧)، وعن الحسن البصري عند البيهقي (٧/ ١٠٠): كان أصحاب النبي ﷺ إذا التقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا. وهو في "الصحيحة" (١٦٠)، وإذا كان أحدهما قائمًا والآخر قاعدًا فيحتاج إلىٰ انحناء له حتىٰ يعانقه، وهذا كرهه أهل العلم، والظاهر أنهم يتعانقون وكلاهما قائم، وأما حديث: «**قوموا إلى سيدكم**»، فليس صريحًا في المسألة؛ لأنه كان مريضًا مجروحًا.

٤٦- بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأجْلِ ذلِكَ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأجْلِ ذلِكَ.

عن أبي شُرَيْحٍ، أنه كان يُكْنَىٰ أَبا الحَكَم، فقال له النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ**». فقالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا في شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلا الفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟**» قال: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُالله. قالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قالَ: «**فَأَنْتَ أَبُوشُرَيْحٍ**» رواه أبوداود وغيره.(١)

ش/ قوله: عن أبي شريح.

قال في "خلاصة التهذيب": هو أبو شريح الخزاعي، اسمه خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا، واتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بحديث، وروى عنه أبو سعيد المقبري، ونافع بن جبير، وطائفة.

قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين.

وقال الشارح: اسمه هانيء بن يزيد الكندي، قاله الحافظ. وقيل: الحارث الضبابي، قاله المزي.

قولهُ: يُكنى.

الكنية ما صُدِّر بـأَبٍ، وأُمٍّ، ونحو ذلك، واللقب ما ليس كذلك، كـزين العابدين، ونحوه، وقول النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**»(٢)، فهو سبحانه الحكم في الدنيا

---

(١) حسن. أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، وكذلك النسائي (٨/ ٢٢٦)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٨١١)، من طُرُقٍ عن يزيد بن المقدام بن شريح بن هانئ، عن أبيه المقدام، عن شريح بن هانئ، عن أبيه به، وهذا إسنادٌ حسن، وقد حسَّنه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" (١١٨١).

(٢) الحُكْمُ ينقسم إلىٰ قسمين: حكمٌ كوني، وحكم شرعي، فالحكم الكوني ما قضاه وقدَّره، والحكم=

والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزل على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا ولله فيها حكم مما أنزل على نبيه ﷺ من الكتاب والحكمة، وقد يسر الله معرفة ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة؛ فإنها لا تجتمع على ضلالة؛ فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام، فلابد أن يكون المصيب فيهم واحدًا، فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم، وأعطاه ملكةً يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء؛ يسر له ذلك بفضله [وَمَنِّه عليه، وإحسانه إليه، فما أجلها من عطية، فنسأل الله من فضله].(١)

قولہٗ: «وإليه الحكم».

في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ [الشورى:١٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه، والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، وقد قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن، قال له: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**»، قال: بسنة رسول الله ﷺ. قال: «**فإن لم تجد؟**»، قال: أجتهد رأيي. فقال: «**الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسولَ الله**».(٢)

فمعاذ من أَجَلِّ علماء الصحابة بالأحكام، ومعرفة الحلال [من الحرام](٣)، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة؛ ولهذا ساغ له الاجتهاد إذا لم يجد للقضية حكمًا في كتاب الله ولا في

= الشرعي هي الأوامر الشرعية، والحديث يشمل الأمرين، ومن الأدلة قوله تعالىٰ: ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:٤١]، ومن الثاني قوله تعالىٰ بعد أن ذكر بعض الأوامر الشرعية: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:١٠].

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٢) تقدم تخريجه في الباب رقم (٣٧).

(٣) في [ب]: والحرام.

سنة رسوله ﷺ، بخلاف ما يقع اليوم، وقبله من أهل التفريط في الأحكام ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، فيظن أن الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة، وهيهات، وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، فيحكم بين خلقه بعلمه، وهو الذي لا يخفى عليه خافية من أعمال خلقه: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

والحكم يوم القيامة إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فطرح على سيئات الظالم، لا يزيد على هذا بمثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة.

قولهُ: فإن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «**ما أحسن هذا**».

فالمعنى -والله أعلم- أنَ أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وَتَحَرٍّ للعدل بينهم، ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين؛ صار عندهم مرضيًّا، وهذا هو الصلح؛ لأن مداره على الرضى، لا على إلزام، ولا [على][1] أحكام الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا على الاستناد إلى أوضاع [أهل][2] الجاهلية من أحكام كبرائهم وأسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة كما قد يقع اليوم كثيرًا، كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله، ولا إلى حكم رسوله، وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم، وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده، فيعتمد [على قول من قلده][3]،

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في [ب]: علىٰ تقليده.

ويترك ما هو الصواب الموافق لأصول السنة والكتاب، والله المستعان.

وقول رسول الله ﷺ: «**فما لك من الولد؟**»، قال: شريح، ومسلم، وعبدالله. قال: «**فمن أكبرهم؟**». قلت: شريح. قال: «**فأنت أبو شريح**».[1]

فيه: تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالبًا، وجاء هذا المعنى في غير ما حديث، والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لَمْ يقصد معناه.[2]

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكُنية.

---

(١) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في "القول المفيد" (٣/ ١٨-): أسماء الله تنقسم إلىٰ قسمين، **الأول:** ما لا يصح إلا لله؛ فهذا لا يسمىٰ به غيره، وإن سمي؛ وجب تغييره مثل الله، الرحمن، رب العالمين، وما أشبه ذلك. **الثاني:** ما يصح أ ن يوصف به غير الله، مثل الرحيم، والسميع، والبصير؛ فإن لوحظت الصفة؛ منع من التسمي به، وإن لم تلاحظ الصفة؛ جاز التسمي به علىٰ أنه علم محض.

وقال (٣/ ٢١) في قصة أبي شريح: غيَّره النبي ﷺ لأمرين، **الأول:** أن الحَكَم هو الله، فإذا قيل: (يا أبا الحكم)، كأنه قيل: (يا أبا الله). **الثاني:** أنَّ هذا الاسم الذي جعل كنية لهذا الرجل لوحظ فيه معنىٰ الصفة، وهي الحكم، فصار بذلك مطابقًا لاسم الله، وليس لمجرد العلمية المحضة، بل للعلمية المتضمنة للمعنىٰ، وبهذا يكون مشاركًا لله سبحانه وتعالىٰ.

قال: ولذلك كان في الصحابة من اسمه الحكم، ولم يغيره النبي ﷺ؛ لأنه لم يقصد إلا العلمية، وفي الصحابة من اسمه حكيم، وأقره النبي ﷺ.اهـ

(٢) تقدم التنبيه علىٰ ذلك من كلام العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٧- بَاب مَنْ هَزَلَ بِشَيءٍ فيه ذِكْرُ الله أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: بَاب مَنْ هَزَلَ بِشَيءٍ فيه ذِكْرُ الله أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ.

وقول الله تعالىٰ: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُن إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبالله وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [التوبة:٦٥].

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أَسْلَم، وقتادة، -دخل حديث بعضهم في بعض-:[(١)] أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء، أرْغَبَ بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابه القراء.

فقال له عَوفُ بن مالك: كذبت؛ ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عَوْفُ إلىٰ رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجلُ إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحلَ وركَب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنَّا نخوض ونلعب ونتحدثُ حديثَ الركب نقطع به عنا الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنَسْعة[(٢)] ناقةِ رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تَنْكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿**أَبالله وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾[التوبة:٦٥-٦٦]، ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه.

---

(١) مرسل محمد بن كعب سيأتي بيان حاله قريبًا، ومرسل قتادة صحيح إليه، أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣٠)، وابن جرير (١١/ ٥٤٤)، من طريق: يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به مرسلًا، وهو شاهدٌ لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الذي سيأتي تخريجه حيث ذكره الشارح بلفظه. ومرسل زيد بن أسلم أخرجه ابن جرير (١١/ ٥٤٣)، وفيه: عبدالله بن صالح كاتب الليث، وقد تبينت فيه الواسطة، وهي أنَّ زيد بن أسلم يرويه عن ابن عمر مرفوعًا كما سيأتي.

(٢) النسعة: هو زمام البعير، وقد يجعل عريضًا علىٰ صدره. «النهاية».

ش/ قوله: باب (من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول).

أي: فقد كفر.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُن إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبالله وآياتِهِ وَرَسُولِـهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره": قال أبو معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي وغيره: قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قُرَّآءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا أَلْسُنًا، وأجبننا عند اللقاء. فَرُفِع ذلك إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب،[(١)] فقال: «﴿**أَبالله وآياتِهِ وَرَسُولِـهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾»، وإن رجليه ليسفعان الحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو يتعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ.[(٢)]

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب أَلْسُنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: «﴿**أَبالله وآياتِهِ وَرَسُولِـهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**

---

(١) في المطبوع زيادة: (ونتحدث حديث الركب نقطع به عَنَا الطريق).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١/ ٥٤٥)، وهو مع إرساله شديد الضعف، فيه: عبدالعزيز بن أبان متروك، بل قد كُذِّب، وفيه: أبو معشر المدني ضعيف، ويغني عنه حديث ابن عمر الآتي مع مرسل قتادة المتقدم.

﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾»، (١) وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو هذا.

وقال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم: وديعة بن ثابت أخو بني أمية ابن زيد بن عمرو بن عوف، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يُقال له: مَخْشِي بن حُمَيِّر، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك. فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله، لَكَأَنَّا بكم غَدًا مقرنين في الحبال(٢)؛ إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين. فقال مَخْشِي بن حُمَيِّر: والله، لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا نتفلَّت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم؛ فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا؛ فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا، وكذا**»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذورن إليه، فقال وديعة بن ثابت -ورسول الله ﷺ واقف على راحلته- فجعل يقول وهو آخذ بحقبها(٣): يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. فقال مَخْشِي بن حُمَيِّر: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عناه، أي: بقوله تعالى: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ في هذه الآية: مخشي بن حمير، [فتسمَّى](٤) عبد الرحمن، وسأل اللهَ أن يقتل شهيدًا لا يُعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر.(٥)

---

(١) صحيح. رواه ابنُ جرير (١١/ ٥٤٥)، وابنُ أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩)، من طريق: يونس بن عبدالأعلىٰ، والليث عن ابن وهب به، وهشام بن سعد فيه ضعفٌ، لكنه من أثبت الناس في زيد بن أسلم، وعليه فالإسناد صحيح، وهو في "أسباب النزول" للعلامة الوادعي رحمه الله.

(٢) ذكره ابن هشام في "السيرة" (٢/ ٥٢٤)، ولم يسنده، وهذه الجملة من كلام ابن إسحاق، وأخرجها ابن مردويه عن ابن عباس كما في "الدر المنثور".

(٣) الحَقَب: هو الحبل الذي يشد علىٰ حقو البعير. "النهاية".

(٤) في المخطوطتين: (فسمي)، والمثبت من "التفسير".

(٥) هذه الجملة من كلام ابن إسحاق، أخرجها ابنُ أبي حاتم (٦/ ١٨٣١): ثنا الحسن بن الربيع، ثنا=

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية: كان رجل ممن -إن شاء الله- عفا [الله][(1)] عنه يقول: اللهم إني أسمع آية أنا أُعْنَى بها تقشعر منها الجلود، وَيَجِلُ منها القلب، اللهم فاجعل وفاتي قتلًا في سبيلك، لا يقول أحدٌ أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت. قال: فأصيب يوم اليمامة، فما أحدٌ من المسلمين إلا وقد وُجِدَ غيرُه.[(2)]

وقوله: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به، ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾، أي: لا يعفى عن جميعكم ولابد من عذاب بعضكم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى.[(3)]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أمره الله أن يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وقول من يقول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولًا بقلوبهم، لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يُقال: قد كفرتم بعد إيمانكم؛ فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أُريد: (أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان)، فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين.[(4)]

وقال رحمه الله في موضع آخر: فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: (إنَّا تكلمنا

= عبدالله بن إدريس، قال: قال ابنُ إسحاق: حدثني الزهري، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جده كعب، قال: قال مخشي...، فذكره بدون ذكر وديعة بن ثابت ومقالته. وإسناده حسنٌ، رجاله ثقات إلا ابن إسحاق؛ فإنه حسن الحديث، وقد صرح بالتحديث.

(1) ساقط من [أ].

(2) هذا الرجل هو مخشي بن حمير نفسه، والإسناد ثابت إلىٰ عكرمة، أخرجه ابنُ جرير (١١/ ٥٤٤)، عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُلَيَّة، عن أيوب، عن عكرمة به، وهو مرسل، فما كان منه مذكورًا في حديث كعب فهو حسنٌ به، والله أعلم.

(3) من "تفسير ابن كثير" [آية:٦٥]، من سورة براءة.

(4) انظر: "كتاب الإيمان" (ص٢٥٩) ط/ المكتب الإسلامي، و"مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٢٧٢).

بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب)، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شَرَح صدرَه بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه؛ منعه أن يتكلم بهذا الكلام، والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِالله وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور:٤٧-٥١]، فنفىٰ الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان. انتهى.(١)

وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها، أو عمل يعمل به، وأشدها خطرًا إرادات القلوب؛ فهي كالبحر الذي لا ساحل له، ويفيد الخوف من النفاق الأكبر؛ فإنَّ الله تعالى أثبت لهؤلاء إيمانًا قبل أن يقولوا ما قالوه، كما قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.(٢)

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٢٢٠-٢٢١).

(٢) علَّقه البخاري في "صحيحه" بصيغة الجزم [باب: (٣٦) من كتاب الإيمان]، ووصله ابن أبي خيثمة في "تاريخه" (٦٤٦)، وفي إسناده عندهما: الصلت بن دينار، وهو متروك.، والمروزي في "تعظيم قدر الصلاة" رقم (٦٨٨)، والخَلَّال في "السُنَّة" (١٠٨١)، وعلقه البخاري في "تاريخه" (٥/ ١٣٧)، من طريق: يحيىٰ بن اليمان، عن سفيان، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة به، ولعل البخاري أشار إلىٰ السند الذي فيه يحيىٰ بن اليمان، ولا يتحمل التفرد؛ لأن أخطاءه كثرت، ولعل البخاري تسامح فيه؛ لأنه أثر. =

فيه مسائل:

الأولىٰ: وهي العظيمة: أنَّ من هَزَلَ بهذا أنه كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك، كائنًا من كان.

الثالثة: الفرقُ بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرقُ بين العفو الذي يحبه الله، وبين الغِلْظَة علىٰ أعداء الله.

الخامسة: أنَّ من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل.

= **حكم هذه المسألة، مسألة الاستهزاء:**

الاستهزاء بالله، أو برسوله، أو بالقرآن كفرٌ أكبر بلا خلاف بين العلماء؛ لهذه الآية، وأما الاستهزاء بالعلماء، أو القُرَّاء فقد ذكر العلماء أنه إن استهزأ به بسبب ما يحمله من القرآن، والسنة؛ فهو كفر أكبر، وإن استهزأ به لشخصيته من طوله، أو قصره، أو لونه، لا بسبب ما يحمله من القرآن والسنة؛ فهذا ليس بكفر، ولكنه فسقٌ، وظلمٌ، وضلال، والدليل علىٰ أنه إن استهزأ به لأجل دينه يكفر: الآية السابقة، فهي تشمله، ويدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٠] الآيات، فلم يسخروا منهم إلا لأنهم آمنوا، وأيضًا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٩-١١٠] الآيات، انظر: "الصارم المسلول" (ص٤-٥، ٥٥٠)، "فتاوىٰ اللجنة الدائمة" (٢/ ١٨-٢٥).

٤٨- بَاب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[فصلت:٥٠].

قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به.(١)

وقال ابن عباس: يُرِيْدُ: من عِنْدِي.(٢)

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

قال قتادة: عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ.(٣)

وقال آخرون: عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ.(٤) وهذا معنىٰ قول مجاهد: أُوْتِيْتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ.(٥)

---

(١) أخرجه ابنُ جرير في تفسير الآية المذكورة [٥٠] من سورة فصلت، وهو من طريق: ابن أبي نجيح عن مجاهد، وتقدم أنه سمع منه التفسير بواسطة ثقة، وهو: القاسم بن أبي بزَّة، والبخاري قد علق آثارًا كثيرة عن مجاهد من هذه الطريق: ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) لم نجده.

(٣) أخرجه ابنُ أبي حاتم (٩/ ٣٠١٢)، وابنُ جرير في تفسير [آية:٤٩] من الزُّمر، من طريق: سعيد، عن قتادة بلفظ: علىٰ خير عندي، وعلم عندي. وإسناده صحيح؛ ولعل المصنف ذكره بالمعنىٰ، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابنُ أبي حاتم (٩/ ٣٠١٢) عن السدي، والراوي عن السدي: أسباط بن نصر، وفيه ضعفٌ، والراوي عن أسباط هو عامر بن الفرات، له ترجمة في "الثقات" لابن حبان، وهو مجهول الحال.

(٥) ذكر هذا التفسير ابنُ جرير في تفسير سورة الزمر [آية:٤٩]، من كلام نفسه عقب كلام مجاهد، وليس هو من كلام مجاهد، والخلاصة من هذه الآثار كلها أن الإنسان إذا حصلت له نعمة، سواء =

ش/ ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها ما يكفي في المعنى ويشفي، وليس فيما ذكروه اختلاف، وإنما هي أفراد المعنى.

قال العماد ابن كثير رحمه الله -في معنى قول الله: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر:٤٩]-: يخبر أن الإنسان في حالة الضر يضرع إلى الله عزوجل، وينيب إليه، ويدعوه، ثم إذا خَوَّلَه نعمة منه طغى وبغى، و﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، أي: لما يعلم الله استحقاقي له، ولولا أني عند الله حظيظ لما خولني هذا، قال الله عزوجل: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾، أي: ليس الأمر كما زعم، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة؛ لنختبره فيما أنعمنا عليه: أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾، أي: اختبار، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾؛ فلهذا يقولون ما يقولون، ويدعون ما يدعون: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الزمر:٥٠]، أي: هذه المقالة، وزعم هذا الزعم، وادَّعى هذه الدعوى كثيرٌ ممن سلف من الأمم، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٥٠]، أي: فما صح قولهم، ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون، كما قال تعالى مُخبرًا عن قارون أنه قال له قومه: ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٦-٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[سبأ:٣٥]. اهـ

= كانت دينية، أو دنيوية؛ يجب أن يعلم أنها من فضل الله تعالىٰ، ومن إحسانه، ورحمته، ولا يقول: لأني أستحقها. فهو من كُفر النعمة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ ثَلاَثَةً من بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ به. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا.**

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَوِ البَقَرُ -شَكَّ إِسْحَاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَـذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ به، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، فقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ -أو الإبل- فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ، فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَـذَانِ، وَوَلَّدَ هَـذَا ـ فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابن سبيل، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ اليَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمّ بِكَ، أَسْأَلُكَ -بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ- بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللهُ عزّ وجلّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَـذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ. قد انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ

إِلَيّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئَتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بشَيْء أَخَذْتَهُ لِله. فَقَالَ: أَمْسِكْ عليك مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ».

أخرجاه.[١]

ش/ قوله: أخرجاه.

أي: البخاري ومسلم، [والناقة العُشَرَاء -بضم العين وفتح الشين وبالمد- هي الحامل.

قوله: «أنتج».

وفي رواية: «**فنتج**». معناه: تولى نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة.

قوله: «وَلَّد هذا».

هو بتشديد اللام، أي: تَوَلَّى ولادتها، وهو بمعنى أنتج في الناقة، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان وذلك لغيره.

وقوله: «انقطعت بي الحبال».

هو بالحاء المهملة والباء الموحدة، أي: الأسباب.

وقوله: «لا أجهدك».

معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي. ذكره النووي.][٢]

وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر: فإن الْأَوَّلَيْنِ جَحَدَا نعمةَ الله، فما أَقَرَّا لله بنعمةٍ، ولا نَسَبَا النعمة إلى المنعم بها، ولا أَدَّيَا حقَّ الله فيها بنعمة؛ فَحَلَّ عليهما السخط، وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، وَنَسَبَها إلى من أنعم عليه بها، وَأَدَّى حقَّ الله فيها، فاستحق الرِّضَى من

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٤)، ومسلم برقم (٢٩٦٤).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

الله بقيامه بشكر النعمة؛ لَّما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب.

قال العلامة ابن القيم: أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل، والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلًا بها؛ لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها؛ لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها؛ فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرضَ به وعنه؛ لم يشكرها أيضًا، ومن عرفها وعرف المنعم بها، وأَقَرَّ بها، وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته؛ فهذا هو الشاكر لها، فلابد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم، ومحبته، والخضوع له.[(١)]

قولهُ: «قذرني الناس». بكراهة رؤيته وقربه منهم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الآية.

الثانية: ما معنىٰ: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾[فصلت:٥٠].

الثالثة: ما معنىٰ قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾[القصص:٧٨].

الرابعة:ما في هذه القصة العجيبة من العِبَر العظيمة.

---

(١) انظر كلامه المذكور في "طريق الهجرتين" (ص٩٥)ط. دار الكتب العلمية.

٤٩- بَاب قَوْلُ اللّٰه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: بَاب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: **﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[الأعراف:١٩٠].

ش/ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ -في معنى هذه الآية-: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «**لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**».

وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى، عن عبد الصمد به، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد، ولم يرفعه، ورواه الحاكم في "مستدركه" من حديث عبد الصمد مرفوعًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في "تفسيره" عن أبي زرعة الرازي، عن هلال ابن فياض، عن عمر بن إبراهيم به مرفوعًا.(١)

---

(١) **ضعيف منكر**. أخرجه أحمد (٥/ ١١)، وابن جرير (١٠/ ٦٢٣)، والترمذي (٣٠٧٧)، والحاكم (٢/ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣١)، وكذلك الطبراني (٦٨٩٤)، وابن مردويه كما في "تفسير ابن كثير"، كلهم من طريق: عمر بن إبراهيم به، وإسناده ضعيف؛ لأنَّ عمر بن إبراهيم ضعيف في روايته عن قتادة؛ فإنه يروي عنه منكرات، وقد ضعف هذه الرواية أحمد، وابن عدي، وابن حبان، ثم=

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.(١) وحدثنا بشر قال: حدثني يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا. وهذا إسناد صحيح عن الحسن رحمه الله.(٢)

قال العماد ابن كثير في "تفسيره": وأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادًا فَتُعَبِّدُهم لله، وتسميهم عبدالله، وعبيدالله، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس،

= إن الحسن لم يسمع من سمرة إلا حديث العقيقة علىٰ الصحيح، وعليه فهو منقطع، ثم إنه قد روي موقوفًا كما أشار إلىٰ ذلك الترمذي.

قلتُ: ويؤيد الوقف أنه قد صح عن سمرة بن جندب من وجه آخر موقوفًا، قال: سمىٰ آدم ابنه عبدالحارث. أخرجه ابن جرير (١٠/ ٦٢٣)، من طريقين عن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة به.

قال ابن كثير رحمه الله: الحديث معلول من ثلاثة أوجه... . فذكر الوجهين السابقين، ثم قال: الثالث: أنَّ الحسن نفسه فسَّر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا؛ لما عدل عنه. ثم ذكر الطرق عن الحسن التي نقلها الشارح، ثم قال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رحمه الله أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولىٰ ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ؛ لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وَوَرَعه، فهذا يدلك علىٰ أنه موقوف علىٰ الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن مُنَبِّه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم.اهـ

تنبيه: ذكر ابن كثير أن ابن مردويه رواه من حديث المعتمر عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعًا. وهو وهم أيضًا ممن دون المعتمر، فقد تقدم أن ابن جرير رواه من وجهين موقوفًا.

(١) أخرجه ابن جرير (١٠/ ٦٢٩)، والأثر بهذا الإسناد شديد الضعف؛ لأن عمرًا هو ابن عبيد المعتزلي، ضال، متروك، وابن وكيع شيخ ابن جرير وهو سفيان فيه ضعف.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٠/ ٦٢٩)، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير رحمه الله، وتبعه الشارح، وأخرجه ابن جرير (١٠/ ٦٢٩)، من طريق: معمر عن الحسن بلفظ: عنىٰ بهذا ذرية آدم من أشرك منهم بعده. ومعمر لم يسمع من الحسن، لكنه يزيد الطريق الأولىٰ قوةً، والله أعلم.

فقال: أما إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش، فولدت له رجلًا فَسَمَّاه عبد الحارث، ففيه أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٨٩]،[(١)] وقال العوفي عن ابن عباس:[(٢)] فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون أبهيمة، أم لا؟ وزين لهما الباطل، إنه لغوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إنْ لم تسمياه بي لم يخرج سَوِيًّا، ومات كما مات الأول، فَسَمَّيَا ولدَهما عبد الحارث؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه ابن أبي حاتم.[(٣)]

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد، وعكرمة، وسعيد [ابن جبير][(٤)]، ومن الطبقة الثانية: قتادة، والسدي[(٥)]، وجماعة من الخَلَف، [ومن

---

(١) **ضعيف جدًّا**. أخرجه ابنُ جرير (١٠/ ٦٢٤)، وهو ضعيفٌ، فيه عنعنة ابن إسحاق، وداود بن الحصين روايته عن عكرمة مضطربة، وشيخ ابن جرير فيه هو: محمد بن حميد الرازي، وقد كُذِّب.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٠/ ٦٢٤) بسلسلة العوفيين المشهورة، وهي سلسلة شديدة الضعف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤) من طريق: شريك القاضي، عن خُصيف بن عبدالرحمن عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وشريك، وخُصيف كلاهما ضعيف. وشريك قد تابعه عتَّاب بن بشير في "تفسير ابن منصور" (٩٧٣)، وبقيت علة الضعف في خُصيف بن عبدالرحمن.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) هذه الآثار أخرجها ابن جرير (١٠/ ٦٢٥-٦٢٧).

❁ أثر مجاهد صحيح، وأثر عكرمة عند ابن جرير ساقط من المطبوع، ولم يذكر إلا بعض السند، وكذلك المخطوطات فيها بياض في هذا المكان، ولم يخرجه من أصحاب الكتب المطبوعة إلا ابن جرير؛ فلا نحكم عليه بالضعف، وإنما نتوقف فيه بسبب السقط في السند.

❁ وأثر سعيد بن جبير فيه: سالم بن أبي حفصة، ضعيف، وأثر قتادة صحيح، وأثر السدي في إسناده=

المفسرين][1]، ومن المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة.

قال العماد ابن كثير: وكأن أصله -والله أعلم- مأخوذ من أهل الكتاب.

قلت: وهذا بعيد جِدًّا.[2]

= عند ابن جرير: أسباط بن نصر، وفيه ضعف، ولكن له إسناد آخر عند ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤)، وفيه: صدقة بن عبدالله بن كثير المكي، وفيه جهالة؛ فهو حسن به. وقد تتابع كثيرٌ من المفسرين علىٰ هذا: أن المقصود بها آدم، وزوجته حواء، أنهما سمياه عبدالحارث، وأطاعا الشيطان؛ فكان شركًا في الطاعة، وليس في العبادة، ولكن هذا فيه نظر.

وتفسير الحسن في هذه الآية رجحه ابنُ كثير، وابنُ القيم، وغيرهما، وهو أنَّ المقصود: أنَّ الله تعالىٰ بعد أن ذكر شأن آدم وحواء، أنه أنعم عليهما بالولد، فبعد ذلك من ظلم الإنسان وجهله أنه أصبح من الناس من يشرك بالله؛ مع أن الأولاد نعمة من الله عزوجل، فيكون سياق الآية أولًا في آدم وحواء، أنهما سألا من الله عزوجل ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٨٩]، ثم انتقل اللهُ من الأفراد إلىٰ الجنس، فقال: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]، كما بين ذلك ابنُ كثير في تفسير هذه الآية، وأنه استطرد من الأفراد إلىٰ الجنس، وذكر أنَّ لهذا نظائر في القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك:٥]، حيث قال: ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زُيِّنَت بها السماء ليست هي التي يرمىٰ بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلىٰ جنسها، ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم.اهـ

قال ابن القيم رحمه الله في "روضة المحبين" (ص٢٩٦) ط/ دار الكتاب العربي، في الكلام علىٰ الآية المتقدمة: فالنفس الواحدة وزوجها: آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما: المشركون من أولادهما، ولا يلتفت إلىٰ غير ذلك مما قيل إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس فقال: إنْ أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبدالحارث، ففعلا؛ فإنَّ الله سبحانه اجتباه وهداه، فلم يكن ليشرك به بعد ذلك.انتهىٰ.

❁ وأما الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فهي ما بين واهٍ وضعيف، فلا تتقوىٰ، ويحتمل أنها من أهل الكتاب، تناقله بعضهم، ومما جعلنا نأخذ بهذا التفسير لزامًا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الوقوع في الشرك، وآدم منهم، وهذه العصمة من الشرك أجمع عليها العلماء، بل حتىٰ كبائر الذنوب معصومون منها، راجع "تفسير ابن كثير" عند هذه الآية.

(١) في [أ]: والمفسرين.

(٢) بل هو قريب، وليس ببعيد كما تقدم تحريره، والله أعلم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن حزم: اتفقوا علىٰ تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبدَ المطلب.[(١)]

ش/ ابن حزم: هو عالـم الأندلس، أبو محمد عـلي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي والظاهري، صاحب التصانيف، تُوُفِّيَ سنـة ست وخمسين وأربعمائـة، وله اثنتان وسبعون سنـة.[(٢)]

وعبد المطلب [هو][(٣)] جَدُّ رسول الله ﷺ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،[(٤)] وما فوق عدنان مُخْتَلف فيه ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

حكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبِّدَ لغير الله؛ لأنه شركٌ في الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له، استعبدهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عَبَد الله وحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته، وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولابد، كما قال تعالى:

---

(١) انظر: "مراتب الإجماع" (ص٢٤٩).

ومعنىٰ قوله: (حاشا عبدالمطلب)، أي: لم يتفقوا عليه؛ فالاستثناء إنما هو من حيث الإجماع، لا من حيث التحريم؛ فهو يشير إلىٰ الخلاف.

(٢) لـه مخالفات لأهل السنـة والجماعـة فيما يتعلق بالصفات، وبالقرآن، فلا يقول بقول أهل السنة في ذلك، فتنبه.

(٣) في [ب]: هذا جد.

(٤) هذا النسب متفق عليه، ولا خلاف فيه، وأما ما بعد عدنان إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام فمختلف فيه، لكن اتفقوا علىٰ أن عدنان من ذرية إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، فهذه هي العبودية العامة.

وأما العبودية الخاصة؛ فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦]، ونحوها.

قوله: حاشا عبد المطلب.

هذا استثناء من العموم المستفاد من (كل)؛ وذلك أن تسميته بهذا الإسم لا محذور فيه؛ لأن أصله من عبودية الرق، وذلك أن المطلب أخا هاشم قدم المدينة وكان ابن أخيه شيبة هذا [قد][(١)] نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج؛ لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن، فلما شَبَّ في أخواله وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكةَ بلد أبيه وعشيرته، فقدم به مكة وهو رديفه، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبدًا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب. فعلق به هذا الاسم وركبه، فصار لا يُذكر ولا يُدعى إلا به[(٢)]، فلم يبق للأصل معنى مقصود، وقد قال النبي ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**»[(٣)]، وقد صار مُعَظَّمًا في قريش والعرب، فهو سيد قريش، وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده، وعبد الله والد رسول الله

(١) ساقط من [أ].

(٢) ذكر ذلك في السيرة بدون إسناد صحيح.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٨٦٤)، ومسلم برقم (١٧٧٦)، من حديث البراء بن عازب ﭭ، وانفرد به مسلم (١٧٧٥) من حديث العباس بن عبدالمطلب ﭬ.

قال العثيمين ﭫ في "القول المفيد" (٣/ ٦٥): هذا من باب الإخبار، وليس من باب الإنشاء، وفرق بين الإخبار وبين الإنشاء والإقرار.

قال: فالصواب أنه لا يجوز أن يُعَبَّدَ لغير الله مطلقًا، لا بـعبدالمطلب، ولا بغيره؛ وعليه فيكون التعبيد لغير الله من باب الشرك.اهـ

ﷺ أحد بني عبد المطلب، وتوفي في حياة أبيه.

قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب "الدرة السنية في مولد خير البرية": كان سن أبيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله ﷺ نحو ثمانية عشر عامًا، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمرًا لأهله، فمات بها عند أخواله بني النجار، والنبي ﷺ حَمْلٌ على الصحيح. انتهى.

قلت: وصار النبي ﷺ لما وضعته أمُّه في كفالة جده عبد المطلب.

قال الحافظ الذهبي: وتوفي أبوه عبدالله وللنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا،[(١)] وقيل: أقل من ذلك. وقيل: وهو حمل. توفي بالمدينة وكان قد قدمها ليمتار [بها][(٢)] تمرًا. وقيل: بل مر بها راجعًا من الشام، وعاش خمسة وعشرين سنة. قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سِنِّه ووفاته، وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به ﷺ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي ابن النجار، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم. وقيل: ابن أربع سنين. فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده، فكان في كفالته إلى أن تُوُفِّيَ جدُّه وللنبي ﷺ ثمان سنين، فأوصى به إلى عمه أبي طالب.انتهى كلام الحافظ.[(٣)]

---

(١) وهذا كله ليس عليه سند صحيح يثبت به.

(٢) ساقط من [أ].

(٣) من "تاريخ الإسلام" قسم السيرة (ص٥٠).

قال المصنف ﵀: وعن ابن عباس في الآية، قال: لَـمَّا تَغشَّاها آدَمُ، حَمَلَت، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيْسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعَانيِّ أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَي أَيْل، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشقُّه، وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ. يُخَوِّفُهُما، سَمِّيَّاه عَبْدَ الحَارِث، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيْعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتًا. ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيْعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَـا، فَأَدْرَكَهُما حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُه: ﴿**جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا**﴾[الأعراف:١٩٠]. رواه ابن أبي حاتم.[(١)]

وله بسند صحيح عن قتادة، قال: شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتَه.

وله بسند صحيح عن مجاهد، في قوله: ﴿**لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا**﴾ [الأعراف:١٨٩]، قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤)، من طريق: شريك القاضي، عن خصيف بن عبدالرحمن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف شريك، وخصيف، ولكنَّ شريكًا توبع، تابعه عتَّاب بن بشير عند سعيد بن منصور (٩٧٣)، فبقيت العلة في خصيف الجزري، والله أعلم.

قال العلامة العثيمين ﵀ في "القول المفيد": هذه القصة باطلة من وجوه، **أحدها:** أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ، وقال ابن حزم: إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة. **الثاني:** يمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله تعالىٰ الخطيئة من آدم وحواء، ولم يذكر توبتهما، والله تعالىٰ إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها. **الثالث:** أنَّ الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء. **الرابع:** أنه ثبت في حديث الشفاعة أنَّ الناس يأتون آدم فيطلبون منه الشفاعة، فيعتذر بأكله من الشجرة، وهو معصية، ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره به أعظم وأولىٰ وأحرىٰ. **الخامس:** أنَّ في هذه القصة أنَّ الشيطان قال لهما: (أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة)، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء. **السادس:** أنَّ قوله في هذه القصة: (لأجعلن له قرني أيل)، إما أن يصدقا ذلك وهذا شرك في الربوبية؛ لأنه لا خالق إلا الله، وإما أن لا يصدقا فلا يمكن أن يقبلا قوله، وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه. **السابع:** قوله تعالىٰ ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠] بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء؛ لقال: عمَّا يشركان.انتهىٰ بتصرف واختصار يسير.

وذُكر معناه أيضًا عن الحسن وسعيد وغيرهما.[١]

ش/ قوله: وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية.

قد قدَّمنا نظيره عن ابن عباس في المعنى.

قال شيخنا رحمه الله: إنَّ هذا الشرك في مجرَّد تسمية، لَمْ تُقصد حقيقتها.[٢]

وهو محملٌ حسن، يُبين أنَّ ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية، لَمْ يقصدا تعبيدَه لغير الله، وهذا معنى قول قتادة: شُركاء في طاعته، ولَمْ يكن في عبادته.

---

(١) ومعنىٰ أثر قتادة (شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته): يعني أطاعوه في التسمية، لكن سياق الآية يدل علىٰ أن الشرك في العبادة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولكن المقصود كما تقدم شرك ذرية آدم.

❁ وأثر قتادة صحيح كما قال المصنف، وهو عند ابن جرير (١٠/ ٦٢٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤).

❁ وأما أثر مجاهد فأخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٣)، وفي سنده: يحيىٰ بن اليمان، فيه ضعف.

❁ وأثر الحسن أخرجه ابن جرير (١٠/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٣)، من طريق: معمر، عن الحسن، وفيه انقطاع.

❁ وأثر سعيد بن جبير أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٣)، وفيه: سالم بن أبي حفصة، ضعيف.

(٢) انظر المسائل من "كتاب التوحيد" رقم (٣).

قال العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (٣/ ٧٠): وهذا بناء علىٰ ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، والصواب أنَّ هذا الشرك حق علىٰ حقيقته، وأنه شرك من إشراك بني آدم؛ ولهذا قال تعالىٰ في الآية نفسها: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٩١]، فهذا الشرك الحقيقي الواقع من بني آدم. انتهىٰ.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تحريم كل اسم معبَّد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أنَّ هذا الشرك في مجرد تسمية لم يقصد حقيقتها.[١]

الرابعة: أنَّ هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة، والشرك في العبادة.

(١) تقدم التنبيه علىٰ ذلك من كلام العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥٠- باب قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾** الآية [الأعراف: ١٨٠].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿**يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾[الأعراف:١٨٠]: يشركون.[(١)]

وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعُزَّىٰ من العزيز.[(٢)]

وعن الأعمش: يُدْخِلُونَ فِيْهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا.[(٣)]

ش/ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، [مائة إلا واحدًا]**[(٤)]**، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**» أخرجاه في "الصحيحين" من حديث سفيان بن عيينة.[(٥)]

ورواه البخاري عن أبي اليمان، [عن شعيب][(٦)]، عن أبي الزناد، عن الأعرج عنه.[(٧)]

وأخرجه [الترمذي في "جامعه" عن][(٨)] [الجوزجاني][(٩)]، عن صفوان بن صالح، عن

---

(١) لم أجده عن ابن عباس بهذا اللفظ، وإنما جاء ذلك عن قتادة كما ذكر الشارح.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، وقد ذكره الشارح عن مجاهد كما سيأتي.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٣)، من طريق: مبشر بن عبيد، عن الأعمش به، ومبشر بن عبيد متروك.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٦) هذه الزيادة ليست في المخطوطتين، وإثباتها هو الصواب، كما في "البخاري".

(٧) أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من النسختين، وأضفناه من "تفسير ابن كثير".

(٩) في المخطوطتين: (الجرجاني)، والمثبت من "التفسير".

الوليد بن مسلم، عن شعيب بسنده مثله، وزاد بعد قوله «**يحب الوتر**»: «**هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الخالق الرازق البارئ المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الفتاح العليم، القابض الباسط الخافض الرافع، المعز المذل السميع البصير، الحكم العدل اللطيف الخبير، الحليم العظيم الغفور الشكور، العلي الكبير الحفيظ المقيت، الحسيب الجليل الكريم الرقيب، المجيب الواسع الحكيم الودود، المجيد الباعث الشهيد الحق، الوكيل القوي المتين الولي، الحميد [المحصي المبدئ المعيد، المحيي المميت]**(١) **الحي القيوم، الواجد الماجد الواحد الأحد، الفرد الصمد القادر المقتدر، المقدم المؤخر الأول الآخر، الظاهر الباطن الوالي المتعالي، البر التواب المنتقم العفو الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط الجامع الغني المغني المعطي، المانع الضار النافع النور، الهادي البديع الباقي الوارث، الرشيد الصبور**»(٢).

---

(١) إضافة من «التفسير».

(٢) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن حبان (٨٠٨)، والحاكم (١/ ١٦)، والبيهقي (١٠/ ٢٧)، وفي «الشُّعب» (١٠٢)، وفي «الأسماء والصفات» (٦)، والطبراني في «الدعاء» (١١١) كلهم من طريق: الوليد بن مسلم به.

❁ وأخرجه ابن ماجه (٣٨٦١)، من طريق: عبدالملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد التميمي، عن موسىٰ بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي هريرة به مع اختلاف في ذكر الأسماء، وهو حديث ضعيفٌ بهذا السياق، فذِكْرُ الأسماء مدرج في الخبر، وقد أعله الترمذي، والبيهقي، وابنُ كثير، وشيخُ الإسلام، وابن القيم، والحافظ ابن حجر، وغيرهم، وأعلوه بالإدراج، وسيأتي كلامُ ابنِ كثير أنَّ الوليد بن مسلم إنما رواه عن بعض أهل العلم الذين جمعوها من القرآن.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٧٩)، وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث علىٰ أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وللحديث طريق ثالثة عند الحاكم (١/ ١٧) مع اختلاف في الأسماء، وفي إسناده: عبدالعزيز بن الحصين، له ترجمة في «لسان الميزان»، قال أبو داود: متروك. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال مسلم: ذاهب الحديث. وضعفه عامة الحفاظ.

وقد تكلم الحافظ رحمه الله علىٰ الحديث بكلام نفيس في «الفتح» (٦٤١٠)، وفي «التلخيص الحبير»=

ثم قال الترمذي: [هذا][(١)] حديث غريب، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

[والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث][(٢)] مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن [زهير][(٣)] ابن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: إنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد، وسفيان، وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.

هذا ما ذكره العماد ابن كثير في "تفسيره"، ثم قال: ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن عبدالله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما أصاب أحدًا قَطُّ هَمٌّ ولا حزن، فقال: اللهم، إني عبدك بن عبدك بن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أوِ استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي؛ إلا أذهب اللهُ هَمَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا**»، فقيل:

= (٤/ ٣١٨-)، وانظر "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٨٢) (٦/ ٣٧٩-٣٨٠)، "مدارج السالكين" (٣/ ٤١٥).

تنبيه: بعض الأسماء التي وردت في هذا الحديث لم تثبت في دليل آخر كـ(الخافض، والرافع، والباعث، والمحصي، والواجد، والماجد، والمانع، والضار، والنافع، والمعز، والمذل، والمبدئ، والمعيد، والمميت، والوالي، والمقسط، والمغني، والرشيد، والصبور).

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [ب].

(٣) وقع في المخطوطتين (نمير)، والمثبت هو الصواب.

يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «**بلىٰ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها**».[١]

(١) **حسن.** أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وكذلك ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣)، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٧)، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠٣٥٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩-)، من طريق: أبي سلمة الجهني، عن القاسم ابن عبدالرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، وهذا الإسناد ضعيف، فيه: أبو سلمة الجهني مجهول، وقد ظنه بعض العلماء منهم العلامة الألباني رحمه الله أنه موسىٰ بن عبدالله الجهني؛ لأنه روىٰ أيضًا عن القاسم بن عبدالرحمن، والصحيح أنه غيره؛ لأن موسىٰ بن عبدالله الجهني كنيته: أبو عبدالله، ولم يرو عنه فضيل بن مرزوق، وقد فرَّق بينهما البخاري في "تاريخه"، وذكر لكل منهما ترجمة منفصلة، وكذلك ابن حبان في "الثقات" ذكر لكلٍّ منهما ترجمة منفصلة، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" لم يذكر إلا موسىٰ بن عبدالله الجهني، وكنَّاه بـأبي عبدالله؛ فالذي يظهر أنه غيره، وفضيل بن مرزوق اختلفوا فيه، والراجح تحسين حديثه؛ إلا أنْ يُخَالَف، أو يُنَص علىٰ وهمه، وعبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود هل سمع من أبيه؟ فيه خلافٌ، والراجح أنه سمع منه، لكن قليلًا.

❁ والحديث له طريق أخرىٰ عند ابن السُّنِّي (٣٤٢)، والبزار كما في "الكشف" (٣١٢٢)، من طريق: عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن ابن مسعود، وعبدالرحمن ابن إسحاق ضعيف، والقاسم لم يدرك ابن مسعود.

❁ وله شاهدٌ من حديث: أبي موسىٰ عند ابن السني أيضًا (٣٤١)، من طريق: عبدالله بن زبيد بن الحارث اليامي، عن أبي موسىٰ، وعبدالله فيه جهالة ولم يدرك أحدًا من الصحابة؛ فهو منقطع، والحديث يحسن بهذه الطرق، وراجع "الصحيحة" رقم (١٩٩).

والحديث المتقدم لا يفيد حصرها، وإنما هذا الأسلوب، وهو تقديم الخبر يفيد حصر التسعة والتسعين في الحكم المذكور في الحديث، وهو: «**من أحصاها دخل الجنة**»؛ فهذا الحكم مختصٌّ بتسعة وتسعين اسمًا، ولا يحصل لأقل من هذا العدد، ومثال ذلك لو قال قائل: إن لي ثوبًا ليوم الجمعة. فهذا لا يفيد أنه ليس له إلا ثوب واحد، وإنما يفيد أنه محصور ليوم الجمعة؛ إذن هذا الأسلوب يفيد الحصر للحكم المذكور في الكلام، ولا يفيد الحصر مطلقًا.

ومما استدل به شيخ الإسلام، وابن القيم رحمهما الله علىٰ عدم حصر أسماء الله تعالىٰ: قوله ﷺ في دعاء السجود: «**سبحانك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»، قالوا: فثناء الله بأسمائه وصفاته، وكذلك حديث الشفاعة: «**فيفتح اللهُ عليَّ من حسن الثناء، والمحامد شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي**»، انظر "بدائع الفوائد" (١/ ١٦٦-).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "مجموع الفتاوىٰ" (٦/ ٣٨١): فإنَّ الذي عليه جماهير المسلمين أنَّ أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين.اهـ

وقال في (٢٢/ ٤٨٢): والقول بالحصر، وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبي محمد بن حزم وغيره؛ فإن جمهور العلماء علىٰ خلافه، وعلىٰ ذلك مضىٰ سلف الأمة وأئمتها.اهـ

وقد أخرجه أبو حاتم، وابن حبان في "صحيحه".

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، [قال: إلحاد الملحدين: أَنْ دَعَوا اللات في أسماء الله.[١]

وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾][٢]، قال: اشتقوا اللات من الله، واشتقوا العزى من العزيز.[٣]

وقال قتادة: يلحدون: يشركون.[٤]

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب.[٥]

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل، والجور، والإنحراف، ومنه: اللحد في القبر؛ لانحرافه إلى جهة القبلة عن سَمْتِ الحفر.

قال ابن القيم رحمه الله:

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالـ إشـراك والتعطيل والنكـران[٦]

وأسماء الرب تعالى كلها أسماءٌ وأوصاف تعرَّف بها تعالى إلى عباده، ودلت على كماله جل وعلا.

---

(١) أثر ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن أبي حاتم، وابن جرير [آية:١٨٠] من سورة الأعراف، وفيه سلسلة العوفيين؛ فهو ضعيف.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير [آية: ١٨٠] من سورة الأعراف.، وابن جريج عنعن في روايته عن مجاهد؛ فهو ضعيف؛ لأن ابن جريج مدلس معروف به.

(٤) أخرجه ابنُ جرير في تفسير [آية:١٨٠] من سورة الأعراف، من طريق: معمر عنه، وروايته عنه فيها ضعف.

(٥) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسير [الآية:١٨٠] من سورة الأعراف، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وفيه: عبدالله بن صالح، كاتب الليث، فيه ضعف.

(٦) انظر: "الكافية الشافية" (ص٢١٧) دار ابن الجوزي.

وقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات، كإلحاد أهل الاتحاد؛ فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها، [حتى][(١)] قال زعيمهم: هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح [عقلًا][(٢)] وشرعًا وعُرفًا، وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعُرفًا، تعالى عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا. انتهى.[(٣)]

قلت: والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتأخرهم: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات،[(٤)] يَحْتَذِي حذوه ومثاله، وكما [أنه][(٥)] يجب [العلم][(٦)] بأن لله ذاتًا حقيقة لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله صفات حقيقة لا تشبه [شيئًا من][(٧)] صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف اللهُ به نفسَه، أو وصفه به رسوله ﷺ، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه؛ فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أيضًا: فائدة جليلة: ما يجري صفةً أو خبرًا على الرب

---

(١) ساقط من [ب].
(٢) ساقط من [ب].
(٣) من "مدارج السالكين" (١/ ٣٠).
(٤) يعني: كما أنكم تثبتون ذاتًا لله لا تشبه ذوات المخلوقين؛ يلزمكم علىٰ هذا أن تثبتوا صفاتًا لله لا تشبه صفات المخلوقين.
(٥) ساقط من [ب].
(٦) ساقط من [ب].
(٧) ساقط من [أ].

تبارك وتعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع [إلى صفات معنوية][(١)]، كالعليم، والقدير، [والسميع][(٢)] والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله، كالخالق، والرازق.

الرابع: التنزيه المحض، ولابد من تضمنه ثبوتًا؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس، والسلام.

الخامس: -ولم يذكره أكثر الناس- وهو الاسم الدال على جملة أوصافٍ عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دالٌّ على معان، نحو: المجيد، العظيم، الصمد؛ فإنَّ المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا؛ فإنه موضوعٌ للسعة، والكثرة والزيادة، فمنه: (استمجد المرخ والعفار[(٣)]، وأمجد الناقة علفها)، ومنه: (رب العرش المجيد) صفة للعرش؛ لسعته، وعظمته، وشرفه، وتأملْ كيف جاء هذا الاسم مُقترنًا بطلب الصلاة من اللهِ على رسوله كما عَلَّمَنَاه ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد، والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجعٌ إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه، ومنه الحديث الذي في "المسند" و"الترمذي": «**ألظوا بياذا الجلال والإكرام**»،[(٤)] ومنه: «**اللهم، إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان**

---

(١) في [أ]، و[ب]: (صفات نعوته)، والمثبت من "البدائع".

(٢) ساقط من [ب].

(٣) المَرْخُ: شجر سريع الاشتعال. والعفارُ: شجر يقدح منه النار. والمعنىٰ: كثرت النار. "لسان العرب"، "القاموس المحيط".

(٤) **صحيح**. رواه الترمذي (٣٥٢٤) (٣٥٢٥) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده: مؤمل بن إسماعيل،=

بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام»،[(١)] فهذا سؤالٌ له، وتوسلٌ إليه [بحمده][(٢)]، وأنه لا إله إلا هو المنان؛ فهو توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفةٌ تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما، نحو: الغني الحميد، (العفو)[(٣)] القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإنَّ الغِنَى صفة كمال، والحمد كذلك.

واجتماع الغِنَى مع الحمد كمال آخر؛ فله ثناء من غناه وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله؛ فإنه من أشرف المعارف.[(٤)]

= ومؤمل عنده أخطاء ومخالفات، وقد غلط في هذا الحديث فوصله، وإنما هو من مراسيل الحسن، وقد أعله أبو حاتم بالإرسال كما في "العلل" (٢٠٦٩)، وهو ثابتٌ من حديث ربيعة بن عامر، أخرجه أحمد (٤/ ١٧٧)، والنسائي في "الكبرىٰ" (٧٧١٦) (١١٥٦٣)، والبخاري في "التاريخ" (٣/ ٢٨٠)، والطبراني (٤٥٩٤)، والحاكم (١/ ٤٩٨-٤٩٩)، من طُرُقٍ عن ابن المبارك، عن يحيىٰ ابن حسَّان، عن ربيعة بن عامر به، وإسناده صحيح.

❁ وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة ﵁، أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٩)، وفي إسناده: رشدين بن سعد، وهو ضعيف.

(١) **حسن**. أخرجه أبوداود (١٤٩٥)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وأحمد (١٢٦١١)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٧٠٥)، والطحاوي في "المشكل" (١٧٥)، وابن حبان (٨٩٣)، والحاكم (١/ ٥٠٣-٥٠٤)، من طُرُقٍ عن خلف بن خليفة، ثنا حفص بن عمر، عن أنس، وفيه: «**فقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب**»، وهذا إسناد حسن.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) في المخطوطتين (الغفور)، والمثبت من "بدائع الفوائد".

(٤) انتهىٰ من "بدائع الفوائد" (١/ ١٥٩-١٦١).

فيه مسائل:

الأولىٰ: إثبات الأسماء.

الثانية: كونُها حسنىٰ.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

٥١- باب لاَ يُقالُ: السَّلامُ عَلَى اللّهِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب لاَ يُقالُ: السَّلامُ عَلَىٰ اللهِ.

في "الصحيح" عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا إذا كنَّا مع النبيّ ﷺ في الصلاةِ قلنا: السلامُ علىٰ اللهِ من عِبادِهِ، السلامُ علىٰ فلانٍ وفلان، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هوَ السَّلَامُ**».

ش/ هذا الحديث رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا إذا جلسنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله، قبل عباده، السلام على فلان وفلان...، الحديث[(١)]. وفي آخره ذكر التشهد الأخير.

ورواه الترمذي من حديث الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود،[(٢)] وذكر في الحديث [سبب][(٣)] النهي عن ذلك بقوله: «**فإن الله هو السلام ومنه السلام**»،[(٤)] وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثًا، وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**».[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٣٥)، ومسلم برقم (٤٠٢)، وأبو داود (٩٦٨)، والنسائي (٢/ ٢٤٠)، وابن ماجه (٨٩٩).

(٢) رواية الترمذي بهذا الإسناد (٢٨٩) ليس فيها موطن الشاهد، وموطن الشاهد هو أنهم كانوا يقولون: السلام علىٰ الله، وعلىٰ عباده. فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

(٣) ساقط من [ب].

(٤) لفظ الحديث: «**فإن الله هو السلام**»، وأما: «ومنه السلام»؛ فلعلها من حفظ الشارح.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٥٩١)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي الحديث: «إنَّ هذا [هو][(١)] تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالىٰ»،[(٢)] [وفي التنزيل ما يدل على أن الله تبارك وتعالى يسلم عليهم في الجنة كما قال تعالى][(٣)] ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

ومعنى قوله: «إن الله هو السلام» أنه تعالى سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل؛ فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب [ونقص].[(٤)]

قال في "البدائع": السلام اسم مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمن [الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تُنَاقِض الجهة الإنشائية][(٥)]، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران: الأول: [أنَّ السلام هنا هو الله عزوجل، ومعنى الكلام][(٦)] نزلت بركته عليكم، ونحو هذا، فاختير في هذا المعنى من أسمائه عزوجل اسم السلام دون غيره من الأسماء. الثاني: [أنَّ][(٧)] السلام مصدرٌ بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية، ومن حجة أصحاب هذا القول: أنه يأتي مُنَكَّرًا فيقول المُسَلِّمُ: (سلام عليكم)، ولو كان اسمًا من أسماء الله؛ لم يُستعمل كذلك، ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبرًا ودعاءً.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفصل الخطاب أن يُقال: الحق في مجموع القولين، فَكُلٌّ منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما، وإنما يتبين ذلك بقاعدة، وهي: أنَّ حقَّ من دعا

---

(١) ساقط من [ب].
(٢) تقدم هذا ضمن حديثٍ طويل في باب (٣٦): من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا. وأنه معضل.
(٣) ساقط من [ب].
(٤) ساقط من [ب].
(٥) ساقط من [ب].
(٦) في [ب]: أنَّ الله عزوجل هو السلام ومعنىٰ السلام.
(٧) ساقط من [ب].

الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب، ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتى إنَّ الداعي متشفع إلى الله تعالى، متوسل به إليه، فإذا قال: (رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور)؛ فقد سأله أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه، [وقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه][١]، وقد سأله ما يدعو به: «**قل: اللهم أني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك [وارحمني]**[٢] **إنك أنت الغفور الرحيم**»[٣]، فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل أتى في طلبها بصيغةِ اسمٍ من أسماء الله تعالى وهو (السلام) الذي تطلب منه السلامة، فتضمَّنَ لفظُ السلام معنيين: **أحدهما:** ذكر الله. **والثاني:** طلب السلامة، وهو مقصود المُسَلِّم، فقد تضمن (السلام عليكم) [اسمًا][٤] من أسماء الله، وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة.[٥]

وَحَقِيقَتُه: البراءة والخلاص والنجاة من [الشر][٦] والعيوب، وعلى هذا [المعنى][٧] تدور تصاريفه، فمن ذاك قولك: سلمك الله.

وفيه دعاء المؤمنين على الصراط: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ.[٨]

---

(١) وقع في المخطوطتين: (وقال لعائشة...)، والمثبت هو الصواب كما في "البدائع".

(٢) إضافة من "الصحيحين".

(٣) أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) ساقط من [ب].

(٥) انظر: "بدائع الفوائد" (٢/ ١٣٩-١٤٣).

(٦) في [ب]: الشرور.

(٧) ساقط من [ب].

(٨) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٢٤٣٢)، وعبد بن حميد (٣٩٤)، من حديث المغيرة بن شعبة، وفيه: عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي ضعيفٌ، وفيه شيخُه: النعمان بن سعد، مجهول، وهو يخالف حديث أبي هريرة رضي الله عنه في "الصحيحين": «**ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم**»؛ فهذا من قول الرسل، وليس من قول المؤمنين.

ومنه: سَلِمَ الشيء لفلان، أي: خلص له وحده، قال [الله][(١)] تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾[الزمر:٢٩]، أي: خالصًا له وحده، لا يملكه معه غيره، ومنه السِّلْم ضد الحرب؛ لأن كُلًّ واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر؛ ولهذا بُنِيَ [فيه][(٢)] على المفاعلة، فيقال: [المسالمة مثل][(٣)] المشاركة. ومنه القلب السليم، وهو النقي من الدغل والعيب.

وَحَقِيْقَتُه: الذي قد سلم لله وحده، فخلص من دغل الشرك وَغِلِّه، ودغل الذنوب والمخالفات؛ بل هو المستقيم على صدق حبه، وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضَمِنَ له النجاة من عذابه، والفوز بكرامته، ومنه أُخِذ الإسلام؛ فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقياد لله والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له، كالعبد الذي سلم لمولاه، ليس فيه شركاء متشاكسون؛ ولهذا ضرب سبحانه هذين الْـمَثَلَيْنِ للمسلم الخالص لربه وللمشرك به.[(٤)]

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

(٣) حصل تحريف في [أ]، و[ب]، والمثبت هو الصواب.

(٤) انظر: «البدائع» (٢/ ١٣٣).

٥٢- بابُ قَولِ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: بابُ قَولِ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ.

ش/ يعني أنَّ ذلك لا يجوز؛ لورود النهي عنه في حديث الباب.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: في "الصحيح" عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُم: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ.، ولكن لِيَعْزِمِ المسألَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ**»[(١)]. ولمسلم: «**وَلْيُعْظِمِ الرّغْبَةَ، فَإِنّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»[(٢)].

ش/ بخلاف العبد؛ فإنه قد يُعْطِي السائلَ مسألته؛ لحاجته إليه، أو لخوفه منه، أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول؛ مخافةَ أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين؛ فإنه تعالى لا يليق به ذلك؛ لكمال غِنَاه عن جميع خلقه، وكمال جُودِهِ وكرمه، وكلهم فقير إليه محتاج، لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام.[(٣)]

وفي الحديث: «**يمين الله ملأىٰ لا يغيضها نفقة، سحَّاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وفي يده الأخرىٰ القسط يخفضه ويرفعه**»[(٤)]، يعطي تعالى لحكمة ويمنع لحكمة، وهو الحكيم الخبير، فاللائق بمن سأل اللهَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٩) (٧٤٧٧)، ومسلم برقم (٢٦٧٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) يعني: يحصل بأمره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].
(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٩)، ومسلم برقم (٩٩٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أن يعزم المسألة؛ فإنه تعالى لا يعطي عبده شيئًا عن كراهة، ولا عن عِظَمِ مسألة، وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه:

ويعظم في عين الصغير صغارها ... ويصغر في عين العظيم العظائم[1]

[وهذا][2] إلى ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلا فإنَّ العبدَ يُعْطِي تارة ويمنع أكثر، ويعطي كرهًا، والبخل عليه أغلب، وبالنسبة إلى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم، وأما ما يعطيه الله عباده فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال، من حين وضعت النطفة في الرحم، فنعمه على الجنين في بطن أمه دارَّةٌ يربيه أحسن تربية، فإذا وضعته أمه عطَّفَ عليه والديه، ورباه بنعمه حتى يبلغ أشده، يتقلب في نعم الله مدة حياته؛ فإنْ كانت حياته على الإيمان والتقوى ازدادت نعمُ الله تعالى عليه إذا توفاه أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدر قدرها إلا الله، مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين.

وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم، وإن كان بعضها على يد مخلوق؛ فهو بإذن الله وإرادته وإحسانه إلى عبده، فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها، وأجراها عن كرمه، وجوده، وفضله، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنِ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

وقد يمنع تعالى عبده إذا سأله لحكمةٍ، وعلمٍ بما يُصلح عبده من العطاء والمنع، وقد يؤخر ما سأله عبدُه لوقته المقدر، أو ليعطيه أكثر، فتبارك الله رب العالمين.

---

(١) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي، وهو ثاني بيت في قصيدة يمدح بها سيف الدولة سنة (٣٤٣)، ومطلع القصيدة:

علىٰ قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي علىٰ قدر الكرام المكارم

انظر: «الديوان» (٢/ ٧٨٤) مع شرح الواحدي.

(٢) وقع في المخطوطتين: (وأما هذا)، والمثبت أقرب.

وقوله: ولمسلم: «**وليعظم الرغبة**».

أي: في سؤاله ربه حاجته؛ فإنه يعطي العظائم كرمًا، وجودًا، وإحسانًا.

«**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»، أي: ليس شيء عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق؛ [لأن سائل المخلوق][١] لا يسأله إلا ما يهون عليه بذله، بخلاف رب العالمين؛ فإنَّ عطاءه كلام[٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فسبحان من لا يقدر الخلقُ قَدْرَه! لا إله غيره ولا رب سواه.

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «**ليعزم المسألة**».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) مراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنه يحصل بمجرد قوله ﴿كُن﴾.

٥٣- بَاب لاَ يَقُول: عَبْدِي وَأَمَتِي

قال المصنف رحمه الله: بَاب لاَ يَقُول: عَبْدِي وَأَمَتِي.

في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ. وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي، ومَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُم: عَبْدِي، وأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، وفَتَاتِي، وغُلاَمِي**»[١].

ش/ قوله: باب لا يقول: عبدي وأمتي.

ذكر الحديث الذي في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدُكم: أَطْعِمْ رَبَّك، وَضِّئْ رَبَّك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي**».

هذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغة؛ فالنبي ﷺ نهى عنها؛ تحقيقًا للتوحيد؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أُطْلِق على غيره؛ شاركه في هذا الاسم، فينهى عنه لذلك وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى، وإنما المعنى أن هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الإعتبار، فالنهي عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقًا للتوحيد، وَبُعدًا عن الشرك، حتى في اللفظ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب تعالى، وَبُعْدِه عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ[٢]، وهو قوله

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٢)، ومسلم برقم (٢٢٤٩).

(٢) والألفاظ المذكورة إطلاقها مكروه، والنهي الوارد إنما هو علىٰ سبيل الكراهة، والتنزيه؛ لقول الله عزوجل عن يوسف عليه السلام: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، وقوله: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، وقول النبي ﷺ: «**أن**=

(سيدي ومولاي)، وكذا قوله: «**ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي**»؛ لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك؛ تعظيمًا لله تعالى، وأدبًا وَبُعْدًا عن الشرك، وتحقيقًا للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: فتاي، وفتاتي، وغلامي، وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، فقد بلغ ﷺ أُمَّتَه كل ما لهم فيه نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا خير إلا دَلَّهم عليه، خصوصًا في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم عنه صلوات الله وسلامه عليه، خصوصًا ما يقرب من الشرك لفظًا وإن لم يقصد، وبالله التوفيق.

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن قول: عبدي، وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد لسيده: ربِّي. ولا يقال له: أطعم ربَّك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي، ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتىٰ في الألفاظ.

= **تلد الأمة ربها**»، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾[النور:٣٢]، وبوَّب البخاري رَحِمَهُ اللهُ في "صحيحه": [باب كراهية التطاول علىٰ الرقيق وقوله: عبدي، وأمتي].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: أي: وكراهية ذلك من غير تحريم؛ ولذلك استشهد للجواز بقوله تعالىٰ: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾، وبغيرها من الآيات والأحاديث، ثم أردفها بالحديث الوارد في النهي عن ذلك، واتفق العلماء علىٰ أن النهي الوراد في ذلك للتنزيه، حتىٰ أهل الظاهر؛ إلا ما سنذكره عن ابن بطال في لفظ (الرب).انتهىٰ

قلت: وهو علىٰ سبيل الكراهة أيضًا؛ إلا أن الكراهة فيها أشد، هذا وليعلم أن الحكم قد يصل إلىٰ التحريم إذا صاحبه الاحتقار والأذية للمملوك المسلم، أو صَاحَبَه الاختيال والتعاظم من السيد، وبالله التوفيق. انظر شرح الحديث من "الفتح"، و"المفهم"، و"شرح مسلم".

٥٤- باب لا يُردُّ مَنْ سَأَلَ بالله

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب لا يُردُّ مَنْ سَأَلَ باللهِ.

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ بالله فأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بالله فأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُم فأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فإِنْ لَم تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتّىٰ تَرَوْا أَنّكُم قَدْ كَافأْتُموهُ**». رواه أبو داود، والنسائي بسند صحيح.[١]

ش/ ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حقٌّ كبيت المال [أن يُجاب][٢] فَيُعطى منه على قدر حاجته، [وما يستحقه][٣] وجوبًا، وكذلك إذا سأل المحتاج مَنْ في ماله فضل، فيجب أن يعطيه [على حسب حاله ومسألته، وأما إذا سأل من

(١) **صحيح**. أخرجه أبو داود (٥١٠٩) (١٦٧٢)، والنسائي (٥/ ٨٢)، وكذلك أحمد (٥٣٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وابن حبان (٣٤٠٨)، والحاكم (١/ ٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٦)، وغيرهم، من طرق عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر به، وهذا إسنادٌ صحيح، وقد صححه شيخُنا رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيح المسند» رقم (٧٣٦)، والعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٢٥٤).

❁ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٤٨٠)، من طريق: أبي جعفر الرازي، عن حصين بن عبدالرحمن، وفي (١٣٥٣٠) من طريق: العوام بن حوشب، كلاهما عن مجاهد به، دون قوله: «**ومن صنع إليكم معروفًا...**» إلىٰ آخره.

وإسناده الأول فيه: أبو جعفر الرازي، فيه ضعف، والإسناد الثاني صحيح.

(٢) زيادة من المطبوع يقتضيها السياق.

(٣) ساقط من [ب].

لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه][1] على قدر حال المسؤول ما لا يضره، ولا يضر عائلته، وإن كان مُضطرًّا؛ وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته.

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جُبِلُوا عليه من الكرم، والجود، وضدهما من البخل والشح، فالأول محمود في الكتاب والسنة، والثاني مذموم فيهما، وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لِعِظَمِ نفعه وتعديه، وكثرة ثوابه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٧-٢٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]، وذلك الإنفاق في خصال البر المذكورة في قوله: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْـمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْـمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

فذكره بعد [ذكر][2] أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة، وذلك -والله أعلم- لتعدي نفعه، وذكره تعالى في الأعمال التي أمر الله بها عباده، وتعبدهم بها، ووعدهم عليها الأجرَ العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

(١) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٢) ساقط من [أ].

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء؛ نُصْحًا للأمة، وَحَثًّا لهم على ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا، وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار ﵃ بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الـمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

والإيثار من أفضل خصال المؤمن كما تفيده هذه الآية الكريمة، وقد قال تعالى: ، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨-٩]، والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًّا، ومن كان سعيه للدار الآخرة رَغِب في هذا وَرَغَّب، وبالله التوفيق.

قولهُ: «ومن دعاكم فأجيبوه».

هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض: إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.

قولهُ: «ومن صنع إليكم معروفًا؛ فكافئوه».

ندبهم ﷺ على المكافأة على المعروف؛ فإنَّ المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله تعالى، ورسوله ﷺ كما دل عليه هذا الحديث، ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، [وبعض اللئام][(١)] يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع ذلك كثيرًا من بعضهم -نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة- بخلاف حال أهل التقوى والإيمان؛ فإنهم يدفعون بالحسنة السيئة؛ طاعةً لله ومحبةً لما يحبه لهم ويرضاه، كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ

(١) ساقط من [أ].

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ❊ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ❊ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٦-٩٨].

وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ❊ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٦-٣٥]، وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة.

قولهُ: «فإنْ لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له».

أرشدهم ﷺ إلى [أنَّ][1] الدعاءَ في حق من لم يجد المكافآت مكافأة للمعروف، فيدعو له على حسب معروفه.

قولهُ: «تُروا».

بضم التاء: تظنوا أنكم قد كافأتموه، ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى (تعلموا)، ويؤيده ما في "سنن أبي داود" في حديث ابن عمر: «**حتىٰ تعلموا**»، فتعين الثاني؛ للتصريح به.

وفيه: «من سألكم بالله فأجيبوه».

أي: إلى ما سأل، فيكون بمعنى: (أعطوه)، وعند أبي داود في رواية أبي نُهيك عن ابن عباس: «**من سألكم بوجه الله فأعطوه**».[2]

---

(١) ساقط من [أ].

(٢) **صحيح لغيره بدون زيادة «وجه»**. أخرجه أبو داود (٥١٠٨)، وأحمد (٢٢٤٨)، وأبو يعلىٰ (٢٥٣٦) (٢٧٥٥)، والخطيب في "التاريخ" (٤/٢٥٨)، من طُرقٍ عن خالد بن الحارث، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي نُهيك، عن ابن عباس به. وسقط من المطبوع من "سنن أبي داود" كلمة: «**وجه**»، وانظر "جامع الأصول" (٩٣٢٨)، وإسناده فيه ضعفٌ؛ لجهالة حال أبي نهيك، واسمه: عثمان بن نهيك؛ فإنه لم يوثقه معتبر، والحديث صحيح بشاهده الذي قبله عن ابن عمر رضي الله عنهما، بدون زيادة: «**وجه**».

وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث: «**ومن سألكم بالله**» كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.[1]

فيه مسائل:

الأولىٰ: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة علىٰ الصنيعة.

الخامسة: أنَّ الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «**حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**».

(١) كذا في رواية أبي داود (٥١٠٨)، ولكنَّ أبا يعلىٰ أخرجه من طريقه بلفظ: «**من سألكم بوجه الله**»، ورواية الخطيب ليس فيها زيادة «**وجه**».

٥٥- بابٌ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللّه إِلاَّ الجَنَّةُ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: بابٌ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلَّا الجَنَّةُ.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلاّ الجَنَّةُ**». رواه أبوداود.

ش/ قوله: باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

ذكر فيه حديث جابر، رواه أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»[(١)].

وهنا سؤال: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من [الطائف][(٢)] حين كذَّبه أهلُ الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا النبي ﷺ بالدعاء المأثور: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقِلَّة حيلتي، [وهواني علىٰ الناس، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربي، إلىٰ من تكلني؟ إلىٰ بعيد يتجهمني، أو إلىٰ عدو ملكته أمري؟ إن لم يك بك غضب عليَّ فلا أُبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي**»][(٣)].

وفي آخره: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي سخطك، أو ينزل بي غضبك، لك العُتْبَىٰ حتىٰ ترضىٰ، ولا حول ولا**

---

(١) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وكذلك البيهقي في "السنن" (٤/ ١٦٦)، وفي "الشُّعَب" (٣٥٣٧)، وابن عدي في "الكامل" (٣/ ١١٠٧)، والفَسَوي (٣/ ٤٦٥)، والخطيب في "الموضح" (١/ ٣٥٢-٣٥٣)، من طُرُقٍ عن سليمان بن قرم بن معاذ، عن جابرٍ به، وسليمان بن قرم بن معاذ ضعيفٌ.

(٢) في [ب]: أهل الطائف.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من [أ].

قوة إلا بك».[(١)]

والحديث المروي في "الأذكار": «**اللهم أنت أحق من ذُكِر، وأحق من عُبِد**»، وفي آخره: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض**».[(٢)]

وفي وجه: «**أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم، وبكلماته التامة من شر السامَّة واللامَّة، ومن شر ما خلقت أي رب، ومن شر هذا اليوم، ومن شر ما بعده، وشر الدنيا والآخرة**»،[(٣)] وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة، أو الحسان.

فالجواب: أنَّ ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة، أو ما يمنعه، من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله، وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة، كما في الحديث الصحيح: «**اللهم إني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك**

---

(١) **ضعيف**. أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٥/ ٣٤٦)، وفي كتابه "الدعاء" رقم (١٠٣٦)، من حديث: عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما، وفيه عنعنة ابن إسحاق؛ فهو ضعيفٌ، وأما ابن هشام فذكره في "السِّيرة" (٢/ ٤٨)، عن ابن إسحاق بلاغًا بدون إسناد.

(٢) **ضعيف جدًّا**. أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" من حديث أبي أمامة (٨٠٢٧)، وفي سنده: فضَّال ابن جبير، وهو شديد الضعف.

(٣) أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٧٥)، عن سعيد بن المسيب موقوفًا عليه، وفيه أنه يقول هذا الذكر مساءً. والشارح ذكر هذه الثلاثة الأحاديث؛ لأن النبي ﷺ استعاذ بوجه الله، وهذا خلاف السؤال بوجه الله الجنة؛ فهو يريد أن يدلل على أنه قد دُعي بوجه الله غير الجنة، فخالفت الترجمة، فأراد الشارح أن يجمع بينها، لكن هذه الأحاديث الثلاثة كلها ضعيفة، وهناك أحاديث أخرى صحيحة، منها: حديث دخول المسجد: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»، رواه أبو داود (٤٦٦)، وغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. ومنها: حديث نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام:٦٥]، قال: «**هذا أهون**»، رواه البخاري (٤٦٢٨) عن جابر رضي الله عنه، وعلى هذا فيجوز الاستعاذة بوجه الله، ومن باب الأدب لا يُذكر وجه الله إلا في أمور جليلة عظيمة، وإن كان حديث الباب ضعيفًا، لكن هذا من حيث المعنى.

من النار وما يقرب إليها من قول وعمل»،[(١)] بخلاف ما يختص بالدنيا، كسؤاله المال، والرزق، والسعة في المعيشة؛ رغبةً في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة، فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله، وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث كما لا يخفى، والله أعلم.

وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى؛ فإنه صفة كمال، وسلبه غاية النقص، والتشبيه بالناقصات كسلبهم جميع الصفات أو بعضها، فوقعوا في أعظم مما فروا منه، تعالى الله عما [يقول الظالمون الجاحدون][(٢)] عُلُوًّا كبيرًا.

وطريقة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا: الإيمان بما وصف اللهُ به نفسه في كتابه، ووصفه به رسولُه ﷺ في سنته، على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ، وينفون عنه مشابهة المخلوق، فكما أنَّ ذات الرب تعالى لا تشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها فقد سلبه الكمال.

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثباتُ صِفة الوجه.

---

(١) **صحيح**. أخرجه أحمد (٦/ ١٣٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٣-٢٦٤)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، والطحاوي في "شرح المشكل" (٦٠٢٦) (٦٠٢٥)، وأبو يعلىٰ (٤٤٧٣)، والحاكم (١/ ٥٢١)، من طرق عن حماد بن سلمة، عن جبر بن حبيب، عن أم كلثوم بنت أبي بكر، عن عائشة به مطولًا في ضمن دعاء طويل علَّمه النبي ﷺ أن تدعوَ به. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(٢) ساقط من [أ].

٥٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ(لَو)

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ(لَوْ)

ش/ أي: من النهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر؛ لما فيه من الإشعار بعدم الصبر، والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة، وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره، والإيمان بالقدر أصلٌ من أصول الإيمان الستة.

وأدخل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أداة التعريف على (لو)، وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفًا كنظائرها؛ لأن المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا بأعباء الخلافة كاهله[1]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا**﴾ [آل عمران:١٥٤].

ش/ قاله بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله ابن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا، أرسل اللهُ علينا النوم، فما مِنَّا رجلٌ إلا ذِقْنُه في صدره، قال: فوالله، إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز و جل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ لقول معتب. رواه ابن أبي

(١) الشطر الثاني زيادة من المطبوع.

حاتم[(١)]، قال الله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، أي: هذا قَدَرٌ مُقَدَّرٌ من الله عزوجل، وحكم حتم لازم لا محيد عنه، ولا مَنَاص منه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالىٰ: **﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾** [آل عمران:١٦٨].

ش/ [قال العماد ابن كثير: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾][(٢)]، أي: لو سمعوا مشاورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قُتلوا مع من قُتل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨]، أي: إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت؛ فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لابد آتٍ إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد عن جابر ابن عبدالله: نزلت هذه الآيةُ في عبدالله ابن أُبي[(٣)] يعني أنه هو الذي قال ذلك، وأخرج البيهقي عن أنس، أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. قال: والطائفة الأخرى -المنافقون- ليس لها هَمٌّ إلا أنفسهم، أجبن قوم، وأرعبه، وأخذله للحق: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ إنما هم أهل ريب، وشك بالله عزوجل.[(٤)]

---

(١) **حسن**. أخرجه ابنُ أبي حاتم (٣/ ٧٩٥)، وكذلك ابن جرير (٦/ ١٦٨)، وابن المنذر (١٠٩١)، وأبو نعيم في "الدلائل" (٤٢٣)، والبيهقي في "الدلائل" (٣/ ٢٧٣)، من طُرُقٍ عن محمد بن إسحاق به، ورجاله ثقات إلا ابن إسحاق؛ فهو حسن الحديث، وقد صرَّح بالتحديث؛ فالحديث حسن، وقد حسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند من أسباب النزول".

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

(٣) **ضعيف**. أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٢٧)، من طريق: حسين بن داود الملقَّب بـ(سُنيد)، عن حجَّاج، عن ابن جريج به، وهذا إسناد ضعيفٌ؛ لضعف سُنيد، وعنعنة ابن جريج.

(٤) أخرجه البيهقي في "الدلائل" (٣/ ٢٧٣-٢٧٤)، وكذلك ابن حبان (٧١٨٠)، كلاهما من طريق: يونس بن محمد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس به، وحصل من مطبوع "الدلائل" سقطٌ من=

قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾.

يعني لا يغشاهم النعاس من القلق، والجزع، والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله -لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبي في غزوة أحد- قال: فلما انخذل يوم أحد، وقال: يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان. أو كما قال، انخذل معه خلقٌ كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك، فأولئك كانوا مسلمين، وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق؛ ماتوا على الإسلام، ولم يكونوا [من المؤمنين][1] حقًّا الذين امتحنوا فثبتوا ، ولا من المنافقين حقًّا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة، وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتُلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان، ينقص إيمانهم كثيرًا، [وينافق كثير][2] منهم، ومنهم من يُظْهِر الردة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا من هذا، ورأى غيرُنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم؛ كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكن إيمان لا يثبت على المحنة؛ ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض، وانتهاك

= الإسناد، واستدركناه من "تفسير ابن كثير" (٣/ ٢٢٨)، وإسناده ظاهره الصحة، ولكن يظهر أنَّ قوله: (والطائفة الأخرىٰ... إلخ) مدرجٌ من بعض الرواة؛ فإنَّ الحديث قد أخرجه أحمد (٤/ ٢٩)، من طريق: يونس به، بدون الزيادة، وأخرجه البخاري (٤٥٦٢)، من طريق: شيبان، بدون هذه الزيادة.

❁ وأخرجه البخاري (٤٠٦٨)، والترمذي (٣٠٠٨)، والطبري (٦/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم (٤٣٥٩)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٠٨٠) (١١١٩٨) (١١١٩٩)، والطبراني (٤٦٩٩) (٤٧٠٠)، من طُرُقٍ عن قتادة بدون الزيادة، ويؤيد ذلك أنَّ هذه المقالة رويت عن قتادة من قوله، أخرجه ابن جرير (٦/ ١٦٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٤)، وابن المنذر (١٠٨٩) (١٠٩٠)، من طرق عن سعيد، عن قتادة به.

(١) في [أ]: مؤمنين.

(٢) ساقط من [ب].

المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا، فقيل لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]، أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًّا؛ فإنَّ هذا هو الإيمان إذا أُطلق في كتاب الله تعالى، كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم رَيْبٌ عند المحن التي تقلقل [الإيمان من القلوب][1]. انتهى.[2]

قوله: وقد رأينا من هذا وغيرنا ما فيه عبرة.

قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدوَّ على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجد في إطفاء نور الإسلام وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره، والله المستعان.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: في "الصحيح" عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلاَ تَعْجِزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنني فَعَلْتُ كذا؛ لكَاَن كذا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشّيْطَانِ**».[3]

ش/ قوله: في "الصحيح"، أي: "صحيح مسلم".

اختصر المصنفُ رَحِمَهُ اللهُ هذا الحديث، وتمامه عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص علىٰ ما ينفعك**»، أي: في معاشك ومعادك، والمراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دُنياه وأُخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة، والمستحبة، والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السببَ مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه؛ ليتم له سببه، وينفعه، فيكون اعتماده

---

(١) في [ب]: في القلوب.

(٢) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٢٨٠-٢٨١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

على الله تعالى في ذلك؛ لأنه تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى، ففعل السبب سُنَّة، والتوكل على الله توحيد، فإذا جمع بينهما؛ تم له مراده [بإذن الله].[١]

قولُهُ: «ولا تعجزن».

النون نون التأكيد الخفيفة، نهاه ﷺ عن العجز وَذَمَّه، والعجز مذموم شرعًا وعقلًا، وفي الحديث: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنىٰ علىٰ الله الأماني**»،[٢] فأرشده ﷺ في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره أن لا يقول: (لو أني فعلت كذا؛ لكان كذا وكذا) ولكن يقول: (قدر الله وما شاء فعل)، أي: هذا قدر الله، والواجب التسليم للقدر، والرضى به، واحتساب الثواب [عليه].[٣]

قولُهُ: «فإن لو تفتح عمل الشيطان».

أي: لما فيها من التأسف على ما فات، والتحسر، ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضى، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.[٤]

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، وابن المبارك في "الزهد" (١٧١)، والطيالسي (١١١٢)، والطبراني (٧١٤٣)، والحاكم (١/ ٥٧) (٤/ ٢٥١) من حديث شداد بن أوس ﷺ، وإسناده ضعيف، فيه: أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف، وله شواهد شديدة الضعف لا تصلح للتقوية، وقد ضعفه العلامة الألباني ﷺ في "الضعيفة" (٥٣١٩).

(٣) ساقط من [أ].

(٤) تقدم تخريجه في الباب رقم (٣٤)، وهو أثرٌ ثابت.

وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن.[(١)]

قال شيخ الإسلام -وذكر حديث الباب بتمامه، ثم قال في معناه-: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع عن مقدور، ومن الناس من يجمع كِلا الشرين، فأمر النبي ﷺ بالحرص على النافع، والاستعانة بالله، والأمر [يقتضي][(٢)] الوجوب، وإلا فالاستحباب[(٣)]، ونهى عن العجز، وقال: «**إن الله يلوم علىٰ العجز**»،[(٤)] والعاجز ضد الذين هم ينتصرون، فالأمر بالصبر، والنهي عن الجزع مأمورٌ به في مواضع كثيرة؛ وذلك لأن الإنسان بين أمرين:

أَمْرٌ أُمِرَ بفعله، فعليه أن يفعله، ويحرص عليه، ويستعين اللهَ، ولا يعجز، وَأَمْرٌ أُصِيب به من غير فعله، فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه؛ ولهذا قال بعض العقلاء -ابن المقفع أو غيره- الأمور أمران: أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه. وهذا في جميع الأمور، لكن عند المؤمن: الذي فيه حيلة هو ما أمر الله به وأحبه له؛ فإنَّ اللهَ لم يأمره إلا بما فيه حيلة له؛ إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وقد أمره بكل خير له فيه حيلة، وما لا حيلة فيه هو ما أصيب به من غير فعله، واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين: فالأفعال مثل [قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، ومثل][(٥)] قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ

---

(١) نقله عنه ابن القيم رحمه الله في "المدارج" (٢/ ١٥٢).

(٢) في [ب]: مقتضي.

(٣) في [ب] زيادة في الحاشية: (هذا لورود الأمر عليهما).

(٤) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (٣٦٢٧)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٦٢٦)، وأحمد (٦/ ٢٥)، والبزار (٢٧٤٩)، والطبراني في "الكبير" (١٨/ ٩٧)، وابن السُّنِّي في "عمل اليوم والليلة" (٣٥٠)، والبيهقي (١٠/ ١٨١)، من طرق عن خالد بن معدان، عن سيف، عن عوف بن مالك رضي الله عنه به في ضمن حديث طويل، وإسناده ضعيف؛ لجهالة سيف الراوي عن عوف.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من [ب].

فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]، ومثل قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:٨١] إلى آيات كثيرة من هذا الجنس، والله أعلم.(١)

والقسم الثاني: ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[النساء:٧٩]، والآية قبلها فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم. والسيئة: المصائب. هذا هو الثاني من القسمين.

وأظن شيخ الإسلام ذكره في هذا الموضع [كغيره](٢)، ولعل الناسخ أسقطه، والله أعلم.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: فإن الإنسان ليس مأمورًا أنْ ينظر إلى القدر عندما يُؤمر به من الأفعال، ولكن عندما يجري عليه المصائب التي لا حيلة له في دفعها، فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم؛ فاصبر عليه، وارضَ وَسَلِّمْ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن:١١]؛ ولهذا قال آدم لموسى: أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى(٣)؛ لأن موسى قال له: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذنبًا،(٤) وأما كونها

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٣٨-٣٩).

(٢) ساقط من [أ].

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٤٠٩)، ومسلم برقم (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، في ضمن حديث طويل.

(٤) هذا هو أرجح الأقوال في تفسير الحديث: أنه لم يلمه علىٰ الذنب نفسه، وقد تاب منه آدم عليه الصلاة والسلام، لكن لامه علىٰ المصيبة، وهذه المصيبة من فعل الله، قدَّرها الله أزلًا أنه سيخرج من الجنة، فلما توجه اللوم علىٰ المصيبة كانت الحجة لآدم؛ لأن المصيبة لا يُلام عليها، وإنما يُلام علىٰ المعاصي، وحتىٰ المعاصي لا ينبغي أن يُلام عليها الإنسان بعد التوبة منها، وقد نص الله تعالىٰ علىٰ =

لأجل الذنب -كما يظنه طوائف من الناس-؛ فليس مرادًا بالحديث؛ فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس. انتهى.[(١)]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فتضمن هذا الحديث الشريف أصولًا عظيمة من أصول الإيمان، **أحدها:** أن الله سبحانه موصوف بالمحبة، وأنه يحب حقيقة. **الثاني:** أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته، وما يوافقها؛ فهو القوي، ويحب المؤمن القوي، وهو وتر [ويحب الوتر][(٢)]، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين. ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض. ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص؛ كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا، وأن يكون حرصه على ما ينتفع به؛ فإن حرص على ما لا ينفعه، أو فعل ما ينفعه بغير حرص؛ فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع، ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه؛ أمره أن يستعين

= توبة آدم عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:١٢٢]، والأقوال كثيرة في تفسير هذا الحديث، لكن أرجحها هذا الذي اختاره شيخ الإسلام، وتبعه علىٰ ذلك ابن القيم رحمة الله عليهما، وهو أنه لامه علىٰ المصيبة، وهذا الشيء ليس بيده، وإنما قدره اللهُ عليه، ولا يصح أن يحتج بهذا الحديث علىٰ عدم اللوم علىٰ المعصية؛ فلا يجوز لعاصٍ أن يعصي الله ثم يحتج بالقدر علىٰ المعصية، فقول آدم ﷺ: «...**أمرٌ قدره الله عليَّ**»، ليس مقصوده الأكل من الشجرة، وإنما مقصوده الخروج من الجنة، هذه هي المصيبة. انظر "شفاء العليل" (ص٢٦-٣٢).

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٨/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) ساقط من [ب].

بالله؛ ليجتمع له مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ﴾؛ فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله تعالى، ولا يتم إلا بمعونته، فأمره أن يعبده، وأن يستعين به، فالحريص على ما ينفعه، المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه، مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه [ومردها][(١)] إليه؛ فإنْ فاته ما لم يقدر له فله حالتان: عجز، وهو مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى (لو)، ولا فائدة في (لو) ههنا، بل هي مفتاح اللوم، والعجز، والسخط، والأسف، والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح، وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر، وملاحظته، وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحدٌ، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإن انتفت؛ امتنع وجوده؛ ولهذا قال: «**فإن غلبك أمر فلا تقل: لو أني فعلت كذا؛ لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**»، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول المطلوب. وحالة فواته؛ فلهذا كان [هذا][(٢)] الحديث مما لا يَستغني عنه العبد أبدًا، بل هو أشد ضرورة [إليه][(٣)]، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب، والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالة حصول المطلوب وعدمه، وبالله التوفيق.انتهى.[(٤)]

---

(١) في المخطوطتين: (وموردها)، والمثبت أقرب.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) ساقط من [أ].

(٤) من "شفاء العليل" (ص٣٣-٣٤) ط/ دار الكتب العلمية.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول (لو) إذا أصابك شيءٌ.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلىٰ الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص علىٰ ما ينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

٥٧- بَابٌ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَابٌ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عن أُبَيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**» صححه الترمذي.[(١)]

ش/ قوله: باب النهي عن سب الريح.

لأنها إنما تهب عن إيجاد الله تعالى، وخلقه لها، وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبتها مسبة للفاعل، وهو (اللهُ سبحانه) كما تقدم في النهي عن سب الدهر، وهذا يشبهه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه، وبما شرعه لعباده، فنهى ﷺ أهلَ الإيمان عما يقوله أهلُ الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يُقال عند هبوب الرياح، فقال: «**إذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم، إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها**» يعني إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت، فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد، وقولوا: «**اللهم، إنا**

---

(١) **صحيح**. أخرجه الترمذي (٢٢٥٢)، وكذلك النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٩٣٤)، وعبدالله بن الإمام أحمد في "الزوائد" (٥/ ١٢٣)، والطحاوي في "شرح المشكل" (٩١٨)، وابن السني (٢٩٨)، من طرق عن محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ذر بن عبدالله، عن سعيد ابن عبدالرحمن بن أبي أبزىٰ، عن أبيه، عن أبي بن كعب، وهذا إسناد صحيح، وقد صححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند" رقم (٦)، والعلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيحة" (٢٧٥٦)، وسب الريح حكمُه حكم سب الدهر، فهي من الأمور التي يسير الله بها بعض الأمور، فهذا الباب يعتبر جزءًا من ذلك الباب –سب الدهر– لكن إفراده له لعله بسبب أنه يحصل أكثر من غيره، وسب الريح قد يصل إلىٰ الكفر، وذلك إذا نسب الفعل إلىٰ الريح، أو قصد بسبها سب فاعلها، وخالقها، وهو الله جل وعلا، وإلا فهو محرم.

نسألك خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به»، ففي هذا عبودية لله، وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلىٰ الكلام النافع إذا رأىٰ الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلىٰ أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

٥٨- بَابٌ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَابٌ قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿**يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ الله مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَالله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[آل عمران:١٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿**الظَّانِينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[الفتح:٦].

ش/ قوله: باب قول الله تعالى: ﴿**يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ**﴾ الآية.

هذه الآية ذكرها الله في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾، يعني أهل الإيمان، والثبات، والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله ﷺ، وينجز له مأمولَه؛ ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، يعني لا يغشاهم النعاس من القلق، والجزع، والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح:١٢].

وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة؛ تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

عن ابن جريج قال: قيل لعبد الله بن أبي: قتل بنو الخزرج اليوم؟ قال: وهل لنا من الأمر من شيء؟[(١)]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد: وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسولَه، وأن أمره سيضمحل، [وأنه يسلمه للقتل][(٢)]، وفُسِّر بظنهم أنَّ ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره، ولا حكمة له فيه، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ، ويظهره على الدين كله، هذا هو الظن السوء [الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِالله ظَنَّ السَّوْءِ][(٣)] عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦]، وإنما كان هذا [هو][(٤)] ظن السوء وظن الجاهلية، وهو المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده، وتفرده بالإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظن به أنه لا ينصر رسله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده، ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم [ويظهرهم][(٥)]، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، [والباطل على الحق][(٦)] إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا؛ فقد

---

(١) **ضعيف**. أخرجه ابن جرير في "تفسيره" [آية:١٥٤] من سورة آل عمران، وهو مُعضل؛ لأن ابن جريج لم يسمع من أحدٍ من الصحابة، وفيه: الحسين بن داود الملقب بـ(سُنيد)، وهو ضعيف.

(٢) إضافة من "الزاد".

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطتين، ومثبت من "الزاد".

(٤) ساقط من [ب].

(٥) ساقط من [أ].

(٦) إضافة من "الزاد".

ظن [به][(١)] السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله وكماله، وصفاته ونعوته؛ فإنَّ حمده وعزته [وحكمته][(٢)] وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به، فمن ظن به ذلك؛ [فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته وكماله.

وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره][(٣)]؛ فما عرفه، ولاعرف ربوبيته، وملكه، وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قَدَّرَ ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة، وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواتها، وأن تلك الأسباب المكروهة المقتضية لها لا يخرج تقديرها عن الحكمة؛ لإفضائها إلى ما يحب، وإن كانت مكروهة له، فما قدرها سدًى، ولا شاءها عبثًا، ولا خلقها باطلًا: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسمائه وصفاته، وموجَبَ حكمته وحمده، فمن قنط من رحمته، وأيس من رَوْحه؛ فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويسوي بينهم وبين أعدائه؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل إليهم كتبه، بل يتركهم هَمَلًا كالأنعام؛ [فقد ظن به ظن السوء][(٤)]، ومن ظن أنه لن

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) إضافة من "الزاد".

(٣) إضافة من "الزاد".

(٤) إضافة من "الزاد".

يجمعهم بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يُجَازِي المحسن فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه [وصدق][(١)] رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقب بما لا صنع له فيه، ولا اختيار له، ولا قدرة، ولا إرادة له في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه [به][(٢)]، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله، ويجريها على أيديهم؛ ليُضِلُّوا بها عباده، وأنه يحسن منه كل شيء حتى يعذب من أفنى عمره في طاعته، فيخلده في الجحيم في أسفل السافلين، وينعم من استنفد عمره في عداوته، وعداوة رسله ودينه، فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن عنده سواء، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل، وتشبيه، وتمثيل، وترك الحق؛ لم يخبر به، وإنما رمز إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشارات مُلْغِز، ولم يصرح به، وصرح دائمًا بالتشبيه، والتمثيل، والباطل، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم، وقواهم، وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة، والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم ألا يحملوا كلامه على ما يعرفونه من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق

---

(١) ساقط من [ب].
(٢) ساقط من [ب].

الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في الاعتقاد الباطل، فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان؛ فقد ظن به ظن السوء؛ فإنه إن قال: إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه؛ فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال: إنه قادر، ولم يبين، وعدل عن البيان، وعن التصريح بالحق إلى ما يوهم، بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد؛ فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء.

ومن ظن أنه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم، وأما كلام الله [فإنما][1] يؤخذ من ظاهره التشبيه، والتمثيل، والضلال، وظاهر كلام المتهوكين والحيارى هو الهدى والحق؛ فهذا من سوء الظن بالله.

فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية، [ومن][2] ظن به أنه يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه كان مُعَطَّلًا من الأزل إلى الأبد عن أن يفعل، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل، ثم صار قادرًا عليه بعد أن لم يكن قادرًا؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه لا يسمع ولا يبصر، ولا يعلم الموجودات ولا عدد السموات، ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم ولا إرادة، ولا كلام يقوم به، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق، ولا يتكلم أبدًا، ولا قال ولا يقول، ولا له أمر ولا نهي يقوم به؛ فقد

---

(١) في [ب]: فإنَّه.

(٢) ساقط من [ب].

ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وإلى الأمكنة التي يرغب عن ذكرها، وأنه أسفل كما أنه أعلى، وأنَّ من قال: (سبحان ربي الأسفل) كان كمن قال: (سبحان ربي الأعلى)؛ فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان، ويحب الفساد كما يحب الإيمان، والبر والطاعة والإصلاح؛ فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أنه لا يحب، ولا يرضى، ولا يغضب، ولا يسخط، ولا يوالي، ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد، وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يسوي بين المتضادين، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الآبدين بتلك الكبيرة، ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده في العذاب كما يخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفد ساعات عمره في مساخطه، ومعاداة رسله ودينه؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أن له ولدًا، أو شريكًا، أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه، أو أنَّ بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم، ويخافونهم، ويرجونهم؛ فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته كما ينال بطاعته والتقرب إليه؛ فقد ظن

به خلاف حكمته، وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء، ومن ظن به أنه إذا ترك شيئًا لأجله لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه؛ فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أنه يغضب على عبده، ويعاقبه، ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرع إليه، وسأله، واستعان به، وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله؛ فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله، ومن ظن به أنه يثيبه إذا عصاه كما يثيبه إذا أطاعه وسأله ذلك في دعائه؛ فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه، وأوضع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه أولياء، ودعا من دونه ملكًا أو بشرًا حيًّا أو ميتًا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه، ويخلصه من عذابه؛ [فقد ظن به ظن السوء].[1]

فأكثر الخلق، بل كلهم -إلا من شاء الله- يظنون بالله غير الحق وظن السوء؛ فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما شاء الله وأعطاه، ولسان حاله يقول: (ظلمني ربي ومنعني ما أستحقه)، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة طواياها رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر، وملامة له، واقتراحًا له، خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيا

---

(١) ساقط من [ب].

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره في كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم؛ فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فَـلا تَظْـنُنْ بِرَبِّـكَ ظَـنّ سَـوْءٍ ... فَـإِنَّ اللهَ أَوْلَـىٰ بِالجَمِيـلِ

وَلا تَظْـنُنْ بِنَفْسِـكَ قَـطُّ خَيْـرًا ... وَكَيْـفَ بِظَـالِمٍ جَـانٍ جَهُـولِ

وَقُـلْ يَـا نَفْـسُ مَـأْوَىٰ كُـلِّ سُـوءٍ ... أَتَرْجِـي الخَيْـرَ مِـنْ مَيْـتٍ بَخيـلِ

وظُـنَّ بِنَفْسِـكَ السُّـوآىٰ تَجِـدْهَا ... كَـذَاكَ وخَيْرُهَـا كَالمُسْـتَحِيلِ

وَمَـا بِـكَ مِـنْ تُقًـى فِيهَـا وَخَيْـرٍ ... فَتِلْـكَ مَوَاهِـبُ الـرَّبِّ الجَلِيـلِ

وَلَـيْسَ لَهَـا وَلاَ مِنْهَـا وَلَكِـنْ ... مِـنَ الـرَّحْمن فَاشْـكُرْ لِلـدَّلِيلِ[1]

قوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾.

قال ابن جرير في "تفسيره": ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، وأن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع، يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء، يعني دائرة العذاب تدور عليهم به.

واختلفت القَرَأَةُ في قراءة ذلك، فقرأته عامةُ قراء الكوفة دائرة السَّوء بفتح السين،

(١) انتهىٰ من "زاد المعاد" (٣/ ٢٢٨-٢٣٦).

وقرأ بعض قراء البصرة دائرة السُّوء بضم السين، وكان الفراء يقول: الفتح أفشى في السين، وقل ما تقول العرب دائرة السُّوء بضم السين.

قولُهُ: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾.

يقول: ونالهم بغضب منه، ﴿وَلَعَنَهُم﴾، يقول: وأبعدهم فأقصاهم من رحمته، ﴿وَأَعَدَّ لَهُم جَهَنَّمَ﴾ يصلونها يوم القيامة، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيْرًا﴾ يقول: وساءت جهنم منزلًا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات.[(١)]

وقال العماد ابن كثير: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾، أي: يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾، وذكر في معنى الآية الأخرى نحوًا مما ذكره ابن جرير رحمهما الله تعالى.

قولُهُ: قال ابن القيم رحمه الله تعالى.

الذي ذكره المصنف في المتن قدمته؛ لاندراجه في كلامه الذي سقته من أوله إلى آخره.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات، ومن عرف نفسه.

---

(١) انتهىٰ من "تفسير ابن جرير" سورة الفتح [آية:٦].

٥٩- بَاب مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب ما جاء في منكري القدر

ش/ أي: من الوعيد الشديد، ونحو ذلك.

أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[1].

وعن عمر مولى غُفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة -وهو ابن اليمان- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر. من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعة الدجال، وَحَقٌّ علىٰ الله أن يلحقهم بالدجال**»[2].

---

(١) **الراجح وقفه**. أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، وكذلك الحاكم (١/ ٨٥)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٣)، من طريق: عبدالعزيز بن أبي حازم به، وإسناده ضعيف؛ لأنه منقطع؛ فإنَّ أبا حازم لم يسمع من أحد من الصحابة غير سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد وُجد في أسانيده اختلاف، وصحَّ عن ابن عمر موقوفًا من غير وجه كما في "العلل" للدارقطني (١٣/ ١٠٢).

(٢) **حسن بشواهده**. أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وأحمد (٥/ ٤٠٧)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٢٩)، وعبدالله بن أحمد في "السنة" (٩٥٩)، والطيالسي (٤٣٤)، واللالكائي (١١٥٥). وإسناده ضعيف، فيه الراوي عن حذيفة رجلٌ مبهم، وعمر مولىٰ غفرة فيه ضعف، وقد رواه عمر مولىٰ غفرة في طريق أخرىٰ عند أحمد (٢/ ٨٦)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٣٩، عن ابن عمر مباشرة.

❁ وله وجهٌ آخر كما في "العلل" للدارقطني (١٣/ ١٠٢)، وقد وجد خلافٌ في الإسناد.

❁ والحديث له شاهد من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٩٢)، وابن أبي عاصم (٣٢٨)، والفريابي (٢١٩)، والآجري (ص١٩٠-١٩١)، وفيه ثلاثة من المدلسين كلهم عنعنوا، وهم:

١) بقية بن الوليد. ٢) ابن جريج. ٣) أبو الزبير.

=

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لَوْ كانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ثم أَنْفَقَهُ في سبيل الله مَا قَبِلَهُ الله مِنْهُ، حَتّىٰ يُؤْمِنَ بالقَدَرِ، ثم استدلَّ بقول النبي ﷺ «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بالله وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». رواه مسلم.

ش/ حديث ابن عمر أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا، وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّيْنِ أو معتمرين، فقلنا: لو لَقِيْنَا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوفق الله لنا عبد الله بن عمر داخلًا في المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، يزعمون أنْ لا قدر،

= ❁ والحديث له شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٤٢١٧): حدثنا علي بن عبدالله الفرغاني، حدثنا هارون بن موسىٰ الفروي، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، عن حميد، عن أنس به. وهذا إسناد حسن لولا عنعنة حميد، وقد جزم بعض الحفاظ بأن حميدًا روىٰ أحاديث أنس التي لم يسمعها منه بواسطة ثابت، وقتادة، وهذه أحسن طرق الحديث فيما اطلعت عليه، ثم رأيت الإمام أحمد قد خالف هارون بن موسىٰ الفروي؛ فرواه في مسنده (٥٥٨٤) عن أنس بن عياض عن عمر مولىٰ غفرة، عن ابن عمر به.

❁ وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الفريابي (٢٣٢) (٢٣٣)، من طريق مكحول، عن أبي هريرة، ولم يسمع منه، والراوي عن مكحول: سليمان التيمي، رواه مرة عن مكحول مباشرة، ومرة بواسطة رجل مبهم.

فالحديث بهذه الطرق مع الموقوف عن ابن عمر يرتقي إلىٰ الحُسن، وللحديث طرق أخرىٰ واهية، وقد ذكرت أحسن طرق الحديث، وبالله التوفيق، لكن زيادة: «**وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقوا بالدجال**» ليس لها شواهد، وسُمُّوا مجوسًا؛ لأنهم أثبتوا خالِقَين: خالقًا للظلمة، وخالقًا للنور، والقدرية أثبتوا خالِقِين مع الله، فجعلوا العباد يخلقون أفعال أنفسهم ليس لله فيها مشيئة، ولا خلقٌ، ولا قدرة، هذا هو وجه الشبه بينهم وبين المجوس.

والأمر أُنُف. فقال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أنَّ لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه؛ ما قبله اللهُ منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، قال فانطلق، فلبثت ثلاثًا -وفي رواية مسلم: مَلِيًّا- ثم قال: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[(١)].

ففي هذا الحديث: أنَّ الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ فقد ترك أصلًا من أصول الإيمان وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥] الآية.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٨/ ٩٧)، وابن ماجه (٦٣).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال لابنه: يا بُنَيِّ إنك لن تَجدَ طَعْمَ الإيمان، حتىٰ تَعْلَم أنَّ ما أصابَك لم يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أخطأك لم يكن ليصيبَك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»، يا بُنَيَّ! سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا، فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)].

وفي روايةٍ لأحمد: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[(٢)].

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ**»[(٣)].

ش/ قوله: وعن عبادة.

قد تقدم ذكره في [باب فضل التوحيد]، وحديثه هذا رواه أبو داود، ورواه الإمام أحمد

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والبيهقي من طريقه في "الكبرىٰ" (١٠/ ٢٠٤)، والطبراني في "مسند الشاميين" (٥٩)، وأبو نعيم في "الحلية" (٥/ ٢٤٨)، كلهم من طريق: يحيىٰ بن حسان، عن رباح بن الوليد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة به، وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة حال أبي حفصة، واسمه: حبيش بن شريح، وقد خولف يحيىٰ بن حسان، خالفه: مروان بن محمد الطاطري، كما في "مسند الشاميين" (٥٨)، فرواه عن رباح بن الوليد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي يزيد الأزدي، عن عبادة، وهذا إسناد ضعيف أيضًا؛ لجهالة أبي يزيد الأردني -كذا في "تهذيب الكمال" ووقع في سند الطبراني: الأزدي، وهو خطأ- والحديث صحيح بطرقه الآتية.

(٢) سيأتي تخريجه حيث ذكره الشارح بتمامه.

(٣) **حسن**. أخرجه ابن وهب في كتابه "القدر" رقم (٢٦)، وهو من طريق: الأعمش، عن عبادة بن الصامت، ولم يسمع الأعمش من أحدٍ من الصحابة.

❁ وله طريق أخرىٰ بمعناه ولفظه: «**القدر على هذا، من مات على غير هذا؛ أدخله اللهُ النار**» عند ابن أبي عاصم (١١١)، والآجري (ص١٨٦)، والفريابي (٧٥)، وفيه: عثمان بن أبي عاتكة، ضعيفٌ، والوليد بن مسلم، لكنه قد صرح بالتحديث؛ فلا بأس بتحسين هذا اللفظ بالطريقين؛ لأن المعنىٰ واحد.

بكماله: قال حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا ليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، ثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه، وكيف أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**» يا بني، إنْ مت ولست على ذلك دخلت النار.[1]

ورواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة عن أبيه، وقال: حسن صحيح غريب.[2]

---

(١) **صحيح بطرقه**. أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١١٤)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠٧)، والآجري في "الشريعة" (ص٨٣-)، و(ص١٧٧-١٧٨)، والطبراني في "مستدرك الشاميين" (١٩٤٩)، من طرق عن معاوية بن صالح، عن أيوب بن زياد، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن عبادة بن الصامت به، وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة حال أيوب بن زياد، ولكن الحديث صحيح بطرقه التي قبله، والتي بعده.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٥٥) (٣٣١٩)، وهو كذلك عند الطيالسي (٥٧٧)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠٥)، من طريق: عبدالواحد بن سليم، عن عطاء به، وإسناده ضعيف؛ لضعف عبدالواحد، ولكنه قد توبع، فقد تابعه عبدالله بن السائب الكندي، وهو ثقة.

❁ وأخرجه الفريابي في "القدر" (٤٢٥)، ومن طريق الآجري في "الشريعة" (ص٢١١)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠٤)، من طريق: محمد بن المصفىٰ، حدثنا بقية، حدثني معاوية بن سعيد، حدثني عبدالله بن السائب، عن عطاء بن أبي رباح به. وهذا إسناد حسن بنفسه؛ فإنَّ معاوية بن سعيد هو المصري، روىٰ عنه جمع من الثقات، ووثقه ابن حبان؛ فهو حسن الحديث، وبقية رجاله معروفون، وقد صرح بقية بالتحديث، وكذلك محمد بن المصفىٰ عند الفريابي، والآجري.

❁ وللحديث طريق أخرىٰ عند أحمد (٥/ ٣١٧)، من طريق: ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبادة، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف ابن لهيعة؛ فالحديث صحيح بطرقه.

وفي هذا الحديث ونحوه: بيانُ شمول علم الله تعالى وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى -لما سُئل عن القدر- قال: القدر قدرة الرحمن.[١] واستحسن هذا ابن عقيل من أحمد رحمه الله تعالى.[٢]

والمعنى: أنه لا يمتنع عن قدرة الله شيء، ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى؛ فَضَلُّوا عن سواء السبيل.

وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم؛ فإنْ أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: والناسُ في باب خلْق الرب وأمره، وَلِمَ فعل ذلك؟ على طرفين ووسط: فالقدرية من المعتزلة وغيرهم قصدوا تعظيم الرب تعالى بتنزيهه عما ظنوه قُبحًا من الأفعال وظلمًا؛ فأنكروا عموم قدرته ومشيئته، ولم يجعلوه خالقًا لكل شيء، ولا أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، بل قالوا: يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، ثم إنهم وضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه ويحرم بالقياس على أنفسهم، وتكلموا في التقدير والتجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبهوا فيه الخالق بالمخلوق، فضلوا وأضلوا.

---

(١) نقله عنه ابن هانئ في "مسائله" رقم (١٨٦٨).

(٢) انظر: "شفاء العليل" (ص٥٣) دار الكتب العلمية.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وفي "المسند" و"السنن" عن ابنِ الدّيْلَمِيّ، قال: أتَيْتُ أُبَيّ بنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدّثْنِي بِشَيء لَعَلّ الله يُذْهِبَهُ مَنْ قَلْبِي، فقَالَ: لَوْ أَنْفقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتّىٰ تُؤْمِنَ بالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أنّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النّارَ، قال: فأتَيْتُ عَبْدَ الله ابنَ مَسْعُودٍ وحُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، وزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ.[1]

حديث صحيح رواه الحاكم في "صحيحه".

ش/ قوله: وفي "المسند" و"سنن أبي داود" عن ابن الديلمي.

وهو أبو بسر -بالسين المهملة وبالباء المضمومة- ويقال: أبو بشر -بالشين المعجمة وكسر الباء ـ وبعضهم صحح الأول، واسمه عبد الله بن فيروز.

ولفظ أبي داود قال: لو أنَّ اللهَ عذب أهل سمواته وأهل أرضه؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم؛ كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا؛ لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود

(١) **حسن**. أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٥/ ١٨٢، ١٨٥)، وعبد بن حميد (٢٤٧)، وعبدالله بن أحمد في "السنة" (٨٤٤)، وابن حبان (٧٢٧)، والطبراني (٤٩٤٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢٤٥)، واللالكائي (١٠٩٢) (١٠٩٣)، كلهم من طريق: أبي سنان سعيد بن سنان، عن وهب بن خالد، عن ابن الديلمي به، وإسناده حسن، وقد حسنه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" (٣٥٠)، وأبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان لم يرفعوه، ولكن زيد بن ثابت رفعه، وكلام المصنف يوهم أنهم رفعوه جميعًا؛ لأنه قال: قال: فأتيت عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ، والواقع كما في مصادر الأحاديث أن الذي رفعه هو زيد بن ثابت فقط، وأما قول المصنف في المتن (رواه الحاكم في صحيحه)؛ فهو غير موجود في "المستدرك"؛ فالحديث حسن عن زيد بن ثابت، موقوف علىٰ الآخرين.

ﷺ، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان ﷺ، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابن ماجه.

وقال العماد ابن كثير: عن سفيان، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتىٰ يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره**»، وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل، عن شعبة، عن منصور به.

ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن ربعي، عن علي فذكره.[(١)]

وقد ثبت في "صحيح مسلم" من رواية عبد الله بن وهب وغيره، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن [عمرو][(٢)] ﷺ، قال: قال رسول الله

---

(١) أخرجه أحمد (١١١٢)، وعبد بن حميد (٧٥)، والبغوي (٦٦)، والحاكم (١/ ٣٣)، من طرق عن سفيان الثوري بإسناده السابق.

❁ وأخرجه ابن حبان (١٧٨)، والحاكم (١/ ٣٢-٣٣)، من طريقين عن سفيان بإسناده السابق بدون ذكر الرجل المبهم، والرواية الأولىٰ أرجح، فقد رواها كذلك وكيع، وأبو نعيم، وأبو حذيفة، بينما الرواية الثانية رواها كذلك محمد بن كثير، وأبو عاصم.

❁ وأخرجه الترمذي (٢١٤٥)، من طريق: النضر بن شميل، عن شعبة بإسناده بزيادة الرجل المبهم.

❁ وأخرجه أحمد (٧٥٨)، من طريق: محمد بن جعفر، والترمذي (٢١٤٥)، من طريق: أبي داود الطيالسي (٢١٤٥)، كلاهما عن شعبة به، بدون ذكر الرجل المبهم، ورجَّح هذه الرواية الترمذي، بينما رجح الدارقطني في "العلل" (٣/ ١٩٦) الرواية التي فيها رجل مبهم، وذكر ممن تابع الثوري عليها: زائدة، وأبا الأحوص، وسليمان التيمي، وذكر ممن تابع شعبة علىٰ عدم زيادة المبهم: شريكًا، وورقاء، وجريرًا، وعمرو بن أبي قيس.

قال أبو عبد الله غفر الله له: لو صُرِّح بالتحديث في الرواية الناقصة؛ لكان حمله علىٰ الوجهين قويًّا، وأما مع عدم التصريح فالصحيح زيادة الرجل المبهم كما قال الدارقطني؛ وعليه فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في المخطوطتين: (عمر)، والمثبت هو الصواب.

ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات [والأرض]**[(١)] **بخمسين ألف سنة**» زاد ابن وهب: «**وكان عرشه علىٰ الماء**»، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب[(٢)] [(٣)].

وكلُّ هذه الأحاديث وما في معناها، وما فيها من الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي، وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر؛ فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا، وهذا لازمٌ لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت بـه أدلـة الكتاب والسنـة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار.

---

(١) ساقط من [ب].

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣)، والترمذي برقم (٢١٥٦)، ولفظ الترمذي: «**قدر الله مقادير..**».

(٣) انتهىٰ من "تفسير ابن كثير" [آية:٤٩] من سورة القمر.

فيه مسائل:

الأولىٰ: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أنَّ أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتىٰ يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرىٰ بالمقادير في تلك الساعة إلىٰ قيام الساعة.

السابعة: بَرَاءته ﷺ مِمَّن لَمْ يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أنَّ العلماء أجابوه بما يزيل شبهته؛ وذلك أنهم نسبوا الكلام إلىٰ رسول الله ﷺ فقط.

٦٠- بَابٌ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَابٌ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِينَ.[١]

---

(١) المصنف ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد لأمرين:

- الأمر الأول: أنه مضاهاة لخلق الله، وإذا أراد به أنه يستطيع أن يخلق كما يخلق الله؛ فهو شركٌ في باب الربوبية.
- الأمر الثاني: أنه ذريعة للوقوع في الشرك، كما وقع في قوم نوح.

مسألة التصوير تشمل التماثيل المجسمة، وتشمل المرسومة الغير مجسمة، فكلها محرمة، ويشمل تحريم التصوير أيضًا ما كان ممتهنًا -علىٰ الصحيح- خلافًا لجماعة من أهل العلم؛ فإنهم أجازوه.

والراجح تحريم ذلك؛ لحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عندما اشترت نمرقة فيها تصاوير، فسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها؟ فقالت: يا رسول الله، اشتريتها لك تقعد عليها، وتتوسدها. فقال: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة**» الحديث، فهي تريد أن يجلس عليها؛ فهي ممتهنة، وحجة من أجاز الممتهنة هو أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرها أن تهتك الستر، وتجعل منه وسادة، أو وسادتين، وهذا ليس بصريح في أن الصور بقيت كما هي، بل يُجمع بينه وبين الحديث الأول أنها قطعت رؤوس الصور، أو قطعت الصور نفسها، بحيث أنها لا تتميز كونها صورة، وأما التصوير بالآلات الحديثة كالكاميرات ونحوها؛ فالواقع أنه حصل خلافٌ بين العلماء المتأخرين: هل تدخل في التحريم أم لا؟ فابن عثيمين ومن قال بقوله علىٰ أنه لا تدخل في التحريم؛ إلا إذا اتخذت في التعليق علىٰ الجدران ونحوها، وذهب طائفة من العلماء إلىٰ تحريمها، منهم: الألباني، والوادعي، والفوزان، وهو قول اللجنة الدائمة؛ إلا أن اللجنة لم تمنع التصوير الذي في التلفزيونات، وما أشبهها، والصحيح هو المنع مطلقًا؛ لأنها تدخل في عموم الحديث؛ ولأن هذه الآلات لا تعمل إلا بواسطة الإنسان، فتحتاج إلىٰ تدخل الإنسان؛ فالواقع أنها تعتبر تصويرًا من الإنسان. ويلزم القائلين بأنها ليست بصورة محرمة أنه يجوز تعليقها، ويجوز أن تُتَّخذ!! فهم يمنعون لهذا الحديث: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»، ويمنعون اتخاذها ذكريات، ويمنعون تصوير العلماء والعظماء حتىٰ لا تعبد من دون الله!! فإذا كانت ليست بصور فما المانع منها، والشارع إنما حرم الصور!! **فالراجح** أنها من الأمور المحرمة، بل ومن كبائر الذنوب، والواقع أنها تعتبر زلَّة منهم، وإلا فالتفريق لا دليل عليه.

عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» أخرجاه.(١)

ولهما عن عائشة ﵂، أنّ رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القيَامَةِ، الّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ».(٢)

ولهما عن ابن عباس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كُلّ مُصَوِّرٍ فِي النّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بها فِي جَهَنّمَ».(٣)

ولهما عنه مرفوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».(٤)

ش/ قوله: باب ما جاء في المصورين.

أي: من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه، وقد ذكر النبي ﷺ العلة، وهي: المضاهاة بخلق الله؛ لأن اللهَ تعالى له الخلق والأمر؛ فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صَوَّرَ جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:٧-٩].

فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة؛ صار مضاهئًا لخلق الله، فصار ما صوره عذابًا له يوم القيامة، وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣) (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم برقم (٢١٠٧) (٩٢).
(٣) انفرد به مسلم بهذا اللفظ برقم (٢١١٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٥)، (٥٩٦٣)، ومسلم برقم (٢١١٠) (١٠٠).

بنافخ؛ فكان أشد الناس عذابًا؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب؛ فإذا كان هذا فيمن صَوَّر صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سَوَّى المخلوقَ برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بها لا يستحقه غيره، من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه، فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكًا له فيما اختص به تعالى وتقدس، هو أعظم ذنب عُصِي الله تعالى به؛ ولهذا أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ لبيان هذا الشرك، والنهي عنه، وإخلاص العبادة [بجميع أنواعها][1] لله تعالى، فنجَّى [اللهُ][2] تعالى رسلَه ومن أطاعهم، وأهلك من جحد التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولمسلم عَنْ أَبِي الهَيّاجِ، قال: قَالَ لِي عَلِيٌّ. أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟: «**أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**».[3]

ش/ قوله: ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي -حيان بن حصين- قال: قال لي علي.

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مُشرِفًا إلا سويته.

فيه التصريحُ بأن النبي ﷺ بعث عليًّا لذلك، أَمَّا الصور فلمضاهاتها لخلق الله تعالى،

---

(١) في [ب]: بجميعها.
(٢) ساقط من [ب].
(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٦٩).

وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين، ومقاصده وواجباته، ولما وقع التساهل في هذه الأمور؛ وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت مَحَطًّا لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة: من الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك محرَّم محظور.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به [ونهى][1] عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم؛ رأى أحدهما مضادًّا للآخر، مُناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا، فنهى رسولُ الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها، ونهى عن اتخاذها مساجدَ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد؛ مضاهاةً لبيوت الله، ونهى عن إيقاد السُّرُج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى أن تُتَّخَذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها كما روى مسلم في "صحيحه" عن أبي الهياج الأسدي -فذكر حديث الباب-، وحديث ثمامة بن شُفَي وهو عند مسلم أيضًا قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بِرَودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره، فَسُوِّيَ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.[2] وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها من الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القِباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم في "صحيحه" عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه.[3] ونهى عن الكتابة عليها كما روى

---

(١) في [ب]: وما نهىٰ.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٦٨).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٧٠).

أبو داود في "سننه" عن جابر أنَّ رسولَ الله ﷺ: نهى عن تجصيص القبور وأن يُكتب عليها. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى أن يُزَاد عليها غير ترابها، كما روى أبو داود عن جابر أيضًا [أنَّ رسول الله ﷺ][1] نهى أن يُجصص القبر، أو يُكتب عليه، أو يزاد عليه.[2] وهؤلاء يزيدون عليه الآجُرَّ، والأحجار، والجص، قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم.[3]

والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السُّرُج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادُّون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: ولو أُبيح اتخاذ السُّرج عليها؛ لم يلعن من فعله، ولأن فيه [تضييعًا للمال في غير فائدة][4]، وإفراطًا في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) زيادة النهي عن الكتابة، والزيادة علىٰ ترابها خارج "صحيح مسلم"، وهي عند أبي داود (٣٢٢٦)، والترمذي (١٠٥٢)، والنسائي (٤/ ٨٦)، وابن حبان (٣١٦٤)، والحاكم (١/ ٣٧٠)، والبيهقي (٤/ ٤) من طريق: ابن جريج، عن سليمان بن موسىٰ، وأبي الزبير عن جابر، وليس في رواية الحاكم والترمذي ذكر (سليمان بن موسىٰ)، وسليمان بن موسىٰ لم يسمع من أحدٍ من الصحابة؛ فهو منقطع، وابن جريج لم يصرح بالسماع، والحديث أصله في "مسلم" بدون هاتين الزيادتين، ورواية أبي الزبير بدون هذه الزيادة عند مسلم (٩٧٠)، وغيره، ولم يصرح بالسماع في حال روايته للزيادة.

(٣) **صحيح**. أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٣٨) عن ابن مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم به، وسنده صحيح، رجاله ثقات أئمة.

(٤) إضافة من "المغني" والمطبوع.

قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور؛ لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال: «**لعنَ اللهُ اليهودَ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يُحَذِّر ما صنعوا. متفق عليه[١]، ولأن تخصيص القبور [بالصلاة عندها][٢] يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها، والصلاة عندها. انتهى.[٣]

وقد آل الأمر بهؤلاء الضُّلَّال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حَجًّا، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غُلَاتِهِم في ذلك كتابًا وسماه "مناسك حج المشاهد"[٤] مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام، فانظروا إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ، وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أنَّ في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره:

فمنها: تعظيمها المُوقِع في الافتتان بها. **ومنها**: اتخاذها أعيادًا. **ومنها**: السفر إليها.

ومنها: مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسدانتها، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل لِقَيِّمِها ليلة يطفأ القنديلُ المعلق عليها.

ومنها: النذر لها ولسدنتها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) إضافة من "المغني" والمطبوع.
(٣) من "المغني" (٣/ ٤٤٠-٤٤١).
(٤) في حاشية [أ]: هو ابن المغيث الرافضي.قلت: واسمه محمد بن محمد بن النعمان الرافضي، أبو عبد الله العكبري، الملقب بالمفيد، توفي عام (٤١٣). انظر "شذرات الذهب" (٣/ ١٩٩-)، و"العبر" (٢/ ٢٢٥)، "البداية والنهاية" (١٢/ ١٥).

ومنها: اعتقاد المشركين [فيها][(١)] أنَّ بها يُكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، إلى غير ذلك.

ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم؛ فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غايةَ الكراهية، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعله النصارى عند قبره[(٢)]، وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرأون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان:١٧-١٨]، قال الله للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

---

(١) في المخطوطتين: (بها)، والمثبت أقرب.

(٢) أي: قبره الذي يزعمه النصارىٰ المشركون في فلسطين، وهو باطل؛ فإنَّ عيسىٰ عليه السلام ما زال حيًّا، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا﴾[النساء:١٥٧].

ومنها: تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله تعالى؛ فإنَّ عباد القبور يقصدونها مع التعظيم، والاحترام، والخشوع، ورقة القلب، والعكوف بالهمة على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد، [ولا يحصل لهم فيها نظيره][(١)] ولا قريبًا منه.

ومنها: أن الذي شرعه الرسول ﷺ [عند زيارة القبور][(٢)] إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية؛ فيكون الزائر مُحسنًا إلى نفسه وإلى الميت، فَقَلَبَ هؤلاء المشركون الأمرَ، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك؛ فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، وإلى الميت، وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدًّا للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم؛ أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هُجْرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلًا. وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**زوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت**».[(٣)] وعن ابن عباس ﷺ قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم [أنتم سلفنا]**[(٤)] **ونحن بالأثر**» رواه أحمد، والترمذي وحسنه.[(٥)]

---

(١) إضافة من "إغاثة اللهفان".

(٢) إضافة من "إغاثة اللهفان".

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٧٦).

(٤) إضافة من المطبوع.

(٥) أخرجه الترمذي (١٠٥٣)، وكذلك الطبراني (١٢٦١٣)، ولم أجده في "مسند أحمد"، وفيه: قابوس بن أبي ظبيان، ضعيفٌ، وله شاهد في "مسلم" (٩٧٥)، و"المسند" عن بريدة، أن النبي ﷺ كان يقول إذا خرج إلى المقابر: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُم لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ**».

❁ وجاء في "مسلم" (٩٧٤) عن عائشة بنحوه؛ فالحديث صحيح بشواهده دون قوله: فأقبل عليهم بوجهه.

[فانظر إلى هذه][١] الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلمهم إِيَّاها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.[٢]

ولكن كُلَّما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم؛ عُوِّضُوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك، ولقد جَرَّدَ السلف الصالح التوحيد، وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر، ثم دعا، ونَصَّ على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر؛ فإنَّ الدعاء عبادة، وفي الترمذي وغيره مرفوعًا: «**الدعاء هو العبادة**»[٣]، فَجَرَّد السلفُ العبادةَ لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله ﷺ، من الدعاء لأصحابها، والاستغفار، والترحم عليهم.

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» وإسناده جيد، ورواته ثقات مشاهير.[٤]

وقوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»، أي: لا تعطلوها من الصلاة فيها، والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحري العبادة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم.

[ثم إنَّ في][٥] تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله

---

(١) في [ب]: (فهذه) دون قوله: (فانظر إلى).

(٢) ذكره القاضي عياض في كتابه "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" (٢/ ٨٨).

(٣) تقدم تخريجه في الباب رقم (١٣).

(٤) تقدم تخريجه في الباب رقم (٢١).

(٥) في [أ]: ثم في.

ما يَغْضَبُ لأجله كلُّ من في قلبه وقارٌ لله، وغِيرةٌ على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرحٍ بميت إيلام.

فمن مفاسد اتخاذها أعيادًا: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عُبَّادُ الأوثان يسألونها أوثانهم، فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار[1] والدواب إذا رأوها من كل مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبلتين!! فتراهم حول القبر رُكَّعًا وسُجَّدًا، يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أَكُفَّهُم خيبة وخسرانًا، فلغير الله -بل للشيطان- ما يُراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويُطلب [من الميت][2] من الحاجات، ويُسْأَل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك، والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن؛ إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقد يُعطى لذلك الوثن

---

(١) جمع كُور، وهو رحل الناقة بأداته، وهو كالسرج بأداته للفرس. «لسان العرب».

(٢) ساقط من [أ].

القرابين، وكانت صلاتهم، ونسكهم، وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضًا ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًّا؛ فإذا رجعوا سألهم غلاةُ المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا، ولا بحجك كل عام.

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم؛ إذ هي فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح كما تقدم، وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم [أن أهم][1] الأمور سد الذريعة إلى هذا المحظور، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه، وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته.انتهى كلامه رحمه الله.[2]

(١) في [أ]: من أهم.
(٢) من "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٠٠-٣١٤) بتصرف في كلامه بالتقديم والتأخير.

فيه مسائل:

الأولىٰ: التغليظ الشديد في المصوِّرين.

الثانية: التنبيه علىٰ العلة، وهو ترك الأدب مع الله؛ لقوله: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**».

الثالثة: التنبيه علىٰ قدرته، وعجزهم؛ لقوله: «**فليخلقوا ذرة، أو حبة، أو شعيرة**».

الرابعة: التصريح بأنهم أشدُّ الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وُجِدت.

٦١- باب مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحلِفِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: باب مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ.

ش/ أي: من النهي عنه والوعيد.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وقول الله تعالىٰ: ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾[المائدة:٨٩].

ش/ قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير، وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد: لا تحلفوا.[١] وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا.

والمصنف رَحِمَهُ اللهُ أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس؛ فإنَّ القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث، مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمالَ التوحيد الواجب، أو عدمه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلكَسْبِ**» أخرجاه.

ش/ أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود، والنسائي.[٢]

والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أُعْطِي فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا،

---

(١) ذكره الواحدي في "تفسيره"، والقرطبي بدون سند، انظر تفسير [آية:٨٩] من سورة المائدة، والآية عامة، تشمل حفظها عن الحلف، وحفظها عن ترك الكفارة، فيحنث، ولا يكفر، ويحرم الحلف إذا كان عن كذب، أو جرَّه ذلك إلىٰ التساهل في الأيمان، وإلا فيكره.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، وأبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٧/ ٢٤٦).

وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه، فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع [كاذب][(١)]، وحلف طمعًا في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه؛ دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا، وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلالٌ، وذهابٌ، وعقابٌ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن سَلمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاَثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**». رواه الطبراني بسند صحيح.[(٢)]

ش/ وسلمان لعله سلمان أبو عبد الله [الفارسي][(٣)]، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة، وشهد الخندقَ، روى عنه أبو عثمان النهدي، وشرحبيل بن السمط وغيرهما، قال النبي

(١) في [ب]: كذب.

(٢) أخرجه الطبراني في "الكبير" (٦١١١)، و"الأوسط" (٥٥٧٣)، و"الصغير" (٨٢١)، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، ثنا سعيد بن عمرو الأشعثي، ثنا حفص بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان به، وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

❁ وجاء عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في "مسلم" (١٠٦) بلفظ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** -قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُوذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْـمُسْبِلُ، وَالْـمَنَّانُ، وَالْـمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْـحَلِفِ الْكَاذِبِ**».

❁ وجاء بنحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضًا في "مسلم" (١٠٧) بلفظ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ** -قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: **وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ- وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**».

وهذا الذي يحلف في هذا الحديث محمول علىٰ حديث أبي ذر، وهو أنه يحلف بحلف كاذب فاجر؛ لأن هذا الوعيد الشديد يدل علىٰ ارتكاب كبيرة من الكبائر، وصحابي الحديث هو سلمان الفارسي كما جزم به الطبراني في المعاجم الثلاثة.

(٣) ساقط من [أ].

ﷺ: «**سلمان مِنَّا أهل البيت**»[(١)]، «**إن الله يحب من أصحابي أربعة: عليًّا، وأبا ذر، وسلمان، والمقداد**»[(٢)] أخرجه الترمذي، وابن ماجه.

قال الحسن: كان سلمان أميرًا على ثلاثين ألفًا، يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها.[(٣)]

تُوُفِّي في خلافة عثمان رضي الله عنه.

قال أبو عبيد: سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة.[(٤)]

ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.[(٥)]

قوله: «ثلاثة لا يكلمهم الله».

نفي كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من أطاعه، وأنَّ الكلام صفة من صفات كماله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين: قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا، ولم يزل مُتَّصِفًا به؛ فهو حادث الآحاد، قديم النوع كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد، وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فأتى

---

(١) موضوع. أخرجه الطبراني (٦٠٤٠)، والحاكم (٣/ ٥٩٨)، من حديث عمرو بن عوف وفي سنده: كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، قال فيه الشافعي: ركنٌ من أركان الكذب. فهو حديث موضوع.

(٢) ضعيف. أخرجه الترمذي (٣٧١٨)، وابن ماجه (١٤٩)، وكذلك أحمد (٥/ ٣٥١)، والحاكم (٣/ ١٣٠)، والبخاري في "التاريخ" (٩/ ٣١)، من حديث بريدة رضي الله عنه، وفيه: شريك القاضي، ضعيف، وفيه: أبو ربيعة الإيادي، قال أبو حاتم: منكر الحديث. ووثقه ابنُ معين، وقد مال الذهبي، وابن حجر إلىٰ تقديم كلام أبي حاتم.

(٣) ضعيف. أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٤/ ٧٤)، والحسن لم يسمع من سلمان رضي الله عنه؛ فهو منقطع.

(٤) هذا لم يثبت في سن سلمان رضي الله عنه، فقد ذكره بعض المؤرخين، قال الذهبي في "السِّيَر": لا أعلم له مستندًا. بل قال الذهبي: ما أظنه تجاوز المائة.

(٥) جزم الطبراني في معاجمه الثلاثة كما تقدم أنه سلمان الفارسي.

بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضًا، وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام: فإذا قالوا لنا -يعني النفاة-: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قائمة به؟ قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، ولفظ الحوادث مجمل؛ فقد يُراد به الأمراض، والنقائص، والله منزه عن ذلك، ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله، ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة، والقول الصحيح قول أهل العلم الذين يقولون: لم يزل مُتَكَلِّمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة. انتهى.[1]

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها، وإيجاده لها بمشيئته وأمره، والله أعلم.

قوله: «**ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**».

لما عَظُم ذنبُهم؛ عَظُمَتْ عقوبتُهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات.

قوله: «**أشيمط زانٍ**».

صغَّره تحقيرًا له، وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقِّه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية، والفجور، وعدم خوفه من الله، وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب؛ فإنَّ قوة داعي الشهوة منه قد يغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية، فينتهي ويراجع، وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكِبْر؛ لأنَّ الداعي إلى الكِبْر في الغالب كثرةُ المال، والنعم، والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكِبْر طبيعة له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته؛ لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

---

(١) انظر: "منهاج السنة النبوية" (٢/ ٣٨١).

قولهُ: «**ورجل جعل الله بضاعته**».

بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به جعله بضاعته؛ لملازمته له، وغلبته عليه، وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إنْ كان مُوَحِّدًا؛ فتوحيده ضعيف، وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه، وظهر على لسانه، وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها، نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي "الصحيح" عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** -قال عِمرانُ: فلا أدري: أذكرَ بعدَ قَرْنِه مرتين أو ثلاثًا-؟ **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**».

ش/ قوله: وفي "الصحيح".

أي: "صحيح مسلم"، وأخرجه أبو داود، والترمذي، ورواه البخاري بلفظ: «**خيركم**».(١)

قولهُ: «**خير أمتي قرني**».

لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم، والإيمان، والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها، وكثر أهله، وَقَلَّ الشرُّ فيها وأهله، واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء، ثم الذين يلونهم فُضِّلُوا على من بعدهم؛ لظهور الإسلام فيهم، وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه، والقائم به، وما ظهر فيه من البدع أُنْكِر، واستُعْظِم، وأُزيل، كبدعة الخوارج، والقدرية، والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فأهلها في غاية الذل، والمقت، والهوان، والقتل فيمن عاند منهم، ولم يتب.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢٢).

قوله: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا.

هذا شَكٌّ من راوي الحديث عمران بن حصين ﵁، والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل؛ لكثرة ظهور البدع فيه، لكن العلماء متوافرون، والإسلام فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء، فقال: «**ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون**»(١)؛ لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم للصدق؛ وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم.

قوله: «**ويخونون ولا يؤتمنون**».

يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم، «**وينذرون ولا يوفون**»، أي: لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم.

قوله: «**ويظهر فيهم السمن**».

لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم، والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل

---

(١) استشكل هذا الحديث مع الحديث الآخر الذي رواه مسلم (١٧١٩)، عن زيد بن خالد الجهني ﵁، أنَّ النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بخير الشهداء؟ هو الذي يأتي بالشهادة قبل أن يُسألها**»، والجمع بينهما: أنَّ المراد بحديث زيد بن خالد هو من عنده شهادة لإنسان بحق، ولا يعلم ذلك الإنسان أنه شاهد، فيأتي إليه فيخبره بأنه شاهد له وصحح النووي ﵀ هذا القول، وعزاه لمالك، والشافعية. أو يكون المراد به: المبادرة للشهادة إذا طُلبت منه.

وأما حديث عمران ففيه تأويلات أصحها: أنه محمول على شهادة الزور.

قال شيخ الإسلام ﵀ كما في "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ٢٩٦): والصحيح أن الذم في هذه الأحاديث لمن يشهد بالباطل كما جاء في بعض ألفاظ الحديث: «**ثم يفشو فيهم الكذب حتى يشهد الرجل ولا يستشهد**»؛ ولهذا قرن ذلك بالخيانة، وبترك الوفاء بالنذر، وهذه الخصال الثلاث هي آية المنافق كما ثبت في الحديث.اهـ

وهناك قول آخر: أنه محمول على من ينتصب شاهدًا، وليس هو من أهل الشهادة. **وقول ثالث**: أنه الذي يبادر بالشهادة قبل أن يسألها مع العلم أنَّ عنده شهادة. انظر "شرح مسلم" (١٧١٩).

لها، وفي حديث أنس: «**لا يأتي علىٰ الناس زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه حتىٰ تلقوا ربكم**» قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ[(١)]، فما زال الشرُّ يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم، حتى فيمن ينتسب إلى العلم، ويتصدر للتعليم، والتصنيف.

[**قلت**: بل قد دعوا إلى الشرك، والضلال، والبدع، وصنفوا في ذلك نَظْمًا ونَثْرًا، فنعوذ بالله من موجبات غضبه].[(٢)]

قال المصنف رحمه الله: وفيه عن ابن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**».[(٣)]

وقال إبراهيم: كَانُوا يَضْرِبُونَنا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَار.[(٤)]

ش/ قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا، ونسي المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملًا وأداءً؛ لقلة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر، والله المستعان.

فإذا كان هذا قد وقع في الصدر الأول، ففيما بعده أكثر بأضعاف؛ فكن من الناس على حذر.

قوله: «وقال إبراهيم -هو النخعي-: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٦٨).

(٢) إضافة من المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥١)، ومسلم برقم (٢٥٣٣).

(٤) هو في "الصحيحين" مذكور عَقِب حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا لفظ البخاري (٣٦٥١)، ولفظ مسلم (٢٥٣٣): كانو ينهونا... .

وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم، ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد، ولا يقوم الدين إلا به، وفي هذا الرغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقَة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه علىٰ أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يَحْلِفُون ولا يُسْتَحْلَفُون.

السادسة: ثناؤه ﷺ علىٰ القرون الثلاثة، أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يُسْتَشْهَدُون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار علىٰ الشهادة والعهد.

٦٢- بابُ مَا جَاءَ في ذِمَّةِ اللّه وذِمَّةِ نَبيِّهِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بابُ مَا جَاءَ في ذِمَّةِ الله وذِمَّةِ نَبيِّهِ.

وقوله: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[النحل:٩١].

ش/ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

ولا تعارض بين هذا وقوله: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٤]، وبين قوله: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[المائدة:٨٩]، أي: لا تتركوها بلا تكفير، [وبين قوله ﷺ][1] في "الصحيحين": «**إني والله، إن شاء الله لا أحلف علىٰ يمين فأرىٰ غيرها خيرًا منها؛ إلا أتيت الذي هو خير منها وتحللتها**» وفي رواية: «**وكفرت عن يميني**»[2]، [لا تعارض بين هذا كله وبين الآية المذكورة هنا، وهي][3] ﴿وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ [لأن][4] هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حثٍّ، أو منعٍ؛ ولهذا قال مجاهد في هذه الآية: يعني الحِلْف، أي: حِلفَ الجاهلية.[5] ويؤيده ما رواه الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا**

---

(١) إضافة من "التفسير".

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٢٣) (٦٧١٨)، ومسلم برقم (١٦٤٩)، من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٣) في المخطوطتين: وقوله.

(٤) إضافة من "التفسير".

(٥) أخرجه ابن جرير في [آية:٩١] من سورة النحل بسند صحيح، والمقصود ما كان يتحالف به أهل الجاهلية علىٰ النصرة وغيرها.

حلف في الإسلام، وأيُّما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»،[(١)] [وكذا رواه مسلم][(٢)]، ومعناه: أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه؛ فإنَّ في التمسك بالإسلام حمايةً وكفاية عما كانوا فيه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد ووعيد [لمن نقض الأيمان بعد توكيدها][(٣)] .اهـ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أمّر أميرًا علىٰ جَيْشٍ أو سريَّة، أوْصَاهُ بِتَقْوَىٰ اللهِ، ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خيَرًا، فقال: «**اغْزُوا بِسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ، فادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ المُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ المُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله -تَعَالَىٰ-، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ، وَذِمَةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨٣)، ومسلم برقم (٢٥٣٠).

(٢) إضافة من "التفسير".

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطتين، وأضفناه من "التفسير".

وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي: أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا». رواه مسلم[(١)]

ش/ قوله: عن بريدة.

هو ابن الحصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه.

قال في "المفهم"[(٢)]: قوله: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى.

فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم.

قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها، والجيش ما كان أكثر من ذلك، وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته.

قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى [الله][(٣)] عنه.

قوله: ومن معه من المسلمين خيرًا.

أي: ووصاه بمن معه منهم أن يفعل معهم خيرًا، من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

وقوله: **«اغزوا باسم الله»**.

أي: اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله، مخلصين له.

قلت: فتكون الباء في (بسم الله) هنا للاستعانة، والتوكل على الله.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٣١).
(٢) نقل المؤلف شرح الحديث كاملًا من "المفهم" (٣/ ٥١١-).
(٣) ساقط من [أ].

قولـهُ: «**قاتلوا من كفر بالله**».

هذا العموم يشمل جميعَ أهل الكفر المحاربين وغيرهم، وقد خصص منهم من له عهد، والرهبان، والنسوان، ومن لم يبلغ الحلم، وقد قال متصلًا به: «**ولا تقتلوا وليدًا**»، وإنما نهى عن قتل الرهبان والنسوان؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالبًا، فإن كان منهم قتال أو تدبير؛ قُتِلوا.

قلت: وكذلك الذراري والأولاد.

قولـهُ: «**ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا**».

الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها. **والغدر**: نقض العهد. **والتمثيل** هنا التشويه بالقتيل كقطع أنفه وأذنه، والعبث به، ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهة المثلة.

وقولـهُ: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلىٰ ثلاث خلال أو خصال**».

الرواية بـ«**أو**» للشك، وهو من بعض الرواة، ومعنى الخلال والخصال واحد.

وقولـهُ: «**فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم**».

قيدناه عمن يوثق بعلمِه وتقييدِه بنصب «**أيتهن**» على أن يعمل فيها «**أجابوك**» لا على إسقاط حرف الجر، و«**ما**» زائدة، ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم، كما تقول: (أجبتك إلى كذا، وفي كذا)، فيعدى إلى الثاني بحروف الجر.

قلت: فيكون في ناصب أيتهن وجهان ذكرهما الشارح[1]، **الأول**: منصوب على الاشتغال. **والثاني**: على نزع الخافض.

---

(١) يعني القرطبي صاحب "المفهم".

قولهُ: «ثم ادعهم إلىٰ الإسلام».

كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم «**ثم ادعهم**» بزيادة «**ثم**»، والصواب إسقاطها كما رُوي في غير كتاب مسلم، كـ"مصنف أبي داود" وكتاب "الأموال" لأبي عبيد[1]؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال.

وقولهُ: «ثم ادعهم إلىٰ التحول إلىٰ دار المهاجرين».

يعني المدينة، وكان هذا في أول الأمر وقت وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام، وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرها.

قولهُ: «فإن أبوا أن يتحولوا».

يعني أن من أسلم ولم يجاهد، ولم يهاجر لا يُعطى من الخمس، ولا من الفيء شيئًا، وقد أخذ الشافعي رَحِمَهُ اللهُ بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم شيئًا من الفيء وإنَّ لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم، كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله، وسوى مالك، وأبو حنيفة بين المالين، وجوزا صرفهما للضعيف.

قولهُ: «فإن هم أبوا فاسألهم الجزية».

فيهُ حجة لمالك وأصحابه، والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافرٍ عربيًّا كان أو غيره، كتابيًّا كان أو غيره. وذهب أبو حنيفة إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم.

وقال الشافعي: لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربًا كانوا أو عجمًا. وهو قول الإمام

(١) "سنن أبي داود" رقم (٢٦١٣)، "الأموال" لأبي عبيد رقم (٦٠).

أحمد في ظاهر مذهبه،(١) وتؤخذ من المجوس.

قلت: لأن النبي ﷺ أخذها منهم، وقال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»،(٢) وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية: فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق.

وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟

قولان: **وقال** الشافعي: فيه دينار على الغني والفقير. **وقال** أبو حنيفة، والكوفيون: على الغني ثمانية وأربعون درهمًا، والوسط أربعة وعشرون درهمًا، والفقير اثنا عشر درهمًا. وهو قول أحمد بن حنبل.(٣)

---

(١) واستدلوا علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

قلتُ: وهذا الدليل لا يلزم منه تخصيص حديث الباب؛ فإن ذلك ليس من التخصيص، وإنما هو من ذكر بعض أفراد العام، ولا يلزم من ذلك التخصيص كما هو معلوم عند أهل العلم.

(٢) أخرجه مالك في "الموطإ" (١/ ٢٧٨) من طريق: محمد بن علي بن الحسين، يرويه عن عبدالرحمن ابن عوف، ولم يدركه، لكن ثبت عن عبدالرحمن بن عوف في "صحيح البخاري" (٣١٥٧)، أنَّ النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هَجَر. فأخذ الجزية من اليهود، والنصارىٰ مجمع عليه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، وأما المجوس فالراجح أنها تؤخذ منهم؛ لهذا الحديث، وأما عَبَدة الأوثان من غير اليهود، والنصارىٰ، والمجوس؛ فالراجح مذهب مالك، والأوزاعي أنه تؤخذ منهم الجزية؛ لحديث بريدة رضي الله عنه: «**إذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خِصال**»، وهو ترجيح ابن القيم، ثم ابن عثيمين رحمهما الله.

(٣) تحديد الجزية ليس هناك دليل عليه، وإنما يرجع إلىٰ الإمام، لكن لا يكلفهم ما لا يطيقون، وقد أوصىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته أن لا يُكَلَّفُوا ما لا يطيقون، وإلىٰ هذا ذهب الثوري، وأبو عبيد، وأحمد في رواية، أعني: عدم التحديد.

قال يحيى بن يوسف الصرصري الحنبلي[(١)]:

وقاتل يهودا والنصارىٰ وعصبة الـ	مجوس فإن هم سلموا الجزية اصدد
علىٰ الأدون اثني عشر درهمَ افرضن	وأربعة من بعد عشرين زيِّد
لأوسطهم حالا ومن كان موسرا	ثمانية مع أربعين لتنقد
وتسقط عن صبيانهم ونسائهم	وشيخ لهم فان وأعمىٰ ومقعد
وذي الفقر والمجنون أو عبد مسلم	ومن وجبت منهم عليه فيهتدي

وعند مالك وكافة العلماء: على الرجال الأحرار البالغين العقلاء دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا ممن نأى بداره، ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين أو حربهم.

قولهُ: «وإذا حاصرت أهل حصن».

الكلام إلى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إنَّ المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره، ووجه الاستدلال أنه ﷺ قد نص على أن لله تعالى حكمًا معينًا في المجتهدات، فمن وافقه؛ فهو المصيب، ومن لم يوافقه؛ مخطئ.

قولهُ: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه» الحديث.

الذمة: العهد، **وتخفر:** تنقض، يقال: أخفرت الرجل: نقضت عهده، وخفرته: أجرته، ومعناه أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجهلة الأعراب.

فكأنه يقول: إن وقع نقض من مُتَعدٍّ؛ كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله

(١) ولد سنة (٥٨٨)، وتوفي سنة (٦٥٦)، وأبياته المذكورة من كتابه "الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة" نظم لمختصر الخرقي. "هداية العارفين" (٢/ ٥٢٣).

تعالى، والله أعلم.

قوله:[(١)] وقول نافع وقد سئل عن الدعوة قبل القتال.[(٢)]

ذكر فيه[(٣)] أن مذهب مالك يجمع فيه بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال، قال: وهو أن مالكًا قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يُدْعَوا، ولا تلتمس غرتهم إلا أن يكونوا قد بلغتهم الدعوة، فيجوز أن تؤخذ غرتهم، وهذا الذي صار إليه مالك هو الصحيح؛ لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدِّين، فإذا علموا بذلك أمكن أن يكون ذلك سببًا مُمَيِّلًا لهم إلى الانقياد إلى الحق، بخلاف ما إذا جهلوا مقصودَ المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للملك وللدنيا، فيزيدون عُتُوًّا وبغضًا[(٤)]، والله أعلم.

---

(١) يعني: القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في "المفهم".

(٢) أثر نافع عند البخاري (٢٥٤١)، ومسلم (١٧٣٠)، وفيه أن ابن عون قال: كتبت إلىٰ نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال؟ فكتب إليَّ: إنما كان ذلك في أول الإسلام. ثم استدل بالحديث: قد أغار رسول الله ﷺ علىٰ بني المصطلق وهم غارون، فقتل مقاتلتهم، وسبىٰ سبيهم.

(٣) يعني: القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في "المفهم".

(٤) تقدمت الإشارة إلىٰ هذه المسألة في الباب رقم (٤).

فيه مسائل:

الأولىٰ: الفرق بين ذمة الله، وذمة نبيه، وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلىٰ أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «**اغزو باسم الله في سبيل الله**».

الرابعة: قوله: «**قاتلوا من كفر بالله**».

الخامسة: قوله: «**استعن بالله وقاتلهم**».

السادسة: الفرق بين حُكم الله، وحُكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري: أيوافق حكم الله، أم لا؟

٦٣- بَاب مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللّهِ

قال المصنف رحمه الله: باب مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَىٰ اللهِ.

عَنْ جُنْدَب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «**قَالَ رَجُل: وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلاَنٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» رواه مسلم.[1]

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

ش/ قوله: «**يتألىٰ**».

يحلف، والألية بالتشديد: الحلف، وصح من حديث أبي هريرة.

قال البغوي في "شرح السنة" -وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار- قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يمامي، تعال. وما أعرفه قال: لا تقولن لرجل: والله، لا يغفر الله لك أبدًا، ولا يدخلك الجنة. قلت: ومن أنت يرحمك الله. قال: أبو هريرة. قال: فقلت: إن هذه كلمة يقولها أحدنا [لبعض أهله][2] إذا غضب، أو لزوجته، أو لخادمه. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كأنه يقول مذنب، فجعل يقول: أقصر عما أنت فيه. قال فيقول: خلني وربي. حتىٰ وجده يومًا علىٰ ذنب استعظمه، فقال: أقصر. فقال: خلني وربي،**

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١).

(٢) في [ب]: لأهله.

أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رقيبًا. فقال: والله، لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة أبدًا. قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر علىٰ عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب. قال: اذهبوا به إلىٰ النار»، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

ورواه أبو داود في "سننه"، وهذا لفظه عن أبي هريرة ﵁، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرىٰ الآخر علىٰ الذنب، فيقول: أقصر. فوجده يومًا علىٰ ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رقيبًا؟ فقال: والله، لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة. فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت علىٰ ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب، فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلىٰ النار**»[(١)] [(٢)].

---

(١) **حسن**. أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، والبغوي في "شرح السنة" (١٤/ ٣٨٤)، من طريقين عن عكرمة ابن عمار، عن ضمضم بن جوس، عن أبي هريرة به. وهذا إسناد حسن.

❁ وقد أخرجه أيضًا أحمد (٨٢٩٢)، وابن حبان (٥٧١٢)، والبيهقي في "الشُّعب" (٦٦٨٩)، من طرق عن عكرمة بن عمار به.

(٢) **فائدة**: ما الجمع بين هذا الحديث، وحديث أنس في "الصحيحين" في قصة أنس بن النضر أنه حلف أن لا تُكسر ثنية الربيع بنت النضر عند أنِ اعتدت علىٰ امرأةٍ، وكسرت سِنَّها، فقضىٰ النبي ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: والله يا رسول الله، لا تُكْسَر ثنيتها؟

الجواب: أن العلماء حملوا ذلك علىٰ أنه حلف ثقةً بالله، وعلىٰ حسن ظنٍ به أنه سبحانه سيجعل أصحاب الحق يعفون عن حقهم، وفعلًا عفا أصحاب الحق عن حقهم، فقال النبي ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه**»، وفي حديث آخر: «**رُبَّ أشعث مدفوع على الأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁، فهذا كله محمول علىٰ حسن الظن، وأما الوارد في الحديث فإنه اعتداء؛ لأنه جزمَ بشيء ليس لأحد فيه تدخل، وهو رحمة الله تبارك وتعالىٰ، وفيه شيء من العُجْب، واحتقار الآخرين.

قوله: في حديث أبي هريرة.

يشير إلى قوله في هذا الحديث: «**أحدهما مجتهد في العبادة**».

وفي هذه الأحاديث: بيانُ خطر اللسان، وذلك يفيد التحرز من الكلام كما في حديث معاذ، قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار علىٰ وجوهم** -أو قال: **علىٰ مناخرهم**- **إلا حصائدُ ألسنتهم**»،[1] والله أعلم.

(١) **صحيح**. أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٣٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد بن حُميد (١١٢)، وهو من طريق: أبي وائل، عن معاذ بن جبل، وهو لم يسمع منه، فمعاذ رضي الله عنه كان بالشام، وأبو وائل كان بالكوفة، وبقية إسناده رجاله ثقات.

❁ لكن الحديث له طرق: فطريق فيها شهر بن حوشب، ورواه علىٰ وجهين: رواه عن معاذ مباشرة مرَّةً كما في "المسند" (٢٢٠٢٢) (٢٢٠٦٨)، ومرة أخرىٰ رواه عن عبدالرحمن بن غَنْم، عن معاذ كما في "مسند أحمد" أيضًا (٢٢١٢٢)، وطريق ثانية رواها أحمد أيضًا (٢٢٠٣٢) من طريق: ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ، وميمون لم يسمع من معاذ بن جبل.

❁ وطريق ثالثة عند أحمد (٢٢٠٦٨)، من طريق: عروة بن النزال، عن معاذ، وعروة مجهول، ولم يسمع من معاذ. وهذه الطُّرُق المذكورة فيها الحديث بِطُولِهِ.

❁ وهناك طُرُق أخرىٰ ذُكِرَ فيها الحديث مقطعًا؛ فالحديث حسنٌ بهذه الطرق المذكورة، وانظر "جامع العلوم والحِكَم" رقم (٣٩).

❁ وهذه اللفظة المذكورة عندنا: «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**» لها شاهد من حديث عبادة بن الصامت عند الحاكم (٤/ ٢٨٦)، وسنده صحيح، وهو في "الصحيح المسند" (٥٣٨).

فيه مسائل:

الأولىٰ: التحذير من التَّأَلِّي علىٰ اللهِ.

الثانية: كون النار أقرب إلىٰ أحدنا من شِرَاك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة...**» إلخ.

الخامسة: أن الرجل قد يُغْفَر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.[1]

---

(١) الأمر كما قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن ليس في الحديث ما يدل علىٰ ذلك، ولعله أخذه من قوله: «**أقصر**»، وليس بصريح.

٦٤- بَابٌ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللّٰه عَلَى أحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَابٌ لا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَىٰ أحد من خَلْقِهِ.

عن جُبيْر بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: جاء أَعْرَابِيٌّ إلىٰ النبي ﷺ، فقالَ: يَا رَسُولَ الله، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وجاع العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا ربَّك، فإنّا نَسْتَشْفِعُ بالله عَلَيْكَ، وبِكَ عَلَىٰ اللهِ، فقالَ النبي ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!**»، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمّ قالَ: «**وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا الله؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ [مِنْ خَلْقِهِ]**»[1]، وذكر الحديث. رواه أبوداود.[2]

ش/ قوله: باب لا يستشفع بالله على خلقه.

وذكر الحديث، وسياق أبي داود في «سننه» أتم مما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللهُ، ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ، قال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام،

---

(١) إضافة من المخطوطة.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، من طريق: محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، وهذا إسناد ضعيفٌ، فيه عِلَّتان: **الأولى**: محمد بن إسحاق عنعن ولم يصرح بالتحديث. **الثانية**: في سنده جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، مجهول.

❁ وقد أخرجه أيضًا: ابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٧)، والبخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٢٤)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص٢٧٢)، من كتاب «عقائد السلف»، وفي «الرد علىٰ المريسي» (ص٤٤٧، ٤٦٢) من المصدر المذكور، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٥)، والدارقطني في «الصِّفات» (٤٠، ٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤٧)، وغيرهم من طريق: محمد بن إسحاق به، ووقع في بعض الطُّرُق: (عن يعقوب، وجبير)، وهو وَهَمٌ كما بين ذلك الدارقطني رَحِمَهُ اللهُ في المصدر المتقدم، وفي «العلل» (١٣/ ٤٢٤).

فاستسق اللهَ لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «**ويحك أتدري ما تقول؟**»، وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابِهِ، ثم قال: «**ويحك إنه لا يستشفع بالله علىٰ أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه علىٰ سمواته لهكذا** -وقال بأصابعه مثل القبة عليه- **وإنه ليئط به أطيط الرَّحلِ بالراكب**»، قال ابن [بشار][(١)] في حديثه: «**إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته**».

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قولهُ: «**ويحك إنه لا يستشفع بالله علىٰ أحد من خلقه**».

فإنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا رادَّ لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا قديرًا إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، والخلق وما في أيديهم ملكه يتصرف فيه كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه؛ ولهذا أنكر على الأعرابي قولَه هذا، وسبَّح الله كثيرًا وعظَّمَه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده، إن شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثبات علو الله على خلقه، وأن عرشه فوق سماواته، وفيه تفسير الاستواء بالعلو، كما فسره الصحابة، والتابعون، والأئمة، خلافًا للمعطلة من الجهمية، والمعتزلة، ومن أخذ عنهم كالأشاعرة ونحوهم، ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه، من إثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله

---

(١) وقع في المخطوطتين: (يسار)، والمثبت هو الصواب كما في "سنن أبي داود".

جل وعلا، كما عليه السلف الصالح، والأئمة ،ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة؛ فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسولُه ﷺ من صفات كماله، على ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "مفتاح دار السعادة" -بعد كلامٍ سبق فيما يُعَرِّفُ العبدَ بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته- قال بعد ذلك: والثاني: أن يتجاوز هذا [إلى النظر بالبصيرة](١) الباطنة، فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها، وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته، وجلاله ومجده ورفعته، ويرى السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافِّين من حول العرش، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قومٍ وإماتة آخرين، وإعزاز قوم وإذلال آخرين، وإنشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات على اختلافها، وتباينها، وكثرتها: من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان؛ فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيبته، خاشعًا لعظمته، عانٍ لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد،

(١) وقع في المخطوطتين: (تحريف)، والمثبت من "مفتاح دار السعادة".

فهذا سفر القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فيا له من سفر! ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته، وأحسن عاقبته! [سفر هو][(١)] حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.[(٢)]

وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصًّا به ﷺ، بل كل حي صالح يُرجى أن يستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالِب الخاصة أو العامة، كما قال النبي ﷺ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد أن يعتمر من المدينة: «**لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك**».[(٣)]

وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له وعلى جنازته وعلى قبره، وفي غير ذلك، وهذا [هو][(٤)] الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۞ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

فبين تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة، أي:

---

(١) في المخطوطتين: (هو سفر)، والمثبت من "مفتاح دار السعادة".

(٢) انظر: "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٩-٣٠) دار ابن عفان.

(٣) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وأحمد (١/ ٢٩)، وابن سعد (٣/ ٢٧٣)، والطيالسي (١٠)، والبزار (١١٩، ١٢٠)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ وأخرجه أحمد (٢/ ٥٩)، وأبو يعلىٰ (٥٥٠١، ٥٥٥٠)، والبيهقي (٥/ ٢٥١)، وغيرهم، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو حديث ضعيف، في إسناده: عاصم بن عبيدالله العمري، وهو ضعيف.

(٤) ساقط من [ب].

ينكره ويعادي من فعله، كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦].

فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب، ولا ينفع ولا يضر، والصحابة رضي الله عنهم لاسيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيره أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب، كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس خرج بالعباس عم النبي ﷺ، فأمره أن يستسقي[(١)]؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يُستسقى بأحد بعد وفاته؛ لاستسقى عمر رضي الله عنه، [والسابقون الأولون][(٢)] بالنبي ﷺ، وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت؛ لأن المقصودَ من الحي دعاؤه إذا كان حاضرًا؛ فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوه، ويتضرع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع؛ ضَلَّ وَأَضَلَّ، فلو كان دعاء الميت خيرًا؛ لكان الصحابة إليه أسبق، وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم، فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك، وبالله التوفيق.

فيه مسائل:

الأولىٰ: إنكاره علىٰ من قال: نستشفع بالله عليك.

الثانية: تغيره تغيرًا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: نستشفع بك علىٰ الله.

الرابعة: التنبيه علىٰ تفسير «سبحان الله».

الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠١٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) وقع في المخطوطتين: (في السابقين الأولين)، والمثبت أقرب.

٦٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوحِيد وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

قال المصنف رحمه الله: بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ [النَّبِيِّ][1] ﷺ حِمَىٰ التَّوحِيد وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ.[2]

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه، قال: انْطَلَقْتُ في وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلنا: أَنْتَ سَيِّدُنا، فقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»، قُلْنا: وَأَفْضَلُنا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**». رواه أبو داود بسند جيد.[3]

وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**» رواه النسائي بسند جيد.[4]

---

(١) في المطبوع: (النبي)، والمثبت من المخطوطة.

(٢) تقدم في الكتاب باب آخر بنفس العنوان، والذي يظهر أن المؤلف قصد هنالك حمايته للتوحيد من الأفعال التي توصل إلىٰ الشرك، وههنا حمايته من الأقوال التي توصل إلىٰ الشرك، ويدل علىٰ ذلك الأدلة التي أوردها في البابين.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، وكذلك النسائي في "الكبرىٰ" (١٠٠٧٤-١٠٠٧٦)، وأحمد (٤/ ٢٤، ٢٥)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢١١)، وغيرهم، من طرق عن مطرف بن عبدالله بن الشخير، عن أبيه به، وإسناده صحيح، وقد صححه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" (٥٨٥).

(٤) صحيح. أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٢٤٨) (٢٤٩)، وكذلك أحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩)، وعبد بن حميد (١٣٣٥)، وابن حبان (٦٢٤٠)، من طرق عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن =

ش/ قوله: بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوحِيد وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ.

حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد، أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ، كقوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»، وتقدم[(١)]، وقوله: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز و جل**»[(٢)]، ونحو ذلك.

ونهى عن التمادح، وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: «**ويلك قطعت عنق صاحبك**»، والحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، أنَّ رجلًا أثنى على رجل عند النبي ﷺ، فقال له: «**قطعت عنق صاحبك**» ثلاثًا[(٣)]، وقال: «**إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**»، أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد ابن الأسود.[(٤)]

وفي هذه الأحاديث نَهَى أن يقولوا: أنت سيدنا، وقال: «**السيد الله تبارك وتعالىٰ**»، ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، وقال: «**لا يستجرينكم الشيطان**».

وكذلك قوله في حديث أنس: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو، وأخبر ﷺ أن مواجهة المادح للمدوح بمدحه

= أنس، وفي بعض الطرق: عن حميد، عن أنس، وهذا إسناد صحيح، وقد صححه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" (١٢١).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، عن عمر رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه في الباب رقم (١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٠٥)، وقد أخرجه أيضًا البخاري (٢٦٦٢، ٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠) من نفس الوجه.

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٢)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢).

-ولو بما فيه- من عمل الشيطان[(١)]؛ لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد؛ فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع، والخشية، والاستكانة لله تعالى، وأن لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها، [والمعاتبة لها][(٢)] في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات، ومحبة المدح من العبد لنفسه يخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه؛ فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص الذلَّ لله والمحبة له؛ خلصت أعماله وصحت، فمتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب؛ دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد، وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها؛ وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة، كما في الحديث: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما عذبته**»[(٣)]، وفي الحديث: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه [مثقال][(٤)] ذرة من كبر**»[(٥)]، وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سببًا لها وَسُلَّمًا إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول ﷺ، وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية

---

(١) هذا فيما إذا سبب للمدوح العجب والاغترار، أو أدىٰ بالمادح إلىٰ الغلو بالممدوح، وأما إذا خلا من ذلك؛ جاز كما أثنىٰ النبي ﷺ علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم في حضورهم.

(٢) ساقط من [ب].

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٠)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٥٥٢)، وأبو داود (٤٠٩٠)، من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما بنحوه.

(٤) ساقط من [ب].

(٥) أخرجه مسلم (٩١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك، والنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يُمدح؛ صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك؛ نصحًا لهم، وحمايةً لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[البقرة:٦٠]، ورأوا أن فعل ما نهاهم ﷺ عن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات.

وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد": اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، وَنُقل عن مالك رحمه الله، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: يا سيدنا. قال: «**السيد الله**»، وَجَوَّزَهُ قومٌ، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلىٰ سيدكم**»،[(١)] وهذا أصح من الحديث الأول، قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي: (سيد كندة)، ولا يقال: (الملك سيد البشر)، [قالوا][(٢)] وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر؛ فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى، فهو في منزلة المالك، والمولى، والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق. انتهى.[(٣)]

قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام:١٦٤]، أي: إلها وسيدًا.[(٤)]

وقال في قول الله تعالى ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾: إنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد.[(١)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤٣)، ومسلم برقم (١٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) في المخطوطتين، و"البدائع": (قال)، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(٣) من "بدائع الفوائد" (٣/ ٢١٣).

(٤) ذكره الواحدي والبغوي في "تفسيرهما" بدون سند.

(١) **ضعيف**. أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الإخلاص من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس =

وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.(١)

وأما استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلىٰ سيدكم**»، فالظاهر أن النبي ﷺ لم يواجه سعدًا به؛ فيكون في هذا المقام تفصيل، والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «**ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي**».

= ولم يسمع منه، وفيه: عبدالله بن صالح كاتب الليث.

(١) **صحيح**. أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٣٥)، وابن أبي عاصم (٦٧٢)، والفريابي كما في "التغليق" (٤/ ٣٨٠) من طُرُقٍ عن الأعمش، عن أبي وائل به، وهذا إسناد صحيح، وقد علقه البخاري في "صحيحه" [باب:١١٢] من كتاب التفسير.

فائدة: السَّيِّد لا بأس أن يطلق علىٰ البشر؛ فالنبي ﷺ قال: «**من سيدكم يا بني سلمة؟**»، قالوا: الجد بن قيس، علىٰ أننا نُبَخِّلُه. فقال: «**وأي داءٍ أدوى من البخل، سيدكم عمرو بن الجموح**» أخرجه أحمد وغيره عن جابر رضي الله عنه، وقال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم**»، متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه.

۞ وهل يطلق علىٰ الفاسق والمنافق سيد؟

جاء حديث في النهي عن ذلك، ولكنه ضعيف، وهو حديث بريدة: «**لا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنَّه إن يكن سيدًا فقد أسخطتم ربكم**»، وهو من طريق: قتادة، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه، وقتادة لم يسمع من عبدالله بن بريدة؛ فعلىٰ هذا: إن كان له سيادة علىٰ قومه، وكان كبيرهم، وإن كان فاسقًا؛ فيجوز أن يُطلق عليه ذلك، وإن كان فاسقًا، والله أعلم.

٦٦- بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْل الله تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْل الله تَعَالَىٰ: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الزمر:٦٧].

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ حَبْرٌ من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يَا مُحَمّدُ، إنَّا نجد أن الله يجعل السّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلىٰ إِصْبَعٍ، وَالشّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالثّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فضَحِكَ النبي ﷺ حَتّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تصديقًا لقول الحبر، ثُمّ قَرَأَ: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾**.

وفي رواية لمسلم: وَالجِبَالَ وَالشّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمّ يَهُزّهُنّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يجعلُ السّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ. أخرجاه.[1]

ش/ قوله: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة.

---

(١) انظر: "البخاري" رقم (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم برقم (٢٧٨٦)، ولفظ مسلم الثاني: «**أنا الملك، أنا الملك**»، وسياق المصنف للحديث بذكر ست أصابع، ليس هو كذلك في "الصحيحين"، والذي في "الصحيحين": والماء والثرىٰ علىٰ إصبع. وذكر خمس أصابع فقط، وجاء ذكر ست أصابع بغير السياق المذكور عند أحمد (١/ ٤٥٧)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٥٤١)، ولكنَّ أكثر طرق الحديث بذكر خمس فقط، والله أعلم.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.[(١)]

قال السدي: ما عظموه حق عظمته.[(٢)]

وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه.[(٣)]

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أنَّ اللهَ على كل شيء قدير؛ فقد قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِه، ومن لم يؤمن بذلك؛ فلم يقدر الله حق قدره.[(٤)]

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها من مذهب السلف هو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الباب.

قال: ورواه البخاري في "صحيحه" في غير موضع، ومسلم، والإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن ابن مسعود بنحوه.اهـ[(٥)]

---

(١) في المطبوع زيادة: (قال مجاهد: نزلت في قريش).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٢٤٥)، من طريق: أسباط بن نصر، عن السدي، وأسباط فيه ضعف.

(٣) ذكره ابنُ كثير في "تفسيره" ولم يسنده، ووجدناه بمعناه عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤١) بلفظ: (ما علموا كيف هو حيث كذَّبوه)، وسنده ضعيف، فيه: قطبة بن العلاء الغنوي، وأبو معشر نجيح بن عبدالرحمن، كلاهما ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٢٤٥)، وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس، ولضعف عبدالله بن صالح كاتب الليث.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٧)، والترمذي (٣٢٣٨) (٣٢٣٩)، والنسائي في "التفسير" (٤٧٠) (٤٧١)، وتقدم تخريجه من "الصحيحين".

[قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال][(١)] جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أنَّ اللهَ تعالى يحمل الخلائق على إصبع، والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثَّرَى على إصبع، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. قال: وأنزل الله عزوجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية، وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والنسائي من طُرُقٍ عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال: مر يهوديٌّ برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم، يوم يجعل الله السموات على ذه -وأشار بالسبابة- والأرض على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ كل ذلك يشير [بأصابعه][(٢)]، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.[(٣)]

وكذا رواه الترمذي في التفسير بسنده عن أبي الضحى -مسلم بن صبيح- به، وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطتين، وأثبتناه من «التفسير» لابن كثير.

(٢) في المخطوطتين: (بأصبعه)، والمثبت من «مسند أحمد».

(٣) ضعيف. أخرجه أحمد (٢٢٦٧) (٢٩٨٩)، وإسناده ضعيف، حسين بن حسن الأشقر ضعيف، قال البخاري: فيه نظر. وقال أبو زرعة: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. وفي إسناده: عطاء ابن السائب مختلط، والراوي عنه: أبو كُدَينه، لم يرو عنه قبل الاختلاط؛ فهو بهذا اللفظ -لفظ الإشارة- ضعيف.

ثم وجدت أنَّ حسينًا الأشقر قد تُوبع، تابعه محمد بن الصلت الأسدي، وهو ثقة، عند الترمذي (٣٢٤٠)، وابن جرير (٢٠/ ٢٤٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٠٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤٥)، فبقيت العلة في اختلاط عطاء بن السائب، والله أعلم.

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض اللهُ الأرضَ ويطوي السماءَ بيمينه، فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**» تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر.[1]

وقال البخاري في موضع آخر: حدثنا مقدم بن محمد، حدثنا عَمِّي القاسم بن يحيى، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن اللهَ يقبض يوم القيامة [الأرض**[2]**، وتكون [السماوات]**[3] **بيمينه، ثم يقول: أنا الملك**» تفرد به أيضًا من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر.[4]

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر بلفظٍ أبسط من هذا السياق، وأطول، فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبيد الله ابن مقسم، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية [ذات يوم][5] على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها، ويقبل بها ويدبر، يمجد الرب نفسه: «**أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك العزيز، أنا الكريم**»، فرجف برسول الله ﷺ المنبرُ حتى قلنا: ليخرن به.انتهى.[6]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨١٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٧).

(٢) في المخطوطتين: (الأرضين)، والمثبت من "البخاري".

(٣) في المخطوطتين: (السماء)، والمثبت من "البخاري".

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٨).

(٥) في [ب]: يومًا.

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٧٢) بإسناد صحيح، وهو عند مسلم برقم (٢٧٨٨) (٢٥)، من طريق: أبي حازم، عن عبيد الله بن مقسم به مختصرًا.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟**»[(١)].

وروي عن ابن عباس، قال: ما السموات السبع، والأرضون السبع في كَفِّ الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم[(٢)].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**»[(٣)].

وقال: قال أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**»[(٤)].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (٢٧٨٨)، وفي سنده: عمر بن حمزة بن عبدالله بن عمر، وهو ضعيف، وتفرد بذكر الشمال، وفي جميع الروايات: «**ثم يأخذهن بيده الأخرى**»؛ فهي رواية غير صحيحة. وأما الحديث بطوله فإن له طُرُقًا كثيرة كما تقدم، قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ في "الأسماء والصفات" (٧٠٦): وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روىٰ هذا الحديث نافع، وعبيدالله بن مقسم، عن ابن عمر، ولم يذكرا فيه الشمال، وذكر الشمال لله عزوجل في هذا الحديث يخالف ما جاء في "صحيح مسلم" عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**كلتا يديه يمين**»، فلا توصف يد الله بالشمال؛ لضعف هذه الرواية، ولصحة الحديث الآخر.

(٢) **حسن**. أخرجه الطبري في تفسير [آية:٦٧] من سورة الزمر: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس به. وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات إلا عمرو بن مالك النكري؛ فإنه حسن الحديث، بل قد وثقه ابن معين كما في "سؤالات ابن الجنيد" (٧١٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير آية الكرسي، وهو مرسل، والراوي عن زيد بن أسلم: عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم، وهو ضعيف.

(٤) الحديث أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن عبدالرحمن بن زيد، عن أبي ذر، وهو منقطع؛ فإن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لم يدرك أبا ذر، وكذلك مع انقطاعه؛ فإن فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف. =

وعن ابن مسعود، قال: بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيْهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاء خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْـمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْـمَاءِ، وَاللهُ فُوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُم.

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله.[(١)]

ورواه بنحوه المسعوديُّ عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

ش/ قوله: ولمسلم عن ابن عمر...، الحديث.

كـذا في روايـة مسلم، قال الحُميدي: وهي أتـم. وهي عند مسلـم من حديث سالـم

= **ولهُ طرق أخرى واهية، أذكرها للتنبيهِ عليها:**

❁ فقد أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب "العرش" (٥٨)، وفي إسناده: المختار بن غسَّان العبدي، وهو مجهول، وأحمد بن علي الأسدي لم توجد له ترجمة، وفيه: إسماعيل بن سلم، قال العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (١٠٩): لم أعرفه، وغالب الظن أنه إسماعيل بن مسلم، فقد ذكروه في شيوخ المختار، وهو المكي البصري، وهو ضعيف.اهـ

قلت: بل هو شديد الضعف.

❁ وأخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٦١)، وأبو نُعيم في "الحِلْيَة" (١/ ١٦٨)، وفي إسناده: يحيىٰ بن سعيد السعدي البصري، قال العقيلي: لا يتابع علىٰ حديثه، وليس بمشهور بالنقل. وقال ابن حبان: في "المجروحين": يروي عن ابن جريج المقلوبات، وعن غيره من الثقات الملزقات، لا يحل الاحتجاج به.

❁ وأخرجـه البيهقـي فـي "الأسمـاء والصفات" (٨٦٢)، وفي إسناده: إبراهيم بن هشـام الغساني، وقـد كذبـه أبو حاتم، وأبو زرعـة، وتركـه آخرون؛ فالحديث ضعيفٌ لا يثبت من أي وجهٍ عن النبي ﷺ.

(١) **حسن**. أخرجه الدارمي في "الرد علىٰ الجهمية" (ص٢٧٥)، من كتاب "عقائد السلف"، وابن خزيمة في "التوحيد" (١٤٩)، وأبو الشيخ في "العظمة" (٢٧٩)، والطبراني (٨٩٨٧)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٥١)، من طرق عن حماد بن سلمة به، وإسناده حسن، رجاله ثقات إلا عاصم بن أبي النجود؛ فإنه حسن الحديث، والأثر له حكم الرفع.

عـن أبيـه.

وأخرجه البخاري من حديث عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «**إنَّ اللهَ يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماء بيمينه**»، وأخرجه مسلم من حديث عبيد الله ابن مقسم.[١]

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته، وعظم مخلوقاته، وقد تَعَرَّف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تُعَرِّفُ، وتدل على كماله، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، وهذا هو الذي [دل][٢] عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان، واقتفى آثارهم على الإسلام والإيمان.

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربَّه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته، وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله تعالى من الصفات التي تدل على عظمته[٣]، وتأمل ما فيها من إثبات علو الله على عرشه، ولم يقل النبي ﷺ في شيء منها إنَّ ظاهرها غير مُراد، أو أنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقًّا؛ بَلَّغَه [أمينُه][٤] أُمَّتَه؛ فإنَّ الله أكمل به الدين، وأتم به النعمة، فَبَلَّغ البلاغَ المبين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى [آله وصحبه][٥] ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات كماله، ونعوت

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) في [أ]: يدل.

(٣) في [أ]: عظمة الله تعالىٰ.

(٤) ساقط من [أ].

(٥) في [ب]: وعلىٰ أصحابه.

جلاله، فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

وكذلك التابعون لهم بإحسان، وتابعوهم، والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، ولم يجحدوا شيئًا من الصفات، ولا قال أحدٌ منهم: إنَّ ظاهرها غير مراد، ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، وصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله ﷺ، وكلام الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو نص أو ظاهر أنَّ الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش، فوق السموات، مُسْتَوٍ على عرشه، مثل قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٣-٤].

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة:٥].

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا

لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣]، فذكر التوحيدين في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الرعد:٢].

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٤-٥].

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٨-٥٩].

وقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]، فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته.

وقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٧].

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١/ الجاثية:٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر:٣٦-٣٧]. انتهى كلامه رحمه الله.[١]

قلت: وقد ذكر الأئمة رحمهم الله تعالى فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة ونحوهم أقوالَ الصحابة والتابعين، فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب "العلو"، وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. رواه ابن المنذر، واللالكائي وغيرهما بأسانيد صِحاح.[٢]

قال:[٣] وثبت عن سفيان بن عيينة أنه قال: لما سُئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن: كيف الاستواء؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن اللهِ الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق.[٤]

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٥/ ١٢-١٣).

(٢) **ضعيف**. أخرجه اللالكائي (٣/ ٣٩٧)، ومن طريقه: ابن قدامة في "إثبات العلو" (٨٢)، ومن طريقهما الذهبي في "العلو" (١٦٥)، من طريق: أبي كنانة محمد بن أشرس نا أبو عمير الحنفي، عن قُرَّة بن خالد، عن الحسن، عن أُمِّه، عن أم سلمة به، وهذا إسناد شديد الضعف؛ لأنَّ أبا كنانة متروك، ومتهم، وأبو عمير الحنفي قال الذهبي: لا أعرفه، وأخرجه ابن منده (٨٨٧)، وأبو عثمان الصابوني في "عقيدته" (ص١٧٨-١٧٩) من طريق: محمد بن الأشرس به، وعندهما بدل (أبي عمير الحنفي): (أبو المغيرة الحنفي، النضر بن إسماعيل)، وهو ضعيفٌ. والعجب من قول المؤلف (بأسانيد صحيحة)؛ مع أن الذهبي نفسه قد ضعفه عقب إخراجه، وليس له إلا هذه الطريق، وقد ضعفه شيخ الإسلام (٥/ ٣٦٥).

(٣) يعني: الإمام الذهبي في "العلو".

(٤) **صحيح**. أخرجه اللالكائي (٣/ ٣٩٨)، والذهبي في "العلو" (٣٢٢) من طريق: يحيىٰ بن آدم، عن ابن عيينة به، وأخرجه الذهبي (٣٢٢) كذلك بإسناد صحيح من طريق: محمد بن بشير، عن سفيان به.

وقال ابن وهب: كنا عند مالك فدخل رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك، وأخذته الرحضاء، وقال: الرحمن على العرش استوى، كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه. رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب.[١]

ورواه عن يحيى بن يحيى أيضًا، ولفظه قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.[٢]

قال الذهبي: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية.[٣]

قال البخاري في "صحيحه": قال مجاهد: ﴿اسْتَوَى﴾ علا على العرش.[٤]

وقال إسحاق بن راهويه: [أنا بشر بن عمر، قال][٥] سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، أي: ارتفع.[٦]

---

(١) صحيح. أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٦٦) بإسناد صحيح عن ابن وهب، وذكره الذهبي في "العلو" (٣٤٤).

(٢) أخرجه الذهبي في "العلو" (٤١٧)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٦٧)، من طريق: يحيىٰ بن يحيىٰ به، وهو أثر صحيح.

(٣) انظر: "كتاب العرش" (ص٢٣٤) ت/ ابن خليفة.

(٤) صحيح. علقه البخاري في "صحيحه" في [كتاب التوحيد، باب: (٢٢)] بصيغة الجزم، ووصله الفريابي كما في "التغليق" (٥/ ٣٤٥): ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهذا إسناد صحيح.

(٥) ما بين المعقوفين إضافة من مصادر الأثر.

(٦) صحيح. أخرجه إسحاق بن راهويه كما في "المطالب العالية" (٣٠٢٨) ط/ دار الوطن، عن بشر بن عمر الزهراني به، وبشر بن عمر إمام حافظ، أخرجه اللالكائي (٦٦٢)، والذهبي في "العلو" (٣٧٦)، من طريق إسحاق به.

وقال محمد بن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان:٥٩]، أي: علا وارتفع.(١)

وشواهده في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمِنْ ذلك قول عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوىٰ الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا(٢)

---

(١) تفسير [آية:٥] من سورة طه.

(٢) ضعيف. أصل ذكر هذه الأبيات أن ابن رواحة رضي الله عنه ذكر عنه أنه واقع جاريته، فغارت امرأته، وفي بعض الطرق أنها أخذت شفرة، فجاحدها أنه حصل منه شيء، فقالت: اقرأ علي قرآنا. -تعني أنه لا يقرأ وهو جنب- فقرأ هذه الأبيات، موهمًا لها أنه قرأ قرآنا، فقالت: آمنت بالله، وكذبت البصر. أو نحو ذلك.

❁ أخرج هذه القصة محمد بن العباس اليزيدي في "أماليه" (٥٧)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٢)، والذهبي في "السير" (١/ ٢٣٧-)، عن محمد بن حرب، عن محمد بن عباد، عن عبدالعزيز بن أخي الماجشون، قال: بلغنا أنه كانت لعبدالله بن رواحة...، فذكر القصة. وهذا إسناد معضل؛ لأن عبدالعزيز الماجشون من أتباع التابعين.

❁ وأخرجها أبو الطاهر المخلص في "فوائده"، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٤)، والسُّبُكي في "الطبقات" (١/ ٢٦٤)، من طريق الزبير بن بكار، حدثني موسىٰ بن جعفر بن أبي كثير، حدثني عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، عن الثقة...، وذكر نحوها. وما زالت القصة ضعيفة، فمع انقطاعها فيها رجل مبهم.

❁ وللقصة طريق أخرىٰ أخرجها ابن أبي الدنيا في كتابه "العيال" رقم (٥٧٢) كما في "الموسوعة" (٨/ ١٢٨)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٤) بإسناد حسن عن يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد...، فذكر القصة. وهذا معضل؛ فإنَّ ابن الهاد لم يسمع من أحد من الصحابة، فكيف بروايته لقصة حدثت في عهد النبي ﷺ قبل استشهاد عبدالله بن رواحة؟!!

❁ ولها طريق أخرىٰ عند ابن عساكر (٢٨/ ١١٥) من طريق الهيثم بن عدي...، فذكر القصة. وإسناده تالف؛ فالهيثم بن عدي من أتباع التابعين، وهو مع ذلك كذاب، كذبه ابن معين، وقال أبو حاتم: متروك الحديث. انظر "الجرح والتعديل" (٩/ ٨٥). =

= ❁ وأخرجها الدارمي في "الرد علىٰ الجهمية" (٢١-٢٢): حدثنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا يحيىٰ بن أيوب، حدثني عمارة بن غزية، عن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب...، فذكر القصة مرسلة.

وجاءت القصة من وجه آخر بذكر أبيات أخرىٰ وهي:

شهدت بإذن الله أن محمدًا رسول الذي فوق السماوات من علُ

❁ أخرجها ابن أبي شيبة (٨/ ٥٠٩)، وابن أبي الدنيا في "العيال" (٥٧٣)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٣)، من طريق أسامة بن زيد الليثي، عن نافع، وذكر القصة، وهذا مرسل.

وجاءت القصة من وجه آخر بذكر أبيات أخرىٰ، وهي:

وفينا رسول الله يتلو كتابه كما لاح مشهور من الفجر ساطع

أرانا الهدىٰ بعد العمىٰ فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وهذه الأبيات ثابتة بدون ذكر القصة كما في "البخاري" (١١٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ والقصة بهذه الأبيات أخرجها الدارقطني (١/ ١٢٠)، وابن عساكر (٢٨/ ١١٦)، من طريق زمعة ابن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس، فذكر القصة، وهو مع إرساله فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف.

❁ وأخرجها ابن أبي الدنيا في "العيال" (٥٧١)، عن محمد بن بكار، عن حفص بن عمر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي مرسلًا.

والخلاصة: أنَّ الأبيات التي ذكرها المؤلف رحمه الله لا تثبت؛ لأن الأسانيد إليها شديدة الضعف، وهل تثبت القصة بالمراسيل الأربعة الأخيرة؟ أعني مرسل قدامة، ونافع، والشعبي، وعكرمة. هذا هو أحسن ما ورد في الباب، ولكن قد وجد اختلاف في ذكر الأبيات بين مرسل نافع والمرسلين الآخرين، فهذا يجعل في القلب شيئًا من ثبوتها، مع أنه يبعد أن المرأة العربية لا تميز بين الشعر، والقرآن، ويبعد أيضًا أن عبدالله بن رواحة يقرأ شعرًا موهمًا أنه قرآن.

ومن هذا البحث تعلم أن قول ابن عبدالبر في "الاستيعاب": رويناها من وجوه صحاح.اهـ غير صحيح؛ ولذلك تعقبه الذهبي بقوله: روي من وجوه مرسلة. ثم ذكر مرسل قدامة الحاطبي.

تنبيه: من قوَّىٰ القصة المتقدمة من العلماء؛ فإنهم يقولون: إن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه إنما عرَّض بالنفي تعريضًا، ولم يخبرها أنه سيقرأ قرآنًا، وإنما طلبت هي ذلك، فأوهمها بالقراءة. وبالله التوفيق.

تنبيه آخر: ليس في جميع هذه الطرق ذكر النبي ﷺ، وإقراره وضحكه، وإنما جاء ذلك في طريق الماجشون، والشعبي، وعكرمة، والهيثم بن عدي، دون بقية الطرق.

وروى الدارمي، والحاكم، والبيهقي بأصح إسنادٍ إلى علي بن [الحسن][(١)] بن شقيق، قال: سمعت عبدَ الله بن المبارك يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته، على العرش استوى، بائن من خلقه، لا نقول كما قال الجهمية.[(٢)]

قال الدارمي: حدثنا الحسن بن الصباح البزار، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك: قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة على العرش، بائن من خلقه.

وقد تقدم قول الأوزاعي: كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله تعالى ذكره [بائن من خلقه][(٣)] فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة.[(٤)]

وقال أبو عمر الطَّلَمَنْكِي في كتاب "الأصول": أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

ثم ساق بسنده عن مالك قوله: اللهُ في السماء، وعلمه في كل مكان.

---

(١) في المخطوطتين: (الحسين)، والمثبت هو الصواب.

(٢) أخرجه الدارمي في "الرد علىٰ الجهمية" (ص٢٧٢) من كتاب "عقائد السلف"، وفي كتابه "الرد علىٰ المريسي" (ص٣٨٢) من كتاب "عقائد السلف"، وأخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٠٢)، وكذلك أخرجه عبدالله بن أحمد في "السُّنَّة" (٢١٦)، وابن منده في "التوحيد" (٨٩٩)، وأبو عثمان الصابوني في "عقيدته" (ص١٨٦)، والذهبي في "العلو" (٣٦١)، من طرق عن علي بن الحسن بن شقيق به، وإسناده صحيح.

(٣) ساقط من [أ].

(٤) أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٦٥) من طريق: محمد بن كثير المصيصي، عن الأوزاعي به، وإسناده ضعيف؛ لضعف محمد بن كثير المصيصي الصنعاني.

ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[الحديد:٤] ونحو ذلك من القرآن: أنَّ ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء. وهذا لفظه في كتابه.[١]

وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين والأئمة، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ على الحقيقة، على ما يليق بجلال الله وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثلوا، ولم يكيفوا، [كما][٢] ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، فقتله خالد بن عبد الله القسري، وقصته مشهورة[٣]، وأخذ [عنه][٤] هذه المقالة الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتج لها

---

(١) نقله عنه ابن القيم في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية" (ص١٤٢).

(٢) في [ب]: علىٰ ما.

(٣) اشتهرت هذه القصة في السِّيَر والتواريخ، وأما من حيث الأسانيد فلها إسنادان لا يثبتان: **أحدهما**: ما رواه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٣)، و"التاريخ" (١/ ٦٤)، والدارمي في "الرد علىٰ الجهمية" (ص١٧، ١٨٢)، و"الرد علىٰ المريسي" (ص١١٨)، والخلال في "السنة" (١٦٩٠)، والآجري في "الشريعة" (٦٩٤) (٢٠٧٢)، واللالكائي (٥١٢)، والبيهقي في "الكبرىٰ" (١٠/ ٢٠٥-٢٠٦)، وفي "الأسماء والصفات" (٥٦٣)، والخطيب في "التاريخ" (١٢/ ٤٢٥)، كلهم من طريق: القاسم بن محمد المعمري، عن عبدالرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت خالد بن عبدالله القسري...، فذكر القصة. وهذا إسناد ضعيف؛ فإنَّ عبدالرحمن مجهول لا يعرف، وكذلك أبوه محمد بن حبيب مجهول أيضًا كما في "الميزان"، وجده حبيب بن أبي حبيب هو الجرمي البصري، فيه لين. **الثاني**: أخرجه ابن أبي حاتم كما في "العلو للعلي العظيم" (٣٣٠) ط/ الوطن، عن عيسىٰ بن أبي عمران الرملي، نا أيوب بن سويد، عن السري بن يحيىٰ، قال: خطبنا خالد القسري...، فذكره. وهذا إسناد شديد الضعف؛ فإن عيسىٰ الرملي قال فيه أبو حاتم: غير صدوق. وأيوب بن سويد الرملي قال ابن معين فيه: ليس بشيء، يسرق الأحاديث. وقال النسائي: ليس بثقة.وضعفه آخرون.

(٤) ساقط من [أ].

بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمةُ ذلك العصر، مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى، فقال الأوزاعي -إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة-: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلى أبي بكر البيهقي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري ببغداد، حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا محمد بن كثير المصيصي، سمعت الأوزاعي يقول: كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إنَّ الله فوق عرشه. ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. أخرجه البيهقي في "الصفات"[(١)]، ورواته أئمة ثقات.[(٢)]

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا رَدُّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه؛ كفر، وأما قبل قيام الحجة؛ فإنه يُعذر بالجهل، ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١][(٣)]. اهـ من "فتح الباري".

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) انتهىٰ من "كتاب العرش" (٢/ ٢١٩-٢٢٣) ت/ ابن خليفة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "مناقب الشافعي" كما في "الفتح" [كتاب التوحيد، باب (٢٢)]، عن يونس ابن عبدالأعلىٰ، قال: سمعت الشافعي يقول: ...، فذكره.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟**» قُلْنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ**». أخرجه أبو داود وغيره.

فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير قوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:٦٧].

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها، ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحَبر لَـمَّا ذكر للنبي ﷺ، صدَّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لَـمَّا ذكر الحَبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السموات في اليد اليمنىٰ، والأرضين في الأخرىٰ.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «**كخردلة في كَفِّ أحدكم**».

التاسعة: عِظَم الكرسي بالنسبة إلىٰ السماء.

العاشرة: عِظَم العرش بالنسبة إلىٰ الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلىٰ سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السموات بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة سنة.

والله أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين.

ش/ قوله: عن العباس بن عبد المطلب.

ساقه المصنف مُخْتَصَرًا، والذي في "سنن أبي داود": عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «**ما تسمون هذه؟**»، قالوا: السحاب. قال: «**والمزن**»، قالوا: والمزن. قال: «**والعنان**»، قالوا: والعنان.

قال أبو داود: لم أتقن العنان [جيدًّا].[1] قال: «**هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟**»، قالوا: لا ندري. قال: «**إنَّ بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء التي فوقها كذلك** -حتى عدد سبع سماوات- **ثم فوق السابعة بحرٌ بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلىٰ سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلىٰ سماء، ثم علىٰ ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلىٰ**

(١) وقع في المخطوطتين: (جدًّا)، وهو خطأ.

سماء، ثم الله تبارك وتعالىٰ فوق ذلك»، وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب.[١]

وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة، وفيه: «**بُعد ما بين سماء إلىٰ سماء خمسمائة عام**»[٢]، ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلًا، ونيف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه. هذا آخر كلامه.[٣]

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهذا الحديث له شواهد في "الصحيحين" وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه؛ لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها

(١) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (٤٧٢٣) (٤٧٢٤)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٥٧٧)، وابن خزيمة في "التوحيد" (ص١٠١-١٠٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص٣٩٩)، وعندهم كلهم: «**إنَّ بُعْدَ مَا بينهما إما واحدة، أو اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة**»، وفيه: عبدالله بن عميرة، يرويه عن الأحنف بن قيس، عن العباس، فعبدالله بن عميرة مجهول، وقد اضطرب في إسناد الحديث، فتارة يرويه كما تقدم، وتارة يرويه عن العباس مباشرة بدون ذكر (الأحنف) كما في "مسند أحمد" (١٧٧٠)، وأبي يعلىٰ (٦٧١٣)، وتارة يرويه موقوفًا كما في "مستدرك الحاكم" (٢/ ٥٠٠)، والرواية التي ذكرها المصنف: «**بينهما مسيرة خمسمائة عام**» هي التي عند أحمد، وأبي يعلىٰ، وفي الإسناد: يحيىٰ بن العلاء، وهو كذابٌ، وضَّاع.

(٢) **ضعيف**. أخرجه الترمذي (٣٢٩٨)، وأحمد (٨٨٢٨)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص٣٩٩-) وابن أبي عاصم في "السنة" (٥٧٨)، من طريق: قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف؛ لأنَّ ا لحسن لم يسمع من أبي هريرة به مطولًا مع زيادة علىٰ حديث ابن مسعود السابق، وحديث أبي هريرة يحسن منه ما كان موجودًا في حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ إذ هو شاهد له.

(٣) انظر: "كتاب العرش" (ص٤١-٤٢) ت/ ابن خليفة.

تمت التعليقات بفضل الله الأحد المنان؛ فله الحمد أولا وآخرا، لا نحصي ثناء عليه

وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله، وعظيم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسولُه ﷺ، وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه.

وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

تم كتاب "فتح المجيد" بعون الملك الحميد

فَهْرِسٌ لِبَعْضِ الفَوَائِدِ الْمَوْجُودَةِ فِي فَتْحِ الْمَجِيْدِ وَالتَّوْضِيْحِ الْمُفِيْد

ا

ب

ت

ث

ج

ح

د

ذ

ر

س

ش

ض

ط

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

فَهْرِسُ الأَحَادِيْثِ وَالآثَار

فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَات